تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

تأليف

الشيخ محمد علي طه الدرة

(رحمه الله)

المجلد الثالث

من سورة المائدة إلى سورة الأعراف

دار ابن كثير

بسم الله الرحمن الرحيم

لسان العرب

تفسير القرآن الكريم

وإعرابه وبيانه

المجلد الثالث

من سورة المائدة إلى سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

1430 هـ ـ 2009 م

دار ابن كثير

للطباعة و النشر و التوزيع

دمشق ـ بيروت

ردمك : 978-9953-520-23-0

الموضوع : تفسير - علوم القرآن

العنوان : تفسير القرآن الكريم و إعرابه و بيانه 10/1

التأليف : الشيخ محمد علي طه الدرة

الورق : كريم

ألوان الطباعة : لونان

عدد الصفحات : 7520

القياس : 17×24

التجليد : فني - كعب لوحة

الوزن : 13 كغ

التنفيذ الطباعي : 53dots - بيروت

التجليد : مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد - بيروت

دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا ـ بناء الجابي

ص.ب : 311 ـ حالة المبيعات تلفاكس: 2225877 - 2228450

مكتب تلفاكس: 2243502 - 2458541

بيروت ـ برج أبي حيدر ـ خلف دبوس الأصلي ـ بناء الحديقة

ص.ب : 113/6318 ـ تلفاكس : 01/817857 ـ جوال : 03/204459

www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

9789953520230

سورة المائدة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المائدة هي مدنية إلّا قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ الآية رقم [٣]، فإنَّها نزلت بعرفة في حجَّة الوداع يوم عرفة والنبيُّ ﷺ واقف بها، فقرأها في خطبته، وقال: «**يا أيها الناس إنَّ سورة (المائدة) من آخر القرآن نزولاً، فأحلُّوا حلالها، وحرِّموا حرامها**». وإنَّما خصَّ النبي ﷺ هذه السورة من بين سور القرآن بالذكر ـ وكل سور القرآن يجب أن يحل المسلم حلالها، ويحرم حرامها ـ لزيادة الاعتناء بها، فهو كقوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٦]: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ...﴾ إلخ حيث أكد اجتناب الظلم في أربعةٍ منها، وإن كان الظلم لا يجوز في شيء من جميع أشهر السنة؛ لزيادة الاعتناء بها.

وقيل: إنَّما خص النبي ﷺ هذه السورة بالذِّكر؛ لأنَّ فيها ثمانية عشر حكماً لم تنزل في غيرها من سور القرآن. قال البغويُّ: روي عن ميسرة؛ قال: إنَّ الله تعالى أنزل في هذه السورة ثماني عشر حكماً لم ينزلها في غيرها، وهي: ﴿وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾، ﴿وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾، ﴿وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمۡ﴾، ﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾، وتمام الطَّهور في قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ...﴾، ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾، ﴿لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾، وقوله تعالى: ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾. وفريضة تاسعة عشرة، وهي قوله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ ليس للأذان ذكر في القرآن إلا في هذه السُّورة، أمَّا ما في سورة الجمعة فمخصوص بالجُمعة، وهو في هذه السُّورة عام لجميع الصلوات.

هذا؛ وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: أنزلت على رسول الله ﷺ سورة (المائدة) وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها، أي: لثقل الوحي الذي ينزل على رسول الله ﷺ. وسمِّيت سورة (المائدة) لورود ذكر المائدة فيها، حيث طلب الحواريُّون من عيسى ـ عليه السلام ـ آيةً تدلُّ على صدق نبوَّته، وتكون لهم عيداً.

وقصة المائدة أعجب ما ذكر فيها؛ لاشتمالها على آياتٍ كثيرة، ولطفٍ عظيم من الله تعالى.
وهي مئةٌ وعشرون آية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: نادى الله عباده المؤمنين في هذه الآية بأكرم وصف، وألطف عبارة، أي: يا مَنْ صدَّقتم الله، ورسوله، وتحلَّيتم بالإيمان الذي هو زينة الإنسان. وقد خاطب الله عباده المؤمنين في هذه السُّورة بالنِّداء الدَّالِّ على الإقبال عليهم، ونداء المخاطبين باسم المؤمنين يذكِّرهم بأنَّ الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقَّى أوامر الله ونواهيه بحسن الطَّاعة، والامتثال. وإنَّما خصَّهم الله بالنِّداء؛ لأنَّهم هم المستجيبون لأمره، المنتهون عمَّا نهى الله عنه؛ إذ الغالب أن يتبع هذا النداء بأمرٍ، أو بنهيٍ.

﴿أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِۚ﴾ يقال: وَفى، وأوفى لغتان، قال تعالى في سورة (التَّوبة): ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ﴾، وقال في سورة (النَّجم): ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ وقال طفيل الغندي: [البسيط]

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ ... كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا

فجمع بين اللُّغتين، وقلاص النَّجم: هي العشرون نجماً الَّتي ساقها الدَّبَران في خطبته الثُّريا. كما تزعم العرب. والعُقود: جمع عَقْد، يقال: عقدت العهد، والحبل، فهو يستعمل في المعاني، والأجسام. قال الحُطيئة في مدح بغيض بن عامر بن شمَّاس: [البسيط]

قَوْمٌ إِذَا عَقَدُوا عَقْداً لِجَارِهِمُ ... شَدُّوا الْعِنَاجَ وَشَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرَبَا

والمراد بـ: (العقود) ما يعم جميع ما ألزم الله به عباده، وفرضه عليهم من التكاليف، والأحكام الدينية، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات، والمعاملات، ونحوها ممَّا يجب الوفاء به، ويحسن دِيناً. وما في هذه السورة الكريمة من أحكام يبين ذلك، ويوضحه.

قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: يعني بذلك عقود الدِّين، وهي ما عقده المرء على نفسه من بيعٍ، وشراءٍ، وإجارةٍ، وكراءٍ، ومناكحةٍ، وطلاقٍ، ومموادعةٍ، ومصالحةٍ، وتمليكٍ، وتخيير، وغير ذلك من الأمور ممَّا كان غير خارج عن الشَّريعة، وكذلك ما عقده الشَّخص للهِ على نفسه من الطَّاعات كالحجِّ، والصِّيام... إلخ.

﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: أكل لحمها، والانتفاع بصوفها، وشعرها، ودرِّها، ونسلها، وجميع أجزائها. والبهيمة: كلُّ حيٍّ لا يُمَيِّز، ولا يعقل، وإضافتها إلى الأنعام للبيان، كقولك: ثوب خز، وخاتم فضة، ونحو ذلك.

والمراد بـ: ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ الأزواج الثمانية المذكورة في سورة (الأنعام) وهي: الإبل، والبقر، والغنم، والماعز، ويلحق بها الظباء، وبقر الوحش، وما يماثلها في الاجترار، وعدم الأنياب دون ذوات الحافر.

﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾: إلا ما يقرأ عليكم تحريمه، أي: في الآية التالية، ونحوها، وفي السنة أيضاً قول الرَّسول ﷺ: «**كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، فَأَكْلُهُ حَرَامٌ**».

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذه الآية ممَّا تلوح فصاحتها، وكثرة معانيها على قلَّة ألفاظها لكلِّ ذي بصيرة بالكلام، فإنَّها تضمَّنت خمسة أحكام: الأول: الأمر بالوفاء بالعقود. الثاني: تحليل بهيمة الأنعام. الثالث: استثناء ما يلي بعد ذلك. الرَّابع: استثناء حال الإحرام فيما يُصاد. الخامس: ما تقتضيه الآية من إباحة الصَّيد لِمَن ليس بمحرم. وحكى النقاش: أنَّ أصحاب الكندي قالوا له: أيُّها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن. فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثمَّ خرج، فقال: والله ما أقدر، ولا يطيق هذا أحد، إنِّي فتحت المصحف، فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء، ونهى عن النكث، وحلَّل تحليلاً عاماً، ثم استثنى استثناءً بعد استثناءٍ، ثمَّ أخبر عن قدرته، وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي بهذا إلا في أجلاد. انتهى.

تنبيه: فسر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ بهيمة الأنعام بالجنين، والأجنَّة التي توجد ميتة في بطون أمهاتها؛ إذا ذبحت، أو نحرت، ذهب أكثر العلماء في تحليلها، وهو مذهب الشَّافعي، ويدلُّ عليه ما روي عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ: أنَّه قال في الجنين: «**ذَكَاتُهُ ذَكَاةُ أُمِّهِ**». أخرجه الترمذيُّ، وابن ماجه. وفي روايةِ أبي داود؛ قال: قلنا: يا رسول الله! ننحر الناقة، ونذبح البقرة، والشاة، ونجد في بطنها الجنين، أنلقيه، أم نأكله؟ قال: «**كُلُوهُ إِنْ شِئْتُمْ، فَإِنَّ ذَكَاتَهُ ذَكَاةُ أُمِّهِ**». وشرط بعضهم الإشعار، وتمام الخَلْق، قال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: ذكاة ما في بطنها ذكاتها؛ إذا تمَّ خلقه، ونبتَ شعره. ومثله عن سعيد بن المسيِّب ـ رحمه الله تعالى ـ وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى: لا يحل أكل الجنين؛ إذا خرج بعد ذكاة الأم ميتاً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ المعنى: أحل لكم ما تقدَّم ذكره ما عدا صيد الوحوش في حال إحرامكم بحجٍّ، أو عمرة، أو في حال وجودكم بأرض الحرم فإنَّ الصيد في هاتين الحالتين محرَّمٌ عليكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ يعني: أنَّ الله يقضي في خلقه ما يشاء من تحليل ما أراد تحليله، وتحريم ما أراد تحريمه، وفرض ما يشاء أن يفرضه عليكم من أحكامه، وفرائضه ممَّا فيه مصلحة لعباده، لا اعتراض عليه، ولا معقِّب لحكمه.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو، أو أنادي. (أيُّها): منادى نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ: (يا). و(ها): حرف تنبيه لا محلَّ له من الإعراب، وأُقحم

للتوكيد، وهو عوض مِنَ المضاف إليه، ولا يقال: ضمير في محل جر بالإضافة؛ لأنَّه يجب حينئذٍ نصب المنادى. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع بدلاً من (أيُّ) وانظر الآية رقم [١٣٣] من سورة (النساء)؛ إن أردت الزيادة. ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَوۡفُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِٱلۡعُقُودِۚ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة النِّدائية قبلها.

﴿أُحِلَّتۡ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿بَهِيمَةُ﴾: نائب فاعله، وهو مضاف. و﴿ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء مِنْ: ﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾. وهذا عند البصريين. وقال الفرَّاء: في محل رفع على البدلية مِنْ: ﴿بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾. ﴿يُتۡلَىٰ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذُّر، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، وأصل الكلام: إلا ما يتلى عليكم تحريمه، أو آية تحريمه، فحذف المضاف الذي هو: آية، وأقيم المضاف إليه مقامه، ثم حذف المضاف ثانياً، وأقيم الضمير المجرور مقامه، فانقلب الضمير المجرور مرفوعاً، واستتر في: ﴿يُتۡلَىٰ﴾، وعاد على ﴿مَا﴾. وقدَّره الزمخشري في الكشَّاف: إلا محرم ما يتلى عليكم. انتهى. جمل. والأول أقوى. ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿يُتۡلَىٰ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها.

﴿غَيۡرَ﴾: حال من الكاف، وقيل: حال من واو الجماعة في: ﴿أَوۡفُواْ﴾ قاله مكي، وغيره، و﴿غَيۡرَ﴾: مضاف، و﴿مُحِلِّي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و(مُحِلِّي) مضاف، و﴿ٱلصَّيۡدِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَأَنتُمۡ﴾: الواو: واو الحال. (أنتم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿حُرُمٌۗ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿مُحِلِّي﴾ والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَحۡكُمُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾ والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يحكم الذي، أو: شيئاً يريده، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية، لا محلَّ لها من الإعراب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ۘ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)﴾

الشرح: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ انظر الآية السابقة. ﴿لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ جمع: شعيرة، أي: لا تتعدوا حدود الله في أمرٍ من الأمور. هذا؛ وقال عطاء بن أبي رباح: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾: جميع ما أمر الله به، ونهى عنه. وقال الحسن: دين الله كلُّه، كقوله تعالى في سورة (الحج): ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ والمراد هنا: مناسك الحج، مِنْ وقوفٍ بعرفات، ومبيت بمزدلفة، ورمي للجمار، وسعي، وطواف، وحلقٍ، وغير ذلك. والمراد: النَّهي عن هتك حرمة هذه المناسك بفعل شيءٍ مخلٍّ فيها، والحث على أدائها على الوجه الأكمل. وفي الكلام استعارةٌ؛ حيث استعار الشَّعيرة، وهي: العلامة للمتعبَّدات؛ التي تعبَّد الله بها العباد مِنَ الحلال، والحرام.

﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: الشهر فيه لأهل اللغة قولان: أشهرهما: أنَّه اسم لمدَّة الزمان الذي يكون مبدؤها الهلال ظاهراً إلى أن يستتر، سمِّي بذلك لشهرته في حاجة الناس إليه في العبادات، والمعاملات، وغيرهما. والثاني قاله الزجاج: أنَّه اسم للهلال نفسه. ويجمع على أشهر، وشهور. و﴿الْحَرَامَ﴾: المحرَّم. والأشهر المحرَّمة أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم، وشهر رجب. قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٦]: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ﴾ وقال الرسول الأعظم ﷺ في حجَّة الوداع: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلْقِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرَاً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَر الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى، وَشَعْبَانَ**» سمِّيت حُرُماً لتحريم القتال فيها، وكان القتال محرَّماً في هذه الأشهر في بدء الإسلام، ثم نُسخ هذا التحريم بقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٢٣]: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾، والمعنى: الشهر الحرام مقابَلٌ بمثله، أي: فكما قاتلوكم فيه؛ فاقتلوهم في مثله.

هذا؛ والحرام في الأصل: كلُّ ممنوع. وقولهم: لفلان بي حرمةٌ، أي: ممتنع من مكروهه. وحرمة الرجل محظورة به عن غيره، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ فالمحروم هو: الممنوع من المال، والتلذُّذ به. والإحرام بالحج هو: المنع من أمورٍ معروفة. والبيت

الحرام: الكعبة المعظمة، ويلحق بها جميع الحَرَم؛ لما صحَّ من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ النبي ﷺ خطب يوم فتح مكَّة، فقال: «**إنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَامٌ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَى يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحرمةِ اللهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، وَلَا تُلْتَقَطُ لَقْطَتُهُ إِلَّا لِمَنْ عَرَّفَهَا، وَلَا يُخْتَلَى خلَاهُ**». والحلال: ضد الحرام.

﴿وَلَا ٱلْهَدْىَ﴾: هو ما أهدي إلى الحرم من النَّعم ليذبح فيه، ويأكلَه الفقراء، والمساكين. والمراد: النَّهي عن التعرُّض له بسوءٍ. ﴿وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: هو كل ما علق على أسنمة الهدايا، وأعناقها علامة: أنَّه لله سبحانه: من نَعْلٍ، أو قِشْرِ شجرٍ، وهي سنَّةٌ إبراهيميَّةٌ بقيت في الجاهلية، وأقرَّها الإسلام، وعطفها على الهدي من ذكر الخاصِّ بعد العام، فإنَّها أشرف الهدي، وأعظمه، قال الشاعر: [الوافر]

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمُصَلَّى ... وَأَعْنَاقِ هُدِينَ مُقَلَّدَاتِ

والمعنى: ولا تستحلُّوا الهدي خصوصاً المقلَّدات منها. وقيل: أراد أصحاب القلائد، وذلك: أن العرب في الجاهلية كانوا إذا أرادوا الخروج من الحرم؛ قلَّدوا أنفسهم، وإبلهم من لحاء شجر الحرم إذا رجعوا من مكَّة؛ ليأمنوا على أنفسهم من العدو، فإنَّهم كانوا إذا رأوا شخصاً جعل في عنقه تلك القلادة عرفوا: أنَّه راجع من الحرم، فلا يتعرضون له. فعلى هذا فالعطف للمغايرة.

﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ أي: ولا تستحلوا القاصدين إلى البيت الحرام، وهو الكعبة المعظمة شرفها الله، وعظمها. ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا﴾: يطلبون من الله الرزق، والأرباح في التجارة، ويطلبون رضا الله عنهم بزعمهم؛ لأنَّ الكافر لا حظَّ له في الرضوان، لكن يظن: أن فعله ذلك طلب الرضوان، فيجوز أن يوصف به بناء على ظنِّه. ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾: أمر إباحة، أي: إن حللتم من إحرامكم؛ فاصطادوا الوحوش الَّتي يحلُّ أكلها؛ لأنَّ الله تعالى حرَّم الصيد على المُحرم حالة إحرامه، أو كان في أرض الحرم، كما تقدم.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ أي: لا يحملنكم: ﴿شَنَـَٔانُ قَوْمٍ﴾: بغض قوم، وعداوتهم. ﴿أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي: منعوكم عن المسجد الحرام، وهذا كان من قريش عام الحديبية. ﴿أَن تَعْتَدُوا۟﴾: عليهم انتقاماً منهم بأخذ أموالهم، وقتلهم. هذا؛ وقرئ بفتح الهمزة، وكسرها، فالفتح على التعليل. والكسر، فمعناه: إن وقع صدٌّ لكم؛ فلا يكسبنكم بغض مَنْ صدَّكم أن تعتدوا، فالصدُّ منتظر، ومنه قول الفرزدق ـ وهو الشاهد رقم [٢٩] من كتابنا فتح القريب المجيب يروى بفتح همزة: «أنْ»، وكسرها، وخذه: [الطويل]

أَتَغْضَبُ أَنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا ... جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لِقَتْلِ ابْنِ خَازِمِ؟

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي: ليعن بعضكم بعضاً على ما يكسب البرَّ، والتقوى. قال ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: البر: متابعة السُّنَّة. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ أي: لا يُعن بعضكم بعضاً على الإثم، وهو الكفر، والعدوان، وهو الظلم، فيأمر الله عزَّ وجل عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات على جميع أنواعها، وهو البرُّ. وترك المنكرات، والمعاصي جميعها، وهو التَّقوى، وينهاهم عن التناصر على الباطل، والتعاون على المآثم، والمحارم. هذا؛ وفي الجملتين من المحسِّنات البديعية: المقابلة.

وعن النواس بن سمعان ـ رضي الله عنهما ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرِّ، والإثم، فقال: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». أخرجه مسلم. هذا؛ وفسر الإثم في الآية رقم [٣٢] من سورة (الأعراف) بالخمر، واستدلَّ عليه بقول بعض الجاهليين: [الوافر]

شَرِبْتُ الإِثْمَ حَتَّى ضَلَّ عَقْلِي كَذَاكَ الإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ

﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ خافوا الله، واحذروا أن تهملوا ما أمركم به، أو تعتدوا، وتجاوزوا إلى ما نهاكم عنه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾: لمن خالف أوامره، وتعدَّى حدوده. ففيه وعيدٌ، وتهديدٌ عظيمين.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في الحُطم، واسمه: شريح بن هند بن ضبعة البكري، أتى المدينة وحدَه، وخلف خيله خارج المدينة، ودخل على النبيِّ، فقال: إلامَ تدعو الناس؟ فقال: «**إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ**». فقال: حسنٌ إلا أنَّ لي أمراء لا أقطع أمراً دونهم، ولعلِّي أسلم، وآتي بهم! فخرج من عنده، وقد كان رسول الله ﷺ قال لأصحابه: يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلَّم بلسان شيطان، فلمَّا خرج شريح؛ قال النبيُّ ﷺ: «**لَقَدْ دَخَلَ بِوَجْهِ كَافِرٍ، وَخَرَجَ بِقَفَا غَادِرٍ، وَمَا الرَّجُلُ بِمُسْلِمٍ**». فمر بسرحٍ من سرح المسلمين، فاستاقها؛ وهو يرتجز ويقول: [الرجز]

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطَمْ لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمْ

وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ بَاتُوا نِيَامَاً وابْنُ هِنْدٍ لَمْ يَنَمْ

بَاتَ يُقَاسِيْهَا غُلَامٌ كَالزَّلَمْ خَدَلَّجُ السَّاقَيْنِ خَفَّاقُ الْقَدَمْ

فطلبه المسلمون، فلم يدركوه، فلمَّا كان العام القابل، وخرج الرَّسول ﷺ لعمرة القضية فسمع تلبية حُجَّاج اليمامة، فقال: هذا الحُطم، وأصحابه، وكان قد قلَّد ما نهب من سرح المدينة، وأهداه إلى مكَّة، فتوجَّهوا في طلبه، فنزلت الآية الكريمة، والمعنى: لا تُحِلُّوا ما أُشْعِرَ لله، وإن كانوا مشركين. ولكن قد نسخ هذا الحكم بسورة (التوبة) وبالآيات التي تأمر بقتال المشركين أينما كانوا. والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية معطوفة على سابقتها. ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾: مفعول به لفعل محذوف، دلَّ عليه ما قبله، فهو مجزومٌ مثله؛ إذ التقدير: ولا تحلو الشَّهر. ﴿ٱلۡحَرَامَ﴾: صفته. ﴿وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾: مثل سابقه في التقدير. ﴿ءَآمِّينَ﴾: مفعول به لفعل محذوف كالذي قبله، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض من التنوين في الاسم المفرد، وفاعله ضمير مستتر فيه. والأصل: ولا تُحِلُّوا قتالَ آمّين: فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿ٱلۡبَيۡتَ﴾: مفعول به لـ﴿ءَآمِّينَ﴾. ﴿ٱلۡحَرَامَ﴾: صفته. ﴿يَبۡتَغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿فَضۡلًا﴾: مفعول به. ﴿مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: متعلقان بـ ﴿فَضۡلًا﴾؛ لأنَّه مصدر، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرِضۡوَٰنًاۚ﴾: معطوف على: ﴿فَضۡلًا﴾ والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المستتر في: ﴿ءَآمِّينَ﴾، وقول مكي: صفة لـ: ﴿ءَآمِّينَ﴾ صححه ابن هشام في المغني، وهو وصف بعد العمل خلافاً لأبي البقاء.

﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك مبني على السكون في محل نصب. ﴿حَلَلۡتُمۡ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿فَٱصۡطَادُواْۚ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (اصطادوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف للعلم به، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محلَّ لها. (وإذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، لا محلَّ له مثله، والاستئناف ممكن. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَجۡرِمَنَّكُمۡ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محلِّ جزم بـ (لا) الناهية، والكاف مفعول به. ﴿شَنَـَٔانُ﴾: فاعله، وهو مضاف. و﴿قَوۡمٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿صَدُّوكُمۡ﴾: فعل ماض وفاعله ومفعوله، والفعل الماضي في محل نصب بـ﴿أَن﴾، وهما في تأويل مصدر في محل نصب مفعول لأجله، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لصدِّهم إيَّاكم. والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. وانظر الشرح. ﴿عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ﴾: معلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلۡحَرَامِ﴾: صفة: ﴿ٱلۡمَسۡجِدِ﴾.

﴿أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أَنْ) وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤوَّل منهما في محل نصب مفعول به ثان، التقدير: لا يجرمنَّكم شنآن قوم الاعتداء عليهم. ﴿وَتَعَاوَنُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَى ٱلۡبِرِّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلتَّقۡوَىٰۖ﴾: معطوف على ما قبله

مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً، وأصل الفعل: لا تتعاونوا، فحذفت تاء المضارعة.

﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿شَدِيدُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ الأصل: شديدٌ عقابُه، والجملة الاسمية تعليلٌ للأمر، لا محلَّ لها.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [١٧٣] من سورة (البقرة) ففيها الكفاية؛ حيث تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

(المنخنقة): هي الدَّابة الَّتي ماتت خنقاً بسبب حبلٍ في رقبتها، أو حبس الهواء عنها، ونحو ذلك. (الموقوذة): هي الدابة التي تموت بضرب حجرٍ، أو عصاً، ونحو ذلك. ولا يلتفت لقول من يقول: إنَّها المريضة، ويسمُّونها المنقوذة. (المتردية): هي التي وقعت مِنْ مكانٍ عالٍ في بئرٍ، أو غيره، فماتت. (النطيحة): هي التي نطحتها دابةٌ أخرى، فماتت، وهي اسم مفعول بمعنى منطوحة، ويخطئ مَنْ يفسرها بـ: منكوحة، وهو يريد الأنثى من البقر، والغنم، والماعز، فلذا يُحرِّم أكل لحم الأنثى ممَّا ذكر، مع أنَّ كتب اللغة لا توافق على تفسيرها بما ذكر، والقرآن عربيٌّ. وإنَّما لم تحذف التاء من الأسماء المذكورة مع أنَّها بمعنى المفعول؛ لأنَّها صفات لموصوف محذوف، وهو الشَّاة، كأنَّه تعالى قال: حرمت عليكم الشَّاة المنخنقة... إلخ.

﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: كان أهل الجاهلية إذا جرح السَّبع شيئاً، فقتله، أو أكل منه؛ أكلوا ما بقي منه، فحرَّمه الله تعالى. و﴿ٱلسَّبُعُ﴾ يقع على كل حيوان له ناب، ويعدو على النَّاس، والدَّواب، فيغرس بنابه، كالأسد، والذئب، والنَّمر، والفهد، ونحوه. وفي الآية محذوفٌ، تقديره: وما أكل السبع منه؛ لأنَّ ما أكله السَّبُع؛ فَقَدْ فُقِد، فلا حكم له.

ومعنى ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾: إلا ما أدركتموه؛ وقد بقيت فيه حياة مستقرَّة من هذه الأشياء المذكورة جميعها، وهذا قول عليٍّ، وابن عباسٍ، والحسن، وقتادة ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ،

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يقول الله تعالى: ما أدركتم مِنْ هذا كلِّه؛ وفيه روحٌ؛ فاذبحوه، فهو حلال. وأمَّا كيفية إدراكها؛ فقال أكثر أهل العلم من المفسِّرين: إن أدركت ذكاته بأن توجد له عينٌ تطرف، أو ذنب يتحرَّك. فأكله جائزٌ. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا طرفت بعينها، أو ركضت برجلها، أو تحركت؛ فاذبح فهو حلالٌ. واختار الزجَّاج وابن الأنباري: أنَّ معنى التَّذكية: أن تلحقها، وفيها بقيَّة تشخب معها الأوداج، ويضطرب المذبوح لوجود الحياة فيه قبل ذلك؛ وإلا؛ فهو كالميتة.

وأصل (الذكاة) في اللُّغة: تمام الشيء. فالمراد من التَّذكية تمام قطع الأوداج، وإنهار الدم. ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج عن النَّبي ﷺ قال: «**مَا أَنْهَر الدَّمَ، وَذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَكُلُوهُ، لَيْسَ السنَّ الظُّفر، وَسَأحَدِّثُكُمْ عَنْ ذَلِكَ، أَمَّا السِّنُّ؛ فَعظْمٌ، وَأَمَّا الظُّفْرُ؛ فَمُدَى الْحَبَشَةِ**». أخرجاه في الصَّحيحين. هذا وأقل الذَّبح في الحيوان المقدور عليه قطع المريء، والحلقوم. وأكمله قطع الودجين مع ذلك. وغير المقدور عليه كحيوانٍ وقع في بئر، أو شرد؛ فجرحه في أيِّ جزءٍ منه يحلّه، والله الموفِّق.

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: واحد النصاب، وهي: أحجار كانت منصوبةً حول الكعبة، أو في مكانٍ آخر يذبحون عليها، ويعدُّون ذلك قربةً. وقيل: هي الأصنام التي كانوا يعبدونها، فتكون: ﴿عَلَى﴾ بمعنى اللام، ويكون المراد تعظيمها بهذا الذَّبح، لا المانع ذكر اسمها، فإن ما يذكر اسم الله عليها قد تقدَّم بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: قال الأعشى من قصيدته الَّتي مدح بها النَّبي ﷺ: [الطويل]

وَذَا النُّصُبُ الْمَنْصُوبُ، لَا تَنْسُكَنَّهُ ... لِعَافِيَةٍ وَاللهَ رَبَّكَ فَاعْبُدَا

﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: تطلبوا القسم، والحكم بالأزلام، وهذا من المحرَّمات. و(الأزلام): جمع: زلم بوزن جَمَل، أو صُرَد لغتان: قِدْح ـ بكسر القاف ـ سهم صغير لا ريش له، ولا نصل، وكانت سبعة مستوية، مكتوب على واحد: أمرني ربي، وعلى واحد: نهاني ربي، وعلى واحد: منكم، وعلى واحد: من غيركم، وعلى واحد: ملصق، وعلى واحد: العقل، وواحد غفل، أي: غير مكتوب عليه شيء. وكانوا في الجاهلية إذا أرادوا سفراً، أو تجارةً، أو نكاحاً، أو اختلفوا في نسبٍ، أو أمر قتيل، أو تحمل عقل، أو غير ذلك من الأمور العظام؛ جاؤوا إلى هُبَل، وكان أعظم صنم لقريش بمكة، وكان في الكعبة، وجاؤوا بمئة درهم، وأعطوْها صاحب القِداح؛ حتى يُجيلها لهم، فإن خرج: أمرني ربي؛ فعلوا ذلك الأمر، وإن خرج: نهاني ربي؛ لم يفعلوا. وإذا أجالوا على نسب، فإن خرج: منكم؛ كان وسطاً فيهم، وإن خرج: من غيركم؛ كان حليفاً فيهم، وإن خرج: ملصق؛ كان على حاله. وإن اختلفوا في العَقْل، وهو الدِّية، فمن خرج عليه قِدح العقل؛ تحمَّله، وإن خرج الغفل؛ أجالوا ثانياً؛ حتَّى يخرج المكتوب عليه. فنهاهم الله عن ذلك، وحرَّمه، وسمَّاه: فِسْقاً. انتهى. خازن.

وقيل: هو استقسام الجزور بالأقداح على الأنصباء المعلومة، وهو نوعٌ مِنَ القمار، فقد كانوا يتآمرون على ناقةٍ تذبح، فيقطعونها ثمانيةً وعشرين قطعة، ويأتون بعشرة أقداح، اسم الأول: الفذ، يربح قطعة واحدة، والثاني: التوءم، يربح قطعتين، والثالث: الرقيب، يربح ثلاثاً، والرابع: الحلس، يربح أربعاً، والخامس: النافس، يربح خمساً، والسادس: المسبل، يربح ستّاً، والسَّابع: المعلَّى، يربح سبعاً، والثَّامن: السَّفيح، والتاسع: الوغد، والعاشر: المنيح، وهذه الأقداح الثلاثة خاسرة لا نصيب لها من الرِّبح. يجعلون هذه الأقداح العشرة في خريطةٍ، ويسلمونها إلى رجل مشهور بالأمانة بعيد عن التلاعب، فيخضُّها، ثمَّ يخرج منها قدحاً باسم أحد المتقامرين، ثمَّ يخضها ثانيةً، ويخرج منها قدحاً باسم غيره، وهكذا حتى تنتهي القداح العشرة، فمن خرج باسمه الفذ؛ فله سهم واحد، ومن خرج باسمه التوءم؛ فله سهمان إلى أن تنتهي الأسهم الرابحة، أمَّا القِداح الثلاثة تتمة العشرة؛ فلا تربح شيئاً، وأصحاب هذه القداح يدفعون ثمن المُقامر عليه مع الرَّابحين بالتَّساوي طيبة بها نفوسُهم مفتخرين. وكان الرَّابحون لا يأخذون شيئاً ممَّا ربحوه، بل يتبرعون بجميعه إلى الفقراء والمحتاجين، ويكتفون بمدح الناس، وثنائهم عليهم. قال عنترة في معلَّقته رقم [٥٤] في وصف مَنْ قتله: [الكامل]

رَبِذٍ يَدَاهُ بِالْقِدَاحِ إِذَا شَتَا هَتَّاكِ غَايَاتِ التِّجَارِ مُلَوَّمِ

وقال لبيد ـ رضي الله عنه ـ في معلقته رقم [٧٣ و٧٤]: [الكامل]

وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا

أَدْعُو بِهِنَّ لِعَاقِرٍ، أَوْ مُطْفِلٍ بُذِلَتْ لِجِيْرَانِ الْجَمِيعِ لِحَامُهَا

﴿ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌ﴾ أي: ما ذكر من هذه المحرمات في هذه الآية؛ لأنَّ المعنى: حرَّم عليكم تناول كذا، وكذا؛ فإنه فسق، والفسق: ما يخرج من الحلال إلى الحرام. وقيل: إنَّ الإشارة عائدة على الاستقسام بالأزلام، والأول أصحُّ. ﴿ٱلۡيَوۡمَ﴾: لم يرد به يوماً بعينه، وإنَّما أراد الزمن الحاضر، وما يتَّصل به من الأزمنة. وإنَّما المعنى: الآن يئس الذين كفروا من دينكم، فهو كما تقول: اليوم قد كبرت، تريد الآن قد كبرت، ولم تقصد به اليوم، قال النَّمر بن تولب الصحابي ـ رضي الله عنه وهو الشاهد رقم [٢٠٩] من كتابنا: «فتح رب البرية» ـ: [الخفيف]

رُبَّ أَمْرٍ يَسُوءُ ثُمَّ يَسُرُّ وَكَذَاكَ الزَّمَانُ حُلْوٌ وَمُرُّ

وقيل أراد به: يوم نزولها، وقد نزلت على الرَّسول ﷺ، وهو واقف بعرفة بعد عصر الجمعة، وذلك في حجَّة الوداع سنة عشر من الهجرة. ﴿يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ﴾ أي: يئسوا أن ترجعوا عن دينكم إلى دينهم كفاراً، وذلك: أنَّ الكفار كانوا يطمعون في أن يعود المسلمون إلى دينهم، فلمَّا قوي الإسلام؛ أيسوا من ذلك، وكان ذلك هو اليوم الذي دخل فيه رسول الله

ﷺ مكَّة عام حجَّة الوداع أو هو اليوم الذي فتح فيه رسول الله ﷺ مكَّة. هذا؛ و﴿يَئِسَ﴾ ضد طمع بمعنى: قطع أمله، وقد يأتي بمعنى علم، وهي لغة النخع، وقيل: هي لغة هوازن، وإنَّما استعمل اليأس بمعنى العلم؛ لأنَّه سبب عن العلم بأن الميئوس منه لا يكون، وبه فسر قوله تعالى في سورة (الرعد) رقم [٣١]: ﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ واستدلوا لهذه اللغة بقول سحيم بن وثيل اليربوعي، وقال القرطبي في غير هذا الموضع: هو لمالك بن عوف النَّصري: [الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي ... أَلَمْ تَيْئَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ؟

وزهدم: اسم فرس سحيم. وقال رباح بن عدي: [الطويل]

أَلَمْ يَيْئَسِ الأَقْوامُ أَنِّي أَنَا ابْنُهُ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْ أَرْضِ الْعَشِيرةِ نَائِيَا

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ الخشية: خوف يشعر بتعظيم، ومهابة المخوف منه، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يُخشى منه. هذا؛ والماضي: خشي، والمصدر: خشية، والرجل خَشْيَان، والمرأة خَشْيَا، وهذا المكان أخشى من ذلك، أي: أشد خوفاً منه. هذا؛ وقد يأتي «خشي» بمعنى «علم» القلبية، قال الشاعر المسلم: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنَّ مَنْ تَبِعَ الْهُدَى ... سَكَنَ الْجِنَانَ مَعَ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ

قالوا: معناه: علمت، وقوله تعالى في سورة (الكهف) رقم [٨٠]: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ قال الأخفش: معناه: كرهنا.

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بالنصر، والإظهار على الأديان كلِّها، أو بتوضيح قواعد العقائد، وشرح أصول الشرائع، وتبيين قواعد الاجتهاد، وتتميم الفرائض، وذلك: أنَّ النبي ﷺ حين كان بمكة لم تكن إلا فريضة الصلاة وحدها، فلمَّا هاجر إلى المدينة المنورة؛ أنزل الله الآيات التي تُبيِّن الحلال، والحرام إلى أن حجَّ، فلمَّا حجَّ، وكمل الدِّين؛ نزلت هذه الآية على الرسول ﷺ في يوم الجمعة بعد عصر يوم عرفة، وهو واقف بعرفات على ناقته العَضْباء، فكادت عضد الناقة تندق من ثقل الوحي فبركت، وكان ذلك في حجَّة الوداع سنة عشر من الهجرة، والرسول ﷺ لم يحجَّ بعد النبوَّة غير هذه الحجَّة، وسمِّيت حجَّة الوداع لشرحه ﷺ أمور الدِّين، وتبيين ما يلزم المسلمين في دينهم، ودنياهم، وكثرة وصاياهم بالتقوى ـ رضي الله عنهم ـ وحثهم على أعمال البرِّ، والخير؛ حتَّى قالوا: كأنَّها وصية مودِّع. روى الأئمة عن طارق بن شهاب ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء رجل من اليهود إلى عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال له: يا أمير المؤمنين! آيةٌ في كتابكم تقرؤونها لو علينا أنزلت معشر اليهود؛ لاتخذنا ذلك اليوم عيداً. قال ـ رضي الله عنه ـ: وأيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ فقال الفاروق ـ رضي الله عنه ـ: إنِّي لأعلم

اليوم الذي نزلت فيه، والمكان الذي أنزلت فيه، نزلت على الرسول ﷺ بعرفات في يوم الجمعة، وقد اتخذنا يوم نزولها عيداً. متَّفق عليه. وقد روي: أنَّ الحجَّ بعد ذلك إذا صادف الوقوف بعرفات يوم الجمعة كانت الحجة بسبعين حجَّة، وتسمَّى: الحج الأكبر.

هذا؛ وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان في ذلك اليوم خمسة أعياد: يوم جمعة، ويوم عرفة، وعيد لليهود، وعيد للنَّصارى، وعيد للمجوس، ولم تجمع أعياد لأهل الملل في يوم واحد قبله، ولا بعده، وروي: أنَّه لما نزلت هذه الآية بكى عمر ـ رضي الله عنه ـ فقال له النبي ﷺ: «**مَا يُبْكِيْكَ يَا عُمَرُ؟!**» فقال: أبكاني أنَّا كنا في زيادة مِنْ ديننا، فأما إذ كمل فإنَّه لم يكمل إلا نقص، فقال له النبي ﷺ: «**صدقت**» فكانت هذه الآية نعي رسول الله ﷺ عاش بعدها أحداً وثمانين يوماً، ولم ينزل بعدها آيةُ حلالٍ أو حرام، وإن نزل بعدها آية موعظة، وهي قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٨١]: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وعاش بعد هذه الآية أحداً وعشرين يوماً.

﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ يعني: بإكمال الدِّين، والشَّرائع، والأحكام، كما وعدتكم؛ إذ قلتُ: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ فكان من تمام النِّعمة أن دخلوا مكَّة آمنين، وحجُّوا مطمئنين، لم يخالطهم أحدٌ من المشركين. ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ أي: اخترت لكم الإسلام ديناً من الأديان. ﴿ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ في هذه الآية هو الذي في قوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١٩]: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقال جلَّ ذكره في الآية [٨٥] منها: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ وخذ ما يلي:

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ، عن رسول الله ﷺ، عن جبريل، عليه السلام، عن الله تعالى؛ قال: «**إِنَّ هَذَا دِينٌ ارْتَضَيْتُهُ لِنَفْسِي، وَلَنْ يَصْلُحَ لَهُ إِلَّا السَّخَاءُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ، فَأَكْرِمُوهُ بِهِمَا مَا صَحِبْتُمُوهُ**». رواه البغوي، والطبراني في الأوسط.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ﴾: ألجأته الضرورة إلى تناول شيءٍ من المحرَّمات في مجاعة. ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ غير مائل منحرف لمعصية بأن يأكلها تلذذاً، أو متجاوزاً حدّ الحاجة، والرُّخصة. وانظر: ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في الآية رقم [١٧٣] من سورة (البقرة) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

هذا؛ و(المخمصة): الجوع، وخلاء البطن من الطَّعام، والخَمَصُ: ضمور البطن، وَرَجُلٌ خميص، وخمصان، وامرأة خميصة، وخمصانة، ومنه: أخمص القدم، ويستعمل كثيراً في الجوع، ومثله الغرث، قال الأعشى: [الطويل]

تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

أي: منطويات على الجوع، قد أضمرَ بطونهنَّ. وقال النَّابغة في خمص البطن من جهة ضُمْرِه: [الكامل]

وَالْـبَـطْـنُ ذُو عُـكَـنٍ خَـمِـيـصٌ لَـيِّـنٌ وَالـنَّـحْـرُ تَـنْـفُـجُـهُ بِـثَـدْيٍ مُـقْـعَـدِ

وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصاً، وَتَرُوحُ بِطَاناً**». أخرجه الترمذي.

الإعراب: ﴿حُرِّمَتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث حرف لا محلَّ له. ﴿عَلَيْكُمُ﴾: جار، ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ﴾ معطوفان على: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾، و﴿وَلَحْمُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخِنزِيرِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَآ﴾ اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع معطوفة على: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾. ﴿أُهِلَّ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالباء، وهو ضعيف، (غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿أُهِلَّ﴾. وهما في محل رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضَّمير المجرور محلّاً بالباء: ﴿وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾: هذه الأسماء معطوفة على: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾ أيضاً. (ما): مثل سابقتها. ﴿أَكَلَ ٱلسَّبُعُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: والذي، أو: شيء أكله السَّبعُ.

﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل ما ذكرته فيما قبلها، فهي مبنية على السُّكون في محل رفع معطوفة على: ﴿ٱلْمَيْتَةُ﴾. ﴿ذُبِحَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها. ﴿عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَأَن﴾: الواو: حرف عطف. (أنْ): حرف مصدري ونصب. ﴿تَسْتَقْسِمُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ(أن) وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤوَّل من الفعل وناصبه في محل رفع معطوف على: ﴿ٱلْمَيْتَةُ...﴾ إلخ. ﴿بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿فِسْقٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلِّق بالفعل بعده. ﴿يَئِسَ﴾ فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿كَفَرُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلَّق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن دِينِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يَئِسَ﴾ والكاف في محلِّ جرٍّ بالإضافة.

﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي مَنْ يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة. وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرط مقدَّر. (لا): ناهية

جازمة. ﴿تَخْشَوْهُمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جوابٌ لشرط مقدَّر بـ: «إذا» التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً؛ فلا تخشوهم. والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثله. ﴿وَٱخْشَوْنِۚ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون لأنَّ مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المحذوفة مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما بعده. ﴿أَكْمَلْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿دِينَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَأَتْمَمْتُ...﴾ إلخ معطوفة عليها لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿نِعْمَتِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَرَضِيتُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿دِينًاۚ﴾: مفعول به ثانٍ لرضيت على اعتباره بمعنى جعلت، وصيرت، وقيل: تمييز. وقيل: حال، والأول هو أقوى.

﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱضْطُرَّ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: هو. ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿غَيْرَ﴾: حال مِنْ نائب الفاعل، وهو مضاف، و﴿مُتَجَانِفٍ﴾: مضاف إليه. ﴿لِّإِثْمٍۙ﴾: متعلقان بـ﴿مُتَجَانِفٍ﴾ وجواب الشرط محذوف، التقدير: فلا إثم عليه، والجملة الاسمية المقدرة في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجَّح عند المعاصرين، هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) موصولة؛ فتكون مبتدأ، وجملة: ﴿ٱضْطُرَّ...﴾ إلخ صلتها، وخبرها الجملة الاسمية المقدَّرة، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي مفرَّعة عَمَّا قبلها، ومستأنفة لا محلَّ لها، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مفيدة للتعليل لا محلَّ لها. هذا، وكلام القرطبي يشير إلى أنَّ هذه الجملة هي الجواب للشرط؛ لذا قدَّر: فإنَّ الله له غفورٌ رحيم، قال: فحذف الضمير، وأنشد سيبويه قول أبي النَّجم العجلي - وهو الشاهد رقم [٣٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» -: [الرجز]

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي ... عَلَيَّ ذَنْباً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢١٨] من سورة (البقرة) فالبحث فيها جيد. والخطاب للنبي ﷺ والسائل هم المؤمنون، فإنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ لمَّا بين المحرَّم عليهم؛ سألوه عن الحلال لهم. والحلال ضدُّ الحرام، وقال القرطبيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت الآية بسبب عديٍّ بن حاتم، وزيد بن مهلهل، وهو زيد الخيل الَّذي سمَّاه رسول الله ﷺ زيد الخير، قالا: يا رسول الله! إنَّا قومٌ نصيد بالكلاب والبُزاة، وإنَّ الكلاب تأخذ البقر، والحمر، والظباء، فمنه ما ندرك ذكاته، ومنه ما تقتله، فلا ندرك ذكاته، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا؟ فنزلت الآية الكريمة. انتهى.

﴿قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: المستلذَّات، وكلُّ ما تستطيبه العرب، وتستلذُّه من غير ما ورد بتحريمه نصٌّ من كتابٍ، أو سنَّةٍ، والعبرة في الاستطابة، والاستلذاذ بأهل المروءة، والأخلاق الجميلة، فإنَّ أهل البادية منهم مَنْ يستطيبون أكل جميع الحيوانات، فلا عبرة بهم. ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ أي: وأحلَّ صيد ما علَّمتم من الجوارح، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. والجوارح: جمع جارحة، وهي الكواسب من السباع، والطير، كالفهد، والنمر، والكلب، والبازي... إلخ، سميت جوارح من الجرح؛ لأنَّها تجرح الصيد عند إمساكه، وقيل: سمِّيت جوارح؛ لأنَّها تكسب، والجوارح: الكواسب مِنْ: جرح، واجترح: إذا اكتسب، ومنه قوله تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾. وفي سورة (الجاثية): ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾. ومعنى ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: معلِّمين، ومؤدِّبين. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: تعلمون الجوارح الاصطياد. ﴿مِمَّا عَلَّمَكُمُ﴾ أي: من العلم الذي علَّمكم الله. ففي الآية الكريمة دليلٌ على أنَّه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلَّمة، وصفة التعليم: أن يعلم الرَّجل جارحة الصيد، وذلك بأن يوجد فيها أمور: أن تسترسل؛ إذا أرسلت، وتنزجر؛ إذا انزجرت، وإذا أخذت صيداً؛ لم تأكل منه شيئاً، وأن لا ينفر منه؛ إذا أراده، وأن يجيبه؛ إذا دعاه. فهذا هو تعليم الجوارح.

فعن عدي بن حاتم ـ رضي الله عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ، فقلت: إنَّا قوم نصيد بهذه الكلاب، فقال: «**إِذَا أَرْسَلْتَ كَلْبَكَ الْمُعَلَّمَ، وَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَكُلْ مِمَّا أَمْسَكَ عَلَيْكَ، إِلَّا أَنْ يَأكلَ الْكَلْبُ؛ فَلا تَأْكُلْ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ إِنَّمَا أَمْسَكَ عَلَى نَفْسِهِ. وَإِنْ خَالَطَ كِلاباً لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهَا، فَأَمْسَكْنَ، وَقَتَلْنَ؛ فَلا تَأْكُلْ، فَإِنَّمَا سَمَّيْتَ عَلَى كَلْبِكَ، وَلَمْ تُسَمِّ عَلَى غَيْرِهِ**». متفق عليه. وقال ـ رضي الله عنه ـ: وسألته عن المِعْرَاض، فقال: «**إِذَا أَصَبْتَ بِحَدِّهِ؛ فَكُلْ، وَإِذَا أَصَبْتَ بِعَرْضِهِ، فَقَتَلَ، فَإِنَّهُ وَقِيذٌ؛ فَلا تَأْكُلْ**».

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: خافوه، وقفوا عند حدوده. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾: لا يحتاج إلى عد، ولا إلى عقد، ولا إلى إعمال فكر، كما يفعله الحُسَّاب، ولهذا قال في سورة (الأنبياء): ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ وقال رسول الله ﷺ في دعائه يوم الأحزاب: «**اللَّهُمَّ مُنَزِّلَ الْكِتَابِ سَرِيعَ الْحِسَابِ...**» والمعنى: أنَّه تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فكما يرزقهم في ساعة واحدة؛ يحاسبهم كذلك في ساعة واحدة. قال تعالى في سورة (لقمان): ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾. وقيل للإمام علي ـ رضي الله عنه ـ: كيف يحاسب الله العباد في يوم؟ قال: كما يرزقهم في يوم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا أخذ الله في حسابهم لَمْ يَقِل أهل الجنة إلا فيها، ولَمْ يَقِل أهل النار إلا فيها. هذا؛ ويقيل مِنَ القيلولة، وهي الاستراحة وقت الظهيرة، ومعنى الحساب، وفائدته: تعريف الله العباد مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إيَّاهم ما قد نسوه بدليل قوله تعالى في سورة (المجادلة): ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾.

هذا؛ وقد دلَّت الآية على جواز اتخاذ الكلاب، واقتنائهما للصيد. وثبت ذلك في صحيح السُّنَّة، وزادت الحرثَ، والمَاشية، وقد كان الرسول ﷺ في أول الإسلام قد أمر بقتل الكلاب؛ حتى كان يقتل كلب المرأة من البادية يتبعها.

فعن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ اقْتَنَى كَلْباً، إِلَّا كَلْبَ صَيْدٍ، أَوْ مَاشِيَةٍ؛ نَقَصَ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطَانِ**» رواه مالك، والبخاري، ومسلم، والترمذيُّ، والنسائي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَمْسَكَ كَلْباً، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ، أَوْ مَاشِيَةٍ**». رواه البخاريُّ، ومسلمٌ. وجعل النقص من أجر من اقتناها على غير ذلك من المنفعة، إمَّا لترويع الكلب المسلمين، وتشويشه عليهم بنباحه، كما قال زياد الأعجم، وقد نزل بعمَّار، فسمع لكلابه نباحاً، فأنشأ يقول: [الطويل]

نَزَلْنَا بِعَمَّارٍ فَأَشْلَى كِلَابَهُ ... عَلَيْنَا فَكِدْنَا بَيْنَ بَيْتَيْهِ نُؤْكَلُ
فَقُلْتُ لأَصْحَابِي أُسِرُّ إِلَيْهِمُ ... أَذَا الْيَوْمُ أَمْ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَطْوَلُ

وإما لمنع دخول الملائكة البيت، كما ورد في الأحاديث الصَّحيحة. أو لنجاسته، كما يراه الشافعي ـ رضي الله عنه ـ. وقال الرَّسول ﷺ في إحدى الرِّوايتين: قيراطان، وفي الأخرى قيراط، وذلك يحتمل أن يكون في نوعين من الكلاب: أحدهما أشدُّ أذىً من الآخر، كالأسود الذي أمر النبي ﷺ بقتله، ولم يُدخله في الاستثناء حين نهى عَنْ قتلها، فقال: «**عَلَيْكُمْ بِالأَسْوَدِ الْبَهِيمِ ذِي النُّقْطَتَيْنِ، فَإِنَّهُ شَيْطَانٌ**». أخرجه مسلم. ويحتمل أن يكون ذلك لاختلاف المواضع، فيكون مُمْسِكُهُ بالمدينة، أو بمكَّة قيراطان، وبغيرهما قيراط، والله أعلم.

الإعراب: ﴿يَسْئَلُونَكَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿مَاذَآ﴾: (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر. ﴿أُحِلَّ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ذا) وهو العائد، ويجوز اعتبار (ماذا): اسم استفهام مركباً، وفي إعرابه وجهان: اعتباره مفعولاً به مقدَّماً للفعل بعده، واعتباره مبتدأً، والجمل الفعلية خبره، والرابط: رجوع نائب الفاعل إليه، وسواء أكانت الجملة اسمية، أم فعلية، فهي في محل نصب مفعول به ثان للفعل قبلها، وجملة: ﴿يَسْئَلُونَكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلّقان بما قبلهما.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه تقديره: أنت. ﴿أُحِلَّ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمُ﴾: متعلقان به. ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السُّكون في محل رفع، معطوفة على: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾. ﴿عَلَّمْتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: والذي، أو: والحيوان علمتموه. ﴿مِّنَ الْجَوَارِحِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضَّمير المحذوف، و﴿مِّنَ﴾: بيانٌ لِمَا أُبهِم في (ما). ﴿مُكَلِّبِينَ﴾: حال من: «تاء الفاعل والميم» منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنُّون عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والنون علامة جمع الإناث، والجملة الفعلية في محلِّ نصب حال ثانية من تاء الفاعل، أو من الضمير المستتر في: ﴿مُكَلِّبِينَ﴾ فتكون حالاً متداخلة. وقيل: مستأنفة لا محلَّ لها، وهي معترضة على اعتبار (ما) شرطية. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف هو المفعول الثاني للفعل: (تعلم) أي: تعلمونهنَّ شيئاً ما... إلخ، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿عَلَّمَكُمُ﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به أول. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني، فإنَّ التقدير: مِنَ الذي، أو: من شيءٍ علَّمكم الله إيَّاهُ.

﴿فَكُلُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية السابقة. (كلوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِمَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله؛ لأنَّ (مِنْ) الجارة بمعنى بعض، و(ما): موصولة، أو موصوفة. ﴿أَمْسَكْنَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، وهو مفعول الفعل، فإنَّ التقدير: فكلوا مِنَ الَّذي، أو من حيوان أمسكنه عليكم، وجملة: (كلوا...) إلخ لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء.

هذا وقد أجاز بعضهم اعتبار (ما) شرطية، فتكون مفعولاً به مقدَّماً لفعل شرطها، وهو: ﴿عَلَّمْتُم﴾، وجملة: (كلوا...)إلخ في محل جزم جوابها، وتكون الجملة الشرطية برمَّتها معطوفة على الطَّيبات؛ لأنَّها داخلة في الحِلِّ، أو مستأنفة لا محلَّ لها، والغرض منها بيان نوع مِنْ أنواع الحلال، فهي مِنْ ذكر الخاص مِنْ بعد العام، كما يجوز اعتبار (ما) موصولة في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها على نحو ما تقدَّم، وتكون جملة: (كلوا...)إلخ في محل رفع خبرها، ودخلت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، وتكون الجملة اسمية يجوز فيها ما جاز فيها على اعتبارها شرطية. والمعتمد الأوَّل في إعرابها.

﴿وَاذْكُرُوا﴾: الواو: حرف عطف. (اذكروا): فعل أمر، وفاعله. ﴿اسْمَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: اذكروا، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (كلوا...) إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها، ومثلها جملة: (اتقوا الله). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿سَرِيعُ﴾: خبرها، وهو مضاف. و﴿الْحِسَابِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة الصِّفة المشبهة لفاعلها؛ إذ التقدير: سريعٌ حِسَابُهُ، والجملة الاسمية مفيدةٌ للتَّعليل، لا محلَّ لها. تأمَّل، وتدبَّر، وربك أعلم.

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥)﴾

الشرح: ﴿الْيَوْمَ﴾: المراد به هنا اليوم الذي نزلت فيه هذه الآية. وقيل: بل المراد به يوم عرفة الَّذي تقدَّم ذكره في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ...﴾ إلخ، ويكون ما ذكر في هذه الآية مِنْ إتمام النِّعمة على المؤمنين بإحلال الطيبات، ونكاح العفيفات. وانظر شرح: ﴿الطَّيِّبَاتُ﴾ في الآية السَّابقة.

﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ المراد بهم: اليهود، والنصارى، وذبائحهم خاصَّةً، وأمَّا ما حرم علينا من طعامهم؛ فليس بداخل تحت عموم الخِطاب. قال ابن عباس: قال الله تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ ثم استثنى؛ فقال: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ يعني: ذبيحة اليهودي، والنصراني، وإن كان النَّصراني يقول عند الذبح: باسم المسيح، واليهودي يقول: باسم عزير. ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ يعني: وذبائحنا حلٌّ لهم، وهذا يدلُّ على أنَّهم مخاطبون بشريعتنا، ودليلٌ على حل معاملتنا معهم ببيع، أو شراء. وينبغي أن

تعلم: أنَّ ذبائح الأضاحي، والنُّذور، وجميع القربات لا يجوز لنا أن نعطيهم منها؛ لأنَّها لفقراء المسلمين. وخذ ما يلي:

عن أبي ثعلبة الخُشني ـ رضي الله عنه ـ قال: قلت: يا رسول الله! إنا بأرض قومٍ أهل الكتاب؛ أفنأكل في آنيتهم، وبأرض أصيد بقوسي، وبكلبي الذي ليس بمعلَّم، وبكلبي المعلَّم، فما يصلح لي؟ قال: «**أَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ آنِيَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِنْ وَجَدْتُمْ غَيْرَهَا؛ فَلَا تَأْكُلُوا فِيهَا، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوا غَيْرَهَا؛ فَاغْسِلُوهَا، وَكُلُوا فِيهَا، وَمَا صِدْتَ بِقَوْسِكَ، فَذَكَرْتَ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ؛ فَكُلْ، وَمَا صِدْتَ بِكَلْبِكَ غَيْرِ الْمُعَلَّمِ، فَأَدْرَكْتَ ذَكَاتَهُ؛ فَكُلْ**». أخرجه مسلم، وغيره.

﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: وأبيح لكم أيها المؤمنون زواج الحرائر العفيفات من المؤمنات. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ أي: وأبيح زواج الحرائر من الكتابيات العفيفات أيضاً، وقد تزوَّج جماعة من الصَّحابة من نساء النَّصارى، ولم يروا بذلك بأساً أخذاً بهذه الآية، فقد تزوَّج عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ نائلة بنت الفرافصة على نسائه، وهي نصرانيَّة، وتزوَّج طلحة بن عبيد يهوديَّة. وروي عن ابن عمر كراهية ذلك، ويحتج بقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٢٢١]: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾. وكان يقول: لا أعلم شركاً أعظم مِنْ قولها: إنَّ رَبَّهَا عيسى. وأجاب الجمهور عن ذلك بأنَّه عامٌّ خُصَّ بهذه، فأباح الله تعالى المحصنات من أهل الكتاب، وحرَّم مَنْ سواهنَّ من أهل الشِّرك. ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي: إذا أعطيتموهن مهورهنَّ، أي كما هنَّ محصنات عفائف، فابذلوا لهنَّ المهور عن طيب نفسٍ.

وقد أفتى جابر بن عبد الله، وإبراهيم النخعي، والحسن البصري ـ رضي الله عنهم ـ بأنَّ الرَّجل إذا نكح امرأة، فزنت قبل دخوله بها: أنَّه يفرَّق بينهما، وتردُّ عليه ما بذل لها من المهر، رواه ابن جرير عنهم.

﴿مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾: فكما شرط الإحصان في النِّساء، وهي العفَّة عن الزنى؛ كذلك شرطها في الرِّجال، وهي أن يكون الرجل أيضاً عفيفاً محصناً. ﴿وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ﴾ أي: وغير متخذين عشيقات، وصديقات تزنون بهنَّ سرّاً، وانظر الآية رقم [٢٢] من سورة (النِّساء) فإنَّه جيِّد والحمد لله!.

﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ أي: ومن يجحد ما أمر الله به مِنْ توحيده، ونبوَّة محمد ﷺ وما جاء به من عند الله. ﴿فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ﴾: بطل ثواب عمله في الدنيا، وخاب، وخسر في الدنيا، والآخرة. وقيل: المعنى: ومن يكفر بشرائع الإيمان، وتكاليفه؛ فقد خاب، وخسر. وقيل: لمَّا أباح الله تعالى نكاح الكتابيات؛ قلن فيما بينهن: لولا أنَّ الله قد رضي أعمالنا؛ لم يبح للمسلمين تزويجنا، فأنزل الله هذه الآية، والمعنى: إنَّ تزوُّج المسلمين إياهنَّ ليس بالذي يخرجهن من الكفر. وقيل: غير ذلك. ﴿وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ إذا مات على ذلك؛ لأنَّه إذا تاب، وآمن قبل الموت؛ قبلت توبته، وصحَّ إيمانه.

هذا وفي المصباح المنير: حَبِط العمل، يَحْبَط ـ من باب: تَعِبَ ـ حَبْطَاً بالسكون، وحبوطاً: فسد، وهدر. وحبَط، يحبِط من باب: ضرب لغةٌ. والحَبَط بفتحتين أن تأكل الماشية، فتكثر حتَّى تنتفخ لذلك بطونُها، ولا يخرج عنها ما فيها، وقيل: هو أن ينتفخ بطنها من أكل الذرق، وهو الحندقوق. وفي الحديث: «**إِنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطَاً، أَوْ يُلِمُّ**». انتهى. واسم هذا الداء الحُباط، والفعل: حَبِطَ، لازم، ويتعدَّى بالهمزة، كما في قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾.

تنبيه: قد بيَّن الله ـ عزَّ وجل ـ في هذه الآية الكريمة حِلَّ تناول طعام اليهود، والنصارى، وحلَّ نكاح نسائهم، والطَّعام يطلق على كل طعام، ويشمل ذبائحهم التي يذبحونها بأيديهم، علماً بأنَّ حلَّ ذبائحهم، ونكاح نسائهم مشروطٌ عند الشافعي ـ رضي الله عنه ـ بشروط لا تتوفر في هذه الأيام، وَمِنْ أَهمِّها أن يكون منسوباً إلى إسرائيل، وهو يعقوب عليه السلام، وأن لا يُعلم دخولُ أحدٍ من آبائه، وأجداده في اليهودية، أو النصرانية بعد بعثة محمد ﷺ. وهذا غير ممكن كما هو معلوم، لذا فالتَّحريم هو المفتى به في مذهب الشافعي، وأمَّا غير الشافعي فإنَّه لا يشترط هذه الشروط، وحلُّ نكاح نسائهم مِنْ غير أن تسلم؛ أي: مع بقائها على دينها، وأمَّا إذا أسلمت؛ فإنَّها صارت من المؤمنات. و ينبغي أن تعلم: أنَّه لا يحل ذبائح المجوس، ولا نكاح نسائهم، ولا ذبائح، ونكاح نساء مَنْ لفَّ لفَّهم من الوثنيين؛ الذين يعبدون الشَّمس، أو القمر، أو يؤلِّهون بشراً، أو حيواناً، وإن أُلحقوا بأهل الكتاب بضرب الجزية؛ لقول النبي ﷺ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ غَيْرَ نَاكِحي نِسَائِهِمْ، وَلَا آكِلِي ذَبَائِحِهم**».

تنبيه: يتساءل كثير من النَّاس ـ ولا سيما النَّصارى ـ: لماذا نَنْكح نساءهم، ولا نُنْكِحهم نساءنا؟ الجواب سهلٌ بعون الله ، وهو: أنَّ المسلم لا يؤذيها في دينها؛ لأنَّه يقدس عيسى، وأمَّه، ويجلُّهما، فلا يتعرَّض لهما بسوءٍ بخلاف النَّصرانيِّ، واليهوديِّ، فإنَّه لا يُجِلُّ محمداً ﷺ، بل يصمه بأبشع الصِّفات، فربما يؤذي المسلمة بسبِّه، وشتمه. وأيضاً الإسلام يعلو، ولا يُعلى، والأمر ظاهرٌ في قوامة الرَّجل على المرأة وعلوِّه عليها. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلِّق بالفعل بعده. ﴿أُحِلَّ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَطَعَامُ﴾: الواو: حرف عطف. (طعام): مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿أُوتُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والألف للتفريق. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿حِلٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة، لا محلَّ لها مثلها. هذا؛ وجوَّز أبو البقاء العكبري عطف (طعام) على: ﴿ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ عطف مفرد على مفرد، واعتبر: ﴿حِلٌّ

﴿لَكُمْ﴾: خبراً لمبتدأ محذوف، ولم يظهر لي وجه جوازه. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ﴿حِلٌّ﴾؛ لأنَّه مصدر، والجملة الاسمية: ﴿وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. (المحصنات): مبتدأ. ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: متعلقان بـ(المحصنات) لأنَّه صيغة اسم مفعول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه، وخبر المبتدأ محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: حلٌّ لكم، وساغ ذلك؛ لأنَّ (حل) مصدر، والمصدر يخبر به عن المفرد، والمثنى، والجمع. ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾: مبتدأ وإعرابه مثل ما قبله، وخبره محذوف، التقدير: حلٌّ لكم، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها. هذا؛ وإن اعتبرت الكلام من عطف المفردات، فلا حاجة إلى تقدير خبر، ويكون الأول خبراً عن الأسماء المتعاطفة. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، والكاف في محل جرٍّ بالإضافة.

﴿إِذَآ﴾: ظرف زمان متعلق بخبر المبتدأ المحذوف مبني على السكون في محل نصب. ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولَّدت واو الإشباع، والهاء مفعول به أول، والنون علامة جمع النسوة. ﴿أُجُورَهُنَّ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُحْصِنِينَ﴾: حال من تاء الفاعل منصوب... إلخ. ﴿غَيْرَ﴾: حال من الضمير المستتر بـ﴿مُحْصِنِينَ﴾ فهي حال متداخلة، وقيل: صفة له، ولا وجه له، وقيل: حال ثانية من تاء الفاعل، و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿مُسَٰفِحِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿مُتَّخِذِىٓ﴾: معطوف على ﴿مُسَٰفِحِينَ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابةً عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وهو مضاف. ﴿أَخْدَانٍ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و(لا) أفادت معنى: «غير» بلا ريب، وجملة: ﴿ءَاتَيْتُمُوهُنَّ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها، هذا؛ وقيل: إنَّ ﴿إِذَآ﴾ شرطية، والجواب محذوف، تقديره: حَلَلْنَ لكم، وعليه فالجملة الشرطية في محل رفع خبر (المحصنات).

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَكْفُرْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِٱلْإِيمَٰنِ﴾: متعلقان به. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿حَبِطَ﴾: فعل ماضٍ. ﴿عَمَلُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه. فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان وهو المرجَّح عند المعاصرين، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾:

متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، التقدير: وهو خاسر في الآخرة. ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، ولم يجز تعليق: ﴿فِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ بـ﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾؛ لأنَّ معمول الصلة لا يتقدَّم عليها، مع أنَّ بعضهم علقهما به، وهذا يكون على التوسُّع في الظرف والجار والمجرور، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلّاً بالإضافة بقوله: ﴿عَمَلُهُۥ﴾، والرابط: الواو، والضمير.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أردتم القيام إلى الصَّلاة، وأنتم محدثون الحدث الأصغر. وربُّنا جلَّت قدرته نادى المؤمنين خاصَّة لأنَّهم هم المكلَّفون بالصَّلاة، وأمَّا الكافر فإنَّه يُطالب أولاً بالإيمان، ثمَّ يطالب بفروع الشَّريعةِ من صلاةٍ، وغيرها. ﴿فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾: جمع: وجه، وهو ما تتمُّ به المواجهة، والمقابلة، وحدُّه طولاً: ما بين منابت شعر الرأس، وأسفل الذَّقن. وحدُّه عرضاً: ما بين شحمتي الأذنين. هذا؛ وعدَّ الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ المضمضة، والاستنشاق فرضاً، فاعتبر الأنف والفم من الوجه الواجب غسله، وعامة الفقهاء على أنَّهما سنة في الوضوء، والغسل؛ لأنَّ الأمر إنَّما يتناول الظَّاهر دون الباطن، والعرب لا تسمِّي وجهاً إلا ما وقعت به المواجهة، وإن الله لم يذكرهما في كتابه، ولا أوجبهما المسلمون.

﴿وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾: جمع يد، والمراد بها: ما بين رؤوس الأصابع، وفوق المرفق؛ لأنَّ ما بعد (إلى) داخل في الفرض، كما بينته أحاديث الرسول ﷺ، فتكون (إلى) بمعنى (مع)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾. ﴿وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ﴾ جمع: رأس، وإنَّما سمِّي بذلك لعلوِّه، ونبات الشَّعر فيه، ومنه رأس الجبل. هذا؛ والرأس يطلق على الجملة التي يعلمها الناس ضرورةً، ومنها الأذنان والوجه بما فيه، قال الشاعر: [الطويل]

إِذَا احْتَمَلُوا رَأْسِي وَفِي الرَّأْسِ أَكْثَرِي ... وَغُودِرَ عِنْدَ الْمُلْتَقَى ثَمَّ سَائِرِي

واختلف العلماء بالمقدار الواجب مسحه، فقال الإمام مالك، والإمام أحمد: الباء صلة، والواجب تعميم الرأس بالمسح. وقال الشافعي، وأبو حنيفة: الباء للتبعيض، والبعض ما يقع عليه الاسم عند الشافعي، ولو بمقدار الأصبع. وعند أبي حنيفة: لا يكون البعض أقل من ربع الرأس، رحمهم الله جميعاً، فأخذ مالك، وأحمد بالاحتياط، فأوجبا الاستيعاب، وأخذ الشافعي باليقين، فأوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح، وأخذ أبو حنيفة ببيان السنة، وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ توضأ فمسح بناصيته، وعلى العمامة، والخفين. متفق عليه. وقدَّر الناصية بربع الرأس.

﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ يقرأ بفتح اللام عطفاً على: ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ وهذا لا ريب فيه، وإن عطفته على (رؤوسكم) فيكون مثل قوله تعالى في سورة (الفرقان): ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾، وقوله تعالى في سورة (الحج): ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ﴾، وقوله تعالى في سورة (الحشر): ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ انظر شرح هذه الآيات في محالها تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. ويكون المعنى هنا: وامسحوا برؤوسكم، واغسلوا أرجلكم. وقراءة الجرِّ على الجِوار، وله نظائر في كتاب الله تعالى، وفي الشِّعر العربي، فمن ذلك قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ وقوله: (وَحُورٍ عِينٍ) بجر (حورٍ)، وإنَّ ﴿أَلِيمٍ﴾ صفة عذاب، وقد جر لمجاورة ﴿يَوْمٍ﴾، (وحورٍ) معطوف على ﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ وهو مرفوع، وقد جرَّ لقربه مِنْ: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ ومن ذلك قول امرئ القيس في معلَّقته، وهو الشاهد رقم [٩٠٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الطويل]

كَأَنَّ أَبَاناً فِي عَرَانِينِ وَبْلِهِ كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ

فَجَرَّ «مزملٍ» مع كونه صفة لكبير لمجاورته لـ «بجادٍ» وقال زهير: [الكامل]

لَعِبَ الزَّمَانُ بِهَا وَغَيَّرَهَا بَعْدِي سَوَافِي الْمَوْرِ والقَطْرِ

قال أبو حاتم: كان الوجه «القطرُ» بالرفع، ولكنَّه جرَّه على جوار «الْمَوْرِ» كما قالت العرب: هذا حُجْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، فجر: خربٍ، وإنَّما هو صفة لـ: «حُجر» المرفوع. والذي عليه المحققون: أنَّ خفض الجوار يكون في النَّعت قليلاً، وفي التَّوكيد نادراً كما في قول أبي الغريب ـ وهو في: «فتح القريب المجيب» رقم [١١٦٣] ـ: [البسيط]

يَا صَاحِ بَلِّغْ ذَوِي الزَّوْجَاتِ كُلِّهِمُ أَنْ لَيْسَ وَصْلٌ إِذَا انحَلَّتْ عُرَا الذَّنَبِ

ولا يكون في النسق إلا لحكمةٍ واضحةٍ؛ لأنَّ العاطف يمنع مِنَ التَّجاور، ولذا بين الزمخشري الحكمة في الآية الكريمة التي نحن بصدد شرحها، فقال: لما كانت الأرجل من بين الأعضاء الثلاثة المغسولة بصبِّ الماء عليها؛ كانت مظنَّة الإسراف المذموم شرعاً، فعطفت على

الممسوح لا لتمسح، ولكن لينبَّه على وجوب الاقتصاد في صبِّ الماء عليها. وقيل: ﴿إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ فجيء بالغاية إماطة لظنِّ مَنْ يظنُّ: أَنَّها ممسوحة؛ لأنَّ المسح لم تضرب له غاية في الشَّريعة. انتهى. رحم اللهُ الزمخشريَّ المُعْتَزِليَّ على هذا البيان! ومثله عن الشَّافعيِّ؛ لكن باختصار.

والقاطع في هذا الباب من أنَّ فرض الرجلين الغسل ما قدَّمناه، وما ثبت من أحاديث عن سيد الخلق وحبيب الحقّ ﷺ. وخذ منها ما يلي: عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: تخلَّف عنَّا رسول الله ﷺ في سفرة سافرناها، فأدْرَكَنا؛ وقد أرهقتنا الصَّلاة، صلاة العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: «**أَسْبِغُوا الْوُضُوءَ، وَيْلٌ للأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**». متَّفق عليه، وفي رواية: «**وَيْلٌ للأَعْقَابِ، وَبُطُونِ الأَقْدَامِ مِنَ النَّارِ**» رواه البيهقي، والحاكم.

وقال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ: عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: رأى النبي ﷺ في رِجْل رَجُل مثل الدِّرهم لم يغسله، فقال: «**وَيْلٌ للأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ**». وقال الإمام أحمد: عن خالد بن معدان عن بعض أزواج النبي ﷺ: أنَّه رأى رجلاً يُصَلِّي، وفي ظهر قدمه لمعةٌ قدر الدرهم، لم يصبها الماءُ، فأمره رسول الله ﷺ أن يعيد الوضوء. ورواه أبو داود، وزاد: والصلاة. وهذا إسنادٌ جيد، وقويٌّ صحيحٌ. والله أعلم.

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث ظاهرٌ، وذلك: أنَّه لو كان فرض الرِّجلين مسحهما، أو: أنَّه يجوز ذلك فيهما؛ لما توعَّد على تركه؛ لأنَّ المسح لا يستوعب جميع الرِّجل، بل يجري فيه ما يجري في مسح الخفِّ، وقد ثبت بالتواتر عن رسول الله ﷺ مشروعية المسح على الخفَّين قولاً منه، وفعلاً، وقد خالفت الشيعة في ذلك بلا مستندٍ، ولا دليلٍ، مع أنَّه ثابتٌ في صحيح مسلم من رواية أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ ـ رضي الله عنه ـ، كما ثبت في الصحيحين عنه عن النبي ﷺ النهي عن نكاح المتعة، وهم يستبيحونها. وكذلك الآية الكريمة دالَّةٌ على غسل الرجلين وجوباً؛ مع ما ثبت بالتواتر مِنْ فعل الرَّسول ﷺ على وفق ما دلَّت عليه الآية الكريمة، وهم مخالفون لذلك كلِّه، وليس لهم دليل واضحٌ صحيحٌ في نفس الأمر. ولله الحمد على ما هدانا إليه. ولعلَّ السبب في ذلك أخذهم بظاهر الألفاظ، وعدم تعمُّقهم في معاني القرآن، وضعفهم في اللُّغة العربية التي منهلها القرآن الكريم. خذ قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٣٠]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ...﴾ إلخ، وانظر شرحها هناك تجد ما يسرُّك ويثلج صدرك، فإنَّهم يفسِّرونها على غير وجهها الصحيح.

عن عتبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت علينا رعاية الإبل، فجاءت نوبتي، فروَّحتها بعشيٍّ، فأدركتُ رسول الله ﷺ قائماً يحدِّث الناس، فأدركتُ مِنْ قوله: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ،**

فَيُحْسِنُ وُضُوْءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ مُقْبِلاً عَلَيْهِمَا بِوَجْهِهِ، وَقَلْبِهِ؛ إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ» فقلت: ما أجود هذا! فإذا قائل بين يدي يقول: الَّتي قبلها أجود! فنظرتُ فإذا عمر قال: إنِّي رأيتكَ جئت آنفاً. قال: «**ما منكم من أحدٍ يتوضأ فيبلغ، أو فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ واجعلْني من المتطهِّرين؛ إلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمانية يَدْخُلُ مِن أيِّها شاء**».

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرّاً مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ**». رواه البخاريُّ، ومسلمٌ. وقد قيل: إنَّ قوله: (فمن استطاع. . .إلخ) إنَّما هو مدرج من كلام أبي هريرة موقوفٌ عليه. فأي أثرٍ، وأيُّ تحجيل لمن يمسح رجليه مسحاً؟! ورحم الله من يقول: [الوافر]

سَتَأْتِي النَّاسُ فِي الْعَرَصَاتِ سَكْرَى ... بِلَا أَثَرٍ يَكُونُ لَهُمْ مُزِينَا

وَتَأْتِي أُمَّةُ الْمُخْتَارِ غُرّاً ... بِآثَارِ الْوُضُوءِ مُحَجَّلِينَا

هذا؛ واستدلَّ الشَّافعيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ بهذه الآية على وجوب النية عند غسل الوجه. وحجَّته: أنَّ الوضوء مأمورٌ به، وكلُّ مأمور به يجب أن يكون منويّاً؛ لما روي في الصحيحين من حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّما الأعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى**». والوضوء من الأعمال، فيجب أن يكون منويّاً. وذهب الشَّافعي، ومالك، وأحمد ـ رحمهم الله تعالى ـ إلى وجوب الترتيب بين أعضاء الوضوء، كما في نصِّ الآية، فيغسل وجهه أولاً، ثمَّ يديه، ثم يمسح رأسه، ثم يغسل رجليه، فصار الترتيب فرضاً سادساً، وأمَّا أبو حنيفة فلم يعد النِّيَّة ركناً، ولا الترتيب أيضاً، فأركان الوضوء عنده أربعةٌ فقط.

﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٤٣] من سورة النِّساء ففيه الكفاية.

﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي: إنَّ الله لا يريد أن يضيِّق عليكم، لذا فقد شرع لكم التيمم تيسيراً عليكم. ﴿وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾ أي: من الأوساخ الحسِّيَّة، والمعنوية، فالحسِّيَّة: كإزالة ما يعلق بالبدن من أقذار مرئيَّةٍ، والمعنوية: الذنوب، والسيئات؛ لأنَّ الوضوء وما ينوب عنه سبب لمحو الأوزار، والخطايا.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: برخصه عليكم، أو بما شرعه لكم مِنْ أحكام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾: نعمه التي أنعمها عليكم، فيثيبكم على ذلك، وهذا الفعل يتعدَّى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له. كما تقول: نصحتُه، ونصحت له. والشُّكر: صرف العبد

جميع ما أنعم الله به عليه فيما خُلِق لأجله. هذا؛ ومن أسماء الله تعالى: الشَّكور، ومعناه: هو الذي يجازي على يُسْرِ الطاعات كثيرَ الدَّرجات، ويعطي بالعمل في أيامٍ معدودة نعماً في الآخرة غير محدودة. هذا والترجِّي في هذه الآية وأمثالها، إنَّما هو بحسب عقول البشر؛ لأنَّ الله تعالى لا يحصل منه ترجٍّ لعباده. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً!.

بعد هذا فالآية دلَّت على أنَّ الله سبحانه وتعالى يريد بإرادةٍ قديمةٍ زائدةٍ على الذَّات. هذا مذهب أهل السُّنَّة، كما أنَّه جلَّت قدرتُه عالمٌ بعلم، قادرٌ بقدرةٍ، حيٌّ بحياةٍ، سميع بسمعٍ، بصير ببصرٍ، متكلِّمٌ بكلامٍ. وهذه كلها معانٍ وجوديَّة أزليَّة زائدة على الذات. وذهب المعتزلة، والشِّيعة إلى نفيها، والذي يُرَدُّ به عليهم أن يقال: لو لم يصدق كونه ذا إرادةٍ؛ لصدق: أنَّه ليس بذي إرادةٍ، ولو صحَّ ذلك؛ لكان كلُّ ما ليس بذي إرادة ناقصاً بالنسبة إلى مَنْ له إرادة، فلم يبقَ إلا أن يكون الذي لم يتصف بالإرادة أنقص مما هو متَّصف بها، ولا يخفى ما فيه من المُحال، فإنَّه كيف يُتَصَوَّرُ أن يكون المخلوق أكمل من الخالق، والبديهة تقضي بردِّه، وإبطاله، وقد وصف الباري نفسه جلَّ جلاله، وتقدَّست أسماؤه بأنَّه مريد، قال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وقال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

هذا؛ والإرادة: نزوع النفس، وميلها إلى الفعل، بحيث يحملها عليه. ويقال لِلْقوَّة التي هي مبدأ النزوع، والأول مع الفعل، والثاني قبله، وكلا المعنيين غير متصوَّر اتصاف الباري تعالى به، ولذا اختلف في معنى إرادته تعالى. فقيل: إرادته لأفعاله: أنَّه غير ساهٍ، ولا مكرهٍ، ولأفعال غيره أمره بها، فعلى هذا لم تكن المعاصي بإرادته. وقيل: علمه باشتمال الأمر على النِّظام الأكمل، والوجه الأصلح.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿قُمْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها على المشهور المرجوح. ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَٱغْسِلُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب ﴿إِذَا﴾. (اغسلوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محلَّ لها. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾: مفعول به. ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف فيهما في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾: متعلِّقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلِّقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَرَافِقِ﴾ أي: مضافاً إلى المرافق، وقال ابن هشام: الصَّواب تعلُّق ﴿إِلَى﴾ بـ: «اغسلوا» محذوفاً، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام لا محلَّ له؛ لأنَّه مبتدأ كالجملة الندائية قبله. ﴿وَٱمْسَحُواْ﴾: فعل أمر، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِرُءُوسِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وعلى اعتبار الباء زائدة، فيكون مفعولاً به صريحاً منصوباً، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال

المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾: معطوف على وجوهكم منصوب مثله، وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة. وهذا على قراءة النصب، وعلى قراءة الجر، فهو منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الجوار. هذا؛ وقرئ بالرَّفع على اعتباره مبتدأ، خبره محذوف، التقدير: وأرجلكم مغسولة. ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل: (امسحوا)، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ: (أرجلكم)، التقدير: مضافة إلى الكعبين.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿جُنُبًا﴾: خبرها، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اطَّهروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدُّسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلامٌ معطوفٌ على ما قبله، لا محلَّ له مثله. ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾: مثل سابقه في إعرابه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿عَلَىٰ سَفَرٍ﴾: معطوفان على: ﴿مَّرْضَىٰ﴾ فهما متعلقان بمحذوف خبر: (كان) في المعنى. ﴿جَاءَ أَحَدٌ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على: ﴿مَّرْضَىٰ﴾ كذا قيل، والأصح: أنَّها معطوفة على جملة: ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِّنكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٌ﴾. ﴿مِّنَ الْغَائِطِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَاءَ﴾. ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾. ﴿النِّسَاءَ﴾: مفعول به. ﴿فَلَمْ﴾: الفاء: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَجِدُوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَاءً﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كُنتُم مَّرْضَىٰ﴾ أيضاً. ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (تيمموا): فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط. . . إلخ، و(إنْ) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله. ﴿صَعِيدًا﴾: مفعول به. وقيل: منصوب بنزع الخافض، أي: بصعيد، وقيل: هو ظرف مكان، ومَنْ جعل: ﴿طَيِّبًا﴾ بمعنى: حلالاً نصبه على الحال، أو المصدر، ولا بدَّ من كلام مقدَّر، أي: فاضربوا به ضربتين، وجملة: (امسحوا بوجوهكم وأيديكم) معطوفة على هذا المقدَّر. ﴿مِّنْهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (امسحوا).

﴿مَا﴾: نافية. ﴿يُرِيدُ﴾: فعل مضارع. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف. ﴿لِيَجْعَلَ﴾: اللام: لام التعليل. (يجعل): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهُ﴾. ﴿عَلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به أول. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿حَرَجٍ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه فتحة

مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، و«أن» المضمرة بعد لام التعليل، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ بلام التعليل، والجار والمجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٦] من سورة النِّساء، فالبحث فيها كافٍ ضافٍ، وجملة: ﴿مَا يُرِيدُ...﴾ إلخ: مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَلَكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾: إعرابه مثل إعراب ما قبله. (ليتم): فعل مضارع منصوب بـ: «**أن**» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، يدلُّ عليه ما قبله. ﴿نِعْمَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار، ومجرور متعلّقان بما قبلهما.

﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبَّه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تَشْكُرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه مِنَ الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل رفعٍ خبر (لعلَّ)، والجملة الاسمية مفيدةٌ للتَّعليل، لا محلَّ لها.

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: هذا الخطاب موجَّهٌ إلى المؤمنين خاصَّةً، ونعم الله كثيرة، لا تعدُّ، ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ وأجلُّها نعمة الإيمان. وما يتعلَّق به من بيان شرائع الدِّين، وأحكامه. ﴿وَمِيثَـٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾: عهده؛ لأنَّ الميثاق هو العهد المؤكَّد باليمين، والمراد به حين بايعهم النَّبيُّ ﷺ على السَّمع، والطَّاعة في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وكان ذلك ليلة العقبة، أو بيعة الرِّضوان في الحديبية. وحمله بعضهم على الميثاق المأخوذ في عالم الأرواح، والمصرَّح به قوله تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٧٢]: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ وجعل المراد بقوله: ﴿إِذْ قُلْتُمْ...﴾ إلخ إجابة الأرواح في عالم الذرِّ بقولهم: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾. وقيل: هو تذكار لليهود بما أخذ عليهم من العهود، والمواثيق في متابعة محمَّد ﷺ، والأوَّل أولى بالاعتبار. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾: خافوه، فلا تنسوْا نعمه، ولا تنقضوا عهده، وميثاقه. هذا؛ وأصل ميثاق: مِوْثاق، قلبت الواو ياءً لِسكونها، وانكسار ما قبلها، وجمعه: مواثيق، ومثله في الإعلال والجمع: ميعاد، وميراث، وميقات، وميزان... إلخ.

﴿قُلْتُمْ﴾ أصله: قَوَلْتُم، فقل في إعلاله: تحرَّكت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف وسكون التاء، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار: (قَلْتُم) بفتح القافِ، ثمَّ

أبدلت الفتحة ضمة لتدلَّ على الواو المحذوفة، فصار: قُلْتم. وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول: أصل الفعل: قَوَل، فلمَّا اتصل به ضمير رفع متحرك، نقل إلى باب: فَعُل، فصار: (قَوُلْتم)، ثمَّ نقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، فصار: (قُوْلْتُم) فالتقى ساكنان: العين المعتلَّة ولام الفعل، فحذفت العين، وهو الواو لالتقائهما ساكنين، فصار (قُلْتُمْ)، وهكذا قل في إعلال كل فعلٍ أجوف، واوي، مسند إلى ضمير رفع متحرك، مثل: قُمْتُ، وقُمْنَا، وَقُمْنَ.

هذا؛ و(ذات) بمعنى صاحبة، فجعلت صاحبة الصدور لملازمتها، وعدم انفكاكها عنها، نحو قوله تعالى: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾، ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾. هذا؛ و(ذات) مؤنث «ذو» الذي هو بمعنى صاحب، وقد يثنَّى على لفظه، فيقال: ذَاتَا، أو ذَاتَيْ، كذا مِنْ غير ردِّ لام الكلمة، وهو القياس، كما يثنّى «ذو» بـ: «ذوا» أو «ذويْ» على لفظه. ويجوز فيها (ذَوَاتا) على الأصل بردِّ لام الكلمة، وهي الياء ألفاً لتحرُّك العين، وهي الواو قبلها، وهو الكثير في الاستعمال، قال تعالى في سورة (الرحمن) رقم [٤٨]: ﴿ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ﴾، وقال في سورة (سبأ) رقم [١٦]: ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾.

هذا؛ والتاء في (ذات) لتأنيث اللفظ، مثل: تاء (ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ) ولكنَّها تعرب بالحركات الظاهرة على التاء، فالجر كما في الآية الكريمة، ومثلها كثير، والرفع جاء في قوله تعالى: ﴿فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ﴾، والنَّصب جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ وكلُّ معانيها في القرآن الكريم: صاحبة، إلا في موضعين، فإنَّها جاءت بمعنى: الجهة، وذلك في قوله تعالى في سورة (الكهف): ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾، وقد رأيت تثنيتها في الآيتين المذكورتين في حالتي النَّصب، والجر، ولم ترد في القرآن الكريم بمعنى الجمع. هذا، ولم يتعرَّض لها النحويُّون بهذا المعنى مع كثرة تعرُّضهم لـ: «ذي» بمعنى صاحب، وتثنيته، وجمعه، ولكنَّهم ذكروا (ذات) بمعنى «التي»، و«ذوات» بمعنى «اللواتي» وذلك في مبحث الاسم الموصول، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَكَالَّتِي أَيْضاً لَدَيْهِمْ ذَاتُ وَمَوْضِعُ اللَّاتِي أَتَى ذَوَاتُ

قال الأشموني ـ رحمه الله تعالى ـ: أي: عند طيئ ألحقوا بـ«ذو» تاء التأنيث مع بقاء البناء على الضَّمِّ حكى الفراء: «بِالْفَضْلِ ذَو فَضَّلَكُمُ اللهُ بِهِ، وَالْكَرَامَةِ ذَاتُ فَضَّلَكُمُ اللهُ بها» وقريب منه لابن هشام في أوضحه، وكلاهما أورد بيت رؤبة: [الرجز]

جَمَعْتُهَا مِنْ أَيْنُقٍ مَوارِقِ ذَوَاتُ يَنْهَضْنَ بِغَيْرِ سَائِقِ

والفرق بين الأولى والثانية: أنَّ الأولى لا تكون إلا مضافة لما بعدها، كما رأيت؛ بخلاف الثانية؛ فإنَّها معرفة بالصِّلة التي تذكر بعدها، كما في بيت رؤبة: تنبَّه لهذا فإنَّه معنى دقيق، واسأل الله لي ولك المزيد من التوفيق.

هذا؛ وأضيف: أنَّ جمع «ذات»: «ذوات» من لفظه، كما يجمع على «أولات» مِنْ غير لفظه، قال تعالى في سورة (الطلاق): ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾. كما يجمع المذكر «ذو» بمعنى صاحب: «أولو» من غير لفظه، وهو كثيرٌ في القرآن الكريم.

الإعراب: (اذكروا): فعل أمر مبني على حذف النون لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. هذا هو المتعارف عليه في إعراب هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل أمر مبني على سكون مقدَّر على آخره منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرِّك بالضمَّة لمناسبة واو الجماعة. وما أجدرك أن تلاحظ هذا في كلِّ فعل أمرٍ مسند إلى واو الجماعة، أو إلى ألف الاثنين، مثل: اذكرا، وقد حُرِّك بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين، أو إلى ياء المؤنثة المخاطبة، مثل: اذكري، وقد حرِّك بالكسرة لمناسبة ياء المخاطبة. ﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار، ومجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلِّقان بـ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾ أو هما متعلِّقان بمحذوف حال من ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾، وجملة: ﴿وَٱذْكُرُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَمِيثَٰقَهُ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: (ميثاقه) أو هو بدل منه. ﴿وَاثَقَكُم﴾: فعل ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿وَاثَقَكُم﴾ وقيل: متعلق بمحذوف حال من: (ميثاقه). ﴿قُلْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿سَمِعْنَا﴾: فعل، وفاعل، والمفعول به محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والتي بعدها معطوفة عليها، وجملة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَٱذْكُرُواْ...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبرها. ﴿بِذَاتِ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بـ(عليم). و(ذات) مضاف، و﴿ٱلصُّدُورِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية تعليلٌ للأمر، لا محلَّ لها، وفيها وعدٌ للمؤمنين، ووعيد لغيرهم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ انظر الآية رقم [١٣٥] من سورة (النساء) ففيها الكفاية. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا

تَعۡدِلُواْۚ﴾ أي: ولا يحملنَّكم عداوة قوم، وبغضهم على عدم العدل، وعلى الجور. وهذا يشمل كلَّ ما يقع بين الناس من عداوةٍ، سواءً أكانوا مسلمين جميعاً، أم مسلمين، وكافرين، وإن نزلت الآية بشأن عداوة الكافرين للمسلمين، فأمر الله المؤمنين بالعدل مع المشركين الذين ناصبوهم العداء، فلا ينقضوا لهم عهداً، ولا يقتلوا نساءً، وصبيةً، وشيوخاً تشفياً ممَّا في قلوبهم من الغيظ. هذا و(الشنآن): البغض، والعداوة، كما رأيت في الآية رقم [٢]، وهو مصدر من: شنأته، أشنؤه، شَنَآناً ـ بالتَّحريك ـ وقال ابن جرير: من العرب من يسقط التحريك في (شَنآن)، فيقول: شَنَان ولم أعلم أحداً قرأ بها، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا مَا تُحِبُّ وَتَشْتَهِي وَإِنْ لَامَ فِيْهِ ذُو الشَّنَانِ وَفَنَّدَا

﴿عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ﴾ انظر الآية رقم [١٣٥] من سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!. ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي: عدلكم أقرب للتقوى مِنْ تَرْكِهِ. ودلَّ الفعل على المصدر الَّذي عاد عليه الضمير، كما في قوله تعالى في سورة (النور): ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ وقوله تعالى: ﴿هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ من باب استعمال أفعل التفضيل في المحلِّ الذي ليس في الجانب الآخر منه شيء، كما في قوله تعالى في سورة (الفرقان): ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ يَوۡمَئِذٍ خَيۡرٞ مُّسۡتَقَرّٗا وَأَحۡسَنُ مَقِيلٗا﴾ وكقول بعض الصَّحابيَّات لعمر ـ رضي الله عنه ـ: أنت أفظُّ، وأغلظ من رسول الله، ومعلومٌ: أنَّه ﷺ منزَّه عن الفظاظة، والغلظة. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾: خافوه، واحذروا عقابه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: وسيجزيكم على مَا عَلِمَ مِنْ أعمالكم الَّتي عملتموها إن خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً؛ فشرٌّ. هذا، وقال الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ: وفي هذا تنبيه عظيم على أنَّ العدل إذا كان واجباً مع الكفار؛ الَّذين هم أعداء الله، وكان بهذه الصِّفة من القوَّة، فما الظنُّ بوجوبه مع المؤمنين الَّذين هم أولياؤه، وأحباؤه.

بل كيف بوجوبه مع أهل بيته، أي: أولاده، وزوجته؟! وقد ثبت في الصَّحيحين عن النُّعمان ابن بشير ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه قال: نحلني أبي نُحْلاً، فقالت أمِّي عَمْرَةُ بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشْهِد عليه رسول الله ﷺ، فجاءه يشهده على صدقتي، فقال ﷺ: «**أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟**» قال: لا! قال: «**اتَّقوا اللهَ واعْدِلُوا فِي أَوْلَادِكُمْ**». وقال: «**إِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**». قال: فرجع أبي، فردَّ تلك الصَّدقة. وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ؛ الَّذِين يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ، وَمَا وَلُوا**». رواه مسلم، وغيره.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿كُونُواْ﴾: فعل أمر ناقص مبني على حذف النون؛ لأنَّ مضارعه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة اسمه، والألف للتفريق.

﴿قَوَّامِينَ﴾: خبر: ﴿كُونُوا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلِّقان بـ: ﴿قَوَّامِينَ﴾، وقيل: متعلِّقان بـ: ﴿شُهَدَاءَ﴾ بعدهما؛ لأنَّه جمع اسم فاعل. ﴿شُهَدَاءَ﴾: خبر ثان للفعل الناقص، أو هو نعت لـ: ﴿قَوَّامِينَ﴾. ﴿بِالْقِسْطِ﴾: متعلقان بـ: ﴿قَوَّامِينَ﴾ أو بـ: ﴿شُهَدَاءَ﴾، وجملة: ﴿كُونُوا...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة النِّدائية قبلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿يَجْرِمَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح في محل جزم بـ: (لا) الناهية، والكاف مفعول به. ﴿شَنَآنُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿قَوْمٍ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَلَى﴾: حرف جر. (أَنْ): حرف مصدري ونصب. (لا): نافية. ﴿تَعْدِلُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: (أن) وعلامة نصبه حذف النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَى﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿اعْدِلُوا﴾: فعل أمر، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية ابتدائية أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من العدل المفهوم من: ﴿اعْدِلُوا﴾، والرابط الضمير العائد عليه. وإن اعتبرتها تعليلاً للأمر، فالمعنى لا يأباه. ﴿لِلتَّقْوَى﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَقْرَبُ﴾، وعلامة الجر كسرةٌ مقدَّرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ معطوفة على جملة: ﴿اعْدِلُوا...﴾ إلخ لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿خَبِيرٌ﴾: خبرها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿خَبِيرٌ﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: خبير بالَّذي، أو: بشيءٍ تعملونه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تُؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جرٍّ بالباء، التقدير: إنَّ الله خبير بعملكم.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٩)﴾

الشرح: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: الوعد يستعمل في الخير، وفي الشرِّ، فإذا قلت: وعدت فلاناً من غير أن تتعرض لذكر الموعود به؛ كان ذلك خيراً، وإذا قلت: أوعدت فلاناً من غير ذكر الموعود به؛ كان ذلك شرّاً، وهو ما في بيت طرفة بن العبد من معلَّقته رقم [١٢٠]: [الطويل]

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَمُخْلِفُ إِيعَادِي وَمُنْجِزُ مَوْعِدِي

وهذا هو قول الجوهري، وقول كثير من أئمَّة اللغة، وأمَّا عند ذكر الموعود به، أو الموعد به، فيجوز أن يستعمل «وعد» في الخير، وفي الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ والآية التي نحن بصدد شرحها من ذلك، ومن الثاني قوله تعالى في سورة (الحج) رقم [٧٢]: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾، وأنشدوا قول الشاعر: [الطويل]

إِذَا وَعَـدت شَـرّاً أَتَـى قَـبْـلَ وَقْـتِـهِ وَإِنْ وَعـدت خَـيْـراً رَاثَ وَعَـتَّـمَـا

كما يستعمل «أوعد» فيهما أيضاً، كقولك: أوعدت الرجل خيراً، وأوعدته شرّاً. هذا؛ والمركَّز في الطَّبائع: أن مِنْ مكارم الأخلاق، وجميل العادات: أنَّك إذا وعدت غيرك أن تُنزل به شرّاً؛ كان الخلف محمدةً، وإذا وعدته خيراً؛ كان الخلف منقصةً، وهذا ما أراده طرفة في بيته المتقدِّم.

هذا؛ والثابت عند الأشاعرة: أنَّه يجوز إخلاف الوعيد في حقِّه تعالى كرماً. وعند الماتريدية: لا يجوز، وأمَّا الوعد؛ فلا يجوز الخلف في حقِّه تعالى اتفاقاً؛ لأنَّه نقصٌ. دليل الأشاعرة قول النَّبيِّ ﷺ: «**مَنْ وَعَدَهُ اللهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَاباً؛ فَهُوَ مُنْجِزٌ لَهُ، وَمَنْ أَوْعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَاباً فَهُوَ بِالْخِيَارِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**».

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: عملوا الأعمال الصالحات على اختلافها، وتفاوت مراتبها في دنياهم. والمراد: وفوا بعهودهم التي قطعوها لغيرهم على أنفسهم، وقاموا بالعدل التي تضمَّنته الآية السابقة. ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ أي: لذنوبهم. ﴿وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ لا تعرف كنهه أفهام الخلق، كما قال تعالى في سورة (السجدة): ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾، وإذا كان الله تعالى قال: ﴿أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ و﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ و﴿أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾ فمن الذي يقدر قدره؟! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَعَدَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ نصب مفعول به أول، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محلَّ لها. (عملوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، والمفعول الثاني محذوف لدلالة الجملة الاسمية عليه، تقديره: مغفرة لذنوبهم. وقيل: الجملة الاسمية هي المفعول الثَّاني، ومثله قول عبد العزيز الكلابي: [الوافر]

وَجَـدْنَـا الـصَّـالِـحِـيـنَ لَـهُـمْ جَـزَاءٌ وَجَـنَّـاتٍ وَعَـيْـنَـاً سَـلْـسَـبِـيْـلَا

فجملة: ﴿لَهُمْ جَزَآءٌ﴾ في محل نصب مفعول به ثان، فلذلك عطف عليها «جناتٍ» بالنَّصب. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة على الوجه الأول في المفعول به، وهي في محل نصب مفعول به ثان على الوجه الثاني فيه. ﴿وَأَجۡرٌ﴾ معطوف على: ﴿مَّغۡفِرَةٞ﴾. ﴿عَظِيمٞ﴾: صفة له، وجملة: ﴿وَعَدَ...﴾ إلخ مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: لم يصدقوا بها. والمراد: ما شرع الله مِنْ أحكام، وأوجب على العباد أن ينفِّذوها، كما يُطلق على الدَّلالات التي تدلُّ على قدرة الخالق جلَّ، وعلا. وتطلق على الآيات القرآنيَّة، وتطلق على المعجزات الَّتي أيَّد الله بها الرسل. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ﴾ أي: الَّذين يخالفون أوامر الله، وينقضون عهوده مأواهم جهنم وبئس المصير. وأضاف: ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ إلى: ﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾ لملازمة الكفار لنار جهنَّم، فلا يخرجون منها. وانظر دركات النار في الآية رقم [١٤٥] من سورة (النساء).

تنبيه: لقد جرت سنة الله في كتابه: أنَّه لا يذكر أهل الجنَّة إلا ويذكر أهل النار، ولا يذكر الجنَّة، ونعيمها، إلا ويذكر النَّار، وما فيها؛ ليكون المؤمن راغباً راهباً، فيزداد من الخير المؤدي إلى الجنَّة، ويُقلِّل من الشرِّ الموصل إلى النَّار.

وينبغي أن تعلم: أنَّ ما ذكر في الآيتين إنَّما هو بلفظ المذكَّر، وكثير في القرآن مثله، وهو يشمل الذكور، والإناث على السَّواء. فيمكن أن يكون من باب تغليب الذكور على الإناث، كما يمكن أن يكون الإناث ملحقة بالذكور إلحاقاً، وهناك آياتٌ كثيرة تثني على المؤمنات الصَّالحات.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها، والمتعلق محذوف، والتي بعدها معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجَحِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (الذين)، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية في الآية السابقة، وقال الجمل: مستأنفة أتى بها اسمية دلالة على الثبوت والاستقرار، ولم يأت بها فعلية كما في الوعد حسماً لرجائهم، وقطعاً لأملهم في دخول الجنَّة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: المناسبة بين هذه الآيات والتي قبلها: لمَّا ذكر الله تعالى ما شرعه لعباده المؤمنين في هذه السُّورة الكريمة من الأحكام، ومن أعظمها بيان الحلال، والحرام؛ ذكر هنا نعمته عليهم

بالهداية إلى الإسلام، ودفع شرِّ المعتدين، ثمَّ أعقبه ببيان نعمته تعالى على اليهود، والنصارى، وأخذه العهد، والميثاق عليهم، ولكنَّهم نقضوا العهد، فألزمهم الله العداوة، والبغضاء إلى يوم القيامة، ثمَّ دعا الفريقين إلى التمسُّك بنور القرآن، والتمسُّك بشريعة خاتم المرسلين.

ذكر في سبب نزول الآية الكريمة أقوالٌ كثيرةٌ: أحدها: ما ذكرته في الآية رقم [١٠٢] من سورة (النساء) من قصَّة غَوْرث بن الحارث المُحاربي. وثانيها: ما روي: أنَّ النبي ﷺ أتى بني النَّضير، ومعه الخلفاء الأربعة بعده يستقرضهم دية مُسْلِمَيْن قتلهما عمرو بن أمية الضَّمري خطأً يحسبهما مُشْرِكَيْنِ، فقالوا: نعم يا أبا القاسم حتَّى نطعمك، ونقرضك، فأجلسوه في صفة، وهمُّوا بالفتك به، حيث عمد عمرو بن جحاش إلى رحىً عظيمةٍ يطرحها عليه، فأمسك الله يده، ونزل جبريل، عليه السلام، فخرج رسول الله ﷺ مِنْ عندهم، واعتبر ذلك نقضاً للعهد الذي بينه، وبينهم وأعلن حربهم، ثم أجلاهم عن المدينة المنوَّرة. انظر أول سورة الحشر. قال القشيري رحمه الله تعالى: وقد تنزل الآية في قصَّة، ثم ينزل ذكرها مرَّة أخرى لادِّكار ما سبق.

﴿اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٧]. ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ﴾: عزموا، وقرَّروا، وأرادوا. والهم: العزم على الشيء، والمقاربة من الفعل من غير دخول فيه، ومنه قوله تعالى في سورة (يوسف) الصديق، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ وقال عمرو بن ضابئ البرجمي: [الطويل]

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تَرَكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ

والهم: الحزن، ومثله: الغمُّ، ويفرق بينهما بأنَّ الأول لأجل تحصيل شيء في المستقبل، والثاني لأجل فوات شيءٍ، وفقدانه في الماضي، وبأنَّ الأوَّل يَطْرُد النَّوم، ويسبب الأرق، والثاني يجلب النَّوم، ويسبب الهدوء والسكون. والهمومُ والأحزانُ إذا تفاقمت على الإنسان؛ أسرع فيه الشَّيب، وهزل جسمه. وروي عن النبي ﷺ: أنَّه قال: «**الْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ**». وقال أبو الطيب المتنبي: [الكامل]

والْهَمُّ يَخْتَرِمُ الْجَسِيمَ نَحَافَةً ... وَيُشِيبُ نَاصِيَةَ الصَّبِيِّ فَيَهْرَمُ

هذا؛ و﴿قَوْمٌ﴾ اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل: رهط، ومعشر، فإنَّ المفرد لهذه الأسماء لفظ: رجل، وجمعها: أقوام، وأراهط، ومعاشر، هذا؛ و(قوم) يطلق على الرجال دون النساء بدليل قوله تعالى في سورة الحجرات رقم [١١]: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. وقال زهير بن أبي سلمى: [الوافر]

وَمَا أَدْرِي ـ وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ـ ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ؟

وهذا هو الشاهد رقم [٥٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وربما دخل فيه النِّساء على

سبيل التبع للرِّجال، والنِّساء جميعاً، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾. وهو يذكَّر ويؤنث قال تعالى في غير ما آية: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وتأنيثه باعتبار المعنى، وهم أنَّهم أمَّةٌ، وطائفةٌ، وجماعةٌ، وسُمُّوا قوماً؛ لأنَّهم يقومون مع داعيهم بالشدائد، والمتاعب إمَّا بالمعاونة على كشفها، وإمَّا بالمضايقة، والإيذاء إن عارضوه، وهذا حال أعداء الخير، والإصلاح في كلِّ زمانٍ، ومكان.

﴿أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾: أن يمدُّوا أيديهم إليكم بالقتل، والهلاك، والإيذاء، يقال: بسط إليه يده: إذا بطش به، وبسط إليه لسانه: إذا شتمه، فبسْط اليد كنايةٌ عن البطش، والفتك. ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾: منعها أن تمتدَّ إليكم بسوءٍ، وردَّ مضرَّتها عنكم. وكفُّ الأيدي كنايةٌ عن الحَبْس، والمَنْع.

هذا؛ و: (اليد) تطلق في الأصل على اليد الجارحة، وقد تطلق على النفس، والذات، كما في قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٩٥]: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾. وقد تطلق على القدرة، والقوَّة، وهو كثير مثل قوله تعالى في سورة (صٓ) رقم [١٧]: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾. وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يَدَ لي في هذا الأمر، ولا حيلة، ولا تدبير. وخذ قول عروة بن حزام العُذري، وهو الشَّاهد رقم [١١٦] من كتابنا: «فتح رب البريَّة»: [الطويل]

وَحُمِّلْتُ زَفْرَاتِ الضُّحَى فَأَطَقْتُهَا ... وَمَا لِي بِزَفْرَاتِ العَشِيِّ يَدَانِ

كما تُطلق اليد على النِّعمة، والمعروف. يقال: لفلان عندي يد، أي: نعمة، ومعروف، وإحسان. وكثيراً ما تنسب الأعمال إلى الأيدي، مثل قوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾؛ لأنَّ أكثر الأعمال إنَّما تزاول بالأيدي، وإن كانت من أعمال القلوب، والأرجل، والعيون والأيدي تغليباً للأكثر على الأقل. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] الآتية فإنَّه جيد والحمد لله.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿ٱذْكُرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة النِّدائية قبلها. ﴿نِعْمَتَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلِّقان بـ: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ أو بمحذوف حال من: ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصبٍ متعلق بـ: ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾. ﴿هَمَّ قَوْمٌ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَبْسُطُوٓاْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمصدر المؤول من الفعل، وناصبه في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: إذ هَمَّ

قومٌ ببسط أيديهم إليكم. والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو المصدر في محل نصب بنزع الخافض. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿فَكَفَّ﴾: الفاء: حرف عطف. (كَفَّ): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿أَيْدِيَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿هَمَّ قَوْمٌ...﴾ إلخ، فهي في محل جرٍّ مثلها. ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ٱذْكُرُوا۟...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾: الواو: فيما أرى صلة. (على الله): متعلقان بما بعدهما. ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي الزائدة، اللام: لام الأمر. (يتوكل): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ. والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها مثلها. وقال أبو البقاء ـ رحمه الله تعالى ـ في الآية رقم [١٢٥] من سورة (آل عمران): دخلت الفاء لمعنى الشرط، والمعنى هنا: إن اعتدوا عليكم؛ فتوكلوا أنتم على الله. وعلى هذا فالواو ليست زائدة، وإنَّما هي عاطفة جملة شرطية على الكلام السابق، وتكون الفاء هي الفصيحة، ولا يخفى ما فيه من التكلُّف.

﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ...﴾ إلخ: قال ابن عطية ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الآيات المتضمِّنة الخبر عن نقضهم مواثيق الله تعالى تقوِّي: أنَّ الآية المتقدِّمة في كفِّ الأذى إنَّما كانت في بني النَّضير. وانظر شرح (ميثاق) في الآية رقم [٧]. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: أصل بني: بنين. فحذفت النون للإضافة، وهو جمع: ابن، مأخوذ من البناء؛ لأنَّ الابن مبنى أبيه، ولذلك ينسب المصنوع إلى الصانع، وأصله بَنَيٌّ أو بَنَوٌ، وتصغيره على الأول بُنَيٌّ، وعلى الثاني بُنَيْوٌ، ثم يقال فيه: قلبت الواو ياءً، ثم أدغمت الياء في الياء. ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: هو نبي الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم، وعلى نبينا، وحبيبنا ألف صلاة وألف سلام. ومعناه في العربية: صفوة الله،

أو: عبد الله، فـ: «إسرا» هو العبد، أو: الصفوة، و«إيل» هو الله، وفيه سبع لغات قرئ بها كلِّها. وتميم يقولون: إسرائين بالنون، قال الشاعر ـ انظر الشاهد رقم [٣٣٢] من كتابنا: «فتح ربِّ البرية» وما يتعلق به ـ: [الرجز]

قَالَتْ ـ وَكُنْتُ رَجُلاً فَطِيْنَا ـ هذا ـ لَعَمْرُ اللهِ ـ إِسْرَائِيْنَا

فعلى ما تقدَّم يكون ليعقوب اسمان، وممَّن له اسمان: يونس، ويسمَّى: ذا النون. وإلياس، ويسمَّى: ذا الكفل في بعض الأقوال. وعيسى عليه السلام، يقال له: المسيح، وقد سمَّاه الله: روحاً، وكلمةً، وكانوا يسمُّونه: أبيل الأبيلين. ذكره الجوهري في صحاحه، ونبينا ﷺ، له أسماء كثيرة تزيد على المئتين، وهي مذكورة بجدران مسجده الشَّريف. وبنو إسرائيل: هم المنتسبون لأولاد يعقوب الاثني عشر، ويُطلق عليهم في كثير من الآيات اسم: الأسباط.

هذا؛ والميثاق الذي أخذه الله عليهم هو ما يذكر في هذه الآية، وقد أخذ عهوداً، ومواثيق كثيرة، فنقضوها جملةً، وإفراداً. انظر الآية رقم [٨٣] من سورة (البقرة) وما بعدها؛ فإنَّه جيد والحمد لله. وإسناد أخذ الميثاق إلى الله تعالى من حيث إنَّه أمر الله تعالى موسى بذلك؛ لأنَّه غير ممكن أن يحصل ذلك مباشرة بينهم، وبين الله تعالى.

﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًاۖ﴾: النقيب: هو الذي ينقِّب عن أحوال القوم، ويفتِّش عنها، كما يقال له: عريف؛ لأنَّه يتعرف أحوالهم. ويقال له أيضاً: كفيل؛ لأنَّه يكفل عليهم بالوفاء بما أُمِروا به. روي: أنَّ بني إسرائيل لمَّا فرغوا مِنْ فرعون، وتخلَّصوا من كيده، واستقرُّوا بمصر؛ أمرهم الله بالمسير إلى أريحا أرض الشام، وكان يسكنها الجبابرة الكنعانيُّون، وقال لهم: إني كتبتها لكم داراً، وقراراً، فاخرجوا إليها، وجاهدوا مَنْ فيها، وإنِّي ناصركم عليهم، وأمر موسى ـ عليه الصلاة والسَّلام ـ أن يأخذ مِنْ كلِّ سبطٍ نقيباً، يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أُمِروا به توثقةً عليهم، فاختار النقباء، وأخذ الميثاق على بني إسرائيل، وتكفَّل لهم به النقباء، وسار بهم، فلمَّا دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسَّسون، فرأوا أجراماً عظيمةً، وقوةً، وشوكةً، فهابوا، ورجعوا، وحدَّثوا قومهم، وقد نهاهم موسى ـ عليه السلام ـ أن يحدِّثوهم، فنكثوا الميثاق إلا كالب بن يُوفَنَا من سبط يهوذَا، ويوشع بن نون من سبط إفرائيم بن يوسف، وكانا من النقباء. هذا؛ وذكر الخازن أشياء غريبة كعادته في الكتابة عن الإسرائيليات.

وما أجدرك أن تذكر النُّقباء الذين اختارهم الرسول ﷺ من الأنصار في بيعة العقبة الثالثة وتقارن بين وفائهم بما عاهدوا الله عليه، وبين نقض نقباء بني إسرائيل للعهود، والمواثيق التي أبرموها مع موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وكانوا ثلاثةً من الأوس، وهم: أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، وأبو الهيثم بن التيهان ـ رضي الله عنهم ـ، وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أمامة أسعد بن زرارة، وسعد بن الرَّبيع، وعبد الله بن رواحة، ورافع بن

مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصَّامت، وسعد بن عبادة، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خنيس، وقد ذكرهم كعب بن مالك في شعرٍ له.

هذا؛ ولفظ: عشرة على عكس المعدود في التَّذكير، والتأنيث إن كان مفرداً، وعلى وَفْقِه إن كان مركباً، تقول: عشرة رجال، وعشر نسوة، وخمسة عشر رجلاً، وخمس عشرة امرأةً، وشينه تسكن مع المؤنَّث، وهي لغة أهل الحجاز، وقد تكسر، وهي: لغة أهل نجد، وقرئ بهما، وبالفتح أيضاً، وهي لغة ثالثة، قال تعالى: ﴿فَكَفَّـٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَـٰكِينَ﴾ الآية رقم [٨٩] الآتية.

﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ﴾: بالعون، والنصر، والتأييد. ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أديتموها على الوجه الأكمل، وهذا يثبت: أنَّ لليهود صلاة، ولكنَّا نجهل كيفيتها بالإضافة لما دخل شريعة موسى عليه السلام مِنْ تبديل، وتحريف، وتزييف، وانظر: (أقيموا الصلاة) في الآية رقم [١٠٣] من سورة (النِّساء).

﴿وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: أعطيتموها لمستحقيها على الوجه الأكمل، وكانت في شريعة موسى ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ ربع المال. هذا؛ والزَّكاة في اللغة: التطهير، والإصلاح، والنَّماء، والمدح. يقال: زكا الزَّرع، والمال، يزكو: إذا كثر، وزاد. وسمِّي الإخراج من المال زكاة، وهو نقص منه مِنْ حيث ينمو بالبركة. قال تعالى في سورة (سبأ) رقم [٣٩]: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ كما يقال: زكا فلان؛ أي: طهر من دنس الجَرْحَة، والإغفال، فكأنَّ الخارج من المال يطهِّره من تبعة الحقِّ الذي جعل الله فيه للمساكين، ألا ترى: أنَّ النبي ﷺ سمَّى ما يخرج من الزَّكاة: أوساخ الناس، وقد قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [١٠٣]: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾.

والزكاة في الشرع: اسم لما يخرج عن مالٍ، أو بدنٍ على وجه مخصوص، وهي أحد أركان الإسلام الخمسة الَّتي بني عليها الإسلام، ومن ثَمَّ يكفر جاحدها على الإطلاق، أو في القدر المجمع عليه، ويقاتل الممتنع مِنْ أدائها، وتؤخذ منه قهراً، كما فعل الصديق ـ رضي الله عنه ـ. وتدفع الزكاة لأشخاص معلومين مذكورين في الآية رقم [٦٠] من سورة (التوبة)، وزكاة الفطر لا يوجد نصٌّ صريح في القرآن عليها إلا ما تأوَّله بعض المفسِّرين في قوله تعالى في سورة الأعلى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ وتحدَّثتُ عنها في آية الصيام في سورة (البقرة)؛ لأنَّ رسول الله ﷺ فرض زكاة الفطر في رمضان.

هذا؛ وخصَّ الله تبارك وتعالى في هذه الآية، وغيرها الصَّلاة، والزَّكاة بالذكر؛ لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية، وشرعت لذكر الله، والزكاة أفضل العبادات المالية، وشرعت للعطف على الفقراء، والمساكين، ومجموعها التعظيم لأمر الله تعالى، والشَّفقة على خلق الله. هذا؛ وأضيفُ: أنَّ الزكاة قرينة الصَّلاة، فقد روي: أنَّ أعرابيَّاً جاء إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: فقال له:

يا بن عباس! أنت حَبْرُ الأمّة، وترجمان القرآن علّمك الله أسرار الكتاب، وفقّهك في الدِّين، فقل لي بربك: لماذا قرن الله الصلاة إلى الزّكاة في القرآن في أكثر من ثلاثين آية؟ فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: ذلك؛ لتعلم: أنَّ الصلاة، والزّكاة توءمان، لا يقبل الله إحداهما بدون الأخرى، تلك حقُّ الله، وهذه حقُّ الناس. ورضي الله عن الصدِّيق الذي سوَّى بين المرتدِّين، ومانعي الزكاة في القتال، والمحاربة. وخذ قول أبي العتاهية الصُّوفي، رحمه الله تعالى: [الكامل]

أَقِـمِ الـصَّـلَاةَ لِـوَقْـتِـهَـا بِـشُـرُوطِـهَـا ... فَـمِـنَ الـضَّـلَالِ تَـفَـاوُتُ الْـمِـيـقَـاتِ

وَإِذَا اتَّـسَـعْـتَ بِـرِزْقِ رَبِّـكَ فَـاجْـعَـلَـنْ ... مِـنْـهُ الأجَـلَّ لأَوْجُـهِ الـصَّـدَقَـاتِ

فِـي الأقْـرَبِـيـنَ وَفِـي الأبَـاعِـدِ تَـارَةً ... إنَّ الـزَّكَـاةَ قَـرِيـنَـةُ الـصَّـلَـواتِ

هذا؛ وقال القرطبيُّ - رحمه الله تعالى - في غير هذا الموضع: وفي حديث: أنَّ النبي ﷺ قال: «**مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ ثَلَاثٍ؛ فَرَّقَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَحْمَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ قَالَ: أُطِيعُ اللهَ، وَلَا أُطِيعُ الرَّسُولَ، واللهُ يَقُولُ:** ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾، **وَمَنْ قَالَ: أُقِيمُ الصَّلَاةَ وَلَا أُوْتِي الزَّكَاةَ، وَاللهُ يَقُولُ:** ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ **وَمَنْ فَرَّقَ بَيْنَ شُكْرِ اللهِ، وَشُكْرِ وَالِدَيْهِ، وَاللهُ يَقُولُ:** ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾».

﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى﴾: صدَّقتم برسالتهم، واتَّبعتم أوامرهم، واهتديتم بهديهم. وانظر الآية رقم [١٦٤] من سورة (النساء) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: نصرتموهم، وقويتموهم. والتَّعزير: التوقير، والتَّعظيم، وهو أيضاً ضربٌ دون الحدِّ، وهو أشد الضَّرب على فعلٍ مخالفٍ للدِّين الحنيف، والشرع الشَّريف، فهو من الأضداد، انظر الآية رقم [١١٧] من سورة (آل عمران) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: انظر القرض في الآية رقم [٢٤٥] من سورة (البقرة) تجد ما يسرُّك ويثلج صدرك. هذا؛ و﴿قَرْضًا﴾: مصدر جاء بخلاف المصدر، كقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٣٧]: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾. ﴿لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: لأمحونَّها، ولأغفرنَّها لكم.

﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾: انظر الآية رقم [٥٧] من سورة (النساء) والآية رقم [٦٥] الآتية ففيهما الكفاية. ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي: بعد هذا البيان الذي تضمَّن الوعد بغفران الذنوب، ودخول جناتٍ، نعيمها لا ينفد، ولا يزول. ﴿فَقَدْ ضَلَّ﴾: خرج عن جادة الحقِّ، والصَّواب. ﴿سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾: انظر الآية رقم [٧٧] الآتية.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من الغيبة، والإفراد إلى التكلُّم، والجمع، ثمَّ إلى الغيبة والإفراد، وانظر الالتفات في الآية رقم [٦٤] من سورة (النساء)، وفي الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. هذا؛ وبعضهم يعتبر الواو عاطفة، وبعضهم يعتبرها حرف استئناف، ويعتبرون الجملة الآتية جواباً لقسم محذوف. ولا أسلمه أبداً؛ لأنَّه على هذا يكون حذف واو القسم، والمقسم به، ويصير التقدير: ووالله أقسم، أو: وأقسم والله. واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، وبعضهم يقول: اللام موطئة للقسم، والموطئة معناها: المؤذنة، وهذه اللام إنَّما تدخل على «إنْ» الشرطية؛ لتدل على القسم المتقدِّم على الشرط، وتكون الجملة الآتية جواباً للقسم المدلول عليه باللام، والمتقدِّم على الشرط حكماً، كما في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ الآية رقم [١٢] من سورة (الحشر). افْهَمْ هذا، واحفظه؛ فإنَّه جيِّد، والله ولي التوفيق.

فإن قيل: ما ذكرته من إعراب يؤدي إلى حذف المُقسم به، وبقاء حرف القسم. فالجواب: أنَّه قد حذف المقسم به حذفاً مطرداً في أوائل السُّور، مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ ﴿وَٱلتِّينِ...﴾ إلخ، فإنَّ التَّقدير: وربِّ النَّجم، ورب التِّين. الدليل عليه التصريح به في قوله تعالى في سورة (الذاريات): ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وحذف المقسم به ظاهر في قوله تعالى في سورة (مريم): ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، وأظهر منه في الآية رقم [٧٣] الآتية: ﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فالواو في الآيتين حرف قسم، وجر، والمقسم به محذوف بلا ريب.

(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف، لا محلَّ لها، والقسم، وجوابه كلامٌ مستأنف، لا محلَّ له. ﴿مِيثَٰقَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة. و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. (بعثنا): فعل، وفاعل. ﴿مِنْهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَقِيبًاۖ﴾ أو بمحذوف حال من: ﴿ٱثْنَيْ عَشَرَ﴾ كان صفة له، فلمَّا تقدَّم عليه؛ صار حالاً. ﴿ٱثْنَيْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنَّه ملحق بالمثنى. ﴿عَشَرَ﴾: مبني على الفتح لا محلَّ له من الإعراب لوقوعه موقع نون المثنى، ولا يصح أن يقال: إنَّه مضاف إليه لتضمُّنه معنى العطف. ﴿نَقِيبًاۖ﴾: تمييز. وجملة: (بعثنا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَقَالَ﴾: الواو: حرف عطف. (قال): فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم في محل نصب اسمها. ﴿مَعَكُمْۖ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة:

﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿لَئِنْ﴾: اللام موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَقَمْتُمُ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿الصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿وَءَاتَيْتُمُ الزَّكَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿وَءَامَنتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِرُسُلِي﴾: جار ومجرور متعلّقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرةٌ مقدَّرةٌ على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والواو حرف إشباع تولَّدت مِنْ إشباع ضمة الميم الأولى، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَأَقْرَضْتُمُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿قَرْضًا﴾: مفعول به ثان، أو هو مفعول مطلق. ﴿حَسَنًا﴾: صفة له، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لَأُكَفِّرَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أكفرنَّ): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محلَّ له، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف، المدلول عليه باللام، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: (إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما). وقال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

﴿عَنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وتقدَّم إعراب مثلها.

﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿كَفَرَ﴾ المستتر، و(مِنْ): بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَلَّ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿سَوَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف. و﴿السَّبِيلِ﴾: مضاف إليه. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهو مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرَ...﴾ إلخ صلته، وجملة: ﴿فَقَدْ ضَلَّ...﴾ إلخ خبره، ودخلت الفاء في خبره؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾: نقض اليهود العهود، والميثاق والعهود؛ التي أبرموها مع الله بواسطة موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، كما رأيت في الآية السابقة، وانظر (النقض) في الآية رقم [١٥٥] من سورة (النساء)، وانظر شرح (الميثاق) في الآية رقم [٧]. ﴿لَعَنَّٰهُمْ﴾: طردناهم، وأبعدناهم من رحمتنا. وهو قول عطاء. واللَّعن: الإبعاد، والطَّرد من الرحمة. وانظر الآية رقم [٥٢] من سورة (النِّساء). ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ أي: صلبة، لا تعي خيراً، ولا تفعله. والقسوة، والقساوة عبارةٌ عن الغلظ مع الصَّلابة كما في الحَجَر، وقسوة القلب: نبوته عن الاعتبار، وعدم قبوله الموعظة، والنصيحة. فقسوته مستعارة من قساوة الحجر. انظر الآية رقم [٧٤] من سورة (البقرة) فإنَّه جيد، والحمد لله! وقد قرئ: (قَسِيَّة) وهو: إمَّا مبالغة: قاسية، أو بمعنى: رديئة، قال النحَّاس: وهذا قولٌ حسن؛ لأنَّه يقال: درهم قَسِيٌّ: إذا كان مغشوشاً بنحاسٍ، أو غيره، ذكر ذلك أبو عبيد، وأنشد قول أبي زبيد الطائي: [البسيط]

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السِّلَامِ كَمَا ... صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِيفِ

يصف وقع المساحي في الحجارة؛ إذ «السِّلامُ»: الحجارةُ، والقاسية، والعاتية واحدٌ. ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: أي: يغيِّرون كلام الله في التوراة، ويبدِّلونه، فكانوا يغيرون صفات النبي ﷺ الموجودة في التوراة، فقد وضعوا مكان: أبيض، رَبْعة: آدم طِوال. وهكذا، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ فيسألونه عن الأمر، فيخبرهم به، فيرى: أنَّه يأخذون بقوله، فإذا خرجوا مِنْ عنده؛ حرَّفوا كلامه. وانظر الآية رقم [٤١] ففيها بحث جيد، هذا وقرئ: ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ بكسر الكاف، وسكون اللام، وبفتح الكاف وكسر اللام، وهو جمع: كلمة، وهو مؤلف من كلمتين، أو أكثر، أفاد فائدة، أم لم يفد، وأمَّا الكلام؛ فلا يكون إلا من كلمتين، أو أكثر، أفاد فائدة يحسن السُّكوت عليها. قال ابن مالك، رحمه الله تعالى: [الرجز]

كَلَامُنَا لَفْظٌ مُفِيدٌ كَاسْتَقِمْ ... وَاسْمٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ حَرْفٌ الْكَلِمْ

﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ أي: نسوا وعد الله الَّذي أخذه الأنبياء عليهم من الإيمان بمحمَّد ﷺ. وقال الحسن البصريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: تركوا عُرَى دينهم، ووظائف الله تعالى؛ التي لا يقبل العمل إلا بها. أو المعنى: نسوا كثيراً من أحكام التَّوراة، وآياتها بسبب سوء أعمالهم. فعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «**قَدْ يَنْسَى الْمَرءُ بَعضَ الْعِلْمِ بِالْمَعْصِيَةِ**» وتلا هذه الآية.

هذا و(الحَظُّ): النصيب، والجَدُّ، وهو: البَخْتُ، والدَّولة، يقال: فلان ذو حظٍّ حظيظٍ، ومحظوظ، وما الدنيا إلا أحاظٍ، وجدود، ورحم الله المعري؛ إذ يقول: [الكامل]

لَا تَطْلُبَنَّ بِغَيْرِ حَظٍّ رُتْبَةً   قَلَمُ الأدِيبِ بِغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ
سَكَنَ السِّمَاكَانِ السَّمَاءَ كِلَاهُمَا   هَذَا لَهُ رُمْحٌ، وهَذَا أَعْزَلُ

«السِّماكان»: كوكبان، يقال لأحدهما: الأعزل، وهو مِنْ منازل القمر، وهو الذي له النَّوْء، وسمِّي أعزل؛ لأنَّه لا شيء من الكواكب بين يديه، ويقال للآخر: الرَّامح، وسمي رامحاً بكوكب يتقدَّمه. ومعنى البيتين: أنَّهما مع استوائهما في وجود كلٍّ منهما في السَّماء، امتاز أحدهما عن الآخر، فلهذا حظٌّ، ولا حظَّ لذاك، فالمدار على القضاء الأزليِّ، والسَّعد الأوَّليِّ. اللَّهمَّ اجعلنا من السُّعداء، ولا تجعلنا من الأشقياء! وما أحسن قول القائل في بيان حظوظ الرِّجال: [الرمل]

خَالِقُ الإنْسَانِ مِنْ مَاءٍ وَطِينْ   خَلَقَ الْحَظَّ جُمَاناً وَحَصَى
وَوَلِيدٌ فِي زَوَايَا الْمُهْمَلِينْ   فَوَلِيدٌ تَسْجُدُ الدُّنْيَا لَهُ

وقال المتنبي؛ وقد أحسن، وأجاد: [الطويل]

هُوَ الْحَظُّ حَتَّى تَفْضُلَ الْعَيْنُ أُخْتَهَا   وَحَتَّى يَصِيرَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدَا

هذا؛ والحظُّ: النصيب. قال تعالى في سورة (النساء) في آية المواريث: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِۚ﴾.

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾: الخطاب للرسول ﷺ، بمعنى: إنَّ الخيانة من طبيعتهم، وطبيعة أسلافهم، كانوا يخونون رسلهم، وهؤلاء يخونونك، ويهمُّون بالفتك بك، و﴿خَآئِنَةٍ﴾ أي: نفس خائنة، أو فرقة خائنة. هذا؛ ويقال: رجل خائنة: إذا بالغت في وصفه بالخيانة. قال الكلابي يخاطب قريناً أخا عُمير الحنفي، وكان له عنده دَمٌ: [الكامل]

لِلْغَدْرِ خَائِنَةً مُغِلَّ الإصْبَعِ   حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ

﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۖ﴾: وهم الذين آمنوا منهم، كعبد الله بن سلام، وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، فإنَّهم لم يخونوا. ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْۚ﴾ أي: إن تابوا، وآمنوا، أو عاهدوا، والتزموا الجزية، وقيل: مطلق، وقد نسخ بآية السيف، وهي قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٢٩]: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ...﴾ إلخ، وانظر: ﴿يَعْفُوَ﴾ في الآية رقم [٩٩] من سورة (النساء). ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: المحسنون: هم الذين أحسنوا إلى غيرهم بالعفو عنهم، والتَّجاوز عن سيِّئاتهم. وينبغي أن تعلم: أنَّ الله يحبُّ العافي عن الكافر مع خيانته، فما بالك بالعفو عن المسلم؛ إذا أساء إليك؟!.

الإعراب: ﴿فَبِمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (بما نقضهم): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، و(ما) مقحمة بينهما. وقيل: (ما) نكرة موصوفة مجرورة بالباء، و﴿نَقْضِهِم﴾: بدل من (ما) وهو ضعيف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّيثَـٰقَهُمْ﴾: مفعول به للمصدر وهو النقض. ﴿لَعَنَّـٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. (جعلنا): فعل وفاعل. ﴿قُلُوبَهُمْ﴾: مفعول به أول. ﴿قَـٰسِيَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها. ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النُّون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة. ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: مفعول به. ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلّاً بالإضافة، والرَّابط الضمير فقط. وقيل: مِنَ الضمير المنصوب. وقيل: مستأنفة. والأوَّل أقوى، وجاز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأنَّ المضاف كجزئه، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَلَا تُـجِـزْ حَـالاً مِـنَ الْـمُـضَـافِ لَـهْ إلَّا إذَا اقْـتَـضَـى الْـمُـضَـافُ عَـمَـلَـهْ

أَوْ كَـانَ جُـزْءَ مَـا لَـهُ أُضِـيـفَـا أَوْ مِـثْـلَ جُـزْئِـهِ فَـلَا تَـحِـيـفَـا

﴿وَنَسُواْ﴾: الواو: حرف عطف. (نسوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿حَظًّا﴾: مفعول به. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف صفة: ﴿حَظًّا﴾. و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محلِّ جرٍّ بـ: (مِنْ). ﴿ذُكِّرُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط: الضمير المجرور محلّاً بالباء. وجملة: ﴿وَنَسُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. و«قد» قبلها مقدرة على اعتبار الحالية.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَزَالُ﴾: فعل مضارع ناقص، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: أنت. ﴿تَطَّلِعُ﴾: فعل مضارع مرفوع بالضمة. ﴿عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿خَآئِنَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، وجملة: ﴿تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ في محل نصب خبر: (لا تزال)، وجملة: ﴿وَلَا تَزَالُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها، وقيل: معطوفة على ما قبلها، وقيل: في محل نصب حال، والأول أقوى. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿قَلِيلًا﴾: مستثنىً من الضَّمير المجرور محلّاً بـ: (مِنْ). ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿قَلِيلًا﴾ أو بمحذوف صفة له.

﴿فَٱعْفُ﴾: الفاء: هي الفصيحة، وانظر الآية رقم [٣]. (اعف): فعل أمر مبني على حذف حرف العلَّة مِنْ آخره، وهو الواو، والضمَّة قبلها دليلٌ عليها، والفاعل مستتر تقديره: أنت. ﴿عَنْهُمْ﴾: جار

ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿وَٱصۡفَحۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، ومتعلقه محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محلَّ له.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤﴾

الشرح: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ...﴾ إلخ: أي: ومن الذين ادَّعوا أنَّهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم، عليه السلام، وليسوا كذلك، فقد أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرَّسول ﷺ، ومناصرته، ومؤازرته واقتفاء آثاره، وعلى الإيمان بكلِّ نبيٍّ يرسله الله إلى أهل الأرض، ففعلوا كما فعل اليهود، حيث خالفوا المواثيق، ونقضوا العهود. ﴿فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: وهو الإيمان بمحمد ﷺ، أي: لم يعملوا بما أُمِروا به، وجعلوا ذلك الهوى، والتحريف سبباً للكفر بمحمد ﷺ.

﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾ أي: فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضاً، ولا يزالون كذلك إلى قيام الساعة، وكذلك طوائف النَّصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين، يكفِّر بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً، فكلُّ فرقةٍ تَحْرِمُ الأخرى من الدِّين، والرَّحمة، ولا تدعها تلج معبدها، وكذلك الوثنيُّون طوائف، فكلُّ طائفةٍ تكفِّر الأخرى في هذه الدُّنيا، ويوم يقوم الأشهاد.

﴿وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾: هذا تهديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ للكافرين على اختلافِ مِللهم، ونِحلهم مِنْ يهود، ونصارى، ووثنيِّين على ما ارتكبوه من الكذب على الله، وعلى رسله، وما نسبوه إلى الله ـ عزَّ، وجلَّ، وتقدَّس عن قولهم ـ وتعالى علوّاً كبيراً ـ مِنْ جعلهم له شريكاً في الملك، وصاحبةً، وولداً، تعالى الواحد الأحد، الفرد الصَّمد؛ الَّذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

هذا؛ و﴿نَصَٰرَىٰٓ﴾ جمع: نصراني، سمُّوا بذلك؛ لأنَّهم نصروا عيسى، على نبيِّنا، وعليه ألف صلاةٍ وألف سلام، أو لأنهم كانوا معه في قريةٍ يقال لها: نصران، أو ناصرة، فسمُّوا

باسمها، أو باسم مَنْ أسَّسها، أو من قولهم لعيسى: نحن أنصار الله حينما قال: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ ثم اختلفوا بعد ذلك إلى: نسطورية، ويعقوبية، وملكانية، وألّهوا عيسى، فصاروا أنصاراً للشيطان، قال سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يستعمل في الكلام إلا مع ياء النسب.

هذا؛ و﴿يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِۚ﴾ هو اليوم الذي يخرج فيه النَّاس مِنْ قبورهم للحساب، والجزاء، وأصل القيامة: القِوامة؛ لأنَّها مِنْ: قام، يقوم، قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة قبلها مثل الصِّيام والسِّياط، والحياض، ونحو ذلك.

هذا؛ والفعل ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾ مضارع ماضيه نَبَّأ. هذا، والأفعال: نَبَّأ، وأَنْبأ، وخبَّر، وأخبر، وحدَّث تتعدى لاثنين، إلى الأول بنفسها، وإلى الثاني بحرف الجر، وقد يحذف الجار تخفيفاً، وقد يحذف الأول للدلالة عليه، وقد جاءت الاستعمالات الثلاث في قوله تعالى مِنْ سورة التحريم: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ فقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ﴾ تعدّى لاثنين، حذف أوَّلهما، والثاني مجرور بالباء، أي: نبأت به غيرها، وقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾: ذكرهما، وقوله: ﴿مَنْ أَنۢبَأَكَ هَـٰذَاۖ﴾ ذكرهما، وحذف الجار، فالأول تعدَّى إلى الأول صريحاً، وإلى الثاني بحرف الجر، والفعل الثاني مثله، والثالث تعدَّى إلى مفعولين صريحين، وهذا إذا لم يدخل: نبَّأ، وأنبأ على المبتدأ، والخبر، فإذا دخلا على المبتدأ، والخبر؛ تعدَّى كلٌّ واحدٍ إلى ثلاثة مفاعيل، ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثَّالث؛ لأنَّ الثالث هو خبر المبتدأ في الأصل، فلا يقتصر دونه، كما لا يقتصر على المبتدأ دون الخبر، ومثال دخول أحدهما على المبتدأ والخبر قولك: نَبَّأْتُ زيداً عمراً منطلقاً، أَوْ أَنْبَأْتُ زيداً عمراً مجتهداً، ففي المثالين يجب نصب ثلاثة مفاعيل. والله وليُّ التوفيق. ومن ذلك قول النابغة الذبياني ـ وهو الشاهد رقم [٢٠] من كتابنا: «فتح رب البريَّة» إعراب شواهد جامع الدروس العربيَّة ـ: [الكامل]

نُبِّئْتُ زُرْعَةَ ـ وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِهَا ـ يَهْدِي إِلَيَّ غَرَائِبَ الأَشْعَارِ

وأيضاً قوله ـ وهو الشَّاهد رقم [٢١] من الكتاب المذكور ـ: [البسيط]

نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَأْرٍ مِنَ الأَسَدِ

وأيضاً قول قيس بن الملوّح ـ وهو الشاهد رقم [١١٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللَّبيب ـ: [الطويل]

وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةٍ إِلَيَّ فَهَلَّا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا

هذا، و(النَّبأ): الخبر وزناً، ومعنىً. ويقال: النَّبأ أخصُّ من الخبر؛ لأنَّ النبأ لا يطلق إلا على كلِّ ما له شأن، وخطر مِنَ الأخبار. وقال الرَّاغب: النبأ: خبر ذو فائدة، يحصل به علم،

أو غلبة ظنٍّ، ولا يقال للخبر في الأصل: نبأ حتى يتضمَّن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعدَّى عن الكذب، كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ وقد يجيء الفعل مِنْ (نبأ) غير مضمَّن معنى: أعلم، لذلك يُعَدَّى لواحدٍ بنفسه، وللآخر بحرف الجر، كما في الآية المذكورة.

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَخَذْنَا﴾ بعدهما على أنَّهما مفعولٌ ثانٍ له مقدَّم، التقدير: أخذنا من الذين قالوا . . . إلخ، وهذه الجملة معطوفة على جملة: (لقد أخذنا . . .)إلخ في الآية رقم [١٢] لا محلَّ لها مثلها، وجوز أن يكون الجار والمجرور متعلقين بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، قامت صفته مقامه، التقدير: من الذين قالوا: إنا نصارى قومٌ أخذنا ميثاقهم، فيكون مثل قوله تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٦]: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ...﴾ إلخ. وجوز أن يكونا متعلِّقين بمحذوف خبر مقدَّم، وقدِّر المبتدأ موصولاً حُذِفَ، وبقيت صلته، التقدير: ومن الذين قالوا: إنَّا نصارى مَنْ أخذنا ميثاقهم، وهذا معزوٌّ للكوفيين، وجوز أن يكونا معطوفين على ﴿مِّنْهُمْ﴾ في الآية السابقة، ويكون المعنى: ولا تزال تطلع على خائنة من اليهود. ومن الذين قالوا: إنا نصارى، وعليه فجملة: ﴿أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾: مستأنفة. والمعتمد الأوَّل.

﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، حذف نونها للتخفيف، وبقيت ألفها دليلاً عليها. ﴿نَصَٰرَىٰٓ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية السابقة، وهي معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. (أغرينا): فعل وفاعل. ﴿بَيْنَهُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْعَدَاوَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل: (أغرينا) أو بـ﴿ٱلْعَدَاوَةَ﴾ أو بـ(البغضاء) على التنازع، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه.

﴿وَسَوْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿يُنَبِّئُهُمُ﴾: فعل مضارع، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَصْنَعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو

فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: ينبئهم الله بالذي، أو: بشيءٍ كانوا يصنعونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: ينبئهم الله بصنعهم، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ...﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾: يعمُّ اليهود، والنصارى. ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: محمد ﷺ، ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ أي: من كتبكم مِنَ الإيمان بمحمد ﷺ، ومِنْ آية الرَّجم، ومن قصَّة أصحاب البقرة، ومن قصَّة أصحاب السَّبت؛ الَّذين مُسِخوا قردةً؛ وخنازير، فإنَّهم كانوا يُخفونها. ﴿وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ أي: يتركه، ولا يُبيِّنُه، وإنَّما يبين ما فيه حجَّة على نبوَّته، ودلالة على صدقه، وشهادة برسالته، ويترك ما لم يكن به حاجة إلى تبيينه. وقيل: المعنى: يتجاوز عن كثيرٍ، فلا يخبركم به.

ذُكر: أنَّ رجلاً من أحبار اليهود جاء إلى النَّبيِّ ﷺ، فسأله، فقال: يا هذا عفوت عنَّا؟ فأعرض عنه رسول الله ﷺ ولم يُبيِّن. وإنَّما أراد اليهودي أن يظهر مناقضة كلامه، فلمَّا لم يُبيِّن له رسول الله ﷺ قام من عنده، فذهب، وقال لأصحابه: أرى أنَّه صادقٌ فيما يقول؛ لأنَّه كان وجد في كتابه: أنَّه لا يبين له ما سأل عنه. وفي إظهار ما يخفونه معجزةٌ ظاهرةٌ للنبيِّ ﷺ؛ لأنَّه لم يقرأ كتابهم، ولم يعلم ما فيه إلا ما علَّمه ربُّه منه.

هذا؛ و: (أهل) اسم جمع، لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، ونفر. . .إلخ، والأهل: العشيرة، وذو القربى، ويطلق على الزوجة، والأولاد، وعلى الأتباع أيضاً، وجمعه: أهلون، وأهالٍ، وآهالٍ، وأَهَلات، وأَهْلات، وبالأولين قرئ قوله تعالى في سورة (التَّحريم): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ...﴾ إلخ.

هذا، و(الكتاب) في اللغة: الضمُّ، والجمع، وسمِّيت الجماعة من الجيش كتيبة لاجتماع أفرادها على رأيٍ واحدٍ، وخطَّةٍ واحدةٍ، كما سمِّي الكاتب كاتباً؛ لأنَّه يضمُّ الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه ويرتِّبه، وفي الاصطلاح: هو اسم لجملةٍ مختصَّة مِنَ العلم، مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً. وقد أكثر الشعراء في مدح الكتاب، ومنه قول القائل: [الطويل]

لَنَا جُلَسَاءُ مَا يُمَلُّ حَدِيثُهُمْ أَلِبَّاءُ مَأمُونُونَ غَيْباً وَمَشْهَدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
فإن قلت أحياءٌ فما أنت كاذبٌ وإن قلت أمواتٌ فلست مفنَّدا

وبالجملة: فالكتاب نعم الذُّخر، والعدَّة، والشُّغل، والحرفة، جليسٌ لا يضرُّك، ورفيقٌ لا يملُّك، يطيعك بالليل طاعته بالنهار، ويطيعك في السَّفر طاعته في الحضر، إن أَلِفْتَهُ على الأيام؛ خلَّد ذكرك، وإن درسته رفع بين النَّاس قدرك.

هذا والفعل جاء يستعمل لازماً إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدِّياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ. فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾. ومن الثاني قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ﴾. ومنه ﴿جَآءَكُمۡ﴾ في هذه الآية وفي الآية التَّالية، ومثله «أتى» يكون لازماً، ومتعدِّياً بسبب ما ذكر.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو أو: أنادي. (أهل): منادى، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُمۡ﴾: فعل ماض، والكاف مفعوله. ﴿رَسُولُنَا﴾: فاعله، (نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (أهل الكتاب)، والعامل في الحال (يا) لِمَا فيها من معنى الفعل، وهو مِثْلُ قول الشاعر: [البسيط]

يَا أَيُّهَا الرَّبْعُ مَبْكِيّاً بِسَاحَتِهِ

﴿يُبَيِّنُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿رَسُولُنَا﴾. ﴿لَكُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرًا﴾ في محل نصب حال مِنْ ﴿رَسُولُنَا﴾ فهي حال متداخلة، والرَّابط في الأولى ضمير الخطاب فقط، وفي هذه ضمير الغيبة فقط. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿كَثِيرًا﴾، أو بمحذوف صفة له. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ(مِنْ). ﴿كُنتُمۡ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تُخۡفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كُنتُمۡ﴾، والجملة الفعلية هذه صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: مِنَ الذي، أو: مِنْ شيءٍ كنتم تخفونه. ﴿مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف. و﴿مِنَ﴾: بيان لما أبهم في (ما). ﴿وَيَعۡفُواْ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿رَسُولُنَا﴾. ﴿عَن كَثِيرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمۡ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها، والرابط في الجملتين: الضمير العائد إلى: ﴿رَسُولُنَا﴾ فقط.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ﴾: المراد به القرآن الكريم، فإنَّه الكاشف لظلمات الشرك، والضلالة، والمبيِّن للناس ما كان خافياً عليهم من الحقِّ. وقيل: المراد بالنور محمد ﷺ، وبالكتاب القرآن، فيكون في الكلام استعارة تصريحية؛ حيث صرَّح بذكر المشبَّه به، وهو اسمٌ جامدٌ.

هذا؛ و: ﴿مُّبِينٌ﴾ اسم فاعل مِنْ «أبان» الرباعي، أصله: مُبْيِن. بسكون الباء وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء قبلها بعد سلب سكونها؛ لأنَّ الحرف الصَّحيح أولى بالحركة من حرف العلَّة. ولا تنسَ: أنَّ اسم الفاعل مِنْ «أبان» الثلاثي «بائن».

﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالقرآن. ووحَّد الضمير؛ لأنَّ المراد بهما واحد، أو لأنَّ محمداً، والقرآن كواحدٍ في الهداية. ومثله قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٦٢]: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ والآية رقم [٣٤] منها أيضاً، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا﴾، ومنه قول حسَّان ـ رضي الله عنه ـ: [الخفيف]

إنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشَّعْرَ الأَسْوَ ... دَ مَا لَمْ يُعَارَض كَانَ جُنُونَا

وأيضاً قول ضائي بن الحارث البرجمي ـ وهو الشاهد رقم [٨٥٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والشاهد [٢٧٩] من كتابنا: «فتح رب البريَّة» ـ: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ ... فَإِنِّي ـ وَقَيَّارٌ ـ بِهَا لَغَرِيبُ

﴿مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ أي: من سبق في علمه تعالى: أنه يتَّبع ما يرضيه، وذلك بالإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن الكريم. ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾: طرق السَّلامة من عذاب الله تعالى، أو المراد: طرق الحقِّ الَّتي شرعها الله لعباده، ومَنْ سلكها كان من النَّاجين في الدُّنيا، والآخرة.

هذا، و: ﴿سُبُلَ﴾: يجوز تسكين بائه، وضمها، قال عيسى بن عمر ـ رضي الله عنه ـ: كل اسم على ثلاثة أحرف أولها مضموم وأوسطها ساكن، فمن العرب مَنْ يُخَفِّفه، ومنهم من يُثَقِّله، مثل: رسل، وعسر، ويسر، ورحم، وحلم. هذا؛ و﴿سُبُلَ﴾ جمع: سبيل، وهو الطريق، يذكَّر، ويؤنث بلفظٍ واحد، فمن التذكير قوله تعالى في سورة (الأعراف): ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾. ومن التأنيث قوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ والجمع على التأنيث: سُبُول، وعلى التذكير: سُبُل كما في الآية الكريمة.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ﴾: بتوفيقه، وإرادته. هذا؛ و﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ جمع: ظلمة، وقد جمعت في القرآن الكريم باعتبار تعدُّد معانيها؛ إذ المراد: ظلمة الكفر، وظلمة النفاق، وظلمة يوم القيامة، أو المراد ظلمة شديدة، كأنَّها ظلمات متراكمة. هذا؛ و«الظلمة» بمعانيها المذكورة مستعارة من ظلمة الليل الحقيقي، والجامع بينهما عدم الاهتداء في كلٍّ منهما، كما أنَّ (النُّور) بالمعنى المتقدِّم، أو بمعنييه مستعارٌ من نور النَّهار، أو من نور المصباح المضيء، والجامع بينهما الاهتداء في كلٍّ منهما.

﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ الهداية: دلالة بلطفٍ، ورفق، وانظر الآية رقم [٦٨] من سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله! هذا؛ وفي الآية التفات مِنَ الخطاب إلى الغيبة. انظر الالتفات فيما مضى.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُم﴾: ماض، ومفعوله. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾: متعلِّقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نُورٌ﴾ كان صفة له. . .إلخ. ﴿نُورٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها مسوقة لبيان: أنَّ فائدة مجيء الرسول ﷺ ليست منحصرةً فيما ذكر مِنْ بيان ما كانوا يخفونه، بل له منافع أخرى، لا تعدُّ ولا تُحصى. ﴿وَكِتَٰبٌ﴾: معطوف على: ﴿نُورٌ﴾. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة له. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدَّرة على الياء للثِّقل. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: (كتاب) أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدَّم، وجوز أن تكون في محل نصب حال مِنْ: ﴿رَسُولُنَا﴾، وأن تكون حالاً من فاعل: ﴿يُبَيِّنُ﴾، والأول أقوى معنىً، وأتمَّ سبكاً. ﴿مَنِ﴾: اسم موصول مبني على السكون، أو نكرة موصوفة في محل نصب مفعول به. ﴿ٱتَّبَعَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (مَنْ) وهو العائد، أو الرابط. ﴿رِضْوَٰنَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (مَنْ) أو صفتها. ﴿سُبُلَ﴾: مفعول به ثان، وصحَّح الجمل انتصابه بنزع الخافض، وتقدَّم مثله كثيراً، و(سُبُل) مضاف، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: مضاف إليه.

﴿وَيُخْرِجُهُم﴾: الواو: حرف عطف. (يخرجهم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾ أو هو عائد إلى: (مَنْ) باعتبار المعنى، وهو أولى، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها، والحروف الجارَّة كلُّها متعلِّقة بالفعل: (يخرج) وساغ ذلك لتغير لفظها، ومعناها. والهاء في محل جرٍّ بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَيَهْدِيهِمْ﴾ فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾، أو إلى (مَنْ) والهاء مفعول به. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان به. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة: ﴿صِرَٰطٍ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها كالَّتي قبلها.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هؤلاء نصارى نجران، فإنَّهم قالوا هذه المقالة، وهو مذهب اليعقوبيَّة، والملكانية من النَّصارى، فإنَّهم يقولون في المسيح: إنَّه الله، تعالى الله عمَّا يقولون علوّاً كبيراً. وإنَّما قالوا هذه المقالة الخبيثة؛ لأنَّهم يقولون بالحُلول، وإنَّ الله قَدْ حَلَّ في بدن عيسى، فلمَّا كان هذا اعتقادهم لا جرم حَكَم الله عليهم بالكفر. ﴿قُلْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء النَّصارى الذين يقولون ما تقدَّم: فمن يقدر أن يدفع من أمر الله شيئاً إن أراد أن يميت ويهلك عيسى وأمَّه، ويهلك مَنْ في الأرض جميعاً. والمعنى: لو كان عيسى إلٰهاً كما يفترون لقدر على دفع الهلاك عن نفسه، وعن أمِّه، وغيرها. وهؤلاء استدلوا بأعمال عيسى مِنْ إحياء الميت، وإبراء الأبرص، والأكمه... إلخ على ألوهيته، وهم القائلون باتِّحاد النَّاسوت باللَّاهوت. وقيل: لم يصرح به أحدٌ منهم، ولكنْ لمَّا زعموا: أنَّ فيه لاهوتاً، وقالوا: لا إلٰه إلا واحدٌ؛ لزمهم أن يكون هو المسيح. فَنُسِبَ إليهم لازمَ قولهم توضيحاً لجهلهم، وفضحاً لمعتقداتهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ إلخ، أي: ملكاً، وخلقاً، وعبيداً. ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: الموجودات بين السَّموات، والأرض من أفلاك، وكواكب في السَّماء، وما على الأرض من جبال، وأنهار، وبحار... إلخ، فكلُّ ذلك ملكٌ لله تعالى، لا يَشْرَكُهُ فيه أحدٌ، وما يملكه الإنسان في هذه الدنيا إنَّما هو ملك له في الظاهر قد منحه الله له؛ ليتمتَّع به على سبيل الوكالة، والأمانة، وويل لمن قصَّر في الوكالة، وخان في الأمانة!.

هذا؛ وقد أعاد الضَّمير إلى: ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مثنىً، والمرجوع إليه مجموع السَّموات والأرض، وتثنية الجمع جائزة على تأويل الجماعتين، أو الصنفين، أو النوعين، أو الشيئين، كقول القطامي: [الوافر]

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنَّ حِبَالَ قَيْسٍ؟ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعَا

أراد: وحبال تغلب، فثنَّى، والحبال: جمع؛ لأنَّه أراد الشَّيئين، أو النوعين. وقال الشاعر يذمُّ عاملاً على الصَّدقات: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدَاً فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ

لأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً وَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيْجَا جِمَالَيْنِ

فقد ثنّى: جِمَال؛ الذي هو جمع: جَمَل، والعِقَال: صدقة عام، والسَّبَدُ: المال القليل، واللَّبد: المال الكثير، وأوباداً: هلكى، جمع: وَبْد. فهو يقول: صار عمرو عاملاً على الصَّدقات في سنةٍ واحدة، فظلم، وأخذ أموالنا بغير حقٍّ حتَّى لم يُبْقِ لنا إلا الشيء القليل من المال، فكيف حالنا، أو: كيف يبقى لأحدٍ شيء لو صار عمرو عاملاً في زكاة عامين؟! ثم أقسم، فقال: والله لو صار عمرو عاملاً سنتين لصارت القبيلةُ هَلْكى، فلا يكون لهم عند التفرُّق في الحرب جِمالان، فيُحتلوا بالغزوات.

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿أَن يُهْلِكَ...﴾ إلخ يفيد: أنَّ عيسى ـ على نبيِّنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ مملوكٌ مقهور، وقابل للفناء كسائر الممكنات، ومن كان كذلك فهو بمعزل عن الألوهية. ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ هذه الجملة تزيح الشُّبهة عن النَّصارى في أمر عيسى، عليه السلام، فهي تفيد: أنَّ الله عزَّ وجل قادر على الإطلاق، يخلق مِنْ غير أصلٍ، كما خلق السموات والأرض، ومِنْ أصلٍ كَخَلْقِ ما بينهما، فينشئ مِنْ أصلٍ ليس مِنْ جنسه، كآدم خلقه من تراب، وكثير من الحيوانات، ومن أصلٍ يجانسه، إما مِنْ ذكرٍ وحدَه، كحواء، خلقت من آدم، أو مِنْ أنثى وحدَها، كعيسى خُلِق من مريم، أو من كليهما كسائر النَّاس، والحيوانات. وانظر: ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ في الآية رقم [٤٠] من سورة (آل عمران).

هذا؛ و(المسيح) لقب عيسى، على حبيبنا، وشفيعنا، وعليه ألف صلاة وألف سلام، وهو من الألقاب المشرِّفة كالصدِّيق لأبي بكر، رضي الله عنه، والفاروق لعمر رضي الله عنه، قال ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: سمِّي عيسى: مسيحاً؛ لأنَّه ما مسحَ ذا عاهة إلا برأ منها. وقيل: لأنَّه مسحٌ بالبركة، كما حكى القرآن قوله في سورة (مريم): ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ وقيل: لأنَّه مسحٌ من الأقذار، وطهرٌ من الذنوب. وقيل: سمِّي مسيحاً؛ لأنَّه كان مسيح القدمين، ولا أخمص له. ولا أرتضيه؛ لأنه عيب في الرِّجال، ونبينا ﷺ كان خمصان الأخمصين، وأصْله بالعبرانية المشيح بالشين، كما عُرِّب موسى، وأصله: موشى. هذا؛ وسمِّي الدجال مسيحاً؛ لأنَّه ممسوح العينين، وقد يكون المسيح بمعنى الكذَّاب، وهو بالدَّجال ألصق، وعليه تكون الكلمة من الأضداد، وبعضُهم يقول في الدَّجال: المسيخ بالخاء، قال الشاعر: [الرجز]

إِنَّ الْمَسِيحَ يَقْتُلُ الْمَسِيخَا

وأُطلق على الدَّجال: المسيح، بالحاء؛ لأنَّه يسيح في الأرض، أي: يطوفها، ويدخل جميع بلدانها إلا مكَّة، والمدينة، وبيت المقدس، فالدَّجال يمسح الأرض محنةً، وابن مريم

يمسحها منحةً، وفي حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن سَمُرة بن جُنْدُب ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: أنَّه سيظهر على الأرض كلِّها إلا الحرم، وبيت المقدس، وأنَّه يحصر المؤمنين في بيت المقدس. وذكر الحديث. وفي صحيح مسلم ـ رحمه الله تعالى ـ من قول الرسول ﷺ: «**فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ؛ قَطَرَ، وَإِذا رفعه؛ تَحَدَّرَ مِنه جُمانٌ كاللُّؤْلُؤ، فلا يَحِلُّ لكافرٍ يَجِدُ ريحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ ينتهي حَيْث يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ؛ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ، فَيَقْتُلَهُ... إلخ**» الحديث بطوله.

قوله: مهرودتين؛ أي: في شقتين، أو حُلَّتين، وقيل: الثَّوب المهرود الذي يُصْبَغُ بالورس، ثم الزَّعفران. والجُمان بضم الجيم: حبات من الفضَّة تُصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، وَلُدٌّ بضم اللام وتشديد الدال: بلدةٌ في فلسطين.

هذا؛ ومريم بالعبرية بمعنى: الخادم، ثم سمِّي به كثير من النِّساء، ومريم في لسان العرب هي التي تكره مخالطة الرِّجال، ولم تذكر امرأة باسمها صريحاً في القرآن الكريم إلا مريم، وقد ذكرت فيه في ثلاثين موضعاً. هذا وفي القاموس المحيط: المريم هي التي تحب مخالطة الرِّجال، ولا تفجر، وهذا يناقض ما قبله، قال الشَّاعر: [الطويل]

وَزَائِـرَةٍ لَـيْـلاً كَـمَـا لَاحَ بَـارِقٌ تَـضَـوَّعَ مِـنْـهَـا لِـلْـكِـسَـاءِ عَـبِـيـرُ
فَـقَـالَ لَـهَـا أَهْـلاً وَسَـهْـلاً أَمَـرْيَـمٌ فَـقَـالَـتْ لـه: مَـنْ أَنْـتَ قـال لـهـا: زِيـرُ

وانظر الآية رقم [٤٢] من سورة (آل عمران) ففيها كبير فائدة.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: وعزتي، وجلالي، ونحو ذلك. أو هي لام الابتداء. و(قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. والجملة الفعلية جواب القسم، أو هي ابتدائية لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الْمَسِيحُ﴾: خبره. ﴿ابْنُ﴾: صفته، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصَّرف للعلمية، والتأنيث المعنوي، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ الْمَسِيحُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول. والجملة الفعلية: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها صلة الموصول.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿فَمَن﴾: الفاء: صلة. (مَنْ): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَمْلِكُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أوهما متعلقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿شَيْـًٔا﴾ كان صفة له فلما قدم عليه؛ صار حالاً. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَمْلِكُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. وقيل: الفاء عاطفة على جملة محذوفة، التقدير: قل: كَذَبُوا، أو: ليس الأمر كذلك، فَمَنْ. . .إلخ، وعليه: فالمعطوف، والمعطوف عليه في محل نصب مقول القول، ولا أرى تقدير المحذوفة قويّاً، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَرَادَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُهْلِكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً، والمصدر المؤول من الفعل وناصبه في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْمَسِيحَ﴾: مفعول به. ﴿ٱبْنَ﴾: صفة له، و﴿ٱبْنَ﴾: مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور. . .إلخ. ﴿وَأُمَّهُۥ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْمَسِيحَ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محلِّ نصب معطوف على: ﴿ٱلْمَسِيحَ﴾. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من: ﴿ٱلْمَسِيحَ﴾ وما عطف عليه، وجملة: ﴿أَرَادَ...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائيَّة، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف؛ دلَّ عليه ما قبله، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول؛ لأنَّه مرتبطٌ بالجملة قبله.

﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): متعلِّقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف. و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محلِّ رفع معطوف على ﴿مُلْكُ﴾. ﴿بَيْنَهُمَا﴾: ظرف مكان متعلِّق بمحذوف صلة الموصول، أو صفة: (ما) على اعتبارها موصوفة، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية.

﴿يَخْلُقُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) أيضاً. ﴿مَا﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَشَآءُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: يخلق الذي، أو شيئاً يشاؤه، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلِّقان بـ: ﴿قَدِيرٌ﴾ بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلّ لها.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ...﴾ إلخ: قال ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ: خوَّف رسول الله ﷺ جماعةً من اليهود العقاب، فقالوا: لا نخاف، فإنَّا أبناء الله، وأحباؤه، فنزلت الآية الكريمة فيهم، وفي النَّصارى. وقال السُّدِّي ـ رحمه الله تعالى ـ: زعمت اليهود أنَّ الله ـ عزَّ وجل ـ أوصى إلى إسرائيل ـ عليه السلام ـ: أنَّ ولدك بكري من الولد، وقال غيره: والنَّصارى قالت: نحن أبناء الله ؛ لأنَّ في الإنجيل حكاية عن عيسى ـ عليه السلام ـ: أذهب إلى أبي، وأبيكم. وقيل: المعنى نحن أبناء رسل الله، فهو على حذف مضاف، أو المعنى: نحن أتباع ابنيه: عُزَير، والمسيح، أو مقرَّبون عنده قرب الأولاد من والدهم. وبالجملة: فقد كانوا، ولا يزالون يدَّعون: أنَّ لهم فضلاً، ومزيَّةً عند الله على سائر الخلق.

﴿قُلْ﴾: الخطاب لسيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ: ﴿فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ أي: إنْ صحَّ ما زعمتم؛ فلم يعذبكم بذنوبكم؟ وقد عذَّبكم في الدُّنيا بالقتل، والأسر، والمسخ، وتشتيت الشَّمل، واعترفتم بأنَّه سيعذِّبكم في الآخرة بالنَّار أياماً معدودة بعدد الأيام التي عبد فيها آباؤكم العجل، ولا يعذِّب الوالد ولده، ولا الحبيب حبيبه؛ فإذاً أنتم كاذبون في دعواكم البنوة، والمحبَّة. هذا؛ وقيل: معنى: ﴿يُعَذِّبُكُم﴾: عذَّبكم، فهو بمعنى المُضي، ولا بأس به؛ إذ المعنى عليه. ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ أي: أنتم بشرٌ من جملة المخلوقات؛ الَّتي خلقها الله تعالى، ولكم ما لهم، وعليكم ما عليهم، يحاسبكم على أعمالكم، ويجازي كلّاً بما عمل.

﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾: لمن يستحقُّ المغفرة بسبب توبةٍ، أو طاعة. ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾: مَنْ يستحقُّ العذاب بسبب كفره، أو إدمانه المعاصي، والمنكرات. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ...﴾ إلخ: انظر الآية السَّابقة. ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾: إليه المرجع، والمآل في الآخرة يُحاسب كلَّ إنسانٍ على ما قدَّمت يداه. هذا؛ وبين: ﴿يَغْفِرُ﴾ و(يعذب) طباقٌ، وهو من المحسِّنات البديعيَّة.

﴿ٱلْيَهُودُ﴾: سمُّوا بذلك نسبة إلى «يهودا بن يعقوب» وهو أكبر أولاده، وقد عبَّر عنهم القرآن في كثير مِنَ المواضع بـ: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ فهو مثل الأوَّل. أو سُمُّوا بذلك لـمَّا تابوا من عبادة العجل، من: هَادَ بمعنى: تاب، ورجع، ومنه قوله تعالى حكايةً عن قولهم في سورة (الأعراف): ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾.

هذا، وماضي: ﴿يَشَآءُ﴾: شاء، ولم يَرِدْ له، ولا لـ: أراد، يريد أمرٌ فيما أعلم، وأصل شاء شَيِئَ على فَعِل بكسر العين بدليل قولك: شِئْتُ شَيْئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما

قبلها، وقد كثر حَذْف مفعوله، ومفعول: أراد؛حتَّى لا يكاد يُنْطَقُ به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ وقال الشاعر: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبْكِي دَمَاً لَبَكَيْتُهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ سَاحَةُ الصَّبْرِ أَوْسَعُ

وقيَّد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد: «لو» وليس كذلك. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ﴾ إلخ: انظر مثل هذا الكلام في الآية السابقة، وكُرِّر للتأكيد، والتقرير.

(بَشَر): يطلق على الإنسان ذكراً، أو أنثى، مفرداً، أو جمعاً، مثل كلمة: (الفُلك) تطلق على المفرد، والجمع، وسُمِّيَ بنو آدم بشراً لبدوٍّ بشرتهم، وهي ظاهر الجلد بخلاف أكثر المخلوقات، فإنَّها مكسوةٌ بالشَّعر، أو بالصوف، أو بالرِّيش. هذا. و(بشر) يطلق على المفرد، كما في قوله تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ الآية رقم [١٧] مِنْ سورة (مريم) ويطلق على الجمع، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ رقم [٢٦] من سورة (مريم) أيضاً. ومنه ما في هذه الآية، وانظر شرح (لِمَ) وما أشبهه في الآية رقم [٩٧] من سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!

الإعراب: ﴿وَقَالَتِ﴾: الواو: حرف استئناف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿الْيَهُودُ﴾: فاعله. ﴿وَالنَّصَارَىٰ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على الألف للتعذُّر. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿أَبْنَاءُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَأَحِبَّاؤُهُ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محلِّ جرٍّ بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَتِ...﴾ إلخ مستأنفةٌ، لا محلَّ لها.

﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿فَلِمَ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن شرط مقدّر، التقدير: إنْ صحَّ ما زعمتم؛ فَلِمَ. . .إلخ. (لِمَ): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، وقد حذفت ألف ما الاستفهامية فرقاً بين الخبر، و الاستخبار. ﴿يُعَذِّبُكُم﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهِ﴾ والجملة الفعلية في محل جزم جواب للشرط المقدّر بـ «إنْ» و«إنْ» المقدرة، ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿بِذُنُوبِكُم﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَشَرٌ﴾: خبره. ﴿مِّمَّنْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿بَشَرٌ﴾. و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ(من). ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾، والجملة الفعلية صلة: (مَنْ) أو صفتها، والعائد والرابط محذوف؛ إذ التقدير: مِنَ الذين، أو: أشخاص خلقهم، والجملة الاسمية: ﴿بَلْ أَنتُم...﴾ إلخ مستأنفةٌ، وهي مِنْ مقول القول أيضاً.

﴿يَغْفِرُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ ومفعوله محذوف، تقديره: يغفر الذنوب. ﴿لِمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لِلّذي، أو لشخصٍ يشاء مغفرته، والجملة الفعلية مستأنفةٌ، لا محلَّ لها، والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها بلا فارقٍ. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ...﴾ إلخ: انظر إعراب مثل هذا الكلام ومحلّه في الآية السابقة. (إليه): جار ومجرور، متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿ٱلْمَصِيرُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا﴾: انظر الآية رقم [١٥]. ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أي: على انقطاع من الرُّسل بين محمَّد، وعيسى، عليهما الصَّلاة والسَّلام. والمعنى: مضت للرُّسل مدَّةٌ قبل محمَّد ﷺ. واختلف في مقدار هذه المدَّة: كم هي؟ فالمعتمد: أنَّها بين عيسى، ومحمد ﷺ خمسمئة سنة وتسعاً وستين. ذكره الكلبي. وقال قتادة: كانت ستمئة سنة. رواه البخاريُّ عن سلمان الفارسي ـ رضي الله عنه ـ. وذكر ابن سعد عن عكرمة قال: بين آدم، ونوح عشرة قرون كلُّهم على الإسلام، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون، والقرن مئة سنة، فهذا ما بين آدم، ومحمد ـ عليهما السلام ـ من القرون، والسنين. انتهى قرطبي. كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ؛ لأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**» وهذا فيه ردٌّ على من زعم: أنَّه بعث بعد عيسى نبيٌّ يقال له: خالد بن سنان. والمقصود: أنَّ الله بعث محمداً ﷺ على فترةٍ من الرُّسل، وطموسٍ من السُّبل، وتغيُّر الأديان، وكثرة عبادة الأوثان، والنيران، والصُّلبان، فكانت النِّعمة به أتمَّ النِّعم، والحاجة إليه أمرٌ عَمَمٌ، وكان الفساد قد عمَّ جميع البلاد، والطُّغيان، والجهل قد ظهر في سائر البلاد إلا قليلاً من المتمسكين ببقايا مِنْ دين الأنبياء الأقدمين.

بالإضافة لما ذكرته في الآية السابقة مِنْ تخويف النبي ﷺ لليهود، والنصارى، وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ أذكر: أنَّ معاذ بن جبل، وسعد بن عبادة، وعقبة بن وهب ـ رضي الله عنهم ـ قالوا لهم: يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله إنكم لتعلمون: أنَّه رسول الله! ولقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته. فقال رافع بن حُرَيْملة، ووهب بن يهوذا: ما قلنا هذا لكم، ولا أنزل الله من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيراً، ولا نذيراً من بعده، فأنزل الله عزَّ وجل الآية الكريمة ردّاً عليهم.

والمعنى: إنَّ الله أرسل محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق بعد انقطاع الرُّسل بعد عيسى في المدَّة المذكورة؛ ليقطع حجَّة اليهود، والنَّصارى بعدم إرسال رسول بعد عيسى، ولئلا يبقى لهم عذر يعتذرون به. هذا؛ و﴿بَشِيرٍ﴾ و﴿نَذِيرٍ﴾ هو محمد ﷺ بشير بالجنة، والنعيم المقيم فيها لِمَنْ اهتدى، ونذير من النَّار لِمَنْ كفر، وفسق، وعصى، وشقَّ على ربِّه العصا.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [١٥]، ومفعول ﴿يُبَيِّنُ﴾ محذوف، تقديره: الدِّين، أو أحكامه، وحذف لفهمه من المقام، أو تقديره: يبين لكم ما كنتم تخفون، وحذف لتقدُّم ذكره في الآية السَّابقة. ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَآءَكُمۡ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿يُبَيِّنُ﴾ المستتر. ﴿مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿فَتۡرَةٖ﴾. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقُولُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» وعلامة نصبه حذف النون لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق والمصدر المؤول من الفعل وناصبه في محل جر بحرف جر محذوف عند الكوفيين، التقدير: لئلا تقولوا. والجار المجرور متعلقان بالفعل: (يبين)، وهو عند البصريِّين في محل جر بإضافة اسم إليه واقع مفعولاً لأجله، التقدير: كراهة، أو مخافة قولكم: ما جاءنا. . .إلخ. وانظر الآية الأخيرة من سورة (النساء) ففيها تفصيل، وبيانٌ، وزيادة.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿جَآءَنَا﴾: فعل ماض. و(نا) مفعول به. ﴿مِنۢ﴾: حرف جر صلة. ﴿بَشِيرٖ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية، ويقال: صلة لتأكيد النفي. ﴿وَلَا نَذِيرٖ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: حرف تعليل. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي مِنَ الحال. ﴿جَآءَكُم﴾: ماض، ومفعوله. ﴿بَشِيرٞ﴾: فاعله، والجملة الفعلية تعليل لكلام محذوف، التقدير: لا تعتذروا بقولكم: ما جاءنا. . .إلخ؛ لأنَّه قد جاءكم بشيرٌ، والتعليل، والمعلل كلامٌ مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾: هو مثل الآية رقم [١٧].

﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَعَلَ فِيكُمۡ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمۡ يُؤۡتِ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٠﴾

الشرح: ﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ...﴾ إلخ؛ أي: اذكر يا محمد حين قال موسى لبني إسرائيل: اذكروا نعمة الله العظمى عليكم، واشكروه عليها. قال الطَّبريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا تعريفٌ من الله تعالى لنبيه ﷺ بتمادي هؤلاء اليهود في الغيِّ، وبُعدهم عن الحقِّ، وسوء اختيارهم لأنفسهم، وشدَّة مخالفتهم لأنبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم، وتتابع أياديه لديهم،

فسلَّى بذلك نبيَّه محمداً ﷺ عمَّا نزل به من الشدائد؛ التي حصلت له من مخالفة قومه، ومعاصيهم عليه. انتهى. خازن.

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَآءَ﴾: أي: كلَّما مات نبيٌّ؛ قام فيكم نبيٌّ آخر مِنْ لدن أبيكم إبراهيم ومن بعده، فلم يخل زمنٌ من نبيٍّ، ورسولٍ فيكم يدعو إلى الله، ويحذِّركم نقمته؛ حتى ختموا بعيسى ابن مريم، عليه السلام، ثمَّ أوحى الله إلى خاتم النبيين، والمرسلين محمدٍ ﷺ المنسوب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ أي: جعلكم أحراراً تملكون أنفسكم بعد أن كنتم عبيداً.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان الرَّجل من بني إسرائيل إذا كان له الزوجة، والخادم، والدار سُمِّيَ: مَلِكاً. وقال ابن جرير: عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ، وسأله رجل، فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله ـ رضي الله عنه ـ: لك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، فقال: إن لي خادماً، قال: فأنت من المُلوك. أخرجه مسلم. وهذا كما قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ آمِناً فِي سِرْبِهِ، مُعَافَىً فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيْرِهَا**». أخرجه الترمذي، وابن ماجه عن عبد الله بن محصن، رضي الله عنه. هذا وقيل: إنَّ المعنى: جعلكم كالملوك في رغد العيش. فحذف أداة التشبيه، ووجه الشبه، فأصبح بليغاً.

﴿وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ يعني: عالمي زمانكم، فإنَّهم كانوا أشرف الناس في زمانهم مِن اليونان، والقبط، وسائر أصناف بني آدم، كما قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٤٧ و١٢٢]: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

هذا؛ و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع: عالَم بفتح اللام، وجُمِع لاختلاف أنواعه، وهو جواب عمَّا يقال: إنَّه اسم جنس يصدق على كل ما سِوى الله، والجمع لا بدَّ أن يكون له ثلاثة أفراد، فأكثر، وجمع بالياء والنون كما يجمع بالواو والنون تغليباً للعقلاء على غيرهم، وهو يقال لكلِّ ما سوى الله، ويدلُّ له قوله تعالى حكاية عن قول موسى ـ على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم ـ لمَّا قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. هذا؛ والعوالم كثيرةٌ، لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البرِّ، والبحر؛ إذ كلُّ جنسٍ من المخلوقات يقال له: عالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ ولا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، وقوم. وقال مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ: العالمون ثمانون ألف عالَم: أربعون ألف عالم في البر، وأربعون ألف عالم في البحر. انتهى. وجمع جمع المذكر السالم، وذلك بتغليب مَنْ يعقل على ما لا يعقل، والعالم مشتق من العلامة؛ لأنَّه دالٌّ على وجود خالقه، وصانعه، وعلى وحدانيته ـ جلَّ، وعلا ـ كما قال ابن المعتز: [المتقارب]

فَيَا عَجَبَاً كَيْفَ يُعْصَى الإِلَـ ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ؟
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ

﴿مُوسَىٰ﴾ هو ابن عمران، بن يصهر، بن قاهت، بن لاوي، بن يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق بن إبراهيم على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. و﴿مُوسَىٰ﴾: اسم أعجمي لا ينصرف للعلمية، والعجمة، وهو مركب من اسمين: الماء، والشجر، فالشجر يقال له في العبرانية: (مُو) والشَّجر يقال له: شا، فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسِّين، وسبب تسميته بذلك: أنَّ امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء، والشَّجر لمَّا ألقته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طه) و(القصص).

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف، أو استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدَّرة على الألف للتعذُّر، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِقَوْمِهِۦ﴾: متعلِّقان بما قبلهما، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو. (قَوْم): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه في النداء خاصَّةً؛ لأنَّه لا لبس فيه، ومنهم مَنْ يثبت الياء ساكنةً، فيقول: (يَا قَوْمِيْ). ومنهم مَنْ يثبتها، ويحرِّكها بالفتحة، فيقول: (يَا قَوْمِيَ). ومنهم مَنْ يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، فيقول: (يا قَوْمَا) ومنهم مَنْ يحذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها، فيقول: (يَا قَوْمَ). قال ابن مالك رحمه الله تعالى في ألفيته: [الرجز]

وَاجْعَلْ مُنَادَى صَحَّ إِنْ يُضَفْ لِـ:«يَا» كَعَبْدِ عَبْدِيْ عَبْدَ عَبْدَا عَبْدِيَا

ويزاد سادسة، وهي لغة القطع: (يا قَوْمُ) بضم الميم، ففي الحديث الشريف يقول: (يَا رَبُّ! يَا رَبُّ! يَا رَبُّ!)، وقرئ في سورة (يوسف) رقم [٣٣]: (قالَ ربُّ السجنُ أحب إليَّ. . .) إلخ. والآية الكريمة كلُّها في محل نصب مقول القول. ﴿اذْكُرُوا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿نِعْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ﴾، أو بمحذوف حال منه. ﴿إِذْ﴾: حرف تعليل، وهو أقوى من اعتبارها ظرفية. ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾. ﴿فِيكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنبِيَاءَ﴾: مفعول به أوَّل، والجار والمجرور: ﴿فِيكُمْ﴾ هما المفعول الثاني تقدَّم على الأول، والجملة الفعلية تعليل للتذكير، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. (آتاكم): فعل

ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ والكاف مفعول به أوَّل. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُؤْتِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو العائد، أو الرابط. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا﴾ صلة (ما) أو صفتها، وجملة: ﴿وَءَاتَىٰكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدًا﴾، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: المطهَّرة، أو المباركة، وهي أرض ببيت المقدس، أو: أريحا، أو: فلسطين، أو الشَّام كلُّها. وسمِّيت: مقدَّسة؛ لأنَّ الله جعلها بعد ذلك قرار الأنبياء، وسكن المؤمنين. ﴿ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: فرض دخولها عليكم، ووعدكم سكناها؛ إن آمنتم، وأطعتم. يدلُّ على ذلك: أنَّه حرَّمها عليهم بعدما عصوا الله، كما سيأتي قريباً، وكان ذلك لمَّا خرجوا من مصر أمرهم الله بجهاد أهل أريحا من أرض فلسطين، فقالوا: لا علم لنا بتلك الدِّيار. فبعث موسى بأمر الله اثني عشر نقيباً؛ مِنْ كلِّ سبطٍ رجلٌ، يتجسَّسون الأخبار كما رأيت فيما سبق، فرأوا سكَّانها من العمالقة، وهم ذوو أجسام هائلة. وذكر القرطبيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ العجيب من أوصافهم التي تدلُّ على قوَّتهم، وجبروتهم، وهذا كان لمَّا نقض النقباء العهد، وأخبروا قومهم ما عدا يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا، كما قدَّمته لك. ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ أي: ولا ترجعوا القهقرى مرتدِّين على أعقابكم، ولكن امضوا لأمر الله الذي أمركم به، أو: لا ترتدُّوا عن الإيمان بالعصيان، ومخالفة الواحد الديَّان. ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ أي: فترجعوا بالخسران، والحرمان من ثواب الله في الدُّنيا، والآخرة.

الإعراب: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟﴾: انظر الآية السابقة. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: ظرف مكان عند بعض النحاة، وفي مقدِّمتهم سيبويه، والمحقِّقون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك قل في: (دخلت المدينة، ونزلت البلد، وسكنت الشام) وأيضاً قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦١]: ﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا﴾، وهذا إذا كان الفعل ثلاثيّاً، وأمَّا إذا كان رباعيّاً؛ بأن دخلت عليه همزة التعدية، ونصب مفعولين، فالمفعول الثاني يقال فيه ما ذكر في مفعول الثلاثي، والمفعول الأوَّل يكون صريحاً مثل: أدخلت خالداً البيت. ﴿ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾: صفة

﴿ٱلْأَرْضَ﴾. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة ثانية للأرض، وجملة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها، والعائد محذوف، التقدير: التي كتبها الله لكم.

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَرْتَدُّوا﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿ٱدْخُلُوا...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَتَنقَلِبُوا﴾: فعل مضارع معطوف على ما قبله مجزوم مثله، أو هو منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء على اعتبارها للسببية، وهو الأولى، والأقوى، وعلامة الجزم، أو النَّصب حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، وعلى النَّصب تؤوَّل «أنْ» المضمرة مع الفعل بمصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم ارتداد، فانقلاب. ﴿خَٰسِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب. . .إلخ. والآية بكاملها في محل نصب مقول القول، وهي مِنْ قول موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا﴾ يعني: في الأرض المقدَّسة. ﴿قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾: قوماً عاتين لا طاقة لنا بهم، ولا قوَّة لنا بقتالهم. وسُمُّوا جبارين؛ لشدَّة بطشهم، وعظم خلقهم، وكانوا ذوي أجسامٍ طويلةٍ، وأشكالٍ هائلةٍ، وهم العمالقة بقيَّة قوم عاد. وأصل الجبَّار في صفة الإنسان فعَّال؛ مِنْ: جبره على الأمر؛ يعني: أجبره عليه، وهو العاتي الَّذي يجبر الناس على ما يريد. وقيل: مأخوذ مِنْ قولهم: نخلة جبَّارة: إذا كانت طويلةً، مرتفعةً، لا تصل إليها الأيدي. ويقال: رجلٌ جبَّار: إذا كان طويلاً، عظيماً، قويّاً تشبيهاً بالجبَّار من النَّخل.

﴿وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا﴾ يعني: أرض الجبَّارين؛ التي أمرهم الله بدخولها. ﴿حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾: حتى يخرج الجبَّارون من الأرض المقدَّسة. وإنَّما قالوا ذلك استبعاداً لخروج الجبَّارين من أرضهم. ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ﴾: قال العلماء بالأخبار: إنَّ النقباء لمَّا خرجوا يتجسَّسون الأخبار لموسى ـ على نبينا وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ ورجعوا إليه، وأخبروه خبر القوم، وما عاينوا منهم، قال لهم موسى: لا تخبروا بني إسرائيل بهذا، فيجبنوا، ويضعفوا عن قتالهم. وقيل: إنَّ النقباء الاثني عشر لما خرجوا إلى أرض الجبارين، قال بعضهم لبعض: لا تخبروا بني إسرائيل بما رأيتم، فلمَّا رجعوا، وأخبروا موسى، فأمرهم ألا يخبروا بني إسرائيل

بذلك، فخالفوا أمره، ونقضوا العهد، وأخبر كلُّ رجلٍ من النقباء سبطه بما رأى، إلا يوشع، وكالب. فإنَّهما كَتَمَا، وَوَفَّيَا بالعهد، فلمَّا علم بنو إسرائيل بذلك، وفشا ذلك فيهم؛ رفعوا أصواتهم بالبُكاء، وقالوا: ليتنا متنا في أرض مصر، ولا يدخلنا الله أرضهم، فتكون نساؤنا، وأولادنا غنيمة لهم، وجعل الرَّجل مِنْ بني إسرائيل يقول لصاحبه: تعالوا نجعلْ لنا رأساً، وننصرف إلى مصر. فلمَّا قالوا ذلك، وهمُّوا بالانصراف إلى مصر؛ خرَّ موسى، وهارون ساجدين، وخرق يوشع، وكالب ثيابهما، وقالا ما في الآية التالية.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب: (أدعو). (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بـ: (يا). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾: مقدَّم. ﴿قَوْمًا﴾: اسمها مؤخَّر. ﴿جَبَّارِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ، والجملة الاسمية، والندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿نَّدۡخُلَهَا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿لَن﴾ والفاعل ضمير مستتر تقديره: نحن، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إن)، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ولعلَّك تدرك معي: أنَّ اتصال الضمير بالفعل ﴿نَّدۡخُلَهَا﴾ يؤيد ما ذهب إليه الأخفش، والمحققون من أنَّ الاسم المنصوب بعد الأفعال (دخل، ونزل، وسكن) إنَّما هو في محل نصب مفعول به، وإن كان رباعيّاً دخلت عليه همزة التعدِّي، فهو مفعول به ثان انظر الآية السابقة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أنْ» مضمرة. ﴿يَخۡرُجُواْ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أنْ» المضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النُّون؛ لأنَّه مِنَ الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنۡهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما.

﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿يَخۡرُجُواْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتَّفريق. ﴿مِنۡهَا﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنَّا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّا): حرف مشبَّه بالفعل مثل سابقه. و(نا): اسمها. ﴿دَٰخِلُونَ﴾: خبرها، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدُّسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحل محلَّ المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، لا محلَّ له.

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ أي: يخافون الله، ويراقبونه، وهما: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا على المعتمد. ﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أي: بالعصمة، والإيمان، فكتما ما اطَّلعا عليه مِنْ حال الجبابرة إلا عن موسى، عليه السلام، بخلاف بقية النُّقباء، فإنَّهم أفشوا، فجبنوا. وقال البيضاوي تبعاً للكشَّاف: وقيل: كانا رجلين مِنَ الجبابرة أسْلَمَا، وسارا إلى موسى. فعلى هذا «الواو» لبني إسرائيل، والرَّاجع إلى الموصول محذوف، أي: من الذين يخافهم بنو إسرائيل، ويشهد له: أنَّه قرئ: (الذين يُخَافون) بالضمِّ، أي: المخوفينگ وعلى المعنى الأوَّل يكون هذا مِنَ الإخافة؛ أي: من الذين يخوَّفون مِنَ الله بالتَّذكير، أو يخوِّفهم الوعيد. انتهى.

﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾: بالإيمان، واليقين، والصَّلاح. ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ باب قريتهم، أي: باغتوهم، وامنعوهم من الخروج إلى الصَّحراء لئلا يجدوا للحرب مجالاً. بخلاف ما إذا دخلتم عليهم الأبواب، فإنَّهم لا يقدرون فيها على الكرِّ، والفرِّ لعظم أجسامهم، ولا يهولنَّكم عظم أجسامهم، فقلوبهم ملئت رُعْباً منكم، فأجسامهم عظيمةٌ، وقلوبهم ضعيفةٌ جبانة. ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ﴾: قالا ذلك تيقُّناً بنصر الله، وإنجاز وعده، ولما عهداه مِنْ صنع الله بموسى، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟...﴾ إلخ: أي: اعتمدوا على الله، وثقوا بنصره بعد الأخذ بأسباب النصر، من تضحيةٍ، وبذل مالٍ، ونفسٍ في سبيل الله. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بالله، وبنبوَّة موسى. فلمَّا قال الرجلان ذلك؛ أراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة، وعصَوْا أمرَهما، وقالوا ما أخبر الله عنهم بالآية التالية:

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض. ﴿رَجُلَانِ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنَّه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَجُلَانِ﴾. ﴿يَخَافُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف. انظر الشرح، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿أَنْعَمَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رَجُلَانِ﴾، أو في محل نصب حال منهما بعد وصفهما بما تقدَّم، أو هي حال من الواو، وهو ضعيف، ويجب تقدير «قد» قبلها على اعتبارها حالاً، أو هي معترضة بين القول ومقوله على اعتبارها دعائية إنشائية، قاله ابن هشام

ـ رحمه الله تعالى ـ: ويضعف من حيث المعنى أن تكون حالاً، ولا يضعف في الصناعة لوصفها بالظرف.

﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَيۡهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلۡبَابَ﴾: انظر: ﴿ٱلۡأَرۡضَ﴾ في الآية [٢١]، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، وفيه معنى الشرط، واختلف في ناصبها، فقيل: بالجواب. واعترض بأن الجواب قد يقترن بالفاء، وما بعد الفاء لا يعمل فيما قبلها. وقيل: بالشرط. واعترض أيضاً بأنَّها مضافة للشرط، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وأجيب عن هذا الاعتراض بأنَّ القائلين: إنَّ الناصب هو الشرط، لا يقولون بإضافة: «إذا» إليه، فلذا كان الثاني أرجح، وإن كان الأول أشهر، فقول بعض المعربين: خافض لشرطه، منصوب بجوابه جرى على غير الرَّاجح، ولذا كانت عبارة سيبويه ـ رحمه الله تعالى ـ: (خافض لشرطه، منصوب بجوابه صالح لغير ذلك) محتملةً لما تريد مِن احتمالات، لذا فقد ذكرتها كلَّما عرضت **«إذا»** إليَّ. ﴿دَخَلۡتُمُوهُ﴾: فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولَّدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المرجوح المشهور. ﴿فَإِنَّكُمۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿غَٰلِبُونَۚ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية جواب (إذا) لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له.

﴿وَعَلَى﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (على الله): متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾: الفاء: حرف صلة. (توكلوا): فعل أمر، وفاعله، والألف للتفريق. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء: اسمه. ﴿مُّؤۡمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دلَّ عليه ما قبله، وجملة: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها، والاستئناف ممكن.

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ﴾: انظر الآية رقم [٢٢]. ﴿أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا﴾ وهذا عنادٌ شديدٌ، ونكول عن الجهاد، ومخالفةٌ ظاهرةٌ لأمر الله، وأمر موسى، على نبينا، وحبيبنا،

وعليه ألف صلاة، وألف سلام. هذا؛ و«**الأبد**» عبارة عن الزمان الطويل؛ الذي لا انقطاع له، ولا يتجزأ مثل غيره من الأزمنة؛ لأنَّه لا يقال: أبد كذا، كما يقال: زمن كذا، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً، فالأبد من وقت التكلم إلى آخر العمر.

﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ﴾: وصفوا الله بالذَّهاب، والانتقال، والله متعالٍ عن ذلك. ﴿إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾: قالوا ذلك استهانةً، واستخفافاً بالله، وبنبيِّه موسى، عليه السلام. ولا وجه لما قيل: إنَّ المراد بـ: (ربّك): أخوك، وهو هارون؛ لأنَّه كان أكبر من موسى، وكان موسى يُطيعه.

وقال النسفي: من العلماء مَنْ حمله على الظَّاهر، وقال: إنَّه كفرٌ منهم، وليس كذلك؛ إذ لو قالوا ذلك اعتقاداً، وكفراً به؛ لحاربهم موسى، ولم تكن مقاتلة الجبَّارين أولى مِنْ مقاتلة هؤلاء، ولكن الوجه فيه أن يقال: اذهب أنت وربك يعينك على قتالهم، قال الخازن: لكن قوله: فقاتلا يفسد هذا التأويل، والأصح: أنَّهم قالوا ذلك جهلاً منهم بالله، وبصفاته، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾.

تنبيه: ما أكبر الفارق بين أصحاب موسى، وأصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم يوم بدر حين استشارهم في قتال النَّفير، فتكلَّم أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ فأحسن، ثمَّ تكلَّم من تكلَّم من الصحابة من المهاجرين، ورسول الله ﷺ يقول: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ**» وما يقول ذلك إلا يستعلم به ما عند الأنصار؛ لأنَّهم كانوا جمهور الناس يومئذٍ، فقال سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ: كأنَّك تعرض بنا يا رسول الله! فوالذي بعثك بالحقِّ لو استعرضت بنا هذا البحر، فَخُضْتَهُ؛ لخضناه معك، ما تخلَّف منَّا رجلٌ واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنَّا لصُبْرٌ في الحرب، صُدقٌ في اللِّقاء، ولعلَّ الله يريك منا ما تَقَرُّ به عينك، فسر بنا على بركة الله! فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد ـ رضي الله عنه ـ، ونَشَّطَهُ ذلك. وممَّن أجاب يومئذٍ المقداد بن عمرو الكندي ـ رضي الله عنه ـ، كما قال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: شهدت مِنَ المقداد مشهداً لَأَنْ أكونَ أنا صاحبه أحبُّ إليَّ مما عدل به: أتى رسول الله ﷺ، وهو يدعو على المشركين يوم بدر، فقال: يا رسول الله! إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ ولكن امْضِ، ونحن معك، نقاتل عن يمينك وعن يسارك، ومن بين يديك، ومن خلفك. فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ أشرق لذلك، وسرَّه ذلك. أخرجه البخاري.

الإعراب: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٤]، ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلِّق بالفعل قبله. ﴿مَّا﴾: ظرفية مصدرية. ﴿دَامُواْ﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: «دام» التقدير: ما داموا موجودين فيها، و﴿مَّا﴾ والفعل: (دام) في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية،

وهو بدل من: ﴿أَبَدًا﴾ بدل بعض مِنْ كل، والكلام كلُّه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها من الإعراب. ﴿فَاذْهَبْ﴾: الفاء: صلة، أو هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدَّر. (اذهب): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿أَنتَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر. ﴿وَرَبُّكَ﴾: معطوف على الضمير، وجاز ذلك للتأكيد بالضمير المنفصل، قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَإِنْ عَلَى ضَمِيرِ رَفْعٍ مُتَّصِلْ عَطَفْتَ فَافْصِلْ بِالضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلْ

وقد نقل الجمل عن السَّمين ثلاثة وجوه أخرى في إعرابه، لا داعي لها، وهو تكلُّف. ومثل هذه قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٣٥]: ﴿اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾. والجملة الفعلية: (اذهب) في محل نصب مقول القول، وعلى اعتبار الفاء الفصيحة فلا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب لشرط محذوف، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً منَّا؛ فاذهب، والكلام كله في محل نصب مقول القول، والأول أولى؛ لأنَّه لا يحوج إلى تقدير محذوف. ﴿فَقَاتِلَا﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين فيها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿هَاهُنَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (هنا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلِّق بما بعده. ﴿قَاعِدُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وهي مفيدة للتَّعليل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ رَبِّ...﴾ إلخ: لمَّا نكل بنو إسرائيل عن القتال مع موسى غضب عليهم، وقال داعياً متوسلاً ضارعاً: ﴿رَبِّ إِنِّي...﴾ إلخ. ﴿فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: افصل، وقيل: احكم، ومن الأوَّل قول الشَّاعر: [الرجز]

يَا رَبِّ فَافْرُقْ بَيْنَهُ وَبَيْنِي أَشَدَّ مَا فَرَّقْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ

﴿الْفَاسِقِينَ﴾: جمع فاسق، وهو الخارج عن حدِّ الإيمان. وأصل الفسوق: الخروج عن حدِّ القصد. والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات: الأول: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إيَّاها، والثانية: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبالٍ بها، والثالثة: الجحود وهو أن يرتكبها مستصوباً إيَّاها. فإذا

شارف هذا المقام، وتخطَّى خططه؛ خلع ربقة الإيمان مِنْ عنقه، ولابس الكفر، وما دام في درجة التَّغابي، أو الانهماك؛ فلا يُسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتَّصديق؛ الذي هو مسمَّى الإيمان. انتهى. بيضاوي.

تنبيه: توجَّه موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ إلى ربه بهذا الكلام، بَاثّاً حزنه إليه تعالى لـمَّا خالفه قومه، ولم يبقَ معه موافقٌ يثق به إلا هارون أخوه، والرَّجلان المذكوران، وإن كانا يوافقانه، ولكنَّه لم يثق بهما؛ لما رأى من فسوق قومه، وعصيانهم لأوامر الله تعالى. وقيل: يجوز أن يراد بأخي مَنْ يؤاخيني في الدِّين، فيدخلان حينئذٍ، وشكواه ممزوجةٌ برقة القلب، والأسف الشديد. بمثل ذلك يستجاب الدُّعاء، وتستجلب الرَّحمة، وتستنزل النُّصرة، ولذا غضب الله على بني إسرائيل، وفعل بهم ما تراه في الآية التالية.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه حرف النداء، وانظر ما يجوز فيه من أوجه الإعراب في الآية رقم [٢٠]. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَمْلِكُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر تقديره: أنا، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن) والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَفْسِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محلِّ جر بالإضافة. ﴿وَأَخِيۖ﴾: ذكر فيه الجمل نقلاً عن السمين ستة أوجه: أظهرها: أنَّه منصوب عطفاً على: ﴿نَفْسِي﴾. الثاني: أنَّه منصوب عطفاً على اسم: (إنَّ) وخبره محذوف أيضاً، والرابع: أنَّه مرفوع بالابتداء، وخبره محذوف للدلالة المتقدِّمة، ويكون قد عطف جملة اسمية غير مؤكدة على جملة اسمية مؤكدة بـ: (إنّ). الخامس: أنَّه مرفوع عطفاً على الضمير المستتر في الفعل قبله، التقدير: ولا يملك أخي إلا نفسه، وجاز ذلك للفصل. السادس: أنَّه مجرور عطفاً على ياء المتكلم، وهو جائز على مذهب الكوفيين، وغير جائز على مذهب البصريين للعطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار. انتهى بتصرُّف منِّي. هذا؛ وقد زاد ابن هشام في شذور الذهب وجوهاً أخر ضعيفةً، أوصلها إلى أحد عشر.

﴿فَافْرُقْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنَّها أفصحت عن شرط مقدَّر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً منهم؛ فافرق. . .إلخ. (افرق): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، و(نا) في محل جر بالإضافة والجملة الفعلية لا محلَّ لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء، والكلام كلُّه في محل نصب مقول القول. ﴿وَبَيْنَ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مضاف، و﴿الْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: صفة ﴿الْقَوْمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾الله عزَّ وجل: ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾: ظرف زمان، فإنْ عُلِّق بـ: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ كان التحريم موقتاً بهذه المدَّة غير مؤبَّد، ويؤيد ذلك ما روي: أنَّ موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ سار بعدها بمن بقي معه من بني إسرائيل، ففتح أريحا، وأقام فيها ما شاء الله، ثمَّ قُبض. وقيل: إنَّه قبض في التِّيه، ولما احتضر؛ أخبرهم بأنَّ يوشع بعده نبيٌّ، وأنَّ الله أمره بقتال الجبَّارين، فسار يوشع بهم، وقتل الجبابرة، وصار الشَّام كله لبني إسرائيل. وإن علق الظرف بالفعل: ﴿يَتِيهُونَ﴾ أي: يسيرون فيها متحيرين، لا يرون طريقاً، ولا يعرفون أين يسيرون، فيكون التحريم مطلقاً. روي: أنَّه لم يدخل الأرض المقدسة أحدٌ مِمَّن قال: ﴿إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ﴾. بل هلكوا جميعاً في التيه. هذا؛ والتَّحريم المذكور تحريم منع، لا تحريم شرع. قاله أكثر المفسِّرين، ومنه قول امرئ القيس ـ وهو الشاهد رقم [١١٥٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الكامل]

جَالَتْ لِتَصْرَعَنِي فَقُلْتُ لَهَا اقْصُرِيْ إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعِي عَلَيْكِ حَرَامِ

ف: «حرامِ» بكسر الميم، انظر كتابنا المذكور لتعرف لِمَاذا كُسِرت الميم؟ وأصل التيه في اللغة: الحيرة، يقال منه: تاه، يتيه، تيهاً، وتوْهاً، إذا تحيَّر، والأرض التيهاء: التي لا يُهتدى فيها. قال الشاعر: [الطويل]

بِتَيْهَاءَ قَفْرٍ وَالْمَطِيُّ كَأَنَّهَا قَطَا الْحَزْنِ قَدْ كَانَتْ فِرَاخاً بُيُوضُهَا

﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: لا تأسف، ولا تحزن عليهم فيما حكمتُ عليهم به، فإنَّهم مستحقون ذلك، ففيه تسلية لموسى ـ عليه السلام ـ لمَّا ندم على الدُّعاء عليهم، وبيَّن: أنَّهم أحقاء بذلك العذاب لفسقهم، ولم يقل: «فلا تأس عليهم» وإنَّما وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بشدَّة الفسوق، ورسوخه في قلوبهم و«الأسى»: الحزن، وَأَسِيَ، يَأْسَى، أَسًى، أي: حزن. قال امرؤ القيس في معلَّقته: [الطويل]

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيُّهُمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسًى وَتَجَمَّلِ

وشرح التيه: أنَّهم لبثوا أربعين سنة في تسعة فراسخ في ثلاثين فرسخاً، وكانوا ستمئة ألف مقاتل، وكانوا يسيرون من الصَّباح إلى المساء، فإذا هم في المكان الذي ارتحلوا عنه، ويسيرون مِنَ المساء إلى الصباح فإذا هم في المكان نفسه، وكان ذلك عقوبةً لبني إسرائيل، ما خلا موسى. وهارون، ويوشع، وكالب، فإنَّ الله سهَّله عليهم، وأعانهم عليه، كما سهَّل النار على

إبراهيم، وجعلها عليه برداً، وسلاماً. وبقاء هذا الجمع العظيم في هذه المساحة من الأرض مدَّة أربعين سنة، بحيث لم يخرج منهم أحد، إنَّما هو من باب خرق العادة، وهو في زمن الأنبياء غير مستبعدٍ.

ولمَّا آذاهم حَرُّ الشمس؛ أرسل الله عليهم الغمام يُظِلُّهم في النهار، وأرسل عموداً من نور يطلع في الليل، فيضيء لهم طريقهم، وكان طعامهم من المنِّ، والسلوى، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٥٧] مذكِّراً الأبناء بنعمه على الآباء: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ﴾. وكان ماؤهم من الحجر الَّذي يحملونه، فيضربه موسى بعصاه، فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً، قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦٠]: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ...﴾ إلخ، ومثلها في الأعراف رقم [١٦٠]، ولكن نفوسهم الخبيثة كرهت المنَّ، والسَّلوى، وطلبوا الثُّوم، والبصل، وغيرهما، وقد قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [٦١]: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ...﴾ إلخ. هذا؛ وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم دائمة، فينشأ الناشئ منهم فتكون معه على مقدار هيئته، ولا تبلى حتَّى يموت.

تنبيه: توفي هارون عليه السلام في التيه قبل موسى، ولم يره بنو إسرائيل، فقالوا لموسى: أنت قتلته لحبِّنا إيَّاه، وكان عليه السلام رفيقاً لطيفاً بهم، فقال موسى: ويحكم إنَّ هارون أخي، أفتروني أنّي أقتله؟! فلما أكثروا عليه؛ قام فصلى ركعتين، ثمَّ دعا الله ـ عزَّ وجل ـ فرفعت الملائكة سرير هارون بأمر الله عزَّ وجل؛ حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلَّمت الملائكة بموته، فصدقت بنو إسرائيل: أنَّه مات. وبرَّأ الله موسى ممَّا قالوه، ثمَّ إنَّ الملائكة حملوه، ودفنوه، ولم يطَّلع على موضع قبره أحدٌ.

وفي روايةٍ أخرى: أوحى الله إلى موسى أنِ انطلق بهم إلى قبره فإنِّي باعثه؛ حتى يخبرهم: أنَّه مات موتاً، ولم تقتله. فانطلق بهم إلى قبره، فنادى: يا هارون! فخرج من قبره ينفض رأسه، فقال: أنا قتلتك؟! قال: لا، ولكنِّي متُّ، قال: فعد إلى مضجعك. وانصرف.

وأمَّا موسى ـ عليه السلام ـ، فقال ابن إسحاق: كان صفيُّ الله موسى ـ عليه السلام ـ قد كره الموت، وأعظمه، فأراد الله أن يحبب إليه الموت، فنبأ يوشع بن نون، فكان موسى يغدو، ويروح إليه، ويقول له: يا نبيَّ الله ! ما أحدث الله إليك؟ فيقول له يوشع: يا نبيَّ الله ألم أصحبك كذا، وكذا سنةً؟ فهل كنت أسألك عن شيءٍ ممَّا أحدث الله إليك حتى كنت أنت تبتدئ به، وتذكره لي؟ ولا يذكر له شيئاً، فلمَّا رأى موسى ذلك كره الحياة، وأحبَّ الموت. وخذ ما يلي:

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى، عليه الصلاة والسلامُ، فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَفقأ عَيْنَهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ، قال: فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقال: ارجِعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا**

غَطَّتْ يَدُهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ! ثُمَّ مَهْ؟ قال: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ». فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدَّسة رميةً بحجرٍ، فقال رسول الله ﷺ: «**فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ**». أخرجه مسلم.

واختلف العلماء في تأويل لطم موسى عين ملك الموت، وفقئها على أقوال كثيرة، والصَّحيح من هذه الأقوال: أنَّ موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ عرف ملك الموت، وأنَّه جاءه ليقبض روحه، لكنه جاء مجيء الجَازم بأنَّه قد أُمِرَ بقبض روحه من غير تخيير، وعند موسى ما قد نصَّ عليه نَبِيُّنَا محمد ﷺ من أنَّ الله لا يقبض روح نبيٍّ حتى يخيِّره، فلمَّا جاء على غير هذا الوجه الذي أُعْلِم؛ بادر بشهامته، وقوَّة نفسه إلى أَدَبِهِ، فلطمه، ففقأ عينه امتحاناً لملك الموت؛ إذ لم يصرح له بالتَّخيير، وممَّا يدل على صحة هذا: أنَّه لما رجع ملك الموت، فخيره بين الحياة والموت؛ اختار الموت، واستسلم. والله بغيبه أحكم، وأعلم، هذا أصحُّ ما قيل في وفاة موسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وقد ذكر المفسرون في ذلك قصصاً، وأخباراً الله أعلم بصحَّتها، وفي الصحيح غنية عنها، وكان عُمره مئةً وعشرين سنةً يوم توفي.

خاتمة: بعد وفاة موسى، وهارون في التيه على المعتمد تولى يوشع ـ عليه السلام ـ أمر بني إسرائيل؛ لأنَّ الله منحه النبوة، والرسالة، فلمَّا انقضت الأربعون سنة أخبرهم أنَّ الله عزَّ وجل قد أمره بقتال الجَبَّارين، فصدَّقوه، وتابعوه، فتوجه بهم إلى مدينة الجبَّارين، وهي أريحا، وقيل: بيت المقدس، فحاصرها حتى فتحها، وكان فتحها يوم الجمعة بعد العصر، وبقيت من الجبَّارين بقيَّة، وكادت الشمس أن تغرب، وخشي دخول السَّبت عليهم، فقال مخاطباً الشمس: إنَّك مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ! فحبسها الله؛ حتَّى فتحها، وأمره الله أن يأمر بني إسرائيل أن يدخلوا باب المدينة المفتوحة سُجَّداً، وأن يقولوا: حِطَّةٌ، أي: حُطَّ عنا يا ربنا ذنوبنا. فبدَّلوا ما أمروا به، ودخلوا يزحفون على أستاههم، وهم يقولون: حبَّةٌ في شعرةٍ. انظر الآيتين [٥٨ و٥٩] من سورة (البقرة)، والآيتين رقم [١٦١ و١٦٢] من سورة (الأعراف)، حيث انتقم الله منهم، وإذا عرفت: أنَّ الذين كانوا مع يوشع عليه السلام هم أبناء الذين خالفوا أمر موسى عليه السلام، وتاهوا؛ عرفت الخبث، واللُّؤم المتأصِّل في اليهود.

والحكمة في حبس الشمس على يوشع ـ عليه السلام ـ عند قتاله الجبَّارين، وإشرافه على فتح المدينة المذكورة عَشيَّ يوم الجمعة، وإشفاقه من أن تغرب الشمس قبل الفتح: أنه لو لم تحبس عليه حرم عليه القتال لأجل السَّبت، ويعلم به عدوهم فيعمل بهم السَّيف، ويجتاحهم، فكان ذلك آيةً خُصَّ بها بعد أن كانت نبوَّته ثابتة بخبر موسى، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل تقديره: «هو»، يعود إلى (الله). ﴿فَإِنَّهَا﴾: الفاء: حرف صلة، أو هي الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرطٍ مقدَّر. التقدير: إذا كان هذا فعلهم؛ فإنَّها.. إلخ. (إنَّها): حرف مشبه بالفعل. و(ها): اسمها. ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾: خبر (إنَّ). ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾ وهما في محل رفع نائب فاعله. ﴿أَرْبَعِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بـ ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾، أو بالفعل بعده على نحو ما رأيت في التفسير، منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿سَنَةً﴾: تمييز، والكلام كلُّه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿يَتِيهُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على) على تعليق الظرف بـ: ﴿مُحَرَّمَةٌ﴾: ومستأنفة لا محلَّ لها على تعليق الظرف بالفعل: ﴿يَتِيهُونَ﴾. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَأْسَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفتحة قبلها دليلٌ عليها، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿عَلَى الْقَوْمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: صفة القوم.

﴿۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: المناسبة: لمَّا ذكر الله تعالى تمرُّد بني إسرائيل، وعصيانهم لأمر الله في قتال الجبَّارين؛ ذكر قصَّة ابنيْ آدم، وعصيان قابيل لأمر الله، وإقدامه على قتل النَّفس البريئة؛ الَّتي حرَّمها الله، فاليهود اقتدوا في العصيان بأول عاصٍ لله في الأرض، فطبيعة الشرِّ، والفساد فيهم مستقاة مِنْ ولد آدم الأوَّل، فتشابهَتِ القصتان من حيث التمرُّد، والعصيان. ثم ذكر الله تعالى عقوبة قطاع الطَّريق، والسُّرَّاق الخارجين على أمن الدولة، والمفسدين في الأرض فيما يأتي من الآيات.

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اقرأ على أهل الكتاب الحاسدين لك. ﴿نَبَأَ﴾: خبر. ﴿ابْنَيْ آدَمَ﴾: هما: هابيل، وقابيل. و﴿آدَمَ﴾: اسم علم أعجمي مشتق من الأدمة بمعنى الأسوة، أو من أديم الأرض، أي من وجهها وترابها، أو من الأدمة بمعنى الألفة، قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: إنَّما سمي آدم؛ لأنه خلق مِنْ أديم الأرض، وإنَّما سمي إنساناً؛ لأنَّه نسي، وكنيته في الجنة أبو محمد وفي الأرض أبو البشر. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٠] سورة (البقرة) وما بعدها.

وأصله أأْدَم بهمزتين، قلبت الثانية مدّاً مجانساً لحركة الأولى، كما قلبت في: إيمان، فإنَّ أصله: إإمان، وكما قلبت في: أومن فإن أصله: أُأْمِن.

هذا؛ و(الحق) ضدُّ الباطل، قال الرَّاغب ـ رحمه الله تعالى ـ: أصل الحق: المطابقة، والموافقة، كمطابقة رِجْل البَاب في حقِّه لدورانه على الاستقامة، و(الحقُّ) يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة. ذلك؛ ويقال: فعل الله كلُّه حق، نحو: الموت حقٌّ، والحساب حقٌّ، والجزاء حق. . .إلخ، ويقال للاعتقاد في الشيء المطابق لِمَا عليه ذلك الشَّيء في نفسه، نحو: اعتقاد زيد في الجنة حقٌّ. وللفعل، والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب، نحو: قولك حقٌّ، وفعلك حق، ويقال: أحققت ذا؛ أي: أثبته حقاً، أو حكمت بكونه حقّاً. انتهى. بغدادي.

﴿قُرْبَانًا﴾: هو اسم لما يُتَقَرَّب به إلى الله تعالى، مِنْ ذبيحة، أو صدقة، أو صوم. . .إلخ، وقيل: هو مصدر، ولذا فإنَّه لم يثنَّ، أي: لم يقل: قربانين؛ مع كونهما اثنين. ﴿فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾: وهو هابيل، وانظر شرح (أحد) في الآية رقم [١٥٢] من سورة (النساء)، فرفع قربان هابيل إلى الجنة، فلم يزل فيها إلى أن فدي به الذَّبيح إسماعيل عليه السلام. ﴿وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ﴾: هو قابيل. ﴿قَالَ﴾: أي: قابيل. ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾: توعَّد أخاه هابيل بالقتل لِفَرْط حسده على تقبُّل قربانه. ﴿قَالَ﴾ أي: هابيل. ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي: تقبل الله قرباني لحسن نيَّتي، وتقواي. وفيه إشارة إلى أنَّ الحاسد ينبغي أن يرى حرمانه؛ لخبث نيَّته، وسوء فعله.

تنبيه: روي: أنَّ حوَّاء ـ عليها السلام ـ كانت تلد لآدم ـ عليه السلام ـ بعد هبوطها من الجنة في كل بطن غلاماً، وجاريةً إلا «شيثاً» عليه السلام، فإنَّها وضعته مفرداً عوضاً عن هابيل بعد قتله، وجملة أولادهما تسعة وثلاثون في عشرين بطناً، عشرون من الذكور، وتسعة عشر من الإناث أوَّلهم قابيل، وتوءمته إقليما، وآخرهم عبد المغيث وتوءمته أم المغيث، ثم بارك الله في نسل آدم، فلم يمت؛ حتى رأى ولده، وولد ولده قد بلغوا أربعين ألفاً، وكان إذا كبر أولاده؛ زوَّج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر؛ لأنَّه لم يكن نساء إلا أخواتهم، واستمرَّ ذلك حتَّى عهد نوح، عليه الصَّلاة، والسَّلام، فنسخ ذلك بتحريم الأخت مطلقاً.

فلمَّا كبر قابيل، وهابيل، وكان الأوَّل أكبر من الثاني بسنتين أمر آدم أن يزوج قابيل لبودا أخت هابيل، وأن يزوج هابيل إقليما أخت قابيل، وكانت أجمل مِنْ لبودا، فذكر آدم ذلك لهما، فرضي هابيل، وسخط قابيل، وقال: هي أختي، وأنا أحق بها، فقال له أبوه: إنّها لا تحلُّ لك. فأبى، وقال: إن الله لم يأمرك بهذا، وإنَّما هو رأيك، فقال لهما: قربا لله قرباناً، فأيكما تُقبِّلَ قربانُه؛ فهو أحق بها، وكانت القرابين إذا قبلت؛ نزلت نار بيضاء من السماء فأكلتها، وإن لم تكن مقبولة؛ لم تنزل النار، بل تأكلها الطيور، والسباع، فخرجا من عند آدم؛ ليقربا القربان، وكان قابيل صاحب زرع، فقرب صبرة من طعام رديء، وأضمر في نفسه: لا أبالي: قبل، أم لم يقبل؟ لا يتزوج أختي أحدٌ غيري، وكان هابيل صاحب غنم، فعمد إلى أحسن كبش في غنمه،

وأضمر في نفسه ابتغاء مرضاة الله، فوضعا قربانَيْهما على جبل، ثمَّ دعا آدم، فنزلت نارٌ من السَّماء، فأكلت قربان هابيل، فغضب قابيل، وأضمر الشرَّ في نفسه إلى أن حجَّ آدم كعبة الله في مكة المكرمة، فأتى هابيل، وهو في غنمه، وقال: لأقتلنَّك؛ لأنَّ الله تقبَّل قربانك، وردَّ قرباني، فقال هابيل: وما ذنبي إنَّما يتقبل الله من المتَّقين... إلخ.

قال المرحوم عبد الوهاب النجار في كتابه: (قصص الأنبياء): وبجبل قاسيون شمالي دمشق مغارة الدَّم، مشهورة بأنَّها المكان الذي قتل قابيل أخاه هابيل عنده، ثم قال: وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير، غير الحافظ: أنَّه رأى النبي ﷺ وأبا بكر، وعمر، وهابيل، أي: في المنام، وأنَّه استحلف هابيل: أنَّ هذا دمه، فحلف له، وذكر: أنَّه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدُّعاء، فأجابه إلى ذلك، وصدقه الرسول ﷺ وقال: إنَّه، وأبا بكر، وعمر يزورون هذا المكان كلَّ خميس، والله أعلم.

أقول: قد زرت ذلك المكان في عام (١٩٥٨م) ورأيت الدم لا يزال متجمِّداً على الصخرة ماثلاً يشاهد بالعين الباصرة بلا ريب، ولا خفاء. والله أعلم بحقيقة الأمر، وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩٠] من سورة (الأعراف) فإنَّه جيد، والحمد لله!

تنبيه: ذكر الله هذه الحادثة لنبيه ﷺ، وقال له: اقرأها على اليهود اللُّؤماء، وذلك كبرهانٍ قاطع على صحَّة نبوَّته؛ لأنَّه لم يكن يعرف القراءة، والكتابة، وقد أتى بأخبار الأوَّلين، وهذا غيضٌ مِنْ فيضٍ، ومَنْ قرأ القرآن، وتدبَّره يجد الكثير من ذلك موجوداً بين دفتيه، وهذه الحادثة مذكورة في التَّوراة بكاملها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَٱتْلُ﴾: الواو: حرف عطف. (اتل): فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره. وهو الواو، والضمة قبلها دليلٌ عليها، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما في الآية رقم [٢٠] وما بعدها؛ لأنَّ الواو عاطفة حادثة على حادثة. ﴿نَبَأَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱبْنَيْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه مثنَّى، وحذفت النون للإضافة، و﴿ٱبْنَيْ﴾: مضاف، و﴿ءَادَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ﴾ أي: ملتبساً بالحقِّ، وقيل: من الضمير المستتر بالفعل، والأوَّل أقوى. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿نَبَأَ﴾، أو بمحذوف حال منه، وتعليقه بالفعل: (اتْلُ) لا بأس به. ﴿قَرَّبَا﴾: فعل ماض مبني على الفتح، وألف الاثنين فاعله. ﴿قُرْبَانًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها.

﴿فَتُقُبِّلَ﴾: الفاء: حرف عطف. (تُقُبِّلَ): فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى القربان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جرٍّ مثلها. ﴿مِنْ أَحَدِهِمَا﴾:

متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُتَقَبَّلْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ: (لم) ونائب الفاعل يعود إلى القربان. ﴿مِنَ ٱلۡأٓخَرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى قابيل تقديره: هو. ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف تقديره: والله، وهذا الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم بالله. (أقتلنك): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ الَّتي هي حرف لا محلَّ له، والفاعل مستتر تقديره: أنا، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم المقدَّر، لا محلَّ لها. ﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى هابيل، تقديره: «هو». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ﴾: مضارع وفاعله، ومفعوله محذوف؛ أي: يتقبَّل الله القربانَ. ﴿مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها؛ لأنَّها بمنزلة جواب لسؤال مقدَّر كالتي قبلها.

﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ...﴾ إلخ؛ أي: لئن قصدت قتلي؛ فأنا لا أقصد قتلك؛ فهذا استسلام مِنْ هابيل، عليه السلام، فبسط اليد كناية عن البطش، والفتك، انظر الآية رقم [١١]، وفي الخبر: «**إذا كانت الفتنة؛ فكنْ خير ابني آدم**». وروى أبو داود عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنْ دخل عليَّ بيتي، وبسط يَدَهُ إليَّ؛ ليقتلني؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ**» وتلا هذه الآية، وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ وجمهور الناس: كان هابيل أشدَّ قوةً مِنْ قابيل، ولكنَّه تحرَّج. قال ابن عطية: وهذا هو الأظهر، ونحو هذا فعل عثمان ـ رضي الله عنه ـ حين حصره المجرمون، وعرض عليه عليٌّ، وجماعة من الصَّحابة المُناصرة، ولكنَّه أبى، قال أيوب السَّختياني: إنَّ أول مَنْ أخذ بهذه الآية مِنْ هذه الأمَّة عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وروي: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**كُنْ عَبْدَ اللهِ الْمَقْتُولَ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ اللهِ الْقَاتِلَ**».

الإعراب: ﴿لَئِنۢ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف، التقدير: والله. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿بَسَطتَ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَدَكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِتَقۡتُلَنِي﴾: فعل

مضارع منصوب بـ «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: أنت، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، و«أنْ» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلِّقان بالفعل ﴿بَسَطتَ﴾.

﴿مَآ﴾: نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محلِّ رفع اسمها. ﴿بِبَاسِطٍ﴾: حرف جر صلة. (باسط): خبر: ﴿مَآ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله مستتر تقديره: أنا. ﴿يَدِيَ﴾: مفعول به لـ: (باسط) منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (باسط)، والجملة الاسمية: ﴿مَآ أَنَا۠...﴾ إلخ جواب القسم لا محلّ لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والكلام: ﴿لَئِنۢ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول؛ لأنَّه مِنْ قول هابيل.

﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿أَخَافُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: أنا. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبَّ﴾: صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه، و﴿رَبَّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وعلامة الجر الياء... إلخ. وجملة: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وهي مفيدة للتَّعليل.

﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾

الشرح: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ...﴾ إلخ: المعنى: إن أردت قتلي؛ فأنا لا أريد قتلك؛ لأنِّي أريد أن تحمل وزري؛ إن قتلتني. وهذا يعضده قوله ﷺ: «**يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالظَّالِمِ، وَالْمَظْلُومِ، فَيُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ، فَتَزَادُ فِي حَسَنَاتِ الْمَظْلُومِ؛ حَتَّى يَنْتَصِفَ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ؛ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْمَظْلُومِ، فَتُطْرَحُ عَلَيْهِ**». أخرجه مسلم بمعناه، ويعضده قوله تعالى في سورة (العنكبوت): ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْۖ﴾. وحديث: «**أتدرون من المفلس؟**» مشهور مسطور. ﴿فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ أي: مِن المخلَّدين فيها، الملازمين لها. ﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خوَّفه بالنار، فلم ينته، ولم ينزجر.

هذا؛ و﴿تَبُوٓأَ﴾: ترجع، وتنقلب، ومنه قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾، ومنه قول النبي ﷺ في حديث سيد الاستغفار. «**أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي**» أي: أعترف بنعمتك **عليّ**، وأرجع بذنبي إليك؛ لتغفره لي. وأصله في اللغة: الرُّجوع، ومثله: «آب» بتقديم الهمزة على الباء، قال عمرو بن كلثوم التغلبي في معلَّقته [٦٥]: [الوافر]

فَآبُوا بِالنِّهَابِ وَبِالسَّبَايَا ... وَأُبْنَا بِالْمُلُوكِ مُصَفَّدِيْنَا

﴿بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ﴾: انظر الآية رقم [٢]. أمَّا ﴿أَصْحَٰبِ﴾ فإنَّه جمع: صاحب، ويكون بمعنى المالك كما هنا، ويكون بمعنى الصَّديق، ويجمع على: صَحْب، وصِحاب، وصحابة، وصُحْبة، وصُحْبان، ثمَّ يجمع أصحاب على: أصاحيب، ثم يخفَّف، فيقال: أَصاحب. ﴿ٱلنَّارِ﴾: أصلها النَّوَر، يقال: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنَّث المجازي، وقد تذكَّر، وتصغيرها نُوَيْرَة، والجمع: أَنْوُر، ونيران، وَنِيرة. هذا؛ وقد جعل الله الكفار ﴿أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ بمعنى: مالكيها، لملازمتهم، وعدم انفكاكهم عنها، وقل مثله في: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾. هذا؛ ويكنَّى بها عن جهنَّم؛ التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين المفسدين يوم الدِّين، كما أنَّها تستعار للشدَّة، والضِّيق، والبلاء، قال الشاعر: [الطويل]

وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً ... شَدِيداً عَلَيْهَا حَرُّهَا وَالْتِهَابُهَا

﴿وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: هذا مِنْ مقول الله تعالى، فيكون فيه وعيدٌ، وتهديدٌ لكلِّ معتدٍ، وظالم، وإن كان مِنْ مقول هابيل؛ ففيه وعظٌ مشوبٌ بالتَّهديد، والوعيد. وإنَّما قال له هذا بعد أن وعظه، واستعطفه، وذكَّره الله تعالى، فلم يرجع، ولم ينته، فلمَّا رآه هابيل قد صمَّم على القتل؛ قال له: ﴿إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ...﴾ إلخ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمه. ﴿أُرِيدُ﴾: فعل مضارع، والفاعل مستتر تقديره: أنا. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَبُوٓأَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والفاعل مستتر تقديره: أنت، والمصدر المؤوَّل من الفعل، وناصبه في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أُرِيدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية تعليل آخر للنفي في الآية السابقة، وهي مِنْ مقول هابيل أيضاً. ﴿بِإِثْمِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرةٌ مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِثْمِكَ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَتَكُونَ﴾: الفاء: حرف عطف. (تكون): معطوف على: ﴿تَبُوٓأَ﴾ منصوب مثله وهو مضارع ناقص، واسمه مستتر فيه وجوباً تقديره: أنت. ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾: متعلِّقان بمحذوف خبر: (تكون)، و﴿أَصْحَٰبِ﴾: مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة جمع اسم الفاعل لمفعوله،

وفاعله مستتر فيه. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والجملة الاسمية مستأنفةٌ، لا محلَّ لها.

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ﴾: زينت، وسهَّلت. مِنْ: طاع له المرتع: إذا اتَّسع، وسهل. وذلك: أنَّ الإنسان إذا تصوَّر: أنَّ قتل النفس مِنْ أكبر الكبائر؛ صار ذلك صارفاً له عن القتل، فإذا سهَّلت عليه نفسه هذا الفعل؛ فعله بغير كلفة. وقرئ: (فطاوعت له نفسه). ﴿قَتْلَ أَخِيهِ﴾ أي: هابيل. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: خسر دنياه، وآخرته، أمَّا دنياه؛ فأسخط والديه، وبقي بلا أخ، وأمَّا آخرته فأسخط ربَّه، وصار إلى النَّار. وانظر (الخسران) في الآية رقم [١١٩] من سورة (النِّساء).

قال ابن جريج: لمَّا قصد قابيل قتل هابيل، فلم يدر كيف يقتُله؟ فتمثَّل له إبليس، وقد أخذ طيراً، فوضع رأسه على حجر، ثمَّ رضخه بحجرٍ آخر، وقابيل ينظر، فعلَّمه القتل، فرضخ قابيل رأس هابيل بين حجرين؛ وهو نائم مستسلم صابر، وقيل: بل اغتاله؛ وهو نائم فقتله، وكان ابن عشرين سنة، واختلف في المكان اختلافاً كثيراً، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٧] واعتمده.

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمَاً إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**». أخرجه السِّتَّة ما عدا أبا داود، ثمَّ إنَّه هرب إلى أرض عدن مِنَ اليمن، فأتاه إبليس، وقال له: إنَّما أكَلَتِ النَّارُ قربان أخيك؛ لأنَّه كان يعبدها، فانصب أنت ناراً تكون لك، ولعقبك، فبنى بيت نار، فهو أول مَنْ عبد النَّار فيما قيل، والله أعلم.

وروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه لمَّا قتل قابيل هابيل، وآدم بمكَّة؛ اشتاك الشَّجر، وتغيَّرت الأطعمة، وحمضت الفواكه، وملحت المياه، واغبرَّتِ الأرض، فقال آدم ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة وألف سلام ـ: قد حدث في الأرض حدثٌ، فأتى الهند؛ فإذا قابيل قد قتل هابيل، وروي: أنَّه لما تغيَّرت الحال؛ قال: [الوافر]

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ ... وَقَلَّ بَشَاشَةً الْوَجْهُ الْمَلِيحُ

ويروى عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه قال: مَنْ قال: إنَّ آدم قال شعراً؛ فقد كذب، وإن محمَّداً ﷺ والأنبياء كلّهم في النهي سواء. يروى: أنَّ إبليس أخزاه الله جاء إلى

حواء مسرعاً، فقال لها: يا حواء! إنَّ قابيل قتل هابيل، فقالت: ويحك! وأيُّ شيءٍ يكون القتل؟ قال: لا يأكل، ولا يشرب، ولا يتحرك. قالت: ذلك الموت؟ قال: فهو الموت، فجعلت تصيح حتى دخل عليها آدم، وهي تصيح، فقال: ما لكِ؟ فلم تُكَلِّمه، ورجع إليها مرَّتين، فلم تكلِّمه، فقال: عليكِ الصَّيحة وعلى بناتك، وأنا وَبَنِيَّ منها براء.

ولمَّا مضى من عمر آدم مئة وثلاثون سنة، وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين. وقيل: بخمسين سنة، ولدت حواء له «شيثاً»، وتفسيره: هبة الله، أي: خلفاً مِنْ «هابيل» فأنزل الله عليه خمسين صحيفة، وصار وصيَّ آدم، ووليَّ عهده، والصَّحائف فيها أحكام، وعظات، وتبيين عبادات.

الإعراب: ﴿فَطَوَّعَتْ﴾: الفاء: حرف عطف. (طوعت): فعل ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محلَّ له. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بما قبلهما. ﴿نَفْسُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿قَتْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه من الأسماء الخمسة، والإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَقَتَلَهُۥ﴾: فعل ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى «قابيل» والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها. (أصبح): فعل ماض ناقص، واسمه يعود إلى «قابيل» تقديره: هو. ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (أصبح) والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يحفر الأرض بمنقاره، ورجليه. ﴿لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى﴾: يدفن. ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾: جسده الميت، فإنَّه يستقبح أن يرى مكشوفاً متروكاً في العراء. ﴿قَالَ﴾: أي: قابيل. ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ﴾: كلمة تحسر، وتلهُّف، تقال عند وقوع الدَّاهية العظيمة. قال الزجاج: أصلها: يا ويلتي: فأبدل من الياء ألفاً؛ لأنَّها أخف من الياء، والكسرة. هذا؛ ويقرأ فيها وفي مثلها بالياء على الأصل. قال البيضاوي: أصله في الشرِّ، فأطلق على كل أمر فظيع، وجاءت في سورة (هود) رقم [٧٢] للتعجُّب. ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ﴾ يعني: مثل هذا الغراب الذي وارى الغراب الآخر في الحفرة؛ الَّتي حفرها. ﴿فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى﴾: أي: فأستر جثَّته، وعورته عَنِ الأعين.

﴿فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: يعني: على حمله، لا على قتله. وقيل: إنَّه ندم على قتل أخيه؛ لأنَّه لم ينتفع بقتله، وسخط عليه أبواه، وإخوته، فندم لأجل ذلك، لا لأجل أنَّه جنى جناية، واقترف ذنباً عظيماً بقتله، فلم يكن ندمه ندم توبة، وخوفٍ، وإشفاق مِنْ قَتْلِهِ، فلأجل ذلك لم ينفعه الندم. هذا؛ والغراب طائر أسود يتشاءم النَّاس به. ويجمع على: أغرب، وغرب، وأغربة، وجمع الجمع: غربان.

خاتمة: قال أصحاب الأخبار: لمَّا قتل قابيل أخاه هابيل؛ تركه بالعراء، ولم يدرِ ما يصنع به؛ لأنَّه أول ميت من بني آدم، فقصدته السِّباع لتأكله، فحمله على ظهره في جراب؛ حتى أنتن، فبعث الله غُرَابَيْنِ، فاقتتلا؛ حتى قتل أحدهما الآخر، فحفر بمنقاره، ورجليه حفيرة، ثم ألقاه فيها، وواراه التراب، وقابيل ينظر، فلمَّا رأى ذلك من فعل الغراب؛ قال: يا ويلتى. . .إلخ: فأصبح من النادمين على حمله، لا على قتله، فلم يكن ندمه ندم توبة وخوف من فعله، فلأجل هذا لم ينفعه الندم.

وأمَّا قابيل؛ فذهب طريداً شريداً، وأخذ بيد أخته إقليما، وهرب بها إلى أرض اليمن كما قدَّمته، وعبد النَّار، وفعلت ذريته مِنْ بعده الفواحش، والمُنكرات حتى أغرقهم الله جميعاً بالطُّوفان في زمن نوح، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، فلم يبقَ من ذرية قابيل أحد، وأبقى الله ذرية شيث، ونسله إلى يوم القيامة.

ولمَّا مات قابيل؛ علقت إحدى رجليه بفخذه، وعلق بها، فهو معلق بها إلى يوم القيامة، وجهه إلى الشمس حيث دارت، وعليه حظيرة من نارٍ في الصَّيف، وخطيرة من ثلج في الشتاء، فهو يعذب بذلك إلى يوم القيامة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَبَعَثَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (بعث الله غراباً): ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿يَبۡحَثُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿غُرَابٗا﴾. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿غُرَابٗا﴾. ﴿لِيُرِيَهُۥ﴾: اللام: حرف جر وتعليل. (يريه): مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾ على المعتمد، وقيل: إلى (الغراب)، والهاء مفعول به أول، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبله: (بعث)، ويكون الفاعل عائداً إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، أو بالفعل: ﴿يَبۡحَثُ﴾ فيكون الفاعل عائداً إلى: (الغراب). ﴿كَيۡفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من فاعل: ﴿يُوَٰرِي﴾ بعده، الذي هو فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى «قابيل». ﴿سَوۡءَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف. و﴿أَخِيهِۚ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿كَيۡفَ يُوَٰرِي...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به ثان للفعل: (يُرِيَ).

﴿قَالَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى «قابيل». ﴿يَوَيْلَتَىٰٓ﴾: (يا): حرف نداء، وندبة ينوب مناب: أدعو. (ويلتى): منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، والمنقلبة ألفاً في الندبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة. وأصل النداء أن يكون لِمَنْ يعقل، وقد ينادى ما لا يعقل مجازاً، والمعنى: أيها الويل احضر، فهذا أوان حضورك. ﴿أَعَجَزْتُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (عجزت): فعل، وفاعل. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَكُونَ﴾: فعل مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿أَنْ﴾، واسمه مستتر تقديره: أنا. ﴿مِثْلَ﴾: خبر ﴿أَكُونَ﴾ و﴿مِثْلَ﴾: مضاف، واسم الإشارة: ﴿هَٰذَا﴾ مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محلَّ له، أو عطف بيان له، وبعضهم يعتبره نعتاً له، و﴿أَنْ﴾ و﴿أَكُونَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هو منصوب بنزع الخافض.

﴿فَأُوَٰرِيَ﴾: الفاء: حرف عطف. (أواري): معطوف على: (أكون) منصوب مثله، وقيل: الفاء للسببية، والفعل منصوب بـ: «أن» مضمرة بعدها، ولا وجه له، والفاعل مستتر تقديره: أنا. ﴿سَوْءَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَخِيۖ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والكلام: ﴿يَوَيْلَتَىٰٓ...﴾ إلخ كلُّه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾: انظر مثلها في الآية السابقة، وهي معطوفة على جملة: (بعث الله...) إلخ. أو هي مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: المناسبة بين هذه الآية وبين ما تقدَّم تتجلَّى فيما يلي: إنَّ اليهود مع علمهم بهذه المبالغة العظيمة في الزَّجر عن قتل النَّفس؛ أقدموا على قتل الأنبياء، والرُّسل، وذلك يدلُّ على قساوة قلوبهم، وبعدهم عن الله، عزَّ وجل. ولـمَّا كان الغرض من ذكر هذه القصَّة ـ أي: المتقدمة ـ تسلية النَّبيِّ ﷺ على ما أقدم عليه اليهود مِنَ الفتك به، وبأصحابه؛ فتخصيص بني إسرائيل بالذِّكر في هذه الآية مناسبٌ للكلام السَّابق، وتوكيد للمقصود. والله أعلم. انتهى. خازن. بتصرف.

﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾: أي: من أجل قتل ابن آدم أخاه ظلماً، وعدواناً، وبسبب جنايته عليه. ﴿كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: شرعنا لهم، وفرضنا عليهم، وأعلمناهم، وتخصيص بني إسرائيل بالذِّكر، وقد تقدَّمتهم أممٌ قبلهم؛ كان قتل النفس فيهم محظوراً؛ لأنَّهم أوَّل أمَّة نزل الوعيد عليهم في قتل النَّفس مكتوباً في التَّوراة، وكان قبل ذلك قولاً مطلقاً، فغلَّظ الأمر عليهم بحسب طغيانهم، وسفكهم الدِّماء.

﴿أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ...﴾ إلخ: أي: مَنْ قتل نفساً بغير سببٍ مِنْ قصاصٍ، أو فسادٍ في الأرض، واستحلَّ قتلها بلا سببٍ، ولا جنايةٍ فكأنَّما قتل الناس جميعاً. وفي تأويل ذلك أقوالٌ كثيرة، فروي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه قال: المعنى: مَنْ قتل نبيَّاً، أو إمام عدلٍ، فكأنَّما قتل الناس جميعاً، ومن أحياه بأن شدَّ عَضُدَه، ونصره؛ فكأنَّما أحيا الناس جميعاً. وعنه أيضاً: أنَّه قال: المعنى: مَنْ قتل نفساً واحدةً، وانتهك حُرْمتها، فهو مثل مَنْ قتل الناس جميعاً. ومن ترك نفساً واحدةً، وصان حُرْمَتها، واستحياها خوفاً من الله؛ فهو كمن أحيا النَّاس جميعاً. وبالجملة: فقد حرَّم الله القتل في جميع الشرائع إلا بثلاثِ خصال: كفرٌ بعد إيمان، أو زنىً بعد إحصان، أو قتل نفسٍ بظلم، وعدوان. وهذا صريح قول الرسول ﷺ: «**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّاني، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِه، الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**». أخرجه الخمسة ما عدا ابن ماجه عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه.

قال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ: مَنِ استحلَّ دم مسلم؛ فكأنَّما استحلَّ دماء الناس جميعاً، وَمَنْ حَرَّمَ دم مسلم؛ فكأنَّما حرَّم دِماء الناس جميعاً. والأقوال في ذلك كثيرةٌ، وأكتفي بهذا. هذا؛ و«الإحياء» يكون بسبب عفوٍ، أو منعٍ مِنْ قتلٍ، أو استنقاذٍ من بعض أسباب الهلكة، كغرقٍ، وحرقٍ. . . إلخ؛ فكأنَّما فعل ذلك بالناس جميعاً، والمقصود تهويل أمر القتل، وتفخيم شأن الإحياء. هذا؛ وبين: ﴿قَتَلَ﴾ و﴿أَحْيَا﴾ طباقٌ وهو من المحسِّنات البديعيَّة.

﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أي: بالبراهين السَّاطعة، والحُجج الدَّامغة، والدَّلائل الواضحة. ﴿ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ أي: من اليهود. ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: أي: بَعْدَ مجيء الرُّسل. ﴿فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾: متجاوزون حدود الله . وإنَّما قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم﴾ لأنَّه تعالى علم أنَّ منهم مَنْ يؤمن بالله ورسوله، وهم قليلٌ مِنْ كثيرٍ، كعبد الله بن سلام، وأصحابه. وفيه تقريعٌ لهم، وتوبيخٌ على ارتكابهم المحارم بعد عِلْمِهم بها، وما أكثر ما وبَّخهم الله، وقرَّعهم على فسادهم. وَمَنْ قرأ القرآن وتدبَّر معانيه؛ يجد ذلك في كثيرٍ مِنْ سُوَرِهِ.

بعد هذا: بَيْنَ ﴿قَتَلَ﴾ و﴿أَحْيَا﴾ طباقٌ، وهو مِنَ المُحسنات البديعية. وفي قوله تعالى: ﴿أَحْيَاهَا﴾ استعارة؛ لأنَّ المراد استبقاها حيَّةً، ولم يتعرَّض لقتلها، وإحياء النفس بعد موتها لا يقدر عليه إلا الله تعالى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ وقوله تعالى: ﴿كَتَبْنَا﴾ فإنَّه يكثر التعبير بمثل هذا في القرآن الكريم، قال ابن تيميَّة ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح): وقوله تعالى: (جعلنا) (أعطينا) (إنا) (نحن) (نقص) و(نعطي) لفظٌ يقع في جميع اللُّغات على مَنْ كان له شركاء، وعلى الواحد العظيم المُطاع، الَّذي له أعوان يُطيعونه؛ وإن لم يكن له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خَلَق ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنودُه، فإذا كان الواحد مِن المُلوك يقول: إنَّا، نحن، وفعلنا، وضربنا... إلخ، ولا يريدون أنَّهم ثلاثة ملوك، فمالكُ المُلك ربُّ العالمين، وربُّ كلِّ شيء، ومليكه هو أحقُّ أن يقول: إنَّا، نحن... إلخ مع أنَّه ليس له شريكٌ، ولا مِثلٌ، بل له جنود السَّموات، والأرض. انتهى.

أقول: و(نا) هذه تُسَمَّى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، فالله تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلَّم بها العبد، فيقول: أخذنا، وأعطينا، وليس معه أحدٌ، وهذا مستعملٌ، وواقع.

الإعراب: ﴿مِنْ أَجْلِ﴾: متعلِّقان بالفعل بعدهما، وقيل: متعلِّقان بـ: ﴿ٱلنَّـٰدِمِينَ﴾ وهو ضعيف، و﴿أَجْلِ﴾: مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السُّكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿كَتَبْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفةٌ إعراباً، ومتَّصلةٌ بما قبلها معنىً، كما ذكرته في الشَّرح. ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بما قبلهما، وعلامة جرِّه الياء نيابةً عن الكسرة؛ لأنَّه ملحقٌ بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصَّرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه، وهو ضمير الشأن. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السُّكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَتَلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾ تقديره: هو. ﴿نَفْسًۢا﴾: مفعول به. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعله المستتر، و(غير) مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿فَسَادٍ﴾: معطوف على ﴿نَفْسٍ﴾: التقدير: غير فسادٍ، وقرئ بالنَّصب على أنَّه مفعول به لفعل محذوف، التقدير: أو عمل فساداً. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿فَسَادٍ﴾، وهما متعلقان به؛ لأنَّه مصدر. ﴿فَكَأَنَّمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشَّرط. (كأنَّما): كافة، ومكفوفة. ﴿قَتَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من ﴿ٱلنَّاسَ﴾، وجملة: ﴿فَكَأَنَّمَا...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدُّسُوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ، الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه، كما ذكرته لك مراراً. هذا، وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً؛ فهي مبتدأ والجملة

الفعلية بعدها صلتها، وجملة (كأنَّما. . .إلخ) في محل رفع خبره، ودخلت الفاء في الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿كَتَبْنَا﴾.

﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾: إعراب هذا الكلام مثل سابقه بلا فارق، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر إعراب هذه الكلمة في الآية رقم [١٢]. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿رُسُلُنَا﴾: فاعله. و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب القسم، لا محلَّ لها، والقسم وجوابه كلامٌ مستأنفٌ لا محلَّ له.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿مِّنْهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلِّق بـ: (مسرفون) بعده، وهو مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: مضاف إليه. . .إلخ. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بـ: (مسرفون) أيضاً. ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (مسرفون) خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمَّة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ كَثِيرًا...﴾ إلخ معطوفة على الجملة القسمية، لا محلَّ لها مثلها.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣)﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ أي: يحاربون شريعة الله، ودينه، وأولياءه، وهم المؤمنون، فهو على حذف المضاف، وفي الحديث القدسي: «**مَنْ أهَانَ لِي وَلِيّاً؛ فَقَدْ بَارَزَنِي بالمحاربة**». وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله تَعَالَى يَقُولُ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ**». أخرجه البخاريُّ، رحمه الله تعالى. ومنه قول الرسول ﷺ: «**مَنْ آذَى جَارَه؛ فَقَدْ آذَانِي، ومَنْ آذَانِي؛ فَقَدْ آذَى الله، وَمَنْ حَارَبَ جَارَهُ؛ فَقَدْ حَارَبَنِي، وَمَنْ حَارَبَنِي؛ فَقَدْ حَارَبَ الله**». رواه ابن حبان عن أنس ـ رضي الله عنه ـ.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي: بالقتل، وأخذ أموال الناس، وقطع الطريق، وإخافة الناس. ﴿أَن يُقَتَّلُوٓا۟...﴾ إلخ: فالقتل لِمَنْ قتل فقط. والصَّلب لِمَنْ قتل، وأخذ المال. والقطع لِمَنْ أخذ المال، ولم يقتل. والنفي لِمَنْ أخاف النَّاس فقط. والقطع مِنْ خلاف: أي: تقطع

أيديهم اليمنى، وأرجلهم اليسرى. والنَّفي: هو الإبعاد من بلدٍ إلى آخر، بحيث لا يُمَكَّنون من القَرار في موضع، والمقصود من ذلك الإيحاش، والبعد عن الأهل، والوطن، فإذا عيَّن الحاكم المسلم جهةً؛ فليس للمنفي طلب غيرها، وفسَّره أبو حنيفة، ومالك بالحَبْس، فَيُنْفَى مِنْ سَعَةِ الدُّنيا إلى ضيقها، فصار كأنَّه إذا سُجِنَ؛ فقد نُفي من الأرض إلَّا مِنْ موضعِ استقراره، واحتجوا بقول بعض أهل السجون في ذلك: [الطويل]

خَرَجْنَا مِنَ الدُّنْيَا وَنَحْنُ مِن أَهْلِهَا ... فَلَسْنَا مِنَ الأمْوَاتِ فِيْهَا وَلَا الأَحْيَا

إذَا جَاءَنَا السَّجَّانُ يَوْماً لِحَاجَةٍ ... عَجِبْنَا وَقُلْنَا جَاءَ هَذَا مِنَ الدُّنْيَا

حكى مكحول ـ رحمه الله تعالى ـ: أنَّ عمر ـ رضي الله عنه ـ أوَّل مَنْ حبس في السُّجون، وقال: أحبسه؛ حتى أعلم منه التَّوبة، ولا أنفيه من بلدٍ إلى بلد، فيؤذيهم. والظاهر: أنَّ الأرض في الآية هي أرض النَّازلة، وقد تجنَّب الناس قديماً الأرض التي أصابوا فيها الذُّنوب، ومنه حديث الذي قتل تسعاً وتسعين.

﴿أَوْ﴾: في الآية الكريمة للتقسيم، والتنويع، والترتيب، وقيل: إنَّها للتَّخيير، فالإمام مخيَّر بين هذه الأمور، والمعتمد الأوَّل. ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الجزاء المذكور بأنواعه. ﴿لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا﴾: لهم ذلٌّ، وهوانٌ، وفضيحةٌ، ونَكالٌ في هذه الحياة الدنيا مع ما ادَّخر الله لهم من العذاب الأليم في الآخرة، وهذا يؤيد قول مَنْ قال: إنَّها نزلت في المشركين، فأمَّا أهل الإسلام؛ ففي صحيح مسلم عن عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ قال: «**أخذ علينا رسول الله ﷺ كما أخذ على النِّساء: ألَّا نشركَ بالله شيئاً، ولا نسرقَ، ولا نزني، ولا نقتلَ، ولا يعضهَ بعضُنا بعضاً ـ يرمي غيره بالإفك، والكذب، والبهتان ـ قال: فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ؛ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، فَعُوقِبَ؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ سَتَرَهُ الله ؛ فَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وإنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**».

وعن عليٍّ ـ كرَّم اللهُ وجهه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصَابَ فِي الدُّنيا ذَنباً، فَعُوقِبَ بِهِ؛ فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّي عقوبتَهُ على عبدِهِ، وَمَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً في الدُّنْيَا، فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ؛ فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ**». رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه برقم [٢٦٠٤].

وقال ابن جرير: ﴿وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أي: إذا لم يتوبوا مِنْ فعلهم ذلك حتى هلكوا، فلهم في الآخرة مع الجزاء الَّذي جازيتهم به في الدنيا، والعقوبة التي فرضتها عليهم عذابٌ عظيم في الآخرة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في ثمانية أشخاص مِنْ قبيلتي عُكَلَ، وعُرَيْنَةَ، قدموا المدينة المنورة، وأظهروا الإسلام نفاقاً، فأقاموا فيها أياماً، فمرضوا؛ لأنَّ المدينة لا تقبل من كان في

قلبه دخن، بل تنفيه، فشكوْا إلى رسول الله ﷺ: فرخَّص لهم أن يأتوا إبل الصَّدقة، فشربوا من ألبانها، وأبوالها، ولمَّا صحُّوا، وشُفُوا؛ قتلوا راعيَ الإبل، واستاقوا الإبل، وكانت خمسة عشر بعيراً، وكان الرَّاعي عبداً لرسول الله ﷺ، واسمه: يسار، وكان نوبيًّا، فأرسل الرَّسول ﷺ في طلبهم عشرين فارساً، أميرهم كُرْزُ بن جابر الفهري ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ، فأدركوهم، وأتوا بهم إلى رسول الله ﷺ، فأمر بهم فسُمِرَت أعينُهم، وقُطِعَتْ أيديهم، وأرجلُهم، وتركوا في الحرَّة يعضون الحجارة مِنْ شدَّة العطش، ويستسقون، فلا يُسْقون حتَّى ماتوا، وسمر الأعين معناه: أنَّه أحمى مسامير الحديد، وكحل بها أعينهم؛ حتَّى ذهب ضوءُها، وهذا الفعل وإن كان من قبيل المثلة المحرَّمة، لكن فعله النبي ﷺ إمَّا قبل التحريم، أو لأنَّهم فعلوا بالرَّاعي مثل هذا الفعل.

تنبيه: خصوص السبب لا يمنع تعميم الحكم. فالحكم باقٍ إلى يوم القيامة، فكلٌّ من آذى المسلمين بقتلٍ، أو سلبِ مالٍ، أو إخافةٍ يستحق العقوبة الَّتي قرَّرتها الآية الكريمة، ويُطلق على مَنْ يفعل ذلك اسم: البغاة، وهذا الحكم ممَّا اختصت به سورة (المائدة) فلم يُذكر في غيرها.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر بالإضافة. ﴿يُحَارِبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على لفظ الجلالة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها. ﴿فَسَادًا﴾: مفعول لأجله، وقيل: هو مصدر وقع موقع الحال بمعنى: يفسدون، أو ذوي فساد، أو هو مفعول مطلق، عامله الفعل قبله؛ لأنَّه بمعنى: يفسدون، و«فساد» اسم مصدر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يُقَتَّلُوٓاْ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، وما بعده معطوف عليه، وقد قرئ بتخفيف الأفعال الثلاثة، والمصدر المؤوَّل من الفعل، وناصبه في محلِّ رفع خبر المبتدأ، الذي هو: ﴿جَزَٰٓؤُاْ﴾ فهو إخبارٌ بمصدرٍ عن مصدر، التقدير: إنَّما جزاء. . .إلخ التقتيلُ، والجملة الاسمية مستأنفةٌ، أو مبتدأة، لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: نائب فاعل لـ: ﴿تُقَطَّعَ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على الياء للثقل. ﴿وَأَرْجُلُهُم﴾: معطوف على ما قبله، والهاء فيها في محلِّ جرٍّ بالإضافة. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾، بمعنى: مختلفة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يُنفَوْاْ﴾: فعل مضارع معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان به، وحذفت الصِّفة، التقدير: من الأرض التي يريدون الإقامة فيها.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿خِزْىٌ﴾: مبتدأ مؤخَّر،

والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿فِي ٱلدُّنۡيَاۖ﴾: متعلقان بـ: ﴿خِزۡيٞ﴾ أو بمحذوف صفة له، ويجوز أن يكون: ﴿خِزۡيٞ﴾ خبراً لـ: ﴿ذَٰلِكَ﴾. و﴿وَلَهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿خِزۡيٞ﴾ كان صفة له، فلمَّا قدِّم عليه صار حالاً، ويجوز أن يكون: ﴿لَهُمۡ﴾ خبراً لـ: ﴿ذَٰلِكَ﴾. و﴿خِزۡيٞ﴾: فاعل بالجار والمجرور لاعتمادهما على المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَلَهُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان مقدَّم، أو هما متعلِّقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلِّقان بمحذوف حال من الضَّمير المستتر في الخبر المحذوف، وتعليقهما بمحذوف حال من: ﴿عَذَابٌ﴾ لا يجيزه كثير من النَّحويين. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿عَظِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٤﴾

الشرح: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ أي: من المحاربين، والقطَّاع. ومعنى توبتهم: رجوعهم إلى حوزة المسلمين، وتسليم أسلحتهم، واعترافهم بأنَّ خروجهم كان خطأً، وجهلاً. ﴿مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ﴾: وهذا قيدٌ لقبول توبتهم، وهذا في حقِّ الله تعالى أيضاً، وأمَّا حقُّ العباد؛ فلا يسقط بتوبتهم، ولو كانت قبل القُدرة عليهم، فإن قتلوا نفساً، أو سلبوا مالاً؛ فلا بدَّ من القصاص منهم؛ وأن ردُّوا المال لصاحبه، كما أنَّه لا تنفعهم توبتُهم بعد القدرة عليهم، وهذا كلُّه في حقِّ المسلمين إذا خرجوا عن طاعة الحاكم المسلم العادل، وأمَّا الكفار؛ فتقبل توبتهم قبل القدرة عليهم، وبعدها؛ حتى في حقِّ العباد ما لم يظهر لنا منهم خداع بعد القدرة عليهم. ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ﴾: اعتقدوا، وتيقنوا. ﴿غَفُورٞ﴾أي: للمحاربين، والقطاع إذا تابوا قبل القدرة عليهم، وهذا في حق الله تعالى، كما قدَّمت. و﴿غَفُورٞ﴾: صيغة مبالغة، و﴿رَّحِيمٞ﴾: مثله.

هذا وقال قوم من الصحابة، والتابعين: لا يطالب مِنَ المال إلا بما وجد عنده، وأمَّا ما استهلكه؛ فلا يطالب به، وهذا مذهب مالك، والأوزاعي غير أنَّ مالكاً ـ رحمه الله تعالى ـ قال: يؤخذ بالدَّم إذا طالب به وليُّه، فأمَّا ما أصاب من الدِّماء، والأموال، ولم يطلبها أولياؤها، فلا يتبعه الإمام بشيءٍ مِنْ ذلك، وهذا حكم عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بحارثة بن بدر الفداني، فإنَّه كان محارباً، ثمَّ تاب قبل القدرة عليه، فكتب له عليٌّ ـ كرَّم الله وجهه ـ بسقوط الأموال، والدَّم عنه كتاباً منشوراً.

وكذلك جاء رجلٌ مِنْ مراد إلى أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ وهو على الكوفة في خلافة عثمان ـ رضي الله عنه ـ بعدما صلَّى المكتوبة، فقال: يا أبا موسى! هذا مقام العائذ بك،

أنا فلان بن فلان المُرادي، كنت قد حاربت الله، ورسوله، وسعيت في الأرض فساداً، وإنِّي تُبْتُ من قبل أن يُقْدَر عليَّ. فقام أبو موسى، فقال: هذا فلان المُراديُّ، وإنَّه كان حارب الله، ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، وإنَّه قد تاب من قبل أن يُقْدَر عليه، فلا يتعرَّض له أحدٌ إلا بخير. وروى ابن جرير: أنَّ عليّاً الأسديَّ حارب، وأخاف السَّبيل، وأصاب الدَّم، والمال، فطلبه الأئمة، والعامَّة، فامتنع، ولم يقدروا عليه؛ حتَّى جاء تائباً، وذلك: أنَّه سمع رجلاً يقرأ قوله تعالى في سورة الزُّمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟...﴾ إلخ، فوقف عليه، فقال: يا عبد الله! أعد قراءتها، فأعادها عليه، فغمد سيفه، ثمَّ جاء تائباً؛ حتى قدم المدينة من السَّحَر، فاغتسل، ثمَّ أتى مسجد رسول الله ﷺ، فصلَّى الصُّبح، ثمَّ قعد إلى أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ في أغمار أصحابه، فلمَّا أسفروا؛ عَرَفه الناس، فقاموا إليه، فقال: لا سبيل لكم عليَّ جئت تائباً مِنْ قبل أن تقدِرُوا عليَّ! فقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: صدق، وأخذ بيده؛ حتى أتى مروان بن الحكم، وهو أمير المدينة في زمن معاوية، فقال: هذا جاء تائباً، ولا سبيل لكم عليه، فتُرِك وشأنَه. ثمَّ إنَّه خرج مجاهداً في سبيل الله في البحر، فغرق فيه ـ رضي الله عنه ـ. وخذ ما يلي:

قال العلماء: يُنَاشَدُ اللِّصُّ بالله تعالى، فإن كفَّ؛ تُرك، وإن أبى؛ قُوتل، فإنْ قُتِل؛ فشرُّ قتيل، ودمُه هدرٌ. روى النَّسائي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله! أرأيت إن عُدِيَ على مالي؟ قال: «**فَانْشُدْ بالله**» قال: فإنْ أَبَوْا عَليَّ؟ قال: «**فَانْشُدْ بالله**» قال: فإنْ أَبَوْا عليَّ؟ قال: «**فَانْشُدْ بالله**» قال: فإنْ أَبَوْا عَلَيَّ؟ قال: «**فَقَاتِلْ، فَإِنْ قُتِلْتَ؛ فَفِي الْجَنَّةِ، وَإِنْ قَتَلْتَ؛ فَفِي النَّارِ**». وأخرجه البخاريُّ، ومسلمٌ، وليس فيه ذكر المُناشدة. وذكرت لك مراراً عند الكلام على الشَّهادة: أنَّ مَنْ قُتِل دون ماله فهو شهيدٌ.

الإعراب: ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب على الاستثناء من: ﴿ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾، وهذا بالطبع أخص من المتقدِّم ليصح الاستثناء. وقيل: هو في محل رفع مبتدأ. ﴿تَابُوا۟﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِن قَبْلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ في محل جر بالإضافة، أي: من قبل القُدرة عليهم. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟﴾: الفاء: حرف استئناف، أو هي زائدة في خبر المبتدأ. (اعلموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبران لـ: (إنَّ) والمصدر المؤول منها، واسمها، وخبرها في محل نصب سدَّ مسد مفعولي: (اعلموا)، والجملة الفعلية مستأنفة على الاعتبار الأول في الموصول، وفي محل رفع خبره على الاعتبار الثاني فيه، وعليه؛ فالرابط محذوف، التقدير: غفور لهم رحيم بهم، ومضمون الجملة الاسمية: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ في محل نصب على الاستثناء من الكلام السابق، واعتبار الموصول مستثنىً مِنَ الكلام

السابق يجعل الجملة الفعلية: (اعلموا...) إلخ غير مرتبطة بما قبلها إعراباً مع كونها مرتبطةً بها معنىً، وقد تقدَّم نظائر لها كثيرة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: أصل الفعل: اوْتَقيُوا، قلبت الواو تاء، وأدغمت بالتَّاء، وحذفت الضمَّة التي على الياء، فالتقى ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء، فصار (اتَّقَوْا) ثم قلبت الفتحة ضمة لمناسبة الواو. هذا؛ و(التَّقوى): حفظ النفس من العذاب الأخروي بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأنَّ أصل المادة من الوقاية، وهي الحفظ، والتَّحرُّز من المهالك في الدُّنيا، والآخرة.

﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾: اطلبوا إلى الله الوسيلة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: القربة، وقال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: أي: تقربوا إلى الله بطاعته، والعمل بما يرضيه، والوسيلة هي الَّتي يُتَوصَّل بها إلى تحصيل المقصود. قال عنترة: [الكامل]

إنَّ الرِّجالَ لَهُمْ إلَيْكِ وَسِيلَةٌ أَنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

والجمع: الوسائل، قال الشَّاعر: [الطويل]

إِذَا غَفِلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

هذا؛ و(الوسيلة): درجة في الجنَّة، وقد ثبت في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النداءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، والصَّلاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ، وَالْفَضِيْلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنه ـ: أنَّه سمع النبيَّ ﷺيقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ؛ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّه مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الْوَسِيْلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنَّسائي.

وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ؛ فَسَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ**» قيل: يا رسولَ الله ! وما الوسيلة؟ قال: «**أَعْلَى دَرَجَةٍ في الْجَنَّةِ، لا يَنَالُهَا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**». رواه أحمد، والترمذيُّ.

هذا؛ وعلى تفسير (الوسيلة) بطاعة الله، وما يرضيه، وترك السَّيِّئات، فيكون في الكلام استعارة، وهناك من يتوسَّل بالنبي ﷺ، وبالصَّالحين في طلب حاجاته من الله تعالى، ولا بأس به إن كان المتوسِّل من الصَّالحين، فيضم إلى توسُّله بصلاحه توسُّلَه بالنبيِّ العظيم، والأولياء المقرَّبين، وأمَّا إن كان المتوسِّل من الفاسدين المُفسدين؛ فلا ينفعه توسُّله بالنبيِّ ﷺ، أو غيره.

﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ أي: حاربوا أعداء الله بالسِّنان، واللِّسان، كما قال تعالى في سورة (التوبة) وفي سورة (التحريم): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ...﴾ إلخ. و«سبيل الله» دينه الَّذي ارتضاه للناس أجمعين، وانظر الآية رقم [١٦].

﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾: تسعدون بالخلود في جنَّته؛ لأنَّ الفلاح اسمٌ جامعٌ للخلاص مِنْ كلِّ مكروه، والفوز بكل محبوب، وأصل الفعل: تؤفلحون، حذفت منه الهمزة لثقلها، وانظر مثل هذا الترجِّي في الآية رقم [٦].

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [١]. ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، الأولى بالابتداء، والثانية بالإتباع. ﴿إِلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعليقهما بـ: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ بعدهما؛ لأنَّها بمعنى المتوسَّل به، أو بمحذوف حال من: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أي: الوسيلة كائنة إليه، وهذه الحال كانت صفة لـ: ﴿ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ فلما قدمت عليها؛ صارت حالاً، وجملة: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾: حرف مشبَّه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿تُفۡلِحُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليل للأمر لا محلَّ لها، وبعضهم يعتبرها في محل نصب حال، التقدير: حالة كونكم راجين الفلاح، ويمنع من الحال كون الجملة إنشائية؛ لأنَّ التَّرجي إنشاء.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٣٦﴾

الشرح: المعنى: إنَّ الكافر لو ملك الدنيا، ودنيا أخرى مثلها معها، ثمَّ فدا نفسه من العذاب يوم القيامة؛ لم يقبل منه ذلك الفداء. ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾. المقصود من هذا؛ أنَّ العذاب لازم للكفَّار، وأنَّه لا سبيل لهم إلى الخلاص منه بوجهٍ من الوجوه. وملكه الدنيا على سبيل الفرض، والتَّقدي. وأنَّى له الملك؟! وخذ ما يلي:

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لأهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا كُلُّهَا؛ أَلَسْتَ مُفْتَدِياً بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ**

أَيْسَرَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي، وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ، وَأُدْخِلَكَ الْجَنَّةَ، فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ». هذا لفظ مسلم، وفي رواية البخاري، قال: «**يُجَاءُ بِالْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: لقد سئلت ما هو أيسر من ذلك: أن لا تشرك بي. . .**».

وهذا يتعارض ظاهره مع قوله تعالى في سورة (الأعراف): ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ ويجاب بأنَّ آية (الأعراف) معناها: الخضوع، والتذلُّل، وما في الحديث معناه: الانقياد، والطاعة. وانظر الآية رقم [٩١] من سورة (آل عمران)، بعد هذا انظر (الكفر) في الآية رقم [١٣٦] من سورة (النساء)، أمَّا ﴿عَذَابِ﴾ فهو اسم مصدر لا مصدر؛ لأنَّ المصدر تعذيب؛ لأنَّه مِنْ: عذَّب يُعَذِّب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، ومثله: عطاء، ونبات، وسلام، مِنْ: أعطى، وأنبت، وسلَّم.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ نصب اسمها. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتَّفريق، والمتعلَّق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لَوْ﴾:حرف لِمَا كان سيقع لوقوع غيره. ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدَّم على اسمها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب اسم (أنَّ) مؤخَّر. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من (ما) مؤكدة لها، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر، وفيه قولان: أحدهما وهو قول سيبويه: أنَّه في محل رفع بالابتداء، وخبره محذوف التقدير. لو إيمانهم ثابت. والثاني وهو قول المبرد: أنَّه في محل رفع فاعل لفعل محذوف، التقدير: لو ثبت إيمانهم، وهو المرجَّح؛ لأنَّ (لو) لا يليها إلا فعل ظاهرٌ، أو مقدَّر، والفعل المقدَّر، وفاعله جملة فعلية، لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَمِثْلَهُ﴾: معطوف على (ما) منصوب مثله، وقيل: منصوب على المعيَّة، ولا وجه له، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلِّق بمحذوف حال مِنْ: (مثله) والهاء في محل جر بالإضافة.

﴿لِيَفْتَدُوا﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل المحذوف، الذي ستعرفه، وقيل: متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر، وهو: ﴿لَهُم﴾. ﴿بِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقد أفرد الضمير مع كونه عائداً على اثنين، وهما: ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و(مِثْلَهُ) إما لتلازمهما فهما في حكم شيءٍ واحد، وإمَّا لأنَّه حذف من الثاني لدلالة ما

في الأول عليه، وإمَّا لإجراء الضمير مجرى اسم الإشارة. وانظر مثله في الآية رقم [١٦]. ﴿مِنْ عَذَابِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿عَذَابِ﴾مضاف، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف إليه، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه.

﴿مَا﴾: نافية. ﴿تُقُبِّلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل مستتر تقديره: هو، يعود إلى: ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية جواب: ﴿لَوْ﴾ لا محلَّ لها من الإعراب. و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ ابتدائية أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها، واعتبارها حالاً من الضَّمير المجرور في: ﴿لَهُمْ﴾ غير مستبعد، ويكون الرابط: الواو، والضمير.

﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: في تفسير الآية وجهان: أحدهما: أنَّهم يقصدون الخروج من النَّار، ويطلبونه، ولكن لا يستطيعون ذلك. قيل: إذا حملهم لهب النار إلى فوق؛ طلبوا الخروج، فلا يقدرون عليه. والوجه الثاني: أنَّهم يتمنَّون الخروج مِنَ النَّارِ بقلوبهم. ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: ولهم عذاب دائم ثابتٌ، لا يزول عنهم، ولا ينتقل أبداً.

وعن طلق بن حبيب؛ قال: كنت مِنْ أَشَدِّ الناس تكذيباً بالشَّفاعة؛ حتى لقيت جابر بن عبد الله، ـ رضي الله عنهما ـ، فقرأت عليه كلَّ آية أقدر عليها يذكر فيها خلود أهل النَّار، فقال: يا طلق! أتراك أقرأ لكتاب الله، وأعلم بسنَّة رسول الله منِّي؟! إنَّ الَّذين قرأت هم أهلها، هم المشركون، ولكنْ هؤلاء قومٌ أصابوا ذنوباً، فعذِّبوا، ثمَّ أخرجوا منها. ثمَّ أهوى بيديه إلى أذنيه، فقال: صُمَّتا إن لم أكن سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا دَخَلُوا**». ونحن نقرأ كما قرأت. رواه ابن مردَويه.

الإعراب: ﴿يُرِيدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، واستقبال. ﴿يَخْرُجُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، ويقرأ بالبناء للمجهول، فيكون مِنَ الرُّباعي، والواو نائب فاعله، والمصدر المؤوَّل من الفعل، وناصبه في محلِّ نصب مفعول به، وجملة: ﴿يُرِيدُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿مِنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلِّقان بما قبلهما. ﴿وَمَا﴾: الواو:

واو الحال. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها. ﴿بِخَارِجِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (خارجين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلّاً، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (خارجين) والجملة الاسمية: ﴿وَمَا هُم...﴾ إلخ في محلِّ نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَلَهُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (لهم): جار، ومجرور متعلِّقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ. ﴿مُّقِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصبٍ حال مثلها.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: المناسبة: لمَّا ذكر الله تعالى أخذ الأموال بطريق السَّعي في الأرض، والفساد؛ ذكر حكم السَّارق مِنْ غير حرابٍ. هذا؛ وقدَّم الله السَّارق على السَّارقة هنا، وقدَّم الزانية على الزَّاني في سورة (النور)؛ لأنَّ الرَّجل على السَّرقة أجرأ، والزنى مِنَ المرأة أشنع، وأقبح، فناسب ذكر كلٍّ منهما المَقام. وقال ابن السائب: نزلت الآية في طُعمة بن أبيرق، الَّذي تقدَّمت قصته في سورة (النساء). وقال القرطبيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: بدأ الله في السَّارق هنا؛ لأنَّ حبَّ المال من الرِّجال أغلب، وشهوة الاستمتاع على النِّساء أغلب، بدأ بهما في الموضعين. هذا؛ وقطعت اليد لأنَّها آلة السَّرقة، ولم تقطع آلة الزنى تفادياً عن قطع النَّسل. هذا؛ والسارق هو الذي يأخذ المال من حرز مثله، وهذا بخلاف الأخذ جهراً، وعنوةً، وقهراً، فإنَّه تقدَّم حكمه في الآية رقم [٣٣].

هذا؛ والسَّارق الذي تقطع يده هو: البالغ، العاقل، العالم بتحريم السَّرقة. فلو كان حديث عهد بالإسلام، ولا يعلم: أنَّ السرقة حرام؛ فلا قطع عليه. والقطع يكون إذا كان المأخوذ ربع دينار، أو يساويه خفيةً؛ لقول النبي ﷺ: «**الْقَطْعُ فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِداً**». أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ. وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لَا تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ إِلَّا فِي رُبُعِ دِينَارٍ فَصَاعِداً**». أخرجاه في الصَّحيحين. والقطع يكون من الرُّسغ؛ لأنَّ النبي ﷺ أُتِيَ بسارق، فأمر بقطع يمينه منه، وإن كان يُطلق لفظ اليد على تمام العضو. والمراد بالأيدي: الأيمان.

﴿جَزَآءً﴾: مجازاةً، ومعاقبة، مِنَ: المجازاة، وهي: المكافأة على عملٍ ما، تكون في الخير، قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾، وتكون في الشرِّ، قال تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾؛ فقد أراد جزاء الشرِّ. والجزاء مِنْ جنس العمل، إنْ خيراً؛ فخيرٌ، وإن شرّاً فشرٌّ، والفعل منه ينصب مفعولين، تقول: جزى زيدٌ عمراً خيراً.

﴿نَكَالًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾: عقوبة مفروضة من الله على مَنِ اجترأ على أموال النَّاس بغير حقٍّ، فهي تنكل من اعتبر بها، أي: تمنعه مِنْ فعل المحرَّمات، وتجاوز حدود الله. والنَّكال: الزَّجر، والعقاب، والنِّكْلُ، والأنكال: القيود، وسمِّيت القيود أنكالاً؛ لأنَّها يُنَكَّل بها، أي: يمنع. والتنكيل: إصابة الأعداء بعقوبة تُنكِّل بهم مَنْ وراءهم؛ أي: تخوفهم، وتروِّعهم. قال تعالى في سورة (النَّازعات) في حقِّ فرعون اللَّعين: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾. وقال تعالى في حقِّ اليهود اللُّؤماء في سورة (البقرة) رقم [٦٦]: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾. والفعل: نَكَل به، يَنْكُل مِنْ باب: قتَلَ، نَكْلَةً قبيحةً: أصابه بنازلة. ونَكَّل بالتَّشديد مبالغةٌ.

﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ قوي في انتقامه ممَّن عصاه. ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما قضى، وحكم. قال الأصمعيُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: قرأت يوماً هذه الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾ وإلى جنبي أعرابيٌّ، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ سهواً، فقال الأعرابي: كلامُ مَنْ هذا؟ قلت: كلامُ الله، قال: ليس هذا بكلام الله! أعِدْ، فأعدت، وتنبَّهت، فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فقال: نعم هذا كلام الله، فقلت: أتقرأ القرآن؟ قال: لا. قلت: فمن أين علمت أنِّي أخطأتُ؟! فقال: يا هذا! عزَّ، فحكم، فقطع، ولو غفر، ورحم؛ لما قطع. ومثله يذكر في الآية رقم [١١٨] من هذه السورة الكريمة.

تنبيه: اعترض، ويعترض بعض الملحدين على الشَّريعة الغرَّاء في قطع يد السَّارق بالقليل مِنَ المال، ونظم أبو العلاء المعرِّي في ذلك شعراً، فقال: [البسيط]

يَدٌ بِخَمْسِ مِئينَ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ ... مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارِ؟
تَحَكُّمٌ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ ... وَأَنْ نَعُوذَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ

ولمَّا قال ذلك، واشتهر عنه، تطلَّبه الفقهاء، فهرب منهم، وقد أجابه النَّاس في ذلك، فكان جواب القاضي عبد الوهاب المالكي ـ رحمه الله ـ أن قال: لما كانت أمينة؛ كانت ثمينة، ولما خانت؛ هانت. ويروى: أنَّه أجابه شعراً بقوله: [البسيط]

عِزُّ الأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصَهَا ... ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي

بعد هذا أذكر: أنَّ بعض الغربيين، والملحدين من الشَّرقيين يعيبون على الشَّريعة الإسلامية قطع يد السارق، ويزعمون: أنَّ هذه العقوبة صارمةٌ، لا تليق بمجتمع متحضِّر، ويقولون: يكفي في عقوبة السَّارق السِّجن ردعاً له، وكان من أثر هذه الفلسفة المعوجَّة؛ التي لا تستند على نطق سليم أن زادت الجرائم، وكثرت العصابات، وأصبحت السُّجون غاصّة بالمجرمين، وقطَّاع الطَّريق، الذين يهدِّدون الأمن، والاستقرار، يسرق السَّارق، ويقتل القاتل، ويختلس المُختلس، وهو آمنٌ مطمئنٌّ لا يخشى شيئاً إلا ذلك السِّجن، الَّذي يُطْعَمُ فيه، ويُكْسَى، فيقضي مدَّة العقوبة، التي فرضها القانون الوضعي، ثمَّ يخرج منه إلى الإجرام أميل، وعلى الشرِّ أقدر، ولا سيما إذا

أعطى قسطاً للقضاء مِنَ المال الذي سرقه، ونهبه في هذا الزمن. يؤكِّد هذا ما نقرؤه، ونسمعه عن تعداد الجرائم، وزيادتها يوماً بعد يوم، وذلك لقصور العقل البشري عن الوصول إلى الدَّواء النَّاجع، والشِّفاء النافع لمعالجة هذه الأمراض الخطيرة، أمَّا الإسلام؛ فقد استطاع أن يقتلع الشَّرَّ من جذوره، ويدٌ واحدةٌ تُقْطَعُ كافيةٌ لردع المجرمين، انظر قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٧٩]: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ تجدْ ما يسرُّك، ويثلجُ صدرك.

تنبيه: قوله تعالى: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ المراد به: المثنَّى؛ لأنَّ المقصود يد السَّارق، ويد السَّارقة، وقد جمع المضاف في محل المثنَّى، وقد تكلَّم السُّيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ على هذه المسألة في كتابه: (همع الهوامع) الذي شرحت شواهده، وأعربتها، وأرجو من الله أن يمنَّ عليَّ بالتوفيق لطباعته، وها أنذا أنقل لك ما قاله بالحرف؛ لتكون على بينةٍ من أمرك.

قال رحمه الله تعالى: الأصل في كلام العرب دلالة كلِّ لفظ على ما وضع له، فيدل المفرد على المفرد، والمثنى على اثنين، والجمع على الجمع، وقد يخرج الكلام عن هذا الأصل، وذلك قسمان: مسموعٌ، ومقيس.

فالأول: ما ليس جزءاً ممَّا أضيف إليه. سُمِعَ: ضع في رحالهما. يريد في اثنين، ودیناركم مختلفة، أي: دنانيركم، وعيناه حسنةٌ، أي: حسنتان، وأورد أربعة أبيات شعرية شاهداً لذلك، قال: ومنه لَبَّيْكَ، وإخوته، فإنَّه مثنىً، وُضِعَ موضع الجمع، وقالوا: شابَتْ مفارقه، وليس له إلا مفرق واحد، وعظيم المناكب، وغليظ الحواجب، والوجنات، والمرافق، وعظيمة الأوراك، فكل هذا مسموعٌ، لا يُقاس عليه، وقاسه الكوفيُّون، وابن مالك إذا أُمِنَ اللَّبسُ، وهو ماشٍ على قاعدة الكوفيين مِنَ القياس على الشَّاذِّ، والنادر. قال أبو حيَّان: ولو قيس على شيء من هذا؛ لالتبست الدَّلالات، واختلطت الموضوعات.

والثاني: ما أضيف إلى متضمّنه، وهو مثنىً لفظاً، نحو قطعت رؤوسَ الكبشين، أي: رأسيهما، أو معنىً، نحو قول الشاعر: [الطويل]

رَأَيْتَ بَنِي الْبَكْرِيِّ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى ... كَفَاغِرِي الأَفْوَاهِ عِنْدَ عَرِينِ

فإنَّ مثل ذلك ورد فيه الجمع، والإفراد، والتثنية، فَمِنَ الأول قوله تعالى في سورة (التحريم): ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾، والآية الكريمة التي نحن بصدد شرحها. ومن الإفراد قراءة الحسن قوله تعالى في سورة (طه) رقم [١٢١] وفي ثلاث آيات من سورة (الأعراف): (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتُهُمَا) ومن التثنية قراءة مَنْ قرأ: (فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَتَاهُمَا)، وقراءة الجمهور من الأوَّل: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ فطرد ابن مالك قياس الجمع، والإفراد أيضاً لفهم المعنى، وخصَّ الجمهور القياس بالجمع، وقصروا الإفراد على ما سُمِع، وَوَرد، وإنَّما وافق

الجمهور على قياس الجمع كراهة اجتماع تثنيتين مع فهم المعنى، ولذلك شرط ألا يكون لكلٍّ واحدٍ من المضاف إليه إلا شيء واحد؛ لأنَّه إن كان له أكثر التبس، فلا يجوز في: قطعت أُذني الزَّيدين الإتيان بالجمع، ولا الإفراد للإلباس، وأورد ستَّة أبيات شعرية شاهداً لذلك.

فإن فُرِّق متضمناهما، كقوله تعالى في الآية رقم [٧٨] الآتية: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ...﴾ إلخ؛ فقال ابن مالك أيضاً بقياس الجمع، والإفراد، وخلافه أبو حيَّان؛ لأنَّ الجمع إنَّما قيس هناك كراهة اجتماع تثنيتين وقد زالت بتفريق المتضمنين قال: فالذي يقتضيه النظر الاقتصار على التثنية، وإن ورد جمع، أو إفراد اقتصر فيه على مورد السَّماع. قال: وأمّا الآية فليس المراد فيها باللسان الجارحة، بل المراد الكلام، أو الرسالة، فليس جزءاً مِنْ داود، ولا من عيسى عليهما السَّلام. انتهى.

أقول: ولم يذكر السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ أرجح الأوجه الثلاثة في الثاني، وهو ما أضيف إلى متضمنه، وهي جمع المضاف، وبقاء المضاف إليه على تثنيته، وإفراد المضاف، وبقاء المضاف إليه على تثنيته، وبقاء كلٍّ مِنَ المضاف، والمضاف إليه على تثنيته، فأرجحها الوجه الأول، وهذه لغة القرآن كما رأيت، وهو متَّفق على رجحانه عند جميع النُّحاة، واختلف في الوجهين الآخرين، فذهب ابن مالك إلى رجحان الثاني على الثالث، وذهب أبو حيان إلى العكس، ومنه قول الرَّسول ﷺ: «**إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ.. إلخ**» وقد أطلت عليك الكلام في ذلك بغية الإفادة، والله ولي التوفيق، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. وانظر الآية الآتية برقم [٧٨].

الإعراب: ﴿وَٱلسَّارِقُ﴾: الواو: حرف استئناف. (السارق): مبتدأ. ﴿وَٱلسَّارِقَةُ﴾: معطوف عليه. وفي الخبر وجهان: أحدهما: محذوف، وهو قول سيبويه، التقدير: فيما يتلى عليكم، أو فيما فرض عليكم حكم السارق، فقد حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وعند المبرِّد الخبر هو الجملة الفعلية: ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟...﴾ إلخ، وهو موافق للكوفيين في هذا، ودخلت الفاء في الخبر زائدة؛ لأنَّ الكلام في معنى الشرط، التقدير: الذي يسرق، والتي تسرق فاقطعوا... إلخ، ومثل هذه الآية قوله تعالى في الآية رقم [١٥] من سورة (النساء): ﴿وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَٰنِهَا...﴾ إلخ، وقوله تعالى في سورة (النور): ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟﴾ هذا؛ وقرئ: (السَّارِقَ والسَّارِقَةَ) بالنَّصب على إضمار فعلٍ يفسره المذكور بعده، وهو المختار في أمثاله؛ لأنَّ الخبر لا يكون إنشاءً إلا بإضمارٍ، وتأويل. ﴿فَٱقْطَعُوٓا۟﴾: الفاء: زائدة، أو للسببية المحضة. (اقطعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، أو هي مفسرة، أو هي مستأنفة على حسب أوجه الإعراب المتقدِّم. ﴿أَيْدِيَهُمَا﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿جَزَآءًۢ﴾: مفعول لأجله، أو هو

مفعول مطلق، عامله محذوف، التقدير: جازاهما جزاءً. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿جَزَآءً﴾ أو بمحذوف صفة له، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كَسَبَا﴾: فعل ماض مبني على الفتح، وألف الاثنين فاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيء كسباه. ﴿نَكَٰلًا﴾: مفعول لأجله أيضاً، وقيل: هو بدل مِنْ: ﴿جَزَآءً﴾. هذا وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤوَّل مع ما بعدها بمصدر في محل جرٍّ بالباء، التقدير: جزاء بكسبهما. (اللهُ): مبتدأ. ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾: خبران له، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ٣٩﴾

الشرح: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ﴾ أي: تاب بعد سرقته أموال الناس، وأناب إلى الله ؛ فإنَّ الله يتوب عليه فيما بينه، وبينه، فأمَّا أموال الناس؛ فلا بدَّ من ردِّها إليهم، أو بدلها عند الجمهور. وسمِّيت السَّرقة ظلماً لأمرين: الأوَّل: ظلم المسروق، والثاني: ظلم نفسه بالمعصية. ﴿وَأَصۡلَحَ﴾ أي: أصلح نفسه بالعمل، وردَّ المسروق لصاحبه. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾: يقبل توبته، فلا يعذبه في الآخرة، أمَّا القطع فلا يسقط عنه بالتَّوبة على المعتمد إلا إذا عفا عنه صاحب الْمَال قبل الرَّفع إلى الحاكم، فإنَّه يسقط عنه القطع. وعليه الشَّافعيُّ. وخذ ما يلي:

فقد روى الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ عن عبد الله بن عمرٍو ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ امرأة سرقت على عهد رسول الله ﷺ، فجاء بها الَّذين سرقتهم، فقالوا: يا رسول الله! إنَّ هذه المرأة سرقتنا. قال قومُها: فنحن نفديها. فقال رسول الله ﷺ: «**اقْطَعُوا يَدَهَا**» فقالوا: نحن نفديها بخمسمئة دينار، فقال: «**اقْطَعُوا يَدَهَا**» فقطعت يدُها اليمين، فقالت المرأة: هل لي من توبةٍ يا رسول الله؟! قال: «**نَعَمْ أَنْتِ الْيَوْمَ مِنْ خَطِيئَتِكِ كَيَوْمَ وَلَدَتْكِ أُمُّكِ**» فأنزل الله في سورة (المائدة): ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ...﴾ إلخ. وهذه المرأة هي المخزوميَّة الَّتي سرقت، وحديثها ثابت في الصَّحيحين، وخذه بما يلي:

عن عائشة ـ رضي الله عنها، وعن والديها ـ أنَّ قريشاً أهمَّهم شأن المخزوميَّة؛ الَّتي سرقتْ، فقالوا: مَنْ يُكلِّم فيها رسول الله ﷺ؟ ثمَّ قالوا: مَنْ يجترئ عليه إلا أسامةُ بن زيدٍ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلَّمه أُسامة، فقال رسول الله ﷺ: «**يَا أُسَامَةُ أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟!**». ثمَّ قام فاختطب، فقال: «**إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ: أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَايْمُ اللهِ! لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». أخرجه السِّتَّة. وانظر التَّوبة، وشروطها في الآيتين رقم [١٧ و١٨] مِنْ سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!.

الإعراب: ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف استئناف، وتفريع. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَابَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿ظُلۡمِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿وَأَصۡلَحَ﴾: معطوف على: ﴿تَابَ﴾ فهو مثله في محل جزم، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبَّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَتُوبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿عَلَيۡهِۚ﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، و الدسوقي يقول: لا محلَّ لها لأنَّها لم تَحُلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ الَّذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما ذكرته لك مراراً. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً مبتدأ، والجملة بعده صلته، والجملة الاسمية: (إنَّ الله . . .) إلخ في محلِّ رفع خبره، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم؛ فهو كلامٌ جيِّدٌ، وعلى الاعتبارين فالجملة الاسمية مفرعة عمَّا قبلها، ومستأنفة لا محلَّ لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ تعليلية، أو مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام، لا محلَّ لها على جميع الوجوه.

﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٤٠﴾

الشرح: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ...﴾ إلخ: الخطاب للنبي ﷺ، ولكلِّ مَنْ يتأتَّى منه العلم، والمعرفة. ودخول الاستفهام على النفي يفيد التقرير. ﴿لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: خلقاً، وعبيداً، وملكاً. وقدِّمت السموات على الأرض لشرفها، ومزيد فضلها، ولأنَّها لا يحصل فيها معاصٍ، ومنكرات كما في الأرض، وخصَّهما بالذِّكر؛ لأنَّهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السَّموات دون الأرض، وهي مثلهنَّ سبعاً؛ لأنَّ طبقاتها مختلفةٌ بالذَّات، متفاوتةٌ بالصِّفات، والآثار، والحركات.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ﴾: انظر الآية رقم [١٨] فقد قدَّم المغفرة هناك؛ لأنَّ سياق الكلام للترغيب في الإيمان، وقدَّم التعذيب هنا؛ لأنَّ سياق الكلام للوعيد، أو هو آتٍ على ترتيب ما سبق، أو لأنَّ استحقاق التعذيب مقدَّم، أو لأنَّ الْمُراد به القطع، وهو في الدُّنيا.

وهذه الآية فاضحةٌ لِلْقَدْرِيَّة، والمعتزلة في قولهم بوجوب الرَّحمة للمطيع، والعذاب للعاصي؛ لأنَّ الآية دالةٌ على أنَّ التعذيب، والرَّحمة مفوضان إلى المشيئة، والوجوب ينافي ذلك. وجواب آخر، وهو: أنَّ الله تعالى أخبر: أنَّ له ملك السموات، والأرض، والمالك له أن يتصرَّف في ملكه كيف يشاء، وأراد، لا اعتراض لأحدٍ في ملكه. ويؤيِّد ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ

﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: يعني: إنَّه تعالى قادرٌ على تعذيب مَنْ أراد تعذيبه من خلقه، وغفران مَنْ أراد إسعاده، وإنقاذه من الهلكة مِنْ خلقه؛ لأنَّ الخلق كلَّهم عبيده، وملكه، يتصرَّف فيهم كيف يشاء. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَعْلَمْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم)، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿اللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، وهو مضاف، و﴿السَّمَٰوَاتِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿لَهُ مُلْكُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي الفعل: ﴿تَعْلَمْ﴾، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿يُعَذِّبُ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهَ﴾. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَشَاءُ﴾: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى: ﴿اللَّهَ﴾ أيضاً، والجملة الفعلية صلة: (مَنْ) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يعذب الذي، أو: شخصاً يشاء تعذيبه، وجملة: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ مستأنفة لا محلَّ لها، وهو أقوى مِن اعتبارها في محلِّ نصب حال مِنْ لفظ الجلالة، وجملة: ﴿وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها مثلها، إفراداً، وجملاً. ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٧].

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾﴾

المناسبة: لمَّا ذكر الله تعالى قصَّة ابنيْ آدم، وإقدام الأخ على قتل أخيه بسبب البغي، والحسد، وذكر أحكام البُغاة، والسَّرقة؛ أعقب ذلك بذكر أمر المنافقين، وأمر اليهود في حسدهم للرَّسول ﷺ وتربُّصهم به، وبأصحابه الدَّوائر، وأمر الله رسوله ﷺ أن لا يحزن لما يناله مِنْ أذاهم، فالله سيعصمه مِنْ كيدهم، وينجِّيه مِنْ مكرهم. ثمَّ ذكر ما أنزل الله في التوراة مِنْ أحكام نورانيَّة، وفوائد ربَّانيَّة.

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ...﴾ إلخ: لمَّا بيَّن الله في الآية السابقة: أنَّه مالك المُلك؛ أمر نبيَّه ﷺ بتفويض الأمر إليه، وعدم المبالاة بمكايد الأعداء، وناداه بهذا النداء، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يخاطبه بوصف الرِّسالة في جميع القرآن إلا في موضعين في هذه السورة: هذا، وما يأتي في الآية رقم [٦٧]، وبقيَّة خطاباته بوصف النبوَّة، وكلا النِّداءين فيهما تشريفٌ، وتكريمٌ له ﷺ.

﴿لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ أي: يقعون في الكفر سريعاً، أي: في إظهاره، والجهر به إذا وجدوا فرصةً. والمراد: المنافقون؛ الذين قال الله فيهم: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ فإنَّهم أظهروا الإيمان بالقول، وأخفوا الكفر في القلوب. والمعنى: لا تهتمَّ يا محمد بهم، ولا تبالِ بكفرهم، فإنَّك منصورٌ عليهم، ومحفوظٌ مِنْ شرِّهم، فإنهم لَنْ يضروك أبداً.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أي: وطائفة من اليهود كذلك يسارعون في الكفر، ويؤذونك. ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: أي: إنَّ سفلة اليهود، والمنافقين يسمعون الكذب مِنَ الأحبار مِنْ تحريف التوراة، والبهتان، والافتراء. وقيل: المعنى: يسمعون كلامك يا محمد؛ ليكذبوا عليك، وذلك: أنَّهم كانوا يسمعون مِنْ رسول الله ﷺ ثمَّ يخرجون مِنْ عنده، ويقولون: سمعنا كذا، وكذا، ولم يسمعوا منه، بل كذبوا عليه عند عامَّتهم، يريدون تشويه سُمْعَتِه، وتحريف رسالته، ونبوَّته.

﴿سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ المراد: بنو قريظة الذين كانوا يسكنون المدينة مع النَّبيِّ ﷺ فكانوا ينقلون الكلام لقوم آخرين هم أهل خيبر محرَّفاً، ومزيفاً، فقد كان بنو قريظة جواسيس، وعيوناً على النَّبيِّ ﷺ. ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ يعني: إنَّ أهل خيبر لم يأتوك، ولم يحضروا عندك يا محمد!.

﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ أي: يُغيِّرون حدود الله الَّتي أوجبها عليهم في التَّوراة، وذلك: أنَّهم بدَّلوا الرَّجم بالجلد، والتَّحميم. وقال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: إنَّهم يغيِّرون ما يسمعون من النَّبيِّ ﷺ بالكذب عليه. هذا؛ وقد قال تعالى هنا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ وقال في الآية رقم [١٣] وفي سورة (النساء) رقم [٤٦]: ﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ والفرق بينهما: أنا إذا فسَّرنا: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ بالتَّأويلات الباطلة، فيكون معنى قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: أنَّهم يذكرون التأويلات الفاسدة لتلك النصوص، وليس فيها بيانُ: أنَّهم يحرفون تلك اللَّفظة مِن الكتاب، وأما قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ ففيه دلالة على أنَّهم جمعوا الأمرين: يعني أنَّهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة، وكانوا يحرِّفون اللَّفظة من الكتاب، ففي قوله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ إشارة إلى التأويل الباطل، وفي قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ إشارة إلى إخراجه من الكتاب بالكليَّة. انتهى. خازن. وانظر شرح ﴿ٱلْكَلِمَ﴾ في الآية رقم [١٣]. وملخص الكلام: أنَّ لليهود صفتين بارزتين: الأولى: سماع

الكذب مِنْ أحبارهم، ونقله إلى عوامِّهم. والثانية: وسماع الحق منك يا محمد! ونقله لأحبارهم؛ ليحرفوه. ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: علماء اليهود لسفلتهم. ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يعني: إنْ أفتاكم محمَّد بالجَلد، والتَّحميم؛ فاقبلوا منه، واعملوا به. ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ أي: وإن لم يُفْتِكم بذلك، وَأفتاكم بالرَّجم؛ فاحذروا أن تقبلوا منه.

﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ أي: ضلالته في الدنيا، وعقوبته في الآخرة. ﴿فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: فلن تقدر على دفع أمر الله فيه. وفيه ردٌّ على مَنْ يقول بالصَّلاح، والأصلح، وعلى مَنْ يقول: إنَّ العبد يخلق أفعال نفسه كالمعتزلة. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ أي: لم يرد الله أن يطهِّر قلوبهم مِنْ رجس الكفر، وخبث الضَّلالة، كاليهود، ونفاق المنافقين. وفي هذه الآية دلالة على أنَّ الله لم يرد إسلام الكافر، وأنَّه لم يطهِّر قلبه من الشكِّ، والشِّرك، ولو فعل ذلك لآمن. وهذه الآية مِنْ أشد الآيات على القَدْرِيَّة.

﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾: قيل: هو فضيحتهم حين أنكروا الرَّجم، ثمَّ أحضرت التوراة فوُجِد فيها الرَّجم. وقيل: خزيهم بأخذ الجزية منهم، والقتل، والسَّبي، والطَّرد من أرض الحجاز إلى غيرها. وخزي المنافقين بالفضيحة، وهتك أستارهم بإظهار نفاقهم، وخبثهم، ومكرهم. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: هو الخلود في جهنم، قال أبو حيَّان ـ رحمه الله تعالى ـ: الآية جاءت تسليةً للرسول ﷺ، وتخفيفاً عنه مِنْ ثِقَل حزنه على مسارعتهم في الكفر، وقطعاً لرجائه مِنْ إسلامهم، وفلاحهم.

هذا والخزي، والإخزاء هو: الإذلال، قال ذو الإصْبَع العُدْواني وهو شاعرٌ جاهليٌّ: [البسيط]

لَاهِ ابْنُ عَمِّكَ[1] لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبٍ ... عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي

وهذا هو الشَّاهد رقم [٢٦٠] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ومنه قول حسَّان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ يخاطب به مَنْ شَجَّ وجه النَّبي ﷺ في غزوة أحد: [الطويل]

فَأَخْزَاكَ رَبِّي يَا عُتَيْبُ بْنَ مَالِكٍ[2] ... وَلَقَّاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ

مَدَدْتَ يَمِيْنَاً لِلنَّبِيِّ تَعَمُّداً ... وَدَمَّيْتَ فَاهُ قُطِّعَتْ بِالْبَوَارِقِ[3]

وهو على هذا من الرُّباعي، مِنْ: أخزى، يُخزي، وهو مِنَ الثُّلاثي: خَزِيَ، يَخْزَى، خَزايةً بمعنى: استحيا، وخجل. قال نهشل بن حريٍّ الدَّارميُّ من قصيدة يرثي بها أخاه، وكان قُتِل بصفين مع الإمام عليٍّ، كرَّم الله وجهه: [الطويل]

---

(١) أصله: لله درُّ ابن عمِّك.

(٢) هو: عُتبة بن أبي وقاص.

(٣) البوارق: جمع بارق، وهو السيف، لأنَّه يبرق، ويلمع.

أَخٌ مَـاجِـدٌ لَـمْ يُـخْـزِنِـي يَـوْمَ مَـشْـهَـدٍ كَـمَـا سَـيْـفُ عَـمْـرٍو لَـمْ تَـخُـنْـهُ مَـضَـارِبُـهْ

وهو الشاهد رقم [٣٢٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». وقال ذو الرُّمَّة: [البسيط]

خَـزَايَـةً أَدْرَكَـتْـهُ بَـعْـدَ جَـوْلَـتِـهِ مِنْ جَانِبِ الحَبْلِ مَخْلُوطاً بِهَا الْغَضَبُ

هذا؛ والحزن ضد الفرح، والسرور، ولا يكون إلا على ماضٍ، وحزن الرجل، وأحزنه غيره، وحزنه أيضاً، مثل: سلكه، وأسلكه. قال اليزيدي: حزنه لغة الحجاز، وأحزنه لغة تميم، وقد قرئ بهما إلا في سورة الأنبياء، فإنَّه في الأولى فقط، وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ وهي أفصح اللغتين.

تنبيه: روي: أنَّ رجلاً شريفاً عند اليهود مِنْ خيبر زنى بامرأة شريفةٍ في نظرهم، وكانا مُحْصَنَيْن، فكره اليهود رجمهما عملاً بالتوراة، فأرسلوهما مع رهط منهم إلى بني قريظة؛ ليسألوا رسول الله ﷺ عن الحكم فيهما، وقالوا: إنْ أمركم محمَّد بالجلد، والتحميم؛ فاقبلوا، وإن أمركم بالرَّجم؛ فلا، فأمرهم رسول الله ﷺ بالرَّجم، فأبَوْا، وقالوا: إنَّ التَّوراة لا تأمر بالرَّجم، وإنَّما تأمر بالجلد، والتحميم، فجعل رسول الله ﷺ ابن صوريا ـ وهو من علماء اليهود المعظمين عندهم ـ حكماً بينه، وبينهم، فقال رسول الله ﷺ له: «**أنشدك الله، الذي لا إله إلا هو الَّذي فلق البحر لموسى، ورفع فوقكم الطُّور، وأنجاكم، وأغرق آل فرعون، والَّذي أنزل عليكم كتابه، حلاله وحرامه: هل تجد فيه الرَّجم على مَنْ أُحْصِن؟**» قال: نعم. فوثبوا عليه، فقال: خِفْتُ إنْ كذبته أن ينزل علينا العذاب، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرُجِما عند باب المسجد، ونزلت الآية الكريمة تبيِّن ما بيَّتوه مِنْ مكرٍ، وخديعة، وكشفت نواياهم الخبيثة، وفضحتهم.

تنبيه: أقام الرسول ﷺ حدَّ الرَّجم على الزانيين حين ترافعوا إليه، ولو لم يترافعوا إليه؛ لما تعرَّض لهم بالحكم عليها. وهذا يجري في كلِّ زمانٍ، ومكان إلى يوم القيامة، فإنْ ترافع اليهود، والنَّصارى إلى الحاكم المسلم؛ يحكم عليهم بما أنزل الله، وإلا؛ فلا يتعرَّض لهم. وانظر الآية التالية:

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾: انظر إعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١] من هذه السُّورة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿يَحْزُنكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ الناهية، وهو يُقرأ بفتح الياء، وضم الزاي من الثلاثي، وبضم الياء، وكسر الزاي من الرُّباعي، والكاف مفعول به. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿يُسَـٰرِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿فِى ٱلْكُفْرِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. و﴿مِنَ﴾ بيان للموصول الأول. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تُؤْمِن﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لَمْ). ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو والضمير، فهي حال متداخلة، وقيل: معطوفة على ما قبلها، والأول أقوى.

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟﴾: معطوف على قوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ وهو مثله في إعرابه. ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف التقدير: هم سماعون. ﴿لِلْكَذِبِ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ وقيل: اللام صلة، و(الكذب): مفعول به لـ: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ فهو مجرور لفظاً منصوب محلّاً، والجملة الاسمية: «هم سمَّاعون» في محلِّ نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ وجوز اعتبار: (من الذين هادوا) متعلقين بمحذوف خبر مقدَّم، و﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ مبتدأ مؤخر، وهو في الأصل صفة لموصوف، التقدير: ومن الذين هادوا قومٌ سماعون. . .إلخ. ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ يجوز فيه ما جاز بسابقه، فيكون من تأكيد الجملة بالجملة، وقيل: هو مِنْ تأكيد المفرد بالمفرد. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾، وقيل: متعلقان بـ: (الكذب)، المعنى: ليكذبوا قوماً آخرين. والأول أقوى. ﴿ءَاخَرِينَ﴾ صفة: (قوم) مجرور، وعلامة جره الياء نيابةً عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنُّون عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَأْتُوكَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة ثانية لـ: (قوم) أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بـ: ﴿ءَاخَرِينَ﴾ والرابط: الضمير فقط. ﴿يُحَرِّفُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿ٱلْكَلِمَ﴾: مفعول به. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿مَوَاضِعِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جرٍّ صفة أخرى لـ: (قوم)، أو في محلِّ نصبٍ حال منه بعد وصفه بما تقدَّم، أو في محل نصب حال من الضَّمير المستتر بـ: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم يحرفون. . .إلخ، ويجوز في الجملة الاسمية هذه ما جاز في الجملة الفعلية، أو هي مستأنفة لا محلَّ لها، وما قيل فيها يقال في جملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أُوتِيتُمْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأوَّل. ﴿هَـٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَخُذُوهُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (خذوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة

الفعلية في محل جزم جوابِ الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، ولا يخفى عليك إعراب: ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ وهذا معطوف على ما قبله فهو مثله في محل نصب مقول القول.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُرِدِ﴾: فعل مضارع فعل الشرط. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿فِتْنَتَهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَن﴾: الفاء واقعة في جواب الشرط. (لن): حرف ناصب. ﴿تَمْلِكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ(لن)، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿شَيْـًٔا﴾ كان صفة له... إلخ. ﴿شَيْـًٔا...﴾: مفعول به، أو هو مفعول مطلق، والجملة الفعلية: (لن تملك...) إلخ في محلِّ جزمِ جواب الشَّرط... إلخ، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجَّح لدى المعاصرين، والجملة الاسميَّة: ﴿وَمَن يُرِدِ...﴾ إلخ مستأنفةٌ، لا محلَّ لها.

﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يُرِدِ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَمْ﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿أَن يُطَهِّرَ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ والمصدر المؤول منهما في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿قُلُوبَهُمْ...﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان مقدم، أو هما متعلقان بمحذوف حال مِنْ: ﴿خِزْىٌ﴾ كان صفة له... إلخ، وبعضهم لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل رفعٍ خبر ثان لـ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ فلست مفنداً، والتي بعدها معطوفة عليها، وإعرابها مثلها.

﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾: هو مثل الآية السابقة، وكُرِّر للتَّأكيد، والتنفير من فعلهم. ﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ...﴾: هو صيغة مبالغة، والأصل: آكلون، والسُّحت: المال الحرام كالرِّشا،

والرِّبا، وغير ذلك من أنواع الحرام، وهو مِنْ: سحته: إذا استأصله، والسُّحْت في اللغة أصله: الهلاك، والشدَّة، قال تعالى في سورة (طه) حكايةً عن قول موسى لقوم فرعون: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ...﴾ إلخ، وقال الفرزدق في مَدْحِ عبد الملك: [الطويل]

وَعَضُّ زَمَانٌ يَا بْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدَعْ ... مِنَ الْمَالِ إِلَّا مُسْحَتاً أَوْ مُجَلَّفُ

وسمِّي المال الحرام: سُحْتاً؛ لأنَّه يسحت الطَّاعات، أي: يُذْهِبُ بركتها، ويستأصلها، ولأنَّه يَسْحَتُ مروءة الإنسان، وكرامته، وقال الرسول ﷺ: «**كُلُّ لَحْمٍ نَبَتَ مِنَ السُّحْتِ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ**». أخرجه الطَّبراني في الصَّغير عن عبد الله بن عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ. والسُّحت: الرِّشوة، فعن ثوبان ـ رضي الله عنه ـ قال: «**لعن رسول الله ﷺ: الرَّاشِي، وَالْمُرْتَشِي، وَالرَّائِشَ**». يعني: الذي يمشي بينهما. رواه أحمد، والطَّبرانيُّ.

وروي عن وهب بن منبه: أنَّه قيل له: الرِّشوة حرامٌ في كل شيءٍ؟ قال: لا، إنَّما يكره من الرِّشوة أن ترشي لِتُعْطَى ما ليس لك، أو تدفع حقّاً قد لزمك، فأمَّا أن ترشي لتدفع عن دِيْنِك، وَدَمِكَ، ومالِكَ؛ فليسَ بحرام. انتهى. أقول: وكذلك إن دفعت الرِّشوة لتصل إلى حقِّك، فعند ذلك تقتصر اللَّعنة على الَّذي يُماطل في الحقِّ؛ حتى يأخذ الرِّشوة؛ مثلاً كالموظف الَّذي لا يؤدِّي واجبه إلا بالرِّشوة.

لذا فقد نزلت الآية الكريمة في حكَّام اليهود، مثل: كعب بن الأشرف، وأمثاله، كانوا يرتشون، ويقضون لِمَنْ رشاهم. قال الحسن البصريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ: كان الحاكم منهم إذا أتاه أحدُهم برشوة؛ جعلها في كمِّه، ثُمَّ يريه إيَّاها، ويتكلَّم بحاجته، فيسمع منه، ولا ينظر إلى خصمه، فيسمع الكذب، ويأكل الرِّشوة، وهي السُّحت.

قال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: الرِّشوة في كل شيءٍ، فَمَنْ شفع شفاعة ليردَّ بها حقّاً، أو يدفع بها ظلماً، فأهدى بها إليه هدية، فقبلها؛ فهو سحتٌ. فقيل له: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك إلا الأخذ على الحكم، فقال الأخذ على الحكم كفرٌ، قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾. هذا؛ والسُّحت يقرأ بضم السِّين، وسكون الحاء، وبضمهما، وقرئ بفتح السِّين مع سكون الحاء.

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ خيَّر الله رسوله ﷺ في الحكم بينهم، فإن شاء حكم، وإن شاء ترك. قال الحسن، ومجاهد، والسُّدِّيُّ: نزلت في اليهوديين اللذين زنيا. وقال قتادة: نزلت في رجلين من قريظة، والنضير، قتل أحدهما الآخر. قال ابن زيد ـ رحمه الله تعالى ـ: كان حيي بن أخطب قد جعل للنَّضيريِّ، وللقُرظيِّ ديةً واحدةً؛ لأنَّه كان من النضير، فقالت قريظة: لا نرضى بحكم حُيَي، ونتحاكم إلى محمَّد، فأنزل الله هذه الآية يخير فيها نبيَّه

محمداً ﷺ في الحكم بينهم، ولهذا قيل: لو تحاكم كتابيان إلى القاضي المسلم؛ لم يجب عليه الحكم بينهما. وهو قول الشَّافعي. والأصح وجوبه إذا كان المترافعان، أو أحدهما ذميّاً؛ لأنَّا التزمنا الذبَّ عنهم، ودفع الظلم عنهم، والآية الكريمة ليست في أهل الذمَّة، وعند أبي حنيفة يجب مطلقاً. وانظر الآية رقم [٤٨ ـ ٤٩].

﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا﴾: فلن يقدروا على الإضرار بك؛ لأنَّ الله حافظك، وعاصمك من كيدهم. وإن حكمت؛ فاحكم بينهم بالقسط: أي: بالعدل الَّذي أمر الله به. إنَّ الله يحب المقسطين: يحفظهم، ويرفع شأنهم، هذا؛ وأقسط رباعي معناه: العَدْل، واسم الفاعل منه: مُقْسِط بمعنى العادل، أو العدل، بخلاف قَسَطَ الثلاثي، فمعناه: الجور، والظلم، يقال: قسط الرجل: إذا جار، وأقسط: إذا عدل، قال تعالى في سورة (الجنِّ) رقم [١٥]: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾. وهذا هو المشهور خلافاً للزجَّاج في جعلهما سواء، وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ الَّذين يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ، وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**». رواه مسلم، والنسائي.

وعنه أيضاً: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ الْمُقْسِطِينَ فِي الدُّنْيَا عَلَى مَنَابِرَ مِنْ لُؤْلُؤٍ بَيْنَ يَدَي الرَّحْمَنِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ بِمَا أَقْسَطُوا في الدُّنْيَا**». أخرجه ابن أبي حاتم، والنسائي. وخذ قول الحارث بن حِلِّزة في معلقته: [الخفيف]

مَـلِـكٌ مُـقْـسِـطٌ وَأَكْـمَـلُ مَـنْ يَـمْـ ... ـشِـي وَمِـنْ دُونِ مَـا لَـدَيْـهِ الـثَّـنَـاءُ

هذا؛ و(بين) ظرف مكان بمعنى وسْط بسكون السِّين، لا يقع إلا بين متعدد لفظاً، وحكماً، تقول: جلست بين القوم، كما تقول: جلست وسْط القوم. هذا؛ والبينُ: الفراق، والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كـ: «الجون» يطلق على الأسود، والأبيض. ومن استعماله بمعنى الوصل ما قرئ به في سورة (الأنعام) رقم [٩٤]: (لَقَدْ تَقطعَ بَيْنُكُمْ) حيث قرئ بضم النون، ومن استعماله بمعنى: الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ من قصيدته الَّتي مدح بها النَّبيَّ ﷺ، وهو الشَّاهد رقم [٨٠٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [البسيط]

وَمَـا سُـعَـادُ غَـدَاةَ الْـبَـيْـنِ إذْ رَحَـلُـوا ... إلَّا أَغَـنُّ غَـضِـيْـضُ الـطَّـرْفِ مَـكْـحُـولُ

الإعراب: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم سمَّاعون، والجملة الاسمية مستأنفة إعراباً مؤكِّدة لما تقدَّم معنىً. ﴿لِلْكَذِبِ﴾: متعلقان بـ: ﴿سَمَّـٰعُونَ﴾ وانظر الآية السابقة. ﴿أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾: هو مثل سابقه إعراباً، ومحلّاً، وفيهما ضمير مستتر هو الفاعل. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿جَآءُوكَ﴾: فعل ماض مبني على الضم في

محل جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَٱحْكُم﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (احكم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها. . . إلخ، وجملة: ﴿أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ معطوفة عليها، و(إن) ومدخولها كلامٌ مفرَّع عما قبله أو مستأنفٌ لا محلَّ له. ﴿وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ﴾: إعراب هذا الكلام مثل سابقه، وهو معطوف عليه. ﴿شَيْـًٔا﴾: مفعول مطلق، أو نائبه؛ لأنَّه نائب عن مصدر. ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾: إعراب هذا الكلام واضحٌ إن شاء الله، وهو معطوفٌ على ما قبله. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٤]. والجملة الاسمية تعليلٌ لما قبلها.

﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ...﴾ إلخ: هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه ﷺ في تحكيم اليهود إيَّاه مع علمهم بما في التَّوراة، وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحَّته، وعُدولهم إلى حكم مَنْ يجحدون نبوَّته طلباً للرُّخصة، وتخفيفاً للحكم. لا جرم: أنَّ الله تعالى أظهر جهلهم، وعنادهم؛ لأنَّهم حكَّموا النبي ﷺ في أمر الزَّانِيَيْنِ، ثمَّ أعرضوا عنه، وعن حكمه. وفي الآية توبيخٌ، وتقريعٌ لليهود؛ إذ المعنى: وكيف يجعلونك حكماً بينهم، ويرضون بحكمك، وعندهم التَّوراة. ﴿فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ﴾ يعني: الرجم الَّذي تحاكموا مِنْ أجله.

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾: أي: ثمَّ يُعْرِضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم. ﴿وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ يعني: اليهود. ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: أي: بالمؤمنين، والمصدِّقين بكتابهم، كما يزعمون لإعراضهم عنه، وعدم العمل به. وهذا إلزام لهم؛ لأنَّ مَنْ خالف كتاب الله، وبدَّله؛ فدعوى الإيمان باطلةٌ. هذا؛ والإشارة بالبعيد للإيذان ببعد درجتهم في العتوِّ، والمكابرة.

هذا؛ و«ثمَّ» حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التَّشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كلٍّ منها خلافٌ مذكور في مغني اللَّبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث السَّاكنة، كما تلحق «رُبَّ» و«لَا» العاملة عمل «ليس» فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهنَّ بالفتح. هذا؛ و«ثُمَّ» هذه غير «ثَمَّ» بفتح الثَّاء فإنَّها اسمٌ يشار به إلى المكان البعيد، كما في قوله تعالى في سورة (الشُّعراء) رقم [٦٤]: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ وقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [١١٥]: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾. وهذه ظرفٌ لا يتصرَّف، ولا يتقدَّمه حرف التنبيه، ولا يتَّصل به كاف

الخطاب، وقد تتَّصل به التَّاء المربوطة، فيقال: ثَمَّة، و«ثُمَّتَ» العاطفة إذا اتصلت بها تاء التأنيث اختصت بعطف الجمل بخلاف (ثُمَّ)، فإنَّها تعطف المفرد، والجملة.

الإعراب: ﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام مبني على الفتح في محلِّ نصب حال مِنْ واو الجماعة، والعامل فيه ما بعده. ﴿يُحَكِّمُونَكَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَعِندَهُمُ﴾: الواو: واو الحال. (عندهم): ظرف مكان متعلِّق بمحذوف خبر مقدَّم، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿التَّوْرَىٰةُ﴾: مبتدأ مؤخَّر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرَّابط الضمير فقط، وهي حالٌ متكرِّرة. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿حُكْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية في محلِّ نصبٍ حال مِنَ التَّوراة، والرابط: الضمير فقط.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يَتَوَلَّوْنَ﴾: فعل مضارع وفاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الفعلية السابقة لا محلَّ لها مثلها. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع اسم (ما)، والكاف حرف خطابٍ لا محلَّ له. ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (المؤمنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاًّ، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًاۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌۚ﴾: سبب نزول هذه الآية: استفتاء اليهود رسول الله ﷺ في أمر الزَّانِيَيْن، وقد سبق بيانُه، والهدى: هو البيان؛ لأنَّ التَّوراة بيَّنت صحَّة نبوَّة محمَّدٍ ﷺ. وبيَّنت ما تحاكموا فيه. والنُّور: هو الكاشف للشُّبهات، الموضح لِلمُشكلات. والتَّوراة كذلك. وقيل: الفرق بين الهدى، والنور: أنَّ الهدى محمول على بيان الأحكام، والشَّرائع، والنّور محمولٌ على بيان أحكام التَّوحيد، والنبوَّات، والمعاد. هذا؛ وقال تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾ أراد بالنَّبِيِّين: الَّذين بُعثوا بعد موسى، على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام، وذلك: أنَّ الله بعث في بني إسرائيل ألوفاً من الأنبياء، والمرسلين، وليس معهم كتابٌ، إنَّما بعثوا بإقامة التوراة، وأحكامها. ومعنى ﴿أَسْلَمُواْ﴾: انقادوا لأمر الله تعالى، والعمل بكتابه، وهذا على سبيل المدح لهم، وفيه تعريضٌ باليهود؛ لأنَّهم بعدوا عن الإسلام، الذي هو دين الأنبياء. وتنويهٌ بشأن المسلمين؛ الذين هم مهتدون بهدي الأنبياء، والمرسلين. وقال ابن الأنباري: هذا ردٌّ على اليهود، والنصارى؛ لأنَّ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ما كانوا موصوفين باليهوديَّة، والنَّصرانية، بل كانوا مسلمين لله تعالى، منقادين لأمره، ونهيه، ومعنى: ﴿لِلَّذِينَ هَادُواْ﴾: على الذين هادوا؛ أي: يحكمون على اليهود بحكم التَّوراة، كما فعل رسول الله ﷺ مِنْ حملهم على حكم الرَّجم، كما هو في التوراة، ولم يوافقهم على الجلد، والتَّحميم.

﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾ جمع: رب، وفيه قولان: أحدُهما: أنَّه منسوب إلى الربِّ، والألف، والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة، والثاني: أنَّه منسوب إلى رَبَّان، والرَّبَّان هو معلم الخير، ومَنْ يسوس النَّاس، ويعرِّفهم أمر دينهم، فالألف والنون دالان على زيادة في الوصف، كهي في: عطشان، ونحوه، وتكون النسبة على هذا للمبالغة في الوصف نحو: أَحْمري. والأول قول سيبويه، والثاني قول المبرد. واختلفوا في معنى الربَّاني؛ فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: فقهاء علماء، وعنه أيضاً: فقهاء معلِّمون. وقيل: الربَّانيُّ هو الذي يربِّي النَّاس بصغار العلم، وكباره، وقيل: الربَّانيُّ: العالم الَّذي يعمل بعلمه، وقيل: الرَّبانيُّ: العالم بالحلال، والحرام، والأمر، والنهي. وقيل: الربَّانيُّ الذي جمع بين علم البصيرة، والعلم بسياسة الناس. ولما مات ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال ابن الحنفية ـ رضي الله عنه ـ: اليوم ماتَ رَبَّانيُّ هذه الأمة.

﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هم الفقهاء، واحده: حبر ـ بفتح الحاء وكسرها لغتان ـ وإنَّما سمي العالم: حَبْراً؛ لما عليه من أثر جمال العلم، كما أنَّ الحِبْر يترك أثراً على الورقة عند الكتابة به. وهل هناك فرق بين الربَّانيين، والأحبار، أم لا؟ فقيل: لا فرق، وهم بمعنى واحد، وهم العلماء، والفقهاء. وقيل: الربَّانيُّون أعلى درجةً مِنَ الأحبار؛ لأنَّ الله قدَّمهم في الذِّكر على الأحبار، وقيل: الرَّبانيُّون: علماء النَّصارى، والأحبار: علماء اليهود. وانظر توبيخهم في الآية رقم [٦٣] الآتية.

﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: بسبب أمر الله إيَّاهم أن يحفظوا كتابه من التَّضييع، والتحريف، وقيل: هو أن يحفظوه، فلا ينسوه، وقد أخذ الله على العلماء حفظ كتابه من هذين الوجهين معاً، وذلك بأن يحفظوا كتاب الله في صدورهم، ويدرسونه بألسنتهم؛ لئلا ينسوه، وأن لا يضيعوا أحكامه، ولا يُهملوا شرائعه، فإذا فعلوا ذلك؛ كانوا قائمين بحفظه، ورعايته.

﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَآءَ...﴾: رقباء؛ لئلا يُحرَّف، ويبدَّل، ويعلمون: أنَّه حقٌّ مِنْ عند الله، وصدقٌ، كما فعل عبد الله بن سلام، وابن صوريا؛ حيث عملا بالتَّوراة، وآمنا بمحمدٍ ﷺ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٣]. ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي...﴾ أي: ولا تستبدلوا بآياتِ الله، وأحكامه ثمناً قليلاً، يعني: الرِّشوة في الأحكام، والجاه عند الناس، ورضاهم. والمعنى: كما نهيتكم عن تغيير الأحكام لأجل خوف الناس؛ لذلك أنهاكم عن التغيير، والتبديل؛ لأجل الطَّمع في المال، والجاه، وأخذ الرِّشوة، فإنَّ كلَّ متاع الدُّنيا قليل، لا قيمة له بجانب نعيم الآخرة الدائم، هذا؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا...﴾ إلخ التفاتٌ من الغيبة إلى الخطاب، والقياس: فلا يخشوا، ولا يشتروا. وللالتفات فوائدُ كثيرةٌ: منها تطرية الكلام، وصيانة السَّمع عن الضَّجر، والملال؛ لما جبلت عليه النفوس من حبِّ التنقلات، والسَّآمة من الاستمرار على منوالٍ واحدٍ. هذه فوائده العامَّة، ويختصُّ كلُّ موضعٍ بنكتٍ، ولطائف باختلاف محلِّه، كما هو مقرَّر في علم البديع، ووجهه حثُّ السَّامع، وبعثُه على الاستماع؛ حيث أقبل عليه المتكلِّم، وأعطاه فضل عنايته، وخصَّصه بالمواجهة.

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ اللَّهُ﴾: مستهيناً به، ومنكراً له. ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾: لاستهانتهم به، وتمرُّدهم عليه بأن حكموا بغيره، ولذلك وصفهم الله بقوله الآتي: ﴿الظَّالِمُونَ﴾ و﴿الْفَاسِقُونَ﴾ فكُفْرُهم لإنكاره، وجحوده، وظُلْمُهم بالحكم بخلافه، وفسقُهم بالخروج عنه، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مَنْ لم يحكم بما أنزل الله جاحداً؛ فهو كافر، وإن لم يكن جاحداً؛ فهو فاسق ظالم. وقال ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: هي عامَّة في كلِّ مَنْ لم يحكم بما أنزل الله من المسلمين، واليهود، والكفَّار. وقيل: الكافرون للمسلمين، والظَّالمون لليهود، والفاسقون للنَّصارى. وهذا اختيار أبي بكر ابن العربي. قال: لأنَّه ظاهرُ الآيات، وهو اختيار ابن عباس، وجابر بن زيد، وابن أبي زائدة، وابن شُبْرُمَةَ، والشعبيِّ أيضاً. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه. وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ! خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ـ وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ ـ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ؛ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا؛ إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالأَوْجَاعُ؛ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مضت فِي أَسْلَافِهِمُ؛ الَّذِينَ مَضَوْا قَبْلَهُمْ، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ، وَالْمِيْزَانَ؛ إِلَّا أُخِذُوا بالسِّنين، وَشِدَّةِ الْمَؤُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ؛ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ، وَعَهْدَ رَسُولِهِ؛ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ؛ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ**» رواه ابن ماجه برقم: [٤٠١٩]، والبيهقي، والحاكم، وقال: صحيحٌ على شرط مسلم.

الإعراب: ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا) اسمها، حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ...﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ مبتدأ، أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿هُدًى﴾: مبتدأ مؤخَّر مرفوع، وعلامة رفعه ضمةٌ مقدَّرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية: ﴿فِيهَا هُدًى﴾ في محل نصب حال من: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ والرَّابط: الضمير فقط. ﴿وَنُورٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿يَحْكُمُ﴾: فعل مضارع. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلِّقان به. ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضَّمَّة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محلٍّ نصب حال أخرى من التَّوراة. وقيل: حال مِنَ الضَّمير في: ﴿فِيهَا﴾ والرابط على الاعتبارين: الضمير فقط، وقيل: مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة. ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾ على معنى المدح، والثناء، لا على معنى الصفة الَّتي تأتي للفرق بين الموصوف، وبين من ليس صفته. انتهى. مكي. لأنَّه لا يمكن أن يكون ثَمَّةَ نبيون غير مسلمين. أقول: لذا يجوز اعتباره منصوباً على المدح بفعل محذوف. ﴿أَسْلَمُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَحْكُمُ﴾، وقيل: متعلقان بالفعل: ﴿أَنزَلْنَا﴾، وجملة: ﴿هَادُوا۟﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾: معطوفان على: ﴿ٱلنَّبِيُّونَ﴾. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَحْكُمُ﴾، وقيل: متعلقان بـ: ﴿وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾، وقيل: هما بدل من قوله: ﴿بِهَا﴾ و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق. والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو: بشيءٍ استُحفظوه. ﴿مِن كِتَـٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿مِن﴾ بيانٌ لِمَا أبهم في (ما) و﴿كِتَـٰبِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَكَانُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿شُهَدَآءَ﴾ بعدهما. ﴿شُهَدَآءَ﴾: خبر: (كانوا)، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصِّلة، لا محلَّ لها مثلها.

﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات إفراداً، وجملاً في الآية رقم [٣] من هذه السُّورة. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَشْتَرُوا۟...﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة

في الفاء. ﴿بِـَٔايَٰتِي﴾: جار ومجرور متعلِّقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدَّرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿ثَمَنًا﴾: مفعول به. ﴿قَلِيلًا﴾: صفة له.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَحْكُم﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالَّذي، أو بشيءٍ أنزله الله. وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محلِّ جر بالباء، التقدير: ومن لم يحكم بإنزال الله. وهو ضعيف معنىً كما ترى. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محلَّ له من الإعراب. ﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمَّة... إلخ، هذا ويجوز اعتبار الضمير مبتدأ ثانياً. و﴿ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور. والدُّسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما ذكرته لك مراراً، وعليه فالكلام يعمُّ كلَّ مَنْ لم يحكم بما أنزل الله من اليهود، والنصارى، والمسلمين. هذا ويجوز اعتبار (مَنْ) اسماً موصولاً مبتدأً، والجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، ودخلت الفاء على الخبر؛ لأنَّ الموصول يشبه الشرط في العموم، فيكون المقصود بهذه الآية اليهود خاصَّةً، ولا تنس: أنَّه روعي لفظ (مَنْ) في رجوع الفاعل إليها، وروعي معناها في رجوع الإشارة إليها، وعلى كلِّ اعتبارٍ فالجملة اسمية، وهي مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ يعني: وفرضنا على بني إسرائيل في التَّوراة: أنَّ نفس القاتل تُقتل بنفس المقتول وفاقاً، فيُقتل به، وذلك: أنَّ الله حكم في التوراة: أنَّ على الزاني المحصن الرَّجم، وأخبر تعالى: أنَّ اليهود بدَّلوه، وغيَّروه، وأخبر أيضاً أنَّ في التوراة: أنَّ النَّفس بالنفس، وأنَّ هؤلاء اليهود غيَّروا هذا الحكم، وبدَّلوه، ففضلوا بني النَّضير على بني قُريظة، فكان بنو

النَّضير إذا قتلوا مِنْ قريظة؛ أدَّوْا إليهم نصف الدِّية، وإذا قتل بنو قُريظة من بني النَّضير؛ أدَّوْا إليهم الدِّية كاملةً، فغيَّروا حكم الله؛ الذي أنزله في التَّوراة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أخبر الله بحكمه في التوراة: وهو: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ قال: فما لهم يخالفون، فيقولون النفسين بالنفس، ويفقؤون العينين بالعين؟! ومعنى الآية: أنَّ قاتل النفس يقتل بها إذا تكافأ الدَّمان، وسائر الأطراف، والأعضاء يجري فيها القِصاص كذلك.

﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ يعني: فيما يمكن أن يقتصَّ منه، وهذا تعميم بعد التَّخصيص؛ لأنَّ الله تعالى ذكر النَّفس، والعين، والأنف، والأذن، فخصَّ هذه الأربعة بالذِّكر، ثمَّ قال تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ على سبيل العموم، فيمكن أن يقتصَّ منه، كاليد، والرجل، والذَّكر، والأنثيين، وغيرها، وأمَّا ما لا يمكن القصاص فيه، كرضٍّ في لحم، أو كسر في عظم، أو جراحةٍ في بطنٍ؛ يخاف منها التَّلف؛ فلا قصاص في ذلك. وفيه الأَرْشُ، والحكومةُ[1]. وانظر الآية رقم [١٧٨] مِنْ سورة (البقرة).

واعلم: أنَّ هذه الآية دالةٌ على أنَّ هذا الحكم كان شرعاً في التوراة، فَمَنْ قال: شرعُ مَنْ قبلنا يلزمنا إلا ما نُسِخَ منه بالتفصيل؛ قال: هذه الآية حُجَّةٌ في شرعنا، ومن أنكره؛ قال: إنَّها لست بحجَّةٍ علينا. وأصل هذه المسألة: أنَّ النبي ﷺ وأمَّته بعد البعثة متعبَّدون بشرع مَنْ تَقَدَّم من الأنبياء، عليهم السَّلام، وفي ذلك خلاف مشهور، فبعض العلماء يقول: إنَّ النبي ﷺ كان متعبَّداً بما صحَّ من شرائع مَنْ قبله بطريق الوحي إليه لا مِنْ جهة كتبهم المبدَّلة، واختار بعض العلماء المنع مِنْ ذلك. واحتجَّ الأوَّلون لصحَّة مذهبهم بأنَّ الإجماع منعقد على صحَّة الاستدلال بالآية الكريمة مع أنَّه مِنْ شريعة منْ تقدَّم؛ لأنَّه مذكور في التوراة، ومكتوبٌ على بني إسرائيل، ولولا أنَّا متعبَّدون بشريعة مَنْ قبلنا؛ لمَا صحَّ هذا الاستدلال.

﴿فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ﴾ يعني: بالقصاص، فلم يقتص مِنَ الجاني. ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾: في هاء: ﴿لَّهُۥ﴾ قولان: أحدهما: أنَّ الهاء كنايةٌ عن المجروح، وولي المقتول، وذلك أنَّ المجروح، أو وليَّ المقتول إذا تصدَّق بالقصاص؛ كان ذلك كفارة لذنوبه. وهذا قول ابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسن البصري ـ رضي الله عنهم ـ ويدلُّ عليه ما روي عن أبي الدَّرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُصَابُ بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ، فَيَتَصَدَّقُ بِهِ؛ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهِ خَطِيئَةً**». أخرجه الترمذيُّ. وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: ما رأيت رسول الله ﷺ رفع إليه شيءٌ فيه قصاصٌ إلا أمر فيه بالعفوِ.

---

(١) الأرش: هو دية الجراحات؛ أي: التعويض المالي. والحكومة: الحكم الذي يصدره القاضي المسلم في الجراحات.

أخرجه أبو داود، والنسائي. والقول الثاني: يعني: أنَّ المجني عليه إذا عفى عن الجاني؛ كان ذلك كفارة لذنب الجاني. لا يؤاخذ به في الآخرة. وهذا قول ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، كما أنَّ القِصاص كفارةٌ له، فأمَّا أجر العافي؛ فعلى الله تعالى. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يعني: لأنفسهم؛ حيث لم يحكموا بما أنزل الله، عزَّ وجلَّ.

هذا؛ والعين تطلق على الماء الجاري: أو النَّابع من الأرض، وجمعها في القلَّة: أَعْيُن، وفي الكثرة: عيون، قال تعالى في سورة (الذاريات) وغيرها: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ وتجمع أيضاً في الكثرة على: أعيان، وهذا غير مشهور، وقليل الاستعمال، كما تطلق العين على العين الباصرة، كما في الآية التي بين أيدينا، وهو أشهر، وأكثر ما تستعمل في ذلك. كما تطلق على الجاسوس، كما في قولك: بثَّ الأمير عيونه في المدينة، أي: جواسيسه. كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء خالد عينُه، وتطلق على الشَّمس. وعين الشيء: خياره. وتُطلق على النَّقد مِنْ ذهبٍ، وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

وَاسْتَخْدَمُوا الْعَيْنَ مِنِّي وَهْيَ جَارِيَةٌ ... وَقَدْ سَمَحْتُ بِهَا أَيَّامَ وَصْلِهِمُ

فالمراد بالعَيْن: نفسُه، وذاتُه، والمراد بـ: «جارية» عينه الباصرة؛ التي تجري بالدَّمع، والمراد بقوله: «بها» نقد الذهب، وهذا يسمَّى في فنِّ البديع استخداماً، وتُطلق العين على أشياء كثيرة أيضاً، وعلى المَطر الهاطل من السَّحاب، قال عنترة في معلَّقته ـ وهو الشاهد رقم [٣٥٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الكامل]

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةٍ ... فَتَرَكْنَ كُلَّ حَدِيقَةٍ كَالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم: أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة من الأبوين.

الإعراب: ﴿وَكَتَبْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فِيهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، وقيل: متعلقان بمحذوف حال مِنَ: ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ...﴾ وساغ ذلك؛ لأنَّ الجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَنزَلْنَا...﴾ إلخ. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلنَّفْسَ﴾: اسمها. ﴿بِٱلنَّفْسِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ التقدير: تقتل، أو مقتولة بالنفس، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به. ﴿وَٱلْعَيْنَ﴾: معطوف على: ﴿ٱلنَّفْسَ﴾. ﴿بِٱلْعَيْنِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر، التقدير: أي: تقلع، أو مقلوعة بالعين، وقل مثله في بقية الأسماء المعطوفة، هذا؛ وقرئ: (العينُ) بالرفع، وكذلك بقية الأسماء المعطوفة عليها، وفيها ثلاثة أوجه:

الأول: كلُّ واحد منها مبتدأ، والجار والمجرور بعده متعلِّقان بمحذوف خبره. وهذه الجمل الاسمية معطوفة على: ﴿أَنَّ﴾ وما في حيزها باعتبار المعنى، أو هي مستأنفة، ومعناها: وكذلك العينُ مفقوءةٌ بالعين، والأنفُ مجدوعةٌ بالأنف، والأذنُ مصلومةٌ بالأذن، والسنُّ مقلوعةٌ بالسنِّ.

والثاني: أنَّ (العين) معطوف على محلِّ ﴿ٱلنَّفۡسَ﴾، و﴿بِٱلۡعَيۡنِ﴾ معطوفان على: ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾ فهما متعلقان بمحذوف خبر في التقدير، كما في قراءة النصب. وهناك قول آخر: إنَّ المرفوع منها معطوف على الضمير المستتر في قوله: ﴿بِٱلنَّفۡسِ﴾، والمجرورات على هذا متعلِّقةٌ بمحذوف أحوالٍ مبينةٍ للمعنى، والمعتمد الأوَّل مِنْ هذه الأقوال. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف عطف، وتفريع. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَصَدَّقَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَفَّارَةٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَّهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَفَّارَةٌ﴾ أو بمحذوف صفة له، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط... إلخ، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما ذكرته لك مراراً. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم...﴾ إلخ: انظر الآية السابقة.

﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ٤٦﴾

الشرح: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم...﴾ إلخ أي: أتبعنا على آثار النبيين الذين أسلموا، والربَّانيين، والأحبار بعيسى... إلخ، وأصل (قفينا): قفَّونا، قلبت الواو ياء لوقوعها رابعة. واشتقاقه من: قفوته: إذا اتبعت قفاه، ثم اتّسع فيه، فأطلق على كلِّ تابع، وإن بَعُد زمان التابع من زمان المتبوع، والقفا: مؤخر العنق، ويقال له: القافية أيضاً. ومنه قول النبيِّ ﷺ: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ... إلخ**». رواه الشيخان، وغيرهما، ومنه: قافية الشعر، وهي آخر حرفٍ من البيت، سميت بذلك لأنَّها تُعاد، وتتبع ما قبلها من أبيات، هذا وقال تعالى في سورة (الحديد): ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ هذا؛ وعيسى هو بالعبرية: يسوع، مأخوذ مِنَ: العَيْس، وهو بياضٌ يخالطه شقرة، قاله أبو البقاء، ومنه قيل للإبل البيض: عِيْس، واحدها: بعير أعيس، وناقة عيساء، قال امرؤ القيس: [الطويل]

يَرُعْنَ إِلَى صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْنَهُ ... كَمَا تَرْعَوِي عِيْطٌ إِلَى صَوْتِ أَعْيَسَا

العيط: جمع: عيطاء، وهي النَّاقة الفتية التي لم تحمل. وانظر شرح ﴿مَرۡيَمَ﴾ في الآية رقم [١٧].

﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ أي: مؤمناً بها، وحاكماً بما فيها، هذا؛ وقوله: ﴿لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ﴾ من مجاز الكلام، وذلك: أنَّ ما بين يديه أمامه، فقيل لكل شيءٍ تقدَّم على الشيء: هو بين يديه لغاية ظهوره، واشتهاره. هذا؛ و﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ﴾ مشتقةٌ من: وَرَى الزَّنْدَ: إذا خرجت ناره،

وأصلها توْرَيَة على وزن: تَفْعَلَة التاء زائدة، وتحرَّكت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وقيل: التوراة مأخوذة من التَّوْرِية، وهي التَّعريض بالشَّيء، والكتمان لغيره؛ لأنَّ أكثر التوراة معاريض، وتلويحات من غير تصريح، وإيضاح. هذا قول المؤرج، والجمهور على القول الأول، لقوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٤٨]: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾. هذا؛ وأنثت التوراة نظيرة لـ: موماة، ودوداة ونحوها في كلام العرب.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ﴾ أي: أنزلنا عليه الإنجيل، وهو يذكَّر، ويؤنَّث، فَمَنْ أنَّث أراد الصَّحيفة، ومَنْ ذَكَّر أراد الكتاب، وهو الأكثر، ويجمع على: أناجيل، وتجمع التوراة على تَوارٍ، وهو مشتقٌّ من النَّجل، وهو الأصل، كأنَّه أصل الدِّين، يرجع إليه، ويؤتَمُّ به، ومنه سمِّي الولد، والنسل: نَجْلاً لخروجه مِنْ والديه، كما قال الشاعر: [الطويل]

إِلَى مَعْشَرٍ لَمْ يُورِثِ اللُّؤْمَ جَدُّهُمْ أَصَاغِرَهُمْ وَكُلُّ فَحْلٍ لَهُ نَجْلُ

ويقال: لعن الله أناجيله، يعني: والديه؛ إذ كانا أصله، ويقال: [المحدث]

بِئْسَ النَّجْلُ مَا نَجَلَا

هذا؛ وقد يسمى القرآن: إنجيلاً أيضاً، كما روي في قصَّة موسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: أنَّه قال: يا رب أرى في الألواح أقواماً أناجيلهم في صدورهم، فاجعلهم أمَّتي! فقال الله عزَّ وجل له: تلك أمَّة أحمد يا موسى! وإنما أراد بالأناجيل: القرآن. هذا والإنجيل خالٍ من الأحكام. وخاصَّةً المواريث، وقد دخل الإنجيلَ التحريفُ، والتزييفُ، كما دخلا التوراة، وما إنجيل مَتَّى، ومرْقُس... إلخ إلا مِن اختراعهم، وابتداعهم.

﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾ انظر الآية رقم [٤٤]، وأصل: ﴿هُدًى﴾: هُدَيٌ ـ بضم الهاء، وفتح الدال، وتحريك الياء منونةً ـ فقلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف والتنوين، الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار: هدًى وإنَّما أتوا بياء أخرى لتدلَّ على الياء المحذوفة، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها. وقالوا: هُداً، فلا يوجد ما يدلُّ عليها. وهذا الإعلال يجري في كلِّ اسمٍ مقصورٍ مجرَّدٍ من أل، والإضافة.

﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾: فالهدى بيان طريق الرُّشد المأمور بسلوكه دون طريق الغيِّ، والموعظة: هي الكلام الذي يفيد الزَّجر عمَّا لا ينبغي في طريق الدِّين، والأخلاق. وإنَّما خص المتقين بالهدى، والموعظة؛ لأنَّهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (قفينا): فعل، وفاعل. ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿بِعِيسَى...﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرةٌ مقدَّرة على الألف للتعذر، والجار والمجرور في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على

جملة: ﴿أَنزَلْنَا...﴾ إلخ في الآية رقم [٤٤] فهي في محل رفع مثلها. ﴿ٱبْنِ﴾: صفة (عيسى) أو بدل منه، و﴿ٱبْنِ﴾: مضاف. و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال مِنْ (عيسى). ﴿لِّمَا﴾ جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿مُصَدِّقًا﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (ما) أو صفتها، التقدير: مصدقاً للذي، أو: لشيءٍ يوجد بين يديه، و﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و﴿يَدَيْهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه مثنَّى صورة، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وابن هشام - رحمه الله تعالى - يعتبر اللام في (لِمَا) زائدة، ويُسَمِّيها لام التقوية، فإذاً (ما) مجرورة لفظاً، منصوبة محلاًّ، ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (البروج): ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ وفي سورة (المعارج): ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ وفي سورة (الأنبياء): ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾. وأورد ابن هشام قول حاتم الطائي، وقيل: هو لقيس بن عاصم المِنْقري - رضي الله عنه، وهو الشاهد رقم [٣٩٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» -: [الطويل]

إِذَا مَا صَنَعْتِ الزَّادَ فَالْتَمِسِي لَهُ ... أَكِيلاً فَإِنِّي لَسْتُ آكِلَهُ وَحْدِي

﴿مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في الظرف ﴿بَيْنَ﴾، و﴿مِنَ﴾ بيان لِمَا أبهم في (ما). (آتيناه): فعل، وفاعل، ومفعول به أوَّل. ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. . . إلخ. ﴿فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٤٤]، وهي هنا في محل نصب حال مِنَ: ﴿ٱلْإِنجِيلَ﴾. ﴿وَمُصَدِّقًا﴾: معطوف على الجملة الاسمية الواقعة حالاً، فهو حال مثلها. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ إعراب هذه الكلمات مثل إعراب ما قبلها. ﴿وَهُدًى﴾: معطوف على (مصدقاً): منصوب مثله. . . إلخ ﴿وَمَوْعِظَةً﴾ معطوف على ما قبله أيضاً. ﴿لِّلْمُتَّقِينَ...﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما على التنازع، وقد حذف متعلَّق أحدهما لدلالة متعلق الآخر عليه. هذا؛ وقد قرئ برفع الاسمين على أنَّهما مبتدأ حذف خبرهما، التقدير: وفيه هدىً، وموعظةٌ للمتقين.

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلْيَحْكُمْ...﴾ إلخ: يقرأ هذا الفعل بسكون اللام، وكسرها. وقد ذكرت في الآية السابقة: أنَّ الإنجيل خالٍ مِنَ الأحكام. وإنَّما كلُّه مواعظ، وحكم؛ فإذاً ما معنى الأمر هنا؟ فيه تأويلان: أحدهما: أنَّ الإنجيل مصدقٌ للتوراة، ولأحكامها، كما هو صريح الآية السَّابقة، فيكون ضمناً آمراً بتنفيذ أحكامهما، وتشريعهما، كما قال تعالى في الآية رقم [٦٨] الآتية: ﴿قُلْ

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ...﴾ ومن لم ينفذ ذلك يكن غير مؤمنٍ بالإنجيل. والتَّأويل الثاني: أنَّ المراد بهذا الحكم الإيمان بمحمَّد ﷺ لأنَّ ذكره في الإنجيل، ووجوب التَّصديق بنبوَّته موجودٌ، فإذا آمنوا بمحمَّدٍ، وبالقرآن الَّذي أنزل عليه؛ فقد حكموا بما في الإنجيل، كما قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٥٧]: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ...﴾ إلخ. هذا؛ وهناك مَنْ يقول: إنَّ في الإنجيل أحكاماً يجب تطبيقها، ولم نطَّلع عليها. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم...﴾ إلخ. انظر الآية رقم [٤٤] ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الأمر. (يحكم): فعل مضارع مجزوم بلام الأمر. ﴿أَهۡلُ﴾: فاعله، وهو مضاف، والإنجيل مضاف إليه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، التقدير: وقلنا: ليحكم... إلخ، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة: ﴿أَنزَلۡنَا...﴾ إلخ في الآية رقم [٤٤] فهي في محلِّ رفع مثلها. هذا؛ وعلى قراءة كسر اللام؛ فهي لام التعليل و(يحكم): منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، و«أن» المضمرة، والفعل: (يحكم) في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ: (آتيناه). ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: (يحكم). و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وجملة: ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ﴾ صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور بـ: (في)، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بإنزال فيه، وهو ضعيف كما ترى. وجملة: ﴿وَلۡيَحۡكُمۡ﴾ معطوفة على: (هدى وموعظة...) إلخ. ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم...﴾ إلخ: انظر إعراب هذه الكلمات جملةً، وإفراداً في الآية رقم [٤٤].

﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ﴾: الخطاب لسيد الخلق، وحبيب الحقِّ محمد ﷺ و﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: القرآن. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: بالأمر الحق. ﴿مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ المراد: جميع الكتب السماوية؛ التي أنزلها الله على الرُّسل، فالقرآن يؤيِّدها، ويؤكِّدها. وانظر الآية رقم [٤٦]. ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ﴾ أي: عالياً على جميع الكتب، ومرتفعاً عليها، وشاهداً، ورقيباً على سائر

الكتب المتقدِّمة، يشهد لها بالصحَّة، والثبات، وجامعاً لأحكامها، وتعاليمهما. قال حسان ـ رضي الله عنه ـ: [الكامل]

إنَّ الْكِتَابَ مُهَيْمِنٌ لِنَبِيِّنَا وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ ذَوُو الأَلْبَابِ

هذا؛ ويقرأ بفتح الميم الثانية على صيغة المفعول، وفسِّر بأنَّ محمداً مؤتمَنٌ عليه، وحافظٌ له من التغيير، والتبديل، والحافظ له في الحقيقة هو الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ وكذلك الحفَّاظ في كل عصر.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ أي: أَنْزَلَ إليك. هذا أمر يوجب الحكم بين اليهود، والنَّصارى، فقيل: هذا نسخٌ للتخيير في قوله في الآية رقم [٤٢]: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. وقيل: ليس هذا وجوباً، والمعنى: فاحكم بينهم إن شئت. ولا تتبع أهواءهم. . .إلخ: فهذا النهي ليس على بابه، وإنَّما هو على سبيل الفرض، والتقدير. فحاشاه ﷺ أن يميل عن الحقِّ لبعض الناس! أو: يكون الخطاب للنبيِّ ﷺ والمراد أمَّته. وانظر شرح ﴿ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في الآية رقم [١٣٥] من سورة النِّساء فإنَّه جيِّد، والحمد لله!.

﴿لِكُلٍّ﴾ أي: لكل الناس مِنْ مسلمين، ويهود، ونصارى. ﴿جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾: شريعة، وطريقةً واضحةً في الدِّين، ومنهاجاً يمشون عليه. ويتقيَّدون بأحكامه. والشريعة في كلام العرب: المشرعة؛ التي يشرعها الناس، فيشربون، ويسقون منها، وقيل: الشَّريعة: الطريقة، ثم استعيرت للطريقة الإلهية المؤدِّية إلى الدِّين. والمنهاج: الطريق الواضح. وقال بعضهم: الشَّريعة، والمنهاج عبارتان عن معنىً واحد، والتكرير للتَّأكيد، والمراد بها الدِّين. وقال آخرون: بينهما فرقٌ لطيف، وهو أنَّ الشريعة هي التي أمر الله بها عباده. والمنهاج: الطَّريق الواضح المؤدِّي إلى الشَّريعة، ولكلِّ رسولٍ، وكتابٍ شريعةٌ، يُحِلُّ الله فيها ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء، ليعلم مَنْ يطيعه ممَّن يعصيه، والدِّين الذي لا يُقبل غيره هو التَّوحيد، والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرُّسل، عليهم السلام، كما ثبت في صحيح البخاريِّ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**نَحْنُ مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ إِخوَةٌ لِعَلَّاتٍ، دِيْنُنَا وَاحِدٌ**». أي: أبناء ضرائر.

وقال عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ: الإيمان منذ بعث آدم عليه السلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما جاء من عند الله، ولكلِّ قوم شريعةٌ، ومنهاج. قال العلماء: وردت آياتٌ دالَّةٌ على عدم التباين في طريقة الأنبياء، والرُّسل، منها قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا...﴾ إلخ رقم [١٣] من سورة (الشُّورى)، ومنها قوله عزَّ وجل: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ...﴾ إلخ رقم [٩٠] من سورة (الأنعام)، ووردت آيات دالَّةٌ على حصول التباين بينهم، منها قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾، وطريق الجمع بين هذه الآيات: أنَّ كلَّ آيةٍ دلَّت على عدم التباين فهي دالَّةٌ على أصول الدِّين، مِنَ الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،

ورسله، واليوم الآخر، وكلُّ ذلك جاءت به الرُّسل مِنْ عند الله، ولم يختلفوا فيه. وأمَّا الآيات الدَّالَّة على حصول التباين بينهم فمحمولةٌ على الفروع، وما يتعلَّق بظواهر العبادات، فجائز أن يتعبَّد الله عباده في كلِّ وقتٍ بما يشاء. فهذه طريق الجمع بين هذه الآيات، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه. واحتجَّ بهذه الآية مَنْ قال: إنَّ شرع من قبلنا لا يلزمنا؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ يدلُّ على أنَّ كلَّ رسولٍ جاء بشريعةٍ خاصَّةٍ، فلا يلزم أمَّة رسول الاقتداء بشريعة رسولٍ آخر. انتهى. خازن.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: جماعةً متَّفقة على شريعةٍ واحدةٍ، ودينٍ واحد، لا اختلاف فيه في جميع الأعصار من غير نسخ، وتبديل. ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾: ولكن فرَّقكم، وجعلكم شيعاً؛ ليختبركم فيما آتاكم من الشَّرائع المختلفة، وليظهر المطيع منكم، والعاصي، والموافق، والمخالف. ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾: سارعوا إليها انتهازاً للفرصة، وحيازةً لفضل السَّبْق، والتقدُّم. وفيه استعارةٌ حيث شبه الطَّائعين المسارعين إليها بالمُتسابقين على ظهور الخيل؛ إذ كلُّ واحدٍ ينافس صاحبه في السَّبق لبلوغ الغاية المقصودة. ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أي: ترجعون إلى الله جميعاً، وذلك بالموت الذي قهر به العباد، وحكم به على كلِّ مخلوق، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ...﴾. ﴿فَيُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [١٤] ففيها الكفاية، وخذ قول أبي العتاهية الصُّوفي ـ رحمه الله تعالى ـ: [الوافر]

فَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا ... لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةَ كُلِّ حَيِّ

وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا ... وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَا عَنْ كُلِّ شَيِّ

الإعراب: ﴿وَأَنزَلْنَا﴾: الواو: حرف عطف. (أنزلنا): فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿الْكِتَابَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على مثلها في الآية رقم [٤٤] فهي في محلِّ رفعٍ مثلها. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِنَ الكتاب، أي: ملتبساً بالحق. ﴿مُصَدِّقًا﴾: حال ثانية من: ﴿الْكِتَابِ﴾، وقيل: مِنَ الضَّمير المستتر بقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾. ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٤٦]. ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾: معطوف على: ﴿مُصَدِّقًا﴾. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان به.

﴿فَاحْكُم﴾: الفاء: هي الفصيحة. (احكم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلِّق بما قبله، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل (احكم)، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية ضعيفة. ﴿أَنزَلَ اللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: فاحكم بينهم بالذي، أو: بشيءٍ أنزله الله، وجملة: (احكم...) إلخ لا محلَّ لها؛

لأنَّها جوابٌ لشرطٍ غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً وحاصلاً؛ فاحكم. . .إلخ. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا) والفاعل مستتر تقديره: أنت، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: عادلاً، أو مائلاً عن الحقِّ. ﴿جَآءَكَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، والكاف مفعول به والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها. ﴿مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال (من) الفاعل المستتر، وَ﴿مِنَ﴾ بيان لِمَا أُبهم في (ما).

﴿لِكُلٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والتنوين عوض عن المضاف إليه المحذوف، التقدير: لِكُلِّ النَّاس، وهما في محل نصب مفعول به ثان تقدَّم على الفعل إن كان بمعنى: صيَّر. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بصفة لما عوض عنه تنوين: (كلٍّ) وقيل: متعلقان بمحذوف، تقديره: أعني: منكم، ولا يجوز تعليقهما بمحذوف على أنَّه صفة لـ: (كلٍّ) لأنَّه يلزم الفصل بين الصفة والموصوف بجملة: ﴿جَعَلْنَا﴾. وهي أجنبية ليس فيها تأكيد، وما شأنه كذلك لا يجوز الفصل به، وهو تكلُّف لا داعي له، وقد وقع الفصل بين الصفة والموصوف في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ رقم [١٤] من سورة (الأنعام). ﴿شِرْعَةً﴾: مفعول به. ﴿وَمِنْهَاجًا...﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لِكُلٍّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها، جِيْء بها لحمل أهل الكتابين من معاصريه ـ عليه الصَّلاة، والسَّلام ـ على اتِّباعه، والانقياد لحكمه.

﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لِمَا كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله، والمفعول محذوف دلَّ عليه الجواب، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرطٍ غير ظرفي. ﴿لَجَعَلَكُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جعلكم): فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾ والكاف مفعول به أول. ﴿أُمَّةً﴾: مفعول به ثان. ﴿وَٰحِدَةً﴾: صفة له، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محلَّ لها. و(لو) ومدخولها كلامٌ مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: اللام: لام التعليل. (يبلوكم): فعل مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ والكاف مفعول به، و«أنْ» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، انظره في الشرح. ﴿فِى مَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدَّر على الألف للتعذُّر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير:

ليبلوكم في الَّذي، أو: في شيءٍ آتاكموه، والكلام: ﴿وَلَٰكِن﴾ معطوف على الواو، ومدخولها، لا محلَّ له مثله.

﴿فَاسْتَبِقُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة. (استبقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتَّفريق. ﴿الْخَيْرَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان الابتلاء، والاختبار واقعاً؛ فاستبقوا الخيرات. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة المصدر الميمي لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفةٌ، أو تعليلٌ للأمر لا محلَّ لها على الاعتبارين. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الكاف، والميم، وهي حالٌ مؤكِّدة.

﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئكم): فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: (الله) والكاف مفعول به أوَّل. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به ثان، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة، والمصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، وجملة: ﴿فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في محلِّ نصب خبر: (كان)، وجملة: ﴿كُنتُمْ﴾ إلخ صلة: (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ: (في) وعلى اعتبار: (ما) مصدرية تؤوَّل مع ما بعدها بمصدرٍ في محلِّ جرٍّ بالباء، التقدير: فينبئكم باختلافكم، والجملة الفعلية هذه معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ...﴾ إلخ: فهذا تأكيدٌ لِمَا تقدَّم من الأمر بذلك؛ والنهي عن خلافه، وهو النَّسخ لقوله تعالى في آيةٍ سبقت: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. وقال بعض العلماء: ليس في هذه الآية تكرار لما تقدَّم، وإنَّما أُنزلَتا في حكمين مختلفين، أمَّا الآية الأولى؛ فنزلت في شأن رجم المُحْصَن، حيث طلبت اليهود من النبي ﷺ أن يجلده فقط، وأن يُحَمِّمه، وهذه الآية نزلت في أمر قتيلٍ بينهم.

﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ كعب بن أُسَيْد، وعبد الله بن صوريا، وشاس بن قيس ـ أخزاهم الله ـ قال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمَّد؛ لعلَّنا نفتنه عن دينه. فأتوه، فقالوا: يا محمد قد عرفت أنَّا أحبار اليهود، وأشرافهم، وساداتهم.

وإنَّا إن اتَّبعناك؛ اتبعتنا اليهود، ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين قومنا خصومةً، فنتحاكم إليك، فاقض لنا عليهم؛ نؤمن بك، ونصدقك. فأبى رسول الله ﷺ. وإنَّما حذَّره ربه، وهو رسول معصوم مأمون؛ لقطع أطماع اليهود اللُّؤماء. هذا؛ وقيل: المعنى: أن يفتنوك عن كلِّ ما أنزل الله إليك، والبعض يستعمل بمعنى الكل، والمعتمد الأوَّل، وإنَّ المراد به: الرَّجم، أو الحكم الذي كانوا أرادوه، ولم يقصدوا أن يفتنوه عن الكلِّ.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فإن أعرضوا عن الحكم بما أنزل الله إليك، وأرادوا غيره. ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ...﴾ إلخ؛ أي: فاعتقد أنَّ الله يعاقبهم ببعض ذنوبهم. وهذا يشير: أنَّ لهم ذنوباً كثيرةً. وفيه تعظيم الذنوب، فإنَّ بعضها مهلكٌ، فكيف بكلِّها؟! هذا؛ وقد أصابهم في الدُّنيا ببعض ذنوبهم بالجلاء، والجزية، والقتل، ولعذاب الآخرة أشدُّ، وأبقى. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾: المراد: اليهود؛ لأنَّهم ردُّوا حكم الله تعالى، وما أكثر الفاسقين في هذا الزَّمن مِنَ الذين يدَّعون الإسلام، والإيمان!.

هذا؛ و«تولى» تفعَّل، وأصله: الإعراض، والإدبار عن الشَّيء بالجسم، ثمَّ استعمل في الإعراض عن الأوامر، والأديان، والمعتقدات اتِّساعاً، ومجازاً، وانظر الآية رقم [٥٦] الآتية.

هذا؛ وأصل «الفتنة»: الاختبار، ثمَّ يختلف معناها، فقوله تعالى هنا: ﴿يَفْتِنُوكَ﴾ معناه: يصدُّوك، ويردُّوك عن الحقِّ. وتكون الفتنة بمعنى الشرك، كقوله تعالى في سورة (البقرة) الآية رقم [١٩١]: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ورقم [٢١٧]: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ورقم [١٩٣]: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ وهي في (الأنفال) برقم [٣٩]، ولها معانٍ أخر بحسب موقعها مِنَ الجملة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَأَنِ﴾: الواو: حرف عطف. (أَن): حرف مصدري، ونصب. ﴿احْكُم﴾: فعل أمر في محل نصب بـ: (أن) وفاعله مستتر تقديره: أنت، والمصدر المؤوَّل منهما في محلِّ نصب معطوف على: ﴿الْكِتَابَ﴾ في الآية السابقة، التقدير: أنزلنا إليك الكتاب، والحكم. وقيل: معطوف على ﴿الْحَقِّ﴾ فهو في محل جرٍّ، وقيل: (أَنْ) مفسِّرة، وهناك فعل محذوف، التقدير: وأمرناك، ثمَّ فسَّر هذا الأمر بـ: (احْكم) ولا بأس به، وعليه فالجملة الفعلية معطوفة على جملة: (أنزلنا...)إلخ. ﴿بَيْنَهُم﴾: ظرف مكان متعلِّق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات في الآية السَّابقة. ﴿وَاحْذَرْهُمْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿يَفْتِنُوكَ﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾ وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والمصدر المؤوَّل منهما بدل اشتمال مِنْ: (هُمْ) أي: احذرهم فتنتهم، أو هو مفعول لأجله على حذف مضاف. التقدير:

احذرهم مخافة فتنتهم. ﴿عَنۢ بَعۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعۡضِ﴾: مضاف، و(ما): مضاف إليه، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: عن بعض الذي، أو: بعض شيءٍ أنزله الله إليك، والتقدير على المصدرية: عن بعض إنزال الله إليك، وهو ضعيفٌ معنىً، كما ترى.

﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّوۡاْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدَّر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة في محلِّ جزم فعل الشرط، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَٱعۡلَمۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اعلم): فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿أَنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾: مضارع، وفاعله. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يُصِيبَهُم﴾: فعل مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء مفعول به، والمصدر المؤول منهما في محل نصب مفعول به، والمصدر المؤول مِنْ: ﴿أَنَّمَا...﴾ إلخ في محل نصب سدَّ مسدَّ مفعولي (اعلم)، وجملة: (اعلم...)إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور...إلخ، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له مفرَّع عمَّا قبله لا محلَّ له.

﴿وَإِنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرٗا﴾: اسمها. ﴿مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ: ﴿كَثِيرٗا﴾ أو بمحذوف صفة له، وتعليقهما بـ: (فاسقون) بعدهما ضعيف. ﴿لَفَٰسِقُونَ...﴾: اللام: هي المزحلقة. (فاسقون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمَّة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها، واعتبارها حالاً من الضمير: (هُمْ) لا بأس به، ويكون الرابط: الواو فقط، وقد أظهر في محل الإضمار، فمقتضى القياس: «وإنَّ كثيراً منهم لفاسقون».

﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ٥٠﴾

الشرح: ﴿ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ...﴾: تطلق هذه الكلمة على أحوال العرب قبل الإسلام حينما كانوا يعبدون الأوثان، والفوضى ضاربة أطنابها فيهم، وهي أيضاً: متابعة الهوى، والميل إلى الباطل، والمداهنة في الحكم، وهي الآن ضاربة أطنابها في بلاد المسلمين بهذا المعنى. وإليك ما جاء في الظلال للمرحوم سيد قطب، قال: إنَّ الجاهلية في ضوء هذا النصِّ القرآني البليغ هي حكم البشر للبشر، وعبودية البشر للبشر، ورفض ألوهيَّة الله، والخروج مِنْ عبوديته إلى عبودية غير الله، إنَّه مفرق الطريق، فإمَّا حكمُ الله، وإمَّا حكم الجاهلية، ولا وسط، ولا بديل، إما أن تنفذ شريعة الله في حياة الناس، أو ينفذ حكم الجاهلية، وشريعة الهوى، ومنهج العبوديَّة لغير الله.

والجاهلية ليست فترةً من الزَّمن، ولكنَّها وضعٌ من الأوضاع يوجد بالأمس، واليوم، وغداً. والناس إمَّا أنَّهم يحكمون بشريعة الله، ويقبلونها، ويسلِّمون بها تسليماً، فهم إذاً مسلمون، وإمَّا أن يحكموا بشريعةٍ مِنْ صُنْعِ البشر، فهم في جاهلية، وهم خارجون عن شريعة الله . والاستفهام للإنكار والتوبيخ، والمعنى: أيتولون عن حكمك، ويبتغون غير حكم الله، وهو حكم الجاهليَّة؟! هذا؛ ويقرأ حكم بضم الحاء وسكون الكاف، وبفتحتين، كما يقرأ بفتح الميم، وضمِّها.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: هذا إنكارٌ، ونفي لأن يكون أحدٌ حكمه أحسن مِنْ حكم الله تعالى، أو مساوٍ له؛ وإن كان ظاهر السَّبك غير متعرِّض لنفي المساواة، وإنكارها.

﴿يُوقِنُونَ﴾ أي: يعتقدون بالله، أو بحكمه. وفي الخازن: والإيقان: إتقان العلم بنفي الشَّكِّ، والشبهة عنه بالاستدلال. واليقين: عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة؛ لأنَّ الإنسان في أوَّل الحال لا ينفك عن شبهةٍ، وشكٍّ، فإذا كثرت الدلائل، وتوافقت؛ صارت سبباً لحصول اليقين، والطمأنينة في القلب، وزالت الشُّبهة عند ذلك. وينبغي أن تعلم أن اليقين من «يقن» الثُّلاثي، وأمَّا الإيقان؛ فإنَّه من «أيقن» الرُّباعي. هذا؛ وأصل الفعل: «يُؤَيْقِنُون» فحذفت الهمزة للتخفيف، حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة مثل: «أؤيقن» الذي حذفت همزته الثانية للتخلص مِنْ ثقل الهمزتين، فصار: «يُوْيقِنُون» ثم حذفت الياء الساكنة لالتقائها ساكنة مع الواو، فصار (يُوقِنُون).

تنبيه: سبب نزول هذه الآية الكريمة: كانت بين بني النضير، وبني قريظة ـ حيين من اليهود في المدينة قبل هجرة الرسول ﷺ إليها ـ دماء، وكان بنو النضير يفضِّلون أنفسهم على بني قريظة، كما ذكرته لك فيما مضى قريباً، فلمَّا هاجر الرَّسول ﷺ إلى المدينة؛ تحاكموا إليه، فقال بنو قريظة: بنو النضير إخواننا، ويفضِّلون أنفسهم علينا، يجعلون القتيل منهم بقتيلين منا، وأرش جراحتنا على النِّصف مِنْ جراحتهم، فاحكم بيننا، وبينهم، فقال الرسول ﷺ: «**أنا أحكم: أنَّ دم القرظي كدم النَّضيريِّ، ليس لأحدهما فضل على الآخر في دمٍ، ولا عَقْلٍ، ولا جِراحةٍ**». فغضب بنو النضير، وقالوا: لا نرضى بحكمك! فأنزل الله الآية الكريمة على سيد الخلق، وحبيب الحقِّ.

تنبيه: روي: أنَّ طاوس ـ رحمه الله تعالى ـ كان إذا سئل عن الرَّجل يفضِّل بعض ولده على بعض يقرأ هذه الآية، وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول: ليس لأحدٍ أنْ يفضِّل بعض ولده على بعض، فإن فعل؛ لم ينفذ، وفسخ. وبه قال الإمام أحمد، وأهل الظاهر، وأجاز ذلك مالكٌ، والشافعيُّ، وأصحاب الرأي، واستدلُّوا بفعل الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ في نَحْلِهِ عائشة ـ رضي الله عنها ـ دون سائر ولده. واحتجَّ الأوَّلون بقول النبي ﷺ لبشير بن النُّعمان ـ رضي الله عنهما ـ: «**أَكلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَ مِثْلَهُ؟**» فقال: لا، قال ﷺ: «**فَلَا تُشْهِدْنِي إِذاً؛ فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ**».

قالوا: وما كان جوراً؛ فهو باطلٌ، لا يجوز، وأمَّا فعل الصديق ـ رضي الله عنه ـ فلا يعارض به قول النبي ﷺ، ولعلَّه كان قد نَحَل أولاده نحلاً يعادل ذلك.

والَّذي يرجِّح المنع، بل والتحريم ما ينشأ عن ذلك مِنَ العقوق؛ الَّذي هو أكبر الكبائر، وزرع الضغينة، والحقد، والحسد بين الأولاد، وهذا واقعٌ في حياتنا، ولذلك قال الرسول ﷺ: «**اتَّقوا الله، واعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**».

وقوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ وَلَوْ فِي الْقُبَلِ**». قال النُّعمان ـ رضي الله عنه ـ فرجع أبي فردَّ تلك الصَّدقة. فليتق اللهَ المسلمُ، وليكن ضابطاً لعواطفه حتَّى لا يجرَّ الشَّقاء على ورثته مِنْ بعده. والشقي مَنِ اتَّعظ به غيره، والسَّعيد مَنِ اتَّعظ بغيره.

الإعراب: ﴿أَفَحُكْمَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. والفاء: حرف عطف. و(حكم): مفعول به مقدَّم على ناصبه، وهو مبتدأ على رفعه، وهو مضاف، و﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر، أو اسم الفاعل لفاعله. ﴿يَبْغُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ على رفع: (حكم) ويكون قد حذف الرابط، وهو المفعول به، كما حذفه أبو النَّجم العجلي في قوله ـ وهو الشاهد رقم [٣٦٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»: [الرجز]

قَدْ أَصْبَحَتْ أُمُّ الْخِيَارِ تَدَّعِي عَلَيَّ ذَنْبَاً كُلُّهُ لَمْ أَصْنَعِ

فتكون الجملة اسمية. وسواءٌ كانت الجملة اسمية، أم فعلية فهي مستأنفةٌ، لا محلَّ لها. وقال الزمخشري، ومتابعوه: الجملة على الوجهين معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أيتولون عن حكمك، فيبغون حكم الجاهلية؟! ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام معناه النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَحْسَنُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَحْسَنُ﴾. ﴿حُكْمًا﴾: تمييز. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ: ﴿حُكْمًا﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعل مضارع وفاعله، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محلِّ جرٍّ صفة: (قوم).

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١]. أمَّا المناسبة بين هذه الآية وما يتلوها مِنْ آيات، وبين ما تقدَّم؛ فإنَّ الله تعالى لمَّا حكى عن أهل الكتاب: أنَّهم تركوا العمل بالتَّوراة، والإنجيل، وحكم عليهم بالكفر، والظلم، والفسوق؛ حذَّر اللهُ تعالى في هذه الآيات مِنْ موالاة

اليهود، والنصارى، ثمَّ عدَّد جرائم اليهود، وما اتَّهموا به الذَّات الإلٰهية المقدَّسة من شنيع الأقوال، وقبيح الفعال. واختلف في سبب نزول الآيات.

فقال قوم: نزلت في عبادة بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ، وعبد الله بن أَبَيٍّ ابن سلول رأس المنافقين، وذلك: أنَّهما اختصما، فقال عبادة ـ رضي الله عنه ـ: إنَّ لي أولياء من اليهود، كثيرٌ عدَدُهم، شديدةٌ شوكتُهم، وإنِّي أبرأ إلى الله، وإلى رسوله مِنْ ولايتهم، ولا مولى لي إلا الله ورسوله. فقال عبد الله بن أبي: لكنِّي لا أبرأ مِنْ ولايتهم، فإنِّي أخاف الدوائر، ولا بدَّ لي منهم. فقال النبي ﷺ: «**يا أبا الحُباب، ما نفست به مِنْ ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه**». فقال: إذنْ أقبل، فأنزل الله هذه الآية والتي بعدها. والمراد باليهود قبيلة بني قينقاع؛ الذين أجلاهم الرَّسول ﷺ من المدينة، وكانوا حلفاء لعبد الله المنافق، فتشبث بهم.

وقال السدي ـ رحمه الله تعالى ـ: لمَّا كانت وقعة أحد؛ اشتدَّ الأمر على طائفة من الناس، وتخوَّفوا أن يدال عليهم للكفار، فقال رجل من المسلمين: أنا ألحق بفلان اليهودي، وآخذ منه أماناً، وقال آخر: أنا ألحق بفلان النَّصراني من أهل الشام، وآخذ منه أماناً، فأنزل الله هذه الآية ينهاهم فيها عن موالاة اليهود، والنصارى. وقال عكرمة: نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، لمَّا بعثه ﷺ إلى بني قريظة حين حاصرهم. وهذا ضعيف.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ أي: يوالي، ويناصر بعضهم بعضاً؛ لاتحادهم في الكفر، واجتماعهم على عداوتكم، وما نراه في العصر الحديث من مساعدة الإنكليز، والأمريكان لليهود يؤكِّد هذه الحقيقة التي نزل بها القرآن منذ أربعة عشر قرناً، وهي ماثلةٌ أمام أعين الناس أجمعين.

﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ أي: مَنْ يعتمد على اليهود، والنصارى، والمشركين في شؤونه، ويأمن غدرهم، وشرَّهم؛ فهو منهم، ويحشر معهم يوم القيامة، وهذا تعليم من الله تعالى، وتشديدٌ عظيم في مجانبة الكفار جميعاً، وكلِّ مَنْ خالف دين الإسلام. وانظر الآية رقم [٢٨] من سورة (آل عمران) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى...﴾ إلخ. أي: لا يوفق الذين ظلموا أنفسهم بموالاة أعداء الله، أو ظلموا المؤمنين بموالاة أعدائهم، وانظر «الظلم» وأنواعه في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام) والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١] من هذه السُّورة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّخِذُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْيَهُودَ﴾: مفعول به أول. ﴿وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ﴾: معطوف عليه منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أَوْلِيَآءَ...﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ...﴾ إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْلِيَآءُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿بَعْضٍۚ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية تعليل للنهي، لا محلَّ لها.

﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَتَوَلَّهُم﴾: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ) والهاء مفعول به. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما ذكرته لك مراراً. والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَهْدِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على الياء للثِّقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفته منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابةً عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَهْدِى...﴾ إلخ في محلِّ رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ تعليل، أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَرَى...﴾ إلخ: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شكٌّ، ونفاق، فهو يمرض قلوبهم، أي: يضعف الإيمان فيها، و«المرض» حقيقة فيما يعرض للبدن. فيخرجه عن الاعتدال اللائق به، ويوجب الخلل في أفعاله، وقد يؤدي إلى الموت، واستعير هنا لما في قلوبهم من الجهل، وفساد العقيدة. ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ أي: يسارعون في موالاة الكفار، وموَدَّتهم، والمراد بالذين في قلوبهم مرض: عبد الله بن أبيّ، وَمَنْ على شاكلته من المنافقين. انظر الآية السابقة.

﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ﴾: نخاف. ﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: من دوائر الزَّمان بأن ينقلب الحال، وتكون الدولة، والغلبة لكفار قريش على المسلمين، و«الدائرة»: اسم للحادثة من حوادث الدَّهر، سمِّيت بذلك؛ لأنَّها تدور على الناس مِنْ خيرٍ إلى شرٍّ، ومن شرٍّ إلى خير، ثم اختصت في الاستعمال بالمكروه من الحوادث، والجمع: دوائر، قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٩٨]: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾. وقال عنترة في معلَّقته رقم [٧٧]: [الكامل]

وَلَقَدْ خَشِيتُ بِأَنْ أَمُوتَ وَلَمْ تَدُرْ لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنَيْ ضَمْضَمِ

﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ﴾: (عسى) ليست هنا للترجّي، وإنَّما هي للتحقيق. قال المفسِّرون: (عسى) مِنَ الله واجبٌ؛ لأنَّ الكريم إذا أطمع في خيرٍ؛ فعله، وهو بمنزلة الوعد؛ لتعلُّق النفس به، ورجائها له. والمعنى: فعسى أن يأتي الله بالفتح لرسوله محمد ﷺ على أعدائه، وإظهار دينه على الأديان كلِّها. وقيل: أراد فتح مكة، وقيل: أراد فتح قُرَى اليهود، مثل: خيبر، وفدك، ونحوهما مِنْ بلادهم. ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾: قال السدي: يعني: ضرب الجزية على اليهود، والنصارى. وقيل: المعنى: إنَّ الله تعالى يقطع أصل اليهود من أرض الحجاز، ويخرجهم مِنْ ديارهم بلا كُلفةٍ، وتعبٍ، كما ألقى الرعب في قلوبهم، فتركوا أصل ديارهم، وخرَّبوها بأيديهم، ورحلوا إلى الشَّام.

﴿فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ...﴾ إلخ. أي: فيكون المنافقون نادمين على إسرارهم الكفر في قلوبهم فضلاً عمَّا ظهر على ألسنتهم من كلمات الكفر، وذلك إذا رأوا نصر اللهِ للمؤمنين، أو إذا عاينوا العذاب عند الموت. هذا؛ و(يصبح) ليس على بابه من التوقيت في الصَّباح، وإنَّما هو بمعنى: يصير، أو يكون.

هذا؛ و(ترى) ماضيه: رأى، فالقياس: تَرْأَى، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته، كما في قول سراقة بن مرداس البارقي ـ وهو الشاهد رقم [٥٠٤] من كتابنا: «فتح القريب» ـ: [الوافر]

أُرِي عَيْنَيَّ مَا لَمْ تَرْأَيَاهُ كِلَانَا عَالِمٌ بِالتُّرَّهَاتِ

وربَّما جاء ماضيه بغير همزٍ، وبه قرأ نافع في: (أَرَأَيْتَكُمْ) و(أَرَأَيْتَ): (أرايتكُم) و(أرايت) بدون همز، قال الشاعر: [الخفيف]

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ بِرَاءٍ رَدَّ فِي الضَّرْعِ مَا قَرَى فِي الْحِلَابِ

وإذا أمرت منه على الأصل؛ قلت: أَرْءَ، وعلى الحذف: رَهْ بهاء السكت، وقل في إعلال (ترى): أصله: تَرْأَيُ، قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ثمَّ حذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الرَّاء للتخفيف.

الإعراب: ﴿فَتَرَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على الألف للتعذُّر، والفاعل مستتر تقديره: أنت. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أوَّل. ﴿فِي قُلُوبِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَّرَضٌ﴾: فاعل بمتعلق الجار والمجرور، والتقدير: ترىٰ الذين استقرَّ في قلوبهم مرضٌ. هذا؛ وإن اعتبرت الجار والمجرور متعلِّقين بمحذوف خبر مقدَّم و﴿مَّرَضٌ﴾: مبتدأ مؤخر؛ فعليه تكون الجملة الاسمية صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثانٍ على اعتبار (ترى) قلبيّاً، وفي محل نصبٍ حال من الموصول على اعتبارها بصريّاً، ومثله في الآية رقم [٦٢] الآتية. ﴿فِيهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿فَتَرَى...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿يَقُولُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله. ﴿نَخْشَىٰٓ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على الألف للتعذُّر، والفاعل مستتر تقديره: نحن، والمصدر المؤول مِنْ: ﴿أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ في محل نصبٍ مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿نَخْشَىٰٓ...﴾ إلخ في محلِّ نصبٍ مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، فهي حالٌ متداخلة، أو هي مِنْ تعدُّد المفعول الثاني على اعتبار (ترى) قلبيّاً.

﴿فَعَسَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (عسى): فعل ماض جامد دال على الرَّجاء في الأصل، وانظر الشرح، مبني على فتحٍ مقدَّر على الألف للتعذُّر. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسم (عسى)، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ في محل نصب خبر (عسى)، وهو يؤول بعد سبكه باسم الفاعل، فيكون التقدير: فعسى الله آتياً. ﴿بِٱلْفَتْحِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿أَمْرٍ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِّنْ عِندِهِۦ﴾: متعلِّقان بـ﴿أَمْرٍ﴾، أو بمحذوف صفة له، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَيُصْبِحُواْ﴾: معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿عَلَىٰ مَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿نَٰدِمِينَ﴾ بعدهما، و﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿أَسَرُّواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: على الذي، أو: على شيءٍ أسروه، وعلى اعتبار: ﴿مَآ﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جرٍّ بـ﴿عَلَىٰ﴾، التقدير: على إسرارهم. ﴿فِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف المنصوب. ﴿نَٰدِمِينَ﴾ خبر: (يصبحوا) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾أي: حين يمنُّ الله بالفتح على المؤمنين، وترجع الحسرة، والخيبة، والندامة للمنافقين. واختلف في المقول لهم: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ على وجهين:

إما أن يقوله المؤمنون بعضهم لبعضٍ تعجباً من حال المنافقين، واغتباطاً بما مَنَّ الله عليهم مِنَ التوفيق في الإخلاص، والثبات على الإيمان: هؤلاء المنافقون الذين حلفوا لكم بأغلظ

الأيمان: أنَّهم معكم، ومعاضدوكم على الكفَّار؟ وإما أن يقولوا هذا الكلام لليهود؛ لأنَّ المنافقين حلفوا لهم: أنهم معهم بالمعاضدة، والنُّصرة، كما حكى الله عنهم في سورة (الحشر): ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ...﴾ إلخ: هذا مِنْ تتمَّة قول المؤمنين. أي: بطلت أعمالهم التي كانوا يتكلَّفونها في رأي أعين النَّاس، ويتزلَّفون إليهم بها. وفيه معنى التعجب. كأنَّه قيل: ما أحبط أعمالهم! فما أخسرهم في الدنيا والآخرة! خسروا في الدنيا بافتضاحهم، وخسروا في الآخرة بإحباط أعمالهم، ودخولهم نار جهنَّم وبئس المصير، والقرار! هذا؛ و«جهد اليمين» أغلظه، والجهد بفتح الجيم وضمها: الطاقة، والقدرة، وقرئ بهما قوله تعالى في سورة (التوبة) رقم [٧٩]: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ والله أعلم بمراده.

الإعراب: ﴿وَيَقُولُ﴾: يقرأ بالرفع بواو، وبدونها على الاستئناف، ويقرأ بالنصب عطفاً على: ﴿أَن يَأْتِيَ﴾ باعتبار المعنى، وأجيز اعتبار المصدر بدلاً من لفظ الجلالة، فيصير التقدير: عسى أن يأتي الله ويقول الذين آمنوا. وفيه قول ثالث وهو أن تعطفه على (الفتح) على حدِّ قول ميسون ـ وهو الشَّاهد رقم [٤٧٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» والشاهد رقم [١٣٨] من كتابنا: «فتح رب البرية» ـ: [الوافر]

لَلُبْسُ عَبَاءةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ رفعٍ فاعل، وجملة: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الهاء: حرف تنبيه لا محلَّ له. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، وجملة: ﴿أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿جَهْدَ﴾: حال من واو الجماعة بمعنى: جاهدين، وقيل: مفعول مطلق عامله: (أقسموا) و﴿جَهْدَ﴾: مضاف، و﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: في محل نصب مقول القول.

﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿لَمَعَكُمْ﴾: اللام: هي المزحلقة. (معكم): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: (إنَّ)، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية جواب: (أقسموا) لا محلَّ لها. ﴿حَبِطَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أَعْمَٰلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها. (أصبحوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿خَٰسِرِينَ﴾: خبر: (أصبحوا) منصوب... إلخ، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر مثل هذا النداء في الآية رقم [١] من هذه السُّورة. ﴿مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ﴾: مَنْ يرجع عن دين الإسلام إلى ما كان عليه مِنَ الكفر؛ فلن يضرَّ الله شيئاً، وإنَّما يضرُّ نفسه برجوعه عن الدِّين الحق. ففيه دليلٌ على نبوَّة سيد الخلق، وحبيب الحقِّ؛ حيث أخبر القرآن بأمورٍ لم تكن، فكانت، فقد ارتدَّ عن الإسلام من العرب في أواخر عهد رسول الله ﷺ ثلاثُ فرق: بنو مدلج في اليمن؛ حيث تنبَّأ فيهم الأسود العنسي، وكان يلقب بذي الحِمَار، وكان كاهناً، فكان يقول لِلْحمار سر، فيسير، قف؛ فيقف، وقد أخزاه الله، فقتل قبل وفاة الرَّسول ﷺ بليلةٍ، وأخبر المسلمين بقتله، وكان فيروز الدَّيلمي ـ رضي الله عنه ـ بيَّته، وقتله.

وبنو حنيفة: حيث تنبَّأ فيهم مسيلمة الكذاب، وقد أخزاه الله، فقتل بخلافة الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ، وكان الذي باشر قتله وحشيٌّ قاتل الحمزة ـ رضي الله عنه ـ، فكان يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية، وشرَّ الناس في الإسلام، وأرجو أن تكون هذه بهذه. وارتدَّ بعض بني تميم قوم سَجَاحٍ بنت المنذر المتنبئة؛ التي زوَّجت نفسها مسيلمة الكذاب، وفيها يقول أبو العلاء المعري: [البسيط]

أَمَّتْ سَجَاحِ وَوَافَاهَا مُسَيْلَمَةٌ　　كَذَّابَةٌ مِنْ بَنِي الدُّنْيَا وَكَذَّابُ

وكانت شريفة، فلمَّا تزوَّجها؛ سلمت له، فاتَّبعه قومها، وهم بنو حنيفة، وقال الشَّاعر فيهما: [الوافر]

مُسَيْلَمَةُ الْيَمَامَةِ كَانَ أَدْهَى　　وَأَكْذَبَ حَيْثُ سَارَ إِلَى سَجَاحِ

لِيَمْدَحَ قَوْمَهُ بِأَبِي رَبَاحٍ　　وَفَازَ وَرُدَّ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ

وفيهما يقول قيس بن عاصم ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

أَضْحَتْ نَبِيَّتُنَا أُنْثَى نُسَاءُ بِهَا　　وَأَصبحت أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا

فَلَعْنَةُ اللهِ وَالأَقْوَامِ كُلِّهِمُ　　عَلَى سَجَاحِ وَمَنْ بالإِفْكِ أَغْرَانَا

أَعْنِي مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ لَا سُقِيَتْ　　أَصْدَاؤُهُ مَاءَ الْمُزْنِ حَيْثُمَا كَانَا

ثمَّ لما قُتِل مسيلمة تابت سجاح، وحسن إسلامها.

وارتدَّ بنو أسد؛ حيث تنبَّأ فيهم طُلَيْحَة بن خُوَيْلِد الأسدي، فبعث إليه رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ـ رضي الله عنه ـ. فقاتله، فانهزم بعد القتال إلى الشَّام، ثمَّ أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه. وارتدَّ سبع فرق في خلافة الصدِّيق ـ رضي الله عنه ـ. وقال ابن إسحاق: لمَّا قبض رسول الله ﷺ ارتدَّت العرب إلا ثلاثة مساجد: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد جُوَاثَى في البحرين، وكانوا في ردَّتهم على قسمين: قسم نبذ الشَّريعة كلَّها، وخرج عنها، كما قَدَّمت، وقسم نبذ وجوب الزَّكاة، واعترف بوجوب غيرها، فقالوا: نصوم، ونصلِّي، ولا نزكي، فقاتل الصديق جميعهم، وبعث خالد بن الوليد وغيره إليهم بالجيوش، فقاتلهم، وسباهم، وردَّهم إلى الإسلام على ما هو المشهور مِنْ أخبارهم.

ومَنْ قرأ التاريخ يعرف ما لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من الفضل. قال أبو بكر بن عيَّاش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين أفضل مِنْ أبي بكر الصدِّيق، لقد قام مقام نبيٍّ من الأنبياء في قتال أهل الردَّة. ولقد ارتدَّ عن الإسلام في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ قبيلة غسَّان قوم جبلة بن الأيهم، وتنصَّر، وهرب ـ بسبب اللَّطمة للفزاري ـ إلى بلاد الرُّوم، انظر قصَّته في الآية رقم [١٦] من سورة (البقرة) تجد ما يسرّك، ويثلج صدرك. هذا؛ ويقرأ: ﴿يَرْتَدَّ﴾، و(يَرْتَدِدْ) بالفك والإدغام، وفي سورة (البقرة) رقم [٢١٧] بالفكِّ فقط.

﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: انظر الآية رقم [١٣٣] من سورة (النساء) ففيها الكفاية. هذا، والمحبَّة ميل النَّفس إلى الشيء لكمالٍ أدركته فيه، بحيث يحملها على ما يُقرِّبها إليه. والعبد إذا علم: أنَّ الكمال المطلق الحقيقي ليس إلا لله، عزَّ وجل، وأنَّ كلَّ ما يراه كمالاً من نفسه، أو من غيره؛ فهو مِنَ الله، وبالله، وإلى الله؛ لم يكن حبُّه إلا لله، وفي الله، وذلك يقتضي إرادة طاعته، والرَّغبة فيما يُقَرِّبه إليه، فلذلك فسرت المحبة بإرادة الطاعة، وجعلت مستلزمة لاتِّباع الرسول ﷺ في عبادته، والحرص على مطاوعته. انتهى. بيضاوي. ومن محبَّة الله للعبد رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه. وعدم محبة الله للعبد كناية عن بغضه، والسُّخط، والغضب عليه، أعاذنا الله مِنْ ذلك. هذا؛ وقد حمل الزَّمخشري على الصُّوفية بادِّعائهم الحبَّ، وما ينتج عنه مِنْ أعمال دجلٍ، وشعوذة. انظر الكشاف؛ فإنَّه جيد.

قال عبد الله بن زيد ـ رضي الله عنهما ـ: غلطت في أربعة أشياء: في الابتداء مع الله تعالى: ظننت: أنِّي أحبُّه، فإذا هو أحبني، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾. وظننت: أني أرضى عنه فإذا هو قد رضي عنِّي، قال تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾. وظننت: أنِّي أذكره، فإذا هو يذكرني، قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾، وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾. وظننت أني أتوب إليه، فإذا هو قد تابَ عليَّ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾.

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويتذلَّلون للمؤمنين. متواضعون لهم، عاطفون عليهم، راحمون لهم. مِنْ قولهم: دابة ذلول، أي: تنقاد سهلة، ولم يرد ذلَّ الهوان. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾:

أشداء، أقوياء، غلظاء على أعدائهم الكافرين. قال ابن عبَّاس - رضي الله عنهما -: هم للمؤمنين كالوالد للولد، والسَّيِّد للعبد، وهم في الغلظة على الكفَّار كالسَّبع على فريسته. قال تعالى في وصفهم في آخر سورة (الفتح): ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ انظر شرحها؛ تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. هذا؛ وبين: ﴿أَذِلَّةٍ﴾ و﴿أَعِزَّةٍ﴾ طباق، وهو من المحسِّنات البديعيَّة.

﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: يبذلون أموالهم، وأرواحهم في سبيل نصرة الدِّين الحنيف، ولا يخافون لومة لائم: بخلاف المنافقين يخافون الدَّوائر، فدلَّ بهذا على تثبيت إمامة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي - رضي الله عنهم أجمعين -؛ لأنَّهم جاهدوا في الله - عزَّ وجلَّ - في حياة رسول الله ﷺ، وقاتلوا المرتدِّين بعده، ومعلومٌ: أنَّ من كانت فيه هذه الصفات؛ فهو وليٌّ لله تعالى. وقيل: الآية عامَّة في كلِّ مَنْ يجاهد الكفار إلى قيام الساعة.

فعن عبادة بن الصَّامت - رضي الله عنه - قال: «**بايعت رسول الله ﷺ على السَّمع، والطَّاعة في العسر، واليسر، والمنشط، والمكره، وعلى أن لا ننازعَ الأمر أَهْلَهُ، وعلى أن نقولَ بالحقِّ أينما كُنَّا، لا نخاف في الله لومة لائم**». متَّفق عليه.

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَحقِرَنَّ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَرَى للهِ أَمْرَاً لله فِيهِ مَقَالٌ، فَلَا يَقُولُ فِيه، فَيُقَالُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَكُونَ قُلْتَ فِي كَذَا، وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: مَخَافَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: إِيَّايَ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَ**». أخرجه الإمام أحمد.

﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى ما وصف به القوم مِنَ المحبَّة، ولين الجانب للمؤمنين، والشدَّة على الكافرين، وأنَّهم يجاهدون في سبيل الله، لا يخافون لومة لائم. كلُّ ذلك مِنْ فضل الله تعالى، تفضَّل به عليهم، وَمِنْ إحسانه إليهم. ﴿فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾: يعطيه، ويمنحه مَنْ يشاء من عباده. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ﴾: يسع خلقه كلهم بالكفاية، والرزق، والجود، والعطاء، وهو واسع الفضل، والرَّحمة. وقيل: واسع القدرة، والعلم، والرزق. وقيل: هو الغنيُّ الذي وسع جميع مخلوقاته. ﴿عَلِيمٌ﴾ بأفعال عباده، وبمن يستحقُّ الفضل، والرحمة، قال تعالى في سورة طه: ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

هذا؛ و«أتى» يأتي لازماً؛ إن كان بمعنى: حضر، وأقبل. ومتعدّياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ. فمن الأول ما في الآية الكريمة قوله تعالى: ﴿يَأۡتِي ٱللَّهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، ومن الثاني قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغۡتَةً أَوۡ جَهۡرَةً هَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ رقم [٤٧] من سورة (الأنعام)، ومثلها برقم [٤٠] منها، هذا؛ و«أتى» بمعنى: أعطى، يعطي ينصب مفعولين، ومنه ما في الآية الكريمة: ﴿يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾. و﴿لَآئِمٖۚ﴾ أصله: لَاوِم اسم فاعل من: لام، يلوم، فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم يعتدَّ بالألف

الزائدة لأنَّها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية منهما همزة، فصار: لائم. وقل مثله في اليائي: بائع؛ فإنَّ أصله: بايع.

الإعراب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١] من هذه السُّورة. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَرْتَدَّ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وحرك بالفتحة للخفَّة، ويجوز تحريك الدَّال بالكسرة؛ لأنَّه الأصل في التخلُّص من السكونين، ويمتنع الضم هنا لعدم ضمِّ عينه. هذا؛ وعلى قراءة: (يَرْتَدِدْ) فالسكون ظاهر، والفاعل مستتر يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾. ﴿عَن دِينِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿يَأْتِى﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما ذكرته لك مراراً. ﴿بِقَوْمٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يُحِبُّهُمْ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾ والهاء مفعول به. والجملة الفعلية في محل جر صفة: (قوم). ﴿وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾: مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، وجوز اعتبارها حالاً من الضمير المنصوب، ويكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿أَذِلَّةٍ﴾: صفة ثانية لـ(قوم). ﴿عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَذِلَّةٍ﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿أَعِزَّةٍ﴾: صفة ثالثة لـ(قوم) وقرئ بالنصب على الحال من: (قوم) بعد وصفه بما تقدَّم. ﴿عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾: متعلقان بـ﴿أَعِزَّةٍ﴾ أو بمحذوف صفة له، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿يُجَـٰهِدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النُّون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل جرٍّ صفة رابعة لـ(قوم) أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدَّم. وقيل: حال من الضمير المستتر في: ﴿أَعِزَّةٍ﴾. ﴿فِى سَبِيلِ﴾ متعلقان بما قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (لا يخافون...) إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿لَوْمَةَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿لَآئِمٍ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السُّكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿فَضْلُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه مِنْ إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿يُؤْتِيهِ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾: والهاء مفعول به أول. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السُّكون في محل نصب

مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يؤتيه الذي، أو: شخصاً يشاؤه، والجملة الفعلية هذه في محلِّ نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال اسم الإشارة. وقيل: في محل رفع خبر ثان للمبتدأ. وقيل: مستأنفة لا محل لها، والمعتمد الأول، وهو على حدِّ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾. ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾: جملة اسمية مستأنفة أو معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها على الاعتبارين، هذا؛ وساغ مجيء الحال مِنْ لفظ الجلالة، وهو مضاف إليه؛ لأنَّ المضاف جزؤه، وقال ابن مالك في ألفيته: [الرجز]

وَلَا تُجِزْ حَالاً مِنَ الْمُضَافِ لَهْ ... إِلَّا إِذَا اقْتَضَى الْمُضَافُ عَمَلَهْ

أَوْ كَانَ جُزْءَ مَا لَهُ أُضِيفَا ... أَوْ مِثْلَ جُزْئِهِ فَلَا تَحِيفَا

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ...﴾ إلخ: أي: ناصركم، ومعينكم، ويتولَّى أموركم الله، ورسولُه محمَّد ﷺ. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: المراد بهم صحابة النَّبيِّ ﷺ، وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون، الذين وُصِفوا بإقامة الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وانظر شرح ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الآية رقم [١٠٣] من سورة (النِّساء)، وشرح (الزَّكاة) في الآية رقم [١٢] من هذه السُّورة. ﴿رَٰكِعُونَ﴾: خاشعون، متواضعون في صلاتهم، وأفرد الرُّكوع بالذِّكر مع كونه داخلاً في الصَّلاة تنويهاً بشأنه.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في حقِّ عليِّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حين سأله سائل، وهو راكعٌ في صلاته، فطرح له خاتمه، كأنَّه كان واسعاً، غير محتاجٍ في إخراجه مِنْ يده إلى عملٍ كثير يؤدِّي إلى فساد الصَّلاة. واستدلَّ الشِّيعة باطلاً بهذه الآية على إمامته، زاعمين: أنَّ المراد بالولي المتولِّي للأمور، والمستحقُّ للتصرُّف فيها، وقد قال تعالى: ﴿وَلِيُّكُمُ﴾ ولم يقل: أولياؤكم للتنبيه على أنَّ الولاية لله تعالى بالأصالة، ولرسوله، وللمؤمنين بالتَّبع. ويرد على الشيعة: أن حمل الجمع على الواحد خلاف الظاهر؛ وإن قيل: إنَّ الآية نزلت فيه، والمراد بالجمع المفهوم مِنَ الموصول.

هذا؛ وقد ذكر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّ الآية نزلت في عبادة بن الصَّامت ـ رضي الله عنه ـ حين تبرَّأ من اليهود، ومولاتهم، وقال: أتولَّى الله، ورسولَه، والمؤمنين، كما رأيت في الآية رقم [٥٢].

وقال جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في عبد الله بن سلام ـ رضي الله عنه ـ، وذلك: أنَّه جاء إلى النبي ﷺ بعد إسلامه، فقال: يا رسول الله ! إنَّ قومنا: قُريظة،

والنَّضير قد هجرونا، وفارقونا، وأقسموا أن لا يُجالسونا. فنزلت هذه الآية، فقرأها عليه رسول الله ﷺ، فقال ـ رضي الله عنه ـ: رضينا بالله ربّاً، وبرسوله نبيّاً، وبالمؤمنين أولياءَ.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿وَلِيُّكُمُ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، انظر الشرح. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر المبتدأ، وهو بمعنى الفاعل بـ: (ولي)، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿وَرَسُولُهُۥ﴾: معطوف على ﴿ٱللَّهُ﴾، والهاء في محلِّ جرٍّ بالإضافة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محلِّ رفعٍ معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية بعده صلته، والمتعلَّق محذوف.

﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز اعتباره بدلاً ممَّا قبله، وصفة له مع ضعفه، وخبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، ومفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: أعني الذين، وجملة: ﴿يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها، وجملة: ﴿وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفة عليها، لا محلَّ لها مثلها. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿رَٰكِعُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرَّابط: الواو، والضمير. وقيل بجواز عطفها على الجملة الفعلية قبلها.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ؛ أي: مَنْ فوَّض أمره إلى الله، وامتثل أمر رسوله، ووالى المسلمين؛ فهو مِنْ حزب الله. أو المعنى: ومَنْ يتولَّ القيام بطاعة الله، ونصرة رسوله، والمؤمنين. وانظر الآية رقم [٤٩]. ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: فإنَّ أنصار الله ﴿هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ لأنَّ الله ناصرهم على عدوهم، قال تعالى في آخر سورة (المجادلة): ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ لذلك غلبوا اليهود، والنَّصارى بالسَّبي، والقتل، وضرب الجزية، والإجلاء من الأرض. هذا و«الحزب» في اللغة: أصحاب الرَّجل الذين يكونون معه على مثل رأيه، وهم القوم الذين يجتمعون معه لأمرٍ حَزَبَه؛ أي: أهمَّه. والحِزْب: الورد في الطاعة، ومنه الحديث: «**فَمَنْ فَاتَهُ حِزْبُهُ مِنَ اللَّيْلِ**». وحَزَبَه أمرٌ: أصابه. والأحزاب: الطوائف التي تجتمع على محاربة الأعداء. هذا؛ وكل حزب لا يكون سائراً على الجادة المستقيمة، فهو حزب الشيطان، يعني: أتباعه، وأنصاره، وأعوانه، وهم الخاسرون، كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: الكاملون في الخُسران؛ لأنَّهم فوَّتوا على أنفسهم النَّعيم الدائم، وعرَّضوها للعذاب المقيم، وكلُّ حزبٍ يسير على الجادة المستقيمة فهو حزب الله، وحزب الله هم المفلحون، أي: الناجون مِنْ غضب الله، وعقابه، الفائزون برحمة الله، ورضوانه.

الإعراب: ﴿وَمَن﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (يتولَّ): فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلَّة من

آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليلٌ عليها، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، تقديره: هو. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَرَسُولَهُۥ﴾: معطوف على الله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية بعده صلته، والمتعلق محذوف، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فالله يعينهم، وينصرهم، وهم حزب الله. وقد دلَّت الجملة الاسمية الآتية على ذلك الجواب المحذوف. وابن هشام في المغني قال بحذف الجواب أيضاً. وقيل: بل الجملة الاسمية هي الجواب، وقد وضع الظاهر موضع المضمر تنبيهاً على البرهان عليه، وتنويهاً بذكر المتولِّين الله، ورسوله، والمؤمنين، وتعظيماً لشأنهم، وتشريفاً لهم بهذا الاسم: ﴿حِزْبَ ٱللَّهِ﴾ وتعريضاً بمن يوالي غير هؤلاء بأنَّهم حزب الشيطان، وحزب الشيطان هم المغلوبون.

﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: حرف تعليل، أو هي واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿حِزْبَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿هُمُ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: (إنَّ). هذا، وإن اعتبرت الضَّمير فصلاً، لا محلَّ له فـ: ﴿ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ يكون خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: (إنَّ...)إلخ تعليلية لا محلَّ لها؛ إن اعتبرت الجواب محذوفاً، أو هي في محل جزم جواب الشرط، وهو الظاهر. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجَّح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ انظر الآية رقم [١] من هذه السورة. ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كان رفاعة بن زيد بن التابوت، وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام، ثمَّ نافقا، وكان رجالٌ من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله هذه الآية. ومعنى: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ هو إظهارهم الإسلام بألسنتهم قولاً، وهم مع ذلك يبطنون الكفر، ويسرُّونه.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ يعني: اليهود. ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يعني: عبدة الأصنام، وإنما فصل بينهما، وإن كان أهل الكتاب من الكفار؛ لأنَّ كفر المشركين من عبادة الأصنام، أغلظ، وأفحش مِنْ كفر أهل الكتاب.

﴿أَوْلِيَآءَ﴾: أنصاراً، وأعواناً، قال ابن خُوَيْزِ مَنْدَاد، هذه الآية مثل قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ...﴾ إلخ رقم [٥١]، وقوله تعالى في سورة (آل عمران) رقم [١١٨]: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ...﴾ إلخ، فقد تضمَّنت الآيات هنا، وهناك المنع من التأييد، والانتصار بالمشركين، وأهل الكتاب، روى جابر ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا أراد الخروج إلى أُحُدٍ؛ جاءه قومٌ من اليهود، فقالوا: نسير معك، فقال سيد الخلق، وحبيب الحقِّ ﷺ: «**إِنَّا لَا نَسْتَعِينُ عَلَى أَمْرِنَا بِالْمُشْرِكِينَ**». ويروى: أنَّ قيصر ملك الروم عرض مساعدته لمعاوية في حربه مع عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ، فقال معاوية: والله لو قُطِّعتُ إرْبَاً، إرْبَاً لا أَستعين بكافرٍ على مسلمٍ.

(اتقوا الله): خافوه. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ حقّاً؛ لأنَّ المؤمن الحقَّ يأبى موالاة أعداء الله، ومناصرتهم، ومعاونتهم. وانظر شرح الإيمان في الآية رقم [١٣٦] من سورة (النساء)، وانظر شرح (اتقوا) في الآية [٣٢] من هذه السورة. هذا؛ و«الدِّين» اسم لجميع ما يُتَعَبَّد به الله تعالى، و«الدِّين»: الملة، والشريعة، ومنه قوله تعالى في سورة (يوسف) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاةٍ، وألف سلام: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. و﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يوم الجزاء، والحساب؛ الَّذي يُحاسِب اللهُ الناسَ فيه على أعمالهم. هذا؛ ويطلق «الدِّين» على العادة، والشأن، والحال، ومنه قول امرئ القيس في معلَّقته: [الطويل]

كَدِينِكَ مِنْ أُمِّ الْحُوَيْرِثِ قَبْلَهَا ... وَجَارَتِهَا أُمِّ الرَّبَابِ بِمَأْسَلِ

هذا؛ و«الدَّين» بفتح الدال: القرض المؤجَّل، وجمع الأوَّل: أديان، وجمع الثاني: ديون، وَأَدْيُن. والدينونة: القضاء، والحساب، ومنه: كما تدين تدان، والدِّيانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله تعالى.

هذا وأصل «اتخذتم»: اِئْتَخذْتم مِنَ: الأخذ، ووزنه: افْتَعَلْتُمْ، سهلت الهمزة الثانية لامتناع همزتين، فصار: «إيتخذتم» فاضطربت الياء في التصريف، فصارت ألفاً في (يَاتَّخِذ) وواواً في (مُوْتَخَذ) فأبدلت بحرف ثابت من جنس ما بعدها، وهي التاء، ثمَّ أدغمت التاء في التاء، ثم اجتلبت ألف الوصل للنُّطق بها، وقد يستغنى عنها إذا كان معنى الكلام التقرير، كقوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٨٠]: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا﴾ فاستغنى عن ألف الوصل بألف التقرير، ومنه قول ذي الرُّمَّة: [البسيط]

أَسْتَحْدَثَ الرَّكْبُ عَنْ أَشْيَاعِهِمْ خَبَرَاً ... أَمْ رَاجَعَ الْقَلْبَ مِنْ أَطْرَابِهِ طَرَبُ؟

ومثله قوله تعالى في سورة (مريم) رقم [٧٨]: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾. وقوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [١٥٣]: ﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ﴾. وقوله تعالى في سورة (محمد) رقم [٧٥]: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾. وقوله جلَّت حكمته في سورة (المنافقون) رقم [٦]: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾. انظر شرح هذه الآيات في محالِّها.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١] من هذه السُّورة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَتَّخِذُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾ الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به أول. ﴿ٱتَّخَذُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿دِينَكُمْ﴾: مفعول به أوَّل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَلَعِبًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. و﴿مِّنَ﴾: بيان لما أبهم في الموصول الأوَّل. ﴿أُوتُوا۟﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأوَّل. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِن قَبْلِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، العائدة على الموصول، و﴿مِن﴾: بيان لما أبهم في الموصول، والجملة الفعلية: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يقرأ بالنصب عطفاً على الموصول الأول، وبالجر عطفاً على الموصول الثاني، التقدير: ومن الكفار. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان للفعل: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟﴾: وهذه الجملة، لا محلَّ لها كما رأيت. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟...﴾ إلخ لا محلَّ لها مثلها.

﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: إن كنتم مؤمنين؛ فاتقوا الله. و﴿إِن﴾ ومدخولها كلامٌ مرتبط بما قبله تمام الارتباط، لا محلَّ له مثله.

﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: قال الكلبي ـ رحمه الله تعالى ـ: كان منادي رسول الله ﷺ إذا أذَّن إلى الصلاة، وقام المسلمون إليها؛ قالت اليهود ـ لعنهم الله ـ: قاموا، لا قاموا، وصلَّوْا، لا صلَّوْا، ويضحكون على طريق الاستهزاء. وقال السُّدّي ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت هذه الآية في رجل من النَّصارى كان بالمدينة، فكان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله ﷺ، يقول: حُرِق الكاذبُ، فدخل خادمه ذات ليلة بنارٍ، وهو وأهله نيام، فطارت شرارة، فاحترق البيت، واحترق هو، وأهله.

وقيل: إنَّ اليهود، والمنافقين كانوا إذا سمعوا الأذان؛ حسدوا المسلمين على ذلك، فدخلوا على رسول الله ﷺ، قالوا: يا محمد! لقد أبدعت شيئاً لم يُسْمَعْ بمثله فيما مضى من الأمم، فإن كنت تدَّعي النبوة؛ فقد خالفت الأنبياء قبلك، ولو كان فيه خير؛ لكان أولى الناس به الأنبياء، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح هذا الصوت! وما أسمج هذا الأمر! فأنزل الله عزَّ وجل هذه الآية، وأنزل قوله جلَّ ذكره: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ الآية رقم [٣٣] من سورة (فصلت).

تنبيه: ليس في كتاب الله تعالى ذكر الأذان إلا في هذه الآية، أمَّا ذكر النداء في سورة (الجمعة) فهو خاصٌّ بيوم الجمعة، والأذان سنةٌ لكلِّ فرض صلاة، سنة كفاية في الجماعة، وسنَّة عينٍ للمنفرد، وأمَّا فضل الأذان، والمؤذن؛ فقد جاءت فيه أيضاً آثارٌ صحاح، منها ما رواه مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ؛ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ؛ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ... إلخ**» الحديث. وفي الموطَّأ عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**». وغير ذلك كثير.

وأمَّا مشروعية الأذان؛ فكانت برؤيا عبد الله بن زيد، وعمر بن الخطاب، وغيرهما من الصَّحابة في المنام، ثمَّ أيد ذلك الوحي بنزول هذه الآية الكريمة، والأذان مثنى مثنى بالاتِّفاق، وأمَّا الإقامة؛ فهي عند أبي حنيفة مثنى مثنى أيضاً، وعند غيره بالإفراد، وإجابة المؤذن، والمقيم سنَّةٌ، فعن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ؛ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ**». رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي.

تنبيه بل فائدة: ليس أَشَدَّ على الكفار، والمنافقين مِنْ كلمات الأذان في كلِّ زمانٍ، ومكانٍ، فهي أشدُّ عليهم من وقع القنابل، وقذف الصَّواريخ، فقد ذكر ابن إسحاق، وغيره في السِّيرة: أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا دخل مكَّة عام الفتح، ومعه بلال، فأمره رسولُ الله ﷺ أن يؤذِّن على سطح الكعبة، وأبو سفيان، وعتَّاب بن أُسَيْد، والحارث بن هشام جلوسٌ بفناء الكعبة، فقال عتَّاب: لقد كرَّم الله أُسَيْدَاً (والده) ألا يكون سمع هذا، فيسمع منه ما يغيظه. وقال الحارث بن هشام: أما والله لو أعلم: أنَّه محقٌّ؛ لاتَّبعتُه. فقال أبو سفيان: لا أقول شيئاً، لو تكلمت؛ لأخبرتْ عنِّي هذه الحصى. فخرج عليهم النَّبيُّ ﷺ، فقال: «**قَدْ عَلِمْتُ الَّذِي قُلْتُمْ**» ثمَّ ذكر ذلك لهم. فقال الحارث، وعتَّاب: نشهد: أنَّك رسولُ الله، ما اطَّلع على هذا أحدٌ كان معنا، فنقول: أخبرك!!.

هذا؛ و﴿هُزُوًا﴾ يقرأ بسكون الزاي، والهمز، وبضم الزاي، والهمز، وبضم الزاي بلا همز، وهو بجميع قراءاته مصدر: هزأ، يهزأ، هُزْءاً من باب: فتح، ويأتي مِنْ باب: تعب. هذا؛ والاستهزاء بالناس حرامٌ قطعاً، وآية (الحجرات) الناهية عن السُّخرية، والاستهزاء بالنَّاس معروفة، وأحاديث الرَّسول ﷺ الناهية عن ذلك كثيرةٌ، ومسطورةٌ، وانظر الآية رقم [١٥] من سورة (البقرة).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: لعبهم، وهزؤهم مِنْ أفعال السُّفهاء، والجهلة، فكأنَّهم لا عقول لهم تمنعهم من ذلك. هذا؛ والعقل: المنع، ومنه: عقال البعير الذي تُشَدُّ به ركبته؛ لأنَّه يمنعه من الحركة. ومنه سمِّي العقل: عقلاً؛ لأنَّه يعقل صاحبه، أي: يمنعه مِنْ فعل الرذائل، لذا فإنَّ كلَّ شخص لا يسير على الجادة المستقيمة لا يكون عاقلاً بالمعنى الصَّحيح، فقد ورد: أنَّه مرَّ رجل معتوهٌ على مجلس النبيِّ ﷺ، فقال الصَّحابة ـ رضوان الله عليهم ـ: هذا مجنون. فقال سيِّد الخلق، وحبيب الخالق: «**هَذَا مُصَابٌ، وَإِنَّمَا الْمَجْنُونُ مَنْ أَصَرَّ عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ**». والعقل: الدِّية، سميت بذلك؛ لأنَّ الإبل المؤداة تُعقل بباب وليِّ المقتول. والعِقَال أيضاً: صدقة عام، قال الشاعر يهجو عاملاً على الصَّدقات في عهد بني أميَّة: [البسيط]

سَعَى عِقَالاً فَلَمْ يَتْرُكْ لَنَا سَبَدَاً ... فَكَيْفَ لَوْ قَدْ سَعَى عَمْرٌو عِقَالَيْنِ

لأَصْبَحَ النَّاسُ أَوْبَاداً فَلَمْ يَجِدُوا ... عِنْدَ التَّفَرُّقِ فِي الْهَيَجَا جِمَالَيْنِ

هذا؛ والعقل: ثوب أحمر تتخذه نساء العرب تُغَشَّى به الهوارد. قال علقمة: [البسيط]

عَقْلاً وَرَقْمَاً تَكَادُ الطَّيْرُ تَخْطَفُهُ ... كَأَنَّهُ مِنْ دَمِ الأَجْوَافِ مَدْمُومُ

هذا؛ والعقل: جوهرٌ لطيف في البدن ينبت شعاعه منه بمنزلة السِّراج في البيت، يفصل به بين حقائق المعلومات. ثمَّ اختلفوا في محله، فقالت طائفة منهم: محلُّه الدِّماغ؛ لأنَّ الدِّماغ محلُّ الحسِّ. وقالت طائفة أخرى: محلُّه القلب؛ لأنَّ القلب معدن الحياة، ومادَّة الحواس، ويردُّ هذين القولين: أنَّ فاقد العقل لم يفقد دماغه، ولا قلبه، بل هما موجودان فيه، بل القول الصَّحيح: إنَّ هناك لطيفة ربَّانية، لا يعلمها إلا الله تعالى، فَمِنْ حيث تفكُّرها تسمى: عقلاً، ومن حيث حياة الجسد بها تسمَّى: روحاً، ومن حيث شهوتها تسمى: نفساً، انظر الآية رقم [٧٠] الآتية.

وقال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: والعقل قوةٌ تهيئ قبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوَّة: عقل، ومنه قول عليِّ بن أبي طالب: [مجزوء الوافر]

وَأَنَّ الْعَقْلَ عَقْلَانِ ... فَمَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعُ

وَلَا يَنْفَعُ مَطْبُوعٌ ... إِذَا لَمْ يَكُ مَسْمُوعُ

كَمَا لَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ ... وَضَوْءُ الْعَيْنِ مَمْنُوعُ

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿نَادَيْتُمْ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محلِّ جرٍّ بإضافة: (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾: متعلِّقان بما قبلهما. ﴿ٱتَّخَذُوهَا﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأول. ﴿هُزُوًا﴾: مفعول به ثانٍ، والجملة الفعلية جواب: (إذا) لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلامٌ مستأنفٌ لا محلَّ له. ﴿وَلَعِبًا﴾: معطوف على ما قبله.

﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محلَّ له. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر. (أنَّهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبر: (أنَّ). ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَعْقِلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ). و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلِّقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب لِسيِّد الخلق وحبيب الحقِّ ﷺ ليسأل اليهود عن سبب نقمتهم على الإسلام، والمسلمين. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: هذا النداء يشمل اليهود، والنَّصارى؛ لأنَّ لكلٍّ كتاباً. ﴿هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ﴾: هل تنكرون منَّا، وتعيبون علينا، وتكرهون؟ يقال: نقم منه كذا: إذا أنكره. وانتقم منه: إذا كافأه على فعله. وقرئ بفتح القاف، والمضارع: ينْتقِم من الباب الأوَّل. وقرئ بكسر القاف، وفتحها في المضارع من الباب الرَّابع. ﴿إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾: وحدَه، لا شريك له، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. والاستفهام بمعنى النفي، وفي الكلام استثناء صفة مدحٍ مِنْ صفة ذمٍّ منفيَّة، ومنه قول النَّابغة الذِّبياني في مدح بني غسَّان: [الطويل]

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

وهذا يسمَّى في فنِّ البديع: تأكيد المدح بما يشبه الذمَّ. ومنه قول ابن قيس الرُّقيَّات في مدح بني أميَّة: [الخفيف]

وَمَا نَقَمُوا مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَّا ... أَنَّهُمْ يَحْلُمُونَ إِنْ غَضِبُوا

ومنه الآية رقم [٧٤] من سورة (التوبة) والآية رقم [١٢٦] من سورة (الأعراف) وأيضاً في سورة (البروج) رقم [٨]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ أي: آمنا بجميع الكتب المنزلة على

جميع الرسل مِنْ لَدُنْ آدم إلى محمد، عليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ المعنى: إنَّ سبب نقمتكم علينا هو الإيمان بالله، والإيمان بالكتب السَّماوية جميعها، وكونكم فاسقين خارجين عن جادة الحقِّ، والصواب، وقد قال جلَّ ذكره: ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ لعلمه الأزلي: أنَّ مِنْ أهل الكتاب مَنْ يؤمن بالله، ورسوله.

تنبيه: جاء جماعة من علماء اليهود، وزعمائهم إلى رسول الله ﷺ وسألوه عمَّن يؤمن به. فقال: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ إلى قوله: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ الآية رقم [٨٤] من سورة (آل عمران)، و[١٣٧] من سورة (البقرة)، فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ـ عليه السلام ـ: لا نعلم ديناً شراً مِنْ دينكم، فأنزل الله الآية الكريمة.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. (يا): أداة نداء تنوب مناب: «أدعو». (أهل): منادى، وهو مضاف. و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿تَنقِمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿مِنَّآ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والفعل في محل نصب بـ: (أَنْ). ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. و﴿أَنْ﴾ والفعل: ﴿ءَامَنَّا﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به لـ: ﴿تَنقِمُونَ﴾ وقال العكبري: مفعول به. و﴿ءَامَنَّا﴾ مفعوله الثاني أي: تقدَّم على الأول، والأول أقوى. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جرٍّ معطوفة على لفظ الجلالة. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط. ﴿إِلَيْنَا﴾: جار ومجرور متعلقان به، والجملة الفعلية صلة: (ما) أو صفتها. ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله. ﴿مِن قَبْلُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وبُنِيَ: ﴿قَبْلُ﴾ على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً.

﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبَّه بالفعل. ﴿أَكْثَرَكُمْ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوضٌ عن التنوين في الاسم المفرد. و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على المصدر المؤول مِنْ: ﴿أَنْ ءَامَنَّا﴾. قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وكأنَّ المستثنى لازم الأمرين، وهو المخالفة؛ أي: ما تنكرون منَّا إلا مخالفتكم؛ حيث دخلنا في الإيمان، وأنتم خارجون منه. أو كان الأصل: واعتقاد: أنَّ أكثركم فاسقون. فحذف المضاف. أو العطف على (ما) أي: وما تنقمون منَّا إلا الإيمان بالله، وبما أنزل، وبأنَّ أكثركم فاسقون. أو العطف على علَّة محذوفة، والتَّقدير: هل تنقمون منَّا إلا أن آمنَّا لقلَّة إنصافكم، وفسقكم، أو هو منصوب بإضمار فعلٍ يدلُّ عليه: ﴿هَلْ تَنقِمُونَ﴾ أي: ولا تنقمون أن أكثركم

فاسقون. أو المصدر في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي: وفسقكم ثابتٌ معلوم عندكم، ولكن حبَّ الرياسة، والمال يمنعكم من الإنصاف. انتهى بيضاوي. أقول: المعتمد الوجهان الأولان، والباقي يظهر فيها التعسُّف، والتكلُّف. تأمل، وتدبَّر، وربك أعلم.

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ﴾: هذا جواب لليهود لمَّا قالوا: ما نعرف ديناً شرّاً من دينكم. والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود؛ الَّذين قالوا هذه المقالة: هل أخبركم بشرٍّ من ذلك الذي ذكرتم، ونقمتم علينا مِنْ إيماننا بالله، وبما أنزل علينا؟ والخطاب موجَّه للنَّبيِّ ﷺ. وانظر شرح (شر) في الآية [١٧٠] من سورة (النساء). ﴿مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ﴾: جزاءً ثابتاً عند الله، والمثوبة مختصَّة بالخير كالعقوبة مختصَّة بالشرِّ، فوضعت هنا موضعها تهكماً على حدِّ قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. هذا؛ وأصلها: مَثْوُوْبة على وزن مَفْعُولة، فنقلت حركة الواو الأولى إلى الثاء؛ لأنَّ الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فحذفت إحدى الواوين لالتقائهما ساكنتين. ومثله مَقُولة، ومَجُوزة، ومَضُوفة على معنى المصدر، كما قال أبو جندب الهذلي: [الطويل]

وَكُنْتُ إِذَا جَارِي دَعَا لِمَضُوفَةٍ أُشَمِّرُ حَتَّى يَنْصِفَ السَّاقَ مِئْزَرِي

هذا؛ ودين محمد ﷺ لا شرَّ فيه قطعاً، ولكن جاء الجواب على حسب قولهم، واعتقادهم، فإن اليهود حكموا بأنَّ اعتقاد ذلك الدين شرٌّ، فقال لهم الله: هب أن الأمر كذلك. لكن مَنْ لعنه الله، وغضب عليه، ومسخ صورته شرٌّ من ذلك. ﴿وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ﴾ يعني: من اليهود مَنْ لعنه الله، وغضب عليه، ومنهم مَنْ جعلهم قردةً، وخنازير. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ الممسوخين كلاهما أصحاب السَّبت، فشبَّانهم مسخوا قردةً، وشيوخهم خنازير، انظر الآية رقم [٦٥] من سورة (البقرة) وتفصيلها في سورة (الأعراف) الآية [١٦٣] وما بعدها. وقيل: إنَّ مَسْخَ بعضهم قردةً كان في أصحاب السبت من اليهود، ومسخ بعضهم خنازير كان بعد نزول المائدة في زمن عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. ولمَّا نزلت الآية الكريمة عَيَّر المسلمون اليهود، وقالوا لهم: يا إخوان القردة، والخنازير، وافتضحوا بذلك، فنكَّسوا رؤوسهم، وقال الشاعر: [الرجز]

فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ إِنَّ الْيَهُودَ إِخْوَةُ الْقُرُودِ

﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ يعني: وجعل منهم مَنْ عبد الطاغوت، يعني مَنْ أطاع الشَّيطان فيما سوَّل له، والطَّاغوت: هو الشَّيطان، وقيل: هو العجل، وقيل: هو الكهَّان، والأحبار. وجملته: أنَّ

كل مَنْ أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده، وهو الطّاغوت. انظر الآية رقم [٥١] من سورة (النساء) تجد ما يسرُّك ويثلج صدرك. هذا؛ وفي ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أربع وعشرون قراءة، ثنتان سبعيتان، والباقي من الشّواذ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الملعونون، والمغضوب عليهم، والممسوخون. ﴿شَرٌّ مَّكَانٗا﴾: يعني: مِنْ غيرهم، ونسب الشر إلى المكان، والمراد به أهله، وذلك مبالغة في الذمِّ، وَمِنْ أحسن ما قيل فيه: أولئك الذين لعنهم الله شرٌّ مكاناً في الآخرة مِنْ مكانكم في الدُّنيا لما لحقكم من الشرِّ، يعني: من الهموم الدنيوية، والحاجة، والإعسار، والسُّقم، وغير ذلك. وانظر شرح: ﴿سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ في الآية رقم [٧٧] الآتية.

تنبيه: القردة، والخنازير الموجودون في زمننا ليسوا ممَّا مسخ الله من بني إسرائيل، وإنَّما هم موجودون قبل بني إسرائيل، فقد قال سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ: عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة، والخنازير: أهي ممَّا مسخ الله؟ فقال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يُهْلِكْ قَوْمَاً، أَوْ لَمْ يَمْسَخْ قَوْمَاً، فَيَجْعَلْ لَهُمْ نَسْلاً، وَلَا عَقِباً، وإِنَّ الْقِرَدَةَ، وَالْخَنَازِيرَ كَانَتْ قَبْلَ ذَلِكَ**». رواه مسلم. وقال أبو داود: عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: سألنا رسول الله ﷺ عن القردة، والخنازير: أهي من نسل اليهود؟ فقال: «**إِنَّ اللهَ لَمْ يَلْعَنْ قَوْمَاً قَطُّ فَيَمْسَخُهُمْ فَكَانَ لَهُمْ نَسْلٌ، وَلَكِنْ هَذَا خَلْقٌ كَانَ، فَلَمَّا غَضِبَ اللهُ عَلَى الْيَهُودِ، فَمَسَخَهُمْ، جَعَلَهُمْ مِثْلَهُمْ**». هذا؛ وانظر «اللَّعن» في الآية رقم [٥٢] من سورة (النِّساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام. ﴿أُنَبِّئُكُم﴾: فعل مضارع، والكاف مفعول به أول، والفاعل مستتر تقديره: أنا. ﴿بِشَرّٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنَّهما مفعوله الثاني، وانظر الآية رقم [١٤]. ﴿مِّن ذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (شرٍّ)؛ لأنَّه أفعل تفضيل، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿مَثُوبَةً﴾: تمييز. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿مَثُوبَةً﴾ أو بمحذوف صفة لها، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿هَلۡ أُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ﴾ مستأنفة، لا محلَّ لها.

﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بدل مِنْ: (شرٍّ) أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو لعن مَنْ لعنه الله، أو في محل نصب مفعول به لفعل محذوف دلَّ عليه السَّابق، أي: أعرفكم مَنْ. ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها على جميع الوجوه المعتبرة فيها، والعائد، أو الرابط: الضمير المنصوب. ﴿وَغَضِبَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَلَيۡهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، وقد أفرد الضمير فيهما مراعاةً للفظ:

﴿مَن﴾، وجمع فيما بعدهما مراعاةً لمعناها. ﴿وَجَعَلَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مِنْهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْقِرَدَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْخَنَازِيرَ﴾: معطوف على (ما) قبله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿وَعَبَدَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة؛ إذ التقدير: وَمَنْ عبد الطَّاغوت، وهذا على قراءة الفعل بالبناء للمعلوم ونصب: ﴿ٱلطَّٰغُوتَ﴾ وهو واضح. ويقرأ بالبناء للمجهول ورفع: (الطَّاغُوت) فيحتاج إلى تقدير ضمير يعود إلى: ﴿مَن﴾ فيكون التقدير: وَمَنْ عُبِدَ الطاغوتُ فيهم. وذكرت كثرة القراءات في هذه الجملة، فيطول الكلام فيها وفي أوجه إعرابها، فلذا أعرضتُ عنها اختصاراً.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محلِّ رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿شَرٌّ﴾: خبره. ﴿مَّكَانًا﴾: تمييز، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَأَضَلُّ﴾: معطوف على: ﴿شَرٌّ﴾ عطف مفرد على مفرد. أو هو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هم أضلُّ، فيكون العطف عطف جملة اسمية على مثلها. ﴿عَن سَوَآءِ﴾: متعلقان بـ: (أضلُّ)، و﴿سَوَآءِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّبِيلِ﴾: مضاف إليه.

﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا...﴾ إلخ: قال قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ: نزلت في أناس من اليهود، دخلوا على رسول الله ﷺ، فأخبروه: أنَّهم مؤمنون، راضون بالذي جاء به، وكانوا متمسِّكين بضلالهم، وكفرهم، فكان هؤلاء يظهرون الإيمان، وهم منافقون، فأخبر الله نبيه ﷺ بحالهم، وشأنهم.

﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾: يعني: إنَّهم دخلوا عليك يا محمد كافرين، وخرجوا كما دخلوا كافرين لم يتعلَّق بقلوبهم شيءٌ من الإيمان، فهم كافرون في حالتي الدخول، والخروج. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ أي: يخفون من الكفر في قلوبهم؛ لأنَّ الله عالم بالسَّرائر، وما تنطوي عليه الضمائر، وإنه عالم الغيب والشهادة. هذا؛ و﴿أَعْلَمُ﴾ بمعنى: عالم؛ لأنَّه ليس على بابه؛ إذ ليس لأحدٍ علمٌ يشبه علم الله تعالى حتَّى يقارن به، وتجري بينهما المفاضلة، ومثله كثير في آيات القرآن.

هذا؛ وكتم، يكتم من باب: نصر، وربما عُدِّيَ إلى مفعولين، فيقال: كتمت زيداً الحديث، وقال تعالى في سورة (النِّساء) رقم [٤٢]: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾. وكتم الشيء: بالغ في كتمانه؛ أي: في إخفائه، قال الرسول ﷺ:

«**اسْتَعِينُوا عَلَى قَضَاءِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ**». قال صاحب القاموس: والكَتَم محركةً، والكُتْمان بالضمِّ، نبت يخلط بالحنَّاء، ويخضَّب به الشَّعر، ويصنع به مداد الكتابة، ورحم الله البوصيري؛ إذ يقول في البيت رقم [١٤] وما بعده: [البسيط]

فَـإِنَّ أَمَّـارَتـي بِـالـسُّـوءِ مَـا اتَّـعَـظَـتْ ... مِـنْ جَـهْـلِـهَـا بِـنَـذِيْـرِ الـشَّـيْـبِ وَالْـهَـرَمِ

وَلَا أَعَـدَّتْ مِـنَ الْـفِـعْـلِ الْـجَـمِـيـلِ قِـرَى ... ضَـيْـفٍ أَلَـمَّ بِـرَأْسِـي غَـيْـرَ مُـحْـتَـشِـمِ

لَـوْ كُـنْـتُ أَعْـلَـمُ أَنِّـي مَـا أُوَقِّـرُهُ ... كَـتَـمْـتُ سِـرّاً بَـدَا لِـيْ مِـنْـهُ بِـالْـكَـتَـمِ

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٥٨]. ﴿جَآءُوكُمْ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله. والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: (إذا) إليها. . .إلخ. ﴿قَالُوٓاْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل، والمتعلَّق محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ جواب (إذا) لا محلَّ لها، و(إذا) ومدخولها كلامٌ مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَقَد﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرِّب الماضي من الحال. ﴿دَّخَلُواْ﴾: ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرَّابط: الواو، والضمير. ﴿بِٱلْكُفْرِ﴾: متعلِّقان بما قبلهما، وقيل: متعلِّقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أي: دخلوا ملتبسين بالكفر، فتكون حالاً متداخلة. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿قَدْ خَرَجُواْ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة في: ﴿قَالُوٓاْ﴾ فهي حال متعددة. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أي: ملتبسين به، فتكون حالاً متداخلة أيضاً.

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلّ لها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَكْتُمُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ. والواو فاعله، والجملة الفعلية في محلِّ نصبٍ خبر ﴿كَانُواْ﴾، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أعلم بالَّذي، أو بشيءٍ كانوا يكتمونه.

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَرَىٰ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: وترى يا محمد كثيراً من اليهود. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: المسارعة في الشيء: المبادرة إليه بسرعة، لكن لفظة «المسارعة» إنَّما تستعمل في

الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ في سورة (الأنبياء)، وقال تعالى في سورة (آل عمران): ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ...﴾ إلخ. وضدُّ المسارعة في الخير: العجلةُ، وتقال في الشر في الأغلب، وإنَّما ذكرت لفظة المسارعة في قوله: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ...﴾ إلخ لفائدة، وهي: أنَّهم كانوا يقدمون على هذه المنكرات بشغفٍ، كأنَّهم محقُّون فيها. هذا؛ و﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾: اسم جامع لجميع المعاصي، والمنهيات، فيدخل تحته العدوان، وأكل السحت، فلهذا ذكر الله العدوان، وأكل السُّحت بعده. وقيل: الإثم: ما كتموه مِنَ التَّوراة، والعدوان: ما زادوا فيها، والسُّحت هو الرِّشا، وما يأكلونه من غير وجهه المشروع، وقد تقدَّم شرح ذلك كلِّه. ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾: فهذا ذمٌّ لجميع أعمالهم. وانظر شرح «نعم» و«بئس» في الآية رقم [٥٨] من سورة (النساء) فإنَّه جيد والحمد لله!

الإعراب: ﴿وَتَرَىٰ﴾: الواو: حرف عطف. (ترى): فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدَّرة على الألف للتعذُّر، والفاعل مستتر، تقديره: أنت. ﴿كَثِيرٗا﴾: مفعول به. ﴿مِّنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرٗا﴾. ﴿يُسَٰرِعُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به ثان، أو في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ(مِنْ) وهو الأقوى، ومثله في الآية رقم [٥٢]. ﴿فِي ٱلۡإِثۡمِ﴾: متعلقان بما قبلهما ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَأَكۡلِهِمُ﴾: معطوف على: ﴿ٱلۡإِثۡمِ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلسُّحۡتَۚ﴾ مفعول به للمصدر، وجملة: ﴿وَتَرَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين.

﴿لَبِئۡسَ﴾: اللام: لام الابتداء. (بئس): فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر تقديره: هو مميز بـ: (ما). ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز. ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: فعل مضارع، وفاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية: ﴿كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ في محل نصب صفة (ما)، وتقدير الكلام: بئس الشيءُ شيئاً كانوا يعملونه، والمخصوص بالذمِّ محذوف، التقدير: المذموم عملهم، هذا؛ ويذكر في هذه الجملة وجوه أخر من الإعراب يظهر فيها التعسُّف والتكلُّف، ذكرتها في الآية رقم [٩٠] من سورة (البقرة). والجملة الفعلية: ﴿لَبِئۡسَ...﴾ إلخ، مبتدأ، أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين، وكذا لو اعتبرتها جواب قسم محذوف لا محلَّ لها.

﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣﴾

الشرح: ﴿لَوۡلَا﴾: حرف تحضيض بمعنى: «هلا» مفيدة للتوبيخ، والتأنيب، والتقريع.

﴿يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ﴾: قال الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ: الربَّانيون: أهل الإنجيل. والأحبار: أهل التوراة. وقال غيره: كلهم من اليهود؛ لأنَّ الكلام متَّصل بذكرهم، وانظر شرحها، وتفسيرها في الآية رقم [٤٤]. ﴿عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ﴾ أي: الكذب. وانظر شرحه في الآية رقم [٢] ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ مثل الآية السابقة. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: هو أبلغ من قوله: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في الآية السابقة، من حيث: أنَّ الصنع عمل الإنسان بعد تدرُّبٍ، وتروٍّ فيه، وتَحَرِّي إجادةٍ، ولذلك ذمَّ به خواصهم بينما في الآية السابقة ذمَّ به عوامهم. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: هي أشدُّ آيةٍ في القرآن؛ حيث أنزل تارك النَّهي عن المنكر منزلة مرتكب المنكر في الوعيد. وهذه الآية، والآيتان قبلها في ذمِّ اليهود المعاصرين للنبيِّ ﷺ، وأمَّا الآية رقم [٦٠]؛ فإنَّها في ذمِّ السَّابقين منهم.

هذا؛ وقال ابن أبي حاتم عن يحيى بن يعمر، قال: خطب عليُّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ، فحمد الله، وأثنى عليه، ثمَّ قال: أيُّها الناس! إنَّما هلك مَنْ كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربَّانيُّون، والأحبار، فلمَّا تمادَوا في المعاصي؛ أخذتهم العقوبات. فَمُرُوا بالمعروف، وانْهَوْا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا: أنَّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً، ولا يقرِّب أجلاً.

وروى أبو داود عن جرير بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي يَقْدِرُونَ على أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ، فَلَا يُغَيِّرُوا؛ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَمُوتُوا»**. وإن أردت الزيادة فانظر الآية رقم [١٠٤ و١١٠] من سورة (آل عمران) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك. هذا؛ وقد تضمنت الآية الكريمة توبيخ العلماء والعبَّاد على سكوتهم عن النهي عن معاصي الله تعالى. وأنشد عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى: [المتقارب]

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُو ... كُ وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

الإعراب: ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿يَنْهَىٰهُمُ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء مفعول به. ﴿ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ﴿وَٱلْأَحْبَارُ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿عَن قَوْلِهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله. ﴿ٱلْإِثْمَ﴾: مفعول به للمصدر. ﴿وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله بلا فارق. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾: إعراب هذا الكلام مثل ما قبله في الآية السَّابقة بلا فارق.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًاۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ أي: محبوسة، مقبوضة عن الرزق، والبذل، والعطاء، فنسبوا إلى الله البخل، والقبض، تعالى الله عن ذلك! وغلُّ اليد، وبسطها مجازٌ عن البخل، والجود. ومنه قوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ انظر شرحها هناك؛ فإنَّه جيد، والحمد لله! وانظر مثل مقالتهم الخبيثة هذه في الآية رقم [١٨١] من سورة (آل عمران). وقائل هذه المقالة الخبيثة هنا، وهناك: فنحاص بن عازوراء لعنه الله! وسببها ما يلي:

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إنَّ الله عزَّ وجل كان قد بسط على اليهود حتَّى كانوا في المدينة أكثر الناس أموالاً، وأخصبهم ناحيةً، فلمَّا عصوا الله، وكفروا بمحمد ﷺ كفَّ عنهم ما بسط عليهم من السَّعة، فعند ذلك قال الخبيث هذه المقالة: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ﴾ يعني: محبوسة مقبوضة عن الرزق، والبذل، والعطاء، ولما قال الخبيث هذه المقالة الخبيثة، ولم ينهه بقية اليهود، ورضوا بقوله، فإنَّ الله جلَّت قدرتُه أشركهم معه جميعاً فيما حكى عنهم. تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً!.

هذا؛ ولمَّا كانت اليد آلة لكل الأعمال؛ لا سيما لدفع المال، وإنفاقه، وإمساكه، فقالوا: هذه المقالة، فأطلقوا اسم السبب على المسبب، وأسندوا الجود، والبخل إلى اليد مجازاً، فقيل للجواد الكريم: فياض اليد، ومبسوط اليد. وقيل للبخيل: مقبوض اليد، ومغلول اليد، وجعد الأصابع، وكَزُّ الأنامل، قال الشاعر: [البسيط]

كَانَتْ خُرَاسَانُ أَرْضاً إِذْ يَزِيدُ بِهَا ... وَكُلُّ بَابٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَفْتُوحُ
فَاسْتُبْدِلَتْ بَعْدَهُ جَعْداً أَنَامِلُهُ ... كَأَنَّمَا وَجْهُهُ بِالْخَلِّ مَنْضُوحُ

﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ۘ﴾ يعني: أمسكت أيديهم عن كلِّ خيرٍ، وطردوا عن رحمة الله. قال الزجَّاج: ردَّ الله عليهم، فقال: أنا الجواد الكريم، وهم البخلاء، وأيديهم هي المغلولة الممسوكة. وقيل: هذا دعاء عليهم، علَّمنا الله كيف ندعو عليهم، فقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أي في نار جهنَّم، فعلى هذا هو من الغلِّ حقيقة؛ أي: شدَّت أيديهم إلى أعناقهم، وطرحوا في النَّار جزاءً لهم على هذا القول. هذا؛ ويقال لهم، ولأمثالهم يوم القيامة: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ

صَلُوهُ...﴾ إلخ. ومعنى: ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾: عُذِّبوا بسبب ما قالوا. فمن لعنتهم: أنَّهم مسخوا في الدنيا قردة، وخنازير، وضربت عليهم الذلَّة، والمسكنة، والجزية، ولهم في الآخرة عذاب النَّار، وانظر شرح اللَّعن في الآية رقم [٥٢] من سورة (النِّساء).

﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يعني: أنَّه تعالى جواد كريم. ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ يعني: أنَّه تعالى يرزق كما يريد، ويختار، فيوسع على مَنْ يشاء، ويقتِّر على من يشاء، لا اعتراض عليه في ملكه، ولا فيما يفعله. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ. وَقَالَ: يَدُ اللهِ مَلأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ، وَالنَّهارَ**»، وقال: «**أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمواتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يده، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيْزَانُ، يَخْفِضُ، ويرفع**». متَّفق عليه، وهذا الحديث أحد أحاديث الصفات، فيجب الإيمان به، وإمراره كما جاء من غير تشبيه، ولا تكييف، وقال تعالى في سورة (لقمان): ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم...﴾ إلخ؛ يعني: كلَّما نزلت عليك يا محمد آيةٌ من القرآن؛ كفروا بها، فازدادوا شدَّةً في كفرهم، وطغياناً مع طغيانهم. والمراد بـ: «الكثير»: علماء اليهود، وحالهم، وشأنهم، كما يزداد المريض مرضاً من تناول الغذاء الصَّالح للأصحَّاء. وإذا كان الكفر يزداد؛ فالإيمان يزيد، وينقص. انظر الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال)، والآية رقم [١٢٦] من سورة (التوبة) تجد فيها ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ...﴾ إلخ؛ أي: ألقينا بين اليهود العداوة، والبغضاء، فكلمتهم مختلفةٌ، وقلوبهم شتَّى، لا يزالون متباغضين متعادين إلى قيام الساعة، وهم مذاهب مختلفة متناحرة، كما قال تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾، فإنَّ بعض اليهود جبرية، وبعضهم قدرية، وبعضهم مشبهة، وكذلك النَّصارى فرقٌ، ومذاهب، انظر الآية رقم [١٢٩] من سورة (الأنعام) فهو جيد، والحمد لله!.

﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ﴾ أي: كلما أرادوا حرب رسول الله ﷺ وأثاروا شرّاً عليه، وخالفوا حكم الله ؛ بعث الله عليهم مَنْ يهلكهم: أفسدوا، فبعث الله عليهم بختنصر البابلي فسباهم، وشرَّدهم، ثم أفسدوا، فبعث الله عليهم طيطوس الرُّومي، فانتقم منهم، ثم أفسدوا فسلَّط الله عليهم الفرس، فأذلُّوهم، ثم أفسدوا فبعث الله عليهم المسلمين فقهروهم، وضربوا عليهم الجزية، وأخرجوهم من بلاد الحجاز في عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ ولكن في هذه الأيام حيث اختلَّت كلمة المسلمين، وتمزَّقت وحدتهم؛ اتَّحدوا، وتعاونوا، وأقاموا لهم دولةً في عقر دار الإسلام بمساعدة النَّصارى، كما هو الواقع في زمننا. هذا؛ و«إيقاد النار في الحرب» استعارة؛ لأنَّ الحرب لا نار لها، وإنَّما شبهت بالنَّار؛ لأنَّها تأكل أهلها، كما تأكل النَّار حطبها.

﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ﴾ أي: إنَّ مِنْ سجيَّتهم، وطبعهم: أنَّهم دائماً يسعون في الأرض فساداً، فهم يجتهدون في دفع الإسلام، ويستعملون المكر، والكيد، والحيل لإطفاء نوره. ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: إنَّ الله لا يحبُّ مَنْ كانت هذه صفته، وطبيعته. قال قتادة: لا تلقى اليهود ببلدة إلا وجدتهم من أذلِّ الناس فيها. وهم أبغض خلق الله إليه.

هذا؛ و«اليد» في كلام العرب تكون للجارحة، كما في قوله تعالى في سورة (صّ): ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ وهذا محال على الله تعالى. وتكون للنِّعمة، تقول العرب: كم يدٍ لي عند فلان، أي: كم نعمة لي قد أسديتها له. وتكون للقوة، كما في قوله تعالى في سورة (محمد): ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ﴾. وتكون للملك، والقدرة، كقوله تعالى في سورة (آل عمران): ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۗ﴾. وتكون بمعنى الصلة، قال الله تعالى في سورة (يس): ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا﴾ أي: ممَّا عملنا نحن، وقال في سورة (البقرة): ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ﴾ أي: الذي له عقدة النكاح. وتكون بمعنى التأييد، والنصرة، ومنه قول النبي ﷺ: «**يَدُ اللهِ مَعَ الْقَاضِي حَتَّى يَقْضِيَ وَالْقَاسِمِ حَتَّى يَقْسِمَ**». وتكون لإضافة الفعل إلى المخبر عنه تشريفاً له، وتكريماً، قال تعالى في سورة (صّ): ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ فلا يجوز أن يحمل على الجارحة؛ لأنَّ الباري ـ عزَّ، وجل ـ واحد، لا يجوز عليه التبعيض. ولا على القوَّة، والملك، والنِّعمة، والصِّلة؛ لأنَّ الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه إبليس. انتهى. قرطبي. وانظر ما ذكرته أيضاً في الآية رقم [١١] فإنَّه جيد أيضاً.

هذا؛ و«زاد، يزيد» ضد: «نقص، ينقص» يكون لازماً، كقولك: زاد المال درهماً، ويكون متعدياً لمفعولين كما في الآية التي بين أيدينا، وقولك: زاد الله خالداً خيراً، بمعنى: جزاه الله خيراً، وأما قولك: زاد المال درهماً، والحبُّ مدّاً، فدرهماً، ومدّاً: تمييز، ومثله قل في: «نقص» فمن المتعدي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا﴾، ومن اللازم قوله تعالى في سورة (ق): ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ﴾.

الإعراب: ﴿وَقَالَتِ﴾: الواو: حرف استئناف. (قالت): فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ٱلْيَهُودُ﴾: فاعله. ﴿يَدُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف. و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَغْلُولَةٌۚ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَتِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿غُلَّتْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿أَيْدِيهِمْ﴾: نائب فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على الياء للثقل، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفةٌ لا محلَّ لها، وهي دعائية إنشائية. ﴿وَلُعِنُواْ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية،

والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: لُعِنوا بالذي أو: بشيءٍ قالوه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: لعنوا بسبب قولهم.

﴿بَلْ﴾: حرف إضراب. ﴿يَدَاهُ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمَّة؛ لأنَّه مثنَّى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾: خبره مرفوع مثله، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة لا محلَّ لها على الاعتبارين. وقال الجمل: عطف على تقدير يقتضيه المقام، أي: ليس الأمر كذلك، بل هو في غاية الجود. انتهى. نقلاً من أبي السعود. وهذا كما ترى حلُّ معنىً لا إعراب. ﴿يُنفِقُ﴾: فعل مضارع وفاعله يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ تقديره: هو. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب مفعول مطلق للفعل بعده، أو هو في محل نصب حال من فاعل: ﴿يَشَآءُ﴾ المستتر، ومفعول: ﴿يَشَآءُ﴾ محذوف، كما ترى في شرحه فيما مضى، ومفعول: ﴿يُنفِقُ﴾ محذوف للتعميم، وجملة: ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ في محل نصب حال من فاعل: ﴿يُنفِقُ﴾ العائد إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾ تعالى، وقال الجمل نقلاً عن السَّمين: «كيف» في مثل هذا التركيب شرطية، وقدَّر محذوفات، لا داعي لها، وتعسَّف تعسُّفاً ظاهراً في هذه التقديرات. وجملة: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ مستأنفة لا محلَّ لها. وقيل: إنَّها في محل رفع خبر ثان للمبتدأ: ﴿يَدَاهُ﴾، ولا وجه له.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ﴾: الواو: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (يزيدن): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ الَّتي هي حرف لا محلَّ له. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به أوَّل. ﴿مِّنْهُم﴾: جار ومجرور متعلِّقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾. ﴿مَّآ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع فاعل. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَّآ﴾ وهو العائد، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّآ﴾. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر العائد إلى (ما)، و﴿مِن﴾ بيان لِمَا أبهم في: ﴿مَّآ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿طُغْيَٰنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَكُفْرًا﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: (ليزيدن...) إلخ لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب لقسم محذوف، والقسم، وجوابه كلامٌ مستأنف لا محلَّ له، وهو كلام مبيِّنٌ لشدَّة شكيمتهم، وغلوِّهم في المكابرة، والعناد، وعدم إفادة التبليغ نفعاً، وتصديره بالقسم لتأكيد مضمونه، وتحقيق مدلوله.

(ألقينا): فعل، وفاعل. ﴿بَيْنَهُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال مِن: ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾ بمعنى: مستمرين إلى يوم، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه.

﴿كُلَّمَآ﴾: (كُلَّ): ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. (ما): مصدرية توقيتية. ﴿أَوۡقَدُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿نَارًا﴾: مفعول به. ﴿لِّلۡحَرۡبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَارًا﴾ و(ما) والفعل: ﴿أَوۡقَدُواْ﴾ في تأويل مصدر في محلِّ جرٍّ بإضافة (كلَّ) إليه، التقدير: كلَّ وقت إيقاد نار، وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل)، وقيل: (ما) نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى وقت أيضاً. ﴿أَطۡفَأَهَا﴾: فعل ماض، ومفعوله. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب: ﴿كُلَّمَآ﴾ لا محلَّ لها، و﴿كُلَّمَآ﴾ ومدخولها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَسَادًا﴾: يجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً مِنْ معنى الفعل، وأن يكون حالاً، بمعنى مفسدين. ﴿وَٱللَّهُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الله): مبتدأ. (لا) نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها.

﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأَدۡخَلۡنَٰهُمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: اليهود، والنصارى. والمقصود هنا: اليهود لوجودهم في المدينة في حياة الرَّسول ﷺ. ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: بمحمد ﷺ بما جاء به من عند ربه، وانظر الإيمان في الآية رقم [١٣٦] من سورة (النِّساء). ﴿وَٱتَّقَوۡاْ﴾: أصل الفعل اتَّقى، فلما اتصل به واو الجماعة صار (اتَّقاوْا) فحذف الألف لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، وبقيت الفتحة على القاف لتدلَّ عليها. وانظر (التقوى) في الآية رقم [٣٥]. ﴿لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أي: لغفرناها لهم، ومحوناها عنهم؛ لأنَّ الإسلام يَجبُّ ما قبله. ففيه تنبيهٌ عظيمٌ على عظم معاصيهم، وكثرة ذنوبهم، وأنَّ الكتابيَّ، وغيره من الكفَّار لا يدخل الجنة؛ حتى يؤمن بالله ربّاً، وبمحمدٍ رسولاً، وشفيعاً.

الإعراب: ﴿وَلَوۡ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لِمَا كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَهۡلَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾ و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعلٍ محذوف، هو شرط (لو) عند المُبَرِّد، التقدير: ولو ثبت، أو حصل إيمانُهم. وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو إيمانُهم ثابتٌ، أو حاصلٌ. وقول المبرد هو المرجَّح؛ لأنَّ «لو» لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدر. والفعل المقدَّر، وفاعله جملةٌ فعليَّةٌ لا

محلَّ لها من الإعراب؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَٱتَّقَوۡا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدَّر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، التي هي فاعله، والألف للتفريق، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. فهي في محل رفع مثلها. ﴿لَكَفَّرۡنَا﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (كفرنا): فعل وفاعل، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محلَّ لها. ﴿عَنۡهُمۡ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جرٍّ بالإضافة، و(لو) ومدخولها كلامٌ مستأنف، لا محلَّ لها.

﴿وَلَأَدۡخَلۡنَـٰهُمۡ﴾: الواو حرف عطف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (أدخلناهم): فعل، وفاعل، ومفعوله الأول. ﴿جَنَّـٰتِ﴾: ظرف مكان متعلِّق بالفعل قبله عند بعض النحاة، وفي مقدِّمتهم سيبويه، والمحققون وعلى رأسهم الأخفش ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب عندهم انتصاب المفعول به على السَّعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، ومثل ذلك يقال في مفعول «دخل» الثلاثي، ومفعول «أنزل» و«سكن». وأيضاً قوله تعالى في سورة (البقرة): ﴿ٱهۡبِطُوا۟ مِصۡرࣰا﴾ وعلى جميع الاعتبارات فهو منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابةً عن الفتحة. . . إلخ، و﴿جَنَّـٰتِ﴾: مضاف. و﴿ٱلنَّعِيمِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (لأدخلناهم. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَیۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةࣱ مُّقۡتَصِدَةࣱۖ وَكَثِیرࣱ مِّنۡهُمۡ سَاۤءَ مَا یَعۡمَلُونَ ۝٦٦﴾

الشرح: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ﴾: الضَّمير يعود إلى: ﴿أَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ﴾: اليهود، والنصارى. ﴿أَقَامُوا۟ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: عملوا بتعاليمهما، فنشروا أحكامهما، وبيَّنوا لِلنَّاس ما فيهما من نعتِ محمد ﷺ؛ لأنَّ ذلك من إقامة هذين الكتابين: الإيمان به، وتصديقه في كلِّ ما جاء به، والإذعان لحكمه، فإنَّ الكتب الإلٰهية جميعها آمرةٌ بالإيمان بِمَنْ صدَّقته المعجزة، ناطقةٌ بوجوب الطَّاعة له.

﴿وَمَاۤ أُنزِلَ إِلَیۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ﴾: المراد به القرآن الكريم، أو كلُّ الكتب السَّماوية. ﴿لَأَكَلُوا۟ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ﴾ أي: لوسَّع الله عليهم أرزاقهم بأن يُفيض عليهم بركات السماء والأرض، أو بكثرة ثمرة الأشجار، وغلَّة الزُّروع، أو يرزقهم الجنان الواسعة اليانعة الثمار، فيجنونها من رؤوس الأشجار، ويلتقطون ما تساقط منها على الأرض. بيَّن الله بذلك: أنَّ ما كف عنهم إنَّما هو بشؤم كفرهم، ومعاصيهم، لا لقصور الفيض الإلٰهي، ولو أنَّهم آمنوا، وأقاموا ما أمر الله ؛ لوسَّع عليهم، وجعل لهم خير الدَّارين، كما قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿وَلَوۡ أَنَّ

أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾. وبالجملة في الكلام اسْتِعارةٌ عن سبوغ النِّعم، وتوسعة الرزق عليهم، قال تعالى في سورة (لقمان): ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾.

﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ أي: من أهل الكتاب جماعةٌ معتدلةٌ مستقيمةٌ غير غاليةٍ، ولا مقصِّرة، وهم الذين آمنوا بمحمَّد ﷺ، كعبد الله بن سلام، والنَّجاشي، وسلمان الفارسي، ومن تبعهم من أهل الكتاب. قال تعالى في سورة (الأعراف). ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: بئس ما يعملونه، فيه معنى التعجُّب، والذَّم، أي: ما أسوأ عملهم! وهو المعاندة، وتحريف الحقِّ، والإفراط في العداوة.

هذا؛ و: ﴿أُمَّةٌ﴾ المراد بها هنا: جماعة، وتكون واحداً إذا كان يُقتدى به، كقوله تعالى في حق إبراهيم ـ على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ سورة (النَّحل). وقال الرسول ﷺ في زيد بن عمرو بن نفيل: «**يُبْعَثُ أُمَّةً وَحْدَهُ**» لأنَّه لم يشرك في دينه غيره. والأمَّة: الطريقة، والملَّة، والدين، كقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ وكل جنسٍ من الحيوان أمَّة، كقوله تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ وَيَسْتَدِلُّ بهذه الآية مَنْ يقول بتناسخ الأرواح. والأمَّة: الحين، والوقت. كقوله تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقتٍ، وحين، والأمَّة: الشَّجَّة التي تبلغ الدماغ، يقال: رجلٌ مأمومٌ، وأَمِيمٌ. والأَمَّة: القامة، يقال: فلانٌ حسن الأمَّة، أي: القامة، قال الشاعر: [المتقارب]

وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ ... حِسَانُ الْوُجُوهِ طِوَالُ الأُمَمْ

تنبيه: بينت الآية الكريمة، وما قبلها: أنَّ اليهود عوقبوا في الدُّنيا بالفقر، وضيق العيش، فلا يرد كون كثيرٍ مِنَ المُتَّقين العاملين بطاعة الله في غاية الضِّيق، فالتوسُّع في الرزق، والتضييق ليسا من الإكرام، والإهانة، ولكنَّ الله تعالى يجعل ضيق الرزق كسعته نعمة في بعض عباده، ونقمة على آخرين، فلا يلزم من توسيع الرِّزق الإكرام، ولا من تضييقه الإهانة. انتهى. جمل نقلاً من كرخي.

هذا؛ وبيَّن الله في غير ما آيةٍ أنَّه يختبر عباده بالخير، والشر، والنعم، والنقم، قال تعالى في سورة (الأعراف) رقم [١٦٨]: ﴿وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، وقال جلَّ ذكره في سورة (الأنبياء): ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ وأحاديث الرَّسول ﷺ كثيرةٌ في ذلك، فَمَنِ اطَّلع عليها؛ يتبيَّن له فضل الله على عبده المؤمن فيما يبتليه مِنْ ألوان الفتن، وضروب المِحَنِ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية السابقة. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على ﴿ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط. ﴿إِلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر. و﴿مِّن﴾ بيان لِمَا أُبْهِمَ في (ما)، والهاء في محل جر بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَأَكَلُوا۟﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (أكلوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محلَّ لها، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله في الآية السابقة. ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة للمفعول المحذوف، التقدير: لأكلوا رزقاً كائناً مِنْ فوقهم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِن تَحْتِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و﴿تَحْتِ﴾: مضاف ﴿أَرْجُلِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿أُمَّةٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مُّقْتَصِدَةٌ﴾: صفة: ﴿أُمَّةٌ﴾ هذا هو الإعراب الظاهر، والأصح: أنَّ مضمون الجار والمجرور مبتدأ، وأمَّةٌ هي الخبر؛ لأنَّ «مِنْ» الجارة دالة على التَّبعيض، أي: بعضهم أمَّة مقتصدةٌ، وجمع الضمير يؤيِّد ذلك، ويؤيده أيضاً عطف (كثير) عليه هنا، ومقابلته به، ومثله الآية رقم [١١٠] من سورة (آل عمران) ولا يصحُّ المعنى إلا على هذا الاعتبار، وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِنْهُمْ لُيُوثٌ لَا تُرَامُ وَبَعْضُهُمْ مِمَّا قَمِشْتَ وَضَمَّ حَبْلُ الْحَاطِبِ

حيث قابل لفظ: «منهم» بما هو مبتدأ ـ أعني: لفظة: «بعضُهم» ـ وهذا ممَّا يدلُّ على أنَّ مضمون ﴿مِّنْهُمْ﴾ مبتدأ. والجملة الاسمية: ﴿مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ﴾ مستأنفةٌ لا محلَّ لها. ﴿وَكَثِيرٌ﴾: مبتدأ. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بـ: (كثير)، أو بمحذوف صفة له. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فسَّره التمييز، وهو ﴿مَا﴾ فإنَّها نكرةٌ موصوفة بمعنى: شيئاً. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع. . .إلخ، وواو الجماعة فاعله، والجملة الفعلية صفة ما، والرابط محذوف، التقدير: ساء الشيء شيئاً يعملونه، والمخصوص بالذم محذوف أيضاً، التقدير: هو عملهم. هذا؛ وأجاز أبو البقاء اعتبار الفعل (ساء) متصرفاً من الإساءة، وله مفعول محذوف، كما أجاز اعتبار: ﴿مَا﴾ موصولة، وموصوفة، ومصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وتقدير الكلام: وكثير منهم ساءهم الذي أو شيءٌ يعملونه. وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤوَّل مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم عملهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَكَثِيرٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها، تأمَّل، وتدبَّر، وربُّك أعلم، وأجلُّ، وأكرم.

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾

الشرح: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾: انظر الآية رقم [٤١]. المناسبة: لمَّا حذَّر الله تعالى من موالاة الكافرين في الآيات السابقة، وكانت رسالته ﷺ تتضمَّن الطَّعن في أحوال الكفرة، والمخالفين، وعقائدهم، وهذا يستدعي مناصبتهم العداء له، ولأصحابه، وأتباعه؛ أمره الله في هذه الآيات بتبليغ الدَّعوة، ووعده بالحفظ، والنُّصرة، ثمَّ ذكر طرفاً مِنْ عقائد أهل الكتاب الفاسدة، وبخاصةٍ النَّصارى الذين يعتقدون بألوهيَّة عيسى، وأنَّه ثالث ثلاثة، وردَّ عليهم بالدَّليل القاطع، والبرهان السَّاطع.

﴿بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾: روي عن الحسن البصري ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ الله تعالى لمَّا بعث رسول الله ﷺ بدين الحقِّ؛ ضاق ذرعاً، وعرف: أنَّ من الناس مَنْ يكذِّبه، فأنزل الله هذه الآية. وقيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك: أنَّ الرسول ﷺ دعاهم إلى الإسلام، فقالوا: أسلمنا قبلك، وجعلوا يستهزئون به، ويقولون: تريد أن نتخذك حناناً، كما اتَّخذت النصارى عيسى حناناً! فلمَّا رأى ـ أي رسول الله ﷺ ـ ذلك منهم؛ سكت، فأنزل الله هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ...﴾ إلخ. وقيل: نزلت في أمر الجهاد، وذلك: أنَّ المنافقين كرهوه، فكان النبي ﷺ يمسك في بعض الأحايين عن الحثِّ على الجهاد؛ لِمَا عَلِم من كراهية بعضهم له، فأنزل الله هذه الآية. والمعنى: بلِّغ جميع ما أمرت بتبليغه غير مراقب أحداً، ولا خائفٍ مكروهاً. فدلَّت الآية الكريمة على ردِّ قول مَنْ قال: إنَّ النبيَّ ﷺ كتم شيئاً مِنْ أمر الدين تقيَّةً، وعلى بطلانه، وهم الشيعة. ودلَّت أيضاً على أنَّه ﷺ لم يسرَّ إلى أحدٍ شيئاً من أمر الدِّين؛ لأنَّ المعنى: بلغ جميع ما أنزل إليك ظاهراً، ولولا هذا ما كان في قوله عزَّ وجل: ﴿وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ فائدة، وانظر شرح: ﴿فَإِن لَّمۡ﴾ في الآية رقم [٩١] من سورة (النِّساء).

قال البخاريُّ ـ رحمه الله تعالى ـ عند تفسير هذه الآية: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: من حدَّثكم: أنَّ محمداً ﷺ كتم شيئاً ممَّا أنزل الله عليه؛ فقد كذب، والله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾. وفي الصَّحيحين عنها أيضاً: أنَّها قالت: لو كان محمد كاتماً شيئاً من القرآن؛ لكتم هذه الآية: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾إلخ رقم [٣٧] من سورة (الأحزاب). انظر شرحها هناك. فإنَّه جيد، والحمد لله. هذا؛ وفي الآية تأديب للنبيِّ ﷺ، وتأديب لحملة العلم مِنْ أُمَّته، وقد قال الرسول ﷺ: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ، فَكَتَمَهُ؛ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**». رواه أبو داود، والترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وقال ابن أبي حاتم: عن هارون بن عنترة عن أبيه؛ قال: كنت عند ابن عبَّاس ـ رضي الله عنهما ـ فجاء رجل، فقال له: إنَّ ناساً يأتوننا، فيخبروننا: أنَّ عندكم شيئاً لم يبده رسولُ الله ﷺ

للناس، فقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ألم تعلم أنَّ الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ...﴾ إلخ. والله ما ورَّثنا رسولُ الله ﷺ سوداءَ في بيضاء!.

وفي صحيح البخاري عن وهب بن عبد الله السوائي؛ قال: قلت لعليٍّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: هل عندكم شيءٌ من الوحي ممَّا ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبَّة، وبرأ النَّسمة إلا فهماً يُعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصَّحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكاك الأسير، وأن لا يُقْتَل مسلمٌ بكافر. ومعنى العقل: الدية.

﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾: يحفظك، ويرعاك من الكافرين، ويمنعك منهم، فلا يقدر أحدٌ يريدك بالقتل، وإن حصل له بعض الأذى مِنَ المشركين كشجِّ رأسه، وكسر رباعيَّته ﷺ يوم أحد، وتعرُّضهم له بالأذى. وقد يجاب عن ذلك بأنَّ ما حصل كان قبل نزول الآية الكريمة، وخذ ما يلي:

وذلك: أنَّ رسول الله ﷺ غزا بني محارب، وبني أنمار، فنزلوا منزلاً، ولا يرون من العدوِّ أحداً، فوضع المسلمون السِّلاح، فخرج رسول الله ﷺ لحاجةٍ حتَّى قطع الوادي، فحال السَّيل بين رسول الله ﷺ وبين أصحابه، فجلس تحت شجرةٍ، فبصر به غَوْرث بن الحارث المُحاربي، فقال: قتلني الله؛ إنْ لم أقتله، ثمَّ انحدر من الجبل، ومعه السَّيف، ولم يشعر به النَّبيُّ ﷺ، إلا وهو قائم على رأسه، وقد سلَّ السيف مِنْ غمده، وقال: يا محمد! من يمنعك مني الآن؟ فقال رسول الله ﷺ: «**الله عزَّ وجل!**» ثمَّ قال: «**اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت!**» فأهوى غورث بالسَّيف؛ ليضرب به رسول الله ﷺ، فأكبَّ لوجهه من زلقةٍ زلقها. فبدر السَّيف مِنْ يده.

فقام رسول الله ﷺ فأخذ السَّيف، وقال: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الآنَ يَا غَوْرَث؟!**» فقال: لا أحد! كُنْ خير آخذٍ يا محمَّد! فقال رسول الله ﷺ: «**أَتَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ؟**» قال: لا، ولكن أشهد أنْ لا أقاتلك، ولا أعين عليك عدوّاً. فأعطاه رسول الله ﷺ سيفه، فقال: لأنت خيرٌ منِّي، فقال رسول الله ﷺ: «**أَجَلْ أَنَا أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ**». فرجع إلى قومه، وقال لهم: جئتكم مِنْ عند خير الناس، وذكر لهم حاله مع رسول الله ﷺ، وسكن الوادي، فقطع رسول الله ﷺ الوادي إلى أصحابه، وأخبرهم الخبر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: لا يرشد مَنْ كذَّبك، وأعرض عنك. وقال ابن جرير الطَّبري: معناه: إنَّ الله لا يوفق للرُّشد مَنْ حادَ عن سبيل الحقِّ، وجار عن قصد السبيل، وجحد ما جئت به مِنْ عند الله، ولم ينته إلى أمر الله، وطاعته فيما فرض عليه، وأوجبه.

وعن أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: كان رسول الله ﷺ يحرسه بعض أصحابه ليلاً حتى نزلت الآية الكريمة، فَأَخْرَجَ رَأْسَهُ مِنْ قُبَّةٍ أَدَم، فقال: «**انْصَرِفُوا أَيُّهَا النَّاسُ! فَقَدْ عَصَمَنِي اللهُ مِنَ النَّاسِ**». رواه الحاكم، وأخرجه الترمذيُّ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

الإعراب: (يا): أداة نداء تنوب مناب «أدعو» أو «أنادي» (أيها): نكرة مقصودة مبنية على الضم في محل نصب بـ(يا). و(ها): حرف تنبيه لا محلَّ له من الإعراب، وأقحم للتوكيد، وهو عوضٌ مِنَ المضاف إليه، ولا يقال: ضمير في محل جرٍّ بالإضافة؛ لأنَّه حينئذٍ يجب نصب المنادى. ﴿الرَّسُولُ﴾: بدل مِنْ لفظ: (أيها). ﴿بَلِّغْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السُّكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها. ﴿إِلَيْكَ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بما قبلهما. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر. و﴿مِن﴾: بيان لما أُبهِمَ في: ﴿مَآ﴾ والكاف في محل جرٍّ بالإضافة مِنْ إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه.

(إنْ): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَفْعَلْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: ﴿لَّمْ﴾ وهو فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: أنت. ومفعوله محذوف للعلم به مِنْ سياق الكلام، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية. ﴿بَلَّغْتَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿رِسَالَتَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، ويُقرأ: (رسالاته) فيكون علامة النصب الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم. والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدُّسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد. ﴿وَإِن﴾ ومدخولها معطوف على جملة: ﴿بَلِّغْ...﴾ إلخ، أو هو مستأنف ولا محلَّ له على الاعتبارين.

﴿وَاللَّهُ﴾: الواو: واو الحال. (الله): مبتدأ، ﴿يَعْصِمُكَ﴾: فعل مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: (الله يعصمك) في محل نصب حال من تاء الفاعل المتحركة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام إفراداً وجملاً في الآية رقم [٥١].

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾: المعنى: قل يا محمد لهؤلاء اليهود، والنَّصارى: لستم على شيءٍ من الدين الحقِّ المُرتضى عند الله، ولستم على شيءٍ ممَّا تدَّعون

أنَّكم عليه ممَّا جاءكم به موسى ـ عليه السلام ـ، يا معشر اليهود! ولا ممَّا جاءكم به عيسى ـ عليه السلام ـ يا معشر النَّصارى! فإنَّكم أحدثتم، وغيَّرتم ما أنزل الله في كتابكم. وفي هذا التعبير من التَّحقير، والتَّصغير ما لا غاية وراءه.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: جاء رسولَ الله ﷺ جماعةٌ من اليهود، منهم رافع بن حارثة، وسلَّام بن مشكم، ومالك بن الصَّيف، ورافع بن حرملة، وقالوا: يا محمد! ألست تزعم: أنَّك على ملَّة إبراهيم، ودينه، وتؤمن بما عندنا من التَّوراة، وتشهد: أنَّها حق؟ فقال رسول الله ﷺ: «**بلى، ولكنَّكم أحدثتم، وجحدتم ما فيها مِمَّا أخذ عليكم مِنَ الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبيِّنوه للناس، فأنا بريءٌ من إحداثكم**». قالوا: فإنَّا نأخذ بما في أيدينا، فإنَّنا على الحقِّ والهدى، ولا نؤمن بك، ولا نتَّبعك، فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ انظر الآية رقم [٦٦]. ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾: المراد به: القرآن، أو: كل الكتب السماوية، فيجب على اليهود، وعلى كلِّ النَّاس أن يعملوا بما فيها؛ إذا لم يطرأ عليها تغيير، أو تبديل.

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٦٤]. هذا؛ والطُّغيان: مجاوزة الحدِّ. يقال: طغا، يطغى، ويطغو، طغياناً، وطغواناً: جاوز الحدَّ، وكلُّ مجاوزٍ حدَّه في العصيان طاغٍ، قال تعالى في حقِّ فرعون: ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ أي: أسرف في الدَّعوى؛ حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، والمعنى في الآية: أنَّ الله يزيد أهل الكتاب بسبب ما ينزل مِنْ آيات القرآن تمرُّداً، وفساداً في الأرض. هذا؛ وطغى البحر: هاجت أمواجه. وطغى السيل: جاء بماءٍ كثير. قال تعالى في سورة الحاقة: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. ﴿فَلَا تَأْسَ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٢٦] والمعنى هنا: فلا تحزن عليهم لزيادة طغيانهم، وكفرهم بما تبلغه إليهم، فإنَّ ضرر ذلك لاحقٌ بهم، ولا يتخطَّاهم، وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم. ولم يقل: عليهم، وإنَّما وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بشدَّة الكفر، ورسوخه في قلوبهم.

هذا؛ و﴿لَسْتُمْ﴾ حذفت عينه لالتقاء الساكنين: الياء، والسين؛ إذ أصل الفعل: لَيِسَ ـ بكسر الياء ـ ثمَّ سكِّنت للتَّخفيف، ولم تقلب ألفاً على القياس؛ لأنَّ التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل مِنَ القلب، فلمَّا اتَّصل بضمير رفع متحرك؛ سكِّنت العين، فالتقى ساكنان: الياء والسين، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار: (لستم).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. (يا): أداة نداء. (أهل): منادى منصوب، وهو مضاف، و﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَسْتُمْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: متعلِّقان بمحذوف خبر (ليس). ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿تُقِيمُوا۟﴾: فعل مضارع منصوب بـ: «أن» المضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾ وعلامة

نصبه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلۡإِنجِيلَ﴾: معطوف على ما قبله، و«أن» المضمرة، والفعل: ﴿تُقِيمُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالنفي الَّذي تضمَّنه (ليس) والكلام كلُّه في محلِّ نصب مقول القول: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٦٦]: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ...﴾ إلخ: انظر الآية رقم [٦٤] ففيها الكفاية.

﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنَّها تفصح عن شرط محذوف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَأۡسَ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة مِنْ آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليلٌ عليها، والفاعل ضمير مستتر تقديره: أنت، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها جواب لشرط غير جازم، والتقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً منهم؛ فلا تأس عليهم. وهذا الكلام مستأنفٌ، لا محلَّ له. ﴿عَلَى ٱلۡقَوۡمِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾

الشرح والإعراب: تفسير هذه الآية، وإعرابها مثل الآية رقم [٦٢] من سورة (البقرة) بلا فارق، انظره هناك تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك، مع ملاحظة مجيء (الصابئين) هناك بالياء والنون، ومجيئه هنا بالواو والنون وهذا لا بدَّ من إعرابه على هذا الوجه، وذكر ما قيل فيه من أوجه الإعراب، فأقول وبالله التوفيق:

(الصابئون) مبتدأ خبره محذوف، والنية فيه التأخير عما في حيز ﴿إِنَّ﴾، والتقدير: إن الذين آمنوا، والذين هادوا، والنصارى حكمهم كذا، والصابئون كذلك، كقول ضابئ بن الحارث البرجمي ـ وهو الشاهد رقم [٢٧٩] من كتابنا: «فتح رب البرية»، والشاهد رقم [٨٥٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

فَمَنْ يَكُ أَمْسَى بِالْمَدِينَةِ رَحْلُهُ فَإِنِّي ـ وَقَيَّارٌ ـ بِهَا لَغَرِيبُ

وهو كاعتراض دلَّ به على أنَّه لما كان الصَّابئون مع ظهور ضلالهم، وميلهم عن الأديان كلِّها يُتاب عليهم؛ إنْ صحَّ منهم الإيمان، والعمل الصَّالح؛ كان غيرهم أولى بذلك. ويجوز أن يكون (والنَّصارى) معطوفاً عليه، و﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ خبرهما، وخبر (إنَّ) مقدَّر، دلَّ عليه ما بعده كقول قيس بن الحطيم الأوسي ـ وهو الشاهد رقم [١٠٥] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [المنسرح]

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفُ

ولا يجوز عطفه على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمها، فإنَّه مشروطٌ بالفراغ مِنَ الخبر؛ إذ لو عطف عليه قبله كان الخبر خبر المبتدأ، وخبر: ﴿إِنَّ﴾ معاً، فيجتمع عليه عاملان. ولا على الضَّمير في: ﴿هَادُواْ﴾ وهو قول الكسائي، والأخفش. قال النَّحاس: سمعت الزجَّاج يقول، وقد ذكر له قول الأخفش، والكسائي، هذا خطأ مِنْ جهتين: إحداهما: أنَّ المضمر المرفوع يقبح العطف عليه؛ حتَّى يؤكَّد. والجهة الأخرى: أنَّ المعطوف شريك المعطوف عليه في الحكم. فيصير المعنى: إنَّ الصابئين قد دخلوا في اليهودية. وهذا محالٌ. وقيل: (إنَّ) بمعنى «نعم»، وما بعدها في محل رفع بالابتداء، و(الصابئون) معطوف عليه، أو هو مبتدأ، وحذف الخبر لدلالة الثاني عليه، فالعطف يكون على هذا بعد تمام الكلام، وانقضاء الاسم، والخبر. وخذ قول قيس الرقيات ـ وهو الشاهد رقم [٥١] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والشاهد رقم [٥٢٣] من كتابنا: «فتح رب البريَّة»: [مجزوء الكامل]

بَكَرَ الْعَوَاذِلُ فِي الصَّبُو ... حِ يَلُمْنَنِيْ وَأَلُومُهُنَّهْ
وَيَقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا ... كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

وقيل: (الصابئون) معطوف على اسم: ﴿إِنَّ﴾ وهو منصوب، وجاء بالواو على لغة بلحارث الَّذين يجعلون المثنَّى بالألف على كلِّ حال، وجمع المذكر السالم بالواو على كلِّ حال. وقيل: منصوب بالفتحة الظاهرة، وقد أجاز أبو علي الفارسي نصب جمع المذكر السالم بالفتحة، وهو بالياء والنون، وأجاز غيره وهو بالواو والنون، والقياس لا يدفعه. انتهى بيضاوي، وعكبري بتصرُّف. وذكر مكيُّ بن أبي طالب القيسي ما يشبهه.

هذا؛ وقال سليمان الجمل رحمه الله تعالى تبعاً للجلال: خبر ﴿إِنَّ﴾ هذه محذوف، تقديره: فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون دلَّ عليه المذكور، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ مبتدأ فالواو لعطف الجمل، أو للاستئناف، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ عطف على هذا المبتدأ، وقوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ خبر عن هذه المبتدآت الثلاثة. وقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ...﴾ إلخ: بدل من كلٍّ منها بدل بعض، فهو مخصَّص، فكأنَّه قال: الذين آمنوا من اليهود، ومن النصارى، ومن الصَّابئين لا خوفٌ عليهم، ولا هم يحزنون، فالإخبار عن اليهود، وَمَنْ بعدهم بما ذكر بشرط الإيمان، لا مطلقاً. هذا حاصلُ ما درج عليه الشَّارح في الإعراب، وفي المقام وجوه تسعةٌ أخرى ذكرها السَّمين، وما مشى عليه الجلال أوضحُ وأظهر من كلٍّ منها. تأمَّل. انتهى بحروفه.

هذا وأقول: إنَّ ابن هشام ـ طيَّب الله ثراه ـ ذكر: أنَّ الفرَّاء، والكسائيَّ اعتبرا: (الصابئون) معطوفاً على محل (الذين) ولذا قال: وأجيب، أي: من طرف البصريين بأمرين: أحدهما: أنَّ خبر ﴿إِنَّ﴾ محذوف، أي: مأجورون، أو آمنون، أو فرحون. و(الصَّابئون): مبتدأ، وما بعده الخبر، ويشهد له قول الشاعر ـ وهو الشاهد [٨٥٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [الطويل]

خَلِيلَيَّ هَلْ طِبٌّ فَإِنِّي وَأَنْتُمَا ... ـ وَإِنْ لَمْ تَبُوحَا ـ بِالْهَوَى دَنِفَانِ

والأمر الثاني: أنَّ الخبر المذكور لـ: ﴿إِنَّ﴾ وخبر (الصَّابئون) محذوف، تقديره: كذلك، ويشهد له قول صابئ المذكور آنفاً، انظر شرح الأبيات المذكورة في كِتَابَيْنَا الْمَذْكُورَيْنِ؛ تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ٧٠﴾

الشرح: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: تقدَّم شرح هذه الكلمات فيما مضى. والمعنى: أخذنا بالعهود عليهم في التوراة بأن يعملوا بما فيها من التَّوحيد، والعمل بما أمرناهم به، والانتهاء عمَّا نهيناهم عنه، ولكنهم نقضوا العهود، والمواثيق التي أخذها الله عليهم في التوراة، واجترحوا من الجرائم العظام ما سجَّله التاريخ عليهم؛ أي: في جميع العصور والأزمان، فلا يستغرب منهم ما يصدر مِنَ الأذى والعِصْيان للرسول ﷺ وللمسلمين. ﴿وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ﴾ أي: أرسلنا إليهم الرُّسل ليرشدوهم، وليبينوا لهم أمر الدين. ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ﴾: أي يخالف أهواءهم، ويضاد شهواتهم مِنْ ميثاق التكليف، والعمل بالشَّرائع.

﴿فَرِيقًا كَذَّبُواْ﴾: من الرُّسل الذين جاءتهم. ﴿وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ أي: فريقاً آخر قتلوه، فكان ممَّن كُذبوا: عيسى، ومحمد ﷺ. وكان فيمن قتلوا: زكريا، ويحيى، وغيرهما مِنَ الأنبياء، وقد تقدَّم ذكرهم في سورة (البقرة، وآل عمران) هذا؛ والتعبير بالمضارع: ﴿يَقْتُلُونَ﴾ موضع «قتلوا» على حكاية الحال الماضية، استفظاعاً للقتل، وتنبيهاً على أنَّ إيذاء الأنبياء، ومعاداتهم من شأنهم ماضياً ومستقبلاً.

هذا؛ و(فريق) اسم جمع، لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط... إلخ: وهو بمعنى: الطائفة من الناس. والفريق أكثر مِنَ الفِرقة، قال تعالى في سورة (الأعراف): ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۗ﴾ وقال عزَّ وجل في سورة (الشُّورى): ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾. هذا؛ وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٦٦] من سورة (النساء) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: وعزَّتي، وجلالي. (قد): حرف تحقيق، يقرِّب الماضي من الحال. ﴿أَخَذْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في اللام. ﴿مِيثَاقَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيٓ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور،

وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة، أو للتركيب المزجي. (أرسلنا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿رُسُلًا﴾: مفعول به.

﴿كُلَّمَا﴾: انظر إعرابها في الآية رقم [٦٤]. ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾: ماض، ومفعوله، وفاعله، و(ما) والفعل: (جاء) في تأويل مصدر في محل جر بإضافة: (كل) إليه. التقدير: كلُّ وقت مجيء رسولٍ، وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل). ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلّقان بما قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَهْوَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّةٌ مقدَّرةٌ على الألف للتعذُّر. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: كلما جاءهم رسول بالَّذي، أو: بشيءٍ لا تهواه أنفسهم. ﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به مقدَّم. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب: ﴿كُلَّمَا﴾ لا محلَّ لها، وقيل: هذه الجملة مستأنفة، وجواب ﴿كُلَّمَا﴾ محذوف، التقدير: كلما جاءهم... إلخ ناصبوه العداء، فتكون الجملة: ﴿فَرِيقًا كَذَّبُوا﴾ دالة عليها، ومفسِّرة لها، ويشهد لها قوله تعالى في سورة (البقرة) رقم [٧٨]: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾، والتي بعدها معطوفة عليها، و﴿كُلَّمَا﴾ ومدخولها في محل نصب صفة: ﴿رُسُلًا﴾ والرابط محذوف؛ إذ التقدير: كلَّما جاءهم رسول منهم... إلخ.

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿وَحَسِبُوا...﴾ إلخ؛ أي: ظنَّ اليهود: أن لا يصيبهم بلاءٌ، وعذابٌ بفعلهم السيِّئ مِنْ قتلهم الأنبياء، وتكذيبهم لهم فيما جاؤوا به من عند ربهم. فعموا عن طريق الحق والصواب، فلم يبصروه. وهذا كناية عن عمى البصيرة لا البصر، قال تعالى في سورة الحج: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾. ﴿وَصَمُّوا﴾: عن استماع الموعظة، والنصيحة، كما فعلوا حين عبدوا العجل، ووعظهم هارون عليه السلام، فلم يقبلوا منه. و«الصمم»: هو كناية عن منع نفوذ الحقِّ إلى قلوبهم، وسبب ذلك شدَّة جهلهم، وقوَّة كفرهم، وإعراضهم عن قبول الحقِّ، وقوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ في سورة (البقرة) مثل ذلك. ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: حين تابوا، واعتذروا؛ قَبِل الله توبتهم.

﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا﴾ يعني: في زمان عيسى، ويحيى، وزكريا، على نبينا، وحبيبنا، وعليهم جميعاً ألف صلاة، وألف سلام؛ لأنَّهم كذبوا عيسى، وقتلوا زكريا، ويحيى. وقيل: إنَّ العمى

الأوَّل كان بعد موسى، ثمَّ تاب عليهم ببعثة عيسى، عليه السلام، ثمَّ عموا، وصموا ببعثة محمَّد ﷺ. ﴿كَثِيرٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: من اليهود؛ لأنَّ بعضهم آمن بمحمد ﷺ كعبد الله بن سلام، وأصحابه. انظر قوله تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ فشرحها جيد هناك. ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: فيجازيهم بما يستحقُّون، ففيه وعيدٌ، وتهديدٌ.

هذا؛ و(حسب) من باب «تَعِبَ» في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنَّهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، وقد قرئ المضارع بفتح السين، وكسرها، والمصدر: الحِسْبان بكسر الحاء، وحَسَبْتُ المال حسباً مِنْ باب: قَتَلَ بمعنى: أحصيته عدداً.

الإعراب: ﴿وَحَسِبُوٓاْ﴾: الواو: حرف عطف.. (حسبوا): فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. (أنْ): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿تَكُونَ﴾: فعل مضارع تام منصوب بـ: (أن). ﴿فِتْنَةٌ﴾: فاعله، هذا؛ وقرئ الفعل بالرَّفع على اعتبار أنَّ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنَّه. والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، و(أن) على الاعتبارين تُؤوَّل مع مدخولها بمصدر، وهذا المصدر في محل نصب سدَّ مسد مفعولي الفعل: (حسبوا)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً، ويتغيَّر معنى (حسبوا) على الاعتبارين، فعلى اعتبار: (أن) ناصبة يكون معناه: الظنُّ، والشكُّ. وعلى اعتبارها مخففة مِنَ الثقيلة يكون معناه: اليقين. وجملتا: (عَمُوا، وصَمُّوا) معطوفتان على ما قبلهما أيضاً، وانظر متعلَّق الفعلين في الشَّرح.

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَابَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: ثمَّ تابوا، فتاب الله عليهم، والكلام كلُّه معطوف على ما قبله، لا محلَّ له أيضاً. ﴿عَمُواْ﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها أيضاً. ﴿كَثِيرٌ﴾: فيه أربعة أوجه: الأول: كونه بدلاً من واو الجماعة على اعتبارها فاعلاً. والثاني: فاعلاً، والواو علامة الجمع، كقولهم: «أكلوني الْبَراغِيثُ». والثالث: كونه خبراً لمبتدأ محذوف؛ أي: العمى، والصمم كثيرٌ منهم. والرابع: كونه مبتدأ، والجملة الفعلية قبله خبره. وضعَّفه البيضاوي؛ لأنَّ تقديم الخبر في مثل ذلك ممتنعٌ. ومثل هذه الآية قوله تعالى في سورة (الأنبياء) رقم [٣]: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهذا الاستعمال ورد في قول النبي ﷺ: «**يَتَعَاقَبُونَ فِيْكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ**». وورد في الشعر العربي بكثرة، كقول عبيد الله بن قيس الرُّقيات ـ وهو الشاهد رقم [٦٨٤] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، والشاهد رقم [١٩٧] من كتابنا: «فتح رب البرية» ـ: [الطويل]

تَوَلَّى قِتَالَ الْمَارِقِينَ بِنَفْسِهِ وَقَدْ أَسْلَمَاهُ مُبْعَدٌ وَحَمِيمُ

وأيضاً قول الآخر ـ وهو الشاهد رقم [٦٨٢] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [المتقارب]

يَلُومُونَنِي فِي اشْتِراءِ النَّخِيـ ... ـلِ أَهْلِي فَكُلُّهُمُ أَلْوَمُ

وأيضاً: قول أبي فراس الحمداني، ـ وهو الشاهد رقم [١٩٦] ـ من كتابنا: «فتح رب البرية» ـ: [مجزوء الكامل]

فَتَحَ الرَّبِيعُ مَحَاسِنَاً ... أَلْقَحْنَهَا غُرُّ السَّحَائِبْ

انظر شرح هذه الشَّواهد في كتابنا تجدْ ما يسرك، ويثلج صدرك. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرٌ﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَصِيرٌ﴾. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها على الاعتبارين الأوَّلين فيها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بصير بالذي، أو: بشيءٍ يعملونه. وتؤوَّل على اعتبارها مصدرية مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: الله بصير بعملهم. والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها، هذا؛ وقرئ: (عُمُوا، وَصُمُّوا) بضم العين، والصاد من باب: زُكِمَ، وأَزْكَمَهُ الله، وقد جاء بغير همز فيما لم يسم فاعله، وهو قليل، واللغة الفاشية: أُعْمِيَ، وَأُصِمَّ.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (٧٢)﴾

الشرح: مناسبة الآية وما بعدها لِمَا تقدَّم: لَمَّا حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق، وقتلهم الأنبياء، وتكذيبهم الرُّسل، وغير ذلك؛ شرع في الإخبار عن كفر النَّصارى، وما هم عليه من فساد الاعتقاد. وما ذكر في هذه الآية من اعتبارهم عيسى إلٰهاً هو قول الملكانية، واليعقوبية منهم؛ لأنَّهم يقولون: إنَّ مريم ولدت إلٰهاً، وإنَّ الإلٰه جلَّ علاه حلَّ في ذات عيسى، واتَّحد به. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً!

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ...﴾ إلخ؛ أي: كفر النَّصارى، وخرجوا عن جادة الحقِّ، والصَّواب بقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾. ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ...﴾ إلخ؛ أي: أنا عبد مثلكم، فاعبدوا خالقي، وخالقكم، الَّذي يذلُّ له كلُّ شيء، ويخضع له كل موجود، كيف لا يكون عبداً لله، وأوَّل كلمةٍ نطق بها؛ وهو صغير في المهد أن قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ ولم يقل: إنِّي أنا الله، ولا ابن الله، بل قال: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾. وكذلك قال لهم في كهولته، ونبوَّته، آمراً لهم بعبادة الله ربه، وربهم وحدَه، لا شريك له: قال تعالى هنا: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾.

﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾: يعني: مَنْ يجعل لله شريكاً مِنْ خلقه في ذاته، أو في صفاته، أو في أفعاله. ﴿فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ أي: دخولها، وأوجب له النَّار إذا مات على شركه. قال تعالى في سورة (النساء) رقم [٤٨ و١١٦]: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾. وفي الصَّحيح: أنَّ النبي ﷺ بعث منادياً ينادي في الناس: «**إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ**». وفي لفظ: «**مُؤْمِنَةٌ**». ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالشِّرك، وارتكاب المعاصي. ﴿مِنۡ أَنصَارٖ﴾: أي: ما لهم مِنْ أنصارٍ، وأعوان ينصرونهم، ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة.

هذا؛ والمراد بـ: (الظالمين) في هذه الآية: الكفار، كما عبَّر عنهم في آيات كثيرةٍ بـ: (المجرمين) و(الفاسقين) و(الكاذبين) وغير ذلك، وإنَّنا نجد الكثير من المسلمين يتَّصفون بهذه الصفات، فهل يوجه إليهم هذا التهديد، والوعيد، كما يوجه إلى الكفار؟ الحقَّ أقول: نعم يوجه إليهم ذلك، ولا سيَّما مَنْ قرأ القرآن الكريم، واطَّلع على أخبار الأمم السابقة، والقرون السَّالفة كيف فعل الله بهم، وجعلهم عبرةً للمعتبرين. وإنَّما سمِّي الكافر ظالماً لأنَّه وضع العبادة في غير موضعها، وكلُّ مَنْ يَدَّعي الإسلام، ولا يعمل بتعاليمه؛ فهو ظالم لنفسه، ويستحقُّ ما يستحقُّ الكافر مِنَ العذاب في الدنيا، والآخرة.

الإعراب: ﴿لَقَدۡ﴾: انظر الآية رقم [٧٠] ﴿كَفَرَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبَّه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾: خبره. ﴿ٱبۡنُ﴾: صفة: ﴿ٱلۡمَسِيحُ﴾ أو بدل منه، وهو مضاف، و﴿مَرۡيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابةً عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع مِنَ الصَّرف للعلمية، والتأنيث المعنوي، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلۡمَسِيحُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ...﴾ إلخ لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين باللام.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ﴾: فعل ماض، وفاعله. (يا): أداة نداء تنوب مناب: أدعو، أو: أنادي. (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه ملحق بجمع المذكر السَّالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني): مضاف، و﴿إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ. ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبِّي﴾: بدل مِنْ لفظ الجلالة منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدَّرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جرٍّ بالإضافة مِنْ

إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَرَبَّكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، مِنْ إضافة اسم الفاعل... إلخ، والكلام: ﴿يَٰبَنِيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ...﴾ إلخ في محلٍّ نصبٍ حال مِنْ واو الجماعة، وهي على تقدير «قد» قبلها، والرابط: الواو، والضمير المحذوف؛ إذ التقدير: وقد قال المسيح لهم. وإن اعتبرتها معطوفة على جملة: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ فلا محلَّ لها مثلها.

﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمه. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُشْرِكْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قَدْ): حرف تحقيق يقرِّب الماضي من الحاضر. ﴿حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾: ماض، وفاعله. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿فَقَدْ...﴾ إلخ في محلِّ جزمٍ جواب الشرط عند الجمهور، والدّسوقي يقول: لا محلَّ لها؛ لأنَّها لم تحلَّ محلَّ المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَن﴾ مختلف فيه كما ذكرته مراراً، والجملة الاسمية: ﴿مَن يُشْرِكْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر؛ إن كانت مِنْ كلام عيسى، ومستأنفة لا محلَّ لها؛ إن كانت من كلام الله تعالى ابتداءً.

﴿وَمَأْوَىٰهُ﴾: الواو: حرف عطف. (مأواه): مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلنَّارُ﴾: خبره، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾، فهي في محل جزم مثلها. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿لِلظَّٰلِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدَّم. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَنصَارٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمَّة مقدَّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحلِّ بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وهناك مَنْ يجيز اعتبار: ﴿أَنصَارٍ﴾ فاعلاً بالجار والمجرور قبله؛ لاعتماده على النفي، ولم يذكر تعليق الجار والمجرور، ولعلَّه يعني تعليقهما بـ: (ما) النافية، وهذا غير متعارف عليه، أو هما متعلقان بفعل محذوف، التقدير: وما يثبت للظالمين أنصار. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) نافية حجازية تعمل عمل «ليس» فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبرها مقدماً. و﴿أَنصَارٍ﴾: اسمها مؤخر، وعلى الوجهين؛ فالجملة اسمية، وهي مستأنفة، أو معترضة في آخر الكلام اعتراضاً تذييليّاً، لا محلَّ لها على الاعتبارين. هذا؛ وقد وُضِعَ الظَّاهِرُ موضعَ المضمر تسجيلاً على أنَّهم ظلموا أنفسهم بالشِّرك، وعدلوا عن طريق الحقِّ، والصواب. ونبَّه الله به على أنَّهم قالوا ذلك تعظيماً لعيسى، وتقرُّباً إليه، وهو معاديهم، ومخاصمهم فيه. هذا وقد روعي لفظ: ﴿مَن﴾ بالضَّمير، في فاعل: ﴿يُشْرِكْ﴾ ومعناها في الاسم الظَّاهر. تأمَّل، وتدبَّر، وربُّك أعلم، وأجلُّ، وأكرم.

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٣﴾

الشرح: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾: هذا قول المرقوسيَّة، والنُّسطورية من النَّصارى، ولتفسير قولهم طريقان:

أحدهما: وهو قول أكثر المفسِّرين: أنَّهم أرادوا بهذه المقالة: أنَّ الله، ومريم، وعيسى آلهةٌ ثلاثة، وأنَّ الإلٰهية مشتركةٌ بينهم، وأنَّ كلَّ واحدٍ منهم إله، ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح في آخر هذه السُّورة: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، فقوله: ﴿ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ فيه إضمار، تقديره: إنَّ الله أحد ثلاثة آلهة، أو: واحدٌ مِنْ ثلاثة آلهة.

قال الواحدي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولا يكفر مَنْ يقول: إنَّ الله ثالث ثلاثة، ولم يرد به: أنَّه ثالث ثلاث آلهة؛ لأنَّه ما من اثنين إلا والله ثالثهما بالعلم، ويدلُّ عليه قوله تعالى في سورة (المجادلة): ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾، وقد قال النبي ﷺ لأبي بكر ـ رضي الله عنه ـ: **«ما ظَنُّكَ باثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!»**.

والطريق الثاني: أنَّ المتكلِّمين حكَوْا عن النَّصارى: أنَّهم يقولون: إنَّه جوهرٌ واحدٌ ثلاثة أقانيم: أبٌ، وابنٌ، وروح القدس، وهذه الثلاثة إلٰهٌ واحد، كما أنَّ الشَّمس اسمٌ يتناول القرص، والشُّعاع، والحرارة، وعنوا بالأب: الذَّات، وبابن: الكلمة، وبالرُّوح: الحياة، وأثبتوا الذَّات، والكلمة، والحياة، وقالوا: إنَّ الكلمة الَّتي هي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الماء باللَّبن، وزعموا أنَّ الأب إلٰه، والابن إلٰه، والرُّوح إلٰه، والكلُّ واحد. واعلم: أنَّ هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل، فإنَّ الثلاثة لا تكون واحداً، والواحد لا يكون ثلاثة، ولا ترى في الدنيا مقالةً أشدَّ فساداً، ولا أظهر بطلاناً من مقالة النَّصارى. انتهى. خازن. أقول: أفسد من عقيدة النصارى عقائد الوثنيِّين. وانظر ما ذكرتُه في الآية رقم [١٧١] من سورة (النِّساء).

﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ أي: لا يوجد في الكون إلٰهٌ يستحقُّ العبادة مِنْ حيث هو الفاعل المختار إلا إلٰهٌ واحدٌ منفردٌ بالوحدانيَّة، والقدم، والبقاء، وهو الله تعالى لا شريك له، ولا والد، ولا ولد له، ولا صاحبة. قال تعالى في سورة (البقرة) رقم [١٦٣]: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ انظر شرحها هناك فإنَّه جيدٌ، والحمد لله!.

﴿وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: إن لم ينته النَّصارى عن هذه المقالة الباطلة، والادِّعاء الكاذب. ﴿لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: ليصيبنَّهم عذابٌ أليم في الدُّنيا، والآخرة. في الدُّنيا: القتلُ، والأسر، والجزية، وقد حصل شيءٌ مِنْ هذا. ولعذاب الآخرة

أخزى، وأنكى. هذا؛ وقال تعالى: ﴿مِنْهُمْ﴾ لعلمه السَّابق: أنَّ من النصارى مَنْ يؤمن الإيمان الكامل، ويترك هذه الأقوال الفاسدة، وقد حصل ذلك منهم.

تنبيه: قال مكيُّ بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: في التركيب: ﴿وَإِن لَّمْ﴾ دخلت: (إنْ) على (لَمْ) ليرتدَّ الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأنَّ «لَمْ» تردُّ لفظ المستقبل إلى معنى المُضِيِّ و«إنْ» ترد الماضي إلى معنى الاستقبال، فلمَّا صارت ﴿لَمْ﴾ ولفظ المستقبل بعدهما بمعنى الماضي؛ ردَّتها (إنْ) إلى الاستقبال؛ لأنَّ «إنْ» ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

الإعراب: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾: انظر الآية السابقة. و﴿ثَالِثُ﴾: مضاف، و﴿ثَلَٰثَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدَّرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لتقدُّم النفي عليها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة. هذا هو الإعراب الظاهر، والإعراب الحقيقي أن تعتبر الخبر محذوفاً، تقديره: موجودٌ، و﴿إِلَٰهٌ﴾: الثاني بدل من المبتدأ، أو من الضَّمير المستتر في الخبر المحذوف، وهو أقوى على حدِّ: «لا إلٰه إلا الله»، والجملة الاسمية مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿وَإِن﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: وعزتي، وجلالي! دلَّ على هذا القسم الكلام الآتي، والجار والمجرور متعلِّقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَنتَهُواْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لم) وهو فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية، ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محلِّ جرٍّ بـ: (عن)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: وإن لم ينتهوا عن الذي، أو: عن شيءٍ يقولونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤوَّل مع ما بعدها بمصدر في محلِّ جرٍّ بـ: (عَنْ)، التقدير: وإن لم ينتهوا عن قولهم. ﴿لَيَمَسَّنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يَمَسَّنَّ): فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محلَّ له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعده صلته. ﴿مِنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مِنْ واو الجماعة، و(مِنْ) بيان لما أبهم في الموصول. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعل: (يَمَسَّنَّ). ﴿أَلِيمٌ﴾: صفة له، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف، وجواب الشرط محذوف

لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط، وقسم فالجواب للسَّابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

وَاحْذِفْ لَدَى اجْتِمَاعِ شَرْطٍ وَقَسَمْ جَوَابَ مَا أَخَّرْتَ فَهْوَ مُلْتَزَمْ

والقسم، وجوابه كلامٌ مستأنفٌ، لا محلَّ له. هذا؛ مع ملاحظة: أنَّ اللام الموطئة للقسم محذوفة، وقد روعي حكمها؛ إذ التقدير: ولئن لم ينتهوا، كما صرَّح به في قوله تعالى في سورة (الحشر): ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ...﴾ إلخ. ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الآية رقم [١٢١] من سورة (الأنعام).

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٧٤)﴾

الشرح: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ...﴾ إلخ؛ أي: أفلا يرجعون إلى الله بالانتهاء عن تلك العقائد الزائفة، والأقوال الكاذبة في حقِّ عيسى، وأمِّه، عليهما السلام. وهذا من كرم الله تعالى، وجوده، ولطفه، ورحمته بخلقه مع هذا الذَّنب العظيم. وهذا الافتراء، والإفك يدعوهم إلى التوبة، والمغفرة، فكلُّ مَنْ تاب إليه؛ تاب عليه. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ أي: بالتوحيد، والتنزيه عن الاتحاد، والحلول بعدما تقدَّم من التهديد، والوعيد. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾: لهم إن تابوا إلى الله، وأنابوا. ﴿رَّحِيمٌ﴾: بهم، والإسلام يجبُّ ما قبله، وانظر: ﴿أَفَلَا﴾ في الآية رقم [٨٢] من سورة (النِّساء).

هذا؛ والفعل: استغفر، ويستغفر: السِّين، والتاء فيهما للطَّلب، والفعل يتعدَّى لاثنين، أولهما بنفسه، والثاني بحرف الجر، نحو: استغفرت الله مِنْ ذنبي، قال تعالى في سورة (التوبة) رقم [٨٠]: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فالمفعول الصَّريح للأفعال الأربعة محذوف، وقد يحذف حرف الجر، فيصل الفعل إلى الثاني بنفسه، كقول الشاعر ـ وهو الشَّاهد رقم [٤٨٦] من كتابنا: «فتح رب البريَّة» ـ: [البسيط]

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ الْعِبَادِ إِلَيْهِ الْوَجْهُ وَالْعَمَلُ

ومثل «استغفر»: اختار، وكنَى، وسمِعَ، ودَعَا، وصدَّق، وزوَّج، وكال، ووزن، وأمر. قال عمرو بن معدي كرب الزبيدي ـ وهو الشاهد رقم [٤٨٥] من كتابنا: «فتح رب البرية»، والشاهد رقم [٥٩٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ـ: [البسيط]

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

الإعراب: ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار. الفاء: حرف استئناف، وقال الجمل: الفاء للعطف على مقدَّرٍ، يقتضيه المقام، أي: ألا ينتهون عن تلك العقائد، فلا يتوبون.

﴿يَتُوبُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية لا محلَّ لها مستأنفة. أو معطوفة على مقدَّر. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مستأنفة لا محلَّ لها، وعطفها على الجملة الفعلية السَّابقة لا محلَّ لها أيضاً واعتبارها حالاً من لفظ الجلالة جيِّد، ويكون الرابط: الواو، وإعادة لفظ الجلالة.

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾: فيه نفي الألوهية عنه، كما أنَّ الرسل الذين كانوا قبله لم يكونوا آلهة، وأمَّا إبراؤه الأكمهَ، والأبرصَ، وإحياء الميت على يده؛ فهو كإحياء العصا، وجعلها حيَّةً في يد موسى، على نبينا، وعليهم جميعاً ألف ألف صلاة، وألف ألف سلام، قال تعالى في سورة (الزخرف) رقم [٥٩]: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وخلقه مِنْ غير ذَكَرٍ كخلق آدم مِنْ غير ذَكَرٍ، وأنثى، قال تعالى في سورة (آل عمران) رقم [٥٩]: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ أي: وما أمُّهُ أيضاً إلا كبعض النِّساء المصدِّقات للأنبياء، المؤمنات بهم، وهذا أعلى مقاماتها، فدلَّ على أنَّها ليست نبيَّة، كما زعمه ابن حزم، وغيره ممَّن ذهب إلى نبوَّة سارة أم إسحاق، ونبوَّة أم موسى، ونبوة أم عيسى استدلالاً منهم بخطاب الملائكة لهنَّ، والذي عليه الجمهور: أنَّ الله لم يبعث نبيّاً إلاَّ مِنَ الرجال، قال تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾. والإجماع منعقدٌ على ذلك.

﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ أي: يحتاجان إلى التغذية به، وإلى خروجه منهما، فهما عبدان كسائر الناس، وليسا بإلٰهين، كما زعمت فرق النَّصارى الضالَّة عن طريق الهدى، والحقِّ، والصَّواب. وبالجملة فإنَّ فساد عقيدتهم واضحٌ لا يحتاج إلى إقامة دليل.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ الدَّالة على بطلان قولهم، وفساد عقيدتهم. والخطاب للنبي ﷺ، ولكلِّ عاقل يفكّر في أمرهم. ﴿ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن استماع الحقِّ، وقبوله. هذا؛ وتكرير الأمر بالنَّظر للمبالغة في التعجُّب، ولفظ: ﴿ثُمَّ﴾ لإظهار ما بين العجبين مِنَ التَّفاوت؛ أي: إن بياننا للآيات أمر بديع بالغ أقصى الغايات مِنَ الوضوح، والتحقيق، وإعراضهم عنها أعجب؛ وأبدع.

هذا وأصل «الإفك» قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفَّاك؛ لأنَّه يقلب الكلام عن وجهه الصَّحيح إلى الباطل، وهو بهذا المعنى من الباب الرَّابع، ومصدره: إِفْك، كعِلْم، ويغلب مجيء فعله بالبناء للمجهول، ويكون بمعنى الصَّرف كقوله تعالى في كثير من الآيات: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾، وقال تعالى في سورة (الذاريات): ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ ومصدره: أَفْك كضرب، وقد يجيء بالبناء للمعلوم، كما في قوله تعالى في سورة (الشُّعراء): ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾. وانظر مثله في الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿ٱلْمَسِيحُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱبْنُ﴾: صفة له، أو بدل منه، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصَّرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿رَسُولٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرِّب الماضي من الحال. ﴿خَلَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدَّر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث الساكنة. ﴿مِن قَبْلِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلرُّسُلُ﴾: فاعل: ﴿خَلَتْ﴾، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿رَسُولٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها. ﴿كَانَا﴾: فعل ماض ناقص مبني على الفتح، وألف الاثنين اسمه. ﴿يَأْكُلَانِ﴾: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله. ﴿ٱلطَّعَامَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانَا﴾، والجملة الفعلية مستأنفة لا محلَّ لها، وإن اعتبرتها في محل نصب حال من المسيح وأمِّه؛ فيجب تقدير «قد» قبلها.

﴿ٱنظُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام، وتعجب مبني على الفتح في محلِّ نصب حال من فاعل: ﴿نُبَيِّنُ﴾ المستتر، و﴿كَيْفَ﴾ معلقة للفعل: ﴿ٱنظُرْ﴾ عن العمل لفظاً. ﴿نُبَيِّنُ﴾: فعل مضارع، وفاعله مستتر فيه وجوباً تقديره: نحن. ﴿لَهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنَّه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ نُبَيِّنُ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿ٱنظُرْ﴾، وهذه الجملة مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱنظُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر فيه. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام، وتعجب مبني على السُّكون في محل نصب حال من واو الجماعة. هذا؛ وإن اعتبرتها للمكان ـ كما هو أصل معناها ـ فتكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلقة بالفعل بعدها. ﴿يُؤْفَكُونَ﴾: فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع. . . إلخ، والواو نائب فاعله، ومتعلقه محذوف، انظر: الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿ٱنظُرْ﴾، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها، لا محلَّ لها مثلها.

﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: هذا خطاب للنَّصارى الذين ألَّهوا عيسى، على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. والمعنى: يا محمد! قل لهؤلاء النصارى: أتعبدون مِنْ دون الله . ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ أي: لا يستطيع أن يضرَّكم بمثل ما يضرُّكم الله به من البلايا، والمصائب في الأنفس، والأموال، ولا يقدر أن ينفعكم بمثل ما ينفعكم به الله من صحَّة الأبدان، وسعة الأرزاق، فإنَّ الضار، والنافع هو الله تعالى، لا مَنْ تعبدون مِنْ دونه، ومن لا يقدر على النَّفع، والضُّرِّ لا يكون إلٰهاً. قال في البحر: لمَّا بيَّن الله بدليل النقل، والعقل انتفاء الألوهية عن عيسى عليه السلام، ودعاهم للتوبة، وطلب الغفران؛ أنكر عليهم، ووبَّخهم مِنْ وجهٍ آخر، وهو عجز عيسى عن دفع ضرر، وجلب نفعٍ، وأنَّ مَنْ كان لا يدفع عن نفسه حَرِيٌّ أن لا يدفع عنكم.

هذا؛ و«العبادة» غاية التذلُّل، ولا يستحقُّها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذلك يحرم السُّجود لغير الله تعالى. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرِّضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصَّبر على المفقود. وانظر شرح: ﴿دُونِ﴾ في الآية رقم [١١٦] من سورة (النِّساء).

هذا؛ وإنَّما قال، وكنى عن عيسى ـ عليه السلام ـ بما دوَّن من التحقيق ما هو المراد من كونه بمعزل عن الألوهية رأساً ببيان انتظامه ـ عليه السلام ـ في سلك الأشياء؛ الَّتي لا قدرة لها على شيءٍ أصلاً. وانظر مثلها في الآية رقم [٣] من سورة (النساء) والآية الأخيرة من هذه السُّورة.

هذا؛ وقد قال بعض المحققين في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: إذا كان عيسى ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ لا يملك ضرّاً، ولا نفعاً لأحدٍ؛ فما بالك بوليٍّ من الأولياء؛ هل يملك لغيره نفعاً، أو ضرّاً؟! والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾ فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: أنت. ﴿أَتَعْبُدُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (تعبدون): فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محلَّ لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَمْلِكُ﴾: فعل مضارع، وفاعله يعود إلى (ما)، والمراد به عيسى كما رأيت، وهو العائد. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما.

﴿ضَرًّا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿نَفْعًا﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محلَّ لها.

﴿وَاللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿السَّمِيعُ﴾: خبر الثاني. ﴿الْعَلِيمُ﴾: خبر ثان له، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ في محل رفع خبر لفظ الجلالة. هذا؛ ويجوز اعتبار الضمير بدلاً من لفظ الجلالة، وفصلاً لا محلَّ له، فيكون: ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ خبرين للفظ الجلالة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها، وجوز اعتبارها حالاً من واو الجماعة، ويكون الرابط الضمير فقط، والاستئناف أقوى.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب لسيد الخلق، وحبيب الحقِّ ﷺ. ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: الخطاب لأهل الكتابين: اليهود، والنَّصارى. ﴿لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: غلوّاً باطلاً، والغلو: مجاوزة الحدِّ، وذلك: أنَّ الحقَّ بين طرفي: الإفراط، والتفريط، ومجاوزة الحدِّ، والتقصير مذمومان. فغلو النَّصارى رفع عيسى فوق قدره بنسبة الألوهيَّة إليه. وغلو اليهود وضعه؛ حيث قالوا: إنَّه ابن زنى. وكلا الفريقين متجاوزٌ لِلْحَدِّ، فهو هالك بالإفراط، أو بالتفريط، وانظر الآية رقم [١٧١] من سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!.

﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أسلافهم، وأئمَّتهم الذين خرجوا عن جادة الحقِّ، والصَّواب قبل مبعث محمدٍ ﷺ؛ حيث حرَّفوا، وبدَّلوا أحكام التوراة، والإنجيل. والخطاب لليهود، والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله ﷺ، نُهوا عن اتِّباع أسلافهم فيما ابتدعوه مِنَ الضَّلالة بأهوائهم. وانظر شرح: ﴿ٱلْهَوَىٰ﴾ في الآية رقم [١٣٥] من سورة (النساء) فإنَّه جيد، والحمد لله!. ﴿وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا﴾ من الناس مِمَّن شايعوهم، وسمعوا منهم، واتَّبعوهم على ضلالتهم، وأهوائهم. ﴿وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾: أي: أخطؤوا الطريق السَّويَّ بعد مبعث محمد ﷺ حيث كذَّبوه، وعادوه، وبغوا عليه.

هذا؛ و«ضلَّ» أكثر ما يستعمل بمعنى: كفر، وأشرك، وهو ضدُّ: اهتدى، واستقام. ومصدره: الضَّلال، وهو كثيرٌ، ويأتي «ضلَّ» بمعنى: غاب، كما في قوله تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾. ويأتي بمعنى: خفي، يخفى، قال تعالى في سورة (طه) حكاية عن قول موسى لفرعون: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾. وضَلَّ الشيء: ضاع، وهلك، ومنه قوله تعالى في سورة (الرعد) وفي سورة (غافر): ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾.

وضل: أخطأ في رأيه، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم له في حضرته: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾، وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وضل: تحيَّر، وهو أقرب ما يفسَّر به قوله تعالى مخاطباً حبيبه ﷺ في سورة (الضُّحى): ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

و: أضلَّ، يضلُّ غيره من الرُّباعي، مصدره: الإضلال، فهو متعدٍّ، والثلاثي لازم، وهما في هذه الآية. ومصدر الثلاثي: الضلال، وهو الخروج عن جادة الحقِّ، والانحراف عن الصراط المستقيم، وينبغي أن تعلم: أنَّ طريق الهدى واحدةٌ، لا اعوجاج فيها، ولا التواء، قال تعالى في سورة (الأنعام): ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وأمَّا الضَّلال؛ فطرقه كثيرةٌ، ومتشعِّبةٌ. قال تعالى في سورة (يونس) على نبينا، وحبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾. وقال الشاعر الحكيم: [البسيط]

الطُّرْقُ شَتَّى وَطُرْقُ الْحَقِّ وَاحِدَةٌ ... وَالسَّالِكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ أَفْرَادُ

لا يُعْرَفُونَ وَلَا تُدْرَى مَقَاصِدُهُمْ ... فَهُمْ عَلَى مَهَلٍ يَمْشُونَ قُصَّادُ

وَالنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُرَادُ بِهِمْ ... فَجُلُّهُمْ عَنْ سَبِيلِ الْحَقِّ رُقَّادُ

هذا؛ و«سواء» مصدر بمعنى الاستواء، فلذا صحَّ الإخبار به عن متعدِّدٍ في كثير من الآيات، وقيل: هو بمعنى: مستوٍ، وهو لا يثنَّى، ولا يجمع. قالوا: هم سواء، فإذا أرادوا لفظ المثنى. قالوا: سيَّان، وإن شئت قلت: سواءان، وفي الجمع: أسواء، وهذا كلُّه ضعيف، ونادر، وأيضاً على غير القياس: هم سواسٍ، وسواسية، أي: متساويان، ومتساوون. هذا؛ ويأتي أيضاً بمعنى: الوسط، كما في قوله تعالى في سورة (الصافات) رقم [٥٥]: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ ويأتي بمعنى: العدل، كما في قوله تعالى في الآية رقم [٥٨] من سورة (الأنفال): ﴿فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ وسواء السبيل: ما استقام منه، كما في الآية التي نحن بصدد شرحها، وأيضاً قوله تعالى في الآية رقم [١٠٨] من سورة (البقرة): ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ وسواء الجبل: ذروته، وسواء الشيء: غيره. قال الأعشى: [الطويل]

تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي ... وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسَوَائِكَا

الإعراب: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: انظر الآية رقم [٦٨]. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تَغْلُوا۟﴾: فعل مضارع مجزوم بـ(لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنَّه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتَّفريق. ﴿فِى دِينِكُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿غَيْرَ﴾: صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: لا تغلوا في دينكم غلوّاً غير، وجوز اعتباره حالاً من واو الجماعة؛ أي: غير محقِّين. و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه،

﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعُوٓاْ﴾: فعل مضارع مجزوم بـ: (لا)... إلخ. ﴿أَهْوَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿قَوْمٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والكلام كلُّه في محل نصب مقول القول. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرِّب الماضي من الحال. ﴿ضَلُّواْ﴾: فعل ماض، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبُنِيَ (قَبْلُ) على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنىً، والجملتان: ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ معطوفتان على ما قبلهما فهما في محل جرٍّ مثلها.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ...﴾ إلخ: لعنهم الله في الزَّبور، والإنجيل على لسان هذين النبيين. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لعنوا بكلِّ لسان، وكلِّ كتاب، لعنوا على عهد موسى في التوراة، وعلى عهد داود في الزَّبور، وعلى عهد عيسى في الإنجيل، وعلى عهد محمد في القرآن، وفيه جواز لعن الكافرين، وإن كانوا مِنْ أولاد الأنبياء، وأن شرف النسب لا يمنع إطلاق اللعنة في حقهم، وانظر اللَّعنة في الآية رقم [٥٢] من سورة (النساء).

قال أكثر المفسرين: هم أصحاب السبت لمَّا اعتدوا في السَّبت، واصطادوا الحيتان فيه. قال داود ـ على نبينا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام ـ: اللهم العنهم، واجعلهم قردة! فمسخوا قردةً، وقد ذكرت قصَّتهم بالتفصيل في سورة (الأعراف) الآية رقم [١٦٣] وما بعدها. ﴿وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ أي: لعنوا أيضاً على لسان عيسى، على حبيبنا، وعليه ألف صلاة، وألف سلام. وهم كفار أصحاب المائدة، لمَّا أكلوا، وادّخروا، ولم يؤمنوا؛ قال عيسى: اللهم العنهم، واجعلهم خنازير! فمسخوا خنازير، وستأتي قصَّتهم في آخر هذه السورة. ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ﴾ أي: ذلك اللَّعن الشنيع المقتضي للمسخ بسبب عصيانهم، واعتدائهم، وخروجهم عن أوامر أنبيائهم؛ الَّتي هي مِنْ أوامر الله تعالى.

هذا؛ وإعلال ﴿عَصَواْ﴾ كما يلي: أصله قبل دخول واو الجماعة عليه: «عَصَيَ» فقل في إعلاله: تحركت الياء، وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فلمَّا اتصلت به واو الجماعة؛ صار: «عصاو» فالتقى ساكنان: ألف العلة، وواو الجماعة، وحرف العلَّة أولى بالحذف من الضَّمير، فحذف حرف العلَّة، وبقيت الفتحة على الصَّاد دليلاً على الألف المحذوفة. ويقال في إعلاله أيضاً: ردَّت الألف لأصلها عند اتصالها بواو الجماعة، فصار: (عَصَيُوا) فقلبت الياء ألف لتحركها وانفتاح ما قبلها، فالتقى ساكنان: ألف العلة... إلخ، كما يقال أيضاً: ردت الألف

لأصلها عند اتصاله بواو الجماعة، فصار (عصيوا) فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت، فالتقى ساكنان: الياء وواو الجماعة، فحذفت ياء العلَّة. . .إلخ، وما ذكرته يجري في إعلال كلِّ فعلٍ ناقص؛ اتصل به واو الجماعة، مثل: نجا، ورمى، وسعى، ودعا. . .إلخ.

تنبيه: جاء لفظ ﴿لِسَانِ﴾ بالإفراد دون التثنية، والجمع، فلم يقل: على لساني داود. . .إلخ على التثنية لقاعدة كلية، وهي أنَّ كل جزأين مفردين من صاحبيهما إذا أضيفا إلى كليهما من غير تفريق جاز فيه ثلاثة أوجه: لفظ الجمع، وهو المختار، ويليه التثنية عند بعضهم. وعند بعضهم الإفراد مقدَّم على التثنية، فيقال: قطعت رؤوس الكبشين، وإن شئت قلت: رأسي الكبشين، وإن شئت قلت: رأس الكبشين، ومنه قوله تعالى في سورة (التَّحريم): ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٨] ففيها الشِّفاء الكافي لقلبك. وانظر شرح (لسان) في الآية رقم [٤٦] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿لُعِنَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية بعده صلته، والمتعلق محذوف. ﴿مِنْ بَنِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة العائدة على الموصول، و﴿مِنْ﴾: بيان لما أبهم في الموصول. و﴿بَنِي﴾: مضاف، و﴿إِسْرَائِيلَ﴾: مضاف إليه، وقد تقدَّم إعراب مثل هذه الكلمات. ﴿عَلَى لِسَانِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿لُعِنَ﴾، و﴿لِسَانِ﴾: مضاف، و﴿دَاوُدَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنَّه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿وَعِيسَى﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ابْنِ﴾: صفة (عيسى)، و﴿ابْنِ﴾: مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور. . .إلخ، وجملة: ﴿لُعِنَ...﴾ إلخ مستأنفةٌ لا محلَّ لها.

﴿ذَلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محلَّ له. ﴿بِمَا﴾: الباء حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿عَصَوْا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و(ما) المصدرية، والفعل: ﴿عَصَوْا﴾ في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ؛ إذ التقدير: ذلك بسبب عصيانهم، والجملة الاسمية مستأنفة لا محلَّ لها. (كانوا): فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْتَدُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كانوا)، وجملة: ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾: معطوفة على ما قبلها، تؤوَّل مثلها بمصدر بسبب العطف. التقدير: ذلك بسبب عصيانهم، وبسبب اعتدائهم. وقيل: هي مستأنفة. والأوَّل أقوى.

﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ...﴾ إلخ: أي: كان اليهود، والنصارى لا ينهى بعضُهم بعضاً عن فعل قبيح؛ إذا أراد البعض فعله. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: في هذه الجملة المؤكَّدة بالقسم دليلٌ على أنّ ترك النهي عن المنكر مِنَ العظائم، فيا خيبة المسلمين في إعراضهم عنه! وخذ ما يلي:

عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أَوَّل مَا دَخَلَ النقص على بني إسرائيل: أنَّه كان الرَّجل يلقى الرَّجل، فيقول: يَا هذا اتَّقِ الله، ودع ما تصنع، فإنَّه لا يحلُّ لك، ثمَّ يلقاه من الغد، وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله، وشريبه، وقعيده، فلمَّا فعلوا ذلك؛ ضرب الله قلوب بعضهم ببعض**»، ثمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾. ثمَّ قال: «**كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، ولتأخذنَّ على يد الظالم، ولتأطرنَّه على الحقِّ أطراً**». رواه أبو داود، والترمذيُّ، واللفظ لأبي داود. لتأطرنَّه: أي: لتردنَّه على الحق. وأصل «الأطر» العطف، والتثني.

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قيل: يا رسول الله! متى يترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قال: «**إِذَا ظَهَرَ فِيكم ما ظهر في الأمم قبلكم**» قلنا: يا رسول الله! وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «**المُلك في صغاركم، والفاحشة في كباركم، والعلم في رذالكم**». قال زيد: تفسير معنى قول النبي ﷺ: «**العلم في رذالكم**»: إذا كان العلم في الفسَّاق. رواه ابن ماجه.

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله عنه ـ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده لتأمُرُنَّ بالمعروف، ولتنهوُنَّ عن المنكر، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً مِنْ عنده، ثم لتدعنَّه فلا يستجيب لكم**». رواه أحمد، والترمذي. وانظر ما ذكرته في الآيتين رقم [١٠٤ و١١٠] من سورة (آل عمران) ففيهما الكفاية، وانظر شرح «نعم» و«بئس» في الآية رقم [٥٩] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿كَانُواْ﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانُواْ﴾، والجملة الفعلية مفسرة لمعاصيهم، واعتدائهم في الآية السابقة. ﴿عَن مُّنكَرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَعَلُوهُ﴾: فعل ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿مُّنكَرٍ﴾. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٦٢].

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿تَرَىٰ﴾: الخطاب للرسول ﷺ، أو لكلِّ أحد. ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ أي: من اليهود. وقال مجاهد: يعني: المنافقين. ﴿يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: يوالون المشركين من أهل مكة، وذلك حين خرجوا إليهم ليجيِّشوا على رسول الله ﷺ. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: ترى كثيراً من المنافقين يتولَّون اليهود، ويصافونهم بغضاً لرسول الله ﷺ، وللمؤمنين. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ أي: بئس الشيء؛ الذي قدموه لآخرتهم؛ ليروه يوم القيامة مسجَّلاً في صحائف أعمالهم. وانظر مثل هذا الذمِّ في الآيتين رقم [٦٢ و٦٣] والذي قدموه لأنفسهم هو: سخط الله عليهم في الدُّنيا، والآخرة. وخلودهم في النار يوم القيامة. وانظر شرح: ﴿تَرَىٰ﴾ في الآية رقم [٥٢].

الإعراب: ﴿تَرَىٰ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر وجوباً تقديره: أنت. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿يَتَوَلَّوْنَ...﴾: فعل مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب حال على اعتبار: ﴿تَرَىٰ﴾ بصرية مِنْ: ﴿كَثِيرًا﴾ بعد وصفه بالجار والمجرور، أو هي في محل نصب مفعول به ثان على اعتبار: ﴿تَرَىٰ﴾ علميَّة. ﴿كَفَرُوا۟﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محلَّ لها، وجملة: ﴿تَرَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة لا محلَّ لها. ﴿لَبِئْسَ﴾: اللام: لام الابتداء، أو هي واقعة في جواب قسم محذوف. (بئس) فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر، تقديره: «هو»، مميَّز بـ: (ما). ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز. ﴿قَدَّمَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿أَنفُسُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صفة (ما) والرابط محذوف، التقدير: لبئس الشيء شيئاً قدَّمته لهم أنفسهم، والجملة الفعلية لا محلَّ لها على الوجهين المعتبرين في الفاء. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿سَخِطَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. و﴿أَن سَخِطَ﴾ في تأويل مصدر في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم. التقدير: هو سخط الله عليهم. وقيل: المصدر المؤوَّل تعليل للذمِّ، والمخصوص بالذمِّ محذوف، التقدير: لبئس الشيء مقدماً لهم ذلك؛ لأنَّه أكسبهم السُّخط. ﴿وَفِى﴾: الواو: حرف عطف. (في العذاب): متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدُونَ﴾ بعدهما. ﴿هُمْ﴾: ضمير

منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمَّة؛ لأنَّه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محلَّ لها مثلها، فهي مِنْ جملة المخصوص بالذمِّ.

﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ...﴾ إلخ؛ قيل: المراد بهم: اليهود، فلو كانوا يؤمنون بالله، وبموسى، وبالتوراة؛ التي أنزلت إليه. وقيل: المراد: المنافقون اتَّخذوا اليهود أنصاراً، وأحباباً. فيكون المراد بـ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ﴾ أي: القرآن؛ الذي أنزل على محمَّد ﷺ. ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾: خارجون عن دينهم، أو هم مستمرُّون في نفاقهم. وإنَّما قال تعالى: ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ﴾ لأنَّه علم: أنَّ منهم مَنْ سيؤمن كعبد الله بن سلام، وأصحابه، وكذلك بعض المنافقين تاب مِنْ نفاقه.

هذا؛ و(النبيُّ) يقرأ بالهمز، وبدونه مأخوذ مِنَ النبأ، وهو: الخبر، وقيل: مأخوذ من النبوة، وهي الارتفاع؛ لأنَّ رتبة النَّبي ارتفعت عن رتب سائر الخلق، وانظر الآية رقم [١٦٤] من سورة (النساء) تجد ما يسرُّك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانُوا۟﴾: فعل ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلِّقان به. ﴿وَٱلنَّبِىِّ﴾: معطوف على لفظ الجلالة، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿كَانُوا۟﴾، والجملة الفعلية هذه لا محلَّ لها؛ لأنَّها ابتدائية. ويقال: لأنَّها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَمَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر معطوفة على (الله والنبي). ﴿أُنزِلَ﴾: فعل ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها. ﴿إِلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿ٱتَّخَذُوهُمْ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله الأوَّل. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محلَّ لها، (لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محلَّ له. ﴿وَلَٰكِنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبَّه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسم (لكنَّ). ﴿مِّنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلِّقان بـ: ﴿كَثِيرًا﴾ أو بمحذوف صفة له. ﴿فَٰسِقُونَ﴾: خبر (لكنَّ) مرفوع. . .إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على (لو) ومدخولها، لا محلَّ لها أيضاً.

﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٨٢﴾

الشرح: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: وذلك لشدة شكيمتهم، وتضاعف كفرهم، وانهماكهم في اتباع الهوى، وركونهم إلى التقليد، وبعدهم عن التحقيق، وتمرنهم على تكذيب الأنبياء، ومعاداتهم. وانظر إعلال: (تجد) في الآية رقم [٥٢] (النساء). وإعلال: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية رقم [٣٥] و﴿ٱلۡيَهُودَ﴾ في الآية رقم [٢٠]. ﴿وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾: هم أهل مكة المشركون. ﴿مَّوَدَّةً﴾: ليناً، ومحبة. ﴿نَصَٰرَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٥] وقد كان النصارى كذلك للين جانبهم، ورقة قلوبهم، وقلة حرصهم على الدنيا، وكثرة اهتمامهم بالعلم والعمل. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما ذكر من صفاتهم الحميدة. ﴿قِسِّيسِينَ﴾ جمع قسيس، وهو مثال مبالغة على فعِّيل كصديق، وهو هنا رئيس النصارى، وعالمهم، وأصله من تقسس الشيء إذا اتبعه، وتطلبه بالليل، ويقال لرئيس النصارى: قس، وقسيس، وهما بفتح القاف، وكسرها، ولم ينقل أهل اللغة في الأول القس بضم القاف، لا مصدراً، ولا وصفاً، فأما قس بن ساعدة الإيادي، فهو علم، وهو بضم القاف، فيكون مما غير عن طريق العلمية، وقس هذا كان أعلم أهل زمانه، وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: **«يبعث أمة وحده»** انتهى. جمل بتصرف كبير. (رهبان): جمع راهب، وهو من النصارى: من اعتزل الناس إلى دير يتعبد فيه، ويجمع رهبان على: رهابين. والرهبنة، والرهبانية: طريقة الرهبان، وقد بين القرآن الكريم: أنهم ابتدعوها، ولم يفرضها الله، ولا عيسى عليهم. ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾: أي عن قبول الحق إذا فهموه، أو يتواضعون، ولا يتكبرون كاليهود، وفيه دليل على أن التواضع، والإقبال على العلم، والعمل، والإعراض عن الشهوات محمودة، وإن كانت من كافر. انتهى. بيضاوي.

الإعراب: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، واللام واقعة في جواب قسم محذوف، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿أَشَدَّ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَدَٰوَةً﴾: تمييز. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ﴿عَدَٰوَةً﴾، أو بمحذوف صفه له، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، لا محل لها. ﴿ٱلۡيَهُودَ﴾: مفعول به ثان. ﴿الذين﴾: معطوف على: ﴿ٱلۡيَهُودَ﴾، فهو مبني على الفتح في محل نصب مثله، وجملة: ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُواْ﴾ في الآية رقم [١] وجملة: ﴿لَتَجِدَنَّ...﴾ إلخ جواب قسم محذوف مع المتعلق، التقدير: (أقسم بالله...) إلخ، والجملة القسمية مستأنفة، لا محل

لها، وجملة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ في محل مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿قِسِّيسِينَ﴾: اسم (أنَّ) مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَرُهْبَانًا﴾: معطوف على ما قبله، و(أنَّ) واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ معطوف على المصدر السابق، فهو في محل جر مثله. وإعراب هذه الجملة واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿سَمِعُوا۟﴾: هذا الفعل من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية، مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار الفارسي. واختار ابن مالك ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة؛ إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول: كذا. ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾: المراد به القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ. (ترى): انظر الآية رقم [٥٥]. ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾: جمع عين، انظر الآية رقم [٤٨]. ﴿تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: الفيض: انصباب عن امتلاء، فوضع موضع الامتلاء للمبالغة. أو جعلت ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ من فرط البكاء كأنها ﴿تَفِيضُ﴾ بأنفسها، وهو بيان لرقة قلوبهم، وشدة خشيتهم، ومسارعتهم إلى قبول الحق، وعدم تأبيهم عنه. انتهى. بيضاوي. هذا؛ وفي الشهاب: فوضع الفيض موضع الامتلاء للمبالغة، وجعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها، يعني أن الفيض مجاز الامتلاء بعلاقة المبالغة، أو جعلت أعينهم من فرط البكاء كأنها تفيض بأنفسها، يعني أن الفيض موضع الامتلاء بعلاقة السببية، فإن الثاني سبب للأول، فالمجاز في المسند، و﴿ٱلدَّمْعِ﴾ هو ذلك الماء، أو الفيض على حقيقته، والتجوز في إسناده إلى العين للمبالغة كجري النهر. انتهى. جمل بتصرف كبير. ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أي: إن فيض ﴿ٱلدَّمْعِ﴾ المذكور، إنما كان بسبب معرفتهم الحق الذي جاء به محمد ﷺ، هذا؛ وقد قيل: إن ﴿مِنَ﴾ الثانية للتبعيض، أي إنهم عرفوا بعض الحق، فكيف إذا عرفوا كله، وقرؤوا القرآن، وأحاطوا بالسنة. ﴿يَقُولُونَ﴾:

انظر القول في الآية رقم [٢/٢٦]. ﴿رَبَّنَآ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] والآية رقم [٢٢] (الأعراف) تجد ما يسرك. ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي: من الذين شهدوا بأن ما أنزل على محمد حق، أو اجعلنا من أمته الذين هم شهداء على الأمم يوم القيامة. وقالوا ذلك؛ لأنهم وجدوا ذكرهم في الإنجيل كذلك.

تنبيه: الآية الكريمة، وما قبلها، وما بعدها تتحدث هذه الآيات عن النجاشي، وأصحابه حين قال لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما اجتمع في مجلسه المهاجرون إلى الحبشة، والمشركون الذين ذهبوا في طلبهم ليردوهم إلى مكة، وكان قد أحضر الرهبان، والقسيسين: هل في كتابكم ذكر مريم، وعيسى، قال جعفر: نعم، فيه سورة تنسب إلى مريم، قال: اقرأها، فقرأها إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ...﴾ إلخ وقرأ سورة (طه) إلى قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ فبكى النجاشي، وقومه الحاضرون، وقال: إن هذا؛ والذي أنزل على عيسى من مشكاة واحدة. وفي رواية: أخذ النجاشي عوداً من الأرض، وقال: والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود. فكره المشركون قوله، وتغيرت وجوههم. وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله ﷺ، وهم سبعون رجلاً حين قرأ عليهم سورة (يسٓ) فبكوا، وأسلموا، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: انظر الآية رقم [٦١] ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ﴾ صلة ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع نائب الفاعل إليها، وجملة: ﴿سَمِعُواْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿تَرَىٰٓ﴾: انظر إعرابه في الآية رقم [٨٣] وجملة: ﴿تَفِيضُ﴾ في محل نصب حال من: ﴿أَعْيُنَهُمْ﴾ لأن ﴿تَرَىٰٓ﴾ هنا بصرية. ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: مملوءة ﴿مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل ﴿تَفِيضُ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، وجملة: ﴿عَرَفُواْ﴾ صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ﴿عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، وجملة: ﴿تَرَىٰٓ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها معطوف على خبر (أنَّ) في الآية السابقة، وهو ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فصار الكلام من مدخول (أنَّ). وقيل: يجوز أن يكون مستأنفاً في اللفظ، وإن كان له تعلق بما قبله في المعنى، وجملة: ﴿يَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة في: ﴿عَرَفُواْ﴾، والرابط الضمير فقط، والجملة الندائية: ﴿رَبَّنَآ﴾ والفعلية: ﴿ءَامَنَّا﴾ مع المتعلق المحذوف في محل نصب مقول القول. ﴿فَٱكْتُبْنَا﴾: الفاء: هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط محذوف، وانظر الآية رقم [٤]. (اكتبنا): فعل، ومفعول به، وانظر إعراب ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله،

وهو مضاف، و﴿ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ مضاف إليه مجرور. . .إلخ، وجملة (اكتبنا. . .) إلخ لا محل لها لأنها جواب للشرط المحذوف، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً ﴿فَٱكۡتُبۡنَا...﴾ إلخ، والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل وأكرم.

﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح أي: شيء يمنعنا من الإيمان بالله ورسوله، والذي ظهر لنا من صدقه؟! أي: فنحن جديرون بذلك. فهو استفهام إنكار، واستبعاد لانتفاء الإيمان مع قيام دليله وموجبه، وهو الطمع في إنعام الله عليهم، بصحبة: ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ الأبرار. وقيل: لما رجعوا إلى قومهم؛ لاموهم على إيمانهم، فأجابوهم بذلك. ﴿بِٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. (جاء): انظر الآية رقم [١٦]. ﴿ٱلۡحَقِّ﴾ انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿وَنَطۡمَعُ﴾: الطمع: نزوع النفس إلى الشيء، والحرص على حصوله. وهو مذموم إن كان في أمور الدنيا، وصارفاً عن الآخرة. ﴿رَبُّنَا﴾: انظر سورة الفاتحة رقم [١] أو الآية رقم [٢] (الأعراف). ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٢].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُؤۡمِنُ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله ضمير مستتر فيه، تقديره: «نحن». ﴿بِٱللَّهِ﴾متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال (ما): لما فيها من معنى الفعل، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، وهي مبنية على السكون في محل جر معطوفة على لفظ الجلالة. وذكر أبو البقاء أوجهاً لا وجه لها. وجملة: ﴿جَآءَنَا﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل العائد إلى (ما)، ومن بيان لما أبهم فيها، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا﴾ في محل نصب بنزع الخافض، أو هو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: ﴿وَنَطۡمَعُ﴾ في إدخال ربِّنا لنا. وجملة: (نطمع. . .) إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا نُؤۡمِنُ...﴾ إلخ فهي في محل نصب حال مثلها، وجوز اعتبارها خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: ونحن نطمع. . . إلخ، والجملة الاسمية على هذا في محل نصب حال من فاعل: ﴿نُؤۡمِنُ﴾ المستتر، فهي حال متداخلة. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل: ﴿يُدۡخِلَنَا﴾، ومع مضاف، و﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلۡقَوۡمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: فجزاهم. ﴿ٱللَّهُ﴾ بقولهم المذكور فيما تقدم. ﴿جَنَّٰتٖ...﴾ إلخ، وإنما منحهم الله ذلك بمجرد القول؛ لأنه قد سبق وصفهم بما يدل على إخلاصهم فيما قالوا. وهو المعرفة، والبكاء المؤذنان بحقيقة الإخلاص، واستكانة القلب؛ لأن القول إذا اقترن بالمعرفة؛ فهو الإيمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿قَالُواْ﴾: انظر القول في الآية رقم [٢٦] (البقرة). ﴿جَنَّٰتٖ﴾: جمع جنة، وهي البستان من النخل، والشجر الكثير المتكاثف الذي يجن، أي: يستر ما يكون متداخلاً فيه، وسميت دار الثواب جنة؛ لما فيها من النعيم الذي لا ينفد. وجمع الجنة على: ﴿جَنَّٰتٖ﴾ يدل على ﴿جَنَّٰتٖ﴾ كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين، لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان. ﴿مِن تَحۡتِهَا﴾ أي: من تحت قصورها، وأشجارها. ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾: جمع نهر، وهو معروف في الدنيا، ولكن شتان ما بين (أنهار) الجنة و(أنهار) الدنيا، هذا؛ ويجمع النهر على: أنهر، ونهر، ونهور، وهاء النهر تسكن، وتفتح. ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾: مقيمين أبداً، لا يموتون، ولا يخرجون. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الـ﴿جَزَآءُ﴾ والثواب المذكور. ﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: الذين أحسنوا النظر، والقول، والعمل، أو الذين اعتادوا الإحسان في جميع الأمور. وانظر الآية رقم [١٤] وانظر (يجزون) في الآية [١٢٠] من سورة (الأنعام).

الإعراب: (أثابهم): ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصوفة، والموصولة، والمصدرية، وجملة: ﴿قَالُواْ﴾ صفة (ما)، أو صلتها على الاعتبارين الأولين، والرابط أو العائد محذوف، التقدير: الذي، أو شيء، قالوه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بقولهم. ﴿جَنَّٰتٖ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم. وجملة: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ في محل نصب صفة: ﴿جَنَّٰتٖ﴾. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء... الخ.. ﴿فِيهَاۚ﴾: متعلقان بـ﴿خَٰلِدِينَ﴾، والجملة الفعلية: (أثابهم...) إلخ مستأنفة، لا محل لها. (ذلك): مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَآءُ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وهو مضاف، و﴿ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية: (ذلك...) إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿كَفَرُواْ﴾: انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: (كذبوا بآيات) الله التي أنزلها على نبيه، فقد عطف سبحانه التكذيب بآياته على الكفر، وهو ضرب منه؛ لأن القصد بيان حال

المكذبين، وذكرهم في معرض المصدقين بها جمعاً يبن الترغيب والترهيب. ﴿أَصْحَابُ﴾: انظر الآية رقم [٣٢] ﴿الْجَحِيمِ﴾: انظر الآية رقم [١٤٥] (النساء)، وانظر (نا) في الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ معطوفة عليها. ﴿أُولَئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَابُ﴾: خبر المبتدأ، و﴿أَصْحَابُ﴾: مضاف، و﴿الْجَحِيمِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿أُولَئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ الأول، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)﴾

الشرح: ﴿آمَنُوا﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢/٣]. ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: لا تمنعوا أنفسكم من مستلذات الحياة الدنيا؛ التي أحلها الله لكم. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾: لا تجاوزوا الحد الذي حده الله في التحليل، والتحريم. ﴿لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ أي: يسخط عليهم، ويمقتهم. وانظر المحبة في الآية رقم [٥٧]. هذا؛ وانظر الحرام في الآية رقم [٥].

تنبيه: روي: أن النبي ﷺ وصف القيامة لأصحابه يوماً، وبالغ في إنذارهم، فرقوا، واجتمعوا في بيت عثمان بن مظعون، رضي الله عنهم أجمعين، واتفقوا على أن لا يزالوا صائمين قائمين، وأن لا يناموا على الفرش، ولا يأكلوا اللحم، والودك، ولا يقربوا النساء، والطيب، ويرفضوا الدنيا، ويلبسوا المسوح، ويسيحوا في الأرض، ويجبوا مذاكيرهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال لهم: إني لم اؤمر بذلك، إن لأنفسكم عليكم حقّاً، فصوموا، وأفطروا، وقوموا، وناموا، فإني أقوم، وأنام، وأصوم، وأفطر، وآكل اللحم، والدسم، وآتي النساء، ومن رغب عن سنتي فليس مني، ونزلت الآية الكريمة تؤيد رأيه، وآية (الأعراف) رقم [٣١] تؤيده أيضاً، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا﴾: انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [١] و [٥٤]. ﴿طَيِّبَاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿طَيِّبَاتِ﴾: مضاف، و ﴿مَا﴾: مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير ﴿أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (لا): ناهية جازمة. ﴿تَعْتَدُوا﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة: ﴿لَا تُحَرِّمُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآيتين رقم [١٤] و [٥٤]. وهي تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ۝٨٨﴾

الشرح: ﴿وَكُلُواْ مِمَّا...﴾ إلخ: أي: كلوا من رزق الله ما لذ، وطاب إذا كان من كسب حلال؛ لأن الحرام لا يكون طيباً؛ ولو كان من أفخر أنواع الطعام؛ لأن فيه سوء العاقبة في الدنيا، والآخرة. ﴿وَٱتَّقُواْ﴾: انظر الآية رقم [٣٨]. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة، وجملة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيها توكيد للأمر بما تقدم، وزاد توكيداً بقوله: ﴿ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ﴾ لأن الإيمان بالله من مقتضياته أن يوجب التقوى فيما أمر به، ونهى عنه.

الإعراب: (كلوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوۡفُواْ﴾ في الآية رقم [١]. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿حَلَٰلٗا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه؛ صار حالاً. و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: (رزقكم الله إياه حلالاً): فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مفعول (كلوا). الثاني: كونه حالاً من الضمير المحذوف المقدر، الثالث كونه صفة لمصدر محذوف، التقدير: (أكلاً حلالاً)، وجملة: (كلوا...) إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ معطوفة عليها أيضاً. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لفظ الجلالة. ﴿أَنتُم﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مُؤۡمِنُونَ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿أَنتُم...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والعائد هو الضمير المجرور محلاً بالباء.

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيۡمَٰنِكُمۡ إِذَا حَلَفۡتُمۡۚ وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٨٩﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿بِٱللَّغۡوِ﴾من الكلام: هو الساقط الذي لا يعتد به، ولغو اليمين: هو ما لا عقد معه، كما إذا سبق به اللسان، أو تكلم به جاهلاً لمعناه، كقولك: لا والله، وإي والله، وبلى والله لمجرد التوكيد لقولك، فهذا لا إثم فيه، ولا كفارة. وهذا قول الشافعي،

رحمه الله تعالى. وقيل: الحلف على ما يظن: أنه كذلك، ولم يكن. وإليه ذهب أبو حنيفة، رحمه الله تعالى. ﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾: جمع يمين، والمراد به الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه. واليمين أيضاً: اليد اليمنى، وتجمع أيضاً على (أيمان)، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ وهو كثير في القرآن الكريم، وانظره بكسر الهمزة في الآية رقم [٦٩]. ﴿عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: تعمدتم، وقصدتم به اليمين، وتعقيد ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾: توثيقها، قال الفرزدق: [الطويل]

ولستَ بمأخوذٍ بِلَغْوٍ تقولُهُ إذا لَمْ تُعَمَّد عَاقِداتُ العزائمِ

أي إذا لم توثق، وتعمد. هذا؛ وقد قال تعالى في سورة البقرة رقم [٢٢٤] بدل هذه الجملة: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ومعناه: قصدت ﴿قُلُوبُكُمْ﴾. ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وإن كان كذباً، وبه ضياع حق، فهو اليمين الغموس التي تغمس صاحبها في النار. وقرئ: ﴿عَقَدتُّمُ﴾ بتشديد القاف وتخفيفها، كما قرئ: (عاقدتم). ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾ أي: كفارة نكثه، أو فكفارة معقود ﴿ٱلْأَيْمَٰنَ﴾، والكفارة: الفعلة التي من شأنها أن تكفر الخطيئة، أي: تسترها، أو تمحوها، وهو معنى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ و﴿كَفَّٰرَةُ﴾ اليمين كما ترى في الآية الكريمة مخيرة ابتداء، ومرتبة انتهاء، وتفسير الأول أن الحانث في يمينه مخير في الكفارة بين: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾، ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾، أو إعتاق عبد، أو عبدة، وقد ذكر سبحانه وتعالى: أن الإطعام يكون من الوسط، لا من الفاخر العالي، ولا من الوضيع الداني، ولكل زمان، ومكان حكمهما، فلذا فإن إعطاء مد قمح للمسكين في هذه الأيام لا يكون من وسط الإطعام، والطعام، وإذا أراد الحانث في يمينه تبرئة ذمته فما عليه إلا أن يعطي المسكين نقوداً تكفي لغدائه، أو لعشائه وجبة واحدة من الوسط. وعند أبي حنيفة: وجبتين، أي: غداء، وعشاء. وعند الشافعي لا يكفي إطعام مسكين ولو في عشرة أيام خلافاً لأبي حنيفة أيضاً، ولو صنع في بيته طعاماً من الوسط، ودعا عشرة مساكين إليه، وأشبعهم تبرأ ذمته، كما أن الكسوة تكون من الوسط، والكسوة ثوب يغطي العورة. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ (قميص، وإزار، ورداء) وهي بكسر الكاف وقد تضم، وهل يعادل مد القمح في هذه الأيام شيئاً من الكسوة، وأين هو من إعتاق الرقيق، بل وهل يعادل صيام يوم من الأيام، بله الثلاثة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. أو إعتاق عبد مملوك، وشرط فيه الشافعي الإيمان، قياساً على كفارة القتل، فإن لم يجد المكلف أحد الأشياء الثلاثة المذكورة، أو لم يقدر على واحد منها لفقره يصوم ثلاثة أيام، يجوز عندنا تفريقها، وتتابعها، وشرط أبو حنيفة التتابع؛ لأنه قرئ في الشواذ من القراءات (ثلاثة أيام متتابعات). هذا؛ ولفظ (عشرة) هو على عكس المعدود في التذكير، والتأنيث إن كان مفرداً. وعلى وفقه إن كان مركباً، تقول: عشرة رجال، وعشر نسوة، وخمسة عشر رجلاً، وخمس عشرة امرأة. وشينه تسكن مع المؤنث، وهي لغة أهل الحجاز، وقد تكسر وهي لغة أهل نجد، وقرئ بهما، وبالفتح أيضاً، وهي لغة ثالثة.

و﴿مَسَٰكِينَ﴾: جمع مسكين، وهو عندنا أحسن حالاً من الفقير، وعند الحنفية بالعكس. وانظر الآية رقم [٦١] (التوبة) تجد ما يسرك. ﴿أَهْلِيكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٦٢]. ﴿يَجِدْ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٥٢] (النساء). (صيام): انظر الآية رقم [٦٢]. ﴿يَجِدْ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٢/٤٨] ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى أنواع الكفارة المذكورة. ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ أي: وحنثتم. ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾: بأن تضنوا بها، ولا تبذلوها في كل أمر، أو بأن تبروا فيها ما استطعتم، ولم يفت بها خير، انظر الآية رقم [٢/٢٢٤]. ﴿يُبَيِّنُ﴾: يوضح. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: أحكامه، وتعاليم دينه. ﴿تَشْكُرُونَ﴾ أي: نعمة التعليم، أو جميع نعمه الواجب شكرها، وانظر الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾: مضارع، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِٱللَّغْوِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بـ:(اللغو) لأنه مصدر، كما جوز تعليقهما بمحذوف حال منه. وجملة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فهي مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف، التقدير: (عقدتم الأيمان عليه) وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بتعقيدكم الأيمان، والجملة الفعلية: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (كفارته): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، وهي عائدة على الحنث المفهوم من سياق الكلام، أو هي عائدة على العقد الدال عليه الفعل، وقيل غير ذلك. ﴿إِطْعَامُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿عَشَرَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و﴿عَشَرَةِ﴾: مضاف، و﴿مَسَٰكِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿مِنْ أَوْسَطِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لموصوف محذوف، يقع مفعولاً ثانياً للمصدر؛ إذ التقدير: ﴿إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ﴾ طعاماً كائناً من ﴿أَوْسَطِ﴾. و﴿أَوْسَطِ﴾: مضاف، و﴿مَا﴾: مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تطعمونه. ﴿أَهْلِيكُمْ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، والكاف: في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ...﴾ إلخ في محل جزم جواب شرط محذوف، التقدير: إن حصل منكم حنث، أو إن سألتم عن كفارة الحنث؛ ﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ...﴾ إلخ. ﴿كِسْوَتُهُمْ﴾: معطوف على: ﴿إِطْعَامُ﴾ والهاء: في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿تَحْرِيرُ﴾: معطوف عليه أيضاً، وهو مضاف، و﴿رَقَبَةٍ﴾: مضاف إليه

من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. الفاء: حرف عطف. ﴿فَمَن﴾: الفاء حرف عطف، أو استئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَجِدْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وهو فعل الشرط، وفاعله يعود إلى (مَنْ)، ومفعوله محذوف. ﴿فَصِيَامُ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (صيام): مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فعليه (صيام)، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فكفارته (صيام)، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: هو جملة الجواب، وقيل: الجملتان وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها، و (صيام) مضاف، و ﴿ثَلَٰثَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، و ﴿ثَلَٰثَةِ﴾: مضاف، و ﴿أَيَّامٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ. ﴿كَفَّٰرَةُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، و ﴿كَفَّٰرَةُ﴾: مضاف، و﴿أَيْمَٰنِكُمْ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَا﴾: ظرف متعلق بـ ﴿كَفَّٰرَةُ﴾ مبني على السكون في محل نصب. ﴿حَلَفْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها، وهناك جملة محذوفة معطوفة عليها، تقديرها: وحنثتم، وجملة: ﴿وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ﴾ معطوفة على الجملة الاسمية لا محل لها مثلها، وهي مؤكدة لمضمون الكلام السابق. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله الفعل الذي بعده، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، التقدير: يبين الله لكم آياته تبييناً كائناً مثل ذلك التبيين. والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل. والكاف اسمه، وجملة: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبر: (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل للتبيين، لا محل لها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾: انظر الآية رقم [٢/٢١٨] ﴿وَٱلْأَنصَابُ﴾: الأصنام التي نصبت للعبادة، وانظر الآية رقم [٤]. ﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿رِجْسٌ﴾: نجس، أو خبيث مستقذر، تعافه العقول السليمة، وإفراده لأنه خبر للخمر، وخبر المعطوفات محذوف، أو هو خبر لمضاف محذوف، كأنه قال: إنما تعاطي ﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ...﴾ إلخ. ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: لأنه مسبب عن تسويله، وتزيينه، فكأنه عمله، هذا؛ وانظر شرحه، واشتقاقه في الاستعاذة.

﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾: فابتعدوا عنه، والضمير يعود إلى: الـ﴿رِجْسٌ﴾، أو لما ذكر، أو للتعاطي المقدر. ﴿تُفْلِحُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣٨] وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٧].

تنبيه: اعلم أن الله تعالى أكد تحريم ﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ في هذه الآية بأن صدَّر الجملة بإنما، وقرنهما (بالأصنام)، و﴿وَٱلْأَزْلَٰمُ﴾، وسماهما: (رجساً)، وجعلهما ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، تنبيهاً على أن الاشتغال بهما شرٌّ بحت، أو غالب، وأمر بالاجتناب عن عينهما، وجعله سبباً يرجى منه الفلاح، ثم قرر ذلك بأن بين ما فيهما من المفاسد الدينية، والدنيوية المتقضية للتحريم في الآية التالية. انتهى بيضاوي.

هذا؛ وأقول: لقد خاب الفسقة، والفجرة الذين يقولون: إن الله لم يحرم الخمرَ تحريماً قاطعاً؛ لأنه لم يذكر مادة «حرم» في تحريمها. ألا يكفيهم خزياً: أن الله قرنها بعبادة الأوثان في الآية الكريمة، وطلب الابتعاد عنهما معاً، وألا يكفيهم خيبة أن اختار للزجر عنها صيغة تحريم الشرك، والأوثان، وتحريم شهادة الزور، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾. فاعتبروا يا أولي الأبصار.

تنبيه: لما نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟...﴾ إلخ وقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ...﴾ إلخ، وكانت ﴿ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ﴾ مما يستطاب عندهم؛ بيَّن الله تعالى في هذه الآية: أنهما غير داخلين في جملة الطيبات، أي: الحلالات، بل هما من جملة المحرمات. انتهى. خازن. وجمل.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ انظر الآية رقم [١] ففيه الكفاية. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿ٱلْخَمْرُ﴾: مبتدأ، وما بعده معطوف عليه. ﴿رِجْسٌ﴾: خبر المبتدأ، وانظر ما ذكرته في الشرح. ﴿مِّنْ عَمَلِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رِجْسٌ﴾، و﴿عَمَلِ﴾مضاف، و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: مضاف إليه. الفاء: هي الفصيحة. (اجتنبوه): فعل، وفاعل، ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا۟﴾ في الآية رقم [١] والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بإذا؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾، والشرط المقدر، ومدخوله معطوف على ما قبله لا محل له مثله ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية السابقة، وهي مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾

الشرح: ﴿يُرِيدُ﴾: انظر الآية رقم [٤٤]و[٢٠] ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: انظر الاستعاذة. في ﴿ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾: وإنما خصهما بإعادة الذكر، وشرح ما فيهما من الوبال تنبيهاً على أنهما المقصود بالبيان، وذكر الأنصاب والأزلام للدلالة على أنهما مثلهما في الحرمة، والشرارة لقوله عليه

الصلاة والسلام: «شارب الخمر كعابد الوثن» وخص ربنا ـ جل علاه ـ الصلاة من الذكر بالإفراد للتعظيم، والإشعار بأن الصادَّ عنها كالصاد عن الإيمان، من حيث إنها عماده، والفارق بينه وبين الكفر. وانظر: ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾ في الآية رقم [٩٩] (آل عمران) وانظر: ﴿ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في الآية رقم [١٠٣] (النساء). ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾: معنى هذه الجملة: (انتهوا). فقد خرج الاستفهام من معناه الأصلي. إلى الأمر.

تنبيه: هذه الآية الكريمة من الآيات التي وافقت رأي عمر، رضي الله عنه. وانظر الآية رقم [٢/٩٨] و [٢/١٢٥] و [٢/٢١٨] ففيها الكفاية، وأيضاً انظر الآية رقم [٤/٦٠] ورقم [٨٥] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فعل وفاعل، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُوقِعَ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿بَيْنَكُمُ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، الكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْبَغْضَآءَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِى ٱلْخَمْرِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿يُوقِعَ﴾، أو هما متعلقان بـ﴿ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾. ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾: معطوف على ﴿يُوقِعَ﴾ منصوب مثله، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أيضاً، والكاف مفعول به. ﴿عَن ذِكْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وذكر مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما. ﴿فَهَلْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (هل): حرف استفهام. ﴿أَنتُم﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّنتَهُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر. التقدير، وإذا كان ما ذكر حاصلاً ﴿فَهَلْ أَنتُم...﴾ إلخ، والتقدير: فانتهوا كما رأيت في الشرح، وإن اعتبرتها مستأنفة فلا شرط مقدر، والمعنى يؤيده، بل ويقويه.

﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾: طاعته سبحانه تكون باتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وكذلك تكون طاعة رسوله ﷺ، وأفادت الآية الكريمة: أن طاعة الرسول مقرونة بطاعته سبحانه، كيف لا؟ والله يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾. انظر الآية رقم [٨٠] (النساء) وما ذكرته تبعاً لها، والآية رقم [٩/١٢]. ﴿وَٱحْذَرُوا۟﴾: كونوا حذرين خاشعين؛ لأنهم إذا حذروا؛ دعاهم الحذر إلى اتقاء كل سيئة، وعمل كل حسنة. هذا؛ والحذر في الأصل: التحرز من الوقوع في الشر. وهو أيضاً الخوف. ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾: أعرضتم عن طاعة الله ورسوله. ﴿فَٱعْلَمُوٓا۟...﴾ إلخ أي: فأيقنوا أنكم لم تضروا بإعراضكم هذا إلا أنفسكم؛ لأن ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ لم يكلف إلا تبليغكم ما أنزل إليه من

ربه، وإعراضكم لا يضره شيئاً. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱلرَّسُولَ﴾: انظر الآية رقم [٨٤]. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: الواضح، وانظر إعلاله في الآية رقم [١٧]. وانظر (نا) في الآية رقم [١٤].

الإعراب: (أطيعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو: فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُواْ﴾ في الآية رقم [١]. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية معطوفة على معنى الجملة الاسمية: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ معطوفة عليها، وكذلك جملة: (احذروا). ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَوَلَّيْتُمْ﴾: فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، ومتعلقه محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط، وإعراب: (اعلموا) مثل إعراب: (أطيعوا) ﴿عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿أَنَّمَا...﴾ إلخ في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل: (اعلموا)، وجملة (اعلموا . . .) إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُواْ﴾ أي: آمنوا بالله، ورسوله، وبوجود الملائكة، واليوم الآخر، وما فيه، والقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى. هذا؛ والإيمان الصحيح هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. وانظر زيادة الإيمان ونقصه في الآية رقم [٢] (الأنفال) تجد ما يسرك. ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: على اختلاف أنواعها، ومراتبها، ودرجاتها، ﴿جُنَاحٌ﴾: إثم ومؤاخذة. ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ أي: شربوا الخمر، وأكلوا من القمار، قبل تحريمهما. ﴿ٱتَّقَواْ﴾: انظر الآية رقم [٣٨]. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٧] وأيضاً رقم [١٤].

تنبيه: لما نزل تحريم الخمر، والميسر؛ قالت الصحابة: يا رسول الله، فكيف بإخواننا الذين ماتوا؛ وهم يشربون الخمر، ويأكلون مال الميسر؟! فنزلت الآية الكريمة، وهي تنفي الإثم عمن شرب، وأكل قبل التحريم. هذا؛ وتكرار: ﴿ٱتَّقَواْ﴾ لا عيب فيه؛ لأن كل لفظ مع ما بعده يفيد معنى غير المعنى الأول، فمعنى الأول: اتقوا المحرم، واثبتوا على الأعمال ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾. ومعنى الثاني: اتقوا ما حرم عليهم بعد كالخمر، والميسر، وآمنوا بتحريمه. ومعنى الثالث: استمروا، واثبتوا على اتقاء المعاصي، ﴿وَّأَحْسَنُواْ﴾، وتحروا الأعمال الجميلة، واشتغلوا بها.

تنبيه: أطلق سبحانه لفظ: ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ على شرب الخمر، وأكل القمار، وهو يؤول بتناولوا من الخمر شرباً، وتناولوا من الميسر أخذ المال. كما لنا كلام في تأويل قوله تعالى في سورة (الحشر): ﴿تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾. هذا؛ وقد قال ابن قتيبة: يقال: لم أطعم خبزاً، ولا ماء، ولا نوماً، قال الشاعر: [الطويل]

فـإنْ شِـئْـتِ حـرمْـتُ الـنـسـاءَ سِـوَاكـمُـو وإنْ شِـئْـتِ لَـمْ أَطْـعَـمْ نُـقـاخـاً ولا بَـرْدا

النقاخ: الماء، والبرد: النوم. ﴿وَٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة.

الإعراب: ﴿لَيْسَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، والعائد: واو الجماعة، وجملة: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُواْ﴾ في الآية رقم [١] و﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿جُنَاحٌ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر. ﴿فِيمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ﴿جُنَاحٌ﴾، أو بمحذوف صفه له، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر، وجملة: ﴿طَعِمُوٓاْ﴾ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: طعموه. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مجرد من الشرطية، مبني على السكون في محل نصب متعلق بما يفهم من الجملة السابقة؛ إذ المعنى: لا يأثمون، ولا يؤاخذون وقت اتقائهم، هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿إِذَا﴾ متضمنة معنى الشرط، فيكون الفعل بعدها شرطها، وجوابها محذوفاً لتقدم ما يدل عليه. ﴿مَا﴾: صلة. وجملة: ﴿ٱتَّقَواْ﴾ مع المفعول المحذوف في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها، وانظر الإعراب في الآية رقم [٦٨] وجملة: ﴿وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة عليها فهي في محل جر مثلها، وكذلك الجمل ﴿ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ﴾ مع المفعول المحذوف أو المتعلق المحذوف كلها معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٤] والجملة الاسمية مستأنفة مؤكدة لمضمون الكلام السابق، واعتبارها حالاً من واو الجماعة لا يأباه المعنى، ويكون الرابط الواو فقط.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: ليختبرنكم بما نزل بكم. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿بِشَيْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩]. ﴿تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾: تأخذونه بـ﴿أَيْدِيكُمْ﴾، وتطعنونه بـ﴿وَرِمَاحُكُمْ﴾، فالذي يؤخذ باليد الفرخ، وبيض الطيور، والذي يطعن بالرماح كبار الصيد، مثل بقر الوحش، ونحوه. وانظر الآية رقم [١٢] لشرح اليد. ﴿لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾: ليتميز الخائف من عقابه؛ وهو غائب منتظر لقوة إيمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه، وقوة إيمانه.

فذكر العلم، وأراد وقوع المعلوم، وظهوره. وانظر مثله في الآية رقم [٣/١٦٧] ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾: تجاوز حدود الله تعالى بأن صاد بعد ذلك الابتلاء، والاختبار. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: هذا؛ وعيد؛ لأن من لا يملك نفسه في مثل ذلك، ولا يراعي حكم الله فيه، وهو شيء هين فكيف به فيما تكون النفس أميل إليه، وأحرص عليه؟! وانظر الآية رقم [٣٩] لشرح ﴿عَذَابٌ﴾.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة عام الحديبية، وكان المسلمون محرمين بالعمرة التي منعوا من أدائها في عامها، فابتلاهم الله بالصيد، فكانت الوحوش، والطيور تغشى رحالهم من كثرتها، فهموا بأخذها، وصيدها، فأنزل الله الآية، وإنما قال: ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ ليعلم: أنه ليس بفتنة من الفتن العظام، التي تزل عندها أقدام الثابتين، ويكون التكليف فيها صعباً، وشاقّاً، كالابتلاء ببذل الأموال، والأرواح، وإنما هو ابتلاء سهل، كما ابتلى أصحاب السبت بصيد السمك فيه، لكن الله جلت قدرته بفضله، وكرمه، وجوده، وإحسانه عصم أمة محمد ﷺ، فلم يصطادوا شيئاً في حالة الابتداء، ولم يعصم أصحاب السبت، فمسخوا قردة، وخنازير. انتهى خازن بتصرف وانظر الآية رقم [٦٥] (البقرة).

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (يبلونكم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، الكاف: مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف لا محل لها، والقسم، والجواب كلام لا محل له؛ لأنه وقع بعد النداء. ﴿بِشَيْءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (شيء). ﴿تَنَالُهُۥٓ﴾: مضارع، ومفعوله. ﴿أَيْدِيكُمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والكاف في محل جر بالإضافة. (رماحكم): معطوف على ما قبله... الخ، والجملة الفعلية: ﴿تَنَالُهُۥٓ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: (شيء)، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، أو في محل نصب حال من: ﴿ٱلصَّيْدِ﴾. ﴿لِيَعْلَمَ﴾ اللام: لام التعليل، و(يعلم): مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مَن﴾: مفعوله، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، وجملة: ﴿يَخَافُهُۥ﴾ صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (يبلونكم) ﴿بِٱلْغَيْبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو من الضمير المتصل الواقع مفعولاً به. الفاء: حرف استئناف. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱعْتَدَىٰ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿ذَٰلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَذَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية

في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٤٧] هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ اسماً موصولاً، فتكون الجملة الفعلية ﴿اعْتَدَىٰ...﴾ إلخ صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ خبره. ودخلت الفاء في الخبر لشبه الموصول بالشرط في العموم، والجملة على الوجهين اسمية مستأنفة لا محل لها، وهي متضمنة للوعيد، كما رأيت في الشرح.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُواْ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٩٥] ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾: ﴿وَأَنتُمْ﴾ محرمون بحج أو عمرة. أو: ﴿وَأَنتُمْ﴾ في أرض الحرم. وحرم جمع حرام، مثل: ردح في جمع رداح. وذكر القتل يشمل الذبح، وغيره، وأراد بالصيد ما يؤكل لحمه من الوحش، والطير، وغير ذلك، دون الذي لا يؤكل لحمه. وهذا عند الشافعي، وأما أبو حنيفة فمأكول اللحم، وغيره عنده سواء، ويؤيده قول النبي ﷺ: «خمس يقتلن في الحل، والحرم: الحدأة، والغراب، والعقرب، والفأرة، والكلب العقور». وفي رواية: الحية بدل العقرب. متفق عليه، ورواه ابن عمر، وما يشبهه عن عائشة، رضي الله عنهم أجمعين. ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ أي: ذاكراً لإحرامه، عالماً بأنه حرام، والمعتمد أن فيه الجزاء سواء قتله متعمداً، أو غير متعمد، لكن لا إثم على غير المتعمد، بل عليه الضمان فقط. ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي: شبه ما قتله، واختلفوا في هذه المماثلة، والمشابهة، فعند الشافعي، ومالك المراد: مثله في الهيئة، والخلقة. ووافقهما محمد من الحنفية، وعند أبي حنيفة المراد: المماثلة، في القيمة، يقوَّم المصيد حيث صيد، فإن بلغت قيمته ثمن هدي؛ خُيِّر بين أن يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد، وبين أن يشتري بقيمته طعاماً، فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر، أو صاعاً من غيره، وإن شاء صام عن طعام كل مسكين يوماً، وإن لم تبلغ قيمته ما ذكر؛ تخير بين الإطعام، والصوم، وعند الأولين هو مخير بين ذبح المثل وبين التصديق بقيمته طعاماً، لكل مسكين مد، وبين الصيام يصوم عن كل مد يوماً. وقد وضح الله هذا بما يأتي. هذا؛ والنعم يطلق على الحيوان المأكول الأهلي من بقر، وغنم، وماعز، وإبل، ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ﴾: بالمثل، أو بالقيمة على ما رأيت من الخلاف. ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي: صاحبا عدالة منكم، لهما فطنة، يميزان بها لشبه الأشياء به.

وقد حكم ابن عباس، وعمر، وعلي ـ رضي الله عنهم ـ في النعامة ببدنه، وابن عباس، وأبو عبيدة في بقر الوحش، وحماره ببقرة، وابن عمر، وابن عوف في الظبي بشاة، وحكم بها ابن

عباس، وعمر، وغيرهما في الحمام؛ لأنه يشبهها في اللعب، هذا؛ و﴿ذَوَا﴾ مفرده: ذو، وجمعه: ذوون، وقد رأيت في الآية رقم [١٧٨] البقرة: أنه يجمع على: ﴿أُوْلِي﴾ وهو من غير لفظه. ﴿هَدْيَا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي: إن ما يذبح بدلاً من الصيد، هو بمنزلة الهدية للحرم، ومعنى بلوغه الكعبة: ذبحه في الحرم، والتصدق به فيه، وقال أبو حنيفة يذبح في الحرم، ويتصدق به حيث شاء.

هذا؛ وسميت ﴿ٱلْكَعْبَةِ﴾ كعبة لارتفاعها، والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة، وقيل سميت لتربيعها، والأولى أن تقول: سميت لارتفاع قدرها، وسمو مكانتها. ﴿عَدْلُ ذَٰلِكَ﴾: يقرأ بفتح العين، وكسرها. قال الفراء: العَدْل ما عادل الشيء من غير جنسه كالصوم، والإطعام، والعِدْل مثله من جنسه، ومنه: عدلا الحمل، يقال: عندي غلام عدل غلامك بالكسر إذا كان من جنسه، فإن أريد أن قيمته كقيمته، ولم يكن من جنسه، قيل: هو عدل غلامك بالفتح، وانظر الآية رقم [١٣٥] (النساء). ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ﴾: ليتحمل ثقل جزاء فعله الذي فعله، وهو هتكه لحرمة الإحرام، والوبال المكروه، والضرر الذي ينال في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ أي: ثقيلاً شديداً، والطعام الوبيل هو الذي يثقل على المعدة، فلا يستمرأ. ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾: من قتل الصيد قبل التحريم. وانظر: ﴿عَفَا﴾ في الآية رقم [٥٢] البقرة تجد ما يسرك. ﴿وَمَنْ عَادَ﴾: إلى قتل الصيد بعد التحريم. ﴿فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ﴾ أي: في الآخرة. وهذا الوعيد لا يمنع إيجاب الجزاء في المرة الثانية، والثالثة. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿عَزِيزٌ﴾: قوي لا يغلبه شيء. ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ﴾: صاحب انتقام: والانتقام المبالغة في العقوبة، والأخذ الشديد بالثأر.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَقْتُلُوا۟﴾: مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون، الواو: فاعله. ﴿ٱلصَّيْدَ﴾: مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها كالجملة الندائية قبلها، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ﴾: انظر: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ﴾ في الآية السابقة. ﴿مِنكُم﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، التقدير: كائناً منكم. ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾: حال أخرى من الفاعل المستتر. ﴿فَجَزَآءٌ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (جزاء): مبتدأ خبره محذوف، التقدير: فعليه جزاء، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فالواجب جزاء. ﴿مِّثْلُ﴾: صفة: (جزاء) أو بدل منه، ويقرأ بالنصب على أنه مفعول لـ: (جزاء)، أو هو مفعول به لفعل محذوف، التقدير: يخرج، أو يؤدي مثل. ويقرأ بإضافة (جزاء) إلى: ﴿مِّثْلُ﴾، وهي في الحقيقة إلى: ﴿مَا﴾ فتكون ﴿مِّثْلُ﴾ مقحمة بين المتضايفين، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة. وجملة: ﴿قَتَلَ﴾ صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: (قتله). ﴿مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾: متعلقان بـ(جزاء) على الاعتبار الأخير في إعرابه، أو هو صفة له على اعتبار ﴿مِّثْلُ﴾ صفة له، أو بدل منه؛ لأنه مصدر، وما يتعلق به من صلته، والفصل بين الصلة والموصول بالصفة، أو البدل غير جائز؛ لأن الموصول لم يتم، فلا يوصف، ولا يبدل منه. وجوز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المستتر في: ﴿قَتَلَ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان

بالفعل قبلهما. ﴿ذَوَا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، و﴿ذَوَا﴾: مضاف، و﴿عَدْلٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذَوَا﴾، والإضافة لم تفده تعريفاً، وجملة: ﴿يَحْكُمُ...﴾ إلخ في موضع رفع صفة: (جزاء) على تنوينه، وفي موضع نصب حال منه على إضافته لما بعده. ﴿هَدْيًا﴾: حال من الضمير المجرور في: ﴿بِهِ﴾ وقيل: هو مفعول لفعل محذوف، أي يهديه ﴿هَدْيًا﴾، وقيل: تمييز، وقيل: هو بدل من ﴿مِّثْلُ﴾ على محله، أو لفظه فيمن نصبه. والأول أولى، وأحق ﴿بَالِغَ﴾: صفة: ﴿هَدْيًا﴾، وهو مضاف، و﴿الْكَعْبَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، فهي في نية الانفصال لا تفيد تعريفاً، فلذا جازت الصفة، وفي: ﴿بَالِغَ﴾ ضمير مستتر تقديره: هو. ﴿كَفَّارَةٌ﴾: معطوف على: (جزاء). ﴿طَعَامُ﴾: بدل منه، أو خبر لمبتدأ محذوف، أي هي ﴿طَعَامُ﴾ وقرئ بإضافة ﴿كَفَّارَةٌ﴾ لـ﴿طَعَامُ﴾. و﴿طَعَامُ﴾: مضاف، و﴿مَسَاكِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿عَدْلُ﴾: معطوف على: (جزاء)، وهو مضاف، و﴿ذَلِكَ﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام: للبعد، والكاف: حرف خطاب لا محل له. ﴿لِّيَذُوقَ﴾ مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (مَنْ)، وأن المضمرة، والفعل في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف، التقدير: فعليه الجزاء، أو الطعام، أو الصوم لإذاقته، ﴿وَبَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَمْرِهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿فَجَزَاءٌ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وانظر ﴿فَمَنِ اعْتَدَى...﴾ إلخ في الآية السابقة، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن قَتَلَهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، والجملة الفعلية: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ هو مثل: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى﴾ في الآية السابقة. الفاء: واقعة في جواب الشرط، وجملة: ﴿فَيَنتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: (فهو ينتقم الله منه) والجملة الاسمية هذه في محل جزم جواب الشرط، وانظر الآية السابقة. ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾: مبتدأ، وخبر. ﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿انتِقَامٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ أي: ما صِيدَ منه مما لا يعيش إلا في الماء على أية صورة كانت، وهو حلال لقول النبي ﷺ في البحر: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**». وقال أبو حنيفة

رحمه الله: لا يحل منه إلا السمك، وقيل: يحل السمك، وما يؤكل نظيره في البر. ﴿وَطَعَامُهُۥ﴾ أي: ما قذفه ﴿ٱلْبَحْرِ﴾، أو جف عنه ماؤه، وقيل: الضمير للصيد، و(طعامه): أكله، والأول قول الشافعي، وهو أن ما قذفه ﴿ٱلْبَحْرِ﴾ يؤكل ما لم يوجد منتناً، والمراد بالبحر جميع المياه العذبة، والمالحة، بحراً كان، أو نهراً، أو غديراً. ﴿مَتَٰعًا﴾: تتمتعون به، وتتلذذون. ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ أي: المسافرين يتزودون منه. ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ أي: حرام عليكم أن تصيدوا شيئاً من الطيور، والوحوش المأكولة ما دمتم محرمين بحج، أو عمرة. وأيضاً يحرم على غير المحرم أن يصيد في أرض الحرم. وانظر: ﴿حُرُمًا﴾ في الآية السابقة، والحرام في الآية رقم [٥]. ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٣٨]. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ أي: تجمعون، وتبعثون، فيجازيكم بأعمالكم.

تنبيه: ذكر الله تعالى تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة: أحدها في أولها، وهو قوله: ﴿غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ﴾. الثاني: في الآية السابقة. والثالث: في هذه الآية، وكل ذلك لتأكيد تحريم قتل الصيد على المحرم. انتهى. خازن.

الإعراب: ﴿أُحِلَّ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان به. ﴿صَيْدُ﴾: نائب فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلْبَحْرِ﴾: مضاف إليه. (طعامه): معطوف على: ﴿صَيْدُ﴾، والهاء: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أُحِلَّ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿مَتَٰعًا﴾: مفعول لأجله، وقيل مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: أي: متعكم بما ذكر تمتيعاً. ﴿لَّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَتَٰعًا﴾. ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح. ﴿مَا﴾: مصدرية ظرفية. ﴿دُمْتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿حُرُمًا﴾: خبره، و﴿مَا﴾والفعل في تأويل مصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بالفعل: (حُرِّم). (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿ٱللَّهَ﴾ أو بدل منه. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول، وجملة: ﴿وَٱتَّقُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي عطف إنشاء على خبر. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ﴾: صيرها، وانظر شرح: ﴿ٱلْكَعْبَةِ﴾ في الآية رقم [٩٨]. ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾: سمي بذلك؛ لأن الله حرمه، وعظمه، وشرفه، وحرم أن يصطاد صيده، وأن

يعضد شجره، وأن يختلى خلاه. وأراد بـ ﴿ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ﴾ جميع الحرم، لما صح حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ خطب يوم فتح مكة، فقال: «**إن هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكه، ولا ينفر صيده، ولا تلتقط لقطته إلا لمن عرفها، ولا يختلى خلاه**». ﴿قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ أي: سبباً لانتعاش الناس في أمر معاشهم، ومعادهم، يلوذ به الخائف، ويأمن فيه الضعيف، ويربح فيه التجار، ويتوجه إليه الحجاج، والعمار. و﴿قِيَمًا﴾ أصله: قواماً، فقد قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة، وانظر الآية رقم [١٨٢] (البقرة) وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥] (النساء). (الناس): انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٣]. ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى المذكور. ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ: فإن الله شرع الأحكام لدفع المضار قبل وقوعها، وجلب المنافع المترتبة عليها دليل قاطع على حكمة الشارع جل علاه، وكمال علمه. ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩] ﴿عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو صيغة مبالغة، وهو تعميم بعد تخصيص، وانظر شرح: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ في الآية رقم [١] (الأنعام) فإنه جيد، هذا؛ وفي ﴿مَا﴾ تغليب غير العاقل على العاقل.

الإعراب: ﴿جَعَلَ﴾: فعل ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْبَيْتَ﴾: بدل، أو عطف بيان مما قبله. ﴿ٱلْحَرَامَ﴾: صفة ﴿ٱلْبَيْتَ﴾. ﴿قِيَمًا﴾: مفعول به ثان. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ﴿قِيَمًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿وَٱلشَّهْرَ﴾: معطوف على: ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾. ﴿ٱلْحَرَامَ﴾: صفته. ﴿وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾: معطوفان على ﴿ٱلْكَعْبَةَ﴾ أيضاً، فالمفعول الثاني، أو الحال على اعتبار: ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: خلق، محذوف لفهم المعنى. ﴿ذَٰلِكَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه خبر مبتدأ محذوف، أي: الحكم الذي حكمناه ذلك لا غير. والثاني: أنه مبتدأ، وخبره محذوف، أي: ذلك الحكم هو الحق لا غيره. والثالث: أنه منصوب بفعل مقدر يدل عليه السياق، أي: شرع الله ذلك. وهذا أقواها لتعلق لام العلة به. انتهى جمل نقلاً من السمين. هذا؛ وقد قيل: إن ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ، وخبره: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾، أي: ذلك كائن ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟﴾. واللام: لام التعليل. (تعلموا): منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، الواو: فاعله، والألف: للتفريق. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿يَعْلَمُ﴾ مضارع فاعله يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة: ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها ﴿وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه، و﴿يَعْلَمُ﴾ بمعنى: يعرف، فلذا اكتفى بمفعول واحد، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: (تعلموا) و«أنْ» المضمرة بعد لام التعليل، والفعل المضارع في تأويل

مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أو بالفعل المحذوف الواقع خبراً له، أو بمضمون الجملة الاسمية على الوجهين الآخرين فيه، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب، والمصدر المؤول من: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ معطوف على المصدر المؤول السابق فهو في محل نصب مثله، وأخيراً فالجملة الفعلية: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: في هذه الآية وعيد لمن انتهك محارم الله، وتعدى حدوده، ووعد لمن حافظ على أوامر الله ووقف على حدوده، فأحل ما أحل اللهُ، وحرم ما حرم اللهُ. وذكر اللهُ في هذه الآية الوعيد، والوعد؛ ليكون المؤمن خائفاً، وراجياً.

الإعراب: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، الواو: فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا۟﴾ في الآية رقم [١] والمصدر المؤول من ﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟﴾، والمصدر المؤول الثاني معطوف عليه، فهو في محل نصب مثله، و﴿شَدِيدُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ الأصل شديد عقابه.

﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ...﴾ إلخ: أي ليس على رسولنا الذي أرسلناه إليكم إلا تبليغ ما أرسل به من الإنذار بما فيه قطع الحجج. ففي الآية تشديد عظيم في إيجاب القيام بما أمر الله به، وأن الرسول ﷺ قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ، وقامت الحجة عليكم بذلك، ولزمتكم الطاعة، فلا عذر لكم في التفريط. انتهى خازن. وانظر الآية رقم [٩٥] وانظر شرح الرسول في الآية رقم [٨٤]. ﴿تُبْدُونَ﴾: تظهرون. ﴿تَكْتُمُونَ﴾: تخفون. والمعنى: لا يخفى عليه سبحانه شيء من أعمالكم، وأحوالكم ظاهراً، وباطناً. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿عَلَى ٱلرَّسُولِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾: مبتدأ مؤخر. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَّا﴾ حجازية؛ فالجار، والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿ٱلْبَلَٰغُ﴾ اسمها مؤخر. وهذا ضعيف؛ لأن من شروط عمل «ما» عمل ليس أن لا ينتقض النفي بـ: ﴿إِلَّا﴾، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي مستأنفة لا محل لها. (الله): مبتدأ. ﴿يَعْلَمُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو

صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تبدونه. وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، فيكون في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم إبداءكم، وكتمانكم. وهو ضعيف معنى كما ترى. وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ مثل ما قبله في إعرابه.

﴿قُل لَّا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُل...﴾ إلخ: هذا أمر للنبي ﷺ بأن يقول للناس، ويبين لهم. وانظر القول في الآية رقم [٢٦] (البقرة). وقال البيضاوي: هذا حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الرديء من الأشخاص، والأعمال، والأموال، وجيدها، رغب به في صالح العمل، وحلال المال. انتهى. وقال النسفي: لما أخبر: أنه لا يستوي خبيثهم، وطيبهم، بل يميز بينهما، فيعاقب الخبيث؛ أي: الكافر، ويثيب الطيب؛ أي: المسلم. ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾: فإن العبرة بالرداءة، والجودة دون القلة، والكثرة، فإن المحمود القليل خير من المذموم الكثير. والخطاب لكل معتبر، ولذا قال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ هذا؛ والعجب بفتح العين والجيم: انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه، أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه، ويشاهده.

وقال الراغب: العجب: حيرة تعرض للإنسان بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه، وحقيقة أعجبني كذا: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿فَاتَّقُوا﴾: انظر الآية رقم [٣٨] ﴿اللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يَا أُولِي﴾: أصحاب. ولا واحد له من لفظه، وإنما واحده (ذي) المضاف إن كان مجروراً، و(ذا) المضاف إن كان منصوباً و(ذو) المضاف إن كان مرفوعاً. ﴿الْأَلْبَابِ﴾: العقول جمع: لب، وهو العقل الخالي من الهوى، سمي بذلك لأحد وجهين، إما لبنائه، من: لبَّ بالمكان أقام به، وإما من اللباب، وهو الخالص من كل شيء. هذا؛ واللبيب: العاقل الفاهم، والجمع ألباب، والأنثى لبيبة، وجمعها لبيبات، ولبائب، واللب: خالص من كل شيء. ﴿تُفْلِحُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣٨].

تنبيه: روي: أن الآية الكريمة نزلت في حجاج اليمامة لما همَّ المسلمون أن يوقعوا بهم، فنهوا عنه؛ وإن كانوا مشركين. انتهى بيضاوي. ولم يقل به أحد غيره، هذا؛ وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٧] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَسْتَوِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء. ﴿الْخَبِيثُ﴾: فاعله.

﴿وَالطَّيِّبُ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: ﴿لَّا يَسْتَوِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ﴾ ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لا يستويان، ﴿وَلَوْ﴾: ومدخولها في محل نصب حال من: ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾، وما نقله الجمل عن أبي السعود من أن (لو) ومدخولها معطوف على مثلها محذوفة مقدرة، أي: لو لم يعجبك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾، ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ﴾، وكلتاهما في موضع الحال من فاعل: ﴿لَّا يَسْتَوِى...﴾ إلخ، ثم قال: وجواب (لو) محذوف في الجملتين... إلخ لا أراه قويّاً، وأظهر من ذلك كله أن تعتبر (لو) وصلية بمعنى (أن) ولا جواب لها، الجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿الْخَبِيثُ﴾، والرابط الواو، وإعادة ﴿الْخَبِيثِ﴾ بلفظه. الفاء: هي الفصيحة. (اتقوا الله): فعل أمر، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وصحيحاً ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (أولي): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون بالإضافة، و(أولي): مضاف، و﴿الْأَلْبَابِ﴾: مضاف إليه، والجملة الندائية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، وهي بمنزلة جواب الأمر. ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة، ومحلها في الآية رقم [٣٨].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿آمَنُوا﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٩٥] ﴿أَشْيَاءَ﴾: انظر الآية رقم [١٩]. والمعنى: لا تسألوا رسول الله ﷺ عن أشياء إن تظهر لكم؛ تغمكم، وإن تسألوا عنها حين نزول القرآن؛ تظهر لكم، والجملتان الشرطيتان كمقدمتين ينتجان ما يمنع السؤال، وهو أنه مما يغمهم، والعاقل لا يفعل ما يغمه. انتهى. بيضاوي. وانظر شرح: ﴿الْقُرْآنُ﴾ في الآية رقم [٤٩]. ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: ﴿عَفَا﴾ عنها ولم يكلف بها، وانظر ﴿عَفَا﴾ في الآية رقم [٥٢] (البقرة) فإنه جيد. ﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة من غفر. ﴿حَلِيمٌ﴾: لا يعجل بعقوبة المعتدي، والحلم بكسر الحاء وسكون اللام، وهو الأناة والروية في الأمور، والتؤدة، والعقل، ومقابله السفه، والطيش؛ الذي حدثتك عنه في الآية رقم [١٣٠] (البقرة). والحليم من أسماء الله تعالى، ومعناه: هو الذي لا يستفزه عصيان العاصين، ولا يستثيره جحود الجاحدين. وانظر الجهل في الآية رقم [٦٧] من سورة (البقرة).

تنبيه: اختلفوا في سبب نزول هذه الآية، فأذكر بعضاً مما قيل فيها، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاءً، فيقول الرجل: من أبي؟

ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ أخرجه البخاري. وقيل: نزلت في شأن الحج، فعن علي ـ كرم الله وجهه ـ قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ فسكت، فقالوا: يا رسول الله أفي كل عام؟ قال: «**لا، ولو قلت: نعم؛ لوجبت**». فنزلت. أخرجه الترمذي. وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: «**يا أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا. فقال رجل: أفي كل عام؟ فسكت؛ حتى قالها ثلاثاً، ثم قال: ذروني ما تركتكم، ولو قلت: نعم؛ لوجبت، ولما استطعتم، وإنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، إذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء؛ فاجتنبوه**». متفق عليه. وقيل غير ذلك.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿لَا﴾: ناهية. ﴿تَسْـَٔلُوا﴾: مضارع مجزوم بـ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف: للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، كالجملة الندائية قبلها. ﴿عَنْ أَشْيَآءَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿تُبْدَ﴾: مضارع مبني للمجهول فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة، والفتحة قبلها دليل عليها، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾ والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿تَسُؤْكُمْ﴾: جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿أَشْيَآءَ﴾ أيضاً، والكاف: مفعول به، والميم: في الكل علامة جمع الذكور، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل جر صفة ﴿أَشْيَآءَ﴾، والجملة الشرطية الثانية معطوفة عليها، فهي في محل جر مثلها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى، والجملة الفعلية: ﴿يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ﴾ في محل جر بإضافة: ﴿حِينَ﴾ إليها، و﴿حِينَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ صفة أخرى لـ: ﴿أَشْيَآءَ﴾، أو هي في محل نصب حال منها بعد وصفها بما تقدم، فتكون (قد) مقدرة قبلها، وقيل: هي مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ مستأنفة لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿سَأَلَهَا﴾: الضمير يعود إلى المسألة التي دل عليها: (تسألوا) ولذا لم يعد بعن. أو لأشياء، فيكون قد حذف الجار، أي: فيكون التقدير: قد سأل عنها. ﴿قَوْمٌ﴾: انظر الآية رقم [٢٢]. وقال المفسرون: المراد: قوم صالح سألوا الناقة، ثم عقروها، فـ﴿أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ﴾. وقوم

موسى قالوا: أرنا الله جهرة. فكان هذا السؤال وبالاً عليهم. وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم، ثم كذبوا بها. كأنه تعالى يقول: إن أولئك سألوا، فلما أعطوا سؤالهم؛ كفروا به، فلا تسألوا أنتم شيئاً، فلعلكم إن أعطيتم سؤلكم؛ ساءكم ذلك. وانظر الكفر في الآية رقم [٣٩].

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿سَأَلَهَا قَوْمٌ﴾: ماض ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِّن قَبْلِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وليسا صفة لـ﴿قَوْمٌ﴾؛ لأن ظرف الزمان لا يكون صفة للجثة، ولا حالاً منها، ولا خبراً عنها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف، وانظر الآية رقم [٤٦] لشرحها. ﴿أَصْبَحُواْ﴾: ماض ناقص، والواو: اسمه. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بـ﴿كَفِرِينَ﴾ بعدهما؛ الذي هو خبر منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون: عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَصْبَحُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: تضمنت الآية الكريمة ردّاً، وإنكاراً لما ابتدعه أهل الجاهلية، وهو أنهم كانوا إذا ولدت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر؛ بحروا أذنها، أي: شقوها، وخلوا سبيلها، فلا تركب، ولا تحلب، ولا تطرد عن ماء، ولا مرعى. وكان الرجل منهم يقول: إن شفيت من مرضي، أو رد الله غائبي، أو نحو ذلك، فناقتي ﴿سَآئِبَةٍ﴾، ويجعلها كالـ﴿بَحِيرَةٍ﴾ في تحريم الانتفاع بها وغير ذلك، وإذا ولدت الشاة أنثى؛ فهي لهم، وإن ولدت ذكراً؛ فهو لآلهتهم، وإن ولدتهما؛ قالوا: وصلت الأنثى أخاها، ولم يذبحوه من أجل الأنثى. وكانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن، فإن كان السابع ذكراً؛ أكله الرجال والنساء، وإن كان أنثى؛ أرسلت في الغنم. والحام هو الفحل من الإبل يولد من صلبه عشرة أبطن، فيقولون قد حمى ظهره، فيتركونه كالبحيرة، والسائبة، والوصيلة. وانظر إعلال ﴿لَآتٍ﴾ في الآية رقم [١٣٤] الأنعام فإعلاله مثله. وقيل في تفسير الأربعة غير ما تقدم، ومنشأ الخلاف في تفسيرها يعود إلى اختلاف مذاهب العرب، وآرائهم الفاسدة فيها. هذا؛ والاستفادة من هذه الحيوانات تكون مقصورة على خدام الأصنام، وسدنتها، وأول من ابتدع هذه الأمور في العرب عمرو بن لحي الخزاعي، ولذا قال النبي ﷺ: «**رأيت عمرو بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار**». رواه البخاري عن أبي هريرة. ﴿كَفَرُواْ﴾: انظر الآية رقم [٣٩]. ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾: في نسبة هذا التحريم إليه تعالى. ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾: لا يفهمون، ولا يعرفون الحلال من الحرام، أو الأمر من النهي، ولكنهم يقلدون كبراءهم،

فأضلوهم السبيلا. وانظر العقل في الآية رقم [٧٥] البقرة، وانظر ما كانوا يفعلون من تحليل، أو تحريم في سورة (الأنعام) الآية رقم [١٣٥] وما بعدها.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافية. ﴿جَعَلَ﴾: ماض، فيجوز أن يكون بمعنى: سمى فيتعدى إلى مفعولين، أحدهما محذوف، التقدير: ما سمى الله حيواناً بحيرة، ويجوز أن يكون بمعنى شرع، ووضع، فيتعدى إلى مفعول واحد فقط. ﴿اللَّهُ﴾: فاعله. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿بَحِيرَةٍ﴾: مفعول به على نحو ما رأيت منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿مَا جَعَلَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿سَائِبَةٍ﴾، ﴿وَصِيلَةٍ﴾: معطوفان على لفظ: ﴿بَحِيرَةٍ﴾، وأيضاً: ﴿حَامٍ﴾: معطوف عليه، فهو مجرور لفظاً، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. (لٰكِنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسمها، وجملة: ﴿كَفَرُوا﴾: صلة الموصول لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في محل رفع خبر لكن، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الفعلية السابقة لا محل لها مثلها. (أكثرهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة، أو مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾: قيل لعوامهم المعبر عنهم بالأكثر في قوله: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. ﴿مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ أي: القرآن الذي فيه الهدى والنور. ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: إلى حكمه، وانظر شرحه في الآية رقم [٨٤]. ﴿حَسْبُنَا﴾: كافينا. وانظر شرحه في الآية رقم [٦٣] (الأنفال). ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾. هذا؛ وقد قال جل ذكره عنهم في الآية رقم [١٧٠] (البقرة): ﴿مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وقال هنا: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهناك: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾للتفنن، أي ارتكاب فنون، وأساليب من التعبير. انتهى. جمل. وهذا مما يستحسن لا ريب في ذلك. والذي وجدوا عليه آباءهم هو عبادة الأوثان، وتحريم السوائب، وغيرها، وهم قلدوا آبائهم لاعتقادهم: أنهم كانوا خيراً منهم، وأعلم، ولذا رد الله عليهم. وبيَّن لهم أن آباءهم كانوا لا يعلمون شيئاً من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى حق وصواب.

بعد هذا خذ إعلال، وشرح ما يلي. ﴿قِيلَ﴾: أصله: قُوِل بضم القاف، وكسر الواو، فنقلت حركة الواو إلى القاف بعد سلب حركتها، فصار(قِوْل) بكسر القاف، وسكون الواو، ثم قلبت الواو ياء لوقوعها ساكنة بعد كسرة، فصار ﴿قِيلَ﴾: وانظر القول في الآية رقم [٢٦] من سورة (البقرة).

﴿تَعَالَوْا﴾: قال ابن هشام ـ طيب الله ثراه ـ في قطر الندى: وأما هاتِ، وتعالَ، فعدهما جماعة من النحويين في أسماء الأفعال، والصواب: أنهما فعلا أمر، بدليل: أنهما دالان على الطلب، وتلحقهما ياء المخاطبة، وتقول: هاتي، وتعالي، واعلم أن آخر (هات) مكسور أبداً، إلا إذا كان لجماعة المذكرين؛ فإنه يضم، وأن آخر (تعال) مفتوح في جميع أحواله من غير استثناء، (تقول): تعالَ يا زيدُ، وتعالَيْ يا هندُ، وتعالَيَا يا هندانِ، أو يا زيدانِ، وتعالَوْا يا زيدونَ، وتعالَيْنَ يا هنداتُ، كل ذلك بالفتح، قال الله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ...﴾ إلخ، وقال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ ومن ثم لحَّنوا أبا فراس الحمداني بقوله: [الطويل]

أيَا جَارَتَا ما أنصفَ الدهرُ بيننَا تَعَالي أقاسِمْكِ الهمومَ تَعَالِي

وأقول: إن الفعلين (هاتِ، وتعالَ) ملازمان للأمرية، فلا يأتي منهما مضارع، ولا ماض، وهما بمعنى (أحْضِروا، أو احْضُروا) فالأول متعد، والثاني لازم، وأما: تعالى، يتعالى؛ فهما بمعنى: تعاظم، أو بمعنى: تنزه، يتنزه، وقل في إعلال: ﴿تَعَالَوْا﴾ أصله: تعالووا، ثم تعاليوا، فحذفت الضمة التي على الياء للثقل، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء، وبقيت الواو؛ لأنها ضمير، وبقيت الفتحة على اللام لتدل على الألف المحذوفة.

﴿أَوَلَوْ﴾: الهمزة للإنكار، وهي في نية التأخير عن الواو؛ لأنها حرف عطف، وكذا تقدم على الفاء، وثم تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ...﴾ إلخ، ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ وأخواتها تتأخر عن حرف العطف، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾. هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة، أولهم الزمخشري، فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها، وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾، ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا﴾، ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ﴾: أمكثوا فلم يسيروا في الأرض، أنهملكم فنضرب عنكم، أتؤمنون في حياته، فإن ﴿مَّاتَ أَوْ قُتِلَ...﴾ إلخ. ويضعف قولهم ما فيه من التكلف، وأنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى. مغني اللبيب بتصرف.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (إذا): انظر الآية رقم [٦١] ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. (لهم): متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعله. (تعالوا): أمر مبني على حذف النون، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا﴾ في الآية رقم [١] والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِلَى مَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: أنزله الله. ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وانظر تقدير المضاف في الشرح، وجملة: ﴿تَعَالَوْا...﴾ إلخ في

محل نصب مقول القول، وبعضهم يعتبرها في محل رفع نائب فاعل: (قيل)، وهذا على رأي من يجيز وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول: يحذف الفاعل، ويقام المفعول مقامه وهذا لا غبار عليه، وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: قيل القول، فالأقوال ثلاثة في مثل هذا التركيب، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُواْ﴾ في الآية رقم [١] ﴿حَسْبُنَا﴾: مبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الفعلية ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بعلى، ونا: فاعل في الأول، وفي محل جر بالإضافة في الثاني، والجملة الاسمية: ﴿حَسْبُنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، ﴿وَإِذَا﴾ ومدخولها معطوف على ما قبله، أو هو كلام مستأنف لا محل له ﴿أَوَلَوْ﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. والواو: فيها قولان، أحدهما - وذهب إليه الزمخشري في كشافه، وتبعه البيضاوي، والنسفي -: أنها واو الحال، والثاني - وذهب إليه أبو البقاء، وابن عطية -: أنها للعطف على كلام سابق، والقولان يعتبرانها للحال، وأرى: أنها حرف استئناف؛ لأن الجملة بعدها متضمنة التوبيخ، والإنكار، وأن الوقف على: ﴿ءَابَآءَنَآ﴾ جيد، والمعنى تام لا يحتاج إلى تقييده بحال، وأن الاستفهام إنشاء، ولا يصح وقوعه حالاً كما هو معروف، وأن تقدير معطوف عليه محذوف تكلف لا داعي له، (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿ءَابَآؤُهُمْ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ في محل نصب خبرها، والمتعلق محذوف؛ إذ التقدير: شيئاً كائناً من أمر الدين، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، فهي في محل نصب مثلها، وانظر المتعلق في الشرح، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: (لو كان آباؤهم..) يقولون ذلك، أو نحوه، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، كما هو رأيي في الواو، وهو في محل نصب حال على رأي رأيته فيما تقدم. وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [١٧٠] (البقرة) فهي مثلها في كل شيء مع اختلاف بعض الألفاظ، وهو لا يؤثر في المعنى والإعراب. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٩٥] ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها، والزموا إصلاحها، وانظر الآية رقم [٢/٩]. ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ أي: لا يضركم كفر من

كفر، وعصيان من عصى إذا كنتم مهتدين. ومن الاهتداء أن ينكر المسلم المنكر حسب طاقته، وإمكانه، كما قال النبي ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**». أخرجه مسلم، وغيره عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه.

هذا؛ وقد قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: فإن قلت: هل يدل ظاهر الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؟ قلت: لا يدل على ذلك، والذي عليه أكثر الناس: أن المطيع لربه عز وجل، لا يكون مؤاخذاً بذنوب أصحاب المعاصي، فأما وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ فثابت بدليل الكتاب والسنة. عن قيس بن حازم، عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله تعالى عنه ـ: أنه قال: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا .. إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ ولا تضعونها موضعها، ولا تدرون ما هي؟ وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا ظالماً، فلم يأخذوا على يديه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**». أخرجه الترمذي. وعن أبي أمية الشيباني، قال: سألت أبا ثعلبة الخشني، قلت: يا أبا ثعلبة! كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾؟ قال: أما والله لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله ﷺ، فقال: «**ائتمروا بالمعروف، وانتهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحّاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك بنفسك، ودع عنك العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن مثل القبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله**». رواه ابن ماجه، والترمذي، وأبو داود، وزاد، قيل: يا رسول الله أجر خمسين رجلاً منا، أو منهم، قال: «بل أجر خمسين منكم». وانظر الآية رقم [٨٢] و [٣/١٠٤] ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا﴾: الرجوع إليه تعالى نوعان: خاص، وعام، فالأول يكون بموت الإنسان، وانتقاله من هذه الدنيا، والثاني يكون بالحشر، والنشر، والحساب، والجزاء. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: انظر الآية رقم [١٥] وفي هذه الجملة وعد، ووعيد للفريقين، وتنبيه على أن أحداً لا يؤاخذ بعمل غيره.

تنبيه: قال سعيد بن جبير، ومجاهد ـ رحمهما الله تعالى ـ: نزلت هذه الآية في أهل الكتاب اليهود، والنصارى، والمعنى لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، فخذوا منهم الجزية، واتركوهم. وقيل: إن المؤمنين كان يشتد عليهم بقاء الكافرين على كفرهم، فقيل لهم: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾، واجتهدوا في صلاحها، لا يضركم ضلال الضالين، ولا جهل الجاهلين؛ إذا كنتم أنتم مهتدين. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: انظر الآية رقم [١] ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: اسم فعل أمر منقول عن الجار والمجرور، بمعنى احفظوا، أو الزموا أنفسكم، وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿أَنفُسَكُمۡۖ﴾ مفعول به لاسم الفعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية ابتدائية، لا محل لها كالجملة الندائية قبلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَضُرُّكُم﴾: مضارع مرفوع، أو هو مجزوم بجواب الطلب، أو هو

مجزوم بـ: ﴿لَا﴾ على اعتبارها ناهية، وضمت الراء اتباعاً لضمة الضاد قبلها، وقرئ بفتح الراء المشددة على أنه مجزوم، وحرك بالفتحة للتخفيف، وهو الوجه الثاني من أوجه جزم المضعف، وقرئ: (لا يضيركم) من: ضاره، يضيره بالرفع، كما قرئ بسكون الراء، وكسرها مع ضم الضاد من: ضاره يضوره، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿مَّن﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿ضَلَّ﴾ صلة ﴿مَّن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل عليها. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل يضر، وجملة: ﴿ٱهْتَدَيْتُمْ﴾: في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها، وجملة: ﴿لَا يَضُرُّكُم...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي واقعة جواباً للطلب لا محل لها على الوجهين. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الكاف، والجملة الاسمية قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئكم): مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: الفاء: حرف عطف. (ينبئكم): مضارع مرفوع والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف: مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وما تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَعْمَلُونَ﴾: في محل نصب خبره، وجملة: ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: (كنتم تعملونه)وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فينبئكم بعملكم في الدنيا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُوا۟﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٩٥] ﴿شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾: المراد بهذه الشهادة الإشهاد في الوصية، والإضافة إلى الظرف على الاتساع. ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: إذا شارفه. وظهرت علاماته، وانظر شرح (أحد) في الآية رقم [٩٦] (البقرة). فإنه جيد. والموت: انتهاء الحياة بخمود حرارة البدن، وبطلان حركته. وموت القلب: قسوته، فلا يتأثر بالمواعظ، ولا ينتفع بالنصائح. ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾: صاحبا عدل من أقاربكم، أو من المسلمين، وانظر:

﴿ذَوَا﴾ في الآية رقم [٩٨] والعدل: هو الذي لم يرتكب كبيرة، ولم يصر على صغيرة، وهناك فرق بين عدل الرواية، وعدل الشهادة، ومجال ذلك الفقه الإسلامي. ﴿ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: من ملتكم، أي دينكم، أو من غير عشيرتكم، وقبيلتكم. ومن قال بالأول قال بنسخ الحكم لأن شهادة الكافر لا تقبل على المسلم، والحق: أنها ثابتة في وصية مسلم حضره الموت في أرض غربة، ولم يجد مسلمين يشهدان على وصيته، فليشهد كافرين، أو ذميين، أو من أي دين كانا. وهو قول ابن عباس، وأبي موسى الأشعري، وسعيد بن المسيب، وابن جبير، وابن سيرين، وبه قال أحمد بن حنبل؛ لأن هذا موضع ضرورة. ﴿ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾: سافرتم فيها. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: تقفونهما للحلف. ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾: صلاة العصر؛ لأنه وقت اجتماع الناس، والتقاء ملائكة الليل بملائكة النهار. وقيل: أي صلاة كانت. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾: فيحلف الشاهدان بالله إن حصل شك في شهادتهما من قبل الورثة، أو من قبل الموصى لهم. ﴿لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا﴾: فهذا هو المحلوف عليه، ومعناه: لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا، ولا نحلف بالله كاذبين لأجل عرض نأخذه، أو حق نجحده، ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾: ولو كان المشهود له ذا قرابة منا. ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: الشهادة التي أمرنا الله بها. وإنما أضاف سبحانه الشهادة إليه؛ لأنه أمر بإقامتها، ونهى عن كتمانها. هذا؛ وقد قرىء بتنوين شهادة، وقطع الهمزة بعدها على الاستفهام بالمد على حذف حرف القسم، وتعويض حرف الاستفهام منه، كما قرىء بغير المد كقولهم: الله لأفعلن، وانظر (الريب) في الآية رقم [٢/٢]. ﴿لَّمِنَ ٱلْءَاثِمِينَ﴾ أي: الخاطئين إن كتمنا الشهادة، وانظر الآثم في الآية رقم [٣].

الإعراب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿شَهَٰدَةُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿بَيْنِكُمْ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَا﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿شَهَٰدَةُ﴾ لأنه مصدر، والجملة الفعلية: ﴿حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾: في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿ٱثْنَانِ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الألف نيابة عن الضمة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وهذا الخبر على تقدير مضاف محذوف، التقدير: شهادة اثنين. ﴿حِينَ﴾: بدل من ﴿إِذَا﴾، وقيل بجواز اعتباره متعلقاً بالموت، أو بالفعل حضر، ولا وجه لهما. ﴿ذَوَا﴾: صفة ﴿ٱثْنَانِ﴾ مرفوع مثله، و﴿ذَوَا﴾: مضاف، و﴿عَدْلٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ: ﴿ٱثْنَانِ﴾، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم. هذا؛ وقد قال الزمخشري: يجوز أن يكون: ﴿شَهَٰدَةُ﴾ مبتدأ والخبر محذوفاً، التقدير: فيما فرض عليكم شهادة، وعليه يكون ﴿ٱثْنَانِ﴾ فاعلاً بشهادة، أي يشهد اثنان. قال الجمل: وهذا ما جرى عليه ابن هشام، وهو الأولى لأن الصريح ليس كغيره. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف، ﴿ءَاخَرَانِ﴾: معطوف على: ﴿ٱثْنَانِ﴾ مرفوع مثله... إلخ. ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَاخَرَانِ﴾، ولم يصفهما بالعدل كما في الأولين؛ لأن غير المسلم لا يكون عدلاً مهما تحلى به من أخلاق

كريمة، وشيم حميدة. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَنتُمْ﴾: فاعل لفعل محذوف يفسره المذكور بعده، كان متصلاً، فلما حذف الفعل؛ انفصل. ﴿ضَرَبْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مفسرة، لا محل لها كالجملة المحذوفة المفسرة بها، وهذا عند البصريين، وأما الكوفيون فيعتبرون: ﴿أَنتُمْ﴾ مبتدأ، والجملة الفعلية خبره. والمعتمد قول البصريين في هذه الجملة، وشبهها. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (أصابتكم): ماض وتاء التأنيث، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿مُّصِيبَةُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿الْمَوْتِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية. ﴿فَأَصَابَتْكُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: (إن أنتم. . . . فاستشهدوا آخرين). أو فالشاهدان ﴿ءَاخَرَانِ﴾. ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والميم، والألف دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية لـ ﴿ءَاخَرَانِ﴾، أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والجملة الشرطية: ﴿إِنْ أَنتُمْ...﴾ إلخ معترضة بين الصفة، والموصوف. قال البيضاوي: وفائدة الاعتراض الدلالة على أنه ينبغي أن يشهد اثنان منكم، فإن تعذر ـ كما في السفر ـ فمن غيركم. أو استئناف، أي الجملة الفعلية مستأنفة، كأنه قيل: كيف نعمل إن ارتبنا بالشاهدين؟ فقال: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا﴾. وهذا هو الأولى بالاعتبار؛ لأن الفصل بين الصفة، والموصوف بأجنبي لا يجوز إلا في ضرورات الشعر. ﴿مِنْ بَعْدِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿الصَّلَوٰةِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾: معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وجواب ﴿إِنِ﴾ الشرطية محذوف، التقدير: إن ارتبتم بخيانة منهما، أو بأخذ شيء من التركة فاحبسوهما، وحلفوهما، والشرط، وجوابه المقدر معترض بين القسم وجوابه، وهو الجملة الفعلية: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ ومثل هذا كثير واقع في الكلام العربي، وهو يعتمد على قاعدة مشهورة، وهو أنه إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الاعتراض. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر مفهوم من المقام؛ إذ التقدير: لو كان المشهود له. ﴿ذَا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذَا﴾: مضاف، و﴿قُرْبَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية: ﴿كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، ومثل ذلك قل في الجملة الواقعة شرطاً لـ: ﴿إِنِ﴾ فيما تقدم، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لو كان المشهود له ذا قربى لا نشتري به ثمناً، وجملة: ﴿وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ اللَّهِ﴾ معطوفة على جملة: ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا﴾ لا محل لها مثلها، و(لو) ومدخولها كلام معترض بين المتعاطفين لا محل له. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل له. ﴿لَّمِنَ الْآثِمِينَ﴾: اللام هي المزحلقة. (من الآثمين): متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ تعليل للنفي، لا محل لها.

﴿فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: فإن اطلع، يقال: عثر الرجل يعثر عثوراً إذا هجم على شي لم يطلع عليه غيره، وأعثرته على كذا: أطلعته عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ. انتهى. جمل. ﴿ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا﴾: فعلا ما أوجب إثماً كتحريف، وتزييف بالشهادة بعد حلفهما. وانظر (الإثم) في الآية رقم [٣]. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: فشاهدان آخران. ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ أي: من الذين استحق عليهم الإثم، ومعناه من الذين جُنِيَ عليهم، وهم أهل الميت وعشيرته، ومقام أصله: مقْوَمَ، فقل في إعلاله: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الواو إلى القاف، ثم تحركت الواو بحسب الأصل، وانفتح ما قبلها الآن، فقلبت ألفاً. ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما ليقوما بالشهادة، ويُظهرَا بها كذب الكاذبين؛ أي: الشاهدين الأولين. ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: فيحلفان بالله ليميننا أحق بالقبول من يمين هذين الوصيين الخائنين. ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾: وما تجاوزنا الحق في يميننا. ﴿لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: الواضعين الباطل موضع الحق، أو الظالمين أنفسهم إذا تجاوزنا الحق، واعتدينا على غيرنا، وانظر الآية رقم [١٤٦] (الأنعام).

قال البيضاوي: ومعنى الآيتين: أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه، أو دينه على وصيته، أو يوصي إليهما احتياطاً، فإن لم يجدهما بأن كان في سفر؛ فآخرين من غيرهم. ثم إن وقع نزاع، أو ارتياب في صدقهما؛ أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت، فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة، أو مظنة؛ حلف آخران من أولياء الميت. والحكم منسوخ؛ إن كان الاثنان شاهدين، فإنه لا يحلف الشاهد، ولا يعارض يمينه بيمين الوارث، وثابت؛ إن كانا وصيين، وردا اليمين إلى الورثة، إما لظهور خيانة الوصيين، فإن تصديق الوصي باليمين لأمانته. أو لتغيير الدعوى.

روي: أن تميماً الداري، وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة، وكانا نصرانيين حينئذ، ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص، وكان مسلماً، فلما قدموا الشام مرض بديل، فدون ما معه في صحيفة، وطرحها في متاعه، ولم يخبرهما بها، وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله، ومات، ففتشاه، وأخذا منه إناء من فضة، فيه ثلاثمئة مثقال منقوشاً بالذهب، فغيباه، فوجد أهله الصحيفة، فطالبوهما بالإناء، فجحدا، فترافعوا إلى رسول الله ﷺ، فنزلت الآية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ، فحلفهما بعد صلاة العصر عند المنبر، وخُلِّي سبيلهما، ثم وجد الإناء في

أيديهما، فأتاهما بنو سهم في ذلك، فقالا: قد اشتريناه منه، ولكن لم يكن لنا عليه بينة، فكرهنا أن نقر به، فرفعوهما إلى رسول الله ﷺ، فنزلت: ﴿فَإِنْ عُثِرَ...﴾ إلخ، فقام عمرو بن العاص، والمطلب بن أبي رفاعة السهميان، وحلفا. انتهى بحروفه من البيضاوي.

الإعراب: ﴿فَإِنْ عُثِرَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (إن) حرف شرط جازم. ﴿عُثِرَ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَنَّهُمَا﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱسْتَحَقَّآ﴾: ماض، والألف فاعله، والجملة الفعلية خبر (أنَّ). ﴿إِثْمًا﴾: مفعول به، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل: ﴿عُثِرَ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَـَٔاخَرَانِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (آخران): مبتدأ، وفي الخبر احتمالات: أحدهما: أنه الجار والمجرور ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾ والثاني: أنه جملة: ﴿يَقُومَانِ﴾ والثالث: أنه الأوليان، وأحسن من هذا كله اعتباره فاعلاً لفعل محذوف، التقدير: فليشهد آخران. وقال أبو البقاء: خبر مبتدأ محذوف، أي فالشاهدان آخران. ﴿يَقُومَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والألف فاعله، ﴿مَقَامَهُمَا﴾: مفعول مطلق على اعتباره مصدراً ميمياً، وظرف مكان على اعتباره اسم مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: (آخران)، أو في محل رفع خبره على اعتباره مبتدأ، ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع صفة (آخران) على اعتباره مبتدأ، خبره الجملة الفعلية بعده، أو اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، أو فاعلاً لفعل محذوف كما رأيت، أو هما متعلقان بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿فَـَٔاخَرَانِ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، سواء أكانت فعلية أم اسمية. ﴿ٱسْتَحَقَّ﴾: ماض، ويقرأ بالبناء للفاعل وللمفعول، فعلى الأول فالفاعل: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، والمفعول محذوف، تقديره الوصية، وعلى الثاني فنائب الفاعل يعود إلى الإثم، وقيل: إلى ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، وقدره الجلال: الوصية، والمعتمد الأول. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾: فاعل، أو نائب فاعل على وجهين رأيتهما، أو هو صفة (آخران). أو عطف بيان عليه، أو هو خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هما ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾، أو هو مبتدأ، خبره (آخران)، وهو أضعف كل الوجوه كما قيل في اعتباره بدلاً من الألف في: ﴿يَقُومَانِ﴾. هذا؛ ويقرأ (الأولين) على اعتباره جمع أول، وفي إعرابه وجهان: أحدهما أنه بدل من ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو صفة له، والثاني أنه بدل من الضمير في ﴿عَلَيْهِمُ﴾ كما يقرأ (الأولان) بتشديد الواو، وإعرابه كإعراب: ﴿ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾. و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، وجملة: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ﴾ معطوفة على جملة: ﴿يَقُومَانِ...﴾ إلخ على جميع الوجوه المعتبرة فيها. واللام: واقعة في جواب القسم. (شهادتنا): مبتدأ، ونا: في محل جر بالإضافة. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر المبتدأ، ﴿مِن شَهَـٰدَتِهِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿أَحَقُّ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة،

و(ما) حرفان دالان على التثنية، والجملة الاسمية: ﴿لَشَهَٰدَتُنَآ...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها. (ما): نافية. ﴿ٱعْتَدَيْنَآ﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٣] والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية السابقة، وهي تعليل للنفي لا محل لها.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الحكم المذكور في رد اليمين على الورثة إذا لم يصدقوا الشاهدين، أو الوصيين. ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: أقرب، وأحق، وانظر شرحه في الآية رقم [٢/٦١] تجد ما يسرك. ﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: على نحو ما تحملوها من غير تحريف، وخيانة فيها، وإنما جمع الضمير في: ﴿يَأْتُوا۟﴾ لأن المراد ما يعم الشاهدين المذكورين اللذين هما صاحبا الواقعة، وغيرهما من بقية الناس إلى يوم القيامة. ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: ترد اليمين على الورثة، فيحلفون على خيانتهم، وكذبهم، فيفتضحون، ويغرمون ما خانوا فيه. وانظر الأيمان في الآية رقم [٩٣] ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾: ما توصون به وتؤمرونه سماع قبول، وانظر الآية رقم [٨٣] ﴿وَٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. أو الآية رقم [١] الأنفال. ﴿لَا يَهْدِى﴾: لا يوفق إلى طريق الخير، أو إلى طريق الجنة. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [٢١]. ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾: الخارجين عن طاعته، المخالفين أوامره، وانظر الآية رقم [٢٨].

تنبيه: قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: هذه الآيات الثلاث من أشكل آي القرآن، حكماً، وإعراباً، وتفسيراً، ولم يزل العلماء يستشكلونها، ويكفون عنها، حتى قال مكي بن أبي طالب رحمه الله في كتابه المسمى بالكشف: هذه الآيات في قراءتها، وإعرابها، وتفسيرها، ومعانيها، وأحكامها من أصعب آي القرآن، وأشكله. قال: ويحتمل أن يبسط ما فيها من العلوم في ثلاثين ورقة، أو أكثر، قال: وقد ذكرناها مشروحة في كتاب مفرد. وقال السخاوي: لم أر أحداً من العلماء تخلص كلامه فيها من أولها إلى آخرها. قلت: وأنا أستعين الله تعالى في توجيه إعرابها، واشتقاق مفرداتها، وتصريف كلماتها. وقراءاتها، ومعرفة تأليفها، وأما بقية علومها؛ فنسأل الله العون في تهذيبه إلى آخر ما في عبارة السمين، فارجع إليه إن شئت انتهى. بحروفه.

هذا؛ وأنا أقول: إنني بذلت جهدي ـ مستعيناً بالله ـ في شرح، وإعراب ما رأيته في هذه الوريقات مستمداً أكثره من المراجع الموجودة لدي، وما أراه ضعيفاً ضعفته، وما رأيته قويّاً رجحته، وما لم يذكر فيه شيء ذكرته، والله أسأل، وبنبيه أتوسل أن يوفقني وإياك أيها القارئ الكريم إلى ما يحبه ربنا، ويرضاه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَدْنَىٰٓ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الاسمية هذه مستأنفة لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَأْتُوا۟﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، تقديره: من أو إلى الإتيان. ﴿بِٱلشَّهَٰدَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَلَىٰ وَجْهِهَآ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الشهادة، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَخَافُوٓا۟﴾: معطوف على يأتوا منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿تُرَدَّ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ: ﴿أَن﴾. ﴿أَيْمَٰنٌۢ﴾: نائب فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة: ﴿أَيْمَٰنٌۢ﴾. و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿أَيْمَٰنِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. (اتقوا): أمر مبني على حذف النون، والواو وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهو عطف إنشاء على خبر، والأولى اعتبارها مستأنفه، وجملة (اسمعوا) معطوفة عليها. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٥١] وهي اسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿يَوْمَ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٤٨] (البقرة) و[١٢٨] (الأنعام) ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة، أو رقم [٨/١] ﴿ٱلرُّسُلَ﴾: انظر الآية رقم [٨٣] ﴿فَيَقُولُ﴾: انظر الآية رقم [٢٦] البقرة واليوم الذي يجمع فيه الرسل هو يوم القيامة الذي يحشر فيه الناس أجمعون للحساب والجزاء. ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾: أي إجابة أجابكم قومكم؟ وهذا سؤال توبيخ لأقوامهم. ﴿قَالُوا۟﴾: عبر بالماضي لتحقق وقوعه في المستقبل. ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾: ينفون العلم عن أنفسهم، ويكلون ذلك إلى الله تعالى: ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾: تعلم ما غاب عنا من باطن الأمور، ونحن نعلم ما نشاهد، ولا نعلم ما في البواطن. هذا؛ و﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ جمع: غيب، وهو ما غاب عنا، ولا نشاهده، ولا نسمعه، وفيه التشكي من أقوامهم، ورد العلم إليه تعالى بما كابدوا منهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿يَوْمَ﴾: ظرف متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر، أو هو مفعول به لهذا المحذوف، وقيل: هو بدل من مفعول (اتقوا) بدل اشتمال، أو هو مفعول (اسمعوا) على حذف مضاف، أي: اسمعوا خبر يوم جمعهم، والجملة: ﴿يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿مَاذَآ﴾: اسم استفهام مركب مبني على السكون في محل نصب مفعول مطلق قدم على فعله، وقيل: في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بماذا، ولا أؤيد هذين الوجهين،

وأرى ما يلي: يحوز اعتبار ﴿مَاذَآ﴾ اسم استفهام مبتدأ، خبره الجملة الفعلية بعده، كما يجوز اعتبار (ما) مبتدأ، و(ذا) اسماً موصولاً خبره، والجملة الفعلية صلتها، والرابط، أو العائد محذوف، التقدير: أجبتم به. والجملة سواء أكانت اسمية أم فعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: (يقول...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها، ﴿أُجِبۡتُمۡۖ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وانظر إعراب ﴿حَلَلۡتُمۡ﴾ في الآية رقم [٣] ﴿قَالُواْ...﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١]. ﴿لَا﴾: نافية للجنس. ﴿عِلۡمَ﴾: اسم: ﴿لَا﴾ مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَنَآۖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَا﴾، وهذا على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر لا، فأما على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ﴿عِلۡمَ﴾، كما يجوز تعليقهما بـ: ﴿عِلۡمَ﴾ لأنه مصدر، وعليهما فخبر: ﴿لَا﴾ محذوف، تقديره: موجود، أو حاصل، وجملة: ﴿لَا عِلۡمَ لَنَآۖ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف: اسمها. ﴿أَنتَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: أن يكون توكيداً لاسم (إنَّ) على المحل، والثاني: أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب، وعلى هذين الوجهين فـ: ﴿عَلَّٰمُ﴾ خبر (إنَّ)، والثالث: أن يكون مبتدأ، و﴿عَلَّٰمُ﴾ خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للنفي لا محل لها، وهي من مقول ﴿ٱلرُّسُلَ﴾، و﴿عَلَّٰمُ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡغُيُوبِ﴾: مضاف إليه من إضافة مبالغة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله ضمير مستتر فيه.

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر الآية رقم [٢/٢٦] ورقم [٤/٧] ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة والآية رقم [١/٨] ﴿يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾: انظر الآية رقم [٤٦] و[٣/٤٥] ﴿أَيَّدتُّكَ﴾: قويتك. ﴿بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾: هو جبريل عليه السلام فكان يسير معه حيث سار، يعينه على الحوادث التي تقع، ويلهمه المعارف والعلوم، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٧] (البقرة). ﴿تُكَلِّمُ﴾: انظر: «الكلام» في

الآية رقم [٢/٧٥] فإنه جيد. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾: انظر الآية رقم [٣/٤٦] ففيها الكفاية. ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾: انظر الآية رقم [٣/٤٨] وأيضاً الآية رقم [٤٩]. ﴿تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾: لا أتكلم على هذه الكلمات بأكثر مما ذكرته في الآية رقم [٣/٤٩] ﴿كَفَفْتُ﴾: رددت، ومنعت عنك. ﴿بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: المراد: اليهود الذين أرادوا قتله، وانظر الآية رقم [٣٣]. ﴿جِئْتَهُم﴾: انظر (جاء) في الآية رقم [١٥] (البيِّنات): المعجزات، والبراهين القاطعة. ﴿كَفَرُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿سِحْرٌ﴾: أي الذي جئت به سحر، وقرئ: (ساحر) فيكون المراد عيسى نفسه. ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر، واضح، وانظر إعلاله في الآية رقم [١٥] وانظر السحر في الآية رقم [١٠٢] من سورة (البقرة).

تنبيه: قال السمين: قال تعالى هنا: ﴿بِإِذْنِي﴾ أربع مرات عقيب أربع جمل، وفي (آل عمران): ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ مرتين؛ لأن هناك موضع إخبار، فناسب الإيجاز، وهنا مقام تذكير بالنعمة، والامتنان، فناسب الإسهاب. انتهى.

تنبيه: الآية الكريمة، والتي قبلها، وما بعدها إلى آخر السورة تنص على محاورة بين الله، ورسله يوم القيامة، وهو مستقبل لا ريب فيه، ومضمونه توبيخ الأقوام التي خالفت أوامر الله تعالى، وأوامر رسلهم الذين أرسلوا إليهم وخاصة النصارى كما هو واضح للعيان، والتعبير بالأفعال الماضية بدل الأفعال المستقبلة إنما هو لتحقق وقوع ما يذكر، وهذا التعبير مستعمل في القرآن الكريم بكثرة مثل قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وأمر الله المراد به الحشر والنشر.. .الخ، وهذا الاستعمال إنما هو فن من فنون البلاغة. ألا فليتنبه العالمون.

تنبيه: تذكير الله عيسى بإنعامه عليه وعلى أمه في ذلك اليوم العظيم لا يقصد منه تكليف شكره، والقيام بواجبه؛ إذ ليس هناك تكليف، وإنما المراد توبيخ الكفرة المختلفين في شأنه وشأن أمه إفراطاً وتفريطاً. انتهى جمل نقلاً من أبي السعود، وهو بتصرف كبير مني.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: بدل من: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ﴾ في الآية السابقة، أو هو منصوب بفعل محذوف، التقدير: اذكر إذ، وهو مبني على السكون في محل نصب، وهي بمعنى إذا التي هي للمستقبل، وجملة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾ في محل جر بإضافة: ﴿إِذْ﴾ إليها. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. ﴿عِيسَى﴾: منادى مفرد علم، و﴿ٱبْنَ﴾ صفة له، وقد نصب؛ لأنه مضاف، وهذه قاعدة كلية مفيدة، وذلك: أن المنادى المفرد المعرفة الظاهر الضمة إذا وصف بابن، أو ابنة، ووقع الابن، والابنة بين علمين، أو اسمين متفقين في اللفظ، ولم يفصل بين الابن وبين موصوفه بشيء تثبت له أحكام، منها: أنه يجوز إتباع المنادى المضموم لحركة نون ابن، فيفتح، نحو يا زيد بن عمرو، ويا هند ابنة بكر بفتح الدال من: زيد، وهند، وضمها، فلو كانت الضمة مقدرة مثل ما نحن فيه،

فإن الضمة مقدرة على ألف ﴿عِيسَى﴾، فهل يقدر بناؤه على الفتح إتباعاً، كما في الضمة الظاهرة؟ خلاف: الجمهور على عدم جوازه؛ إذ لا فائدة في ذلك، فإنه إنما كان للاتباع، و هذا المعنى مفقود في الضمة المقدرة، وأجاز الفراء ذلك، إجراءً للمقدر مجرى الظاهر، وتبعه أبو البقاء، فإنه قال: يجوز أن تكون على الألف من ﴿عِيسَى﴾ فتحة لأنه قد وصف بابن، وهو بين علمين، وأن تكون فيها ضمة، وهو مثل قولك: يا زيد بن عمرو بفتح الدال، وضمها، وهذا الذي قاله غير بعيد. انتهى. بحروفه جمل. طيب الله ثراه. و﴿ٱبْنَ﴾: مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي. ﴿نِعْمَتِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْكَ﴾ متعلقان بـ: ﴿نِعْمَتِي﴾ على اعتباره مصدراً أو بمحذوف حال منه على اعتباره اسماً. ﴿وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ﴾: معطوفان على ما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿نِعْمَتِي﴾، أو بمحذوف حال منه، وأجاز السمين اعتباره بدلاً من: ﴿نِعْمَتِي﴾ بدل اشتمال؛ لأنه في المعنى تفسير للنعمة. ﴿أَيَّدتُّكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿بِرُوحِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(روح)مضاف، و﴿ٱلْقُدُسِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الموصوف للصفة، إذا الأصل: الروح المقدسة، والجملة الندائية: ﴿يَٰعِيسَى...﴾ إلخ، والجملة الفعلية: ﴿ٱذْكُرْ...﴾ إلخ، كل ذلك في محل نصب مقول القول. ﴿تُكَلِّمُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية: ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ﴾ في محل نصب حال من كاف الخطاب. ﴿فِي ٱلْمَهْدِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. ﴿وَكَهْلًا﴾: معطوف على ذلك المحذوف فهو حال أيضاً، وهو بمعنى مكتهلاً، وهو حال متداخلة. ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ إعرابه ظاهر إن شاء الله، وهو كلام معطوف على: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ...﴾ إلخ، ومثله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ...﴾ إلخ. ولا تنس أن الكاف اسم بمعنى مثل، فهي مبنية على الفتح في محل نصب مفعول به، ووقوع الكاف اسماً وارد في الشعر العربي بكثرة، ولولا الإطالة لذكرت ذلك، ووقوعها فاعلاً، وحالاً، ومجرورة، وما عليك إلا أن تنظر الشاهد رقم [٣٢٦] وما يذكر تبعاً له في كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللبيب، والكاف مضاف، و(هيئة) مضاف إليه، و(هيئة) مضاف، و﴿ٱلطَّيْرِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِإِذْنِي﴾: متعلقان بالفعل: ﴿تَخْلُقُ﴾، أو بمحذوف حال من: ﴿ٱلطَّيْرِ﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . .إلخ، وجملة: ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا﴾ معطوفة على جملة: ﴿تَخْلُقُ...﴾ إلخ ﴿طَيْرًا﴾: خبر: (تكون. . .) إلخ، وقرئ (طائراً). ﴿بِإِذْنِي﴾: متعلقان بالفعل(تكون)، أو بمحذوف صفة: ﴿طَيْرًا﴾، وجملة: (تكون. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها، وكذلك جملة: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ

﴿وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ﴾ معطوفة أيضاً، ومثلها ما بعدها، والإعراب واضح بعونه تعالى. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿كَفَفۡتُ﴾، وجملة: ﴿جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. (قال): ماض. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: فاعله، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلته. ﴿مِنۡهُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة وجملة: (قال...) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى ما. الهاء: حرف تنبيه. ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿سِحۡرٞ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٞ﴾: صفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنۡ هَٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾

الشرح: ﴿أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾: أمرتهم على ألسنة رسلي. وفي الخازن: يعني: ألهمتهم، وقذفت في قلوبهم، فهو وحي إلهام، كما أوحى إلى أم موسى، وإلى النحل. والحواريون هم أصحاب عيسى، وخواصه. قال نبينا المعظم ﷺ: «**لكل نبي حواريون، وحواري الزبير بن العوام**». ﴿ءَامِنُواْ بِي﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٩٦]. ﴿وَبِرَسُولِي﴾: المراد به عيسى، عليه الصلاة والسلام، وانظر الآية رقم [٨٤]. ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٢/٢٦] و[٤/٧] وقد قدم ذكر الإيمان على الإسلام؛ لأن الإيمان من أعمال القلوب، والإسلام هو الانقياد، والخضوع في الظاهر، والمعنى: أنهم آمنوا بقلوبهم، وانقادوا بظواهرهم. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِذۡ﴾: معطوف على: ﴿إِذۡ أَيَّدتُّكَ﴾ ﴿أَوۡحَيۡتُ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلۡتُمۡ﴾ في الآية رقم [٢] والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذْ) إليها، ﴿إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنۡ﴾: مفسرة؛ لأنها مسبوقة بجملة فيها معنى القول دون حروفه، وجوز اعتبارها مصدرية. ﴿ءَامِنُواْ بِي﴾: فعل أمر، الواو فاعله. ﴿بِي﴾: متعلقان به، والجملة مفسرة لـ: ﴿أَوۡحَيۡتُ﴾ لا محل لها عند الجمهور، وعند الشلوبين بحسب ما تفسره، وأراه حقّاً. هذا؛ وعلى اعتبار: ﴿أَنۡ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: ﴿أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ﴾ الأمر بالإيمان. والمعتمد الأول في هذا؛ وأشباهه. (برسولي): معطوفان على ما قبلهما. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَٱشۡهَدۡ...﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في نصب مقول القول مثلها، وهي من عطف الإنشاء على الخبر. ﴿بِأَنَّنَا﴾: الباء: حرف جر. (أننا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): في محل نصب اسمها. ﴿مُسۡلِمُونَ﴾: خبر (أنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع

مذكر سالم، وأن واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْحَوَارِيُّونَ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: انظر الآية رقم [٤٦] و[٣/٤٥] ﴿يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾: بمعنى هل يفعل ربك، أو هل يعطيك ربك إن سألته، فاستطاع، وأطاع بمعنىً، كاستجاب، وأجاب؛ لأن قولهم هذا لم يكن بعد عن تحقيق، واستحكام معرفة، وقرأ الكسائي: (هل تستطيع ربك) والمعنى هل تستطيع سؤال ربك، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿رَبُّكَ﴾: انظر سورة الفاتحة والآية [٥/٢] ﴿مَآئِدَةً﴾: هي في الأصل الخوان الذي يوضع عليه الطعام، فإن لم يكن عليه طعام؛ فليس بمائدة، بل هو خوان. وقال الجمل: هذه المسألة لها نظائر في اللغة، لا يقال للخوان مائدة إلا وعليه الطعام، وإلا فهو خوان. ولا يقال: كأس إلا وفيها خمر، وإلا فهي قدح، ولا يقال: ذنوب، وسجل إلا وفيه ماء، وإلا فهو دلو، ولا يقال: جراب إلا وهو مدبوغ، وإلا فهو إهاب، ولا يقال: قلم إلا وهو مبرى وإلا فهو أنبوب. مأخوذ من: ماد الماء، يميد: إذا تحرك، أو من ماده: إذا أعطاه، كأنها تميد من تقدم إليها. ونظيره قولهم: شجرة مطعمة. ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: انظر الآية رقم [٢/١٩] و[٦/٩٩] ﴿قَالَ﴾: انظر القول في الآية رقم [٢/٢٦] و[٧/٤]. ﴿ٱتَّقُواْ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾: بكمال قدرة الله، وصحة نبوتي؛ لأن الإيمان يوجب التقوى، وقيل: المعنى: اتقوا الله في اقتراح هذا السؤال بعد ظهور المعجزات.

الإعراب: ﴿إِذْ﴾: منصوب بفعل محذوف، تقديره: اذكر، وقيل: هو متعلق بـ: ﴿قَالُوٓاْ﴾، وقيل: متعلق بـ: ﴿مُسْلِمُونَ﴾، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها، وانظر إعراب ﴿يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ في الآية رقم [١١٠] وهي في محل نصب مقول القول. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام. ﴿يَسْتَطِيعُ﴾: مضارع. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، وعلى قراءة الكسائي هو مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُنَزِّلَ﴾ في محل نصب مفعول به، وعلى قراءة الكسائي هو في محل نصب مفعول به للمضاف المحذوف الذي رأيت تقديره في الشرح. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿مَآئِدَةً﴾. ﴿قَالَ﴾: ماض، فاعله يعود إلى: ﴿عِيسَى﴾، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ في محل نصب مقول القول، وانظر إعراب: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ في الآية رقم [٥٧]. والجملة الشرطية في محل نصب مقول القول.

﴿قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُواْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٢٦/ ٢] و[٤/٧] ﴿نُرِيدُ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. وقولهم: ﴿نُرِيدُ أَن...﴾ إلخ: تمهيد عذر، وبيان لما دعاهم إلى السؤال، وهو أن يتمتعوا بالأكل منها. ﴿وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا﴾: بانضمام علم المشاهدة إلى علم الاستدلال بكمال قدرته، وهو على حد قول إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ نعلم أن قد صدقتنا: في ادعاء النبوة، وأن الله يجيب دعوتنا. ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: أي نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة، ويقيناً، ويؤمن بسببها كفارهم، أو المعنى: نكون من المشاهدين لها دون السامعين بخبرها سماعاً، ولا ريب أن المشاهدة غير السماع.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١] ﴿نُرِيدُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر، تقديره نحن، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا﴾ في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿نُرِيدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (تطمئن): معطوف على ﴿نَّأْكُلَ﴾ منصوب مثله. ﴿قُلُوبُنَا﴾: فاعله، ونا: في محل جر بالإضافة. (نعلم): معطوف على ﴿نَّأْكُلَ﴾ وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمه ضمير شأن محذوف، التقدير: أنك، وهو ضعيف؛ لأن ضمير الشأن المحذوف يكون ضمير غيبة لا ضمير خطاب، وقيل: ﴿أَن﴾ حرف مصدري وقد لا تمنع من ذلك. ﴿صَدَقْتَنَا﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿أَن﴾ المخففة، أو الفعل في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾ المصدرية، وعلى الوجهين فـ: ﴿أَن﴾ ومدخولها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: (نعلم). ﴿وَنَكُونَ﴾: معطوف أيضاً على ﴿نَّأْكُلَ﴾، وهو ناقص، واسمه مستتر تقديره: نحن. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (نكون).

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾: انظر الآية رقم [٤٦] و[٣/٤٥] وأيضاً [٣/٥٥] ﴿ٱللَّهُمَّ﴾: أصله: يا الله فحذفت ياء النداء، وعوض عنها الميم المشددة في الآخر، ولا يجمع بين العوض والمعوض عنه إلا في ضرورة الشعر، وهذا الحذف، والتعويض من خصائص الاسم الكريم،

كدخول (يا) عليه مع لام التعريف، وقطع همزته، وتاء القسم. ﴿رَبَّنَآ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] ﴿عِيدًا﴾ أي: يكون يوم نزولها عيداً نعظمه، ونصلي فيه نحن، ومن يجيء بعدنا، فنزلت يوم الأحد، فاتخذه النصارىٰ عيداً. انتهى خازن. والعيد مشتق من العود؛ لأنه يعود كل سنة، قاله ثعلب عن ابن الأعرابي. وقال ابن الأنباري: النحويون يقولون يوم العيد؛ لأنه يعود بالفرح، والسرور، وعيد العرب، لأنه يعود بالفرح، والحزن، وكل ما عاد إليك في وقت فهو عيد. ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾: انظر الآية رقم [٢/٤١] فإنه جيد، وقرئ: (لأولانا وأخرانا) بمعنى الأمة، أو الطائفة. ﴿وَءَايَةً مِّنكَ﴾: علامة دالة على كمال قدرتك، وصحة نبوتي. ﴿وَارْزُقْنَا﴾: فهذا الفعل ينصب مفعولين الثاني محذوف، التقدير: المائدة، والشكر عليها. ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ أي: خير من يرزق؛ لأنه خالق الرزق، ومعطيه بلا عوض وبلا منة، وهو مبذول للمؤمن، والكافر، والعاصي، والمطيع، وانظر شرح: ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [٥٤] من سورة (البقرة).

تنبيه: طلب عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من ربه نزول المائدة حين رأى: أن لهم غرضاً صحيحاً في ذلك، أو أنهم لا يقلعون عنه، فأراد إلزامهم الحجة بكمالها. انتهى بيضاوي. قيل: إنه اغتسل، ولبس المسح، وصلى ركعتين، وطأطأ رأسه، وبكى، ثم دعا...

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿عِيسَى﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ابْنُ﴾: صفة عيسى، أو بدل منه، وهو مضاف، و﴿مَرْيَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والتأنيث المعنوي.

﴿اللَّهُمَّ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بياء المحذوفة، والمعوض عنها الميم المشددة في الآخر. ﴿رَبَّنَآ﴾: منادى مضاف محذوف منه حرف النداء، ونا: في محل جر بالإضافة. ﴿أَنزِلْ﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان به. ﴿مَآئِدَةً﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ السَّمَآءِ﴾: متعلقان بـ: ﴿مَآئِدَةً﴾، أو بمحذوف صفة له، وجوز تعليقهما بالفعل قبلهما. ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هي»، وقرئ: (تكنْ) بالجزم لوقوعه في جواب الطلب. ﴿لَنَا﴾: يجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف خبر ﴿تَكُونُ﴾، ويكون ﴿عِيدًا﴾ حالاً من الضمير في الظرف، أو حالاً من الضمير المستتر في: ﴿تَكُونُ﴾ على قول من ينصب عنها الحال، ويجوز أن يكون: ﴿عِيدًا﴾ الخبر، وفي: ﴿لَنَا﴾ على هذا؛ وجهان: أحدهما: أن تكون حالاً من الضمير في تكون، والثاني أن تكون حالاً من ﴿عِيدًا﴾؛ لأنه صفة له قدمت عليه: ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ فإذا جعلت: ﴿لَنَا﴾ خبراً، أو حالاً من فاعل ﴿تَكُونُ﴾ فهو صفة لـ: ﴿عِيدًا﴾، وإن جعلت: ﴿لَنَا﴾ صفة لـ: ﴿عِيدًا﴾ كان: ﴿لِّأَوَّلِنَا﴾ بدلاً من الضمير المجرور بإعادة الجار، أي: هما بدل من ﴿لَنَا﴾. انتهى عكبري. (آخرنا): معطوف على ما قبله، ونا: في محل جر بالإضافة. (آية): معطوف على ﴿عِيدًا﴾. ﴿مِّنكَ﴾: متعلقان بمحذوف

صفة: (آية). (ارزقنا): فعل دعاء، وفاعله مستتر فيه، ونا: مفعوله الأول، وانظر تقدير الثاني في الشرح. وهذا؛ والجمل كلها في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿الرَّازِقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية: ﴿وَأَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ أي: إجابة لطلبكم. وقرئ بتشديد الزاي، وتخفيفها، وانظر القول في الآية رقم [٢/٢٦]. ﴿اللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿عَذَابًا﴾: انظر الآية رقم [٣٧] ﴿أَحَدًا﴾: انظر الآية رقم [٢/٩٦] فإنه جيد. ﴿مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ أي: من عالم زمانهم، أو العالمين مطلقاً، فإنهم مسخوا قردة وخنازير، ولم يعذب بمثل ذلك غيرهم، وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة، وآل فرعون. انتهى خازن. وانظر شرح: ﴿الْعَالَمِينَ﴾ في سورة (الفاتحة).

تنبيه: روي: أن المائدة نزلت سفرة حمراء بين غمامتين، وهم ينظرون إليها حتى سقطت بين أيديهم، فبكى عيسى، عليه السلام، وقال: اللهم اجعلني من الشاكرين، اللهم اجعلها رحمة، ولا تجعلها مثلة، وعقوبة، ثم قام فتوضأ، وصلى، وبكى، ثم كشف الغطاء، وقال: بسم الله خير الرازقين، فإذا سمكة مشوية بلا فلوس، ولا شوك، تسيل دسماً، وعند رأسها ملح، وعند ذنبها خل، وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث، وإذا خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن، وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد، فقال شمعون رئيس الحواريين: يا روح الله، أمن طعام الدنيا، أم من طعام الآخرة هذا، قال: ليس منهما، ولكن اخترعه الله بقدرته، كلوا ما سألتم، واشكروا يمدكم الله، ويزدكم من فضله. فقالوا: يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى، فقال: يا سمكة احيي بإذن الله، فاضطربت، ثم قال لها: عودي كما كنت، فعادت مشوية.

وروي: أنهم قالوا: يا روح الله كن أول من يأكل منها، فقال: معاذ الله أن آكل منها، إنما يأكل منها من سألها، فخافوا أن يأكلوا منها، فدعا لها أهل الفاقة، والمرض، والبرص، والجذام، والمقعدين، فقال: كلوا من رزق الله، لكم الشفاء، ولغيركم البلاء، فأكلوا منها، وهم ألف وثلاثمئة رجل وامرأة، من فقير، ومريض، وزمن، ومبتلى، وصدروا عنها؛ وهم شباع، وإذا

السمكة بحالها حين أنزلت، ثم طارت المائدة صعوداً، وهم ينظرون إليها حتى توارت، ولم يأكل منها مريض، أو زمن، أو مبتلى إلا عوفي، ولا فقير إلا استغنى، وندم من لم يأكل منها. وقيل: مكثت أربعين صباحاً تنزل ضحى، وكانت تنزل غبّاً: يوماً تنزل، ويوماً لا تنزل، فأوحى الله إلى عيسى - عليه السلام -: اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الأغنياء، فعظم ذلك على الأغنياء، حتى شكوا وشككوا الناس فيها، فمسخ الله منهم ثلاثمئة وثلاثين رجلاً، باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم، ثم أصبحوا خنازير يسعون في الطرق، يأكلون العذرة من الكناسات، والحشوش، فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى عليه السلام، وبكوا، ولما أبصرت الخنازير عيسى - عليه السلام - بكت، وجعلت تطيف به، وجعل عيسى يدعوهم بأسمائهم، فيشيرون برؤوسهم، ولا يقدرون على الكلام، فعاشوا ثلاثة أيام، ثم هلكوا. انتهى بيضاوي، وخازن بتصرف.

عن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُنْزِلَتِ المائدةُ من السماءِ خبزاً، ولحماً، وأمروا ألا يخونوا، ولا يَدخروا لغدٍ، فخانوا، وادَّخروا لغدٍ، فمسخوا قردةً، وخنازيرَ**». أخرجه الترمذي. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿مُنَزِّلُهَا﴾: خبر (إنَّ)، وها: في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيۡكُمۡ﴾: متعلقان باسم الفاعل، وجملة: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَن﴾: الفاء: حرف تفريع على ما سبق. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَكۡفُرۡ﴾: فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). ﴿بَعۡدُ﴾: ظرف زمان مبني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿مِنكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل ﴿يَكۡفُرۡ﴾، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (مَنْ). ﴿فَإِنِّيٓ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إني): حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أُعَذِّبُهُۥ﴾: مضارع، ومفعوله، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق. ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أُعَذِّبُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والهاء في محل نصب مفعول مطلق؛ لأنها عائدة على المصدر. وقال أبو البقاء: وفيه على هذا أي: اعتبار الهاء عائدة على المصدر وجهان: أحدهما: أن يكون حذف حرف الجر، أي: لا أعذب به أحداً، والثاني أن يكون مفعولاً به على السعة، وانظر الشاهد رقم [٩٢٣] من كتابنا: «فتح القريب المجيب» فله شبه بالآية الكريمة. ﴿أَحَدًا﴾: مفعول به. ﴿مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أَحَدًا﴾، وجملة: ﴿لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿عَذَابًا﴾، وجملة: ﴿أُعَذِّبُهُۥ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، وجملة (إني...) إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٤٧] والجملة الاسمية: ﴿فَمَن...﴾ إلخ لا محل لها لأنها مفرعة عما قبلها.

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٢/٢٦] ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة ﴿يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: انظر الآية رقم [٣/٤٢] و[٣/٤٥]. ﴿قُلْتَ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٨]. ﴿لِلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢] ﴿دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٢/٢٣] ورقم [٢/٧]. ﴿سُبْحَـٰنَكَ﴾: ما أحراك أن تنظر في الآية رقم [٢/٣٢] ففيها الكفاية و [١٠٠] الأنعام ﴿مَا يَكُونُ لِيٓ﴾: ما ينبغي وما يحق لي. ﴿بِحَقٍّ﴾: انظر الآية رقم [٣٠]. ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: تعلم ما أخفيه في نفسي كما تعلم ما أجهر به، ولا أعلم ما تخفيه من معلوماتك، وفي قوله: ﴿نَفْسِكَ﴾ مشاكلة، وانظرها في الآية رقم [٣٠] الأنفال ورقم [٩/٦٨] وانظر شرح النفس في الآية رقم [٢/٩] و[٧/٩] ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ انظر الآية رقم [١٠٩].

تنبيه: ما في الآية الكريمة من المحاورة إنما يكون يوم القيامة، ومضمونه توبيخ النصارى على اتخاذ عيسى وأمه إلهين، وتبكيت لهم بإقراره عليه الصلاة والسلام على رؤوس الأشهاد بالعبودية، وأمره لهم بعبادة الله عز وجل، وتبرئته مما نسب إليه، والتعبير بالماضي لما مر من الدلالة على تحقق الوقوع، كما في الآية رقم [١١٣].

بعد هذا تأمل معي: أن الآيات رقم [١١٤] إلى [١١٩] قد تضمنت شيئاً قد وقع في حياة عيسى عليه السلام، وقبل رفعه إلى السماء، لذا فإني أرى: أن مضمونها معترض معنى بين مضمون الآية رقم [١١٣] وبين مضمون الآية رقم [١١٩] وما بعدها، لذا فإن قول بعض المفسرين إن ما في الآية الكريمة معطوف على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ﴾ لا وجه له، وإنما هو معطوف على الآية رقم [١١٣] وما بينهما اعتراض معنىً، وإعراباً.

تنبيه: انظر ما ذكرته في الآية رقم [٤/١٧١] وما ذكرته في الآية رقم [١٨] و[٧٣] و[٧٥] لتعرف تفسير النصارى لتأليه عيسى، وأمه، عليهما الصلاة والسلام.

تنبيه: قال أبو روق: إذا سمع عيسى ـ عليه السلام ـ هذا الخطاب، وهو قوله: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ...﴾ إلخ ارتعدت مفاصله، وانفجرت من أصل كل شعرة من جسده عين من دم، وقال مجيباً: سبحانك... إلخ. انتهى خازن. والله أعلم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾: معطوف على مثله في الآية رقم [١١٢] وهو مثله في إعرابه. ﴿ءَأَنتَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ لقوم عيسى كما رأيت (أنت): ضمير منفصل

مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿قُلْتَ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٣] والجملة الفعلية مع المقول الآتي في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول. ﴿لِلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿اتَّخِذُونِي﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، ﴿وَأُمِّيَ﴾: معطوف على ياء المتكلم منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿إِلَٰهَيْنِ﴾. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، ولا وجه له، ولو قيل: متعلقان بالفعل نفسه لكان مقبولاً، والجملة الفعلية: ﴿اتَّخِذُونِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (عيسى). ﴿سُبْحَانَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، وانظر الآية رقم [٢/٣٢] و[١٠٠] (الأنعام) والجملة الفعلية المكونة من ذلك في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لِيَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبره تقدم على اسمه، والمصدر المؤول من ﴿أَنْ أَقُولَ﴾ في محل رفع اسمه المؤخر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ﴿مَا﴾. ﴿لِي﴾: متعقلان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾. ﴿بِحَقٍّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق ﴿لِي﴾ وجوز أبو البقاء اعتبار: ﴿بِحَقٍّ﴾ متعلقين بمحذوف خبر ليس، و﴿لِي﴾ متعلقين بمحذوف حال من (حق)، كان صفة له فلما قدم عليه صار حالاً، وقيل غير ذلك، ولا اعتبار له، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع اسم ﴿لَيْسَ﴾ إليها، وجملة: ﴿مَا يَكُونُ لِيَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿قُلْتُهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والهاء عبارة عن كلام كثير، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كُنتُ قُلْتُهُ﴾لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجملة: ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها لأنها لم تحل محل المفرد، و﴿إِن﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿تَعْلَمُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِي نَفْسِي﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها. ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله، وينبغي أن تعرف: أن علم، وتعلم، وأعلم بمعنى العرفان والمعرفة، فلذا اكتفى بمفعول واحد لهن، وانظر العلم، والمعرفة في الآية رقم [٦٠] (الأنفال). والكلام كله

من تتمة مقول عيسى، عليه السلام. ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [١٠٩] وهو في المعنى تعليل، وفي الإعراب من مقول عيسى عليه السلام.

﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ...﴾ إلخ: هذا نفي لما فعله النصارى من تأليه عيسى عليه السلام، فهو يتبرأ منهم، ومما فعلوه في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وإثبات لما أمرهم به من عبادة الله وحده لا شريك له. وانظر إعلال: ﴿قُلۡتُ﴾ في الآية رقم [٨] وشرح﴿رَبِّي﴾ في الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة). ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ أي: رقيباً أمنعهم أن يقولوا ذلك أو يعتقدوه، أو مشاهداً لأحوالهم من كفر، وإيمان، ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي﴾: قبضتني بالرفع إلى السماء. والتوفي: أخذ الشيء وافياً، أي كاملاً، والموت نوع منه، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾. وانظر ما ذكرته في الآية [٣/٥٥] فإنه جيد. ﴿ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾: المراقب لأحوالهم وشؤونهم، فتمنع من أردت عصمته من الكفر بالإرشاد إلى الدلائل، والتنبيه عليها بإرسال الرسل، وإنزال الآيات. ﴿شَيۡءٖ﴾: انظر الآية رقم [١٩]. ﴿شَهِيدٌ﴾: مطلع وعالم بقولي لهم، وقولهم بعدي، وما فعلوا من تغيير وتحريف وتزييف. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿مَا﴾: نافيه. ﴿قُلۡتُ﴾: فعل وفاعل. ﴿لَهُمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿مَآ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به وهي كناية عن كلام كثير. ﴿أَمَرۡتَنِي﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والنون للوقاية. ﴿بِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء. ﴿أَنِ﴾: مفسرة. ﴿ٱعۡبُدُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبِّي﴾: صفة الله أو بدل منه منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... الخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَرَبَّكُمۡۚ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ...﴾ إلخ مفسرة لا محل لها عند الجمهور، وقال الشلوبين بحسب ما تفسره، هذا؛ وقد قال أبو البقاء: يجوز أن تكون: ﴿أَنِ﴾ مصدرية، والأمر صلة لها. وفي الموضع ثلاثة أوجه: الجر على البدل من الهاء في: ﴿بِهِۦٓ﴾ والرفع على إضمار هو، والنصب على إضمار أعني، أو بدلاً من موضع به، ولا يجوز أن تكون بمعنى أي المفسرة؛ لأن القول قد صرح به و«أن» لا تكون مع التصريح بالقول. وقال البيضاوي قريباً من هذا الكلام، والجواب أن التفسير ليس لـ﴿قُلۡتُ﴾ وإنما هو لـ﴿أَمَرۡتَنِي﴾ وهو فيه معنى القول دون حروفه. ﴿وَكُنتُ﴾: ماض ناقص، والتاء اسمه.

﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: متعلقان بـ: ﴿شَهِيدٗا﴾ الذي هو خبر، وجملة: ﴿وَكُنتُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿مَا قُلۡتُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. ﴿مَا﴾: مصدرية والزمان معها محذوف، كما ستعرفه. ﴿دُمۡتُ﴾: ماض ناقص، والتاء اسمه. ﴿فِيهِمۡۖ﴾: متعلقان بمحذوف خبر دام، وما ودام في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ظرف إليه محذوف، وهذا الظرف متعلق بـ: ﴿شَهِيدٗا﴾، وتقدير الكلام: (كنت شهيداً عليهم مدة دوامي فيهم). ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما) حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى حين عند الفارسي، وابن السراج وابن جني، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿تَوَفَّيۡتَنِي﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والنون للوقاية، والجملة لا محل لها على القول بحرفية (لما)، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على القول بظرفيتها. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص، والتاء اسمها. ﴿أَنتَ﴾: ضمير فصل لا محل له، أو هو توكيد لاسم (كان)، ﴿ٱلرَّقِيبَ﴾: خبر كان، ويقرأ بالرفع، فيكون: ﴿أَنتَ﴾ مبتدأ، والرقيب خبره، وعليه فالجملة اسمية، وهي في محل نصب خبر (كان). ﴿عَلَيۡهِمۡۚ﴾: متعلقان بالرقيب، وجملة: ﴿كُنتَ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٩] والجملة الاسمية مستأنفة، وهي في المعنى معطوفة على خبر (كان)، وعند التأمل يظهر لك: أن الكلام كله من مقول عيسى عليه السلام، الذي يقوله يوم القيامة لله، عز وجل، وهو يعلن براءته مما ألصق فيه النصارى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾

الشرح: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾ أي: إن تعذبهم فإنك تعذب عبادك، ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه. ﴿وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ...﴾ إلخ: فلا عجز ولا استقباح فإنك القادر القوي على الثواب والعقاب، الذي لا يثيب ولا يعاقب إلا عن حكمة وثواب، فإن المغفرة مستحسنة لكل مجرم، فإن عذبت؛ فعدل، وإن غفرت؛ ففضل. انتهى بيضاوي.

وأحسن منه بل وأولى بالاعتبار ما نقله النسفي عن الزجاج ـ رحم الله الجميع برحمته الواسعة، ولا ينسانا من رحمته ـ قال الزجاج: علم عيسى ـ عليه السلام ـ أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: إن تعذبهم، أي إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك الذين علمتهم جاحدين لآياتك، مكذبين لأنبيائك، وأنت العادل في ذلك، فإنهم قد كفروا بعد وجوب الحجة عليهم، وإن تغفر لهم، أي لمن أقلع منهم عن الكفر وآمن، فذلك تفضل منك، وأنت عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك، عزيز قوي، قادر على الثواب،

حكيم لا يعاقب إلا عن حكمة وصواب. انتهى بحروفه. وهذا الكلام في غاية الجودة؛ لأن الله لا يغفر الكفر قطعاً، والنصوص كثيرة في ذلك.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُعَذِّبْهُمْ﴾: فعل الشرط مجزوم، والفاعل تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، التقدير: (فلا اعتراض عليك)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾، تعليل لهذا النفي الذي رأيته، وإن ومدخولها من مقول عيسى، عليه السلام. ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، وينبغي أن تعلم: أن المفعول محذوف، التقدير: ذنوبهم، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فذلك تفضل منك، وتكرم عليهم، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ...﴾ إلخ تعليل لهذا المحذوف. وانظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١١٦]. واعتبار الجواب محذوفاً والجملتين الاسميتين تعليلاً للمحذوف، هو الذي يؤيده المعنى وإن أوهم الظاهر خلاف ذلك.

﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر القول في الآية رقم [٢/٢٦] ورقم [٤/٧] ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يَوْمُ﴾: انظر الآية رقم [٢/٤٨] ورقم [٦/١٢٨] فإنه جيد. ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: الذي صدقوا ما عاهدوا الله عليه في الدنيا، والذين صدقوا في أقوالهم وأعمالهم. وهذا الكلام إنما يكون يوم القيامة كما قدمت سابقاً، والتعبير بـ: ﴿قَالَ﴾ ذكرته في الآية رقم [١١٣]. ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: انظر الآية رقم [٨٥]. ﴿أَبَدًا﴾: هو الزمان الطويل الذي ليس له حد، فإذا قلت: لا أكلمك أبداً، فالأبد من وقت التكلم إلى آخر العمر، وهو هنا مفيد للتأبيد المفهوم من الخلود. ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾: بالسعي المشكور. ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾: بالجزاء الموفور. ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾: وصفه جل جلاله بالعظم؛ لأنه باق بخلاف الفوز في الدنيا فإنه غير باقٍ، بل هو فان.

تنبيه: تكرر رضا الله عن عباده ورضا عباده، عنه في القرآن الكريم، ويجدر بي أن أقول: إن رضا الله عن العبد موقوف على رضا العبد عن الله تعالى، فحوى هذا: أن العبد إذا رضي بكل شيء يصيبه في دنياه، من صحة أو مرض، أو غنى، أو فقر؛ فيكون راضياً عن الله تعالى، فالله يثيبه رضاه، أي رحمته، وعفوه، وجوده، وإحسانه، فعليه من أحب أن يعرف منزلته عند الله تعالى، فلينظر إلى منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله العبد من نفسه، والدواء الشافي هو الرضا بقضاء الله وقدره في كل ما يصيب المؤمن في دنياه، وخذ جرعة من هذا الدواء على لسان سيد الأنبياء: «**أُنْظرُوا إلى مَنْ هو أسفلُ منكم، ولا تنظروا إلى مَنْ هو**

فوقكُمْ، فهوَ أجدرُ أَلَّا تَزْدرُوا نِعْمَةَ اللهِ عليكُمْ». رواه مسلم وغيره عن أبي هريرة، رضي الله عنه. وانظر ما ذكرته عن أبي زيد في الآية رقم [١١٩] (التوبة) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَوْمُ﴾: خبر المبتدأ مرفوع. ﴿يَنفَعُ﴾: مضارع. ﴿ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿صِدْقُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿يَوْمُ﴾ إليها، هذا؛ وقد قرئ (يوم) بالفتح، قال البيضاوي: على أنه ظرف لـ: ﴿قَالَ﴾، وخبر ﴿هَٰذَا﴾ محذوف، أو ظرف مستقر وقع خبراً، والمعنى: هذا الذي من كلام عيسى واقع يوم ينفع. وقيل: إنه خبر، ولكن بني على الفتح لإضافته إلى الفعل. وليس بصحيح؛ لأن المضاف إليه معرب، وقال بقول البيضاوي العكبري، وزاد جواز اعتبار: ﴿هَٰذَا﴾ مفعولاً لـ﴿قَالَ﴾، وما قاله البيضاوي، والعكبري، واعتمداه إنما هو قول البصريين، وما ضعفاه إنما هو قول الكوفيين، وقد رجح ابن هشام في هذه المسألة قول الكوفيين، انظر الشاهد [٩١٦] وما قبله وما بعده من كتابنا: «فتح القريب المجيب» إعراب شواهد مغني اللبيب. ففيه الكفاية لكل ذي قلب لبيب، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا يَوْمُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية ﴿قَالَ ٱللَّهُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿جَنَّٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ في محل رفع صفة ﴿جَنَّٰتٌ﴾، ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من الضمير المجرور محلّاً باللام منصوب، وعلامة نصبه الياء. . .إلخ. وفاعله ضمير مستتر فيه. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾. ﴿أَبَدًا﴾: ظرف زمان متعلق بخالدين أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وكذلك جملة: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلْفَوْزُ﴾: خبره ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: صفة، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿لِلَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: جمع: سماء. انظر الآية رقم [٦/١]. ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩]. فقد عظم الله نفسه في هذه الآية الكريمة، ونبه بها على كذب النصارى، وفساد دعواهم في المسيح وأمه، وبأنه تعالى مالك لكل ما في السموات والأرض، ومن جملته عيسى وأمه، وقد أدخلهما في سلك الأشياء التي لا قدرة لها على شيء أصلاً، وهذا مفاد من التعبير بـ: ﴿مَا﴾ التي هي لغير العقلاء، دون (مَنْ) التي هي للعقلاء، فغلب سبحانه غير العقلاء على العقلاء لهذه الغاية، وانظر الآية رقم [٧٩] وأيضاً الآية رقم [٣] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع معطوف على: ﴿مُلْكُ﴾. ﴿فِيهِنَّ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والنون حرف دال على جماعة الإناث. ﴿وَهُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾: متعلقان بقدير بعدهما، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿قَدِيرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

انتهى تفسير وإعراب سورة المائدة بمنه تعالى وكرمه، فأسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحب ويرضى وأن يجعلنا من الفائزين بجنانه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فائدة: حيث وقعت (ما) قبل (ليس) أو (لم) أو (لا) أو بعد (إلا) فهي موصولة، نحو ﴿مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ (ما لم تعلم) ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾. وحيث وقعت بعد كاف التشبيه فهي مصدرية، وحيث وقعت بعد الباء، فإنها تحتملهما، نحو ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ﴾ وحيث وقعت بين فعلين، سبقهما علم، أو دراية، أو نظر احتملت الموصولة، والاستفهامية، نحو ﴿مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ﴿وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ وحيث وقعت في القرآن قبل إلا فهي نافية إلا في ثلاثة عشر موضعاً: ﴿مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ﴾ ﴿مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى﴾ ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ إلا موضعين هما في قوله تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فهي فيهما مصدرية. ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ حيث كان قاله في الإتقان انتهى. كرخي نقله الجمل.

أقول: اعتبار هذا ضابطاً يجب اتباعه غير مسلم؛ لأن بعض الآيات التي ذكرها، واعتبر فيها ﴿مَا﴾ موصولة فقط تحتمل الموصولة، والموصوفة، ولأن بعضها تحتمل فيه ﴿مَا﴾ الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، والحق: أن مدار ذلك على المعنى، وهذا ما اتبعته فيما تقدم من الإعراب، ولا أتخلى عنه فيما يأتي. والله الموفق، والمعين، وبه أستعين.

سورة الأنعام

وهي مكية ما عدا ست آيات منها فإنها مدنية، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ...﴾ إلخ الثلاث آيات المتضمنة عشر وصايا، والآيات الثلاث: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾ إلخ إلى قوله ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾. وقد نزلت جملة واحدة غير الآيات المشار إليها، نزلت ليلاً، فدعا رسول الله ﷺ الكتاب، فكتبوها من ليلتهم. وآياتها مئة وخمس وستون، أو أربع وستون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)﴾

الشرح: انظر البسملة والكلام عليها في أول سورة الفاتحة. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: لا أتكلم على هذين اللفظين بأكثر مما ذكرته في أول سورة الفاتحة. ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾: خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد، وجمع السموات دون الأرض، وهي مثلهن لأن طبقاتها مختلفة بالذات، متفاوتة بالصفات، والآثار، والحركات، وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها، ولأنها متعبد الملائكة، ولم يقع فيها معصية، و(جعل) هنا بمعنى: خلق وأنشأ.

قال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ الفرق بين ﴿خَلَقَ﴾ و﴿جَعَلَ﴾ الذي له مفعول واحد أن الخلق فيه معنى التقدير، والجعل فيه معنى التضمين، ولذلك عبر عن إحداث النور والظلمات بالجعل تنبيهاً على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت المجوس، وجمع الظلمة لأنها متعددة، وتختلف باختلاف الشيء الذي تكون فيه، مثل ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة الموضع المظلم، فإن كل واحد منها يخالف صاحبه، ووحد (النور) لأنه نوع واحد لا يختلف، وقدم ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ لأنها مخلوقة قبل النور.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَه في ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَلْقَى عليهم مِنْ نورِهِ، فمن أصابَهُ ذلك النورُ اهتدى، ومَنْ أخطأه ضلَّ». ذكره البغوي. هذا؛ وانظر تفسيراً آخر للظلمات والنور في الآية رقم [١٨] (المائدة). ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٤٦] (المائدة). ﴿كَفَرُوا﴾: انظر الآية رقم [٣٩] منها. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: انظر سورة الفاتحة.

﴿يَعۡدِلُونَ﴾: يعرضون عن عبادة الله تعالى، أو يسوون الأصنام بربهم، والشرح الوافي لذلك انظره في الآية رقم [١٣٥] النساء ففيه الكفاية، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الاسمية ابتدائية لا محل لها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة (الله)، أو هو بدل منه. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾: معطوف عليه، وجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وإعراب: ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ﴾ مثلها، وهي معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَفَرُواْ﴾ صلته. ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو بالفعل بعدهما على حسب ما رأيت في المعنى، وجملة: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية السابقة لا محل لها مثلها، وقيل: يجوز عطفها على جملة: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ ولم يظهر لي صحة جوازه.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾: وقال سبحانه في غير هذه الآية: ﴿خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ والمعنى: ابتدأ خلقكم منه، فإنه المادة الأولى، وإن آدم الذي هو أصل البشر خلق منه. أو المعنى: خلق أباكم، فحذف المضاف. هذا قول المفسرين.

أقول: وعليه فخلقنا من طين أو تراب هو خلق غير مباشر، وهناك خلق مباشر، يدركه كل إنسان، وذلك بالرجوع إلى مبدأ خلقه، فلا ريب أن المادة التي يبدأ خلق الإنسان منها مستمدة من دمه، ودمه مستمد من الغذاء، والشراب، ومصدر هذين إنما هو من الأرض التي ينبت فيها الغذاء على جميع أنواعه، والشراب على اختلاف أجناسه. احفظ هذا؛ وافهمه فإنه جيد، وتوسع في تحليله، والكلام عليه إن أردت. ﴿قَضَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١١٧] (البقرة) فالكلام على هذا اللفظ طويل هناك، ومعناه هنا: كتب، وقدر.

وقد اختلف في تفسير الأجلين المذكورين هنا على أقوال: فقيل: أجل الموت، وأجل القيامة، وقيل، الأول ما بين خلق الإنسان وموته، الثاني ما بين موته وبعثه للحساب، وقيل: الأول: النوم، والثاني: الموت، وقيل: الأول لمن مضى، والثاني لمن بقي ولمن يأتي، أو الثاني هو الأول، وتقديره: وهو أجل مسمى؛ أي: معلوم، ومثبت معين. ﴿عِندَهُۥ﴾: في علمه وتقديره الأزلي. والإضافة إضافة تشريف، وقل مثله في كل إضافة لله جل علاه، وتقدست أسماؤه. وانظر إعلال مثل: ﴿مُّسَمًّى﴾ في الآية رقم [٩١]. ﴿تَمۡتَرُونَ﴾: تشكون، من: المرية، أو من المراء، وهو

المجادلة، وأفادت ﴿ثُمَّ﴾ معنى استبعاد ذلك منهم بعد أن ثبت أنه سبحانه خالقهم، وخالق أصولهم، ومحييهم، ومميتهم، وباعثهم ليوم لا ريب فيه، فإن من قدر على خلق المواد وجمعها وإبداع الحياة فيها وإبقائها؛ كان أقدر على جمع تلك المواد وإحيائها ثانياً، فالآية الأولى دليل التوحيد، والثانية دليل البعث للحساب والجزاء. انتهى. بيضاوي، وغيره بتصرف.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره، وجملة: ﴿خَلَقَكُم﴾صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِّن طِينٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال، وذلك على تقدير المضاف الذي رأيته في الشرح، أي: كائناً من طين، وجملة: ﴿قَضَىٰ أَجَلًا﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿وَأَجَلٌ﴾: مبتدأ. ﴿مُّسَمًّى﴾: صفته مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، وهذه الصفة هي التي جوزت الابتداء بالنكرة. هذا؛ وجوز اعتبار (أَجَلٌ) خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: وهو (أجل)، ﴿عِندَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ على الأول، ومتعلق بـ: ﴿مُّسَمًّى﴾ على الاعتبار الثاني، والجملة الاسمية معطوفة على الوجهين على الجملة الاسمية السابقة لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿تَمْتَرُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

الشرح: ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [١]. ﴿سِرَّكُمْ﴾ أي: ما تسرون وتخفون من أعمال، أو ما تضمرونه في قلوبكم. ﴿وَجَهْرَكُمْ﴾ أي: ما تجهرون به وتظهرونه للناس من أعمال. ﴿مَا تَكْسِبُونَ﴾: من خير أو شر، فيثيب على الخير، ويعاقب على الشر.

قال البيضاوي: ولعله أريد بالسر والجهر ما يخفى، وما يظهر من أحوال الأنفس، وبالمكتسب أعمال الجوارح، ولا تنس: أن ﴿يَعْلَمُ﴾ بمعنى يعرف فلذا اكتفى بمفعول واحد. وانظر العلم والمعرفة في الآية رقم [٦١] (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بلفظ الجلالة بتأويله بمشتق، أي: المعبود، أو المستحق للعبادة، وقيل: متعلقان بالفعل بعدهما، والأول أرجح عندي، والجملة الفعلية: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾: في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، ويجوز اعتبارها في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، وقيل: هي مستأنفة. ولا وجه له، وجملة: ﴿يَعْلَمُ...﴾ إلخ

معطوفة على ما قبلها على جميع الاعتبارات فيها، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تكسبونه، وعلى الثالث تؤول مع الفعل بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم كسبكم.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾

الشرح: ﴿تَأْتِيهِم﴾: «أتى» يستعمل لازماً، إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾. ومن الثاني ما في الآية الكريمة، ومثلها كثير. ﴿ءَايَةٍ﴾: تطلق على معان كثيرة، منها الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وتطلق على المعجزة، مثل انشقاق القمر ونحوه، وتطلق على الموعظة، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ كما تطلق على جملتين أو أكثر من كلام الله تعالى، والكل هنا محتمل. ﴿رَبِّهِمْ﴾: انظر سورة (الفاتحة). ﴿مُعْرِضِينَ﴾: مهملين للنظر في تلك الآيات لا يلتفتون إليها لقلة خوفهم من الله، ولقلة فهمهم وإدراكهم. والمراد بالضمائر المتصلة أهل مكة.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿تَأْتِيهِم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء: في محل نصب مفعول به. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿ءَايَةٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنْ ءَايَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ءَايَةٍ﴾، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، وانظر إعراب آمنوا في الآية رقم [١] المائدة والألف للتفريق. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدها. ﴿مُعْرِضِينَ﴾: خبر: ﴿كَانُوا۟﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال. وصاحب الحال هو الضمير المنصوب محلاً، وقيل ﴿مِّنْ ءَايَةٍ﴾، وساغ ذلك لتخصصها بالوصف، وعلى الاعتبارين فالرابط الضمير فقط.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: كذب كفار قريش بالحق، وهو القرآن المنزل من عند الله لما جاءهم به محمد ﷺ، وهو أعظم آية، وقد تحداهم الله به فعجزوا عن معارضته، وإذا كانوا قد كذبوا به؛ فلم لا يكذبون غيره من آيات؟! وانظر شرح: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في الآية رقم [٢٧/٥]،

﴿جَآءَهُم﴾: جاء: يستعمل لازماً، إن كان بمعنى حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى وصل، وبلغ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ ومن الثاني الآية الكريمة، ومثلها كثير. ﴿يَأۡتِيهِمۡ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾: انظر الآية رقم [١٤/٥]، ومعنى ﴿فَسَوۡفَ...﴾ إلخ أي: سيظهر لهم عاقبة استهزائهم عند نزول العذاب بهم يوم القيامة، أو حين يعلو شأن الإسلام وتنزل بهم الذلة والمهانة. وقد حقق الله وعده، ونصر عبده، وأعز جنده.

الإعراب: ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: حرف استئناف. قد: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/٥]، ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَمَّا﴾: ظرف بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وجملة: ﴿جَآءَهُمۡ﴾: في محل جر بإضافة: ﴿لَمَّا﴾ إليها. والجملة الفعلية: ﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وقال السفاقسي وغيره: معطوفة على ما قبلها، وقول الزمخشري: الجملة جواب شرط مقدر، أي: إن كانوا معرضين عن الآيات؛ فلا تعجب، فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها. ففيه تكلف لا يخفى. انتهى جمل بتصرف. ﴿فَسَوۡفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال. ﴿يَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾: مضارع ومفعوله وفاعله، وانظر الآية السابقة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، و﴿أَنۢبَٰٓؤُاْ﴾: مضاف، و﴿مَا﴾: مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وهي موصولة، أو موصوفة. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، وجملة: ﴿بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾: في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كَانُواْ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، ولا يصح اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية لعود الضمير عليها وهي حرف، وجوز ابن عطية اعتبارها مصدرية. وعليه فالضمير يعود على (الحق) وعند الأخفش يعود إليها الضمير؛ لأنها عنده اسم. انتهى جمل بتصرف.

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾

الشرح: ﴿يَرَوۡاْ﴾: ينظروا، وهو معلق عن العمل بما بعده، وإعلاله مثل إعلال: ﴿عَصَواْ﴾ في الآية رقم [٧٨/٥]، ﴿قَرۡنٖ﴾: بفتح القاف وسكون الراء، مئة سنة على الصحيح، وقيل: ثمانون، وقيل: ثلاثون، ويقال: القرن في الناس: أهل زمان واحد، وهو المراد في الآية الكريمة، وقال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ الْقُرونِ قَرْني... إلخ**». ومنه قول الشاعر: [الطويل]

إذا ذهب القَرْنُ الذي أنت فيهمو وخُلِّفْتَ في قَرْنٍ فأنتَ غريبُ

وخذ قول لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ: [الطويل]

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَنْفَعْكَ عِلْمُكَ فَانْتَسِبْ لَعَلَّكَ تَهْدِيكَ الْقُرُون الْأَوائِلُ

والقرن بفتح القاف أيضاً: الزيادة العظمية التي تنبت في رؤوس بعض الحيوانات، والقرن الجبل الصغير، وذؤابة المرأة من الشعر، والقرن من القوم: سيدهم، ومن السيف حده، ونصله، وجمعه في كل ما تقدم: قرون، هذا؛ وهو بكسر القاف وسكون الراء: الكفؤ في الشجاعة والعلم وغيرهما، والجمع على هذا: أقران. ﴿مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: جعلنا لهم فيها مكاناً يستقرون فيه. أو أعطيناهم من القوى والآلات ما تمكنوا فيه من أنواع التصرف فيها، والمراد: قوم عاد، وثمود، وفرعون، وغيرهم. ﴿مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ﴾: الخطاب لأهل مكة، والمراد: ما لم نجعل لكم ما جعلنا لهم من قوة وطول. ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾: المطر، وأطلق المطر على السماء لنزوله منها. ﴿مِّدْرَارًا﴾: غزيراً كثيراً. ﴿ٱلْأَنْهَـٰرَ﴾: انظر الآية رقم [٥/٨٥]، والمراد بيان ما كان فيه أولئك الأقوام من خير ونعمة ورخاء. و﴿وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ...﴾ إلخ: خلقنا وأحدثنا من بعدهم ناساً غيرهم. والمعنى: كما أهلك الله من قبلكم، وأحدث غيرهم كذلك قادر الله على إهلاككم، وخلق غيركم. ففيه تهديد ووعيد لا يخفيان، هذا؛ و«مكّن» يتعدى بنفسه وبحرف الجر كما رأيته في الآية، مثل: نصحته، ونصحت له.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات إلى الخطاب في: ﴿لَكُمْ﴾ الذي هو خطاب لأهل مكة عن الغيبة التي يقتضيها السياق في قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾: فلو قال: ما لم نمكن لهم؛ لكان جارياً على الظاهر. هذا؛ والالتفات يكون أيضاً من الخطاب إلى الغيبة، وعنهما إلى التكلم، وبالعكس، ومن المفرد إلى الجمع، وبالعكس، كما سأنبه عليه في محاله إن شاء الله تعالى، وله فوائد كثيرة، منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الضجر والملال لما جبلت عليه النفوس من حب التنقلات، والسآمة من الاستمرار على منوال واحد. هذه فائدته العامة، ويختص كل موقع بنكت ولطائف باختلاف محله كما هو مقرر في علم البديع، ووجهه: حث السامع، وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه، وأعطاه فضل عنايته، وخصصه بالمواجهة. انتهى جمل نقلاً من كرخي.

الإعراب: ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَرَوْا﴾: مضارع مجزوم بلم، وعلامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿كَمْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب مفعول به مقدم، وقال الجلال: خبرية بمعنى: كثيراً، وجوز أبو البقاء اعتبارها ظرفاً لما بعدها، كما جوز اعتبارها مصدراً، أي: فهي مفعول مطلق، والمعتمد الأول، ثم الثاني. ﴿أَهْلَكْنَا﴾: فعل وفاعل، ﴿مِن قَبْلِهِم﴾: متعلقان بالفعل (قبلهما)، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرْنٍ﴾: تمييز: ﴿كَمْ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر

الزائد. ﴿مَكَّنَّهُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعول، أو مفعولي الفعل: ﴿يَرَوْا﴾، والجملة الفعلية هذه مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لمصدر محذوف، التقدير: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ التمكين الذي لم نمكن لكم، أو في محل نصب مفعول به ثان على تضمين الفعل معنى: أعطيناكم، والعائد على الوجهين محذوف، أو هي نكرة موصوفة في محل نصب مفعول به ثان، والرابط محذوف أيضاً، التقدير: ما لم نمكنه لكم، وجوز أبو البقاء اعتبارها أيضاً مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلقة بما قبلها. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿نُمَكِّن﴾: مضارع مجزوم بلم. والفاعل مستتر تقديره: «نحن» والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾ أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف على نحو ما رأيت. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم﴾: معطوفة على جملة: ﴿مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ فهي في محل جر صفة مثلها. ﴿مِدْرَارًا﴾: حال من السماء. وجملة: ﴿وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ﴾ معطوفة أيضاً عليها. ﴿تَجْرِي﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. والفاعل يعود إلى: ﴿الْأَنْهَارَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿الْأَنْهَارَ﴾ على اعتبار (جعلنا) متعدياً لمفعول واحد، أو هي في محل نصب مفعول به ثان على اعتباره متعدياً لمفعولين. ﴿مِن تَحْتِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، وجملة: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: معطوفة على جملة: ﴿قَرْنٍ مَكَّنَّهُمْ...﴾ إلخ فهي في محل جر صفة مثلها، وجملة: ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا﴾: معطوفة أيضاً. ﴿آخَرِينَ﴾: صفة ﴿قَرْنًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وانظر ما ذكرته في التعبير بـ (نا) في الآية رقم [٧/٥] وانظر إعراب: ﴿جَاءَهُم﴾ في الآية رقم [٥] فإن ما في الآية ينطبق عليه.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾

الشرح: ﴿نَزَّلْنَا﴾: انظر الآية رقم [٤٩/٥]، ﴿عَلَيْكَ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ أي: كتاباً مكتوباً في ورق، وانظر شرح الكتاب في الآية رقم [١] (الأعراف)، ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾: مسوه، وإنما قال: لمسوه، ولم يقل: عاينوه؛ لأن اللمس أبلغ من المعاينة؛ لأن المرئيات قد يدخلها التخيلات كالسحر ونحوه، بخلاف الممسوس، فلا يمكنهم أن يقولوا: إنما سكرت أبصارنا، وانظر شرح (يد) في الآية رقم [١١/٥] قال: انظر القول في الآية رقم [٧/٤] ﴿كَفَرُوا﴾: انظر الآية رقم [٣٦/٥] ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: انظر الآية رقم [١١٠/٥].

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في النضر بن الحارث، وعبد الله بن أمية، ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه: أنه من عند الله، وأنك رسوله، وقد ذكر الله ذلك عنهم في سورة (الإسراء) رقم [٩٠] وما بعدها، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَزَّلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿كِتَابًا﴾: مفعول به. ﴿فِي قِرْطَاسٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿كِتَابًا﴾. والجملة الفعلية: ﴿نَزَّلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَمَسُوهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿نَزَّلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَقَالَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). ﴿لَقَالَ الَّذِينَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مع المقول جواب (لو) لا محل لها. ﴿كَفَرُوا﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥/١١٠] وهي في محل نصب مقول القول.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا﴾: انظر الآية رقم [٧/٤] أو [٢/٢٦]. ﴿لَوْلَا﴾: هلا. ﴿عَلَيْهِ﴾: على محمد ﷺ. ﴿مَلَكٌ﴾: من ملائكة السماء، يشهد له أنه نبي. ﴿لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي: لحق إهلاكهم لأن سنة الله جرت بذلك فيمن قبلهم. ﴿ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾: لا يمهلون بعد نزول الملك طرفة عين، بل يعجل لهم العذاب، وقد ذكر الله عنهم ذلك في سورة (الإسراء) وسورة (الفرقان) وانظر ﴿قُضِيَ﴾ في الآية رقم [١١٧] (البقرة) و[٤٥] (الأنفال) فإنه جيد. وانظر ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣] الأعراف ورقم [٤٣] (المائدة).

الإعراب: ﴿وَقَالُوا﴾: (الواو): حرف عطف. (قالوا): فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَلَكٌ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية: ﴿لَوْلَا أُنزِلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. والجملة الفعلية: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿مَلَكًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أَنزَلْنَا...﴾ إلخ لا محل لها على نحو ما رأيت. ﴿لَقُضِيَ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (قضي الأمر): ماض مبني للمجهول ونائب فاعل، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُنظَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ. والواو نائب فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له على الوجهين.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ...﴾ إلخ: أي: ولو جعلنا الرسول ملكاً كما اقترحوا؛ لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك، وتارة يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم. ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة. ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ أي: لو أرسلنا إليهم ملكاً؛ لجعلناه في صورة رجل، وذلك لأن البشر لا يستطيعون أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنسان، كما جاء جبريل إلى النبي ﷺ في صورة دحية الكلبي، وكما جاء الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين، وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم، ولوط عليهما الصلاة والسلام، ولما رأى النبي ﷺ جبريل في صورته التي خلق عليها؛ صعق لذلك، وغشي عليه. ﴿وَلَلَبَسْنَا...﴾ إلخ: هذا جواب لـ (لو) محذوفة كما ستعرفه في الإعراب. والمعنى: لو جعلنا الملك المنزل عليهم رجلاً؛ لاشتبه الأمر عليهم، واختلط أيضاً حيث يقولون له: إنما أنت بشر مثلنا، ولست بملك، ولست برسول، ولو استدل على ملكيته بالقرآن المعجز؛ لكذبوه كما كذبوا محمداً، عليه الصلاة والسلام، ففيه تأكيد لاستحالة جعل الرسول ملكاً. هذا؛ ويقرأ (لبسنا) بدون لام، كما يقرأ بالتشديد، وانظر الآية رقم [١٣٧] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف عطف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿مَلَكًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية لا محل لها على نحو ما رأيت في الآية السابقة، وجملة: ﴿لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾: جواب لو لا محل لها، ولو ومدخولها معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿وَلَلَبَسْنَا﴾: الواو: حرف عطف، وجملة: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم﴾: جواب (لو) محذوفة انظر التقدير في الشرح. و(لو) المقدرة، ومدخولها معطوف على ما قبله لا محل له أيضاً. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يلبسونه، وعلى اعتبار: ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: لبسهم.

﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝١٠﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾: فيه تعزية، وتسلية للرسول ﷺ عما كان من تكذيب المشركين له، واستهزائهم به، فقد جعل الله أسوة له في ذلك الأنبياء والمرسلين الذين كانوا قبله، وتلك سنة متبعة في الأولين، والأخرين، حيث لم يقم داع يدعو إلى الإصلاح

والخير، إلا وقوبل بالاستهزاء والسخرية. ﴿فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ﴾ أي: فنزل بالأقوام المستهزئين بالرسل العذاب المهين والعقاب الشديد، وفي هذه الآية تحذير للمشركين من أهل مكة أن يفعلوا بنبيهم كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم، فينزل بهم مثل ما نزل بهم، هذا؛ و(رسل) جمع: رسول، وانظر: (سبل) في الآية رقم [١٦] (المائدة) تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَلَقَدِ﴾: الواو: حرف قسم وجر. والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم المقدر. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتُهْزِئَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿بِرُسُلٍ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (رسل) والكاف في محل جر بالإضافة: وجملة (لقد... إلخ) جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له من الإعراب. (حاق): ماض. ﴿بِٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿سَخِرُواْ﴾صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ انظر إعراب هذه الكلام في الآية رقم [٥] مع ملاحظة: أنَّ ﴿مَّا﴾ وقعت هناك في محل جر بالإضافة، وهنا وقعت في محل رفع فاعل، وهي في الأصل في محل جر بالإضافة، فإن الأصل. حاق عقاب ما كانوا... إلخ فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وجميع الاعتبارات هناك معتبرة هنا.

﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا أمر موجه للنبي ﷺ ليرشد قومه بالسير في الأرض، والنظر بما فعل الله بالأقوام الذين كذبوا رسلهم حيث أهلكهم بسبب ذلك. وفيه تهديد ووعيد لا يخفيان لأهل مكة، ولكل المكذبين. وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٤٣] (المائدة).

هذا؛ وقد قال تعالى في الآية رقم [٣/١٣٧]. ﴿ٱنظُرُواْ﴾. وقال هنا: ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾، والفرق بينهما: أن النظر جعل هناك مسبباً عن السير، فكأنه قيل: ﴿سِيرُواْ﴾ لأجل النظر، ولا تسيروا سير الغافلين، ومعنى السير هنا إباحة السير في الأرض للتجارة، وغيرها، وإيجاب النظر في آثار الهالكين، ونبه على ذلك بـ: ﴿ثُمَّ﴾ التي هي للتراخي لتباعد ما بين الواجب والمباح. انتهى نسفي بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿سِيرُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُواْ﴾ في الآية رقم [١] المائدة. والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱنظُرُواْ﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها فهي

في محل نصب مقول القول. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر كان تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسمها مرفوع، وهو مضاف، والمكذبين مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ: في محل نصب مفعول به للفعل قبلها، المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: انظر القول في الآية رقم [٢٦] أو [٧/٤]. ﴿مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: ﴿مَّا﴾: أطلقت على جميع الموجودات في السموات والأرض من الملك والمخلوقات العاقلة وغيرها، والأصل فيها أن تطلق على غير العاقل، وقد غلب غير العاقل على العاقل، وهو مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، وقد يغلب العاقل على غيره، وذلك باستعمال: (مَنْ) مكان: ﴿مَّا﴾ وهو موجود أيضاً ومستعمل في القرآن، وانظر ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وشرحهما في الآية رقم [١]. والمراد بالاستفهام هنا: التوبيخ والتبكيت. ﴿قُل لِّلَّهِ﴾: هذا تقرير لهم، وتنبيه على أنه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يتأتى لأحد أن يجيب بغيره كما نطق به قوله سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾. انتهى جمل نقلاً من أبي السعود. ﴿لِلَّهِ﴾: انظر شرحه في الاستعاذة. ﴿كَتَبَ﴾: هو في الأصل بمعنى: أوجب، وفرض، ولكن يجب تفسيره هنا بـ «وعد» لأنه لا يجب على الله شيء، وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٧/٩] وسأتكلم عن ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ في الآية رقم [٧/١٥٥] إن شاء الله تعالى. ﴿يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم للحساب والجزاء، وأصل القيامة: القوامة؛ لأنها من: قام، يقوم. قلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة. وانظر شرح (اليوم) في الآية رقم [١٢٨]. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: لا شك في وجوده وإتيانه. وانظر الآية رقم [٢/٢] تجد ما يسرك. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: بتعريضها للعذاب الأبدي، وتضييع رأس مالهم الحقيقي، وهو الفطرة الأصلية والعقل السليم، والتفكير القويم، وأي خسران أعظم من خسارة الجنة، والحرمان من نعيمها الذي لا ينقطع؟! وانظر الآية رقم [٥/٥] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِّمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة

لا محل لها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هو الله، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُل لِلَّهِ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿كَتَبَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الله. ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَتَبَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (يجمعنكم): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٨٧/ ٤] وانظر إعراب شبيهتها في الآية رقم [١٠٩/ ٥] والجملة الفعلية: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، والقسم المحذوف وجوابه كلام مستأنف لا محل له. وقيل: الجملة الفعلية جواب ﴿كَتَبَ﴾ لما تضمنه من معنى القسم، وعلى هذا فلا يوقف على قوله: ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ وهو ضعيف، وأضعف منه ما قاله الزجاج من أن الجملة في محل نصب بدلاً من الرحمة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ، وساغ وقوعها هنا لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ الاسمية: (هم...) إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، هذا؛ وقد قيل: إن الذين منصوب على الذم بفعل محذوف، كما قيل: أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: أنتم الذين، وهذان القولان ضعيفان، وأضعف منهما قول الأخفش: ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ بدل من الضمير المنصوب في: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾.

﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَهُۥ﴾: ولله. ﴿مَا سَكَنَ﴾: من السكنى حيث يتناول الساكن والمتحرك، أو من السكون، وهو الهدوء، والاستقرار، ومعناه: ما سكن، وتحرك، فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر. ﴿ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: انظر شرحهما في الآية رقم [٩٦] الآتية فإنه جيد. ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾: صيغتا مبالغة، فهو سبحانه يسمع كل مسموع، ويعلم كل معلوم، فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الليل والنهار، وانظر شرح: ﴿مَا﴾ في الآية السابقة، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَهُۥ﴾: الواو: حرف عطف. (له): متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها،

والجملة الاسمية: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُل لِّلَّهِ﴾ فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ معطوفة عليها، واستئنافها ممكن.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا أمر موجه للنبي ﷺ لينكر اتخاذ غير الله معبوداً، فإن المراد بـ: ﴿وَلِيًّا﴾ هنا: إلهاً، علماً بأن الولي يطلق على المعين والنصير والمساعد، ومتولي الأمور ومدبرها. وانظر الآية رقم [٨٩/ ٤] ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [١]. ومعنى ﴿فَاطِرِ﴾: خالق ومبدع، ومبتدئ.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما عرفت معنى: ﴿فَاطِرِ﴾ حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي: ابتدأتها. وقرئ (فطر) و(فاطر) بالجر والنصب والرفع. ﴿يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾: يرزق ولا يرزق. من: أطعم الرباعي، وقرئ الثاني بفتح الياء من الثلاثي، والمعنى: هو المانح جميع النعم للعباد، وهو غير محتاج إلى شيء من ذلك. ﴿قُلْ﴾: انظر القول في الآية رقم [٤/ ٧] أو [٢٦/ ٢]. ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾: فلا ريب أن النبي ﷺ أول سابق إلى الدين والإيمان من أمته. ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ﴾، ولو عطف على ما قبله لفظاً، لقيل، وأن لا أكون. . . إلخ، والمعنى: أمرت بالإسلام، ونهيت عن الشرك. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿أَوَّلَ﴾: انظر الآية رقم [٤١/ ٢] أو [١٤٣/ ٧].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار. (غير): مفعول أول قدم على فعله، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَتَّخِذُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿وَلِيًّا﴾: مفعول به ثان، قال أبو البقاء: ويجوز أن يكون ﴿أَتَّخِذُ﴾ متعدياً إلى واحد، وهو ولي، و(غير الله) صفة له، قدمت عليه فصارت حالاً. وهو تكلف لا خفاء فيه، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَاطِرِ﴾: بالجر صفة لفظ الجلالة، أو بدل منه، وبالنصب على تقدير فعل محذوف، وبالرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو (فاطر)، والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال من لفظ الجلالة، وكذلك الجملة الفعلية على تقدير فعل، والجملة الفعلية على قراءة (فطر) ولكنها تحتاج إلى تقدير (قد) قبلها، فكلتاهما في محل نصب حال من لفظ الجلالة. و﴿فَاطِرِ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه تقديره هو. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله على لفظه. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿يُطْعِمُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ ومفعوله

محذوف للتعميم. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو والضمير. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُطْعَمُ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى الله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أُمِرْتُ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، وتاء الفاعل نائب فاعله. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿أَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ (أن)، واسمه مستتر تقديره: «أنا». ﴿أَوَّلَ﴾: خبره، و﴿أَوَّلَ﴾: مضاف، و﴿مَنْ﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَسْلَمَ﴾ صلة: ﴿مَنْ﴾ أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها، و﴿أَنْ﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بكوني أول فريق أسلم. والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وأفرد ضمير ﴿أَسْلَمَ﴾ لتأويل ﴿مَنْ﴾ بما رأيت، وجملة: ﴿أُمِرْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) وجملة: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له. وهو في محل جزم بلا الناهية، واسمه ضمير مستتر فيه تقديره: «أنت». ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (تكون)، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: وقيل لي: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ وهذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿أُمِرْتُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، وجوز البيضاوي العطف على قوله: ﴿قُلْ﴾ والأول أولى بالاعتبار. وفي ظاهر الكلام التفات من التكلم إلى الخطاب، انظر الآية رقم [٦]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ...﴾ إلخ: هذا الكلام جواب ثالث، ومبالغة في قطع أطماع المشركين في أن يترك الرسول ﷺ دعوته، وتعريض لهم بأنهم عصاة مستوجبون للعذاب الأليم. وانظر القول في الآية رقم [٢/٢٦] أو [٧/٤] وانظر الخوف، والتخويف في الآية رقم [٢/١٥٥]. ﴿عَذَابَ﴾: انظر الآية رقم [٥/٣٦]. ﴿يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: المراد به: يوم القيامة الذي شرحته لك في الآية رقم [١٢] وانظر شرح ﴿يَوْمٍ﴾ في الآية رقم [١٢٨] الآتية. ﴿رَبِّي﴾: انظر سورة الفاتحة رقم [١] أو الآية رقم [٢] (الأعراف).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنِّي أَخَافُ﴾: هذا يشبه: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ﴾، ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عَصَيْتُ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل

الشرط، والتاء فاعله. ﴿رَبِّي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿عَصَيْتُ رَبِّي﴾: لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله، و﴿إِنْ﴾ ومدخولها كلام معترض بين الفعل ﴿أَخَافُ﴾ ومفعوله، وهو: ﴿عَذَابَ﴾، و﴿عَذَابَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة ﴿يَوْمٍ﴾، وجملة: ﴿إِنِّي أُمِرْتُ﴾: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ﴾ أي: يصرف العذاب عنه، ويقرأ بالبناء للمعلوم: (يَصْرِفْ): فيكون الفاعل ضميراً يعود، إلى (الله) وقد قرئ بإظهاره، والمفعول به محذوف. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: تنوين (إذٍ) عوض عن جملة محذوفة، تضاف (إذ) إليها في الأصل، فإن الأصل: «يوم إذ يجيء العذاب» فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت (إذ) لالتقاء الساكنين كما كسرت: (صهٍ) و(مهٍ) عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في: (حينئذ، وساعتئذ، ونحوهما). ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾: نجاه من العذاب وتكرم عليه. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى الصرف، أو إلى الرحمة، أو إلى كليهما. ﴿ٱلْمُبِينُ﴾: اسم فاعل من أبان الرباعي: أصله: مُبْيِن، بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ولا تنسَ: أن اسم الفاعل من بان الثلاثي بائن، أصله: باين، وإعلاله مثل إعلال: (قائم) في الآية رقم [١٨] (آل عمران).

الإعراب: ﴿مَّن﴾ اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُصْرَفْ﴾: مضارع مبني للمجهول، فعل الشرط مجزوم، ونائب فاعله ضمير مستتر تقديره «هو» يعود إلى ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الآية السابقة، وانظر الشرح، وعلى قراءة البناء للفاعل فالفاعل يعود إلى ربي في الآية السابقة، تقديره: هو، ومفعوله محذوف، تقديره: العذاب. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وانظر ما ذكرته في الشرح. هذا؛ وقد ذكر أبو البقاء أوجهاً أخر في الإعراب فيها تكلف وتعسف. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿رَحِمَهُۥ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والهاء مفعول به، وجملة: ﴿فَقَدْ رَحِمَهُۥ﴾ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو ﴿مَّن﴾ مختلف فيه، فقيل: هو جملة جواب الشرط، وقيل: هو جملة فعل الشرط، وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية:

﴿مَّن يُصۡرَفۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (ذلك): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلۡفَوۡزُ﴾: خبره. ﴿ٱلۡمُبِينُ﴾: صفته، والجملة الاسمية (ذلك...) إلخ معطوفة على ما قبلها، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٧﴾

الشرح: ﴿يَمۡسَسۡكَ﴾: يصبك. وانظر (لمس، ومس) في الآية رقم [٧]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿بِضُرّٖ﴾: فقر ومرض ونحوهما. ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾: فلا يقدر على كشفه إلا الله تعالى. ﴿بِخَيۡرٖ﴾: صحة وغنى ونحوهما. ﴿شَيۡءٖ﴾: انظر الآية رقم [١٩/٥]، ﴿قَدِيرٞ﴾: مقتدر لا يعجزه شيء في هذا الكون، فهو الضار، وهو النافع، وهو المذل، وهو المعز، والخطاب في الآية للنبي ﷺ ولكنه يعم كل واحد في كل زمان ومكان.

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَمۡسَسۡكَ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وفك التضعيف على قاعدة في المضعف معروفة، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿بِضُرّٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل «إنَّ». ﴿كَاشِفَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر (لا). وهذا على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر (لا)، فأما على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿كَاشِفَ﴾، كما يجوز تعليقهما بـ: ﴿كَاشِفَ﴾ لأنه اسم فاعل، وعليهما فخبر (لا) محذوف، تقديره، موجود أو حاصل، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ﴾ في محل جزم جواب الشرط. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَۖ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع بدل من محل اسم (لا)؛ لأنه في الأصل مرفوع، أو هو بدل من (لا) واسمها لأنهما في محل رفع مبتدأ، أو هو بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف. وهو الأقوى والأولى، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب، ولا يصعب عليك بعد هذا إعراب بقية الآية. وهذا هو الإعراب الظاهر والمتبادر، ولكن عند التأمل يتبين لك: أن جواب الشرط في الجملة الثانية محذوف. التقدير: فلا راد له، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ﴾ وقوله: ﴿فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ تعليل لكل من الجوابين: المذكور في الشرطية الأولى والمحذوف في الثانية.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: القهر إما أن يراد به الغلبة أو التذليل، وما هنا من الأول، وكذا قوله تعالى حكاية عن قول فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ وعبارة الخازن: يعني: وهو الغالب لعباده، ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ لهم، وهم مقهورون تحت قدرته، والقاهر، والقهار معناه: الذي يدبر خلقه بما يريد، وإن شق عليهم، فلا يستطيع أحد من خلقه رد تدبيره، والخروج من تحت قهره وتقديره. ومعنى ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ هنا: أن قهره قد استعلى على خلقه، فهم تحت التسخير والتذليل بما علاهم من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه، ولا ينفك عنه. انتهى بتصرف. وهذا يعني أن لا فوقية معلومة. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أمره وتدبير شؤون عباده. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بعباده وما ببواطنهم وأسرارهم وأحوالهم.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف استئناف.(هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾: خبره. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ وجوز اعتباره متعلقاً بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، كما جوز اعتباره متعلقاً بمحذوف حال من الضمير المستتر بـ ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾، التقدير: مستعلياً فوق عباده، وهذا يفيده التفسير والشرح. وهو مضاف، و﴿عِبَادِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾. مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها، وإعرابها ظاهر إن شاء الله تعالى.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَـٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: انظر الآية رقم [٢/٢٦] أو [٤/٧] لشرح: «القول». ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱللَّهُ شَهِيدٌۢ...﴾ إلخ: المراد بشهادة الله: إظهار المعجزة على يد النبي ﷺ، وهي فعل، ولا شك أن دلالة الفعل أقوى من دلالة القول، لعروض الاحتمالات في الألفاظ دون الأفعال. فإن دلالتها لا يعرض لها الاحتمال، وأن المعجزة نازلة من قوله تعالى: «صدق عبدي في كل ما يبلغ عني». ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ﴾: أنزل علي. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: انظر الآية رقم [٤٨/ ٥]. ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾: لأخوفكم بالقرآن عذاب جهنم وسخط الله إن لم تؤمنوا بالله ورسوله، وتتركوا ما أنتم عليه من العبادات الباطلة. ﴿وَمَنۢ بَلَغَ﴾ أي: ومن سمع القرآن وبلغه إلى يوم القيامة من العرب والعجم، أو من الثقلين إنساً وجنّاً ونباتاً وجماداً، والمقصود بكاف

المخاطب: أهل مكة الذين كانوا في عصر النبي ﷺ. ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾: هذا استفهام تقرير وتوبيخ، والمعنى: إنكم تعبدون آلهة مع الله، وتشهدون بأنها حق يجب اتباعه. ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ أي: لا أعترف ولا أشهد بحقية هذه الأصنام التي تقدسونها وتعبدونها من دون الله. ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾: هذا تقرير وتثبيت للتوحيد بعبادة إله واحد، وهو الله الذي لا شريك له. ﴿بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: أنا أبرأ من كل شيء تعبدونه من دون الله.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة حين قال كفار قريش للنبي ﷺ: يا محمد لقد سألنا عنك اليهود، والنصارى، فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول الله. هذا؛ ويعلم من الآية الكريمة جواز إطلاق الشيء على الله تعالى، وهو كذلك، لكن بشرط التقييد بأن يقال: هو شيء لا كسائر الأشياء. انتهى جمل نقلا عن شيخه. وقال مكي: وفي الآية دلالة أن شيئاً من أسماء الله. أقول: لم يثبت ذلك عمن يحتج بقوله من أئمة المسلمين، ماضيهم وحاضرهم.

الإعراب: ﴿أَيُّ﴾: اسم استفهام مبتدأ، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَكْبَرُ﴾: خبره. ﴿شَهَٰدَةً﴾: تمييز. وقرئ بالجر على الإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وخبره محذوف، أي: الله أكبر شهادة. ﴿شَهِيدٌۢ﴾ خبر مبتدأ محذوف، أي: هو شهيد، فالكلام جملتان لا جملة واحدة، وهما جواب لـ: ﴿أَيُّ﴾ من حيث اللفظ والمعنى، ويجوز اعتبار الجلالة مبتدأ، و﴿شَهِيدٌۢ﴾ خبره، والجملة على هذا جواب لـ ﴿أَيُّ﴾ من حيث المعنى، أي: إنها دالة على الجواب، وليست بجوابه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. والجملتان أو الجملة في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿شَهِيدٌۢ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. (أوحي): ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَٰذَا﴾: الهاء: حرف تنبيه لا محل له. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع نائب فاعل. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وقيل: صفة. ولا وجه له. ﴿لِأُنذِرَكُم﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل تقديره: «أنا» والكاف مفعول به. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وأن المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿وَأُوحِيَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. (مَنْ): فيه ثلاثة أقوال: أحدها: أنه في محل نصب عطفاً على الضمير المتصل الواقع مفعولاً به، وتكون (مَنْ) موصولة، والعائد عليها من صلتها محذوف، أي: ولأنذر الذي بلغه القرآن، والثاني: أن في ﴿بَلَغَ﴾ ضميراً مرفوعاً يعود على (مَنْ) ويكون المفعول محذوفاً، وهو منصوب المحل أيضاً نسقاً على مفعول: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾ التقدير:

ولأنذر الذي بلغ الحكم، فالعائد هنا مستقر في الفعل، والثالث: أن (مَنْ) مرفوعة المحل نسقاً على الضمير المرفوع في: ﴿لِأُنذِرَكُم﴾، وجاز ذلك لأن الفصل بالمفعول والجار والمجرور أغنى عن تأكيده، والتقدير: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ﴾، ولينذركم الذي بلغه القرآن. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. الهمزة: حرف استفهام. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَتَشْهَدُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (تشهدون): فعل وفاعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، ومع مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ءَالِهَةً﴾: اسم: ﴿أَنَّ﴾ مؤخر. ﴿أُخْرَىٰ﴾: صفة ﴿ءَالِهَةً﴾ منصوب مثله... إلخ، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول الفعل: (تشهدون)، وجملة: ﴿لَتَشْهَدُونَ...﴾ إلخ: في محل رفع خبر (أنَّ) والجملة الاسمية: ﴿أَئِنَّكُمْ...﴾ إلخ تحتمل أن تكون داخلة في المقول، وأن تكون مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿قُل لَّآ أَشْهَدُ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿وَٰحِدٌ﴾: صفة إله، هذا؛ وقد جوز أبو البقاء اعتبار (ما) غير كافة موصولة اسم (إنَّ). ولا وجه له ألبته. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا هُوَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ إِنَّمَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (إنني): حرف مشبه بالفعل. والنون للوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿بَرِيٓءٌ﴾ خبره. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بـ ﴿بَرِيٓءٌ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بمن، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: تشركون به. هذا؛ ويجوز اعتبار (ما) مصدرية تسبك مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: ﴿بَرِيٓءٌ﴾ من شرككم، والجملة الاسمية (إنني...) إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ...﴾ إلخ: المراد بهم علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمن النبي ﷺ، وذلك أن كفار مكة قالوا: إنا سألنا عنك اليهود والنصارى، فزعموا: أنه ليس لك عندهم ذكر، وأنكروا معرفته. فبين الله في الآية السابقة: أن شهادته له كافية على صحة نبوته، وبين في هذه الآية: أن اليهود والنصارى يعرفونه، وأنهم كذبوا في قولهم أنهم لا يعرفونه، هذا؛ وإن الآية ذكرت في سورة (البقرة) رقم [١٤٦] وإذا عرفت أن سورة (البقرة) مدنية، وأن سورة (الأنعام) مكية ظهرت لك الحكمة من تكريرها بألفاظها في سورتين، فهي في سورة (البقرة) تمدح عبد الله بن سلام، وأتباعه، وهي في سورة (الأنعام) تذم الذين أنكروا

صفات النبي ﷺ حينما سئلوا عنها. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ انظر تفسير هذا الكلام في الآية رقم [١٢]. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ﴾: فعل وفاعل ومفعول به أول، وانظر إعراب (حللتم) في الآية رقم [٢/٥] ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المنصوب. ﴿يَعۡرِفُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والضمير المنصوب يعود إلى الرسول ﷺ، أو إلى القرآن، وكلاهما مفهوم مما تقدم، والجملة الاسمية: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. ما: مصدرية. ﴿يَعۡرِفُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَبۡنَآءَهُمُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وما والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: يعرفونه معرفة كائنة مثل معرفتهم أبناءهم، وهو قول أبي البقاء وغيره. في مثل هذا التركيب، ومذهب سيبويه في مثله النصب على الحال من المصدر المفهوم من الفعل المتقدم على طريق الاتساع، فيكون التقدير: يعرفونه على مثل هذه الحالة. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: انظر إعرابها في الآية رقم [١٢] أعني به الوجه الأول، وأضيف ما ذكر من أوجه في إعرابها، فقد جوز اعتبار: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ صفة لـ: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ أو بدل منه، كما جوز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هم الذين خسروا أنفسهم، كما جور اعتباره منصوباً على الذم، وهذان الوجهان مفرعان على النعت مقطوعان عنه، وعلى الأقوال الثلاثة يكون قوله: ﴿فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ من باب عطف جملة اسمية على مثلها، ويجوز أن يكون عطفاً على: ﴿خَسِرُوٓاْ﴾، وفيه نظر من حيث إنه يؤدي إلى ترتب عدم الإيمان على خسرانهم، والظاهر: أن الخسران هو المترتب على عدم الإيمان. انتهى جمل.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ...﴾ إلخ، أي: لا أحد أظلم... إلخ، وذلك لجمعهم بين أمرين لا يجتمعان عند عاقل، افتراؤهم على الله بما هو باطل غير ثابت، وتكذيبهم ما هو ثابت بالحجة. أو المعنى: لا أحد أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين، فكيف بمن جمع بينهما. انتهى جمل نقلاً عن كرخي. والأمر الأول: هو ما زعمه مشركو العرب من كون الملائكة بنات الله تعالى، والأمر الثاني: هو تكذيبهم بالقرآن الكريم، وبالمعجزات التي أيد الله بها نبيه محمداً ﷺ، وانظر شرح ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: لا يسعدون بالخلود في جنته؛ لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب. وانظر الآية رقم [١٣٥]. وانظر الظلم في الآية رقم [١٤٤]. وانظر الآية رقم [١٧] من سورة (يونس) فهذه الآية مثلها في جميع كلماتها.

الإعراب: (مَنْ): اسم استفهام مفيد للنفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِمَّنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل عليها، وجملة: ﴿كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، وهو ضمير الشأن. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: مضارع. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ...﴾ إلخ تعليل للنفي المفهوم من الاستفهام السابق، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨] لشرحه فإنه جيد. والمراد به هنا يوم القيامة. ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: نجمعهم للحساب ونخرجهم من قبورهم للجزاء، وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧] فإنه جيد. وقرئ مع ما بعده بالياء. ﴿نَقُولُ﴾: انظر القول في الآية رقم [٤/ ٧]. ﴿لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟﴾: جمع من جعل لله نداً في العبادة. ﴿أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ﴾ أي: آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله في العبادة والتعظيم والتقديس. وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (يونس) تجد ما يسرك. ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تدعون أنهم يشفعون لكم، والمراد من الاستفهام التوبيخ والتقريع.

قال البيضاوي: ولعله يحال بينهم وبين آلهتهم حينئذ ليفقدوها في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها، ويحتمل: أنهم يشاهدونهم، ولكن لما لم ينفعوهم، فكأنهم غيب عنهم، بعد هذا انظر ما ذكرته في الآية رقم [٤/ ٦٠] من شرح: ﴿تَزْعُمُونَ﴾. ثم انظر الآية رقم [٩٤].

الإعراب: ﴿وَيَوْمَ﴾: الواو: حرف استئناف. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر، هذا؛ وذكر الجمل وجوهاً كثيرة يظهر عليها التكلف والتعسف. ﴿نَحْشُرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل تقديره نحن، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، والجملة الفعلية: «اذكر يوم...» إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿أَشْرَكُوٓا۟﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿نَقُولُ...﴾ إلخ مع المقول الآتي معطوفة على ما قبلها في محل جر مثلها. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿شُرَكَآؤُكُمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم

موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة: ﴿شُرَكَآؤُكُمُ﴾. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَزْعُمُونَ﴾ مع مفعوليه المحذوفين في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول، والعائد محذوف، وهو أحد المفعولين المحذوفين؛ إذ التقدير: الذين كنتم تزعمونهم شركاء. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: معذرتهم، هذا؛ والفتنة: التجربة والاختبار، فلما كان سؤالهم تجربة لإظهار ما في قلوبهم؛ قيل له: فتنة. قال الزجاج: في قوله: ﴿لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ معنى لطيف، وذلك أن الرجل يفتتن بمحبوب، ثم تصيبه فيه محنة، فيتبرأ من محبوبه، فيقال: لم تكن فتنته إلا بذلك المحبوب، فكذلك الكفار فتنوا بمحبة الأصنام، ثم لما رأوا العذاب؛ تبرؤوا منها، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ ومحبتهم للأصنام إلا أن تبرؤوا منها. انتهى جمل. ﴿قَالُواْ﴾: انظر القول في الآية رقم [٧/٤]. ﴿وَٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿رَبِّنَا﴾: انظر الآية رقم [٧/٣] و[٧/٢٢]. ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾: يكذبون ويحلفون على عدم الشرك مع علمهم بأنه لا ينفعهم من فرط الحيرة والدهشة، كما يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا...﴾ إلخ مع علمهم بالخلود انتهى بيضاوي. وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥/٤٦]. والتعبير بالماضي بدلاً من المضارع انظر الكلام عليه في الآية رقم [٥/١١٦].

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَمْ﴾ حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾. ﴿فِتْنَتُهُمْ﴾: اسم تكن مرفوع، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُواْ﴾ في الآية رقم [٥/١] والفعل محله النصب بـ: ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿قَالُواْ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر: ﴿تَكُن﴾. هذا؛ وقد قرئ (يكن) بالياء، مع نصب (فِتْنَتَهُمْ) فيكون المصدر اسم (يكن) مؤخراً، و(فِتْنَتَهُمْ) خبرها مقدماً، ﴿وَٱللَّهِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نحلف أو نقسم. ﴿رَبِّنَا﴾: يقرأ بالجر على أنه بدل من لفظ الجلالة، أو صفة له، ويقرأ بالنصب على أنه منادى حذفت منه أداة النداء، وتكون الجملة الندائية معترضة بين القسم وجوابه. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ناقص مبني على السكون، ونا: ضمير متصل في محل رفع اسمها. ﴿مُشْرِكِينَ﴾: خبرها منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿مَا كُنَّا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿لَمْ تَكُن...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة لا محل لها أيضاً.

﴿انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)﴾

الشرح: ﴿انظُرْ﴾: خطاب للنبي ﷺ. ﴿كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: المراد به اعتذارهم بالباطل، وتبرؤهم من عبادة الأصنام والشرك الذي كانوا عليه، ويستعملون الكذب في الآخرة مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا، وذلك لا ينفعهم. وانظر شرح (النفس) في الآية رقم [٩/٧] فإنه جيد. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: غاب عنهم ولم يروه. هذا معناه هنا. هذا؛ وأكثر استعماله في القرآن الكريم بمعنى كفر وخرج عن جادة الحق والصواب، وهو ضد اهتدى واستقام، وضل الشيء: ضاع وهلك، وضل: أخطأ، ولولا هذا المعنى؛ لكفر أولاد يعقوب بقولهم لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ وضل: تحير، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾. ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يختلقون ويبتدعون من عبادة الأصنام وجميع أنواع الشرك. هذا؛ والتعبير بالماضي بدلاً من المستقبل، إنما هو لتحقق وقوعه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٦] (المائدة).

تنبيه: قال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة، ورأى المشركون سعة رحمة الله تعالى وشفاعة الرسول ﷺ للمؤمنين؛ قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد، فيحلفون الأيمان الكاذبة: أنهم ما كانوا مشركين، فيختم الله على أفواههم، فتشهد عليهم جوارحهم، كما بين الله ذلك في سورة (النور) وسورة (يس)، وسورة (فصلت). انتهى نسفي.

تنبيه: ذكر الله في هذه الآية: أنهم ينفون شركهم، بل ويحلفون الأيمان الكاذبة، وذكر في الآية رقم [٤٢/٤] أنهم لا يقدرون على إخفاء شيء من كفرهم، وذلك بقوله سبحانه ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ والجمع بينهما هو: أن في يوم القيامة مواقف مختلفة، ففي بعضها لا يكتمون، وفي بعضها يكتمون، بل ويكذبون ويحلفون، كما في قوله جل شأنه: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مع قوله تعالت قدرته ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ﴾. انتهى جمل نقلاً عن كرخي. وانظر الآية رقم [٣٠] الآتية.

الإعراب: ﴿انظُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال من واو الجماعة بعده. ﴿كَذَبُوا﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿آمَنُوا﴾ في الآية رقم [١/٥]. ﴿عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل: ﴿انظُرْ﴾، وجملة: ﴿انظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (ضل): ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى

الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، والجملة الفعلية بعده في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كانوا يفترونه، وعلى اعتبار: ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر، فيكون في محل رفع فاعل للفعل (ضل) التقدير: ضل عنهم افتراؤهم، وجملة: ﴿وَضَلَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي داخلة في حيز المنظور، وجوز اعتبارها مستأنفة فلا تكون داخلة في حيزه، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْهُم﴾: من المشركين. ﴿يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: حين تقرأ القرآن، والمراد: أبو سفيان، وأبو جهل، والوليد بن المغيرة، والنضر بن الحارث، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، وأمية بن خلف، والحارث بن عامر حين اجتمعوا يستمعون القرآن من النبي ﷺ وهو لا يعلم باستماعهم، فقالوا للنضر ـ وكان يقرأ تاريخ الفرس، والرومان ـ يا أبا قتيبة ما يقول محمد، قال: ما أدري غير أني أراه يحرك لسانه، ويقول: أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، فقال أبو سفيان: إني أرى بعض ما يقول حقّاً. فقال أبو جهل: كلا لا تقر بشيء من هذا، الموت أهون علي من هذا.

هذا؛ وقد قال سبحانه هنا: ﴿يَسْتَمِعُ﴾ وفي سورة (يونس) رقم [٤٢] ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ بالجمع؛ لأن ما هنا في قوم قليلين فنزلوا منزلة الواحد، وما في سورة (يونس) في جميع الكفار، فناسب الجمع، فأعيد الضمير على معنى ﴿مَّن﴾ وفي الأول على لفظها، وإنما لم يجمع في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ وهي الآية رقم [٤٣] من سورة (يونس) لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن. انتهى. جمل نقلا عن كرخي.

﴿أَكِنَّةً﴾: أغطية، جمع كنان، وهو الوعاء الجامع المحيط بالشيء، وهو غير الكن بكسر الكاف فإنه يجمع على أكنان، كما في قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾. ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾: الفقه: الفهم. ﴿وَقْرًا﴾: الصمم في الأذن، وهو بفتح الواو، و(الوقر) بكسر الواو: حمل البغل، والحمار، والوقار: الحلم والرزانة والتعقل، وهو أيضاً: العظمة والهيبة، وفي هذا دليل على أن الله تعالى يقلب القلوب، فيشرح بعضها للهدى والإيمان، فتتقبله، ويجعل بعضها في أكنة فلا تفقه كلام الله، ولا تؤمن به. ﴿يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ أي: لا يصدقوا بكل المعجزات

الدالة على صدقك، وذلك لشدة عنادهم، واستحكام الجهل فيهم، وانظر شرح: ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ﴾ أي: إنهم إذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن إنما جاؤوا ليجادلوك ويخاصموك بالباطل لا ليؤمنوا. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ أي: الكفار منهم، وانظر (القول) في الآية رقم [٧/٤] وانظر (كفروا) في الآية رقم [٥/٣٦] ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: أكاذيب وأباطيل الأمم السابقة وأخبارهم وأقاصيصهم والأساطير جمع: أسطورة، وإسطارة بكسر الهمزة. وقيل: واحدها: سطر بفتح الطاء. وأسطار جمع، وأساطير جمع الجمع. هذا؛ وسطر الكتابة جمعه في القلة: أسطر، وفي الكثرة: سطور، مثل: فلس وأفلس وفلوس، هذا؛ وقد قيل في معنى أساطير الأولين: إنها الترهات، وهي عند العرب طرقٌ غامضة، ومسالك وعرة مشكلة، يقول قائلهم؛ أخذنا في الترهات، بمعنى: عدلنا عن الطريق الواضح إلى الطريق المشكل الذي لا يعرف، فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الأمور المشكلة الغامضة التي لا أصل لها. انتهى خازن، وجمل. وانظر الآية رقم [٣١] الأنفال.

الإعراب: ﴿وَمِنۡهُم﴾: الواو: حرف استئناف، (منهم): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّن﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿يَسۡتَمِعُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَّن﴾. ﴿إِلَيۡكَۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَۖ﴾ صلة: ﴿مَّن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط رجوع الفاعل إليها. هذا هو الإعراب الظاهر، ولكنني لا أعتمده، وإنما أقول: مضمون (منهم) مبتدأ، و﴿مَّن﴾ خبره، وانظر شرح ذلك وتفصيله في الآية رقم [٢/٨] أو [٧/١٦٨] تجد ما يسرك. (جعلنا): فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥] ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على تفسيره بـ: «ألقينا» ومتعلقان بمحذوف مفعول به ثان على اعتبار الفعل متعدياً لمفعولين، وقد تقدم على المفعول الأول، التقدير: جعلنا الأكنة مستقرة على قلوبهم، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَكِنَّةً﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿يَفۡقَهُوهُ﴾: مضارع منصوب بأن، وعلامة نصبه حذف النون. . . إلخ، والواو فاعله، والهاء مفعوله، و﴿أَن﴾والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، ولا مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا ﴿يَفۡقَهُوهُ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (جعلنا)، وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهية فهمهم له، فهو مفعول لأجله، وانظر الشاهد [٤٨] من كتابنا فتح القريب المجيب، وجملة ﴿وَجَعَلۡنَا...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع، هذا؛ وجوز اعتبارها في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاًّ بـ: (مِنْ)، ويجب تقدير قد قبلها، والرابط: الواو والضمير. ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۚ﴾: معطوف على ما قبله، وإذا قدرت: (جعلنا) قبله وضح لك ذلك. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَرَوۡاْ﴾: فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون

والواو فاعله، والألف للتفريق، والفعل بصري فلذا اكتفى بمفعول واحد، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّا يُؤْمِنُوا۟﴾: جواب الشرط مجزوم... إلخ، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَآءُوكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓا۟﴾ في الآية رقم [١/ ٥] والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿يُجَـٰدِلُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾: مضارع وفاعله، وجملة: ﴿كَفَرُوٓا۟﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى ما. ﴿هَـٰذَآ﴾: الهاء: حرف تنبيه. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَسَـٰطِيرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، والأولين مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنْ هَـٰذَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. بعد هذا ينبغي لك أن تعرف أن أبا الحسن الأخفش يعتبر ﴿إِذَا﴾ في مثل هذه الآية مجرورة بـ: ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهو رأي لا يوافقه عليه أحد من النحويين، تأمل، وتدبر وربك أعلم.

﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُمْ﴾: المراد بهذا الضمير كفار قريش. ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾: ينهون الناس عن اتباع النبي ﷺ، أو ينهون الناس عن استماع آيات القرآن. ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾: يبتعدون عنه بأنفسهم، ونأى ينأى نأياً بمعنى بعد، يتعدى بنفسه وبحرف الجر، وهو الأكثر. هذا؛ وإعلال الفعلين مثل إعلال ﴿عَصَوا۟﴾ في الآية رقم [٧٨/ ٥]. هذا؛ وقد قال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: نزلت الآية في أبي طالب عم النبي ﷺ، كان ينهي المشركين عن أذى النبي ﷺ، ويمنعه منهم، وينأى هو بنفسه عن الإيمان به. أقول: وذَبُّ أبي طالب الناس عن النبي ﷺ، وعدمُ الإيمان به مشهور مسطور، ولكن سياق الآيات المتقدمة يؤيد الوجه الأول؛ لأنها جميعها في ذم طريقتهم وسلوكهم تجاه الإسلام والقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام. ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ...﴾ إلخ، أي لا يضرون غيرهم بسلوكهم هذا، ولا ﴿يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ﴾، ولكنهم لا يعلمون الحقيقة.

هذا؛ والشعور: إدراك الشيء من وجه يدق ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته. والمعنى: وما يشعرون أنهم يهلكون أنفسهم بما يفعلون، وأنهم

سيحاسبون عليه حساباً عسيراً، وسيعاقبون عليه عقاباً شديداً. ولا تنسَ أن الفعل ﴿يَشْعُرُونَ﴾ من الثلاثي، وهو في الآية رقم [١٠٩] الآتية من الرباعي.

الإعراب: (هم): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَنْهَوْنَ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): حرف نفي بمعنى: «ما». ﴿يُهْلِكُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَإِن يُهْلِكُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الواو والضمير. (ما): نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف. إذ التقدير: وما يشعرون أنهم هالكون، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿تَرَىٰٓ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٥/٥٢] وهو خطاب للنبي ﷺ، ولكل من يتأتى منه الرؤية. ﴿وُقِفُوا۟﴾: هذا يكون يوم القيامة، وعبر بالماضي عن المستقبل لتحقق وقوعه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥/١١٦] ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر دركاتها في الآية رقم [٤/١٤٥]، وإعلاله وشرحه في الآية رقم [٥/٣٧]. ﴿فَقَالُوا۟﴾: انظر القول في الآية رقم [٤/٧]. ﴿نُرَدُّ﴾ أي: إلى دار الدنيا، ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا﴾ أي: بالآيات الناطقة بأحوال النار وأهوالها، والآمرة بالإيمان بالله وبرسوله، فهم يتمنون حين يشاهدون النار وأهوالها ثلاثة أمور: الرجوع إلى دار الدنيا، وعدم التكذيب بآيات الله. أو بالمعجزات، والكون من جملة المؤمنين الصادقين الذين فازوا برضا الله ونعيم الآخرة الذي لا ينقطع، ولا يزول. وانظر شرح: ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤] وانظر شرح: ﴿رَبَّنَا﴾ في سورة الفاتحة رقم [١] أو رقم [٣/٧] وانظر شرح الإيمان في الآية رقم [٩٥] المائدة.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره: «أنت»، والمفعول محذوف، التقدير: ترى حالهم، وقيل: هي قلبية، وتكلف تقدير ما لا داعي له. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، وقيل: هي بمعنى «إن»، ولا وجه له، انظر الشرح. ﴿وُقِفُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، فيكون (وقف) متعدياً، ويكون بمعنى: (حبسوا) وقد قرئ بالبناء للمعلوم، وعلى الوجهين فالجملة فعلية هي في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿عَلَى ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿تَرَىٰٓ...﴾ إلخ لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب (لو) محذوف، التقدير: لرأيت أمراً فظيعاً ونحوه، و(لو)

ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، فإن الكلام شروع في حكاية ما سيصدر عنهم يوم القيامة من القول المناقض لما صدر عنهم في الدنيا. (قالوا): فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥] والجملة الفعلية مع مقولها معطوفة على جواب لو الذي رأيت تقديره، لا محل لها مثله. (يا): حرف تنبيه، وجوز اعتبارها أداة نداء، والمنادى محذوف، والأول أقوى، كما يفيده مغني اللبيب، انظر بحث (يا) في كتابنا: «فتح القريب المجيب». (ليتنا): حرف مشبه بالفعل، ونا: ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿نُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول، ونائب الفاعل تقديره: «نحن»، والمتعلق محذوف؛ إذ التقدير: نرد إلى الدنيا، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (ليت)، وجملة: ﴿يَٰلَيۡتَنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَا﴾: الواو: واو المعية، (لا): نافية. ﴿نُكَذِّبَ﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الواو، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و(الله) مضاف إليه. و«أن» المضمرة والفعل: ﴿نُكَذِّبَ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على مصدر متصيد من الفعل السابق: التقدير: نتمنى ردّاً إلى الدنيا وعدم تكذيب. (نكون): مضارع ناقص منصوب بأن المضمرة، أو بسبب عطفه على ما قبله، واسمه مستتر تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (نكون)، و«أن» المضمرة والفعل (نكون) في تأويل مصدر معطوف على المصدر السابق، هذا؛ وقد قرئ الفعلان بالرفع، وفيه وجهان: أحدهما: العطف على الفعل: ﴿نُرَدُّ﴾، فيكونان داخلين في المتمنى، وهو ما رأيته في الشرح، والثاني: أن يكون كل منهما خبر مبتدأ محذوف، التقدير: ونحن لا نكذب... إلخ، ونحن نكون... الخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من نائب فاعل نرد، وجوز اعتبار الجملتين الاسميتين مستأنفتين، فلا تكونان داخلتين في المتمنى، هذا؛ وقد قرئ برفع الأول، ونصب الثاني، وبالعكس، والإعراب لا يتغير.

﴿بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾

الشرح: ﴿بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ...﴾ إلخ: أي: ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم وكفرهم وعنادهم، وقبائح أعمالهم، فتمنوا ما تقدم ذكره ضجراً لا عزماً على أنهم لو رجعوا إلى الدنيا لآمنوا. ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ﴾ أي: إلى الدنيا بعدما ظهر لهم ما ظهر، وهذا على سبيل الفرض والتقدير؛ لأن الرجوع محال. ﴿لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ أي: من الكفر والمعاصي، وذلك للحكم الأزلي في حقهم: أنهم أصحاب النار. فالحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان حيث شملتنا عناية الله ورحمته. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾ أي: فيما يقولونه، ويعدون به أنفسهم. وانظر التعبير بالماضي عن المستقبل في الآية رقم [٥/ ١١٦] (المائدة).

الإعراب: ﴿بَلۡ﴾: حرف إضراب. ﴿بَدَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿لَهُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل

رفع فاعل، وجملة: ﴿كَانُوا۟ يُخْفُونَ﴾: صلة: ﴿مَّا﴾، أو صلتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كانوا يخفونه. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من الضمير المحذوف الذي رأيت تقديره، و﴿قَبْلُ﴾ بني على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. والجملة الفعلية: ﴿بَلْ بَدَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿رُدُّوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف كما رأيت في الشرح. والجملة الفعلية لا محل لها كما رأيت في الآية السابقة، وجملة﴿لَعَادُوا۟...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ في الآية رقم [١/٥]، ﴿لِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على ا لسكون في محل جر باللام. ﴿نُهُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله. ﴿عَنْهُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. وجملة: ﴿نُهُوا۟ عَنْهُ﴾: صلة (ما)، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاًّ بـ: (عن)، و(لو) ومدخولها في محل نصب حال من واو الجماعة. والاستئناف ممكن بالإعراض عن الكلام السابق. ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَكَٰذِبُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (كاذبون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الواو والضمير معاً.

﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: انظر القول في الآية رقم [٤/٧]. ﴿إِنْ هِىَ﴾: ما هي... إلخ، وقد وصف سبحانه الحياة التي يحياها ابن آدم بـ: ﴿ٱلدُّنْيَا﴾ لدناءتها، وحقارتها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ورحم الله من قال: [الكامل]

يا خاطِبَ الدنيا الدَّنِيَّةِ إنها ... شَرَكُ الرَّدَى وقرارةُ الأكْدارِ

دارٌ متى مَا أضْحكتْ في يومِها ... أبْكَتْ غداً تَبّاً لَهَا مِنْ دارِ

هذا؛ و﴿هِىَ﴾ ضمير مبهم يفسره خبره، وهو من الضمائر التي يفسرها ما بعدها لفظاً ورتبة. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾: فهم ينفون البعث للحساب والجزاء يوم القيامة، وهو ركن من أركان الإيمان، كما رأيت فيما مضى.

الإعراب: ﴿وَقَالُوٓا۟﴾: (قالوا): فعل وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ في الآية رقم [١/٥]. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: ما. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿حَيَاتُنَا﴾: خبر المبتدأ مرفوع، ونا: ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة ﴿حَيَاتُنَا﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر،

والجملة الاسمية: ﴿إِنْ هِيَ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع اسمها. ﴿بِمَبْعُوثِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (مبعوثين): خبر (ما)، فهو مجرور لفظاً، منصوب محلاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا نَحْنُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَعَادُواْ...﴾ إلخ أو على: ﴿نُهُواْ عَنْهُ﴾ أو على جملة: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ فتكون مستقبلة، وقد عبر بالماضي لتحقق وقوع ذلك، انظر الآية رقم [٥/ ١١٦] أو هي مستأنفة لا محل لها، فتكون مما قالوه في الدنيا، وليست داخلة في حيز (لو)، وعلى الاعتبارات الثلاثة الأول تكون داخلة في حيز: (لو). تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾: انظر مثله في الآية رقم [٢٧]. ومعنى الوقوف على ربهم: حبسهم يوم القيامة للسؤال والتوبيخ. وقيل: معناه: وقفوا على قضاء ربهم أو جزائه، وعرفوه حق المعرفة. ﴿رَبِّهِمْۚ﴾: انظر سورة الفاتحة رقم [١]. ﴿قَالَ﴾: انظر القول في الآية رقم [٢/ ٢٦] أو [٤/ ٧]. ﴿هَٰذَا﴾ أي: البعث للحساب والجزاء من عقاب وثواب. والمراد بالاستفهام: التوبيخ والتقريع على تكذيبهم وكفرهم. ﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾: انظر الآية رقم [٥/ ٢٧]. ﴿بَلَىٰ﴾: انظر الآية رقم [٢/ ٨١]. ﴿وَرَبِّنَاۚ﴾: أكدوا اعترافهم بهذا اليمين إظهاراً لكمال يقينهم بحقية ما رأوا من البعث؛ حيث انكشف لهم تماماً.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: للقيامة مواقف، ففي موقف ينكرون، ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه في الدنيا، وانظر الآية رقم [٢٤]. ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾: القائل هو الله تعالى، أو تقول لهم الخزنة ذلك بأمر الله تعالى، وإنما خص لفظ الذوق؛ لأنهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الإحساس، وانظر الآية رقم [١٤] من سورة (الأنفال). ﴿تَكْفُرُونَ﴾: انظر ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٣٦] (المائدة).

الإعراب: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٢٧] فهو مثله بلا فارق. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (ليس): فعل ماض ناقص. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم (ليس) والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بِٱلْحَقِّۚ﴾: الباء: حرف جر زائد. (الحق): خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبارها في محل نصب مقول القول،

﴿وَرَبِّنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: نقسم، ونا: في محل جر بالإضافة، والجملة القسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَذُوقُوا﴾: الفاء: هي الفصيحة، أو هي زائدة. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا﴾ في الآية رقم [٥/١]، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منكم ﴿فَذُوقُوا...﴾ إلخ، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول، وعلى الوجه الثاني في الفاء فجملة: (ذوقوا...) إلخ في محل نصب مقول القول بمفردها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل (ذوقوا)، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون. والتاء اسمه. ﴿تَكْفُرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان) والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كنتم تكفرون به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب كفركم، ويظهر: أن هذا الوجه أقوى من الوجهين الأولين، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا...﴾ إلخ: ما أجدرك أن تنظر هذه الخسارة في الآية رقم [١٢]. ﴿بِلِقَآءِ ٱللَّهِ﴾: المراد به: البعث بعد الموت للحساب والجزاء... إلخ. أو المراد بلقائه تعالى: رؤيته يوم القيامة؛ لأن منكر البعث منكر للرؤية. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿جَآءَتْهُمُ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامة، سميت بذلك لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى، وقيل: سميت ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة أو أقل من ذلك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٧] من سورة (الأعراف)، وانظر تفسير قوله: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ في الآية رقم [٢/٢٠٢]، ولا تنسَ أن ساعة كل إنسان وقيامته وقت مقدمات الموت، وما فيه من أهوال، ولذا قال النبي ﷺ: «**من مات فقد قامت قيامته**». ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة. ﴿قَالُوا﴾: انظر القول في الآية رقم [٢/٢٦] أو [٧/٤]. ﴿يَـٰحَسْرَتَنَا﴾: هي شدة التألم، ونداؤه مجاز، فليس القصد حضور الحسرة، بل الاعتراف بما وقع لهم من شدة الندم والتحسر عليه. ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ أي: قصرنا وأهملنا في الحياة الدنيا، وانظر الآية رقم [٣٨]، وذلك في العمل الصالح، وعاد الضمير على الدنيا ولم يجر لها ذكر؛ لأنها معلومة، أو في الساعة، أي في شأنها والإيمان بها. ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾: ذنوبهم التي عملوها في الدنيا.

هذا؛ والوزر: الثقل، وقد عبر الله عن الذنوب بالأثقال في سورة (العنكبوت) وذلك في قوله: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ وحمل الذنوب بالمعنيين على الظهور قيل به: إن

الكافر إذا أخرج من قبره يوم القيامة يستقبله أقبح شيء صورة، وأنتنه ريحاً، فيقول له: هل تعرفني، فيقول: لا، فيقول: أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك حتى أخزيك على رؤوس الخلائق! فيركبه، ويتخطى به الناس، حتى يقف بين يدي الله تعالى. ﴿سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾: بئس ما يحملونه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَسِرَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل. ﴿كَذَّبُواْ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب آمنوا في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿بِلِقَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(لقاء): مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، ومفعول ﴿خَسِرَ﴾ محذوف، تقديره: أنفسهم على حد ما رأيت في الآية رقم [١٢] و[٢٠]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢٥]. ففيها الكفاية. ﴿جَآءَتْهُمُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والميم حرف دال على جماعة الذكور، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية: ﴿جَآءَتْهُمُ...﴾ إلخ: في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها... إلخ. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من: ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾. بمعنى: باغتة، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف، التقدير: تبغتهم بغتة، فتكون هذه الجملة في محل نصب حال من ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾. وجوز اعتبار﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً لـ: (جاء) من غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً. ﴿قَالُواْ﴾: فعل وفاعل والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المقول جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها. و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل لها. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (حسرتنا): منادى، ونا: في محل جر بالإضافة، ونداء الحسرة مجاز؛ لأنها لا يتأتى منها الإقبال، وإنما المعنى على المبالغة في شدة التحسر. وكأنهم نادوا الحسرة، فقالوا: إن كان لك وقت فهذا أوان حضورك، ومثله: يا ويلتا ونحوه، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بعلى والجار والمجرور متعلقان بالحسرة لأنها مصدر، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: فرطناه فيها، وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بعلى، التقدير: يا حسرتنا على تفريطنا في دنيانا، وهذا أقوى من الوجهين السابقين في ﴿مَا﴾، ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. وجملة: ﴿يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الواو، والضمير. ﴿عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، واعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من: ﴿أَوْزَارَهُمْ﴾ لا بأس به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه. ﴿سَآءَ﴾: فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير فيه مفسر بما بعده. ﴿مَا﴾: نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، وجملة: ﴿يَزِرُونَ﴾ في محل نصب صفة ما، والتقدير: ساء الشيء شيئاً مزرى به، ورابط الصفة محذوف، التقدير: يزرونه، والمخصوص بالذم أيضاً محذوف، التقدير: هو حملهم. هذا؛

وأجاز أبو البقاء اعتبار الفعل: ﴿سَآءَ﴾ متصرفاً من الإساءة، وله مفعول محذوف، كما أجاز أعتبار﴿مَا﴾ موصولة وموصوفة ومصدرية، فعلى الأولين ﴿مَا﴾ مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد او الرابط محذوف، وتقدير الكلام: ألا ساءهم الذي، أو شيء يزرونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها في محل رفع فاعل، التقدير: ساءهم حملهم، والجملة الفعلية: ﴿أَلَا سَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ أي: وما أعمال الدنيا إلا لعب ولهو تلهي الناس، وتشغلهم عن طاعة الله تعالى، وما يعقبها من منفعة دائمة، ولذة حقيقية. هذا؛ واللعب: ترك ما ينفع بما لا ينفع، واللهو: الميل عن الجد إلى الهزل. ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾: المراد بها الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والمراد العمل بها. ﴿خَيْرٌ﴾: أفضل، وانظر ما ذكر في الآية رقم [٢/٥٤] أو [٧/١٢]. ﴿لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ أي: يبتعدون عن الشرك والمعاصي. ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أي: ألا تفهمون أن الآخرة خير من الدنيا، فتعملون لها. وانظر الآية رقم [٤٤/ ٢] أو [١٠٧/ ٥] ﴿تَعْقِلُونَ﴾: انظر العقل في الآية رقم [٢/٧٥]. وقد قرئ الفعل بالتاء والياء، وعلى الأول فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظره في الآية رقم [٦].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: مبتدأ. ﴿ٱلدُّنْيَآ﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿لَعِبٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها من الإعراب. (لهو): معطوف على ما قبله. ﴿وَلَلدَّارُ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: لام الابتداء. (الدار): مبتدأ. ﴿ٱلْـَٔاخِرَةُ﴾: صفة (الدار). هذا؛ وقد قرئ (ولدار الآخرة) بالإضافة كما في سورة (يوسف). ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾. وجملة: ﴿يَتَّقُونَ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف. لا: نافية. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل وفاعل. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وانظر الآية رقم [١٠٧] (المائدة).

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿نَعْلَمُ﴾: المضارع هنا بمعنى الماضي، أي: علمنا، و﴿قَدْ﴾ مفيدة لتكثير العلم، وقد علق الفعل عن العمل بسبب لام الابتداء التي زحلقت إلى خبر (إنَّ) ولذلك كسرت همزتها،

ولولا وجود هذه اللام لفتحت الهمزة كما هو معروف. وانظر (نا) في الآية رقم [٦/٧]. ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾: ليسوءك، وهو يقرأ بفتح الياء من الثلاثي، كما يقرأ بضمها من الرباعي. ﴿ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ أي: قالوه من قولهم: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ونحوه. ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾ أي: في الحقيقة؛ لأنهم يعلمون صدقك وأمانتك وجميع صفاتك الحميدة. هذا؛ ويقرأ الفعل بتشديد الذال، وتخفيفها من: أكذبه إذا وجده كاذباً، أو نسبه إلى الكذب. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وظلموا الرسول ﷺ بالجحود والإنكار. وانظر (الظلم) في الآية رقم [١٤٤]. ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يَجْحَدُونَ﴾: جحد الشيء: أنكره، وجحد الإسلام: كفره به، وهو من باب: فتح.

تنبيه: قال السدي: التقى الأخنس بن شريق، وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد، أصادق هو أم كاذب؟. فإنه ليس هنا أحد يسمع كلامك غيري. فقال أبو جهل: والله إن محمداً لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة؛ فماذا يكون لسائر قريش. وقال أبو جهل مشافهة للنبي ﷺ: ما نتهمك ولا نكذبك، ولكنا نكذب الذي جئت به، وعن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ أن أبا جهل ـ لعنه الله تعالى ـ قال للنبي: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله فيهم: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ...﴾ إلخ. أخرجه الترمذي. وفي الآية الكريمة تسلية للرسول ﷺ، وتعزية له عما يواجهه به قومه من تكذيب وغيره. هذا؛ وجحودهم بآيات الله يفيده قول أبي جهل الخبيث، وغيره.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف مفيد للتكثير كما رأيت. ﴿نَعْلَمُ﴾: مضارع، والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره: «نحن». ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل والهاء ضمير الشأن في محل نصب اسمها. ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾: اللام: هي المزحلقة، (يحزنك): مضارع ومفعوله. ﴿ٱلَّذِى﴾: فاعله. والجملة الفعلية بعده صلته. والعائد محذوف. إذ التقدير: الذي يقولونه. وجملة: ﴿لَيَحْزُنُكَ﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل قبلها، والجملة الفعلية: ﴿قَدْ نَعْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿فَإِنَّهُمْ﴾: الفاء: حرف تعليل ذكره الجمل، (إنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يُكَذِّبُونَكَ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية تعليلية لا محل لها من الإعراب كما أفاده الجمل، وأرى: أنها معطوفة على ما قبلها، فهي داخلة في المعلوم عند الله تعالى. الواو: حرف عطف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: اسم (لكنَّ) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، وفيه إقامة الظاهر محل المضمر لشدة التشنيع عليهم. ﴿بِـَٔايَٰتِ﴾: متعلقان بـ ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، أو

متعلقان بالفعل بعدهما، وهو الأقوى، و(آيات) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَجۡحَدُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ). والجملة الاسمية: (لكنَّ...) إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿رُسُلٞ﴾: جمع: رسول، انظر الآية رقم [٥/٨٣] والآية رقم [٤/١٥٠] و[٤/١٦٤] ﴿فَصَبَرُواْ﴾: انظر الصبر في الآية رقم [٢/٤٥] فإنه جيد. ﴿وَأُوذُواْ﴾: آذاهم أقوامهم، وتلك هي سنة الأولين والآخرين في إيذاء المجرمين للمؤمنين وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٦]. ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ﴾: المراد بذلك ما ينبئ عنه بقوله جلت قدرته: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾. وقوله جل ذكره: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾. وغير ذلك من المواعيد السابقة للرسل عليهم الصلاة والسلام، الدال على نصرة محمد ﷺ. وانظر الآية رقم [١١٥]. ﴿ٱللَّهِۚ﴾: انظر الاستعاذة، ﴿جَآءَكَ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿نَّبَإِيْ﴾: خبر وقصص المرسلين السابقين قبلك. وانظر (ينبئهم) في الآية رقم [١٤] المائدة.

تنبيه: في الآية الكريمة تسلية للنبي ﷺ، وتعزية له عما يلقاه من تكذيب قومه له، واعتدائهم عليه، وذلك لأن عموم البلوى مما يهون أمرها بعض تهوين، خذ قول الخنساء في هذا المقام فإنه جيد: [الوافر]

ولَوْلَا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي ... عَلَى إخوانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخي ولَكِنْ ... أُسَلِّي النفس عنه بالتَّأَسِّي

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿كُذِّبَتۡ﴾: ماض مبني للمجهول والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿رُسُلٞ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن قَبۡلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿رُسُلٞ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ...﴾ إلخ لا محل لها لأنها جواب القسم المقدر، والجملة القسمية: ﴿وَلَقَدۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (صبروا): فعل وفاعل والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥/١] والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿عَلَىٰ﴾: حرف جر، و﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: صبروا على تكذيبهم. ﴿وَأُوذُواْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم،

والواو نائب فاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي تسبك بمصدر، تقديراً، أي: وعلى إيذائهم. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر تقدر بعدها «أن» مضمرة. ﴿أَتَىٰهُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. والهاء: في محل نصب مفعول به. ﴿نَصْرُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: نصرنا إياهم، وأن المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والفعل أتى في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿كُذِّبَتْ﴾، وهو أولى من تعليقهما بـ (صبروا)، أو بـ(أوذوا). ﴿وَلَا﴾: الواو، واو الحال. (لا): نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿مُبَدِّلَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِكَلِمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (لا). وانظر إعراب فلا كاشف له في الآية رقم [١٧] و(كلمات) مضاف، و ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية ولا مبدل... إلخ. في محل نصب حال من: ﴿نَصْرُنَا﴾، والرابط الواو فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها، وهو الأقوى فيما يظهر. ﴿وَلَقَدْ جَآءَكَ﴾: هو مثل سابقة في إعرابه وفي محله، وفاعل (جاء) مضمر فيه، فقيل: تقديره: المجيء، وقيل: تقديره: النبأ، فيكون الجار والمجرور: ﴿مِن نَّبَإِي﴾ متعلقين بمحذوف حال من الفاعل المستتر، وأجاز الأخفش اعتبار «مِنْ» زائدة، والفاعل ﴿نَّبَإِي﴾، وسيبويه لا يجيز زيادة ﴿مِن﴾ في الواجب، هذا؛ وقد قال الجمل: الجار والمجرور في محل رفع على أنه فاعل، أما باعتبار مضمونه، أي: بعض نبأ المرسلين، أو بتقدير الموصوف، أي: بعض من نبأ المرسلين، و﴿نَّبَإِي﴾: مضاف، و﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ﴾: عظم وشق عليك. ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ أي: عنك وعن الإيمان بما جئت به. ﴿ٱسْتَطَعْتَ﴾: قدرت. ﴿تَبْتَغِيَ﴾: تطلب. ﴿نَفَقًا﴾: هو سرب في الأرض يخلص منه إلى مكان آخر، وأصله في حجرة اليربوع، ومنه: النافقاء والقاصعاء، وفي هذه الأيام يشق نفق تحت الجبال يكون طريقاً عامّاً. ﴿سُلَّمًا﴾: السلم: الدرج يصعد عليه إلى الأعلى، وهو مشتق من السلامة، قالوا: لأنه يسلم به إلى المكان الذي يريد الارتقاء إليه. ﴿فَتَأْتِيَهُم﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٤]. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿شَآءَ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: جمع: جاهل، وهو الذي يجهل ما يتعلق به من المكروه والمضرة، ومن حق الحكيم أن لا يقدم على شيء حتى يعلم كيفيته وحاله، ولا يشتري الحلم بالجهل، ولا الأناة بالطيش، ولا الرفق بالخرق، كما قال أبو ذؤيب الهذلي: [الطويل]

فإنْ تزعميني كُنْتُ أجهلُ فيكمو فإني شَريتُ الْحِلْمَ بعدكِ بالجهلِ

وإن لم يكن كذلك يصدق عليه أنه من أكبر الجهال، والحمار أفضل منه، كما قال الشاعر الحكيم: [الكامل]

فضلُ الحمارِ على الجهولِ بخلَّةٍ مَعْروفةٍ عندَ الَّذي يَدْرِيهَا

إنَّ الحمارَ إذَا توهَّمَ لَمْ يسِرْ وتعاودُ الجهالُ ما يُؤْذِيهَا

ومعنى الآية الكريمة: وإن كان شق عليك يا محمد وعظم إعراض قومك عن الإيمان بك وعما جئت به، فإن قدرت أن تذهب في طريق مخفي تحت الأرض، أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية تدلهم على صدقك. والمقصود من هذا أن يقطع الرسول ﷺ طمعه من إيمانهم، ولا يتأذى بسبب إعراضهم عنه، وعن الإيمان به. ويبين الله سبحانه أن الهداية هدايته، فلو شاء لهداهم إلى الإيمان، فالأمر ليس إليك يا محمد، فلا تكونن من الذين يجهلون الحكمة الإلهية. وحاشاه ﷺ أن يجهلها!

تنبيه: ذكر ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية: أن الحارث بن عامر أتى رسول الله ﷺ في نفر من قريش، فقال: ائتنا بآية كما كانت الأنبياء تأتي قومها بالآيات، فإن فعلت آمنا بك، فنزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، انتهى خازن.

الإعراب: (إن): حرف شرط جازم، ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، واسمه ضمير الشأن محذوف، وقيل: ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾ اسمها تأخر عن الخبر. ﴿كَبُرَ﴾: ماض، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى: ﴿إِعْرَاضُهُمْ﴾، أو هو فاعله، كما رأيت، وأرى: أن الفعلين قد تنازعاه، فإذا أعملت فيه أحدهما وجب الإضمار في الثاني، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لسبقه. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿كَبُرَ عَلَيْكَ...﴾ إلخ في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَإِنِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط (إن استطعت) إعرابه مثل إعراب سابقه، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا﴾ في محل نصب مفعول به، ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿نَفَقًا﴾، وجوز تعليقهما بالفعل: ﴿تَبْتَغِيَ﴾، كما قيل بتعليقهما بمحذوف حال من فاعله المستتر، والأول أقوى. ﴿سُلَّمًا﴾: معطوف على: ﴿نَفَقًا﴾، ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾: يجوز فيهما ما جاز بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وجواب الشرط محذوف، التقدير: فافعل، و(إن) ومدخولها في محل جزم جواب (إن) السابقة، والكلام: ﴿وَإِن كَانَ...﴾ إلخ كله مستأنف لا محل له. ﴿فَتَأْتِيَهُم﴾: الفاء: حرف عطف. (تأتيهم): معطوف على: ﴿تَبْتَغِيَ﴾ منصوب مثله، والفاعل مستتر تقديره «أنت» والهاء مفعول به. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل، والمفعول

محذوف، تقديره: هدايتهم، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها ابتدائية، ويقال؛ لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَجَمَعَهُمْ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (جمعهم): فعل ماض ومفعوله، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهُ﴾. والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً فلا تكونن. . . إلخ. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم بـ: (لا) الناهية، واسمه ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر الفعل الناقص، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء.

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْتَجِيبُ﴾: يجيب دعاءك. ﴿ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ أي: سماع قبول بقلوبهم وعقولهم. ﴿وَٱلْمَوْتَىٰ﴾: المراد به الكفار؛ لأنهم لا يسمعون الموعظة سماع قبول، وقد حكى القرآن عنهم ذلك: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ﴾. وأكبر دليل على ذلك آية (البقرة) رقم [١٧١] وآية (الأعراف) رقم [١٧٩] اعتبرتهم كالأنعام، بل هم أضل. ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: في يوم القيامة للحساب والجزاء، فحينئذ يسمعون، وتتفتح آذانهم، وتزال الأكنة عن قلوبهم. هذا؛ وانظر (سمعوا) في الآية رقم [٥/٨٣]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٥/٤٣] ﴿يُرْجَعُونَ﴾: رجع، يستعمل لازماً ومتعدياً، و﴿يُرْجَعُونَ﴾ يقرأ بالبناء للمعلوم والمجهول، فعلى الأول يكون من اللازم، وعلى الثاني يكون من المتعدي.

الإعراب: ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ﴾: فعل وفاعل. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (الموتى): فيه ثلاثة أوجه: أولها هو مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية: ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ في محل رفع خبره، والثاني هو منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر بعده، ورجح هذا الوجه على الرفع بالابتداء لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية قبلها، فهو نظير قوله تعالى: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾. بعد قول: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾. والثالث هو مرفوع نسقاً على الموصول قبله، وعليه فجملة: ﴿يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل نصب حال. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿يُرْجَعُونَ﴾: فعل وفاعل. أو هو فعل ونائب فاعله على نحو ما رأيت في الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها.

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: قال كفار قريش، وانظر الآية رقم [٢٦] (البقرة) أو [٤/٧] (الأعراف) لشرح «القول». ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ أي: على الرسول ﷺ، وانظر: (أنزلنا) في الآية رقم [٥١] (المائدة). ﴿ءَايَةٌ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿رَّبِّهِۦ﴾: انظر سورة الفاتحة رقم [١] و[٢/٧]. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة، والمراد بالآية التي طلبوها مثل الناقة والعصا والمائدة ونحو ذلك، فلم يكتفوا بما شاهدوا من المعجزات مثل انشقاق القمر ونحوه. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ﴾ أي: على إجراء المعجزات المذكورة، ولكن إذا نزلت ولم يؤمنوا؛ يحل بهم البلاء. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن نزول الآيات التي طلبوها بلاء عليهم وهلاك لهم؛ إن لم يؤمنوا، ويوحدوا بعد نزولها.

الإعراب: (قالوا): فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ في الآية رقم [٥/١] والجملة الفعلية مع مقولها مستأنفة لا محل لها. ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿نُزِّلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَةٌ﴾: نائب فاعل. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿ءَايَةٌ﴾، وجملة: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ﴾: إن واسمها وخبرها، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ في محل جر بـ: (على) والجار والمجرور متعلقان بقادر لأنه اسم فاعل، فلذا فيه ضمير مستتر هو فاعله، التقدير: قادر على إنزال آية. (لكنّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، والهاء: في محل جر بالإضافة. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل. ومفعولاه محذوفان كما رأيت تقديره في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لكنّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول.

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿دَآبَّةٍ﴾: تدب، أي: تمشي على وجه الأرض من الإنسان والحيوان والوحش والهوام وغير ذلك، فلذا يطلق لفظ دابة على الذكر والأنثى مما ذكر. ﴿طَـٰٓئِرٍ﴾: اسم جنس يطلق على جميع الطيور التي تطير في الهواء. انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢/٢٦٠]. وإنما ذكر سبحانه الجناحين مع ذكر ﴿يَطِيرُ﴾ للتوكيد، كقولك: كتبت بيدي، ونظرت بعيني. ﴿أُمَمٌ﴾: جمع: أمة،

وهي الجماعة، والطائفة، والمراد طوائف مختلفة، والجمع باعتبار المعنى. وقال مجاهد: أي أصناف مصنفة تعرف بأسمائها. يريد: أن كل جنس من الحيوان أمة، فالطير أمة، والدواب أمة، والسباع أمة تعرف بأسمائها مثل بني آدم يعرفون بأسمائهم.

ويدل على أن كل جنس من الدواب أمة ما روي عن عبد الله بن مغفل ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**لولا أن الكلاب أمة من الأمم؛ لأمرت بقتلها، فاقتلوا منها كل أسود بهيم**». أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي. ﴿أَمْثَالُكُم﴾ أي: في تدبير رزقها وخلقها وأحوالها، وفي أنها تعرف ربها، وتوحده، وتسبحه، وتصلي له، كما أنكم تعرفونه، وتوحدونه، وتسبحونه، وتصلون له، وفي أنها يفهم بعضها عن بعض، ويألف بعضها بعضاً، كما أن جنس الإنسان يألف بعضهم بعضاً، ويفهم بعضهم عن بعض، وفي أن الذكر منها يعرف الأنثى، وفي أنها تبعث بعد الموت للحساب. انتهى خازن بتصرف.

هذا؛ وقد قال العلماء: جميع ما خلق الله عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين، إما أن يدب على الأرض، أو يطير في الهواء، حتى ألحقوا حيوان الماء بالطير؛ لأن الحيتان تسبح في الماء، كما أن الطير تسبح في الهواء، وإنما خص سبحانه ما في الأرض بالذكر دون ما في السماء، وإن كان ما في السماء مخلوقاً له؛ لأن الاحتجاج بالمشاهد أظهر وأدلى مما لا يشاهد. انتهى خازن، وجمل بتصرف. ﴿مَّا فَرَّطْنَا﴾: يقال: فرط الشيء، أي: ضيعه وتركه، وفرط في الشيء، أي أهمل ما ينبغي أن يكون فيه، وانظر الآية رقم [٣١] ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾: المراد به اللوح المحفوظ، فإنه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق، لم يهمل الله فيه أمر حيوان ولا جماد، أو المراد به القرآن الكريم، فإنه سبحانه قد دون فيه ما يحتاج إليه الناس من أمر الدين والدنيا، في العبادة، أو الإشارة، أو في الدلالة، أو في الاقتضاء، وانظر الآية رقم [٧] أو [٧/٢] تجد ما يسرك. ﴿شَيْءٍ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٩]. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٥/٤٣]، ﴿رَبِّهِمْ﴾: انظر سورة الفاتحة رقم [١] أو [٧/٢]، ﴿يُحْشَرُونَ﴾: يجمعون ويبعثون للحساب والجزاء، والمراد جميع المخلوقات ليدبر شؤونهم في الآخرة، كما دبرها في الدنيا.

قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائم والدواب والطير، وكل شيء، فيأخذ للجماء من القرناء، ثم يقول: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابا. انتهى خازن بتصرف. وقول أبي هريرة مأخوذ من قول سيد الخلق، وحبيب الحق ﷺ.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿دَآبَّةٍ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿دَآبَّةٍ﴾. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿طَٰٓئِرٍ﴾: بالجر معطوف على لفظ: ﴿دَآبَّةٍ﴾. وقرئ بالرفع على

محله. ﴿بِجَنَاحَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسر لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في محل جر صفة: ﴿طَٰٓئِرٍ﴾. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أُمَمٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿أَمْثَالُكُم﴾: صفة: ﴿أُمَمٌ﴾. والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿فَرَّطْنَا﴾: فعل وفاعل. وانظر بإعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]. ﴿فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَىْءٍ﴾: واقع موقع المصدر فهو مفعول مطلق منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره.. الخ، وجملة: ﴿مَّا فَرَّطْنَا...﴾ إلخ معترضة كذا قيل، وهذا على عطف ما بعدها على ما قبلها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل بعدها، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور، ﴿يُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الاسمية السابقة لا محل لها مثلها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: المراد بهم كفار قريش كذبوا بالقرآن وبالمعجزات. وانظر شرح ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿صُمٌّ﴾: جمع: أصم، والمراد: أنهم لا يسمعون آيات القرآن الدالة على ربوبية الله تعالى وعظيم قدرته سماعاً تتأثر به نفوسهم فينتفعون منه. ﴿وَبُكْمٌ﴾: جمع: أبكم، وهو الذي لا ينطق لمرض في لسانه، والمراد: لا ينطقون الحق مع كونهم ينطقون. وانظر الآية رقم [٣٦] والآية رقم [١٨/ ٢]. ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥] والآية رقم [١]، ﴿يَشَإِ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: انظر الآية رقم [١٦/ ٥].

تنبيه: في الآية الكريمة دليل واضح على أن الهادي والمضل هو الله تعالى، فمن أحب هدايته وفقه بفضله وإحسانه للإيمان، ومن أحب ضلالته تركه على كفره، وهذا عدل منه؛ لأنه تعالى هو الفاعل المختار، لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون. وجواب من يعترض على خلق الضلال في العبد ذكرته في الآية رقم [٨٨/ ٤]. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿صُمٌّ﴾: خبر المبتدأ، وجوز اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف. التقدير: بعضهم صم، وعليه فالجملة الاسمية هذه في محل رفع خبر المبتدأ. (بُكْمٌ): معطوف على ما قبله. وقيل: هو خبر ثان، ولا يتأتى هذا إلا باعتبار الواو زائدة. ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو ثالث، وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير

المستتر في ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ﴾ وذكر أبو البقاء أوجهاً أخر يظهر فيها التكلف، والتعسف. والجملة الاسمية: (الذين...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يَشَإِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم. وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ومفعوله محذوف، التقدير: ضلاله. ﴿يُضْلِلْهُ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ والهاء مفعول به، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط، وقيل: جملة الجواب، وقيل: الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين، والجملة الاسمية: ﴿مَن يَشَإِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وإعراب ما بعدها مثلها، وهي معطوفة عليها لا محل لها مثلها.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أي: أخبروني. قال الجمل: استعمال أرأيت في الإخبار مجاز، أي: أخبروني عن حالتكم العجيبة. ووجه المجاز: أنه لما كان العلم بالشيء سبباً للإخبار عنه، والإبصار به طريقاً إلى الإحاطة به علماً، وإلى صحة الإخبار عنه؛ استعملت الصيغة التي لطلب العلم، أو لطلب الإبصار في طلب الخبر لاشتراكهما في الطلب. انتهى. ﴿أَتَىٰكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿عَذَابُ﴾: اسم مصدر لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب؛ لأنه من: عذب، يعذب، بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، نحو: عطاء، ونبات لأعطى، وأنبت. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: انظر الآية رقم [٣١]. والمراد: أتاكم هول الساعة وفزعها. ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾: استفهام إنكاري توبيخي.

المعنى لهذه الآية: قل يا محمد لهؤلاء الكفرة: أخبروني ماذا تفعلون إن نزل بكم عذاب الله في الدنيا. مثل ما نزل بالأمم السابقة من غرق وخسف ومسخ وصواعق ونحو ذلك، من أنواع العذاب، أو أتتكم الساعة وأهوالها فجأة، هل تسألون غير الله ليكشف عنكم ما ينزل بكم، إن كنتم صادقين في دعواكم؛ فاسألوا أصنامكم كشف الضر عنكم. هذا؛ ولقد كان الكفار إذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا إلى الله بالتضرع والدعاء، وتركوا الأصنام، فقيل لهم: أترجعون إلى الله في حال الشدة والبلاء، ولا تعبدونه، ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾: الهمزة حرف استفهام. (رأيتكم): فعل ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم علامة جمع الذكور. هذا الإعراب هو المعتمد في مثل هذا التركيب، وهناك أقوال وآراء كثيرة ضعيفة أعرضت عنها روماً للاختصار. وقد اختلف أيضاً في مفعولي هذا الفعل، فقال

قوم: هو محذوف، دل عليه الكلام، تقديره: أرأيتكم عبادتكم الأصنام. هل تنفعكم عند مجيء الساعة. ودل عليه قوله: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾. وقال آخرون: لا يحتاج إلى مفعول؛ لأن بالشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول. وملخص كلام السمين: أن المفعول الأول محذوف، والمسألة من باب التنازع، تنازع ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ وفعل الشرط في ﴿عَذَابُ ٱللَّهِ﴾ فالأول يطلبه مفعولاً، والثاني يطلبه فاعلاً، فأعمل الثاني، وحذف مفعول الأول، وأما المفعول الثاني، فهو الجملة الاستفهامية. انتهى جمل بتصرف كبير. وأرىٰ أن الفعل معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وأن الجملة الفعلية: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ سدت مسد المفعولين وما بينهما كلام معترض لا محل له أعطى الكلام تقوية وتسديداً، وحذف جواب الشرط لدلالة الكلام عليه، ولا حاجة إلى هذا التكلف، والتعسف. والله الموفق والمعين وبه أستعين، وانظر الآية [٥٠] من سورة (يونس).

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَتَىٰكُمْ﴾: ماض مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر، وهو في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به. ﴿عَذَابُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها ابتدائية ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَتَتْكُمُ﴾: ماض معطوف على ما قبله، وهو في محل جزم مثله، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها... إلخ، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فمن تدعون؟ وقيل: تقديره: إن أتاكم... دعوتم الله، وقيل: تقديره: فأخبروني أتدعون غير الله لكشفه. وهذا مأخوذ من معنى الكلام السابق كما رأيت في الشرح، وقيل غير ذلك، ولعلك تدرك معي: أن الأول هو المعتمد. ﴿أَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (غير): مفعول به مقدم، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب سدت مسد مفعولي الفعل: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾ أو هي مفعوله الثاني على نحو ما رأيت فيما تقدم. ﴿إِن﴾ حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لا محل لها على نحو ما رأيت، وجواب الشرط محذوف، التقدير: فادعو أصنامكم ونحو ذلك، كما رأيت في الشرح.

﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ﴾ أي: بل تتوجهون إلى الله بالدعاء في ساعات البلاء، وتخصونه بالتضرع؛ ليكشف عنكم ما نزل بكم. ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ...﴾ إلخ: أي: فيرفع عنكم البلاء، إن شاء. أن يرفعه تفضلاً منه وجوداً، وهذا في الدنيا، وأما في الآخرة؛ فلا يشاء ولا يستجيب دعاء الكافرين مهما تضرعوا، ودعوا، كما أفاده قوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ أي:

في ضياع، وانظر: ﴿شَآءَ﴾ في الآية رقم [١٨/٥]. ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ أي: تتركون أصنامكم في حين نزول البلاء لعلمكم أنها لا تضر ولا تنفع، وهو يفيد: أن تركهم الأصنام في ساعات البلاء بمنزلة من قد نسيها. وانظر «النسيان» في الآية رقم [١٤] المائدة.

الإعراب: ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب وانتقال. ﴿إِيَّاهُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ﴾ فهي مثلها في محل نصب، وهذا أقوى وأولى من الاستئناف. (يكشف): مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، التقدير: تدعونه. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿إِلَيْهِ﴾ والجملة الفعلية: (يكشف. . .) إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿شَآءَ﴾: فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، والمفعول به محذوف والجملة الفعلية: لا محل لها كما رأيت في الآية السابقة، وجواب الشرط محذوف، والجملة الفعلية: «فهو يكشف»: معطوفة على ما قبلها. (تنسون): فعل وفاعل. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة، وهي مفعول به، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: ما تشركونه مع الله في العبادة، وجملة: ﴿وَتَنسَوْنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، والجملة الشرطية معترضة بين المتعاطفين.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ...﴾ إلخ: يبين الله في هذه الآية الكريمة أنه أرسل قبل نبينا ﷺ رسلاً إلى الأمم السابقة، فكذبوهم، ولم يؤمنوا بما جاؤوهم به، فانتقم الله منهم بأن أصابهم بأنواع البلاء ليرجعوا، فلم يرجعوا إلى رشدهم. وتلك هي سنة الله في الأولين، وتلك سنته في الآخرين. وفيه تسلية للنبي ﷺ. هذا؛ و﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: الفقر الشديد، وقيل: هو الجوع، وهي مؤنث البؤس الذي هو الشدة والمكروه. والضراء: الأمراض والآفات على اختلاف أنواعها. هذا؛ وقد قال البيضاوي: وهما صيغتا تأنيث لا مذكر لهما، ولكن، إذا عرفت أن البؤسى تأنيث البؤس، وأن الباء فتحت، ومدت الألف بالبأساء، عرفت أن لها مذكراً. ولا تنس أن البؤسى ضد النعمى، وأن البأساء ضد النعماء. ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾: يخضعون ويتوبون؛ إذ التضرع: التخشع والتذلل والانقياد، وترك التمرد. والترجي في الآية إنما هو بحسب عقول البشر، وإلا فالله لا يحصل منه ترج ورجاء لشيء من عباده. وانظر (نا) في الآية رقم [٦/٧] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٣٤] ولا تنس أن المفعول محذوف، التقدير: أرسلنا رسلاً. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَبْلِكَ﴾: ظرف زمان

مجرور لفظاً، منصوب محلاً، متعلق بالفعل قبله. (أخذناهم): فعل وفاعل ومفعول به أول. ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية معطوفة على جملة محذوفة، معطوفة بدورها على ما قبلها لا محل لها مثلها، انظر الشرح. ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: معطوف على سابقه. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿يَتَضَرَّعُونَ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل لا محل لها.

﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿جَآءَهُم﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا، وانظر الآية السابقة، ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾: دعوا وتذللوا، وانظر الآية السابقة. ﴿قَسَتْ﴾: فأصله: قسى، فلما اتصلت به تاء التأنيث التقى ساكنان: الألف، وتاء التأنيث، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. وإذا قسى القلب فلا تؤثر فيه المواعظ، ولا ينتفع بها. وانظر الآية رقم [٥/١٣] أو [٢/٧٤]. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: انظر الاستعاذة. وتزيين الشيطان: هو زخرفته ووسوسته وإغواؤه في المعاصي والكفر، وما كانوا يفعلونه من تحريم وتحليل، وغير ذلك. وفحوى الآية الكريمة أن الله تعالى يرغب في التوبة والرجوع إليه، ولا سيما في أوقات الشدائد والبلاء، ولكن الكفار لم يرجعوا عن غيهم، بل بقوا سادرين في طغيانهم حتى أهلكهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله من واق. وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿فَلَوْلَآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لولا): حرف تحضيض. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض ومفعوله. ﴿بَأْسُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿تَضَرَّعُوا۟﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة، وما تعلق بها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿قَسَتْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والتاء حرف لا محل له. ﴿قُلُوبُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وكذلك جملة: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ معطوفة عليها، وقيل: مستأنفة، والأول أقوى وأولى. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كانوا يعملونه. وعلى الوجه الثالث في ﴿مَا﴾ تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: زين لهم الشيطان عملهم. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم،

والواو اسمه، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ٤٤﴾

الشرح: ﴿نَسُواْ﴾: انظر «النسيان» في الآية رقم [١٤/ ٥] وأصله: نسيوا، فقل في إعلاله: استثقلت الضمة على الياء، فحذفت، ثم حذفت الياء لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، ثم قلبت كسرة السين ضمة لمناسبة الواو. والمراد بنسيانهم هنا: تكبرهم وإعراضهم عن الموعظة والنصيحة كبراً وعناداً. ﴿مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾: وعظوا به وخوفوا به، والمراد بذلك: البأساء، والضراء. ﴿فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾: من الصحة والعافية وسعة العيش، حيث أبدلهم الله مكان البأساء الرخاء، والسعة في العيش، ومكان الضراء الصحة والعافية في الأبدان، وذلك على سبيل الاستدراج لهم، والامتحان لهم بالشدة والرخاء، إلزاماً للحجة، وإزاحة للعلة، ومكراً بهم، وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧]. ﴿شَيۡءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾: بما أعطوا من الخير والنعمة. وانظر «الفرح» في الآية رقم [٥٨] سورة (يونس) تجد ما يسرك ويثلج صدرك. ﴿أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ﴾: أهلكناهم فجأة. ﴿مُّبۡلِسُونَ﴾: آيسون من كل خير ورحمة.

وقال الفراء: المبلس: اليائس المنقطع رجاؤه، وذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته، ولا يكون له جواب: قد أبلس. وأقول: سمي إبليس من هذا؛ لأنه أفلس من رحمة الله، وانقطع رجاؤه من سعة فضل الله. بعد هذا خذ ما رواه عقبة بن عامر ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ: **«إذا رأيتم الله يعطي العبد ما يحب، وهو مقيم على معصيته، فذلك منه تعالى استدراج، ثم تلا:** ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ....﴾ إلخ». ذكره البغوي بغير سند، وأسنده الطبري. انتهى خازن. وانظر الآية رقم [٧/١٨٢] والتي بعدها.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي عند الفارسي، وابن السراج، وابن جني ظرف بمعنى: حين، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول. والمشهور الثاني. ﴿نَسُواْ﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿مَا﴾: موصولة أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ذُكِّرُواْ﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعل، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً،

وابتدائية لا محل لها على اعتبار (لمّا) حرفاً. ﴿فَتَحْنَا﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَبْوَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾ مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿فَتَحْنَا...﴾ إلخ جواب لما لا محل لها، و(لمّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له من الإعراب: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا﴾ انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿فَرِحُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها. ﴿بِمَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة والموصوفة. ﴿أُوتُوٓاْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة (ما) أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف إذ التقدير: أوتوه. ﴿أَخَذْنَٰهُم﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية جواب إذا لا محل لها. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من الضمير بمعنى مبغوتين، أو هو مفعول مطلق للفعل قبله، على حد: (أتيته ركضاً) و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف. (إذا): هي الفجائية، وفيها ثلاثة أوجه: وهي حرف عند الأخفش وابن مالك، وظرف مكان عند المبرد وابن عصفور، وظرف زمان عند الزجاج والزمخشري، وزعم الأخير: أن عاملها فعل مقدر مشتق من لفظ المفاجأة، ولا يعرف هذا لغير الزمخشري، وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور. انتهى. من المغني بتصرف. ﴿هُم مُّبْلِسُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ...﴾ إلخ، فأهلك الكافرون عن آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد. و﴿دَابِرُ﴾ من: دابره دبراً: ودبوراً: إذا تبعه حتى قضى عليه، وانظر شرح: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٢/ ٥]. ﴿ظَلَمُواْ﴾ أي: أنفسهم بالكفر والمعاصي ومخالفة أوامر الواحد القهار. وانظر الآية رقم [١٤٤]. ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر شرح مفردات هذه الجملة في الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة) وقد حمد الله نفسه على هلاك الكافرين، من حيث إن هلاكهم تخليص لأهل الأرض من شؤم عقائدهم وأعمالهم نعمة جليلة يحق أن يحمد عليها. وفيه تعليم للرسل ولمن آمن بهم أن يحمدوا الله على كفايته إياهم شر الذين ظلموا، ويحمد محمد ﷺ وأصحابه ربهم إذ أهلك المشركين المكذبين. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَقُطِعَ﴾: الفاء: حرف عطف. (قطع): ماض مبني للمجهول. ﴿دَابِرُ﴾: نائب فاعله، وقرئ (قطع) بالبناء للفاعل ونصب (دابرَ)، فيكون الفاعل عائداً، إلى الله تعالى، و﴿دَابِرُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ وجملة: ﴿ظَلَمُواْ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿فَقُطِعَ...﴾

إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَخَذْنَهُم﴾ لا محل لها مثلها. (الحمد): مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿رَبِّ﴾: صفة (الله)، و﴿رَبِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، وفيه عطف جملة اسمية على فعلية.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٢/٢٦] أو [٧/٤] والخطاب للنبي ﷺ. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أخبروني، وانظر الآية رقم [٤٠]. ﴿إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ...﴾ إلخ: أصمكم وأعماكم، وغطى على قلوبكم ما يزول به عقلكم، وفهمكم، وإنما خص سبحانه هذه الأعضاء بالذكر؛ لأنها أشرف أعضاء الإنسان، فإذا تعطلت هذه الأعضاء؛ اختل نظام الإنسان، وفسد أمره، وبطلت مصالحه في الدين والدنيا. هذا؛ ووحد السمع وجمع ما بعده لأنه مصدر حذف ما أضيف إليه لدلالة المعنى؛ إذ التقدير: مواضع سمعهم، أو يقال: وحد السمع لوحدة المسموع وهو الصوت دونهما، أو للمصدرية، والمصادر لا تجمع. وقرئ شاذّاً: (وعلى أسماعهم). والمراد بالختم هنا: عدم وصول الحق إلى قلوبهم، وعدم نفوذه واستقراره فيها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢/٧] بهذا الصدد. ﴿يَأْتِيكُم بِهِ﴾ أي: بما سلبتم من سمع وبصر وقلب، والمعنى: أي فرد من آلهتكم يأتيكم بما ذكر. ﴿نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: نكررها: تارة من جهة المقدمات العقلية، وتارة من جهة الترغيب والترهيب، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين. ﴿ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴾: يعرضون عن الإيمان، يقال: صدف عن الشيء صدفاً، وصدوفاً، أي: أعرض، و﴿ثُمَّ﴾ معناها هنا: استبعاد واستنكار الإعراض عن الآيات بعد تكريرها وتقريرها. بعد هذا انظر «القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يَأْتِيكُم﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٤٣] (المائدة).

هذا؛ ولم يؤت هنا بالكاف في قوله ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وأتي به في الآية رقم [٤٠] لأن التهديد هناك أعظم. فناسب التأكيد بكاف الخطاب، ولما لم يؤت بالكاف هنا وجب ثبوت علامة الجمع بالتاء لئلا يلتبس. انتهى. جمل بتصرف، وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٦] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمخاطب به النبي ﷺ. ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (رأيتم): فعل وفاعل، والميم علامة جمع الذكور، وقد اختلف في مفعولي هذا الفعل، (فقال قوم): هو محذوف دل عليه الكلام، تقديره: أرأيتم سمعكم... إلخ، هل تستطيعون ردها إن سلبت منكم، ودل عليه قوله: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ﴾. وقال

آخرون: لا يحتاج إلى مفعول؛ لأن الشرط وجوابه قد حصل معنى المفعول. وملخص كلام السمين: أن المفعول الأول محذوف، والمسألة من باب التنازع، تنازع: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ وفعل الشرط في: ﴿سَمْعَكُمْ...﴾ إلخ، وكلاهما يطلبه مفعولاً له، فحذف المفعول الأول، وأعمل: ﴿أَخَذَ﴾ في ﴿سَمْعَكُمْ﴾. وأما المفعول الثاني لـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ فهو الجملة الاستفهامية. خذ هذا؛ وأرى أن الفعل: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، وأن الجملة الاسمية: ﴿مَنْ إِلَٰهٌ...﴾ إلخ سدت مسد مفعوليه، وما بينهما كلام معترض لا محل له، ولا حاجة إلى هذا التكلف، والتعسف. ﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ﴾: انظر إعراب مثله في الآية رقم [٤٠]. وجملة: ﴿وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم﴾ معطوفة على ما قبلهما لا محل لها مثلها، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله. ﴿مَّنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَٰهٌ﴾: خبره. ﴿غَيْرُ﴾: صفة ﴿إِلَٰهٌ﴾، و﴿غَيْرُ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَأْتِيكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى إله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿إِلَٰهٌ﴾ أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والرابط: الضمير فقط، والعامل في الحال معنى الاستفهام، وهو أرجح الأقوال الثلاثة. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والضمير يعود إلى ما أخذ، وختم عليه، أو إلى أحد هذه المذكورات، وحذف ما يعود إلى الآخرين اكتفاء به. والجملة الاسمية: ﴿مَّنْ إِلَٰهٌ...﴾ إلخ في محل نصب سدت مسد مفعولي: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ أو هي مفعوله الثاني على نحو ما رأيت فيما تقدم، والجملة الشرطية: ﴿إِنْ أَخَذَ...﴾ إلخ معترضة بينهما، وجملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ...﴾ إلخ: في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ٱنظُرْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام وتعجب مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿نُصَرِّفُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْآيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ﴾ في محل نصب سدت مسد مفعول انظر المعلق عن العمل، وجملة: ﴿ٱنظُرْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يَصْدِفُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ نُصَرِّفُ...﴾ إلخ فهي داخلة مثلها في المفعولية.

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ﴾: انظر الشرح الوافي لهذا الكلام في الآية

رقم [٤٠]. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة من غير مقدمة، أو إنذار. ﴿جَهْرَةً﴾: عياناً بأن ظهرت أمارات العذاب ليلاً أو نهاراً. ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾: الاستفهام بمعنى النفي، أي: لا يهلك إلا القوم الكافرون، والمراد: أن الإهلاك إهلاك سخط وغضب، فلا يرد أن غيرهم يهلكون بلا ريب، لكن ليس سخطاً وتعذيباً، بل إثابة، ورفع درجة. انتهى جمل نقلاً عن كرخي. وانظر (القوم) في الآية رقم [٢٢] (المائدة).

الإعراب: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٤٠] ففيه الكفاية. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من الضمير المنصوب بمعنى: مباغتين، ويصح أن يكون حالاً من: ﴿عَذَابُ اللَّهِ﴾ بمعنى مباغتاً، أو هو مفعول مطلق عامله الفعل (أتى) من غير لفظه. ﴿جَهْرَةً﴾: معطوف على ﴿بَغْتَةً﴾ على الوجهين المعتبرين فيه، ويقرأ بالواو وبأو. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بمعنى النفي. ﴿يُهْلَكُ﴾: يقرأ بالبناء للفاعل من الثلاثي، وبالبناء للمفعول من الرباعي. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿الْقَوْمُ﴾: فاعل أو نائب فاعل على نحو ما رأيت. ﴿الظَّالِمُونَ﴾: صفة القوم مرفوع، وعلامة رفعه الواو... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يُهْلَكُ...﴾ إلخ تصلح لما صلح له: ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ انظر في الآية رقم [٤٠].

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)﴾

الشرح: ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: بفتح السين جمع: رسول، ويجمع على: رسل، كما في قوله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ وانظر شرح الرسول والنبي في الآية رقم [٥/ ٨٣] ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: المطيعين بالجنة والرضا والرضوان. ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ أي: مخوفين الكافرين والعاصين من النار وغضب الواحد القهار. ﴿آمَنَ﴾ أي: بالله ورسله، وانظر الآية رقم [٩٣] (المائدة) ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾: من عذاب الله وغضبه. ﴿عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: في الآخرة بسبب شيء يهمهم أو يزعجهم، وهذا؛ وعد من العلي القدير، فهنيئاً لمن وفق للعمل الصالح في الدنيا ليفوز في الآخرة برضا ربه، ونعيمه الدائم الذي لا ينقطع، وانظر (نا) في الآية رقم [٧/ ٧] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿نُرْسِلُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿مُبَشِّرِينَ﴾: حال منصوب... إلخ. (منذرين): معطوف عليه، فهو حال أيضاً، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا نُرْسِلُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (من): اسم

شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ) تقديره: «هو». (أصلح): فعل ماض معطوف على ما قبله فهو في محل جزم مثله، والفاعل يعود إلى (مَنْ) أيضاً. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية. ﴿خَوْفٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، وإن علقتهما بـ: ﴿خَوْفٌ﴾ لأنه مصدر، فيكون الخبر محذوفاً، تقديره: موجود، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها فهي مثلها، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٣٩] هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فتكون جملة: ﴿ءَامَنَ﴾ صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا خَوْفٌ...﴾ إلخ خبره، ودخلت الفاء على خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، ويقويه عطف الموصول في الآية التالية عليه، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وقد قرئ: (لا خوف) بدون تنوين على إعمال (لا) إعمال (إنّ)، وهي قراءة شاذة؛ لأن (لا) متى تكررت أهملت، وآيات كثيرة تشهد بذلك، بعد هذا يجب أن تعلم أنه قد روعي لفظ (مَنْ) في إعادة فاعل ﴿ءَامَنَ﴾ إليها فلذا أفرد، وروعي معناها في: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فلذا جمع الضمير.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٤٩)﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: انظر الآية رقم [٣٩]. وهو مقابل لمن آمن في الآية السابقة؛ إذ اقتضت حكمة الله ورحمته ألا يذكر التصديق من المؤمنين، إلا ويذكر التكذيب من الكافرين، ولا يذكر الإيمان إلا ويذكر الكفر، ولا يذكر الجنة إلا ويذكر النار، ولا يذكر الرحمة إلا ويذكر الغضب والسخط، ليكون المؤمن راغباً، راهباً، خائفاً، راجياً... إلخ. ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: يصيبهم وينزل بهم العذاب. ﴿يَفْسُقُونَ﴾: انظر الفاسقين في الآية رقم [٢٥/٥] وانظر (نا) في الآية رقم [٧] الأعراف.

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف عطف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَذَّبُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/٥] ﴿بِآيَاتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ﴾: مضارع ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، وجملة: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥] وغيرها، و(ما) المصدرية وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور

متعلقان بالفعل قبلهما، والتقدير: بسبب فسقهم، واعتبار (ما) موصولة، أو موصوفة هنا بعيد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٤/٧]. ﴿خَزَآئِنُ ٱللَّهِ﴾: خزائن رزقه، و﴿خَزَآئِنُ﴾ جمع: خزانة، وهي اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء، وخزن الشيء: إحرازه بحيث لا تناله الأيدي. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: لا أعلم ما لم يوح إلي فيه شيء، ولم ينصب عليه دليل. ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾: وهذا رد لقولهم: قالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام، ويمشي في الأسواق، ويتزوج النساء إلى غير ذلك. ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: ما أخبركم إلا بما أنزل الله عليّ. وانظر: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ في الآية رقم [٤/١٦٣]. ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ أي: الكافر والضال والجاهل، ومعنى عماهم أنهم لا يبصرون طريق الحق والصواب. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٦] و[٣٩] ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: هو المؤمن المهتدي العالم، ومعنى بصره: أنه يبصر طريق الحق والصواب. ﴿أَفَلَا﴾: انظر ما ذكرته في الآية رقم [٥/١٠٤]. ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾ أي: في خلق السموات والأرض فتهتدون فلا تكونون ضالين أشباه العميان، أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر ونحو ذلك.

ومجمل معنى الآية الكريمة: أن النبي ﷺ أعلمهم بأمر الله له: أنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي، وأنه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وبما سيكون، وأنه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر، إنما يتبع ما يوحى إليه من ربه عز وجل، فما أخبر عنه من غيب، فإنما هو بوحي الله إليه. انتهى جمل، وخازن. وتتمة المعنى: لا يكون الكافر والمؤمن على درجة واحدة عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة، وكذلك المطيع والعاصي، ألا يتفكر العقلاء ذوو البصيرة في ذلك لعلهم يرجعون إلى رشدهم.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة حين طلبوا من النبي ﷺ أشياء ليست بمقدوره، واستنكروا منه أشياء لا تكون بزعمهم ممن يدعي النبوة، فبين الله لهم: أن الرسول بشر لا يقدر على أشياء ليست من صنع البشر، وأنه يتلقى ما يعلمه الله إياه بواسطة الملك. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَقُولُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عِندِى﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿خَزَآئِنُ﴾: مبتدأ

مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَآ أَقُولُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مَلَكٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي مَلَكٌ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ...﴾ إلخ معطوفة على مثيلتها، فهي داخلة في مقول: ﴿قُل﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى: ما. ﴿أَتَّبِعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المقصورة، ونائب الفاعل يعود إلى (ما) وهو العائد أو الرابط. ﴿إِلَيَّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والجملة الفعلية: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام، وتوبيخ. ﴿يَسْتَوِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾: فاعله مرفوع. ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يَسْتَوِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام وإنكار وتوبيخ. (فلا): الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة إن كانت من مقول الله تعالى، أو هي في محل نصب مقول القول، إن كانت من مقول الرسول ﷺ.

﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ﴾: خوف بالقرآن الذي أوحي إليك من ربك. ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: المراد بهم المسلمون المفرطون في طاعة الله تعالى. المرتكبون للمعاصي والمنكرات، المعترفون بالبعث والحشر، الذي هو الجمع يوم القيامة للحساب والجزاء. وانظر شرح ﴿رَبِّهِمْ﴾ في الآية رقم [٣/٧]. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: من غير الله تعالى وانظر رقم [٣/٧]. ﴿وَلِيٌّ﴾: نصير ومعين، وانظر الآية رقم [١٤]. ﴿شَفِيعٌ﴾: يشفع لهم من عذاب الله تعالى، وانظر الشفاعة في الآية رقم [٨٥/ ٤] فإنه جيد. ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: المعاصي فيبتعدون عنها، والتقوى مأخوذة من الوقاية، وهي الحفظ والتحفظ من الشر، والمتقي ربه يجعل نفسه في وقاية من النار. والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج ورجاء لشيء من عباده، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

الإعراب: ﴿وَأَنذِرْ﴾: الواو: حرف استئناف. (أنذر): فعل أمر وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَخَافُونَ...﴾ إلخ صلة

الموصول لا محل لها، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يُحْشَرُوٓا۟﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: (أنذر...) إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهُم﴾: متعلقان بمحذوف خبر ليس تقدم على اسمها. ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بما تعلق به ما قبلهما، وتعليقهما بشفيع بعدهما، لا يأباه المعنى، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿مِّن دُونِهِۦ﴾ متعلقين بمحذوف خبر ثان، فيكون من تعدد الخبر، وهو شبه جملة، ﴿وَلِيٌّ﴾: اسم ﴿لَيْسَ﴾ مؤخر. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿شَفِيعٌ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَيْسَ لَهُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿يَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مفيدة للتعليل على نحو ما رأيت في الآية رقم [١٨٥] (البقرة).

﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾: الطرد: الإبعاد، وطرده: أبعده، وهو من الباب الأول. ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾: يعبدونه، وقيل: يصلون له؛ لأن الصلاة تشتمل على الذكر والدعاء، والمراد بذكر الغداة والعشي: صلاتا الفجر والعصر، وقيل: المراد الدوام في جميع الأوقات بل وجميع الحالات. هذا؛ وقد قرئ: (بالغدوة) بضم الغين وسكون الدال. ﴿رَبَّهُم﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] بالإضافة لما ذكرت من تفسير (الغداة والعشي) أقول: العشي ومثله العشية من صلاة المغرب إلى العتمة، وهو قول الجوهري، وقال: قلت قال الأزهري: العشي من بين زوال الشمس وغروبها، ويقابل العشية الغدوة، وهي ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس، وقيل إلى الضحوة الكبرى، أما الغداة فهي في الأصل الضحوة، وجمع العشية: عشيّات، وجمع الغداة: غدوات، وجمع الغدوة: غدو، ويقابل بالأصيل، وجمعه: آصال، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ﴾ ﴿رِجَالٌ...﴾ إلخ الآية من سورة (النور) كما يقابل الغدو بالعشي، قال تعالى في حق فرعون وأشياعه: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...﴾ إلخ الآية من سورة (غافر)، وانظر الآية رقم [٣/٤١] والآية رقم [٧/٢٠٥]. ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾: يطلبون ذاته، فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته. وانظر الآية رقم [٢/١١٢]. ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ...﴾ إلخ: أي لا تكلف أمرهم ولا يكلفون أمرك. وقيل: ما عليك حساب رزقهم، فتملهم، وتطردهم عنك، ولا رزقك عليهم، إنما الرازق لجميع الخلق هو الله تعالى. انتهى خازن.

وقال البيضاوي: أي ليس عليك حساب إيمانهم، كما أن حسابك عليك لا يتعدى إليهم انتهى بتصرف. ولو قلنا: معناه: لا تسأل عن أعمالهم، ولا يسألون عن عملك؛ لكان جيداً، ويكون مثل الآية الكريمة رقم [٢/١٤١] وهي: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ...﴾ إلخ وانظر ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٥/١٩]. ﴿فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: إن فعلت ذلك، وحاشاه ﷺ من الظلم، وانظر الآية رقم [١٤٧] الآتية.

تنبيه: روي: أن زعماء قريش قالوا للنبي ﷺ: لو طردت هؤلاء الأعبد عن مجلسك ـ يعنون بذلك فقراء المسلمين وضعفاءهم كعمار وصهيب وبلال وخباب ـ جلسنا إليك، وحادثناك، فقال: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا: فأقمهم عنا إذا جئناك. قال: نعم. وروي: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال له: لو فعلت حتى تنظر إلى ماذا يصيرون، فدعا بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ليكتب، فنزلت الآية الكريمة وما بعدها، وكذلك نزلت آية (الكهف): ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم...﴾ إلخ الآية رقم [٢٨] فكان عليه الصلاة والسلام إذا أقبل عليه أحد من هؤلاء الفقراء؛ يقول: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾، ويرحب بهم، ويجلسهم إلى جانبه.

هذا؛ وقد قيل: إن الذين طلبوا من النبي ﷺ ما تقدم هم أجلاف العرب، وكان ذلك في المدينة المنورة، ويرده: أن سورة (الأنعام) مكية، وأن الحادثة وقعت في مكة. وانظر الآية رقم [٢٨] من سورة (نوح).

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَطْرُدِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿الَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِالْغَدَاةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. (العشي): معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، وجملة: ﴿وَلَا تَطْرُدِ﴾... إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين. ﴿مَا﴾: نافية مهملة. ﴿عَلَيْكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر تقدم على المبتدأ. ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو متعلقان بمحذوف خبر ثان، فيكون من تعدد الخبر، وهو شبه جملة. هذا؛ وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾ كان صفة له... إلخ، وكثير من النحاة لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة. هذا؛ واعتبار: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستقر في الخبر المقدم المحذوف لا غبار عليه. هذا؛ وقد جوز اعتبار: ﴿مَا﴾ نافية حجازية تقدم خبرها على اسمها والإعراب على حقيقته، كما جوز اعتبار: ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾ متعلقين بمحذوف خبر مقدم، و﴿عَلَيْكَ﴾ متعلقين بمحذوف حال من: ﴿شَيْءٍ﴾ كما في

تركيب الجملة: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾، وإعرابها كإعراب سابقتها، والجملة الاسمية: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ قال الجمل فيها: هي بمنزلة التعليل، أي للنهي المتقدم. أقول: أو هي مستأنفة، فلا محل لها على الوجهين. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد الفاء السببية في جواب النفي، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿فَتَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية في جواب النهي، واسمه مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (تكون). وكلا الفعلين يؤولان مع «أن» المضمرة بمصدر معطوف بفاء السببية على مصدر متصيد من الفعل السابق؛ إذ التقدير: لا يكن منك طرد للفقراء المؤمنين فتكون من الظالمين، وما حسابهم عليك فتطردهم من اختصاصك. وقيل: (تكون) معطوف على ما قبله على وجه التسبب؛ لأن كونه ظالماً مسبب عن طردهم.

﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)﴾

الشرح: ﴿فَتَنَّا﴾: ابتلينا واختبرنا، والضمير في ﴿بَعْضَهُم﴾ المراد به بعض الناس، والمعنى: ابتلينا الغني بالفقير، والفقير بالغني، والشريف بالوضيع، والوضيع بالشريف... إلخ، فكل واحد مبتلى بضده، فكان ابتلاء الأغنياء الشرفاء في عهد النبي ﷺ حسدهم لفقراء الصحابة الذين سبقوهم إلى الإسلام، وتقدموا عليهم، فامتنعوا من الدخول في الإسلام لذلك، فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم، وأما فتنة الفقراء بالأغنياء، فلما يرون من سعة رزقهم، وخصب عيشهم، فكان ذلك فتنة لهم. انتهى. خازن. ﴿لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ﴾..إلخ: أي أهؤلاء أنعم الله عليهم بالهداية والتوفيق لما يسعدهم دوننا، ونحن الأكابر والعظماء، وهم الفقراء والضعفاء؟! وهو إنكار واستغراب لأن يخص هؤلاء بإصابة الحق والسبق إلى الخير، كقولهم في آية أخرى: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾. ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ أي: فيعلم الله الشاكر لنعمه، فيزيده منها، كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ ويعلم الجاحد لنعمه، فينتقم منه، كما أفاده قوله تعالى: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف تقدم على عامله، التقدير: فتنا بعضهم فتوناً كائناً مثل ذلك الفتون. ﴿فَتَنَّا﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥] ﴿بَعْضَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لِّيَقُولُوا﴾ اللام: لام التعليل، وقيل: هي لام الصيرورة والعاقبة. (يقولوا): مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في

تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية (كذلك. . .) إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب. ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الهاء: حرف تنبيه. (أولاء): اسم إشارة مبني على الكسرة في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. هذا؛ ويجوز تعليق: ﴿مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بـ: (على)، وفسر بمفردين. هذا؛ وقد اعتبر: (هؤلاء) منصوباً على الاشتغال بفعل محذوف يفسره الفعل الظاهر العامل في ضميره بواسطة (على)، ولا أراه قوياً. ﴿أَلَيْسَ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (ليس): ماض ناقص. ﴿ٱللَّهُ﴾: اسمها. ﴿بِأَعْلَمَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (أعلم): خبر (ليس) مجرور لفظاً منصوب محلاً، وعلامة الجر اللفظي الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للصفة، ووزن أفعل. ﴿بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بـ: (أعلم)، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَلَيْسَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: هم الذين نهي الرسول ﷺ عن طردهم في الآية السابقة. وصفهم الله بالإيمان بالقرآن، واتباع الحجج بعد ما وصفهم بالمواظبة على العبادة تنبيها على إحرازهم لفضيلة العلم وفضيلة العمل، وأمر الله نبيه بأن يبدأهم بالسلام، أو يبلغهم سلام ربهم، ويبشرهم بسعة رحمة الله وفضله. ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾: انظر شرح هذه الجملة في الآية رقم [١٢]. ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي: الحال والشأن. ﴿سُوٓءًا﴾: ذنباً ومعصية. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: ما أحراك أن تنظر الآية رقم [١٧/ ٤] وانظر الجاهل في الآية رقم [٣٥]. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٥٠/ ٥]. ﴿تَابَ﴾: رجع واستغفر من ذنبه، وانظر شروط التوبة في الآية رقم [١٧/ ٤]. ﴿وَأَصْلَحَ﴾: عمله بالتدارك والعزم على أن لا يعود. ﴿غَفُورٌ﴾: صيغة مبالغة من الغفران. ﴿رَّحِيمٌ﴾: انظر البسملة. بعد هذا انظر (جاءك) في الآية رقم [٥] والإيمان في الآية رقم [٩٦/ ٥] و(آياتنا) في الآية رقم [٤] والقول في الآية رقم [٧/٤]. هذا؛ وقد قرئ بفتح همزة ﴿أَنَّهُۥ﴾ في الموضعين وبكسرها فيهما، وفتح الأولى، وكسر الثانية، فالقراءات ثلاثة، وكلها سبعية.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿جَآءَكَ ٱلَّذِينَ﴾: ماض ومفعوله وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿فَقُلْ﴾: الفاء: واقعة في

جواب (إذا). ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، سوغ الابتداء به ـ وهو نكرة ـ الدعاء؛ لأنه من مسوغات الابتداء بالنكرة. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله، وجملة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير الشأن في محل نصب اسمها. ﴿مَنْ﴾: اسم شرط مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَنْ﴾. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في: ﴿مَنْ﴾ ﴿سُوٓءًۢا﴾: مفعول به. ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر أيضاً، ولا بأس بتعليقهما بمحذوف صفة ﴿سُوٓءًۢا﴾ أي: كائناً، أو مفعولاً ﴿بِجَهَٰلَةٍ﴾. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿تَابَ﴾: ماض معطوف على فعل الشرط، والفاعل يعود إلى من. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَصْلَحَ﴾: معطوف على فعل الشرط أيضاً، وفاعله مستتر يعود إلى ﴿مَنْ﴾ أيضاً، ومفعوله محذوف، والجملة الاسمية: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو من مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٢٩]. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَنْ﴾ موصولة فهي مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في محل رفع خبره، ودخلت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وتعتبر زائدة، وعلى الوجهين فالجملة اسمية، وهي في محل رفع خبر (أنَّ).

بعد هذا نعود إلى إعراب محل (أنّه) في الموضعين، فتح الهمزة في الأول يجعلها تؤول بمصدر، وفي محله وجوه: أحدها: أنه بدل من ﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ فهو في محل نصب، فإن نفس هذا المصدر المتضمن للإخبار بذلك رحمة. والثاني: أنه في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنه من عمل، فلما حذفت اللام جرى في محله الخلاف المشهور. والثالث: كونه في محل رفع على أنه مبتدأ، والخبر محذوف، أي: عليه أنه من عمل... إلخ. والرابع: كونه في محل نصب على أنه مفعول: ﴿كَتَبَ﴾، و﴿ٱلرَّحْمَةَ﴾ مفعول من أجله. انتهى جمل. وأقواها الوجه الأول، والثالث، والرابع ضعيفان ظاهر فيهما التكلف، والتعسف. وأما كسر الهمزة فينتج عنه جملة اسمية، وفي محلها وجهان: أحدهما: أنها مستأنفة، وجيء بها وبما بعدها كالتفسير لقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ والثاني: أن كتب أجري مجرى قال. فكسرت الهمزة بعده كما تكسر بعد القول الصريح، وأما فتح الهمزة في الموضع الثاني يجعلها تؤول أيضاً بمصدر. وفي محله ثلاثة وجوه: أحدها: كونه في محل رفع مبتدأ، والخبر محذوف، أي فغفرانه ورحمته حاصلان لمن عمل سوءاً بجهالة، ثم تاب من بعده، أو فعليه غفرانه ورحمته. الثاني: كون المصدر المؤول في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فأمره أو شأنه أنه

غفور رحيم. الثالث: كونه تكرير للأول، كررت (أن) لما طال الكلام، وعطفت الثانية على الأولى بالفاء، وهذا منقول عن أبي جعفر النحاس. انتهى جمل.

أقول: عند التأمل يظهر لك ضعفه؛ لأن الثانية واقعة في جواب ﴿مَنْ﴾ أو في خبره كما رأيت في الإعراب، فهي ضمناً واقعة في محل رفع خبر الأولى، وأما كسر الهمزة فينتج عنه جملة اسمية، وفي محلها وجهان: أحدهما أنها في محل جزم جواب الشرط، أو في محل رفع خبر ﴿مَنْ﴾ على اعتبارها موصولة، وهو ما رأيته فيما تقدم من الإعراب، والثاني: أنها عطف على الأولى وتكرير لها انتهى. جمل.

أقول: هذا ضعيف، وسبب ضعفه، ما ذكرته في الوجه الثالث من أوجه فتحها. وأما القراءة الثالثة؛ فيؤخذ فتح الأولى، وكسر الثانية مما تقدم في كسرهما، وفتحهما بما يليق من ذلك، وهو ظاهر. انتهى جمل.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾: المعنى: مثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونوضحها، ونلخصها في صفة المطيعين الأوابين، والمجرمين المصرين على الكفر والعناد والمعاصي واقتراف السيئات. وانظر شرح: ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤] وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧] ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: لتظهر، يقال: استبان الأمر، وتبين، واستبنته، وتبينته. والمعنى واحد. ﴿سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: طريق المجرمين، وانظر شرح: ﴿سَبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٦/٥] فإنه جيد. وقرئ الفعل (تستبين) بالتاء على اعتباره مؤنثاً، وقرئ بالياء على اعتباره مذكراً. هذا؛ و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ جمع مجرم، والمراد به هنا: الكفار، ويشمل ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ من المسلمين الذين يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، والذين يعتدون على الحرمات. وينتهكون المحرمات، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ الواو: حرف عطف. الكاف: حرف تشبيه وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله الفعل الذي بعده، وتقدير الكلام: ﴿نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ تفصيلاً كائناً مثل ذلك التفصيل... إلخ. ﴿نُفَصِّلُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ...﴾ إلخ معطوفة على ما في الآية رقم [٥٣] أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ﴾: الواو: حرف عطف. اللام: حرف تعليل وجر. (تستبين): مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. ﴿سَبِيلُ﴾: فاعله.

هذا؛ وقد قرئ بنصبه، فيكون الفاعل مستتراً تقديره: «أنت»، و﴿سَبِيلُ﴾ مضاف، و﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه جمع مذكر سالم، و«أن» المضمرة والفعل: (تستبين) على القراءتين في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على جار ومجرور محذوفين، وهما متعلقان بالفعل ﴿نُفَصِّلُ﴾ وتقدير الكلام: نفصل الآيات ليظهر الحق ولتستبين. . . إلخ.

﴿قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا وما بعده خطاب للنبي ﷺ، وانظر «القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: نهاني ربي عن عبادة الأصنام التي تعبدونها وتقدسونها من دون الله، وقيل: معناه: تدعونها وتلجؤون إليها عند الشدائد؛ لأن الجمادات أحقر من أن تعبد، أو يلجأ إليها عند المهمات. ﴿قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ﴾: هذا تأكيد لقطع أطماع المشركين في أن يميل النبي الكريم إلى عبادة الأصنام، وإشارة إلى أن ما يفعلونه من عبادة الأصنام إنما هو جهل واتباع هوى لا يستند إلى شيء يعتمد عليه. ﴿قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا﴾ أي: إن اتبعت أهواءكم؛ فقد اتبعت طريق غير الحق والصواب. ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ أي: وما أنا في شيء من الهدى إن اتبعت أهواءكم. وفيه تعريض بأنهم على غير هدى وحق. بعد هذا انظر معنى: ﴿أَعْبُدَ﴾ في سورة (الفاتحة)، و﴿دُونِ﴾ في الآية رقم [٧/٢]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿أَهْوَآءَكُمْ﴾: جمع هوى، وانظر الآية رقم [٤/١٣٥]. ﴿ضَلَلْتُ﴾: انظر: ﴿وَضَلَّ﴾ في الآية رقم [٢٤]. هذا؛ وقد فك التضعيف لاتصاله بضمير رفع متحرك، وهو واجب، وهو هنا بفتح اللام الأولى، ويقرأ في آية أخرى: (قل إن ضللت) بكسرها.

قال الرازي في مختاره: فهذه، أي الأولى لغة نجد، وهي الفصيحة، وأهل العالية يقولون: (ضللت) أضل بالكسر فيهما انتهى. . أقول: لغة نجد من باب ضرب والثانية من باب ورث.

الإعراب: ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿نُهِيتُ﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: عن عبادة الذين، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: تدعونه، والجار والمجرور متعلقان به، واعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من المفعول المحذوف لا بأس به، والجملة الفعلية: ﴿نُهِيتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ

مستأنفة لا محل لها. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أَتَّبِعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا» ﴿أَهْوَآءَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَآ أَتَّبِعُ﴾..إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُل﴾..إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ضَلَلْتُ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِذًا﴾: حرف جواب وجزاء مهمل لا عمل له. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف عطف. (ما): نافية مهملة، أو حجازية تعمل عمل «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل رفع اسم (ما). ﴿مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، أو هما متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (ما)، والجملة اسمية على الوجهين معطوفة على ما قبلها لا محل لها.

﴿قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿بَيِّنَةٍ﴾: هي الدلالة الواضحة، والحجة الدامغة. ﴿رَّبِّى﴾: انظر الآية رقم [٣/ ٧]. ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾: الضمير يعود لـ: ﴿رَّبِّى﴾ أي: كذبتم به حيث أشركتم به غيره، أو للبينة باعتبار المعنى. وقيل: يعود إلى القرآن؛ لأنه مفهوم من المقام، وهو كالمذكور. ﴿مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾: المراد بالضمير المجرور بالباء: العذاب الذي طلبوه مراراً، وحكاه القرآن عنهم: ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ أي: نصيبنا من العذاب، إلى غير ذلك. ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي: ما الحكم في تأخير العذاب، وتعجيله إلا لله. ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾: يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به، ويقدره. من: قص أثره، أو قص خبره: إذا تتبعه. وقيل: هو بمعنى يقول الحق. ويقرأ (يقض) بالضاد، من القضاء، يعني: يقضي القضاء الحق، وانظر شرح ﴿ٱلْحَقَّ﴾ في الآية رقم [٢٧/ ٥]. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: الله خير القاضين والحاكمين بالحق. وانظر شرح: ﴿خَيْرُ﴾ في الآية رقم [١٢/ ٧]. تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ). ﴿مِّن رَّبِّى﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَيِّنَةٍ﴾، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَكَذَّبْتُم﴾: الواو: واو الحال. (كذبتم): فعل وفاعل. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿وَكَذَّبْتُم بِهِۦ﴾ في محل نصب

حال من: ﴿بَيِّنَةٍ﴾، والرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، وهذا باعتبار رجوع الضمير إلى بينة، كما رأيت، وهي على تقدير «قد» قبلها، وجوز اعتبارها مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: نافية مهملة. ﴿عِندِى﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم منصوب. وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم. . .إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. (ما): تحتمل الموصولة والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل رفع اسم: ﴿مَا﴾ مؤخر على اعتبارها عاملة عمل ليس، والجملة الفعلية: ﴿تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ﴾ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء والمتعلق محذوف؛ إذ التقدير: من العذاب، وهذا الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور محلاً بالباء و«مِنْ» بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾. والجملة الاسمية: ﴿مَا عِندِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿إِنِ﴾: نافية بمعنى: ﴿مَا﴾. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً، والجملة الفعلية: ﴿يَقُصُّ ٱلْحَقَّ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط رجوع الفاعل إليه فقط. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْفَٰصِلِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ خَيْرُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، فهي حال متعددة، أو من فاعل: ﴿يَقُصُّ﴾ المستتر، فهي حال متداخلة، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٥٨﴾

الشرح: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى...﴾ إلخ، أي لو كان في قدرتي ومكنتي ما تطلبونه من العذاب. وانظر الآية السابقة. ﴿لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ...﴾ إلخ، أي: لأهلكتكم عاجلاً غضباً لربي، وانتهى الأمر بيني وبينكم إلى المقاطعة التامة والاستراحة من كيدكم وشركم. وانظر: ﴿قَضَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٢/١١٧] فإنه جيد. ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: وبأحوالهم، وما يستحقون من العذاب، والوقت الذي يستحقونه فيه. وقال البيضاوي: فيه معنى الاستدراك، كأنه قال: ولكن الأمر إلى الله، وهو أعلم بمن ينبغي أن يؤخذ، وبمن ينبغي أن يمهل منهم. هذا؛ والمراد ﴿بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هنا: الكفار والمشركون، ويشمل الظالمين من المسلمين الذين يعتدون على حقوق الناس، وينتهكون حرماتهم. وانظر الظلم في الآية رقم [١٤٥] الآتية.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿عِندِى﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر: ﴿أَنَّ﴾ تقدم

على اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿مَا﴾: اسم: ﴿أَنَّ﴾ مؤخر، وانظر الآية السابقة ففيها الكفاية لتتمة الإعراب، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها المقدم في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف هو شرط ﴿لَّوْ﴾ عند المبرد، التقدير: لو ثبت استعجالهم العذاب. وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو استعجالهم العذاب ثابت أو حاصل. وقول المبرد هو المرجح؛ لأن ﴿لَّوْ﴾ لا يليها إلا فعل ظاهر أو مقدر، والفعل المقدر وفاعله جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَقُضِيَ﴾: اللام: واقعة في جواب ﴿لَّوْ﴾. (قضي الأمر): ماض مبني للمجهول، ونائب فاعله. ﴿بَيْنِي﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله منصوب وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبَيْنَكُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَقُضِيَ...﴾ إلخ جواب لو لا محل لها، و﴿لَّوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُل...﴾ مستأنفة لا محل لها. (الله): مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره. ﴿بِالظَّالِمِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَعِندَهُۥ﴾: عند الله. ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾: خزائن الغيب، أي ما غاب عن المخلوقات من معلومات لا يعلمها إلا الله تعالى، وقد ذكرها ربنا في آخر آية من آيات سورة (لقمان). وقال سبحانه في سورة (الرعد) ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾. وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى، لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله، ولا تعلم نفس ماذا تكسب غداً، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يدري أحد متى يأتي المطر**. وفي رواية أخرى: **لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى الساعة إلا الله**». أخرجه البخاري. أقول: وما اخترع من أشياء، وما اكتشف من أمور في هذا العصر، وما يتحدثون عنه من مغيبات، مثل نزول المطر، وغير ذلك، إنما هو قائم على التجربة، والحدس، والتخمين،

وكثيراً ما يخطئ، وقد يصيب، فيبقى من غيب الله تعالى. وأضيف: أنه ذكر في تفسير: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ أمور، فقال الضحاك، ومقاتل: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾، خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب، وقال عطاء: هو ما غاب عنكم من الثواب والعقاب. وقيل: انقضاء الآجال، وعلم أحوال العباد من السعادة والشقاوة، وخواتيم أعمالهم. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنها خزائن غيب السموات والأرض، من الأقدار والأرزاق، وغير ذلك. انتهى خازن بتصرف.

بعد هذا أقول: اختلف في ﴿مَفَاتِحُ﴾: فقيل: هو جمع: مَفْتِح بفتح الميم وكسر التاء، كمخزن وزناً ومعنى، وهذا على تفسيره بخزائن. وقيل: هو جمع: مِفْتَح بكسر الميم، وفتح التاء، وهذا على تفسيره بطرق الغيب، فيكون مراداً به: الآلة المعلومة، ويؤيده قراءة مفاتيح، جمع: مفتاح، ويكون حذف منه عند الجمع الألف التي تقلب ياء في صيغة منتهى الجموع، كما نقل في جمع مصباح مصابح، وفي جمع محراب محارب. انتهى جمل بتصرف كبير.

﴿ٱلْبَرِّ﴾: بفتح الباء، وهو الأرض القفر التي لا ماء فيها ولا نبات. و﴿وَٱلْبَحْرِ﴾ القرى والأمصار، ولا يحدث فيها شيء إلا والله يعلمه، قاله مجاهد، وقال جمهور المفسرين، هو (البر والبحر) المعروفان؛ لأن جميع الأرض، إما بر وإما بحر، وفي كل واحد منهما من عجائب مصنوعاته، وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته، وسعة علمه. وهذا هو المعتمد. هذا؛ والبر بكسر الباء: كلمة جامعة لجميع خصال الخير الدنيوية والأخروية. انظر الآية رقم [١٧٦] من سورة (البقرة) والبر بضم الباء: القمح الحنطة التي نأكلها خبزاً... ﴿تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾: يعلم عدد ما يسقط من أوراق الشجر. وعدد ما يبقى منه. ﴿حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: حبة موجودة في بطن الأرض، قبل أن تنبت وما يطرأ عليها من تغيرات حتى تخرج من الأرض، وانظر: ﴿ظُلُمَٰتِ﴾ في الآية رقم [١]. ﴿رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: هو عبارة عن كل شيء في الوجود؛ لأن جميع الأشياء، أما رطبة، وإما يابسة. ﴿كِتَٰبٍ﴾: المراد به اللوح المحفوظ؛ لأن الله تعالى كتب فيه علم ما يكون وما قد يكون قبل أن يخلق السموات والأرض. وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا الكتاب؛ لتقف الملائكة على إنفاذ ما سجله الله فيه. انتهى خازن. ﴿مُّبِينٍ﴾ انظر الآية رقم [١٦].

الإعراب: (عنده): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مَفَاتِحُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلْغَيْبِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُهَآ﴾: مضارع ومفعوله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع وقع فاعلاً للفعل قبله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ والعامل فيها الاستقرار الذي تضمنه الظرف لوقوعه خبراً، وقال أبو البقاء: أو نفس الظرف، إن رفعت به ﴿مَفَاتِحُ﴾ أي: إن رفعته به فاعلاً، وذلك على رأي الأخفش. انتهى. جمل. أقول: وهذا يشكل بوقوع الحال من المبتدأ، والحال هيئة فاعل، أو مفعول، كما هو

معروف، لذا فإني أرى أن تكون الحال من الضمير المستتر في متعلق الظرف، والمتعلق هو العامل في الحال، وبهذا يزول الإشكال، وينكشف الغموض. (يعلم): مضارع، وفاعله يعود إلى الله، وهو كسابقه لم ينصب إلا مفعولاً واحداً؛ لأنه بمعنى: يعرف، وليس من أفعال القلوب انظر الآية رقم [٦١] من سورة (الأنفال) ففيها البيان الشافي بإذن الله تعالى. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى ٱلْبَرِّ﴾: متعلقان بمحذوف صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، وجملة: ﴿وَيَعْلَمُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً، والاستئناف ممكن. تأمل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿يَعْلَمُهَا﴾: فعل مضارع، ومفعوله، وفاعله يعود إلى الله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿وَرَقَةٍ﴾، وسوغ مجيء الحال منها وهي نكرة تقدم النفي، فإنه من المسوغات للابتداء بالنكرة. ﴿لَا﴾: زائدة لتأكيد النفي. ﴿حَبَّةٍ﴾: معطوف على لفظ ﴿وَرَقَةٍ﴾ ولو قرئ بالرفع، لكان على الموضع. ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة حبة، وظلمات مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾: بالجر معطوفان على لفظ ﴿وَرَقَةٍ﴾ و(لا) مقحمة مفيدة للتوكيد. قال الجمل: لكن لا يناسب تسلط السقوط على الثلاثة، كما لا يخفى؛ إذ لا يناسب وما يسقط رطب ولا يابس، فالمعنى: وما من حبة و﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾. قال البيضاوي: وقرئت ـ أي: الثلاثة ـ بالرفع، وفيهن حينئذ وجهان: الأول: عطفها على محل ﴿وَرَقَةٍ﴾ والثاني: على الابتداء، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِى كِتَٰبٍ﴾: متعلقان بمحذوف بدل من قوله ﴿إِلَّا هُوَ﴾ بدل كل من كل على أن المراد بالكتاب المبين على علم الله تعالى، أو بدل اشتمال إن أريد به اللوح المحفوظ، وهذا على اعتبار ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ معطوفات على لفظ ﴿وَرَقَةٍ﴾ أو على محلها، وأما على الوجه الثاني فيهن، وهو الرفع على الابتداء، فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر عن هذه المرفوعات، التقدير: مسجلات في: ﴿كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ وينتج عن ذلك جملة اسمية مستأنفة لا محل لها، ويكون الوقف على ﴿يَعْلَمُهَا﴾ جيداً، وانظر الآية رقم [٦١] من سورة (يونس) فإنه جيد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾: ينيمكم فيه، ويراقبكم. استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما من المشاركة في زوال الإحساس، والتمييز، فإن أصله قبض الشيء بتمامه. انتهى بيضاوي. وقال الجلال في تفسيره: يقبض أرواحكم عند النوم، قال الجمل في تعليقه عليه: هذا مبني على أن في الجسد روحين: روح الحياة، وهي لا تخرج إلا بالموت، وروح التمييز، وهي تخرج بالنوم، فتفارق الجسد، فتطوف بالعالم، وترى المنامات، ثم ترجع إلى الجسد عند تيقظه.

وفي زاده على البيضاوي هناك ما نصه: وعلى ما ذكره المصنف ليس في ابن آدم إلا روح واحدة، تكون لابن آدم بحسبها ثلاثة أحوال: حال يقظة، وحالة نوم، وحالة موت، فباعتبار تعلقها بظاهر الإنسان وباطنه تعلقاً كاملاً تثبت له حالة اليقظة، وباعتبار تعلقها بظاهر الإنسان فقط تثبت له حالة النوم، وباعتبار انقطاع تعلقها عن الظاهر والباطن تثبت له حالة الموت. انتهى جمل. ﴿جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾: كسبتم فيه، وجرح من باب: نفع، واجترح: عمل بيده واكتسب، ومنه قيل لكواسب الطير والسباع جوارح جمع جارحة؛ لأنها تكسب بيدها. ففي الكلام استعارة تصريحية؛ لأنها استعملت بالفعل. ثم انظر الآية رقم [٩٦] لشرح الليل والنهار. ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾: يوقظكم من نومكم في النهار، فقد استعار لفظ الوفاة للنوم، واستعار لفظ البعث للإيقاظ من النوم. ﴿لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ أي: ليبلغ المتيقظ في النهار، والنائم في الليل آخر عمره المسمى له في الدنيا، ثم المرجع والمآب بعد ذلك إلى الله تعالى بالموت، وبعد ذلك يكون الإحياء للحساب والجزاء فينبئ كل إنسان بما قدمت يداه في ليله، ونهاره، وغدوه، ورواحه. هذا؛ وانظر: ﴿قَضَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٢/١١٧] و﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٥/٤٣] و﴿يُنَبِّئُكُم﴾ في الآية رقم [٥/١٤] و(يعلم) في الآية السابقة.

الإعراب: (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿يَتَوَفَّىٰكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلَّذِى﴾ وهو العائد، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِٱلَّيْلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: جرحتموه بالنهار، وعلى اعتبار: ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: يعلم جرحكم بالنهار، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، واكتفى الفعل (يعلم) بمفعول واحد، كما في الآية السابقة، وجملة: ﴿يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿لِيُقْضَىٰٓ﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، وهو مبني للمجهول. ﴿أَجَلٌ﴾: نائب فاعله. هذا؛ ويقرأ الفعل بالبناء للمعلوم ونصب (أجلاً) على أنه مفعول به، فيكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود إلى (الله). ﴿مُّسَمًّى﴾: صفة لما قبله على الوجهين، فهو مرفوع، أو منصوب، والضمة أو الفتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، و«أن» المضمرة والفعل: (يقضى) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بما

قبلهما من مجموع الفعلين، أي: ﴿يَتَوَفَّاكُم﴾ ثم ﴿يَبْعَثُكُمْ﴾ لأجل ذلك. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿يُنَبِّئُكُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به أول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وانظر الإعراب في الآية رقم [٣٠] فإنه مثل: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بلا فارق، والجملة الفعلية: ﴿يُنَبِّئُكُم...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها أيضاً، و﴿ثُمَّ﴾ في الآية للتراخي والمهلة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [١٨] ففيها الكفاية. ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي: ملائكة تحفظ أعمالكم وتسجلها، وهم الملائكة الكاتبون الكرام. ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ يكتبون ما يقوله وما يفعله العبد من خير وشر، وطاعة ومعصية. قيل: إن مع كل إنسان ملكين، ملك عن يمينه، وملك عن شماله، والأول آمر على الثاني، فإذا عمل العبد حسنة أسرع صاحب اليمين إلى كتابتها، وإذا عمل سيئة، قال لصاحب الشمال: اصبر لعله يتوب، فإن لم يتب منها كتبها صاحب الشمال سيئة واحدة. وفائدة جعل الملائكة موكلين بالإنسان: أنه إذا علم أن له حافظاً من الملائكة موكلاً به يحفظ عليه أقواله وأعماله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم القيامة على رؤوس الأشهاد؛ كان ذلك أزجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾. وقيل: المراد بالحفظة هم الملائكة الذين يحفظون ابن آدم من شر المخلوقات يدل عليه قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ وكلا القولين صحيح وواقع. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: انتهى أجله المحدود له في الدنيا. ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: قبض روحه عزرائيل الموكل بقبض الأرواح وأعوانه من الملائكة الذين جعلهم الله تحت إمرته. ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾: لا يقصرون فيما وكل إليهم من تقديم أو تأخير. بعد هذا انظر: ﴿جَآءَ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿أَحَدَكُمُ﴾: انظر الآية رقم [٢/٩٦]. ﴿ٱلْمَوْتُ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٠٩]. ﴿تَوَفَّتْهُ﴾: إعلاله مثل إعلال: ﴿قَسَتْ﴾ في الآية رقم [٤٣]. ﴿رُسُلُنَا﴾: انظر (سبل) في الآية رقم [٥/١٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٧] من سورة (الأعراف).

تنبيه: قال الله تعالى في آية: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ وقال في آية أخرى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ وقال هنا: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ والجمع بين هذه الآيات: أن المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى، فإذا حضر أجل العبد، أمر الله ملك الموت بقبض روحه،

ولملك الموت أعوان من الملائكة، يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده، فإذا وصلت إلى الحلقوم؛ تولى قبضها ملك الموت بنفسه. انتهى خازن بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾؛ لأنه اسم فاعل، و ﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿عِبَادِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ معطوفة على: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ لأنه بمعنى الذي يقهر عباده، أو هي معطوفة على الجملة الاسمية، وهذا على رأي من يجيز عطف الفعلية على الاسمية، وهو المعتمد. وقيل: هي معطوفة على جملة: ﴿يَتَوَفَّىٰكُم...﴾ إلخ في الآية السابقة، فتكون من جملة صلة الموصول. وقيل: هي في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: وهو يرسل... إلخ، وعليه فالجملة اسمية وهي في محل نصب حال من فاعل: ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾ المستتر. وقيل: مستأنفة، وهو أضعف هذه الأقوال، وأقواها أولها. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿وَيُرْسِلُ﴾، وجوز تعليقهما بـ: ﴿حَفَظَةً﴾. وقيل: في محل نصب حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ وهذا أضعف الثلاثة، وأقواها القول الأول. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٢٥] مع العلم: أنه قد قرئ (توفاه) وهو ماض. وقيل: هو مضارع حذفت منه تاء المضارعة، أصله: (تتوفاه) والكلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له. (هم): مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يُفَرِّطُونَ﴾ في محل رفع خبره، وقد قرئ بتشديد الراء وتخفيفها، والجملة الاسمية في محل نصب حال من ﴿رُسُلُنَا﴾ والرابط الواو والضمير. وقيل: مستأنفة، والأول أولى.

﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يردون، بمعنى: يرجعون، وعبر بالماضي عن المضارع لتحقق وقوعه، وانظر الآية رقم [٥/١١٦] لبحث ذلك فإنه جيد. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: متولي أمورهم ومالكهم. هذا؛ وكما يطلق المولى على الإله المعبود بحق، كما في هذه الآية، يطلق على السيد، والعبد، والحليف، وابن العم والنصير، والصاحب. ﴿ٱلْحَقِّۚ﴾: العدل الذي لا يحكم يوم القيامة إلا بالحق، وانظر الآية رقم [٥/٢٧]. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ أي: الحكم بين العباد يوم القيامة إنما هو لله وحده، بخلاف الدنيا، فإنه وإن لم يكن حاكم في الحقيقة غير الله فيها، لكن فيها بحسب الظاهر حكام متعددة. انتهى. جمل نقلاً عن كرخي. ﴿أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: يحاسب الخلائق يوم القيامة في مقدار حلب الشاة، لا يشغله حساب أحد عن حساب أحد؛ لأنه لا يحتاج إلى فكر وعد. وانظر: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ في الآية رقم [٥/٤]

ولا تنس: أن في الكلام التفاتاً من الإفراد إلى الجمع، والسر في الإفراد في الآية السابقة، والجمع هنا؛ وقوع الموت، والتوفي على الانفراد، وأما البعث والرجوع إلى الله يوم القيامة فإنه على الجمع، أي يقوم جميع الخلائق من قبورهم دفعة واحدة.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف للتراخي، وانظر الآيةرقم [٤٦/ ٥]. ﴿رُدُّوٓاْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على الضم، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جواب ﴿إِذَا﴾ في الآية السابقة، لا محل لها مثله. ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾: صفة ﴿ٱللَّهِ﴾ أو بدل منه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْحَقِّ﴾: صفة ثانية. وقيل: هو صفة لـ: ﴿مَوْلَىٰهُمُ﴾ ويقرأ بالنصب على إضمار فعل، أي أمدح أو أعني، وذلك على القطع، ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه واستفتاح، يسترعى به انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحُكْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مبتدأة، أو مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾: في محل نصب حال من الضمير المستتر في الخبر المحذوف، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ، وانظر «القول» في الآية رقم [٢٦/ ٢] أو [٤/ ٧]. ﴿يُنَجِّيكُم﴾: بتشديد الجيم من نجّى، ويقرأ بتخفيفها من: أنجى. ﴿ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾: أهوالهما وشدائدهما في أسفاركم، استعيرت الظلمة للشدة لمشاركتها في الهول، وإبطال الإبصار، فيقال لليوم الشديد: يوم متكلم، ويوم ذو كواكب، أي إنه يوم اشتدت ظلمته حتى صار كالليل في ظلمته، وفي ظهور الكواكب فيه؛ لأن الكواكب لا تظهر إلا في الظلمة. وقيل: الحمل على الحقيقة أولى، فظلمات البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الرياح، فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتداء إلى الطريق الصواب، وظلمات البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل، وظلمة السحاب، وظلمة الرياح العاصفة، والأمواج الهائلة، فيحصل من ذلك أيضاً الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك، وانظر: ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الآية رقم [٥٩]. تدعونه تضرعاً وخفية: تسألون الله النجاة من الشدائدوالهول في السر والجهر. ﴿لَّئِنْ أَنجَىٰنَا...﴾ إلخ: أي يقولون حين وقوعهم في الشدائد: لئن أنجانا الله من هذه المتاعب، والمشاق؛ لنشكرنه تعالى عليها، ولا يكون الإنسان شاكراً إلا بالإيمان، وما يتعلق به من أعمال، والشكر يتطلب المزيد من النعم. انظر الآية رقم [٥٣]. ويقرأ: (لئن أنجيتنا) على الخطاب.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مَن﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُنَجِّيكُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مِّن ظُلُمَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما؛ و﴿ظُلُمَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَرِّ﴾: مضاف إليه. و(البحر): معطوف على ما قبله. ﴿تَدْعُونَهُۥ﴾: فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به، التقدير: داعين إياه، أو من فاعله المستتر، التقدير: مدعوّاً من جهتكم، والرابط على الوجهين الضمير فقط. ﴿تَضَرُّعًا﴾: حال بمعنى متضرعين، فهو مصدر بمعنى اسم الفاعل، وجوز اعتباره مفعولاً مطلقاً من معنى العامل، لا من لفظه، على حد: (قعدت جلوساً) ﴿وَخُفْيَةً﴾: معطوف على ما قبله على الاعتبارين فيه، وهو يقرأ بضم الخاء وكسرها، كما قرئ: (خيفة) من الخوف. ﴿لَّئِنْ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَنجَىٰنَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر في محل جزم فعل الشرط، والفاعل مستتر يعود إلى ﴿مَن﴾ و(نا): مفعول به، وعلى قراءة: (أنجيتنا) فهو فعل وفاعل ومفعول به، والجملة فعلية لا محل لها على الوجهين؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِنْ هَٰذِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لَنَكُونَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (نكونن): فعل مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر تقديره: «نحن»، ﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، والجملة الفعلية: ﴿لَنَكُونَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف المدلول عليه باللام الموطئة، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما» والكلام: ﴿لَّئِنْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، واقع حالاً، أي: قائلين، أو تقولون: ﴿لَّئِنْ...﴾ إلخ.

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يُنَجِّيكُم﴾: يقرأ بتشديد الجيم وتخفيفها كما في الآية السابقة. ﴿مِّنْهَا﴾: من ظلمات البر والبحر. ﴿كُلِّ كَرْبٍ﴾: غير ظلمات البر والبحر، والكرب هو: الغم الشديد الذي يأخذ بالنفس. ﴿ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ أي: تعودون إلى شرككم بعد نجاتكم من الشدائد والأهوال، وهذا كان دأبهم؛ إذا مسهم الضر؛ لجؤوا إلى الله وحده، وإذا كشفه عنهم؛ يعودون إلى عبادة الحجارة والأوثان، ألا ساء ما يعملون، وانظر: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [٤٣/٥].

الإعراب: ﴿ٱللَّهُ﴾: مبتدأ، وجملة: ﴿يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ في محل رفع خبره، وانظر الآية السابقة لإعرابها، والجملة الاسمية: ﴿ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا﴾ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية:

﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِن كُلِّ﴾: معطوفان على ﴿مِنْهَا﴾، فهما متعلقان حكماً بالفعل السابق، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿كَرْبٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿تُشْرِكُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الاسمية السابقة، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي: كما فعل بقوم نوح، وقوم لوط، وأصحاب الفيل، وعاد، وثمود. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ أي: كما أغرق فرعون، وخسف بقارون. وقيل: من ﴿فَوْقِكُمْ﴾: أكابركم، وحكامكم. ﴿وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: سفلتكم، وعبيدكم. ولا وجه له. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾: يخلطكم فرقاً متحزبين على أهواء شتى، فيتسبب القتال بينكم.

وفي الخازن: ﴿شِيَعًا﴾ جمع شيعة، وكل قوم اجتمعوا على أمر. فهم شيعة، وأشياع، وأصله من التشيع، ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضاً. وقيل: الشيعة هم الذين يتوقى بهم الإنسان. انتهى.

وفي القاموس: وشيعة الرجل ـ بالكسر ـ: أتباعه، وأنصاره، والفرقة على حدة، وتقع على الواحد، والاثنين، والجمع، والمذكر، والمؤنث. وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته، حتى صار اسماً لهم خاصة. والجمع: أشياع، وشيع، كعنب. انتهى.

﴿وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يعني: يقتل بعضكم بعضاً، هذا هو ما عليه المسلمون في هذه الأيام من الاختلافات، وسفك بعضهم دماء بعض.

قال الخازن: ثم اختلف المفسرون فيمن عنى الله بهذه الآية، فقال قوم: عنى بها المسلمين من أمة محمد ﷺ، وفيهم نزلت هذه الآية. قال أبو العالية: هن أربع صفات ذكرت في الآية الكريمة، وكلهن عذاب، فجاءت اثنتان بعد رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً، وأذيق بعضهم بأس بعض، وبقيت اثنتان، وهما لا بد واقعتان، يعني: الخسف، والمسخ.

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذُ بوجهِكَ**. ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ **قال: أعوذ بوجهك**. ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ **قال: هذا أهونُ، أو هذا أَيْسَرُ**». رواه البخاري.

وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: أنه أقبل مع النبي ﷺ ذات يوم من العالية حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل، فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا به طويلاً، ثم انصرف

إلينا، فقال: «**سألْتُ ربي ثلاثاً، فأعطاني اثنتَيْنِ، ومنعنيَ واحدةً: سألْتُ ربي أن لا يُهلِكَ أمتي بالسَّنَةِ (الجدب) فأعطانيها، وسألْتُ ربي أَنْ لا يهلك أمتي بالغرق، فأعطانِيها، وسألْتُ ربي أَنْ لا يجعل بأسَهُم بينهم، فمنَعنِيها**». متفق عليه.

وعن خباب بن الأرت ـ رضي الله عنه ـ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة، فأطالها، فقالوا: يا رسول الله، صليت صلاة لم تكن تصليها! قال: «**أَجَلْ إنَّها صلاةُ رَغْبَةٍ، ورهْبَةٍ، إنِّي سألْتُ اللهَ فيها ثلاثاً، فأعطاني اثْنَتين، ومنعني واحدةً، سألْتُهُ أنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتي بسنة (جدب وقحط) فأعطانيها، وسألته أن لا يُسَلِّطَ عليهم عدوّاً من غيرهم، فأعطانيها، وسألته أنْ لَا يُذِيقَ بعْضَهُمْ بأسَ بعضٍ فَمنعنيها**». أخرجه الترمذي. انتهى خازن. ﴿نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: نبين دلائلنا، وحجتنا لهؤلاء المكذبين، وانظر الآية رقم [٤٦]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون، ويعتبرون، فينزجروا عما هم عليه من الكفر، والتكذيب. وانظر «الترجي» في الآية رقم [٥١] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ هُوَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والمصدر المؤول من ﴿أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا﴾ في محل جر بـ: (على) والجار والمجرور متعلقان بـ: ﴿ٱلْقَادِرُ﴾ أي: القادر على بعث عذاب عليكم. ﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿عَذَابًا﴾، أو هما متعلقان به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن تَحْتِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، و﴿تَحْتِ﴾: مضاف، و﴿أَرْجُلِكُمْ﴾: مضاف إليه. ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: مضارع معطوف على: ﴿يَبْعَثَ﴾ فهو منصوب مثله، والفاعل يعود إلى (الله) والكاف مفعول به، وأصل الكلام: يلبس أموركم، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. والفعل يقرأ بفتح الياء وضمها. ﴿شِيَعًا﴾: حال. ﴿وَيُذِيقَ﴾: مضارع معطوف أيضاً على: ﴿يَبْعَثَ﴾، وفاعله يعود إلى الله. ﴿بَعْضَكُم﴾: مفعول به أول، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَأْسَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْأَيَٰتِ﴾ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٤٦]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة، ومحلها في الآية رقم [٥١].

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ﴾ أي: بالقرآن، أو بالعذاب؛ الذي وعدوا به. ﴿قَوْمُكَ﴾: انظر الآية رقم [٥/٢٢]. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: انظر الآية رقم [٥/٢٧] ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٢/٢٦] أو [٤/٧]. ﴿لَّسْتُ﴾: حذفت عينه لالتقاء الساكنين: الياء والسين؛ إذ أصله: «ليس» بكسر الياء، ثم سكنت الياء للتخفيف، ولم تقلب ألفاً على القياس؛ لأن التخفيف بالتسكين في الجامد أسهل من القلب، فلما اتصل بضمير رفع متحرك؛ سكنت العين، فالتقى ساكنان: الياء والسين، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فصار: ﴿لَّسْتُ﴾. ﴿بِوَكِيلٍ﴾: بحفيظ، وكل إلي أمركم، فأمنعكم

من التكذيب، أو أجازيكم، إنما أنا منذر، والله الحفيظ، وإذا عرفت: أن السورة مكية؛ فيكون هذا الحكم منسوخاً بآية القتال المدنية.

الإعراب: (كذب): ماض. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَوْمُكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلْحَقُّ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالباء، والرابط: الواو والضمير. ﴿لَّسْتُ﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بـ: (وكيل) بعدهما، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال منه: كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿بِوَكِيلٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (وكيل): خبر ليس منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وجملة: ﴿لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل لَّسْتُ...﴾إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: لكل خبر أخبر به القرآن من العذاب، والإيعاد بالانتقام من المشركين، والمعاندين وقت يقع فيه المذكور، لا يقدم، ولا يؤخر، سواء أكان ذلك في الدنيا، أو في الآخرة. وكذلك ما أخبر به القرآن من النصر، وعلو الشأن للمؤمنين فله وقت وقوع محدد لا يقدم ولا يؤخر، وانظر: ﴿يُنَبِّئُهُم﴾ في الآية رقم [١٤/ ٥]. ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أي: ترون تحقيق ما ذكر من الوعد والوعيد، وفيه تهديد لا يخفى للكفرة والمعاندين. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل) مضاف، و﴿نَبَإٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مُّسْتَقَرٌّ﴾ مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية مستأنفة، وعلى مذهب الأخفش فهو فاعل بالجار والمجرور. (سوف): حرف استقبال. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا﴾ أي: يكذبون، ويستهزئون بها، ويطعنون فيها. وانظر: ﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾. فلا تجالسهم، وقم عنهم. ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ أي: حتى يأخذوا في حديث غير حديث الاستهزاء بآيات الله. هذا؛ والخوض: الدخول في الشيء كالماء ونحوه، وهنا استعير للحديث بالباطل، والبهتان، والافتراء. وينبغي أن تعلم: أن هذه الآية مكية،

فهي تنهى المسلمين عن مجالسة المشركين، وأما آية (النساء) رقم [١٤٠] فهي مدنية تنهى المسلمين عن مجالسة اليهود، والمنافقين، انظرها هناك. ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: بوسوسته النهي عمَّا أمرت به من ترك مجالسة الخائضين بعد تذكرك له، فلا تقعد بعد ذلك معهم. هذا؛ ويقرأ الفعل بتشديد النون، وتخفيفها، وبتشديد السين، وتخفيفها. وانظر «النسيان» في الآية رقم [٥/١٤]. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: معهم، فوضع الظاهر موضع المضمر دلالة على أنهم ظلموا بوضع التكذيب، والاستهزاء موضع التصديق، والاستعظام، وانظر شرح ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٥/٢٢] والظالمين في الآية رقم [١٤٤] وانظر شرح: ﴿غَيْرِ﴾ في سورة (الفاتحة).

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢٥]. ﴿رَأَيْتَ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٥/٢]. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾: صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿رَأَيْتَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة إذا إليها على القول المشهور المرجوح، وجملة: (أعرض عنهم): جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿يَخُوضُواْ﴾ مضارع منصوب بأن مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى حَدِيثٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿غَيْرِهِۦ﴾: صفة: ﴿حَدِيثٍ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. (إما) هذه: (إن) الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة. ﴿يُنسِيَنَّكَ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، أو الخفيفة على القراءتين في محل جزم فعل الشرط، والكاف مفعول به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا) ناهية. ﴿تَقْعُدْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو متعلق بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و﴿مَعَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ مجرور مثله... إلخ. والجملة الشرطية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: أي: ليس حساب المشركين الذين يخوضون في آيات الله على المتقين، ولا يسألون عن شيء من أعمالهم القبيحة، وإن جالسوهم، وحادثوهم.

﴿وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ﴾ أي: ولكن عليهم أن يعظوهم، ويذكروهم بآيات الله لعلهم ينتهون عن شركهم، وعن استهزائهم بالمؤمنين، وعن تكذيبهم بآيات الله. هذا؛ وانظر (التقوى) في الآية رقم [٥/٣٥] وشرح ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٥/١٩]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: انظر الآية رقم [٥١].

تنبيه: لما نزلت الآية السابقة قال المسلمون: لئن كنا نقوم كلما استهزؤوا بالقرآن لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، ونطوف به، فنزلت هذه الآية.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما) نافية. ﴿عَلَى الَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبرمقدم. ﴿يَتَّقُونَ﴾: فعل وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية صلة الموصول. ﴿مِنْ حِسَابِهِم﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿مِن﴾: حرف جر صلة، ﴿شَيْءٍ﴾: مبتدأ مؤخر، أو اسم ما على اعتبارها عاملة عمل «ليس» فهو مرفوع على الاعتبارين، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف، (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿ذِكْرَىٰ﴾: مفعول مطلق عامله محذوف، التقدير: ولكن ذكروهم ذكرى، أو هو مبتدأ خبره محذوف، التقدير: ولكن عليهم، أو عليكم ذكرى، أي: تذكيرهم، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، أي: هو ذكرى، فالأوجه ثلاثة، وجوز رابع، وهو العطف على موضع: ﴿شَيْءٍ﴾ المجرور، فهو عطف مفرد على مفرد، وأما على الأوجه السابقة، فهو من عطف الجمل. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥١].

﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَذَرِ﴾: اترك، وهذا الفعل لم يأت منه ماض، وانظر الآية رقم [٧/٧٠] تجد ما يسرك. ﴿لَعِبًا﴾: انظر الآية رقم [٣٢] والمعنى: أعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين الذين جعلوا ديانتهم وعبادتهم مبنية على التشهي، يحلون، ويحرمون حسب أهوائهم. ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: خدعتهم، وشغلتهم عن الإيمان بالله وحده. ﴿الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿وَذَكِّرْ بِهِ﴾ أي: بالقرآن الكريم. ﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾: أن تهلك، وترهن بسوء عملها، وأصل الإبسال والبسل المنع، ومنه: أسد باسل؛ لأن فريسته لا تفلت منه، والباسل: الشجاع؛ لامتناعه من

قرنه. وهذا بسل، أو بسيل عليك، أي: حرام ممنوع. وانظر شرح: ﴿نَفْسٌ﴾ في الآية رقم [٩/ ٢] أو [٩/ ٧]. ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾: بما عملت من سيئات، وأوزار. ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾، انظر الآية رقم [٥١] فهو مثله. ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ أي: وإن تفد كل نفس نفسها من عذاب الله بما تملك من حطام الدنيا؛ لا يؤخذ منها، أي: لا يقبل منها، وما أحراك أن تنظر الآية رقم [٤١/ ٥] و[٩١/ ٣] فإنك تجد ما يسرك. ﴿أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْ﴾: أسلموا إلى العذاب بسبب كفرهم، وعنادهم، وأعمالهم القبيحة. ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ﴾: تأكيد لعذابهم، وتحصيل لأنواعه، والمعنى: هم بين ماء مغلي يتجرجر في بطونهم، ونار تشتعل في أبدانهم بسبب كفرهم، وعنادهم. هذا؛ وانظر: ﴿تَعْدِلْ﴾ في الآية رقم [١] وما أحيل عليها برقم [٤/ ١٣٥] وانظر: ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآية رقم [٥/ ٣٦]. ﴿يَكْفُرُونَ﴾: انظر الآية رقم [٤١/ ٥] أو [٦٦] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَذَرِ﴾: (ذر): فعل أمر مبني على السكون، وحرك بالكسرة لالتقاء الساكنين، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ صلة الموصول لا محل لها، والفعل قد نصب مفعولين، أو مفعولاً واحداً، فيكون: ﴿لَعِبًا﴾ حالاً، أو مفعولاً لأجله، وجملة: ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَذَكِّرْ بِهِۦٓ﴾ معطوفة على جملة: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، و«لا» مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا تبسل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهة إبسالهم، فهو مفعول لأجله وانظر الشاهد رقم [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿نَفْسٌ﴾: نائب فاعل: ﴿تُبْسَلَ﴾. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَيْسَ﴾ مقدم. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بما بعدهما على التنازع، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿وَلِيٌّ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، انظر الآية السابقة، وحذف مثله لشفيع، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة نفس وجوز اعتبارها مستأنفة. ﴿تَعْدِلْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «هي» يعود إلى نفس. ﴿كُلَّ﴾: مفعول مطلق، ويقال: نائب عنه، و﴿كُلَّ﴾: مضاف، و﴿عَدْلٍ﴾: مضاف إليه. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤْخَذْ﴾: مضارع مبني للمجهول، وهو جواب الشرط مجزوم، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿عَدْلٍ﴾ ﴿مِنْهَآ﴾: متعلقان به، وجملة: ﴿تَعْدِلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية... إلخ، وجملة: ﴿لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، والجملة الشرطية: ﴿وَإِن تَعْدِلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في

محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أُبْسِلُوا﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/ ٥] والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كسبوه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بكسبهم. هذا؛ وإعراب: ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ مثل: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ تقديراً، وتأويلاً، وتعليقاً، وغير ذلك بلا فارق ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿شَرَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّنْ حَمِيمٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿شَرَابٌ﴾. (عذاب): معطوف على: ﴿شَرَابٌ﴾ عطف مفرد على مفرد. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته. والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ: ﴿أُولَٰئِكَ﴾، ويجوز أن تكون في محل نصب حال من واو الجماعة في: ﴿أُبْسِلُوا﴾ والرابط الواو فقط، وجوز اعتبارها مستأنفة لا محل لها، وهذا وجوز اعتبار: ﴿الَّذِينَ﴾ بدلاً من: ﴿أُولَٰئِكَ﴾ أو نعتاً له، فيتعين حينئذ أن تكون الجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ﴾ خبراً لـ: ﴿أُولَٰئِكَ﴾. ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾: إعراب هذه مثل إعراب: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ في الآية [٣٠] والجار والمجرور: ﴿بِمَا...﴾ إلخ على جميع الاعتبارات متعلقان بـ: ﴿شَرَابٌ﴾ أو بـ (عذاب) على التنازع أيضاً.

﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، والمتعلق محذوف، أي: قل لهؤلاء المشركين عبدة الأصنام، وعلق مثله في كل ما تقدم، وما يأتي أيضاً، وانظر «القول» في الآية رقم [٤/ ٧]. ﴿أَنَدْعُوا﴾: أنعبد. ﴿مِن دُونِ اللَّهِ...﴾ إلخ: أي: أنعبد الأصنام التي لا تنفع، ولا تضر. وانظر (دون) في الآية رقم [٢/ ٧]. ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ...﴾ إلخ: نرجع إلى الشرك، وعبادة الأصنام بعد أن مَنَّ الله علينا بالإيمان، والتعبير عن ذلك بالرد على الأعقاب لزيادة التقبيح؛ إذ الأعقاب جمع عقب، وهو مؤخر القدم. ففيه استعارة لا تخفى. ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ...﴾ إلخ: أي حالنا إن رجعنا إلى الشرك كحال من ذهبت به مردة الجن، فألقته في أرض فلاة، مترامية الأطراف، فهو حيران لا يدري أن يذهب، وماذا يفعل؟ ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾: لذلك الحيران الذي استهوته الشياطين رفقة يدعونه إلى الطريق المستقيم، ويقولون له: ﴿ائْتِنَا﴾. ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ أي: إن الدين الإسلامي هو الهدى والنور، وما عداه من الأديان ضلال، وانظر الآية رقم [٣/ ٧٣]. (أمرنا...) إلخ: أمرنا الله أن نسلم وجوهنا وننقاد لأوامره.

(رب العالمين): انظر سورة (الفاتحة)، وانظر شرح: ﴿أَصۡحَٰبٌ﴾ في الآية رقم [٥/٢٩] وانظر (أتى) في الآية رقم [٤] وانظر شرح: (الشيطان) في الاستعاذة.

تنبيه: قال سليمان الجمل: قيل: نزلت الآية الكريمة في أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حين دعاه ابنه عبد الرحمن إلى عبادة الأصنام. فتوجه الأمر حينئذ للإيذان بما بينه وبين الصديق من الاتصال، والاتحاد تنويهاً بشأن الصديق. وفي البيضاوي إشارة إلى ذلك.

الإعراب: ﴿قُلۡ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنَدۡعُواْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (ندعو): مضارع مرفوع، متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿لَا يَنفَعُنَا﴾: صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، وجملة: ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾: معطوفة عليها، والعائد أو الرابط هو رجوع الفاعل في الجملتين إلى ما، و(نا): مفعول به، وجملة: ﴿أَنَدۡعُواْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعۡقَابِنَا﴾ معطوفة على جملة: ﴿أَنَدۡعُواْ...﴾ إلخ فهي مثلها في محل نصب مقول القول، وهي داخلة في حكم الإنكار والنفي، والجار والمجرور متعلقان بالفعل نرد، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، وجوز اعتبار الجملة في محل نصب حال، على تقدير: «ونحن نرد على أعقابنا» وفيه تكلف. ﴿بَعۡدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وبعد مضاف، و﴿إِذۡ﴾ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾: في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿كَٱلَّذِي﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: نرد رداً كائناً مثل رد الذي استهوته. وهو مذهب أبي البقاء، وغيره في مثل هذا التركيب، ومذهب سيبويه في مثله النصب على الحال من المصدر المفهوم من الفعل المتقدم على طريق الاتساع، فيكون التقدير: ونرد على مثل هذه الحالة. هذا؛ وإن اعتبرت الكاف اسماً فالمحل على الوجهين، وتكون مضافة والذي مبنياً على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلشَّيَٰطِينُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَيۡرَانَ﴾: حال من الضمير المنصوب. ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال أولى من الضمير المنصوب. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿حَيۡرَانَ﴾، أو من الضمير المستتر فيه، ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَصۡحَٰبٌ﴾: مبتدأ مؤخر، وجملة: ﴿يَدۡعُونَهُۥٓ﴾ في محل رفع صفة أصحاب، والجملة الاسمية: ﴿لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٌ يَدۡعُونَهُۥٓ﴾ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير في: ﴿حَيۡرَانَ﴾. وقيل: هي بدل من الحال التي قبلها، ولا وجه له. ﴿إِلَى ٱلۡهُدَى﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱئۡتِنَا﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الياء، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، انظر

الشرح، والجملة الفعلية المقدرة في محل نصب حال من واو الجماعة، أي: يدعونه إلى الهدى قائلين له: ﴿ٱئۡتِنَاۗ﴾. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هُدَى﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿هُدَى﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلۡهُدَىٰۖ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿هُوَ﴾ ضمير فصل لا محل له. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هُدَى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (أمرنا): ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): في محل رفع نائب فاعله. ﴿لِنُسۡلِمَ﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وجوز اعتبار اللازم زائدة قائمة مقام «أن» المصدرية، فعلى الأول تؤول «أن» المضمرة مع الفعل بمصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ويكون المفعول به محذوفاً، التقدير: وأمرنا بالإخلاص لإسلام وجوهنا لرب إلخ. وعلى الثاني تؤول أن التي حلت اللام محلها بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: أمرنا بالإسلام. ﴿لِرَبِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(رب): مضاف، و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: (أمرنا... إلخ) معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول.

﴿وَأَنۡ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٧٢﴾

الشرح: ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: انظر شرح: ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾ في الآية رقم [٤/١٠٣] ومعنى ﴿أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: أدوها في أوقاتها، وحافظوا على طهارتها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، ومن لم يؤدها على الوجه الأكمل، يقال عنه: صلى، ولا يقال: أقام الصلاة. ﴿وَٱتَّقُوهُۚ﴾: انظر الآية رقم [٥/٣٥]. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ أي: يجمع الخلائق بعد خروجهم من قبورهم إلى الله؛ ليحاسبهم على أعمالهم. هذا؛ وفي الكلام هنا التفات من التكلم في الآية السابقة إلى الخطاب في هذه الآية، وانظر الالتفات في الآية رقم [٦].

الإعراب: ﴿وَأَنۡ﴾: (أن): حرف مصدري. ﴿أَقِيمُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوۡفُواْ﴾ في الآية رقم [٥/١]. ﴿ٱلصَّلَوٰةَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱتَّقُوهُۚ﴾: معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله، و(أنْ) المصدرية، والفعل ﴿أَقِيمُواْ﴾ في تأويل مصدر معطوف على المصدر المؤول: ﴿لِنُسۡلِمَ﴾ في الآية السابقة، فهو في محل جر مثله. التقدير: وأمرنا بإقامة الصلاة. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿إِلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل

بعدهما. ﴿تُحْشَرُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ...﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ انظر الآية رقم [١]. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: انظر الآية رقم [٣٠/ ٥]. ﴿وَيَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨]. ﴿يَقُولُ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٤/ ٧]. ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ أي: أحْدُثْ، فيحدُثُ، وليس المراد حقيقته: أمر، وامتثال، بل هو تمثيل ما تعلقت به إرادته بلا مهلة بطاعة المأمور، والمطيع بلا توقف. انتهى بيضاوي. انظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٧] من سورة (البقرة) فهو جيد.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر كما في الآية السابقة، والجملة الفعلية: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: صلة الموصول لامحل لها. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: خلق السموات والأرض خلقاً ملتبساً بالحق. وقيل: متعلقان بمحذوف حال، التقدير: محقّاً، والأول أقوى معنى، وأتم سبكاً. (يوم): مفعول به لفعل محذوف، التقدير: واذكر يوم يقول... إلخ، وعليه فالجملة فعلية، وهي مستأنفة لا محل لها، وقال أبو البقاء: فيه جملة أوجه: أحدها: هو معطوف على الهاء في (اتقوه) أي: واتقوا عذاب يوم يقول. والثاني: هو معطوف على السموات، أي خلق يوم يقول. والثالث: هو خبر ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: وقوله الحق يوم يقول، والواو داخلةٌ على الجملة المقدم فيها الخبر، والحق صفة قوله. والرابع: هو ظرف لمعنى الجملة التي هي: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي: يحق قوله في يوم، يقول: كن. والخامس: هو منصوب على تقدير: اذكر. وأرى أن هذا هو الجدير بالاعتبار، والأوجه الأربعة المتقدمة ظاهر فيها التكلف، والتعسف. ﴿يَقُولُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (يوم) إليها. ﴿كُن﴾: فعل أمر تام، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فَيَكُونُ﴾: الفاء: حرف عطف. (يكون): مضارع تام، وفي فاعله أوجه: أحدها: أنه ضمير جميع ما يخلقه الله تعالى يوم القيامة. الثاني: أنه ضمير الصور المنفوخ فيها، ودل عليه قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾. والثالث: أنه ضمير اليوم، أي: فيكون ذلك اليوم العظيم. والرابع: أن الفاعل هو: ﴿قَوْلُهُ﴾ و﴿ٱلْحَقُّ﴾ صفته، أي: فيوجد قوله الحق، ويكون الكلام على هذا قد تم على الحق. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ومثله في العكبري، والجملة الفعلية على جميع هذه الاعتبارات معطوفة على جملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، وإن اعتبرتها خبراً لمبتدأ محذوف، التقدير: «فهو يكون» يصح على بعض الاعتبارات في الفاعل،

ولا يصح على بعضها. تأمل جيداً، وتفهم حقّاً؛ يتوضح لك ذلك. هذا؛ وقرأ ابن عامر في الآية رقم [٢/١١٧] بالنصب، كما رأيته هناك، وضعفه أبو البقاء، وبينت سبب ضعفه هناك، فارجع إليه إن شئت. تأمل، وتدبر، وربك أعلم،وأجل، وأكرم.

﴿... قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: هذا الكلام متصل بالآية السابقة. ومعنى ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾ أي معنى قوله تعالى الحق الواضح الذي لا خفاء فيه، ولا اعوجاج. وله الملك يوم ينفخ في الصور. إنما أخبر عن ملكه في ذلك اليوم العظيم، وإن كان الملك له تعالى خالصاً في الدنيا، والآخرة؛ لأنه لا منازع له يومئذ يدعي الملك، وأنه المنفرد بالملك يومئذ، وأن من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة، والفراعنة، وسائر الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم، واعترفوا بأن الملك لله الواحد القهار، وأنه لا منازع له فيه، وعلموا: أن الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور.

هذا؛ والصور: قرن كهيئة البوق. قاله مجاهد، ويدل على صحته ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «**قَرنٌ يُنفَخُ فيه**». أخرجه أبو داود، والترمذي، وعن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيفَ أنتمْ؟ وقدِ الْتقمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ، وحنى جبْهَتَه، وأصْغَى سَمْعَهُ، ينتظر أن يُؤْمَرَ، فينفخَ**». فَكَأَنَّ ذلك ثقُلَ على أصحابه، فقالوا: كيفَ نفعلُ يا رسولَ اللهِ، وكيف نقولُ؟ فقالَ: «**قُولُوا: حسْبُنَا اللهُ، ونعم الوكيلُ، على الله توكَّلْنَا**». ورُبَّمَا قَالَ: «**تَوَكَّلْنَا على اللهِ**». أخرجه الترمذي. انتهى خازن بتصرف.

وينبغي أن تعلم: أن الذي ينفخ في الصور إنما هو إسرافيل ـ عليه السلام ـ أحد الملائكة العشرة المقربين، وهو ينفخ نفختين، بينهما أربعون عاماً على الصحيح، الأولى لإماتة جميع المخلوقات، والثانية لإحيائهم، وبعثهم للحساب والجزاء، خذ قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾. بعد هذا أذكر: أن الزمخشري ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إن كل ما فاؤه نون، وعينه فاء يدل على معنى الخروج والذهاب، مثل: نفق، ونفد، ونفث، ونفخ، ونفش... إلخ. ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ أي: يعلم سبحانه ما غاب عن أبصار عباده، وما يشاهدونه، فلا يغيب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: في جميع أفعاله، وتدبير خلقه. ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: بكل ما يفعلونه من خير، أو شر.

الإعراب: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ﴾: فيه أربعة أوجه: أحدها: أنه مبتدأ، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته، وخبره قوله: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: الظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم، كما رأيت في الآية السابقة. والثاني: أنه

فاعل بقوله: ﴿فَيَكُونُۚ﴾ و﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾: نعته أيضاً، وقد تقدم هذان الوجهان، والثالث: أن ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ مبتدأ وخبر، أخبر سبحانه عن قوله بأنه لا يكون إلا حقّاً. الرابع: أن (قول) مبتدأ أيضاً، و﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾: نعته، والظرف: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ﴾ متعلق بمحذوف خبره، وعليه: فقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ جملة اسمية معترضة بين المبتدأ والخبر لا محل لها من الإعراب. انتهى جمل نقلاً عن السمين، وذلك بتصرف. ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ﴾ جملة اسمية معترضة على وجه رأيته، أو هي معطوفة على جملة: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع، أو هي في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿يَوۡمَ﴾: فيه أوجه أيضاً: أحدها: أنه خبر لقوله: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ وقد تقدم هذا بتحقيقه. الثاني: أنه بدل من: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ﴾ فيكون حكمه حكم ذاك. الثالث: أنه ظرف لـ: ﴿تُحۡشَرُونَ﴾ أي: وهو الذي إليه تحشرون في يوم ينفخ في ذلك الصور. الرابع: أنه منصوب بنفس ﴿ٱلۡمُلۡكُ﴾ أي: متعلق به لأنه مصدر، أي: وله الملك في ذلك اليوم. الخامس: أنه منصوب بالفعل ﴿يَقُولُ﴾. السادس: أنه منصوب بـ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ بعده، أي: متعلق به لأنه اسم فاعل، السابع: أنه منصوب بقوله: ﴿قَوۡلُهُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ انتهى جمل نقلاً من السمين بتصرف مني. ﴿يُنفَخُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿فِي ٱلصُّورِۚ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوۡمَ﴾ إليها. ﴿عَٰلِمُ﴾: بالرفع فيه أوجه: أحدها: أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو عالم الغيب، الثاني: أنه فاعل ﴿يَقُولُ﴾ أي: يوم يقول عالم الغيب. الثالث: أنه فاعل بفعل محذوف، يدل عليه الفعل المبني للمجهول، كأنه لما قال: ينفخ في الصور؛ سأل سائل، فقال: من الذي ينفخ؟ فقيل: عالم الغيب، أي ينفخ فيه عالم الغيب، أي: يأمر بالنفخ فيه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. وأجاز أبو البقاء أيضاً اعتباره صفة لـ: ﴿ٱلَّذِي﴾ والمعتمد الأول من كل هذه الأقوال. هذا؛ ويقرأ بالجر، قال أبو البقاء: بدل من (رب العالمين) أو من الهاء في: ﴿وَلَهُ﴾ وهذه القراءة ليست سبعية، فلذا يظهر الضعف في الإعراب على الوجهين، و﴿عَٰلِمُ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡغَيۡبِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه تقديره هو يعود إلى (الله). ﴿وَٱلشَّهَٰدَةِۚ﴾: معطوف على ما قبله. وعلى الوجه الأول من أوجه الرفع وهو أقواها، فالجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ معطوفة عليها، لا محل لها مثلها، وهي مستأنفة على جميع الوجوه المعتبرة في: ﴿عَٰلِمُ﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿إِبۡرَٰهِيمُ﴾: ذكر فيه سبع لغات، انظرها في التفاسير، ومعناه في السريانية: أب رحيم. ﴿ءَازَرَ﴾: لقد اختلف في هذا الاسم،

فقيل: هو اسم أبي إبراهيم، وله اسم آخر: «تارح» بالحاء أو بالخاء، فعلى هذا يكون لأبي إبراهيم اسمان: ﴿ءَازَرَ﴾ وتارخ، مثل يعقوب، وإسرائيل اسمان لرجل واحد، فيحتمل أن يكون اسمه الأصلي ﴿ءَازَرَ﴾، وتارح لقب له.

وقال سليمان التيمي: ﴿ءَازَرَ﴾ سب، وعيب، ومعناه في كلامهم: المعوج. وقيل: الشيخ الهرم. وقال سعيد بن المسيب، ومجاهد: ﴿ءَازَرَ﴾ اسم صنم، كان والد إبراهيم يعبده، فلقب به للزوم عبادته له. وقيل: معناه: يا عابد آزر، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. والصحيح هو الأول. وقد أخرج البخاري في أفراده من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أن النبي ﷺ قال: «**يلْقَى إبراهِيمُ عليه السلامُ أباهُ آزرَ يَوْمَ القيامةِ، وعلى وجهِ آزرَ قترةٌ، وغُبْرةٌ**». فثبت بهذا: أن اسمه الأصلي: ﴿ءَازَرَ﴾، لا تارخ، والله أعلم. انتهى خازن بتصرف كبير. هذا؛ وقد قرئ برفعه على النداء، وهو مما يؤيده. ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾: هذا استفهام توبيخي إنكاري، أي: أتعبد أصناماً؟ وهي لا تستحق الإلهية. هذا؛ والأصنام جمع: صنم، وهو التمثال الذي يتخذ من خشب، أو حجارة، أو حديد، أو ذهب، أو فضة على صورة الإنسان، أو غيره، وهو الوثن. ﴿وَقَوْمَكَ﴾: انظر الآية رقم [٢١/ ٥]. ﴿ضَلَٰلٍ﴾: كفر، وخروج عن جادة الحق والصواب، ﴿مُّبِينٍ﴾: انظر الآية رقم [١٦]. هذا؛ وانظر (النُّصُب) في الآية رقم [٣/ ٥] و(الأنصاب) في الآية رقم [٩٣] المائدة.

تنبيه: قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: قد جرى المفسرون على أن آزر اسم أبيه، وهو مشكل بما تقرر في السير، من أن جميع نسبه ﷺ مطهر من عبادة الأصنام، بدليل قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ﴾. ويجاب بأن محل ذلك ما دام النور المحمدي في أصلابهم، أما بعد انتقاله منهم، فتجوز عليهم عبادة الأصنام، وغيرها، من سائر أنواع الكفر. تأمل.

تنبيه: هناك من يقول: إن آزر عم إبراهيم، وليس أباه، وكثيراً ما يطلق على العم لفظ الأب تجوزاً، وكثيراً ما ينادي الرجل ابن أخيه، بقوله: يا بني. أقول: ينفي هذا الزعم تكرر لفظ الأبوة في القرآن الكريم، كما ترى في هذه الآية، وكما في قوله تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ وأيضاً في سورة التوبة: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾، وأيضاً في سورة (الشعراء): ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾، وغير ذلك كثير، ولا سيما في سورة (مريم).

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون متعلق بفعل محذوف، تقديره: اذكر. أو هو مفعول به لهذا المقدر، وجملة: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لِأَبِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ءَازَرَ﴾:

بدل مطابق من: (أبيه) أو عطف بيان عليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، ويجوز اعتباره منصوباً بفعل محذوف، التقدير: أعني ﴿ءَازَرَ﴾، وذلك على القطع باعتباره وصفاً، وليس علماً. هذا؛ ويقرأ بالرفع، وفيه اعتباران: الأول أنه خبر لمبتدأ محذوف، أي هو ﴿ءَازَرَ﴾، وذلك باعتباره وصفاً، والثاني: أنه منادى بأداة نداء محذوفة، أي: يا ﴿ءَازَرَ﴾، وذلك باعتباره علماً. ﴿أَتَتَّخِذُ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وإنكار. (تتخذ): مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَصْنَامًا﴾: مفعول به أول. ﴿ءَالِهَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنِّيٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَرَىٰكَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿وَقَوْمَكَ﴾: معطوف على الكاف، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني على اعتباره علميّاً، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الكاف الواقعة مفعولاً به، وما عطف عليها على اعتبار الفعل بصريّاً. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة ضلال.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾: اختلف في هذه الرؤية. فقيل: كانت بالبصر. وقيل: كانت بالبصيرة، فمن قال بالأول قال: إن الله تعالى شق لإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ السموات حتى رأى العرش، وشق له الأرض حتى رأى ما في بطنها. ومن قال بالثاني قال: إن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة؛ لأن ملكوت السموات والأرض عبارة عن الملك، وذلك لا يعرف إلا بالفعل، فبان بهذا: أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة. انتهى خازن بتصرف. هذا؛ والملكوت: الملك، زيدت فيه التاء للمبالغة، كالرهبوت، والرغبوت، والرحموت، من الرهبة، والرغبة، والرحمة. قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يعني: خلق السموات والأرض، وقال مجاهد، وسعيد بن جبير ـ رحمهما الله تعالى ـ: يعني: آيات السموات والأرض، وذلك أنه أقيم على صخرة، وكشف له عن السموات حتى رأى العرش، والكرسي، وما في السموات من العجائب، وكشف له عن الأرض، حتى نظر إلى أسفل الأرضين، ورأى ما فيها من العجائب. وانظر شرح: ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [١]. ﴿ٱلْمُوقِنِينَ﴾: جمع: موقن، وأصله: مُؤَيْقِن؛ لأنه من: أيقن، فحذفت الهمزة من مضارعه، كما تعرفه في الآية رقم [١٢٤] وحذفت من اسم فاعله، فصار (مُيْقن) ثم أبدلت الياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها. هذا؛ والإيقان: إتقان العلم بنفي الشك والشبهة عنه بالاستدلال. وفي الخازن: واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة؛ لأن

الإنسان في أول الحال، لا ينفك عن شبهة وشك، فإذا كثرت الدلائل، وتوافقت صارت سبباً لحصول اليقين، والطمأنينة في القلب، وزالت الشبهة عند ذلك. انتهى. وينبغي أن تعلم أن اليقين من: يقن الثلاثي، وأما الإيقان فإنه من أيقن الرباعي. تأمل، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف عامله الفعل الذي بعده، التقدير: نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض رؤية كائنة مثل رؤيته ضلال أبيه. أو عامله محذوف قبله، التقدير: كما رأى أباه وقومه في ضلال مبين أريناه ذلك. وجوز أبو البقاء تعليق الجار والمجرور بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: والأمر كائن مثل ذلك، والأول أقوى، وأعرف عند النحاة، وانظر الآية رقم [٥٣] لتفصيل إعراب كذلك. ﴿نُرِىٓ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل تقديره: «نحن». ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مفعول به أول. ﴿مَلَكُوتَ﴾: مفعول به ثان، و(هو) مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه. (الأرض): معطوف على سابقه. (ليكون): مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، واسمه يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (يكون) و«أن» المضمرة، والفعل يكون في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على جار ومجرور محذوفين، وهما متعلقان بالفعل: ﴿نُرِىٓ﴾، وتقدير الكلام: أريناه ملكوت... إلخ ليستدل على قدرة الله تعالى، وليكون من الموقنين، أي لاستدلاله، ولكينونته ﴿مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾، وجملة (كذلك... إلخ) مستأنفة على جميع الاعتبارات فيها.

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ﴾: أقبل الليل على إبراهيم، وستره بظلامه، وغطاه. هذا؛ والجن ضد الإنس، والواحد جني، سموا بذلك لاستتارهم عن أعين الناس، والجنين: الولد في بطن أمه، سمي بذلك لاستتاره أيضاً عن الأعين، والجنة: البستان الكثير الأشجار، سمي بذلك لأنه يستر ما فيه لكثرة أشجاره، وهي بفتح الجيم. هذا؛ والجِنَّة بكسر الجيم: الجنون، وسمي بذلك لأنه يغطي العقل ويذهب به، انظر الآية رقم [١٨٤] من سورة (الأعراف)، وجُنَّ فلانٌ: ذهب عقله. وهو ملازم للبناء للمجهول، ويقال: أجنه الليل إجنانا، وجن عليه، يجُن ويجِن جنوناً، وإذا قالوا: أجن؛ لم يأتوا بعلى، وإذا قالوا: جن؛ أدخلوا على، كما في الآية الكريمة، وأضيف: أن (أجن) بتخفيف النون، وضم الجيم، وكسرها بمعنى: تغير، يقال: أسن الماء، وأجن: إذا تغير طعمه، وريحه، ويقال: في صدره أجن، أي: حقد، قال الشاعر: [الطويل]

إذا كانَ في صَدْرِ ابنِ عمِّكَ أُجْنَةٌ فلا تسْتَزِدْها سوف يبدو دفينُها

هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلَّيْلُ﴾ في الآية رقم [٩٦]. ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ أي: لامعاً، وهو الزهرة، أو المشتري. ﴿هَٰذَا رَبِّى﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة). ﴿أَفَلَ﴾: غاب. ﴿قَالَ﴾: انظر

«القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ أي: الذين يغيبون، والمعنى: لا أرغب في عبادة الأرباب الذين يتغيرون من حال إلى حال؛ لأن ذلك من صفات الأجسام الحادثة التي يطرأ عليها الزوال، والفناء.

تنبيه: اختلف المفسرون في بيان الوقت الذي جرى لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ما ذكر في هذه الآية، وما بعدها، فقيل: كان ذلك في سن مراهقته. وقيل: كان بعد بلوغه سن الرشد. وقيل: كان بعد الأربعين من عمره، وهو السن الذي يمنح فيه الرسول الرسالة على الأغلب. كما اختلف في المعنى المراد من ذلك على الرأي الأخير الذي رجحه المحققون على وجوه:

الوجه الأول: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ أراد أن يستدرج قومه بهذا القول، ويعرفهم جهلهم، وخطأهم في تعظيم النجوم، وعبادتها؛ لأنها تتغير من حال إلى حال، وما كان بهذه المثابة لا يستحق العبادة.

الوجه الثاني: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال هذا القول على سبيل الاستفهام، والمعنى أيكون هذا ربّاً؛ ودلائل النقص فيه ظاهرة؟

الوجه الثالث: أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ قال ذلك على وجه الاحتجاج على قومه، يقول: هذا ربي بزعمكم، فلما غاب قال: لو كان إلهاً كما تزعمون؛ لما غاب.

الوجه الرابع: أن في هذه الآية إضمار يقولون، أي قال: يقولون هذا ربي.

الوجه الخامس: أن الله تعالى قال في حقه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾. ثم قال بعده: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ والفاء تقتضي التعقيب، فدل هذا على أن هذه الواقعة بعد أن أراه الله ملكوت السموات والأرض بعد الإيقان، ومن كان بهذه المنزلة الشريفة العالية لا يليق بحاله أن يعبد الكواكب، أو يتخذها ربّاً. انتهى خازن باختصار، وبتصرف كبير.

أقول: الوجه الخامس هو بمنزلة البرهان والدليل على صحة الوجوه الأربعة، ولا سيما الوجهين الأولين. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: ذكر المفسرون: أن شأن إبراهيم في ولادته شبيه بشأن موسى ـ عليه السلام ـ في ولادته، وأنه رُبِّيَ خفية عن النمرود الذي هو شبيه بفرعون بادعاء الألوهية، والربوبية. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢/٢٥٨] ففيه الكفاية.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف، أو حرف استئناف. (لما): انظر الآية رقم [٤٤]. وجملة: ﴿جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية (لما)، وفي محل جر بإضافة (لما) إليها على القول بظرفيتها. ﴿رَءَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾. ﴿كَوۡكَبٗا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية جواب (لما)، لا محل لها. وقيل: هي في محل نصب حال، وهو ضعيف معنى وتركيباً؛ لأن الجملة الماضوية إذا وقعت حالاً؛

تكون «قد» قبلها ظاهرة أو مقدرة، وتقدير «قد» قبلها هنا غير جيد معنى. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل لها. ﴿رَبِّي﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها على اعتبار جملة: ﴿رَءَا كَوْكَبًا﴾ جواب (لما)، وهي جواب (لما) على اعتبار تلك في محل نصب حال من الضمير المجرور محلّاً بـ: «على»، وقد رأيت ضعفه، و(لما) ومدخولها. قيل بعطفه على جملة: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِيمُ...﴾ إلخ فتكون الآية السابقة معترضة بين المتعاطفين. وقيل: معطوفة على الآية السابقة لا محل لها، ورجح الجمل الأول، وأرجح الثاني. وانظر الوجه الخامس من الشرح يظهر لك ذلك. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾: إعرابه مثل سابقه. ﴿لَآ﴾: نافية. ﴿أُحِبُّ﴾ مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿ٱلْءَافِلِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿لَآ أُحِبُّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لما) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو معطوف على ما قبله على الوجهين المعتبرين فيه.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿بَازِغًا﴾: طالعاً؛ إذ البزوغ: الطلوع، وبزغ، يبزغ من باب: نصر، يستعمل لازماً، ومتعدياً، يقال: بزغ البيطار الدابة، أي: أسال دمها، فبزغ هو، أي: سال، هذا هو الأصل، ثم قيل لكل بزوغ: طلع، ومنه: بزغ ناب الصبي، والبعير تشبيهاً بذلك انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: انظر الآية السابقة. ﴿أَفَلَ﴾: غاب. ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ أي: إن لم يثبتني ربي على الهدى. وليس المراد: أنه لم يكن مهتدياً؛ لأن الأنبياء لم يزالوا على الهداية من أول الفطرة. ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ أي: الكافرين. فيه تعريض لقومه بأنهم على ضلال.

قال البيضاوي: استعجز إبراهيم نفسه، واستعان بربه في درك الحق، فإنه لا يهتدي إليه إلا بتوفيقه، إرشاداً لقومه، وتنبيهاً لهم على أن القمر أيضاً لتغير حاله، لا يصلح للألوهية، وأن من اتخذه إلهاً فهو ضال. انتهى.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: إعراب هذا الكلام مثله في الآية السابقة. و﴿بَازِغًا﴾: حال من ﴿ٱلْقَمَرَ﴾ ولا يصح اعتباره مفعولاً ثانياً؛ لأن ﴿رَءَا﴾ بصرية، وليست علمية، والكلام معطوف على ما قبله، أو هو مستأنف لا محل له. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ...﴾ إلخ:

انظر مثله في الآية السابقة. ﴿لَئِن﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَهْدِنِي﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وهو في محل جزم فعل الشرط، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿رَبِّي﴾: فاعل مرفوع، انظر الآية السابقة، وانظر بقية الإعراب وتفصيله في الآية رقم [٦٣] فإنه مثله بلا فارق. والكلام: ﴿لَئِن...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و (لما) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله.

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآيتين السابقتين. ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ أي: جرماً، وضوءاً، ونفعاً من جميع الكواكب، والقمر. ﴿أَفَلَتْ﴾: غابت. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٥/٢١]. ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ أي: بالله من الأصنام، والأجرام المحدثة المحتاجة إلى محدث. هذا؛ وقد ذُكِّر المبتدأ في الجملة: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ و﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ وهو اسم الإشارة مع كونه عائداً إلى الشمس، وهي مؤنث لتذكير خبره، وهو: (ربي): وصيانة للرب عن شبهة التأنيث، ولهذا قالوا في صفات الله تعالى: علام، ولم يقولوا: علامة، وإن كان الثاني أبلغ، تفادياً من علامة التأنيث، وانظر: ﴿بَرَآءَةٌ﴾ في الآية رقم [١] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآيتين السابقتين. ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ﴾: انظر الآيتين السابقتين، وكل ما في هذه الآية معطوف على ما قبله، والاستئناف ممكن. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥/٢١] ففيه الكفاية، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ﴾ في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿مِّمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿بَرِيٓءٌ﴾، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء تشركونه مع الله في عبادته، وانظر ما بينت به (مِنْ) في الشرح، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: إني بريء من إشراككم. ولعلك تدرك معي: أن هذا أوضح من التقديرين السابقين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾

الشرح: بعد أن أثبت إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالدليل القطعي العقلي بطلان عبادة الكواكب، والشمس، والقمر، وأعلن براءته من عبادتها توجه إلى الله بهذا الكلام؛ الذي فيه قصر العبادة على خالق السموات والأرض. والمراد بـ: (الوجه) في هذه الآية: جميع البدن، وانظر: ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [١] و[١٤]. ﴿حَنِيفًا﴾ أي: مائلاً عن كل دين باطل إلى الدين الحق، قال الشاعر: [الوافر]

وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا ... حَنِيفاً دِينُنَا عَنْ كُلِّ دِينِ

هذا؛ والحنف: الميل في القدمين. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بقومه بأنهم كافرون مشركون لعبادتهم الكواكب، وهي لا تضر، ولا تنفع.

الإعراب: ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿وَجَّهْتُ﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/٥]. ﴿وَجْهِيَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿لِلَّذِي﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ صلة الموصول، والعائد الفاعل المستتر. ﴿حَنِيفًا﴾: حال من تاء الفاعل. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية مهملة، أو هي عاملة عمل: «ليس». ﴿أَنَا﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو في محل رفع اسم (ما). ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، أو بمحذوف خبر (ما)، والجملة الاسمية على الوجهين في محل نصب حال من تاء الفاعل أيضاً، والرابط: الواو والضمير، وجملة: ﴿وَجَّهْتُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٨٠﴾

الشرح: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾: جادلوه، وخاصموه في دينه، وتوحيده، وهددوه بالأصنام أن تصيبه بسوء؛ إن تركها، وانظر شرح: ﴿قَوْمُهُ﴾ في الآية رقم [٢١/٥]. ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ﴾ أي: أتجادلونني في توحيد الله، وإيماني به. هذا؛ وقد قرئ بتشديد النون، وتخفيفها، فعلى الأول تكون نون الوقاية قد أدغمت في نون الرفع بعد تسكينها، وعلى الثاني تكون قد حذفت

إحدى النونين على اختلاف في المحذوف منهما، انظر الكلام على الشاهد [١٠٤٩] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». هذا؛ ويجري في: ﴿تَأْمُرُوٓنِّيٓ﴾ من سورة (الزمر) ما جرى في: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾ قراءة، وحذفاً، وانظر «القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿وَقَدْ هَدَىٰنِۚ﴾: إلى التوحيد والعبادة، وهو يقرأ بحذف ياء المتكلم، وإثباتها. ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: لا أخاف معبوداتكم؛ التي تهددونني بها؛ لأنها لا تضر، ولا تنفع؛ لأنهم قالوا له: إنا نخاف أن تمسَّك الأصنام بخبل، أو جنون لعيبك إياها. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾: إلا أن يقدِّر عليَّ ربي أن يصيبني بمكروه من جهتها. ﴿يَشَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٨]. ﴿رَبِّي﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١]. ﴿شَيْـًٔاۗ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٩]. ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ﴾ أي: إن الله بكل شيء عليم، فلا يصيب عبداً شيء من ضر، أو نفع إلا بعلمه، وتقديره، ومشيئته. ﴿أَفَلَا﴾: انظر الآية رقم [٥/١٠٧] فإنه جيد. ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون، فتميزوا، وتفرقوا بين الصحيح، والفاسد، والقادر، والعاجز.

تنبيه: قال البغوي: لما رجع إبراهيم إلى أبيه، وصار من الشباب بحالة تسقط عنه طمع الذابحين، أي: (وهذا بناء على ما ذكرته لك من أنه وُلد خفية، ورُبِّي خفية) وضمه آزر إلى نفسه، جعل آزر يصنع الأصنام، ويعطيها إبراهيم ليبيعها، فيذهب وينادي من يشتري ما يضره، ولا ينفعه؟ فلا يشتريها أحد، فإذا بارت عليه؛ ذهب بها إلى نهر، فصوب فيه رؤوسها، وقال: «اشربي» استهزاء بقومه، وبما هم فيه من الضلالة، حتى فشا استهزاؤه بها في قومه، وأهل بلدته (حاجَّه قومه) يعني: خاصمه قومه، وجادلوه في أمر دينه. انتهى خازن.

وما أحراك أن تنظر المناظرة بينه، وبين النمرود في الآية رقم [٢٥٨] (البقرة) وانظر النتيجة الحاسمة بينه، وبين قومه في سورة (الأنبياء)، إن كنت من أهل القرآن.

الإعراب: (حاجه): ماض، ومفعوله. ﴿قَوْمُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين. ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (تحاجوني): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والنون للوقاية، وانظر القراءتين في الشرح، والواو فاعله، وياء المتكلم مفعوله. ﴿فِي ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿هَدَىٰنِۚ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى الله، والنون للوقاية، وياء المتكلم المقدرة، أو الثابتة على حسب القراءتين في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو والضمير. وقيل: في محل نصب حال من ياء المتكلم، وتقدير الحال في الأول: هادياً لي. وفي

الثاني: مهديّاً من عنده، أي: حال كوني مهديّاً من عنده. (لا): نافية. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، وفاعله أنا. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد أو الرابط الضمير المجرور محلّاً بالباء. وعلى الثالث تؤول (ما) مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: ولا أخاف إشراككم بالله، والجملة الفعلية هذه يجوز أن تكون مستأنفة، ويحتمل أن تكون في محل نصب حال باعتبارين: أحدهما: أن تكون حالاً ثانية معطوفة على الأولى، فيكون الحالان من الياء في: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّى﴾ والثاني: أنها حال من ياء المتكلم في: ﴿هَدَىٰنِۚ﴾، فتكون جملة حالية من بعد جملة حالية، فهي قريبة من الحال المتداخلة، إلا أنه لا بد من إضمار مبتدأ على هذا الوجه قبل الفعل المضارع لما تقدم من أن الفعل المضارع المنفي بـ: «لا» حكمه حكم المثبت، من حيث أنه لا تباشره الواو. انتهى.. جمل نقلاً عن السمين... ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ﴾، في محل رفع مبتدأ، وخبره محذوف، وتقدير الكلام: لكن مشيئة الله إياي بضر أخافها. والجملة الاسمية هذه في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهذا الاستثناء يسمى منقطعاً. هذا؛ وجوز اعتباره متصلاً؛ لأنه من جنس الأول، والمستثنى منه الزمان، كما أشار إلى ذلك الزمخشري في الكشاف بقوله: «لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لأنها لا تقدر على منفعة أو مضرة إلا وقت مشيئة ربي شيئاً». وقواه الجمل بقوله: وهو أظهر القولين. ﴿شَيْـًٔاۗ﴾: مفعول به. وقيل: نائب مفعول مطلق. ﴿وَسِعَ﴾: ماض. ﴿رَبِّى﴾: فاعل مرفوع... إلخ. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عِلْمًاۗ﴾: تمييز، وجوز اعتباره مفعولاً مطلقاً عامله: ﴿وَسِعَ﴾؛ لأن معناه: علم، والأول أولى، وأقوى، والجملة الفعلية: ﴿وَسِعَ...﴾ إلخ كالتعليل للاستثناء؛ إذ المعنى فلا يبعد أن يكون في علمه أن يحيق بي مكروه بسبب من الأسباب؛ لأنه أحاط بكل شيء علماً. ﴿أَفَلَا﴾: الهمزة: حرف استفهام. الفاء: حرف استئناف. (لا): نافية. ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾: فعل وفاعل. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وانظر ما قيل في قوله تعالى ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في الآية رقم [١٠٧] (المائدة) فإنه مثل هذه الآية بلا فارق.

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿أَخَافُ﴾: الخوف: الفزع، وانظر الخوف في الآية رقم [١٥٥] (البقرة) تجد ما يسرك. ﴿سُلْطَـٰنًاۚ﴾: حجة، وبرهاناً، والمعنى: كيف أخاف الأصنام التي تعبدونها، وهي جمادات لا تضر، ولا تنفع، ولا تبصر، ولا تسمع، وأنتم لا تخافون الله، وقد أشركتم به ما

ليس فيه حجة وبرهان، وهو أعظم الذنوب. ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ﴾ أي: من الأولى بالأمن من العذاب ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وتفهمون، الموحدون، أم المشركون. هذا؛ والفريق: الطائفة من الناس، وهو أكثر من الفرقة، قال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾، وقال جل شأنه: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾، والفريق: اسم جمع لا واحد له من لفظه كرهط، وقوم.

الإعراب: ﴿وَكَيْفَ﴾: الواو: حرف استئناف. (كيف): اسم استفهام، وتعجب مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف مع المتعلق، التقدير: ما أشركتموه بالله، وعلى الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: أخاف إشراككم بالله غيره. ﴿أَنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿أَشْرَكْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ...﴾ إلخ يجوز فيها أن تكون معطوفة على ما قبلها، فتكون داخلة في حيز التعجب، والإنكار، وأن تكون في محل نصب حال، التقدير: وكيف أخاف الذي تشركون به حال كونكم أنتم غير خائفين عاقبة إشراككم؟! ولا بد من تقدير المبتدأ قبل المضارع المنفي بـ: (لا)، كما رأيت في الآية السابقة، والحال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. ﴿فَأَيُّ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أي): اسم استفهام مبتدأ، وهو مضاف، و﴿ٱلْفَرِيقَيْنِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه مثنى. ﴿أَحَقُّ﴾: خبر المبتدأ. ﴿بِٱلْأَمْنِ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَحَقُّ﴾ لأنه اسم تفضيل، والجملة الاسمية: ﴿فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾: انظر ما يشبهها في الآية رقم [٤٠].

بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن الآية بكاملها، والآية التي قبلها كل ذلك من مقول إبراهيم، عليه الصلاة والسلام. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟﴾: لم يخلطوا، وانظر الآية رقم [٩]. ﴿إِيمَٰنَهُم﴾: انظر الآية رقم [٩٦/ ٥]. ﴿بِظُلْمٍ﴾: المراد به هنا الشرك؛ لما روي: أنه لما نزلت الآية شق ذلك على الصحابة، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ ليس ما تظنون، إنما هو ما قال لقمان

لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾. رواه البخاري، ومسلم عن ابن مسعود، رضي الله عنه. وليس الإيمان بالله أن تصدق بوجود الصانع الحكيم، وتخلط بهذا التصديق الإشراك به. وقيل: المعصية. ﴿لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾: من عذاب الله، ومن سخطه في الدنيا، والآخرة. ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾: موفقون إلى طريق الخير، والسداد، والهدى والرشاد. هذا؛ وقد اختلف: هل الآية الكريمة من تتمة كلام إبراهيم، أو من كلام الله تعالى؟ ويختلف الإعراب على القولين.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. وهذا على اعتباره من تتمة كلام إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، وأما على الاعتبار الثاني، فهو مبتدأ، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلته، والجملة الفعلية: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها، وجوز اعتبارها في محل نصب حال من واو الجماعة، فيكون الرابط: الواو، والضمير. ﴿بِظُلۡمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿إِيمَٰنَهُم﴾. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلۡأَمۡنُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل رفع خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ والجملة الاسمية والتي قبلها في محل نصب مقول القول، أي: قال: «هم الذين...» إلخ، وهذا على اعتباره من كلام إبراهيم، وأما على اعتباره من كلام الله تعالى ـ أي: غير محكي ـ ففي خبره أوجه: أحدها: أن الجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ في محل رفع خبر: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. الثاني: أن يكون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ بدلاً، أو عطف بيان، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ في محل رفع خبر: ﴿ٱلَّذِينَ﴾. الثالث: أن ﴿لَهُمُ﴾ خبر: ﴿ٱلَّذِينَ﴾، و﴿ٱلۡأَمۡنُ﴾ فاعل بالجار والمجرور، والمعتمد الأول من الثلاثة، والجملة: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها على اعتبارها من كلام الله تعالى، وإن اعتبرتها في محل نصب مقول القول، أي: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ فلست مفنداً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً باللام، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ٨٣﴾

الشرح: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ﴾: الإشارة إلى ما احتج به إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قومه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾. ﴿ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: أعطيناه إياها. أو أرشدناه. أو: علمناه إياها. وانظر شرح: ﴿قَوۡمِهِۦ﴾ في الآية رقم [٢٠/ ٥]. ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾: يقرأ بالتنوين وبالإضافة. ورفع الدرجات يكون بالعلم، والحكمة، والتقوى، والصلاح، لا بالمال ولا بمراتب الدنيا الفانية. وانظر شرح: ﴿نَّشَآءُ﴾ في الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر

سورة (الفاتحة) رقم [١]. ﴿حَكِيمٌ﴾: في رفعه، وخفضه، وعزه، وذله لمن يشاء. ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال عباده من يستحق الرفع منهم، ومن يستحق الخفض. وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧]. هذا؛ وقد قرئ (يرفع) و(يشاء) بالياء أيضاً، ويكون في الكلام التفات، وانظره في الآية رقم [٦].

الإعراب: (تلك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿حُجَّتُنَآ﴾: خبر المبتدأ، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعولاه، والجملة الفعلية في محل نصب حال من: ﴿حُجَّتُنَآ﴾ والعامل في الحال اسم الإشارة. هذا؛ وقيل: الجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، كما قيل: إن ﴿حُجَّتُنَآ﴾ بدل من اسم الإشارة، والجملة الفعلية في محل رفع خبره. واعتمد الأول؛ لأن له نظائر في كتاب الله، مثل: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾، ﴿وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾، ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول الأول، التقدير: «حجة على قومه»، والجملة الاسمية: ﴿وَتِلْكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿نَرْفَعُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾مضاف، و﴿مَّن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة ﴿مَّن﴾، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نشاؤه. هذا؛ وعلى قراءة التنوين فـ: ﴿مَّن﴾ هو المفعول به، و﴿دَرَجَٰتٍ﴾ يكون منصوباً بنزع الخافض، التقدير: نرفع في درجات من نشاء رفعه، وجملة: ﴿نَرْفَعُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا) والرابط: الضمير فقط، وجوز اعتبارها مستأنفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة، ومقوية لمعنى الكلام السابق، لا محل لها.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ﴾ أي: لإبراهيم. ﴿إِسْحَٰقَ﴾: ابنه، وكان بعد أن دبت في عروقه الشيخوخة، والعجز. وهذا معروف، ومكرر ذكره في القرآن الكريم. ﴿وَيَعْقُوبَ﴾: ابن إسحاق حفيد إبراهيم وقد ولد قبل وفاة جده. ﴿كُلًّا هَدَيْنَا﴾ أي: كلاً من إسحاق، ويعقوب هداهما الله للإيمان، وأنعم عليهما بنعمة النبوة، والرسالة. ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل إبراهيم، وقد عد الله هداية نوح نعمة على إبراهيم، من حيث إنه جده، وشرف الأجداد يتعدى إلى الأحفاد، كما هو معروف في جميع العصور. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: الضمير لإبراهيم إذ الكلام فيه، وقيل لنوح؛ لأنه أقرب، ولأن يونس، ولوطاً ليسا من ذرية إبراهيم، وإنما الجميع من ذرية نوح. ﴿وَأَيُّوبَ﴾: صاحب البلاء، وهو من ولد العيص بن إسحاق. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

أي: كما جزيناهم، وفضلناهم بالنبوة، والرسالة نجزي المحسنين خيراً في كل زمان، ومكان. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية [٣/٣٣] من حياة نوح، وعمره، وعمر إبراهيم وعمران، على نبينا وعليهم ألف صلاة وسلام، وانظر إعلال: ﴿ذُرِّيَّةً﴾ واشتقاقها في الآية رقم [٣/٣٤] فإنه جيد.

تنبيه: ذكر الله في هذه الآية: أنه وهب لإبراهيم الذرية الصالحة، ولم يقل: رزقنا، أو آتينا، أو أعطينا، مما يدل على أن الولد الصالح هبة من الله للعبد، بخلاف الولد الفاسد المفسد، فإنه نقمة، وغضب من الله على العبد، ورحم الله من قال: [الكامل]

نِعَمُ الإلَهِ على العِبَادِ كثيرةٌ وأجلُّهُنَّ نجابَةُ الأَوْلَادِ

الإعراب: (وهبنا): فعل وفاعل، وانظر: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢] (المائدة). ﴿لَهُۥٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِسْحَٰقَ﴾: مفعول به. (يعقوب): معطوف على ما قبله، والجملة الفعلية: (وهبنا...) إلخ معطوفة على الجملة الاسمية في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿كُلًّا﴾: مفعول به مقدم. ﴿هَدَيْنَا﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾: هو مثل سابقه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿دَاوُۥدَ﴾، وما عطف عليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿دَاوُۥدَ﴾: وما بعده معطوف على (نوحاً) أي: فالنصب بفعل محذوف دل عليه ﴿هَدَيْنَا﴾ السابق. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله الفعل الذي بعده، وتقدير الكلام: «نجزي المحسنين جزاء كائناً مثل ذلك الجزاء الذي جازينا به إبراهيم، وذريته». ﴿نَجْزِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم...إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، وهي معترضة في المعنى لعطف الآية التالية على ما قبلها.

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: (زكريا ويحيى) انظر الآيةرقم [٣٨ و٣/٣٩]. (عيسى): هو ابن مريم، وانظر الآية رقم [٥/٤٩] وفيه دليل على أن الذرية تتناول أولاد البنت. (إلياس) هوابن ياسين بن فنحاص بن عيزار بن هارون بن عمران. وهو المعتمد.

الإعراب: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ﴾: هذه الأسماء معطوفة على الأسماء السابقة، فهي منصوبة بفتحة مقدرة على الألف للتعذر، ما عدا (إلياس) فإنه منصوب بفتحة ظاهرة. ﴿كُلٌّ﴾: مبتدأ، وجاز الابتداء به؛ وهو نكرة لإضافته في المعنى؛ إذ التقدير: كلهم. ﴿مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معترضة بين الأسماء المتعاطفة.

﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٨٦﴾

الشرح: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ﴾: هو ابن إبراهيم من صلبه، وإنما أخر ذكره إلى هنا؛ لأنه ذكر إسحاق، وذكر أولاده من بعده على نسق واحد، فلهذا السبب أخر ذكره إلى هنا. ﴿وَٱلْيَسَعَ﴾: هو ابن أخطوب بن العجوز، وهو علم أعجمي دخلت عليه اللام، كما دخلت في العباس، والفضل، والوليد، واليزيد، ونحو ذلك، ويقرأ بقراءات كثيرة. ﴿وَيُونُسَ﴾: هو ابن (متى) وهو صاحب الحوت الذي سأتكلم عنه - إن شاء الله تعالى - في سورة (الصافات) بالتفصيل. هذا؛ وفي نونه وسين يوسف ثلاث لغات. ﴿وَلُوطًاۚ﴾: هو ابن أخي إبراهيم، وقد هاجر معه من العراق إلى فلسطين، كما ذكر الله في سورة الأنبياء، وبعد هجرته منح الرسالة، والنبوة. ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: كلاًّ من المذكورين في الآيات الثلاث فضلهم الله، ورفع منزلتهم، وأعلى مكانتهم بالنبوة، والهدى على العالمين، عالمي زمانهم ليبقى سيدنا، وشفيعنا محمد ﷺ سيدهم، وسيد الأولين، والآخرين إلى يوم الدين. هذا؛ ويستدل بهذه الآية من يقول: إن الأنبياء أفضل من الملائكة؛ لأن العالم بفتح اللام اسم لكل موجود سوى الله تعالى، فيدخل فيه الملك، فيقتضي: أن الأنبياء أفضل من الملائكة.

تنبيه: ذكرت لك في الآية رقم [١٦٣/ ٤] أن أبا ذر - رضي الله عنه - سأل رسول الله ﷺ عن عدد الأنبياء قال: «**مئة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً، قال: كم عدد الرسل منهم؟ قال: ثلاثمئة وثلاثة عشر، أول الرسل آدم، وآخرهم نبيكم محمد عليه الصلاة والسلام**». هذا؛ وأربعة منهم من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ومحمد صلى الله عليهم جميعاً، وسلم. وإسماعيل مستعرب. والمذكور في القرآن منهم خمسة وعشرون، ومعرفتهم بأسمائهم واجبة على كل مسلم ومسلمة من المكلفين، وأعني بمعرفتهم: أنه لو عرض اسم رسول على مسلم؛ فيجب أن يعرف أهو من المرسلين، أم لا؟ هذا؛ وقد ذكر الله في هذه الآيات ثمانية عشر رسولاً بأسمائهم من غير ترتيب، وبقي سبعة، وهم آدم، وإدريس، وشعيب، وصالح، وهود، وذو الكفل، وهو ابن أيوب المتقدم ذكره، ومحمد، فهؤلاء الخمسة والعشرون رسولاً هم الذين يجب الإيمان بهم تفصيلاً، وقد نظموا في قول بعضهم: [البسيط]

حتمٌ على كلِّ ذي التكليفِ معرفةٌ ... بأنبياءٍ على التفصيلِ قد عُلِمُوا

في تلك حجَّتُنا منهم ثمانيةٌ ... من بعدِ عشرٍ، ويبقى سَبعةٌ وهُمُو

إدريسُ هودٌ شعيبٌ صالحٌ وكذا ... ذو الكفل آدمُ بالمختارِ قد خُتِموا

تنبيه: ولما أظهر إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - دينه، وغلب خصمه بالحجج القاطعة، والبراهين القوية، والدلائل الصحيحة؛ التي فهمه الله تعالى إياها، وهداه إليها؛ عدد نعمه عليه،

فإنه رفع ذريته في عليين، وأبقى النبوة في عقبه إلى يوم الدين، فقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥ...﴾ إلخ، والمقصود من تلاوة هذه النعم على محمد ﷺ تشريفه؛ لأن شرف الوالد يسري إلى الولد.

الإعراب: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾: هذه الأسماء معطوفة على ما قبلها، فهي منصوبة مثلها. (كُلًّا): مفعول به مقدم. ﴿فَضَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: هذا الكلام معطوف على: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا﴾ أي: وهدينا من آبائهم... إلخ، أو هو معطوف على قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا﴾ أي: وفضلنا من آبائهم... إلخ. ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٣/٣٤]. ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ﴾: اصطفيناهم، واخترناهم. ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: تكرير مؤكد لما ذكر، وسبق. ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٨] لشرح الأول، وإعلال الثاني.

تنبيه: (من) الجارة معناها التبعيض، وهو يفيد أن بعض آبائهم لم يكن نبيّاً، بل ولم يكن مهديّاً، ويمثل له بآزر على ما سبق، وكذلك بعض الذرية، ويمثل له بابن نوح. عليه الصلاة، والسلام.

الإعراب: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾: جار ومجرور معطوفان على: (نوحاً)، أو على: (كلاًّ) كما رأيت في الشرح، و﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ﴾: معطوفان عليه أيضاً، والهاء في الكل في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٣] (المائدة) والجملتان معطوفتان على جملة: ﴿كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا...﴾ إلخ، فهما مؤكدتان لما سبق. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة صراط.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى المصدر المفهوم من الفعلين السابقين، أي: الاجتباء، والهداية. ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾: هو توفيق الله، انظر الاستعاذة لشرح الجلالة. ﴿يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾: يوفق إلى الهداية من يشاء الله هدايته، وتوفيقه إلى الخير، وفيه دليل واضح على أن الله هو المتفضل، والمنعم على من وفق لطاعته، وعبادته. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟﴾ أي: لو أشرك هؤلاء الأنبياء، أو أحد منهم مع فضلهم، وعلو شأنهم. وهذا على سبيل الفرض، والتقدير. ﴿لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا

كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لذهب ثواب أعمالهم هباء منثوراً، ولكانوا كغيرهم من المشركين في استحقاق العقاب الشديد، والخلود في نار السعير؛ لأن الله لا يقبل مع الشرك أي عمل صالح.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُدَى﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المقصورة، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿يَهۡدِى﴾: مضارع مرفوع. . إلخ. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والفاعل يعود إلى الله تقديره: «هو». ﴿مَن﴾: تحتمل الموصوفة، والموصولة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يشاؤه. ﴿مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف، ومن بيان لما أبهم في: ﴿مَّا﴾ وجملة: ﴿يَهۡدِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان للمبتدأ، أو في محل نصب حال من: (هدى الله) والعامل في الحال اسم الإشارة، والرابط: الضمير المجرور محلاً بالباء. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾ بدلاً من اسم الإشارة، فتكون الجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والمعتمد القول الثاني، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٣]. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره، وجملة: ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف لا محل لها لأنها؛ ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَحَبِطَ﴾: اللام: واقعة في جواب لو. (حبط): ماض. ﴿عَنۡهُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل: (حبط)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيء، كانوا يعملونه، وعلى الثالث تؤول ما مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: لحبط عنهم عملهم. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعۡمَلُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانُواْ﴾، وجملة: ﴿لَحَبِطَ عَنۡهُم...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها معطوف على الجملة الاسمية لا محل له مثلها، فهي مستأنفة، والمعطوف له حكم المعطوف عليه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى الرسل الذين ذكروا في الآيات السابقة، أو إلى من نهج نهجهم من الآباء، والذرية، وغيرهم، وليس كل واحد قد أنزل عليه كتاب، إذاً فالمراد من أنزل عليهم، وهو موسى، وعيسى، وداود، ومن لم ينزل عليه كتاب، ولكن أمر بالعمل في الكتاب الذي أنزل على من قبله، وهذا يشمل جميع رسل بني إسرائيل الذين كانوا مأمورين بالعمل بما في التوراة. وانظر شرح ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾ في الآية [٢] الأعراف. ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾ أي: الحكمة،

وهي ما تكمل به نفوسهم من المعارف، والأحكام، والأخلاق. وقال أبو بكر بن دريد: كل كلمة وعظتك، أو دعتك إلى مكرمة، أو نهتك عن قبيح فهي حكمة. ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾: الرسالة. ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: فإن يكفر بالثلاثة المذكورة أهل مكة. ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ أي: فقد أعددنا ووفقنا للإيمان بها والقيام بحقوقها قوماً يؤمنون بها. قيل: هم الأنصار، والمهاجرون، أو كل من آمن برسالة محمد ﷺ إلى يوم القيامة. هذا؛ وانظر: ﴿كَفَرُواْ﴾ في الآية رقم [٥/٣٦] وانظر: ﴿قَوۡمٗا﴾ في الآية رقم [٢٢] (المائدة).

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبره، والجملة الفعلية: ﴿ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿يَكۡفُرۡ﴾: مضارع فعل الشرط. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع فاعل، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وجملة: ﴿يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقَدۡ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿وَكَّلۡنَا﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلۡتُمۡ﴾ في الآية رقم [٥/٣]. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿قَوۡمٗا﴾: مفعول به. ﴿لَّيۡسُواْ﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِكَٰفِرِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (كافرين): خبر ليس مجرور لفظاً منصوب محلاً، وجملة: ﴿لَّيۡسُواْ...﴾ إلخ في محل نصب صفة ﴿قَوۡمٗا﴾ وجملة: ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها تحل محل المفرد، و(إنْ) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾

الشرح: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾: الإشارة إلى الرسل الذين ذكروا في الآيات السابقة. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾: هذا الأمر موجه لسيد الرسل وخاتمهم محمد ﷺ بأن يسير على طريقة الرسل السابقين، وينهج نهجهم، ويتخلق بأخلاقهم والمراد بـ: (هداهم) ما توافقوا عليه من التوحيد، وأصول الدين، دون الفروع المختلف فيها، فإنها ليست هدى مضافاً إلى الكل، ولا يمكن التأسي بهم جميعاً، فليس فيه دليل على أنه عليه الصلاة والسلام متعبد بشرع من قبله. والهاء في: ﴿ٱقۡتَدِهۡ﴾ للسكت، وفيها قراءات كثيرة. ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ أي: قل: يا محمد لكفار قريش: لا أطلب منكم أجراً على ما جئتكم به من هدى، ورشاد، وفلاح، كما لم

يطلب غيري من الرسل أجراً من أقوامهم على ما بلغوهم إياه. ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: ما هو، أي: القرآن أو التبليغ، والإرشاد إلا عظة لجميع المخلوقات من الإنس، والجن.

تنبيه: احتج بالآية الكريمة بعض العلماء على أن محمداً ﷺ أفضل من جميع الأنبياء وذلك لأن جميع خصال الكمال التي كانت متفرقة فيهم، أمر بالاقتداء بهم فيها، أي بالتخلق بها ليحوز الجميع، فكان نوح صاحب تحمل الأذى من قومه، وإبراهيم صاحب كرم، وإسحاق ويعقوب صاحبي صبر على البلاء، والمحن، وداود وسليمان من أصحاب الشكر على النعمة، وأيوب صاحب صبر على البلاء، ويوسف جامعاً بين الصبر والشكر، وموسى صاحب الشريعة الظاهرة، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس من أصحاب الزهد في الدنيا، وإسماعيل صاحب صدق، ويونس صاحب تضرع، فأمر محمد أن يقتدي بهم، وجمع له جميع ما تفرق فيهم. انتهى جمل نقلاً من الخازن بالمعنى.

الإعراب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ﴾: مبتدأ، وخبر، انظر التفصيل في الآية السابقة. وجملة: ﴿هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير (هداهم الله) والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٥]. (بهداهم): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱقۡتَدِهۡۗ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء للسكت، وهي حرف يجتلب للاستراحة عند الوقف، وجوز أبو البقاء اعتبارها هاء الضمير، ولا أراه قوياً، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً؛ فاقتد بهداهم. ﴿قُل﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا» والكاف مفعول به أول. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَجۡرًاۖ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنۡ﴾: حرف نفي بمعنى ما. ﴿هُوَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل لها. ﴿ذِكۡرَىٰ﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِلۡعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بـ: ﴿ذِكۡرَىٰ﴾ لأنه مصدر، والجملة الاسمية: ﴿إِنۡ هُوَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

الشرح: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ﴾ أي: ما عظموه حق تعظيمه، أو: ما عرفوه حق معرفته في الرحمة، والإنعام على العباد. ﴿إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾: حين أنكروا الوحي، وبعثة

الرسل، وذلك من عظائم رحمته، وجلائل نعمته. ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾: وهو التوراة. ﴿تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ أي: تجعلون التوراة أجزاء أجزاء، تكتبونها في دفاتر مقطعة، تظهرونها للناس، فيها ما تحبون إظهاره، وتخفون كثيراً مما فيها كنعت محمد ﷺ. هذا؛ وتقرأ الأفعال الثلاثة بالياء، والتاء. ﴿وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ﴾ أي: علمتم أشياء لم تكونوا تعلمونها، أنتم ولا أسلافكم، علمتموها من القرآن الكريم، ولم تنص التوراة عليها، فقد بين القرآن ما التبس عليكم، وعلى آبائكم الذين كانوا أعلم منكم. ونظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾. ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ أي: أنزله الله. ﴿ذَرْهُمْ﴾: دعهم، واتركهم. وهذا الفعل قد أميت ماضيه، انظر الآية رقم [٧/٧٠]. ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾: في باطلهم، وطغيانهم، وانظر الآية رقم [٦٨]. ﴿يَلْعَبُونَ﴾: يهزؤون ويسخرون. وانظر الآية رقم [٣٢].

﴿ٱللَّهَ﴾: انظر «الاستعاذة». ﴿قَالُوا۟﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٧/٤]. ﴿أَنزَلَ﴾: انظر الآية رقم [٥/٤٩]. ﴿بَشَرٍ﴾: يطلق هذا اللفظ على الإنسان ذكراً كان أو أنثى، مفرداً وجمعاً، مثل كلمة «الفلك» تطلق على المفرد والجمع، وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، وهي ظاهر الجلد، بخلاف أكثر المخلوقات، فإنها مكسوة بالشعر، أو الصوف، أو الريش. ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٩]. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: المراد به هنا التوراة، وانظر الآية رقم [٧/٢] لشرحه. ﴿جَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿مُوسَىٰ﴾: هو في الأصل موشى بالشين، مركب من اسمين: الماء، والشجر فالماء يقال له في العبرانية (مو) والشجر يقال له (شا) فعربته العرب، وقالوا: موسى بالسين، وسبب تسميته بذلك أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء والشجر، لما رمته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طه) و(القصص). ﴿وَهُدًى﴾: أصله هدياً، بضم الهاء، وفتح الدال، وتحريك الياء منونة، فقلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، فاجتمع ساكنان: الألف والتنوين، الذي يرسم ألفاً في حالة النصب بحسب الأصل، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار (هدًى)، وإنما أتوا بياء أخرى لتدل على الياء المحذوفة الأصلية، بخلاف ما إذا لم يأتوا بها، وقالوا (هداً) فلا يوجد ما يدل عليها. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٥/٣٢]. ﴿قَرَاطِيسَ﴾: جمع: قرطاس، وهو الورق الذي يكتب فيه.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في اليهود، أي: علمائهم، فقد ورد: أن مالك بن الصيف جاء يخاصم النبي ﷺ، فقال له النبي: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى، هل تجد فيها: أن الله تعالى يبغض الحبر السمين، أي: العالم الجسيم، وكان مالك المذكور كذلك، فقال: نعم، وكان يحب إخفاء ذلك، لكن أقر لإقسام النبي عليه، فقال له النبي ﷺ؛ أنت حبر سمين، أي أنت مبغوض، فغضب، وقال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال أصحابه الذين كانوا معه: ويحك، ولا على موسى، فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فلما سمعت اليهود تلك المقالة؛ عتبوا عليه، وقالوا: أليس الله أنزل التوراة على موسى، فلم قلت هذا؟! قال:

أغضبني محمد فقلته، فقالوا: وأنت إذا غضبت تقول على الله غير الحق، فعزلوه من الحبرية، وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف. انتهى جمل نقلاً من الخازن.

أقول: ذكرت لك في أول هذه السورة: أنها مكية، وأن هذه الآية وما بعدها مدنيات، وهذا يوافق ما ذكرته لك عن اليهود في المدينة، وهو يدحض قول من يقول: إن القائلين: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ هم كفار قريش، تأمل، وتدبر، والله أعلم.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿قَدَرُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿حَقَّ﴾: مفعول مطلق، ويقال: نائب عنه، و﴿حَقَّ﴾: مضاف، و﴿قَدْرِهِۦٓ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان بمعنى: وقت مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. وقيل: ﴿إِذْ﴾ حرف تعليل. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَىٰ بَشَرٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيْءٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿مَآ أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها على القول الأول فيها، ولا محل لها على اعتبار: ﴿إِذْ﴾ حرف تعليل. ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَنزَلَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿مَنْ﴾ تقديره هو. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة الكتاب، وجملة: ﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ صلة الموصول، والعائد الضمير المجرور بالباء. ﴿نُورًا﴾: حال من الضمير المجرور محلاً بالباء، والعامل فيه: ﴿جَآءَ﴾، أو من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾، والعامل فيه: ﴿أَنزَلَ﴾، وجملة: ﴿أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿مَنْ﴾، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ أَنزَلَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (هدى): معطوف على: ﴿نُورًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿لِّلنَّاسِ﴾: متعلقان بـ(هدى)، أو بمحذوف صفة له. ﴿تَجْعَلُونَهُۥ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول. ﴿قَرَاطِيسَ﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل نصب حال مثل: ﴿نُورًا﴾ فتكون الحال قد تعددت إفراداً، وجملة. هذا؛ وجوز اعتبار ﴿قَرَاطِيسَ﴾ منصوباً بنزع الخافض. وقيل: هو على حذف مضاف، أي ذا قراطيس، وجملة: ﴿تُبْدُونَهَا﴾ في محل نصب صفة: ﴿قَرَاطِيسَ﴾، والجملة الفعلية بعدها معطوفة عليها، فهي في محل نصب مثلها، والرابط محذوف؛ إذ التقدير (تخفون منها كثيراً)، وقول مكي: «مبتدأ لا موضع له من الإعراب» لا وجه له، إلا إذا كان يقصد إضمار مبتدأ، التقدير: «وأنتم تخفون كثيراً» فتكون الجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة. ﴿وَعُلِّمْتُم﴾: ماض مبني للمجهول مبني

على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿مَّا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً لم تعلموه. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع تأكيد لواو الجماعة ليصح العطف. (لا): زائدة لتأكيد النفي. ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾: معطوف على واو الجماعة، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: (علمتم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة في الأفعال الثلاثة، وهذا على قراءتها بالتاء، فيجب تقدير «قد» قبلها، وأما على قراءة الأفعال بالياء، ففي الجملة الفعلية وجهان: الأول: اعتبارها مستأنفة، والثاني: اعتبارها في محل نصب حال أيضاً، ويكون في الكلام التفات من الغيبة إلى الخطاب. ﴿ٱللَّهُ﴾: فيه وجهان: الأول اعتباره فاعلاً لفعل محذوف، التقدير: أنزله الله، والثاني: مبتدأ، وخبره محذوف، التقدير: الله أنزله، والجملة على الوجهين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ذَرْهُمْ﴾: أمر، وفاعله تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿فِى خَوْضِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير الواقع مفعولاً به، أو هما متعلقان بالفعل بعدهما، أو بمحذوف حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿يَلْعَبُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، أو من الضمير المجرور محلّاً بالإضافة، أو من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، وجملة: ﴿ذَرْهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: المراد به: القرآن الكريم الذي أنزله الله على قلب سيد العالمين نوراً ورحمة للناس أجمعين. ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: انظر الآية رقم [٤٩/ ٥]. وليس المراد هنا: أنه أنزل جملة واحدة، بل المراد بيان إنزاله فحسب. وانظر شرح ﴿كِتَٰبٌ﴾ في الآية رقم [٢/ ٧]. ﴿مُبَارَكٌ﴾: كثير النفع والفائدة. ﴿مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: موافق للكتب التي قبله في التوحيد، وتنزيه الله تعالى، والدلالة على البشارة، والنذارة. وانظر تفسير الآية رقم [٦٦/ ٢] ففيها فائدة. ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾: هي مكة المعظمة سميت بذلك؛ لأنها قبلة أهل القرى جميعاً، ومحجهم، ومجتمعهم، وأعظم القرى شأناً. وقيل: لأن الأرض دحيت من تحتها، أو لأنها مكان أول بيت وضع للناس. وانظر الآية رقم [١٢٣] هذا؛ وقد قرئ الفعل بالتاء، والياء، والإنذار: التخويف من عذاب الله وسخطه في الدنيا والآخرة. ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: من القرى، والمراد بعد ذلك جميع الناس شرقاً وغرباً. وانظر شرح (حول) في الآية رقم [١٧] من سورة (البقرة). ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ...﴾ إلخ:

فإن من صدق بالآخرة؛ خاف العاقبة، ولا يزال الخوف يحمله على النظر، والتدبر، حتى يؤمن بالنبي، والكتاب، والضمير في: ﴿بِهِۦ﴾ يحتملهما، ويحافظ على الطاعة، وتخصيص الصلاة بالذكر؛ لأنها عماد الدين، وعلم الإيمان، والمراد بالإيمان بالآخرة: الإيمان المعتد به بخلاف إيمان اليهود، والنصارى، وغيره بالآخرة فإنه إيمان لا يعتد به لفقد شرطه الأساسي، وهو الإيمان بمحمد ﷺ، وانظر شرح (الصلاة) في الآية رقم [٤/١٠٣] والآية رقم [١١] (التوبة) فإنه جيد.

تنبيه: وصف الله الكتاب الذي أنزله على محمد ﷺ هنا بالإنزال قبل وصفه بالبركة، بخلاف قوله تعالى في سورة (الأنبياء): ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ قالوا: لأن الأهم هنا وصفه بالإنزال؛ إذ جاء عقيب إنكارهم أن ينزل الله على بشر من شيء، بخلافه هناك، ووقعت الصفة الأولى جملة فعلية؛ لأن الإنزال يتجدد وقتاً فوقتاً، والثانية اسماً صريحاً؛ لأن الاسم يدل على الثبوت، والاستقرار، وهو مقصود هنا، أي: بركته ثابتة مستقرة. انتهى جمل نقلاً عن السمين.

الإعراب: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ﴾: مبتدأ وخبر، وجملة: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ في محل رفع صفة أولى لـ: (الكتاب). ﴿مُبَارَكٌ﴾: صفة ثانية. ﴿مُّصَدِّقُ﴾: صفة ثالثة. هذا؛ ويجوز في غير القرآن نصب الصفتين على الحال من: ﴿كِتَٰبٌ﴾ لوصفه بالجملة الفعلية كما رأيت. هذا؛ و ﴿مُّصَدِّقُ﴾: مضاف، و ﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و ﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و ﴿يَدَيْهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه مثنى صورة، والهاء في محل جر بالإضافة. (لتنذر): مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وهو يقرأ بالتاء والياء، فعلى الأول تقدير فاعله: أنت، وعلى الثاني تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿أُمَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و ﴿ٱلْقُرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف. (مَنْ): اسم موصول أو نكرة موصوفة بمعنى ناساً مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على ما قبلها. ﴿حَوْلَهَا﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (مَنْ) أو بمحذوف صفتها على اعتبارها نكرة، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على محذوف، التقدير: «أنزلناه للإيمان، وللإنذار». وقيل: معطوفان على ما دل عليه ﴿مُبَارَكٌ﴾ أي: أنزلناه للبركات، وللإنذار، وقيل غير ذلك. (الذين): فيه وجهان: أحدهما أنه مبني على الفتح في محل نصب معطوف على: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾، والثاني أنه في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ صلة الموصول، وجملة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة على الوجه الأول في الموصول، وفي محل رفع خبره على الوجه الثاني فيه. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: «يحافظون على صلاتهم» في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: لا أحد أظلم، وأفجر، وأفسد من إنسان يختلق الكذب على الله، فزعم أنه نبي بعثه الله، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي اللذين ادعيا النبوة في آخر حياة الرسول ﷺ. ﴿أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ أي: قال نزل علي قرآن، ولم ينزل عليه شيء، كعبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان يكتب لرسول الله ﷺ الوحي، فلما نزلت الآية: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ...﴾ إلخ، فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾، قال عبد الله: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ تعجباً من تفصيل خلق الإنسان، فقال النبي ﷺ: اكتبها، فكذلك نزلت، فشك عبد الله، وقال: لئن كان محمد صادقاً؛ لقد أوحي إلي، ولئن كان كاذباً؛ لقد قلت كما قال. فارتد عن الإسلام، ولحق بالمشركين، ثم رجع بعد ذلك إلى الإسلام، فأسلم قبل فتح مكة، والنبي ﷺ نازل بمر الظهران وكان في إسلامه دخن، ودغل ظهر ما ظهر منه في خلافة الإمام علي، رضي الله عنه. أي: بعد ثلاثين عاماً. ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ قيل: المراد: كفار قريش، أو النضر بن الحارث. فقالوا، أو قال كما حكى القرآن عنهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ والصحيح: أنه من مقول عبد الله بن أبي سرح، فكان من جملة كتبة الوحي، فكان إذا أملى عليه النبي ﷺ: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ كتب مكانه: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ وإذا أملى عليه: ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ كتب: ﴿غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ وهكذا. ﴿تَرَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [٥/٥٢]. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٤] الآتية.

﴿فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾: شدائده، من غمره الماء: إذا غشيه وغطاه. وانظر شرح ﴿ٱلْمَوْتِ﴾ في الآية رقم [٥/١٠٦]. ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: انظر الآية رقم [٢/٣٠]. ﴿بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾: يقبض أرواح الكفار، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦١]. وقبض أرواحهم يكون في شدة، وغلظة. ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ﴾ أي: تقول لهم الملائكة: أخرجوا أنفسكم أي: خلصوها من العذاب. وقيل: المعنى: أخرجوا أرواحكم من أجسادكم. وهذا تعنيف، وتغليظ عليهم. وانظر ما يفعل بهم عند الموت في الآية رقم [٨/٥٠]. ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾: أراد وقت الإماتة، وما يعذبون به من شدة النزع، أو المراد الوقت الممتد من الإماتة إلى ما لا نهاية له. والهون: الهوان، وإضافة العذاب إليه، كقولك: رجل سوء، والمراد: التمكن في الهوان. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ...﴾ إلخ: أي: العذاب الشديد واقع بسبب افترائكم على الله أموراً لا أصل لها؛ من أن له شريكاً،

وصاحبة، وولداً، ودعوى النبوة، والوحي وغير ذلك. ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: فلا تؤمنون بها. وهذا يدل على أن كل شخص وعظ، ونصح، فلم يقبل الموعظة والنصيحة فيكون من المستكبرين عن آيات الله، وينزل به ما نزل بالمشركين؛ الذين أعرضوا عن آيات الله.

المفردات: ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥/ ٧]. ﴿شَىْءٌ﴾: انظر الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿مِثْلَ﴾: هو بكسر الميم، وسكون الثاء، ومثله: مثيل، نحو: شبه، وشبيه، وهو اسم متوغل في الإبهام، فلا يتعرف بإضافته إلى الضمير، وغيره من المعارف، ولذلك نعتت به النكرة في قوله تعالى حكاية عن قول فرعون، وقومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾، ويوصف به المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، كما في الآية الكريمة، وتستعمل على ثلاثة أوجه: الأول بمعنى الشبيه، كما في الآية الكريمة، والثاني: بمعنى نفس الشيء، وذاته، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ عند بعضهم حيث قال: المعنى: ليس كذاته شيء، والثالث: زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ أي: بما آمنتم.

هذا؛ وأما المَثَل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً...﴾ إلخ، وشبهه، فهو القول السائر بين الناس، والذي فيه غرابة، من بعض الوجوه، والممثل بمضربه، أي هو الحالة الأصلية التي ورد الكلام فيها. وما أكثر الأمثال في اللغة العربية، علماً بأن ألفاظ الأمثال لا تغير، تذكيراً، وتأنيثاً، إفراداً، وتثنية وجمعاً، بل ينظر فيها دائماً إلى مورد المثل، أي: أصله مثل: (الصيف ضيعت اللبن)، فإنه يضرب لكل من فرط في تحصيل شيء في أوانه، ثم طلبه بعد فواته. هذا؛ ويجمع مثل بكل معانيه على أمثال، كما في الآية رقم [١٩٤/ ٧]. ﴿أَنفُسَكُمُ﴾: انظر الآية رقم [٩/ ٧]. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨]. ﴿كُنتُمْ﴾: انظر إعلال مثله في الآية رقم [٨/ ٥]. ﴿ٱلْحَقِّ﴾: انظر الآية رقم [٢٧/ ٥]. ﴿ءَايَٰتِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٤] وانظر (الوحي) في الآية رقم [١٦٣/ ٤] وانظر شرح ﴿غَيْرَ﴾ في سورة (الفاتحة).

الإعراب: ﴿وَمَنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام معناه النفي، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة. فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ صلة: (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، والجملة الاسمية: ﴿وَمَنْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أُوحِىَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَىَّ﴾: متعلقان بمحذوف نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ معطوفة على الجملة الفعلية قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يُوحَ﴾: مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف المقصورة. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَىْءٌ﴾: نائب فاعل، وجملة: ﴿وَلَمْ يُوحَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿قَالَ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير. (مَنْ):

اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل جر معطوفة على (مَنْ) المجرورة. التقدير: وممن قال... إلخ. ﴿سَأُنزِلُ﴾: السين: حرف استقبال. (أُنزِلُ): مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿مِثْلَ﴾: مفعول به. وقيل: هي صفة لمصدر محذوف، التقدير: سأنزل إنزالاً مثل ما أنزل... إلخ. ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير، أنزل الله. وعلى الوجه الثالث تؤول ما مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة، التقدير: مثل: إنزال الله. وهذا على اعتبار: ﴿مِثْلَ﴾ صفة لمصدر محذوف، كما رأيت، وجملة: ﴿سَأُنزِلُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ صلة (مَنْ)، أو صفتها على نحو ما رأيت. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿تَرَىٰٓ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والمفعول محذوف، التقدير: ولو ترى الكفار. ﴿إِذِ﴾: ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: مبتدأ مرفوع... إلخ. ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها، و﴿غَمَرَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْمَوْتِ﴾: مضاف إليه، وجواب (لو) محذوف، التقدير: ولو ترى يا محمد الكفار حين الظالمين في غمرات الموت؛ لرأيت أمراً عظيماً. (الملائكة): مبتدأ. ﴿بَاسِطُوٓا۟﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَاسِطُوٓا۟﴾: مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾: مضاف إليه مجرور وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: (الملائكة...) إلخ في محل نصب حال من الضمير المستتر في متعلق: ﴿فِى غَمَرَٰتِ﴾ والرابط الواو فقط. ﴿أَخْرِجُوٓا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنفُسَكُمُ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قائلين، أو: يقولون لهم، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. ﴿ٱلْيَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿أَخْرِجُوٓا۟﴾، فيكون الوقف عليه، أو هو متعلق بالفعل بعده، فيكون الوقف على ﴿أَنفُسَكُمُ﴾. ﴿تُجْزَوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع.. إلخ، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْهُونِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الموصوف للصفة، وجملة: ﴿تُجْزَوْنَ...﴾ إلخ على الوجهين في الظرف داخلة في مقول القول الواقع حالاً كما رأيت، وهو أولى من الاستئناف. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ انظر إعراب مثل هذه الكلمات في الآية رقم [٣٠] فإنه مثله بلا فارق. ﴿غَيْرَ﴾: مفعول به على تفسير ﴿تَقُولُونَ﴾ بتفترون، أو تذكرون، أو هو صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: تقولون قولاً غير الحقِّ، وهو مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه. ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾: إعراب هذه الجملة واضح

إن شاء الله تعالى، وفي محلها وجهان: أولها: العطف على ما قبلها، والثاني: الاستئناف، فتكون لا محل لها، وقد سيقت للإخبار بذلك تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

تنبيه: ذكر أبو البقاء في إعراب: ﴿كَذِبًا﴾ ما يلي: فقال: يجوز أن يكون: ﴿كَذِبًا﴾ مفعول ﴿افْتَرَىٰ﴾، وأن يكون مصدراً على المعنى، أي: افتراءً، وأن يكون مفعولاً من أجله، وأن يكون مصدراً في موضع الحال. أقول: والأول أقواها.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ﴾: فهذا يقال للمشركين يوم القيامة، والقائل هم الملائكة. وقيل: هو قول الله تعالى. والأول أقوى؛ لأن هذا الكلام متصل بما قبله، والأول من مقول الملائكة كما رأيت، ولكن إذا عرفت أن الآيات الثلاث السابقة مدنية، وأن هذه الآية، وما بعدها مكية، فيبعد العطف، وإنما الكلام مستأنف، فيصلح للاعتبارين. هذا؛ وقد عبر سبحانه عن المستقبل بالماضي لتحقق وقوعه. انظر مبحث هذا في الآية رقم [١١٦/ ٥] فإنه جيد، وانظر (جاء) في الآية رقم [٥]. وقد اختلف في ﴿فُرَادَىٰ﴾: هل هو مفرد، أو جمع، أو هو اسم جمع؟ وفي البيضاوي: و﴿فُرَادَىٰ﴾ جمع فرد، والألف للتأنيث ككسالى، وقرئ: (فراداً) بالتنوين، كغراب، و(فراد) كثلاث، و(فرْدَى) كَسَكْرَى. انتهى. فهذه أربع قراءات الأولى هي المتواترة، والثلاثة بعدها شواذ، كما في السمين. انتهى جمل. والمعنى: منفردين عن الأموال، والأولاد، وسائر ما جمعتموه في الدنيا. أو عن الأعوان، والأصنام؛ التي زعمتم أنها تشفع لكم. ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: على الهيئة التي ولدتم عليها، أي: حفاةً، عراةً، غُرْلاً، بُهْماً. وانظر شرح: ﴿أَوَّلَ﴾ في الآية رقم [٢/٤١] أو [٧/١٤٣] فإنه جيد. ﴿وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ أي: تركتم الشيء الذي تفضلنا به عليكم في الدنيا، فلم تحملوا منه شيئاً إلى الآخرة، قليلاً، أو كثيراً. هذا؛ والوراء يأتي بمعنى ما خلف الظهر، وقد يأتي بمعنى أمام، وقدام، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ و﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، وهو كثير في القرآن الكريم، وفي الشعر العربي، وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧]. ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ أي: شركاء الله في ربوبيتكم، واستحقاق عبادتكم لهم. وانظر إعلال: ﴿نَرَىٰ﴾ في الآية رقم [٥٢/ ٥] وانظر (زعم) في الآية رقم [٦٠/ ٤] فإنه جيد. والمراد بـ ﴿شُفَعَاءَكُمُ﴾: الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى. ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقطع وصلكم، وتشتت جمعكم. هذا؛ والبين:

الفراق والبعاد، وهو أيضاً الوصل، فهو من الأضداد، كالجون يطلق على الأسود، والأبيض، ومن استعماله بمعنى الفراق، والبعاد قول كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ: [البسيط]

ومـا سُعـادُ غـداةَ الـبـيْـنِ إذْ رَحـلُـوا إِلَّا أَغَـنُّ غـضِـيـضُ الـطـرْفِ مـكْـحـولُ

هذا؛ وقد قرئ (بينكم) بالرفع، والنصب، فالرفع على الفاعل، أي: تقطع وصلكم، والنصب على الحذف يريد: ما بينكم. انتهى مختار الصحاح. ولا تنس: أن (بين) ظرف مكان بمعنى وسْط، تقول: جلس بين القوم، كما تقول: جلس وسْط القوم، وانظر الإعراب. ﴿وَضَلَّ﴾: انظر الآية رقم [٢٤]. ﴿مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾: تدعون كذباً، وافتراءً: أنهم شفعاؤكم، وأن لا بعث، ولا جزاء.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئْتُمُونَا﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم حرف دال على جماعة الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع. و(نا): مفعول به. ﴿فُرَدَىٰ﴾: حال من الفاعل منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف، والجملة الفعلية جواب القسم لا محل لها، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له، وهو أولى من العطف كما بينته في الشرح. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. ﴿مَّا﴾: مصدرية. ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾: فعل وفاعل ومفعول به. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و ﴿مَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، و ﴿مَّا﴾ المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، وتقدير الكلام: جئتمونا مجيئاً كائناً مثل خلقكم أول مرة، أو هما متعلقان بمحذوف حال واقعة بدلاً من: ﴿فُرَدَىٰ﴾، أو بمحذوف حال ثانية، إن جوز التعدد فيها، أو حال من الضمير المستتر في: ﴿فُرَدَىٰ﴾، وانظر مثله في الآية رقم [٢٠]. (تركتم): فعل، وفاعل. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: خولناكموه، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٥/٣] وجملة: (تركتم...) إلخ، في محل نصب حال من تاء الفاعل، أو من الكاف الواقعة مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير، و(قد) قبلها مقدرة، و(ترك) متعد لمفعول واحد، وإن كان بمعنى: «صير» فينصب مفعولين ثانيهما محذوف، ويكون الظرف: ﴿وَرَآءَ﴾ متعلقاً به، التقدير: كائناً وراء، و ﴿وَرَآءَ﴾: مضاف، و﴿ظُهُورِكُمْ﴾: مضاف إليه والكاف في محل جر بالإضافة، وجوز الاستئناف بجملة ﴿وَتَرَكْتُم...﴾ إلخ. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿نَرَىٰ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَعَكُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو بصري، فلذا اكتفى بمفعول واحد، وهو: ﴿شُفَعَآءَكُمُ﴾ والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة لما

قبله، أو هو بدل منه. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿فِيكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾ بعدهما، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿شُرَكَٰٓؤُاْ﴾: خبر (أنَّ) و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي ﴿زَعَمْتُمْ﴾ والجملة الفعلية هذه صلة الموصول، والعائد اسم (أنَّ)، وجملة: ﴿وَمَا نَرَىٰ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (تركتم...) إلخ على الوجهين المعتبرين فيها، هذا؛ وقدر الجلال: ويقال لهم توبيخاً: ﴿وَمَا نَرَىٰ...﴾ إلخ، وهذا يعني: أن الجملة الفعلية في محل نصب مقول لقول القول محذوف. ولم أره لغيره. ﴿لَقَد﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف. (قد): حرف تحقيق... إلخ. ﴿تَّقَطَّعَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود على الاتصال المدلول عليه بما تقدم. هذا؛ وجه فيكون: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والثاني: أن الفاعل هو: ﴿بَيْنَكُمْ﴾ على تفسيره بالوصال، وهو مبني على الفتح في محل رفع. وقيل: بل هو منصوب، وهو مرفوع المحل، وقالوا: إنما بقي على نصبه اعتباراً بأغلب أحواله. وقول الزمخشري: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ لقد وقع التقطع بينكم، فهذا حل معنى، لا حل إعراب. هذا؛ وعلى قراءة رفعه فهو فاعل بلا خلاف فيه، ويكون خالياً من معنى الظرفية. هذا؛ وقد قرئ (لقد تقطع ما بينكم) فما على هذه القراءة هي الفاعل، وهي تحتمل الموصولة، والموصوفة، ويكون ﴿بَيْنَكُمْ﴾ ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة: ﴿مَّا﴾، أو صفتها، ولذا فقد اعتبر أبو البقاء على قراءة: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ الفاعل محذوفاً، وقدره بشيء، واعتبر الظرف متعلقاً بمحذوف صفة لهذا المحذوف. وجملة: ﴿تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ جواب القسم المحذوف لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (ضل): ماض. ﴿عَنكُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل لـ (ضل)، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: «كنتم تزعمونه». وعلى الاعتبار الثالث، فـ ﴿مَّا﴾ وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل، التقدير: «ضل عنكم زعمكم». والجملة الفعلية هذه معطوفة على جواب القسم، لا محل لها. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَزْعُمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان) الناقصة. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾: شاق الحب عن النبات. فيشق الحبة اليابسة، فيخرج منها ورق أخضر، ويشق النواة اليابسة، فيخرج منها شجرة صاعدة في الهواء. و﴿ٱلْحَبِّ﴾ هو الذي ليس له نوى، كالحنطة، والشعير، و(النَّوى) ضد الحب، كالرطب، والخوخ، والمشمش. انتهى جمل نقلاً من الخازن بتصرف. ﴿ٱلْحَىَّ﴾: قال البيضاوي: يريد ما

ينمو من الحيوان، والنبات ليطابق ما قبله. ﴿ٱلۡمَيِّتِ﴾: مما لا ينمو كالنطفة، والبيضة، والحبة. ومعروف إخراج أحدهما من الآخر. هذا؛ وقد قيل: إن المراد بالحي: المؤمن، وبالميت: الكافر، فالمؤمن حي القلب بالإيمان، والكافر ميت القلب بالكفر، خذ قول ربك: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾. هذا؛ والميْتُ والميْتة بفتح الميم وسكون الياء فيهما، وهو من فارقت روحه جسده، وجمعه: أموات، وأما المشدد فهو الحي الذي سيموت، وعليه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾. وجمعه: موتى، قال بعض الأدباء في الفرق بينهما: [الطويل]

أيَـا سـائِـلـي تـفـسـيـرَ مـيْـتٍ ومـيِّـتٍ فـدُونـكَ قـدْ فـسَّـرتُ مـا عـنـهُ تَـسْـأَلُ

فَـمَـنْ كـانَ ذَا رُوحٍ فـذلِـكَ مـيِّـتٌ ومـا الـمـيْـتُ إلا مَـنْ إلى الـقـبـر يُـحـمـلُ

هذا هو الأصل الغالب في الاستعمال، وقد يتعاوضان كما في قول عدي بن الرعلاء الغساني: [الخفيف]

لـيـسَ مَـنْ مـاتَ فـاسـتـراحَ بـمـيْـتٍ إنـمـا الـمـيْـتُ مـيِّـتُ الأحـيـاءِ

إنـمـا الـمـيْـتُ مَـنْ يـعـيـشُ كـئِـيـبـاً كـاسـفـاً بـالُـهُ قـلـيـلَ الـرَّجـاءِ

أقول: ومن هذا ما في هذه الآية الكريمة، وأيضاً الآية رقم [٢٧/ ٣] حيث استعمل المشدد فيهما لفاقد الحياة والروح كما هو واضح، وانظر مثل هذا التعاوض في الآية رقم [١٦٨/ ٧] ولا تنس: أن أصل ميت: مَيْوت؛ لأنه من: مات، يموت، فقل في إعلاله: اجتمعت الياء والواو، وسبقت إحداهما بالسكون، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وقل مثله في إعلال سيد، وهين، وصيب ونحو ذلك. هذا؛ وذكر: (مُخْرِج) هنا بلفظ الاسم حملاً على: ﴿فَالِقُ ٱلۡحَبِّ﴾، فإن الجملة الفعلية: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ واقعة موقع البيان له، كما ستعرفه في الإعراب. ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الأشياء المحيي المميت لها. ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾؟ أي: فأنى تصرفون عن الحق، فتعبدون غير الله الذي هو خالق الأشياء كلها؟! قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ فهو من باب: ضرب، ومصدره: أَفْكاً، كَضَرْباً. هذا؛ وهو من الباب الرابع بمعنى: كذب، ومصدره: إفْكاً كعِلْماً، ويغلب مجيء الأول بالبناء للمجهول، وقد يجيء بالبناء للمعلوم كما في الآية رقم [٧/١١٧] وقوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا﴾. وما في الآية تعجيب للناس من الله تعالى في ذهابهم للفرق بين الرب والمربوب. وفي الآية الكريمة دليل على صحة البعث يوم القيامة بعد الموت لأن القادر على إخراج البدن من النطفة قادر على إخراجه من التراب للحساب والجزاء.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿فَالِقُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلۡحَبِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه تقديره: «هو» وجملة: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ﴾ في محل رفع خبر ثان. وقيل: مستأنفة، ولا أرتضيه. ﴿وَمُخۡرِجُ﴾: معطوف

على: ﴿فَالِقُ﴾، وهو مضاف، و﴿النَّوَى﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿مِنَ الْحَيِّ﴾: متعلقان باسم الفاعل، والجملة الاسمية: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَنَّى﴾: الفاء: أراها الفصيحة؛ لأنها تفصح عن شرط مقدر، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً، وصحيحاً؛ فأين تذهبون، وتصرفون عن الحق؟! (أنى): اسم استفهام بمعنى: «كيف» مبني على السكون في محل نصب حال من واو الجماعة. هذا؛ وإن اعتبرت (أنى) للمكان كما هو أصل معناها، فتكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلقة بالفعل بعدها، ﴿تُؤْفَكُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، وواو الجماعة نائب فاعله، ومتعلقه محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية: ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ لا محل لها لأنها جواب للشرط المقدر بـ: «إذا»، والشرط المقدر، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾: شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل، أو عن بياض النهار، أو شاق ظلمة الإصباح، وهو الغبش الذي يليه، و﴿الْإِصْبَاحِ﴾ في الأصل مصدر: أصبح: إذا دخل في الصباح، سمي به الصبح. انتهى بيضاوي. هذا؛ والصباح، والصبح: الفجر، وهما خلاف المساء، وأصبحنا: دخلنا في الصباح، وأمسينا دخلنا في المساء. هذا؛ والإمساء ضد الإصباح، قال الشاعر: [الرجز]

أفْنَى رِياحاً وبني رِيَاحِ تَناسُخُ الإمسَاءِ والإصْباحِ

والممسى، والمصبح مثلهما، قال أمية بن أبي الصلت: [البسيط]

الحمدُ للهِ مُمْسانا ومُصْبَحَنا بالخيرِ صبَّحَنا رَبِّي وَمَسَّانا

هذا؛ وقد قرئ بفتح الهمزة. ﴿وَجَعَلَ الَّيْلَ سَكَنًا﴾: يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه، من: سكن إليه: إذا اطمأن إليه استئناساً به، أو: يسكن فيه الخلق من قوله: ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ هذا؛ والليل واحد بمعنى الجمع، واحدته الليلة، مثل: تمر وتمرة، وقد جمع على ليال، فزادوا فيه الياء على غير قياس، ونظيره: أهل، وأهال، والليل الشرعي من غروب الشمس إلى طلوع الفجر، وهو أحد قولين في اللغة، والقول الآخر: هو من غروبها إلى طلوعها. هذا؛ والنهار ضد الليل، وهو لا يجمع، كما لا يجمع العذاب، والسراب، فإن جمعته؛ قلت في الكثير: نُهُر بضمتين، كسحاب، وسُحُب، وفي القليل: أنْهُر. والنهار من طلوع الفجر، أو من طلوع الشمس على ما تقدم في نهاية الليل إلى غروب الشمس، وقد يطلق عليهما اسم اليوم، كما ستعرفه في

الآية رقم [١٢٨]. هذا؛ والليل يطلق على الحبارى، أو فرخها، وفرخ الكروان، والنهار يطلق على فرخ القطا. انتهى قاموس. وقد ألغز بعضهم بقوله: [الوافر]

إذَا شهرُ الصيامِ إليكَ وَافى ... فكُلْ ما شِئْتَ ليلاً أَوْ نَهاراً

﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾: تحسب بهما الأوقات، والأيام، والشهور، والأعوام، وذلك بسبب تعاقبهما، وتداولهما. هذا؛ والحسبان مصدر بضم الحاء، وكسرها، فالأول ماضيه من باب: قتل، وهو بمعنى العد. والثاني من باب: تعب، وهو بمعنى الظن. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى فلق الصبح، وتسيير الليل والنهار والشمس والقمر. ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ أي: الذي قهر الشمس والقمر وسيرهما على الوجه المخصوص لمعرفة ما ذكرته، كيف لا، والله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾.

الإعراب: ﴿فَالِقُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو فالق، وهو مضاف، و ﴿الْإِصْبَاحِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه: هذا؛ وقد قرئ (فلق الإصباح) وهي قراءة شاذة. ﴿وَجَعَلَ﴾: ماض، وفاعله مستتر يعود إلى الله. ﴿اللَّيْلَ﴾: مفعول به أول. ﴿سَكَنًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾: معطوفان على: ﴿اللَّيْلَ﴾. ﴿حُسْبَانًا﴾: معطوف على: ﴿سَكَنًا﴾. وقيل: هو منصوب بنزع الخافض، أي: بحسبان، ويشهد له آية الرحمن: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾. هذا؛ وقد قرئ (فالقَ) بالنصب على المدح بفعل محذوف، كما قرئ (جاعل) معطوفاً على: ﴿فَالِقُ﴾ على رفعه، ونصبه، وبجر: ﴿اللَّيْلِ﴾، كما في: ﴿الْإِصْبَاحِ﴾، فيكون عطف: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ على محل: ﴿اللَّيْلِ﴾. وقد قرئا بالرفع على الابتداء، والخبر محذوف، تقديره: والشمسُ، والقمرُ مجعولانِ. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿تَقْدِيرُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و ﴿الْعَزِيزِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿الْعَلِيمِ﴾: بدل من: ﴿الْعَزِيزِ﴾، ويقال: صفة له، والجمل في الآية الكريمة كلها مستأنفة لا محل لها.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ إلخ: أي الله هو الذي خلق النجوم ليهتدي بها بنو آدم في ظلمات الليل؛ التي تكون وتحصل في الأرض الفلاة، وكذلك في لجج البحار. وانظر الآية رقم [١]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ أي: الدلالات على قدرة الله تعالى قد بيناها، وفصلناها فصلاً فصلاً. وهو ما ذكره في الآية السابقة، وغيرها. ﴿لِقَوْمٍ﴾: انظر:

﴿يَنقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٠/ ٥]. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: علم تفهم وعمل، فينتفعون بذلك. هذا؛ وفي الكلام التفات، انظر الآية رقم [٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٦/ ٧] وانظر شرح: ﴿ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ في الآية رقم [٥٩] وشرح (الآيات) في الآية رقم [٤].

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الفعلية: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِتَهْتَدُوا۟﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلَ﴾، التقدير: للاهتداء. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِى ظُلُمَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿ظُلُمَٰتِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْبَرِّ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٱلْبَحْرِ﴾: معطوف عليه. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿فَصَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]. ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم)، وقد حذف المفعول، وهو يؤذن بالعموم، والجملة الفعلية: ﴿قَدْ فَصَّلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أما الجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ؛ فإنها معطوفة على ما قبلها.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَنشَأَكُم﴾: خلقكم، أو: بدأ خلقكم. ﴿نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: المراد به آدم أبو البشر، وتوضح ذلك آية النساء رقم [١]. ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ أي: فلكم استقرار في الأصلاب، أو فوق الأرض، أو استيداع في الأرحام، أو تحت الأرض، أو موضع استقرار، واستيداع. ويقرأ: (مستقر) بفتح القاف، وكسرها. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: يفهمون ما يقال لهم. هذا؛ وذكر سبحانه مع ذكر النجوم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ لأن أمرها ظاهر، ومع ذكر تخليق بني آدم ﴿يَفْقَهُونَ﴾؛ لأن إنشاءهم من نفس واحدة، وتصريفهم بين أحوال مختلفة دقيق غامض يحتاج إلى استعمال فطنة، ودقيق نظر.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الفعلية: ﴿أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. (مستقر): مبتدأ، خبره محذوف، انظر تقديره في الشرح. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ...﴾ إلخ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية السابقة.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: يذكر، ويؤنث، والسماء كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء: المطر، يقال: ما زلنا نطأ السماء حتى أتيناك. قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إذَا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ ... رَعَيْنَاهُ وإنْ كَانُوا غِضَابَا

أراد بالسماء: المطر، ثم أعاد الضمير عليه في: «رعيناه» بمعنى النبات. هذا؛ والمراد بالسماء في هذه الآية: السحاب الذي ينزل منه المطر، وإعادة الضمير عليه بمعنى النبات يسمى في فن البديع بالاستخدام. هذا؛ وأصل سماء: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. ﴿مَآءً﴾: أصله: موه، بفتح الميم، والواو، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار: (ماه) فلما اجتمعت الألف والهاء، وكلاهما خفي؛ قلبت الهاء همزة، ودليل ذلك: أن جمع ماء: أمواه، ومياه، وتصغيره على مويه، وأصل ياء مياه واو، لكنها قلبت ياء لانكسار ما قبلها في جمع أعلت في مفرده، كما قالوا: دار وديار، وقيمة وقيم، ومثله قولهم: سوط وسياط، وحوض وحياض، وثور وثيرة. ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾: فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الآية رقم [٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٧/٧] أو [١٤/٥]. ﴿نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي: نبت كل صنف من النبات.

والمعنى: إظهار القدرة، وبيانها في إنبات الأنواع المختلفة بماء واحد، كما في قوله تعالى: ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ﴾. ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ﴾ أي: من النبات، أو من الماء. ﴿خَضِرًا﴾ أي: شيئاً خضراً، أي: غضّاً طريّاً. ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ﴾ أي: من الخضر المذكور، والتعبير بالمضارع مع أن المقام للماضي لاستحضاره الصورة الغريبة. انتهى جمل نقلاً من أبي السعود. ﴿حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾: يركب بعضه بعضاً كسنابل الحنطة، ونحوها. ﴿قِنْوَانٌ﴾: جمع: قنو، وهو من النخل كالعنقود من العنب. هذا؛ ويقرأ بتثليث القاف، وجمع أيضاً على: أقناء، وقنيان بضم القاف، وكسرها. هذا؛ وصنوان مثل: قنوان جمعاً، ولغة كما ستعرفه إن شاء الله في سورة (الرعد) والمعنى: وأخرجنا من النخل نخلاً من طلعها قنوان. والطلع: أول ما يخرج من العرجون، ثم يصير قنواً. ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: جمع: جنة، وهي البستان. وانظر ما ذكرته في

الآية رقم [٧٦]. ﴿مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ﴾: بعض ذلك الثمر متشابه، وبعضه غير متشابه في الهيئة، والقدر، والطعم، واللون. ﴿انظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾ أي: ثمر كل واحد مما ذكر. ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: إذا أخرج ثمره كيف يثمر ضئيلاً، لا يكاد ينتفع به. هذا؛ وثمر جمع: ثمرة، مثل: بقرة، وبقر، وجمع الجمع: ثمار. ﴿وَيَنْعِهِۦٓ﴾ أي: وإلى حال نضجه، كيف يعود ضخماً ذا نفع، ولذة، وهو في الأصل مصدر ينعت الثمرة إذا أدركت. وقيل: جمع: يانع، كتاجر، وتجر. وقرئ بالضم، وهو لغة فيه، وقرئ (يانعة). ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ﴾: الإشارة، إلى جميع ما ذكر من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ...﴾ إلى هنا. ﴿لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: لدلالات على وجود القادر الحكيم، وتوحيده، فإن حدوث الأجناس المختلفة، والأنواع المتفننة من أصل واحد، ونقلها من حال إلى حال لا يكون إلا بإحداث قادر يعلم تفاصيلها، ويرجح ما تقتضيه حكمته مما يمكن من أحوالها، ولا يعوقه عن فعله نِدٌّ يعارضه، وضد يعانده، ولذلك عقبه بتوبيخ من أشرك به، والرد عليه، وهو ما في الآية التالية. هذا؛ وخص المؤمنون بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بهذه الآيات دون غيرهم.

الإعراب: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الفعلية: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ صلة الموصول، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَنزَلَ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مَآءً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، والجملة الفعلية: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ مستأنفة لا محل لها، ولا يصح عطفها على جملة الصلة لاختلاف الفاعلين في الغيبة، والتكلم. وجملة: ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا﴾ في محل نصب صفة: ﴿خَضِرًا﴾. ﴿وَمِنَ ٱلنَّخْلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن طَلْعِهَا﴾: بدل مما قبلهما بدل بعض من كل. ﴿قِنْوَانٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿دَانِيَةٌ﴾: صفة: ﴿قِنْوَانٌ﴾، وذكر أبو البقاء وجوهاً لا طائل تحتها. ﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: معطوف على: ﴿حَبًّا﴾. وقيل: على: ﴿نَبَاتَ﴾، كما قيل على: ﴿خَضِرًا﴾، فتكون الجملة الاسمية معترضة بين المتعاطفين، و(جنات) منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مِّنْ أَعْنَابٍ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: (جنات). هذا؛ وقد قرئ برفع: (جنات) على اعتباره مبتدأ خبره محذوف، التقدير: ولكم، أو: ثم جنات، أو: من الكرم جنات، ولا يجوز عطفه على: ﴿قِنْوَانٌ﴾؛ إذ العنب لا يخرج من النخل. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾: معطوفان على: ﴿نَبَاتَ﴾، أو على: (جنات...) إلخ، وقال البيضاوي: أو نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم. انتهى.. ﴿مُشْتَبِهًا﴾: حال من: (الرمان)، أو من الجميع. ﴿وَغَيْرَ﴾: معطوف على ما قبله، و(غير) مضاف، و﴿مُتَشَٰبِهٍ﴾: مضاف إليه. ﴿انظُرُوٓاْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون. والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ﴾:

متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَآ﴾: ظرف زمان مجرد عن الشرطية مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿أَثۡمَرَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة: ﴿إِذَآ﴾ إليها. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿إِذَآ﴾ شرطية؛ فيكون جوابها محذوفاً، والأول أولى. ﴿وَيَنۡعِهِۦٓ﴾: معطوف على: ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿فِي ذَٰلِكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ تقدم على اسمها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿لَأٓيَٰتٖ﴾: اللام: لام الابتداء. (آيات): اسم ﴿إِنَّ﴾ مؤخر منصوب... إلخ. ﴿لِّقَوۡمٖ﴾: متعلقان بمحذوف صفة (آيات)، وجملة: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة (قوم)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ وَخَلَقَهُمۡۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ١٠٠﴾

الشرح: ﴿لِلَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿شُرَكَآءَ ٱلۡجِنَّ﴾ أي: الملائكة بأن عبدوهم، وقالوا: الملائكة بنات الله، سماهم الله جنّاً لاجتنانهم، تحقيراً لشأنهم، أو المراد: الشياطين؛ لأنهم أطاعوهم كما يطاع الله تعالى. وانظر: ﴿ٱلۡجِنَّ﴾ في الآية رقم [٧٦]. ﴿وَخَلَقَهُمۡ﴾: المعنى: وقد علموا: أن الله خلقهم لا الجن. ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾ أي: اختلقوا، وافتروا، وقرئ بتشديد الراء، وتخفيفها، كما قرئ: (وحرفوا) أي: زوروا، وواو الجماعة تشمل اليهود، والنصارى، ومشركي العرب، فاليهود قالوا: عزيز ابن الله، والنصارى قالوا: عيسى ابن الله، والعرب قالوا: الملائكة بنات الله من غير علم بذلك، ولا حجة، ولا برهان عليه. ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ﴾: اسم مصدر. وقيل: مصدر مثل غفران، وليس بشيء؛ لأن الفعل: «سبح» بتشديد الباء، والمصدر: تسبيح. ولا يكاد يستعمل إلا مضافاً، منصوباً بإضمار فعله، مثل: معاذ الله، وقد أجري علماً على التسبيح، بمعنى التنزيه على الشذوذ في قول الأعشى: [السريع]

قَدْ قُلْتُ لَمَّا جاءني فَخْرُهُ سُبْحانَ مَنْ عَلْقَمَةُ الفاخِرُ؟

وتصدير الكلام به اعتذار عن الاستفسار، والجهل بحقيقة الحال، ولذلك جعل مفتاح التوبة، فقال موسى ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ: ﴿سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وقال ذو النون ـ عليه السلام ـ: ﴿سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾. وقد نزه الله ذاته بنفسه تنزيهاً لائقاً به. ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾: تعاظم، ومضارعه: يتعالى، مثل: يتعاظم، ولا أمر له. ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ أي: يصفون الله، بأن له ولداً. هذا؛ وانظر شرح: ﴿شُرَكَآءَ﴾ في الآية رقم [٣٤] من سورة (يونس) وشرح: ﴿غَيۡرِ﴾ في سورة (الفاتحة)، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: (جعلوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني تقدم. ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعول به أول تأخر. ﴿الْجِنَّ﴾: بدل منه. هذا؛ وجه للإعراب. هذا؛ ويقرأ برفع (الجن) على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الجن، وهذا؛ وجه ثان. والوجه الثالث: ﴿شُرَكَاءَ﴾: مفعول ثان تقدم. ﴿الْجِنَّ﴾: مفعول أول تأخر، والجار والمجرور: ﴿لِلَّهِ﴾ متعلقان بـ ﴿شُرَكَاءَ﴾، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة المشهورة. وجملة: ﴿وَخَلَقَهُمْ﴾ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، وهي على تقدير: «قد» قبلها، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: الجملة مستأنفة، والأول أقوى، والجملة الفعلية: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَخَرَقُوا لَهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بَنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. (بنات): معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المؤنث السالم. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من فاعل: (خرقوا). وقيل: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، أي: خرقوا له خرقاً كائناً بغير علم، والأول أقوى. ﴿سُبْحَانَهُ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه ومن فعله المحذوف مستأنفة لا محل لها. وهذا عند الخليل، وسيبويه، وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف، والأول أقوى. ﴿وَتَعَالَى﴾: فعل ماض معطوف على فعل اسم المصدر المحذوف مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى الله، والجملة الفعلية لا محل لها مثل الجملة المقدرة. ﴿عَمَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (عن) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: عن الذي، أو عن شيء يصفونه به، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (عن) التقدير: تعالى الله عن وصفهم. تأمل، وتدبر.

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

الشرح: ﴿بَدِيعُ﴾: مبدع بمعنى: موجد السموات والأرض على غير مثال سبق، وانظر الآية رقم [١]. ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾: من أين، أو كيف يكون له ولد. ﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ أي: زوجة يكون له منها الولد. ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ أي: من شأنه أن يخلق في هذه الدنيا. وانظر

شرح: ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [١٩/٥]. ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾: لا يخفى عليه خافية. وفي الآية الكريمة استدلال على نفي الولد من وجوه.

الأول: أن من مبدعاته السموات، والأرضين، وهي مع أنها من جنس ما يوصف بالولادة مبرأة عنها لاستمرارها، وطول مدتها، فهو أولى بأن يتعالى عنها.

الثاني: أن المعقول من الولد ما يتولد من ذكر وأنثى متجانسين، والله تعالى منزه عن المجانسة.

الثالث: أن الولد كفؤ الوالد، ولا كفؤ له تعالى لوجهين:

الأول: أن كل ما عداه مخلوقه، فلا يكافئه. الثاني: أنه لذاته عالم بكل المعلومات، ولا كذلك غيره بالإجماع. انتهى بيضاوي.

الإعراب: ﴿بَدِيعُ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو بديع. وقيل: هو مبتدأ خبره ما بعده. وقيل: هو فاعل للفعل (تعالى). وأقواها الأول، وأضعفها الثالث. و﴿بَدِيعُ﴾: مضاف، و﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مضاف إليه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وقيل: من إضافة الصفة المشبهة. والأول أقوى. انظر الشرح، وفاعله مستتر فيه. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿أَنَّىٰ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل نصب حال عامله ما بعده، وهو مفيد للإنكار، وهذا على اعتباره بمعنى: «كيف» وأما على اعتباره ظرفاً بمعنى: «من أين» فهو مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بما بعده. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿وَلَدٌ﴾: اسم ﴿يَكُونُ﴾ مؤخر، وإن اعتبرت يكون تامّاً؛ ف: ﴿وَلَدٌ﴾ فاعله، و ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿وَلَدٌ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وهذا أحسن. تأمل. والجملة الفعلية: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر المبتدأ، كما رأيت. والأول أقوى. ﴿وَلَمْ﴾: الواو: واو الحال. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿صَٰحِبَةٌ﴾: اسمها مؤخر، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ ﴿لَهُۥ﴾ والرابط: الواو، والضمير، وجملة: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال ثانية، و«قد» قبلها مقدرة، والرابط: الواو، والضمير أيضاً، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال ثالثة، فتكون الحال قد تكررت؛ وهي جملة.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: الإشارة إلى الموصوف بما ذكر من الصفات. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿رَبُّكُمْ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٣/٧]. ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: في

هذا الكون، وانظر شرح: ﴿شَيۡءٍ﴾ في الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾، فوحدوه، وأخلصوا له العبادة، وهي غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذلك يحرم السجود لغيره تعالى. هذا؛ وقد قيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. ﴿وَكِيلٌ﴾: حفيظ، ومتولي جميع أمور خلقه الذين أنتم من جملتهم، ففوضوا أموركم إليه، واقصروا عبادتكم عليه. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر أول. ﴿رَبُّكُمۡۖ﴾: خبر ثان، والكاف في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿لَآ﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَۖ﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول كونه بدلاً من اسم: ﴿لَآ﴾ على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. والثاني: كونه بدلاً من: ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء. والثالث: كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف، وهو الأقوى. تأمل. والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثالث. ﴿خَٰلِقُ﴾: خبر رابع، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيۡءٍ﴾: مضاف إليه. خذ هذا، وقد جوز اعتبار لفظ الجلالة خبراً واحداً، وما بعده بدل منه، كما جوز اعتبار لفظ الجلالة بدلاً من اسم الإشارة، والخبر ما بعده. ﴿فَٱعۡبُدُوهُۚ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، التقدير: إذا كان ذلك حاصلاً فاعبدوه. (اعبدوه): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر كما رأيت، وانظر الآية رقم [٣٥]. والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ وَكِيلٌ﴾ مستأنفة لا محل لها، والإعراب واضح إن شاء الله تعالى.

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٠٣﴾

الشرح: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ أي: لا تراه سبحانه وتعالى الأبصار. وقيل: معناه لا تحيط به الأبصار. ﴿وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ﴾: يرى الأبصار، ولا تراه. ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ أي: بأوليائه، وأحبابه. ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾: بهم، وبأعمالهم.

تنبيه: قال الخازن: قال جمهور المفسرين: معنى الإدراك: الإحاطة بكنه الشيء، وحقيقته. والأبصار ترى الباري جل جلاله، ولا تحيط به، كما أن القلوب تعرفه، ولا تحيط به، وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ لا تحيط به الأبصار.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كلت أبصار المخلوقين عن الإحاطة. وقد تمسك بظاهر الآية قوم من أهل البدع، وهم الخوارج، والمعتزلة، وبعض المرجئة، وقالوا: إن الله تبارك

وتعالى لا يراه أحد من خلقه، وإن رؤيته مستحيلة عقلاً؛ لأن الله أخبر: أن الأبصار لا تدركه، وإدراك البصر عبارة عن الرؤية؛ إذ لا فرق بين قوله: أدركته ببصري، ورأيته ببصري، فثبت بذلك أن قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ بمعنى: لا تراه الأبصار، وهذا يفيد العموم.

ومذهب أهل السنّة: أن المؤمنين يرون ربهم في عرصات القيامة، وفي الجنة، وأن رؤيته غير مستحيلة عقلاً، واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر أدلة الكتّاب، والسنّة والإجماع من الصحابة، ومن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الآخرة، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ففي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة إلى غير ذلك من الآيات، والأحاديث. انتهى جمل منقولاً عن الخازن بحروفه. وبقي فيه كلام كثير.

أقول: يبقى تأويل الآية الكريمة على استحالة رؤية الله في الدنيا.

الإعراب: ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿تُدْرِكُهُ﴾: مضارع، والهاء مفعول به. ﴿الْأَبْصَارُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): مبتدأ. ﴿يُدْرِكُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿الْأَبْصَارَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به، والرابط: الواو، والضمير الواقع مبتدأ، وهو أولى من العطف على ما قبلها. والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۝١٠٤﴾

الشرح: ﴿جَاءَكُم﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿بَصَائِرُ﴾: جمع بصيرة، وهي للنفس كالبصر للبدن، سميت بها الدلالة؛ لأنها تجلي لها الحق، وتبصرها به.

وقال النسفي: البصيرة نور القلب الذي يستبصر به القلب، كما أن البصر نور العين الذي به تبصر. ﴿رَّبِّكُمْ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٧/٣]. ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾: الحق، وآمن به. ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ أي: أبصر، وإياها نفع. ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ أي: عن الحق، وضل سواء السبيل. ﴿فَعَلَيْهَا﴾ أي: فعلى نفسه وبال إضلاله. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي: أحفظ أعمالكم، وأجازيكم عليها، إنما أنا منذر، والله هو الحفيظ، والرقيب عليكم، يحفظ أعمالكم، ويجازيكم عليها. وهذا كلام ورد على لسان رسول الله ﷺ، وحكاه الله عنه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَاءَكُم﴾: ماض، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿بَصَائِرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾:

متعلقان بـ ﴿بَصَآئِرُ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف تفريع. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَبْصَرَ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿فَلِنَفْسِهِۦ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لنفسه): متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: فالإبصار لنفسه، والجملة الاسمية هذه في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٩]. هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً فالجملة بعده صلته، والجملة الاسمية المقدرة في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في خبره لشبه الموصول بالشرط في العموم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مفرعة عما قبلها لا محل لها، والجملة الاسمية بعدها معطوفة عليها، وإعرابها كإعرابها، والتقدير: ومن عمي فالعمى عليها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسمها. ﴿عَلَيْكُم﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِحَفِيظٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (حفيظ): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. هذا؛ وإن اعتبرت (ما) مهملة فالضمير مبتدأ، وتكون الباء قد زيدت في خبره، ولكن الأول أعرف، وأشهر. والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها على الاعتبارين. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي: ومثل ذلك التصريف، وهو إجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة. من: الصرف، وهو: نقل الشيء من حال إلى حال. وانظر الآية رقم [٤٦]. ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾ أي: قرأت كتب الماضين، وجئت بهذا منها. ويقرأ: (دارست) أي: أهل الكتاب، وذاكرتهم. والدرس: القراءة، والتعلم، ويقرأ أيضاً بقراءات كثيرة وصلت إلى ثلاث عشرة قراءة، ثلاث منها سبعيات، وسائرهن شاذات. ﴿وَلِنُبَيِّنَهُۥ﴾: الضمير لـ ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ باعتبار المعنى، أي بتأويلها بالكتاب، أو للقرآن، وإن لم يذكر؛ لكونه معلوماً، أو للمصدر، أي: للتبيين، والتصريف. ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: خصهم سبحانه بالذكر لعلهم يعملون بما يعلمون، وانظر الفرق بين ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و﴿يَفْقَهُونَ﴾ في الآية رقم [٩٨] وانظر: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٢٠/٥] و(نا) في الآية رقم [٦] (الأعراف).

الإعراب: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نصرف الآيات تصريفاً كائناً مثل ذلك التصريف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٥٥]. ﴿نُصَرِّفُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه

جمع مؤنث سالم. (ليقولوا): مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور معطوفان على محذوف، التقدير: ليعتبروا، وليقولوا. هذا؛ ويسمي الكوفيون اللام: لام العاقبة، ولام الصيرورة. ﴿دَرَسْتَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. (لنبينه): إعراب هذا الفعل مثل سابقه، والمؤول معطوف، وتقدير هذه المعطوفات: نصرف الآيات للاعتبار، ولقولهم، وللتبيين. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف للتعميم في محل جر صفة: (قوم)، تأمل، وتدبر وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾: هذا أمر للنبي ﷺ بالثبات على الإيمان، والتمسك بما يوحى إليه من آيات القرآن، وأمر له بالإعراض عن المشركين، وبعدم الاعتداد بهم، وبأباطيلهم. وهذا قبل الأمر بقتالهم، فالآية محكمة. وقيل: بل هي منسوخة بآية القتال، وإذا علمت: أن الآية مكية، فالأول هو المعتمد. ﴿رَّبِّكَ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٣/٧] وانظر (الوحي) في الآية رقم [٤/١٦٣] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿ٱتَّبِعْ﴾: أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع نائب الفاعل إليها، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: اتبع إيحاءنا إليك. ﴿مِن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَآ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٠٢]. وهي معترضة بين المتعاطفين، أو هي في محل نصب حال من: ﴿رَّبِّكَ﴾ بمعنى منفرداً، والأول أقوى، والجملة الفعلية: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالابتداء والثانية بالإتباع، والإعراب واضح إن شاء الله تعالى.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾: توحيدهم، وعدم إشراكهم. ﴿مَآ أَشْرَكُوا۟﴾: ما عبدوا الحجارة، والأوثان. وهذا نص صريح في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى، خلافاً للمعتزلة في قولهم: لم يرد الله من أحد الشرك، وينبغي أن تعلم: أن الإرادة غير الرضا، وانظر: ﴿شَآءَ﴾ في الآية رقم [٥/١٨] وانظر (الإرادة) في الآية رقم [٥/٤١]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿حَفِيظًا﴾: رقيباً،

وانظر الآية رقم [١٠٤]. ﴿بِوَكِيلٍ﴾: تقوم بأمورهم، وتتولى شؤونهم. هذا؛ وعند التأمل يظهر لك: أن معنى الجملتين واحد، فمعنى الثانية مؤكد لمعنى الأولى. وهذا قبل الأمر بقتال المشركين، كما في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾: فعل وفاعل. والمفعول محذوف كما رأيت تقديره في الشرح. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿أَشْرَكُوا﴾: فعل، وفاعل. والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/ ٥] والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، والأولى لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿جَعَلْنَاكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول أول، وانظر إعراب: ﴿خَلَقَكُم﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿حَفِيظًا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية معطوفة على (لو) ومدخولها، أو هي مستأنفة لا محل لها ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ في الآية رقم [١٠٤] بلا فارق. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً، ولا تنس: أن مفعول ﴿حَفِيظًا﴾ محذوف؛ لأنه ينصب المفعول كفعله: (حفظ، يحفظ) وتقديره: (أعمالهم) ونحوه. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأعظم.

﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: ولا تذكروا آلهة المشركين التي يعبدونها بما فيها من القبائح. ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: اعتداء، وتجاوزاً عن الحق إلى الباطل. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: على جهالة بالله، وبما يجب أن يذكر به من تقديس، وثناء، وشكر. ﴿اللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ أي: من الخير، والشر بإحداث ما يمكنهم منه، ويحملهم عليه توفيقاً، وتخذيلاً، والمعنى: زينا لهؤلاء الكفرة عملهم، كما زينا لكل أمة عملهم، وانظر (نا) في الآية رقم [٦/ ٧] و﴿أُمَّةٍ﴾ في الآية رقم [٦٦/ ٥] والآية [٣٨]. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٤٣/ ٥]. ﴿رَبِّهِم﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٢/ ٧]. ﴿فَيُنَبِّئُهُم﴾: انظر الآية رقم [١٥/ ٥] وانظر: ﴿دُونِ﴾ في الآية [٣/ ٧] و﴿غَيْرِ﴾ في سورة (الفاتحة).

تنبيه: روي: أن النبي ﷺ كان يطعن في آلهة المشركين، فقالوا له: لتنتهين عن سب آلهتنا، أو لنهجون إلهك، فنزلت الآية الكريمة. وقيل: كان المسلمون يسبونها، فنهوا عن ذلك؛ لئلا يكون سبهم سبباً لسب الله تعالى. وفيه دليل على أن الطاعة إذا أدت إلى معصية راجحة؛ وجب تركها، فإن ما يؤدي إلى الشر شر. انتهى بيضاوي.

وقيل: لما نزلت هذه الآية؛ قال النبي ﷺ: «**لا تسبوا آلهتهم؛ فيسبوا ربكم**». فأمسك المسلمون عن سب آلهتهم. فظاهر الآية وإن كان نهياً عن سب الأصنام، فحقيقتها النهي عن سب الله تعالى؛ لأنه سبب لذلك. انتهى خازن.

أقول: ومن هذا القبيل ما يفعله كثير من الناس من سب آباء غيرهم، فيردون لهم الكيل كيلين، والصاع صاعين، أي: فيسبون آباءهم، وأمهاتهم، وأجدادهم. فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ مِنْ أكبرِ الكبائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ والِدَيْهِ**». قِيلَ: يا رسولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرجلُ والديه؟ قالَ: «**يَسُبُّ أبَا الرجلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، ويَسبُّ أمَّه، فَيَسُبُّ أمَّهُ**». رواه البخاري، ومسلم.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف استئناف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَسُبُّوا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة بعده صلته، لا محل لها. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول، أو من الموصول نفسه، و ﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿فَيَسُبُّوا﴾: مضارع مجزوم، أو منصوب، فالأول بالعطف على السابق، والثاني، بإضمار: «أنْ» على اعتبار الفاء للسببية، وعلامة الجزم، أو النصب حذف النون... إلخ، وعلى الاعتبار الثاني تؤول «أن» المضمرة مع الفعل المضارع بمصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم سبٌّ للذين يدعون.. فيسبوا الله ظلماً... إلخ. ﴿اللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿عَدْوًا﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مفعول لأجله، والثاني: هو مفعول مطلق من غير لفظ الفعل؛ لأن السب عدوان في المعنى. والثالث: مصدر في موضع الحال، أي: معتدين. هذا؛ ويقرأ بضم العين، والدال، وتشديد الواو، فيكون مصدراً على «فعول» كالقعود، والجلوس، ويقرأ: (عدواً) بفتح العين، وتشديد الواو على أنه حال. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال، أي: جهلاً منهم بالله، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: زينا لهؤلاء أعمالهم تزييناً كائناً مثل تزييننا لكل أمة عملهم، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٥٥] واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿زَيَّنَّا﴾: فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/ ٥]. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَمَلَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَّرْجِعُهُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والهاء فيهما في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها لا محل لها مثلها. (ينبئهم): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهَ﴾، والهاء

مفعول به. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [٥/١٤]: ﴿بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ فإنه مثله بلا فارق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، وأعني: ﴿فَيُنَبِّئُهُم...﴾ إلخ.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾: حلفوا، وسمي الحلف قسماً؛ لأنه يكون عند انقسام الناس إلى مصدق، ومكذب، وهو رباعي كما ترى، فهمزته تثبت في الماضي، والأمر، وتحذف في المضارع مع ضم حرف المضارعة كما تراه في إعلال: (يصيب) في الآية رقم [١٢٤] الآتية. هذا؛ وأما «قسم» الثلاثي فإنه بمعنى: جزأ، وفرق، فمضارعه بفتح حرف المضارعة، وهمزته في الأمر وصل. ﴿بِاللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: غاية اجتهادهم فيها، وذلك: أنهم كانوا يقسمون بآلهتهم، وآبائهم، فإذا كان الأمر عظيماً؛ أقسموا بالله. و(الجهد) بفتح الجيم: المشقة، وبضمها: الطاقة وانظر الآية رقم [٥/٥٣] وانظر: ﴿ٱلْأَيْمَـٰنَ﴾ في الآية رقم [٥/٨٩]. ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾: انظر الآية رقم [٤] ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾: ليصدقن بها. ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥/٧]. ﴿إِنَّمَا ٱلْـَٔايَـٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: ينزلها كما يشاء، وإذا كانت بمعنى المعجزات، فيظهرها الله على يد الرسول ﷺ في الوقت الذي يريده. ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾: وما يدريكم، ويعلمكم. وانظر رقم [٢٦]. ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ...﴾ إلخ: يقرأ بفتح الهمزة وكسرها، وقد ذكر ابن هشام الآية في مغنيه، ونقل فيها أقوال العلماء الأعلام، مثل الخليل، والفارسي، والزجاج، والنحاس، سألخصه في الإعراب إن شاء الله تعالى. هذا؛ والمراد بالعندية في هذه الآية: أنه تعالى هو المختص بالقدرة على أمثال هذه الآيات دون غيره، فهي في حكمه، وقضائه، لا تتعلق بها قدرة أحد بوجه من الوجوه.

الإعراب: ﴿وَأَقْسَمُواْ﴾: (أقسموا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَهْدَ﴾: مفعول مطلق عامله: (أقسموا)، وهو من معناه، أو هو حال من واو الجماعة بمعنى: جاهدين، و﴿جَهْدَ﴾: مضاف، و﴿أَيْمَـٰنِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَئِن﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث والهاء مفعول به. ﴿ءَايَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّيُؤْمِنُنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (يؤمنن): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة في محل رفع فاعل، والنون للتوكيد حرف لا محل له. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية:

﴿لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ جواب القسم لا محل لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما ما لم يتقدم عليهما ما يحتاج إلى خبر، فيصح أن يكون الجواب للشرط المتأخر، وأن يكون جواباً للقسم، والمرجح أن يكون للشرط مطلقاً». قال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته: [الرجز]

واحذِفْ لَدَى اجتماعِ شَرْطٍ وقَسَمْ ... جَوَابَ ما أخَّرْتَ فَهْوَ ملتَزَمْ
وإن تواليَا وَقَبْلُ ذو خَبَرْ ... فالشَّرْطَ رَجِّحْ مطلقاً بلا حذَرْ
وربَّما رُجِّحَ بعدَ قَسَمِ ... شَرْطٌ بلا ذِي خبرٍ مُقَدَّمِ

هذا؛ والقسم المحذوف، وجوابه المذكور، والشرط المذكور، وجوابه المحذوف كل ذلك جواب لقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ وهذا القسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿الْآيَاتُ﴾: مبتدأ. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): اسم استفهام إنكاري مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (ما)، والكاف مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف؛ إذ التقدير: بإيمانهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿أَنَّهَا﴾: حرف مشبه بالفعل، وها: ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَاءَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿الْآيَاتُ﴾ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها جواب: ﴿إِذَا﴾، ويقرأ الفعل بالياء، والتاء على الخطاب، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل رفع خبر: (أنَّ)، والجملة الاسمية (إنها... إلخ) مفيدة للتعليل، وهذا على قراءة (إنها) بكسر الهمزة. هذا؛ وأما على قراءتها بفتح الهمزة، ففيها اعتبارات كثيرة.

أظهرها: أنها بمعنى «لعلَّ» حكى الخليل: (إِئْتِ السوقَ أَنَّكَ تَشْتَرِي لنا منه شيئاً) أي: لعلك، فهذا من كلام العرب، كما حكاه الخليل شاهداً على كون (أنَّ) بمعنى (لعل) ويدل على ذلك أنها في مصحف أُبَي، وقراءته: (وما أدراكم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون) ونقل عنه: (وما يشعركم لعلها إذا جاءت) ورجحوا ذلك بأن «لعل» قد كثر ورودها في مثل هذا التركيب، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ و﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ﴾.

الثاني أن تكون (لا) مزيدة، وهذا رأي الفراء، وشيخه، قال: ومثله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي: أن تسجد، فيكون التقدير: وما يشعركم: أنها إذا جاءت يؤمنون، والمعنى على هذا: أنها لو جاءت لم يؤمنوا.

الثالث: أن (ما) حرف نفي، يعني: أنه نفى شعورهم بذلك، وعلى هذا فليطلب لـ: ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ فاعل، فقيل: هو ضمير الله تعالى، أضمر للدلالة عليه. انتهى. وهذا كلام مستأنف من جهته تعالى لبيان الحكمة الداعية إلى ما أشعر به الجواب السابق، من عدم مجيء الآيات، خوطب به المسلمون فقط، أو مع النبي انتهى جمل نقلاً عن السمين، وعن أبي السعود.

أقول: وعلى قراءة فتح الهمزة تؤول مع مدخولها بمصدر، وهذا المصدر في محل جر بحرف جر محذوف. قال ابن هشام: وقال قوم: (أنَّ) مؤكدة، والكلام فيمن حكم بكفرهم، ويئس من إيمانهم، والآية عذر للمؤمنين؛ أي: أنكم معذورون؛ لأنكم لا تعلمون ما سبق به القضاء من أنهم لا يؤمنون حينئذ.

وقيل: التقدير: لأنهم، واللام متعلقة بمحذوف، أي: لأنهم لا يؤمنون امتنعنا من الإتيان بها، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾. واختاره الفارسي. واعلم أن مفعول: ﴿يُشْعِرُكُمْ﴾ الثاني على هذا القول، وعلى القول بأنها بمعنى: «لعل» محذوف، أي: إيمانهم. وعلى بقية الأقوال (أنَّ) وصلتها. انتهى مغنى بتصرف. وقد أطلت عليك الكلام حبّاً في الإفادة. تأمل، وربك أعلم.

﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يعني: ونحول بينهم وبين الإيمان. إذ التقليب تحويل الشيء، وتحريكه عن وجهه إلى وجه آخر؛ لأن الله تعالى إذا صرف القلوب، والأبصار عن الإيمان بقيت على الكفر. وانظر الآية رقم [١٤٤/ ٢]. هذا؛ والأفئدة هي القلوب. ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾: والمعنى: يصرفون عن التوحيد، والإيمان، كما صرفوا عن التصديق بالآيات التي رأوها أولاً مثل انشقاق القمر ونحوه. إذاً المراد بالآيات: المعجزات التي اقترحوها على الرسول ﷺ. ﴿وَنَذَرُهُمْ﴾: نتركهم. وانظر الآية رقم [٧٠/٧]. ﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾: الطغيان: تجاوز الحد، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾. ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يتحيرون، ويترددون، والعمه: التحير، والتردد، وهو قريب من العمى، لكن العمى يطلق على ذهاب نور العين، وعلى الخطأ في الرأي، والعمه لا يطلق إلا على الثاني. وانظر (نا) في الآية رقم [٣٢/ ٥] والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: (نقلب): مضارع، والفاعل تقديره: «نحن»، ويقرأ بياء المضارعة فيكون تقدير الفاعل هو يعود إلى (الله)، ويقرأ بتاء المضارع المضمومة على أنه مبني للمجهول، ورفع

﴿أَفْئِدَتُهُمْ﴾ على أنه نائب فاعله، وعلى الأولين هو مفعول به. ﴿وَأَبْصَٰرَهُمْ﴾: معطوف على ما قبله على الوجهين المعتبرين فيه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يُؤْمِنُوا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون.. إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَوَّلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و﴿مَرَّةٍ﴾: مضاف إليه، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: نقلب أفئدتهم، وأبصارهم تقليباً كائناً مثل صرفهم عن الإيمان بما تقدم من المعجزات. والجملة الفعلية: ﴿وَنُقَلِّبُ...﴾ إلخ معطوفة على قوله: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في الآية السابقة، أو هي مستأنفة، والأول أقوى. (نذرهم): مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «نحن»، وبالياء تقديره هو يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، والهاء مفعول به أول. ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب مفعول به ثان؛ لأن (نذر) بمعنى نترك، وهو من أفعال التحويل، والتصيير. هذا؛ ويجوز أن يكون: ﴿فِى طُغْيَٰنِهِمْ﴾ متعلقين بمحذوف مفعول به ثان، وجملة: ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب حال من الضمير الواقع مفعولاً به. وأرى: أنها في محل نصب من تعدد المفعول الثاني. وانظر مثل هذا في الآية رقم [١٥/ ٢] والجملة الفعلية: ﴿وَنَذَرُهُمْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾﴾ الجزء ٨

الشرح: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: الضمير المجرور يعود إلى كفار قريش، ومن على شاكلتهم من كفار العرب، وانظر (نا) في الآية رقم [٦/ ٧] و﴿نَزَّلْنَا﴾ في الآية رقم [٤٩/ ٥]. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: انظر الآية رقم [٣٠/ ٢]. ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: بأن يقول لهم الأموات، بعد إحيائهم: آمنوا بالقرآن وبمحمد ﷺ لما آمنوا، وانظر الكلام في الآية رقم [٧٣/ ٢] أو [١٤٣/ ٧]. فإنه جيد. والموتى جمع ميت. وانظر الآية رقم [٩٥]. ﴿وَحَشَرْنَا﴾: جمعنا، وبعثنا لهم. ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿قُبُلًا﴾: بضم القاف، والباء جمع: قبيل، وهو الفوج والجماعة من الناس. هذا؛ ويقرأ بكسر القاف، وفتح الباء، فهو بمعنى المعاينة، والمشاهدة. هذا؛ والآية تشير إلى الأمور التي طلبها المشركون من النبي المعظم ﷺ، وذكرها الله في قوله حكاية عنهم: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، و﴿فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ﴾، و﴿أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا﴾ فيبين الله في هذه الآية: أنهم لو أعطوا ما سألوا؛ لا يؤمنون إلا بمشيئته، وإرادته. هذا؛ وانظر الإيمان في الآية رقم [٩٣/ ٥] وانظر: ﴿يَشَآءُ﴾ في الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ أنهم لم أعطوا كل ما طلبوه من الآيات؛

لم يؤمنوا؛ لأن الإيمان ليس بمشيئتهم، وإرادتهم، وإنما هو بمشيئة الله، وأيضاً الكفر بمشيئته، فمن شاء الله له الإيمان آمن، ومن شاء له الكفر كفر. هذا؛ وانظر الجهل، والجاهل في الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّنَا﴾: (أنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿نَزَّلْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿نَزَّلْنَآ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف هو شرط (لو) عند المبرد، التقدير: لو ثبت إنزالنا الملائكة. وقال سيبويه: هو في محل رفع بالابتداء والخبر محذوف، التقدير: ولو إنزالنا ثابت، أو حاصل. وقول المبرد هو المرجح. وانظر بقية الكلام في الآية رقم [٥٨]. والجملة الفعلية: ﴿وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، وأيضاً جملة: ﴿وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ معطوفة عليها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿قُبُلًا﴾: حال من: ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾. وقيل: هو ظرف. والأول أقوى. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه. ﴿لِيُؤْمِنُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون. . .إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانُوا۟﴾ التقدير: ما كانوا مريدين للإيمان، والجملة الفعلية: ﴿مَّا كَانُوا۟...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِلَّآ﴾: حرف استثناء، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهل الاستثناء متصل، أو منقطع؟ خلاف. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسمها، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَجْهَلُونَ﴾ في محل رفع خبر (لكنَّ)، والجملة الاسمية هذه معطوفة على جملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ...﴾ إلخ: المعنى: كما جعلنا لك أعداء من قومك، أو من غيرهم؛ جعلنا لكل نبي بعث قبلك إلى قومه أعداء من شياطين الإنس، والجن. ﴿نَبِيٍّ﴾: انظر الآية رقم [٨١/ ٥]. ﴿عَدُوًّا﴾: العدو: ضد الصديق، وهو على وزن فعول بمعنى فاعل، مثل: صبور، وشكور، وما كان على هذا الوزن، يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث إلا لفظاً واحداً جاء نادراً، قالوا: «هذه عدوةُ الله». قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ وقال حكاية عن قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ والجمع: أعداءٌ، وأعادٍ، وعُداتٌ، وعِدًى. وقيل: أعادٍ جمع: أعداء، فيكون جمع الجمع. وفي القاموس المحيط،

والعِـدا بالضم، والكسر: اسم الجمع. ﴿شَيَٰطِينَ﴾: جمع: شيطان، انظر الاستعاذة. ﴿ٱلْإِنسِ﴾: البشر، الواحد إنسي بكسر الهمزة فيهما، وجمع الإنسي أناس، وأناسي، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ ويقال أيضاً: أناسية، مثل: صيارفة، وصياقلة. هذا؛ وسمي بنو آدم إنساً لظهورهم، ولأنهم يؤنسون، أي يبصرون، كما سمي الجِنُّ جِنّاً لاجتنانهم، كما رأيت في الآية رقم [٧٦]. وسمي بنو آدم بشراً لبدو بشرتهم، كما رأيت في الآية رقم [٩١]. هذا؛ وتطلق كلمة (الإنسان) على الذكر، والأنثى من بني آدم، ومثلها كلمة: (شخص) قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾. ومعلوم: أن الله تعالى لم يقصد الذكور خاصة، والقرينة الآيات الكثيرة الدالة على أن المراد: الذكر، والأنثى، واللام في: «الإنسان» إنما هي لام الجنس التي تفيد الاستغراق، ولذا صح الاستثناء من الإنسان في السورة الكريمة. هذا؛ وإنسان العين هو المثال الذي يرى فيها، وهو النقطة السوداء التي تبدو لامعة وسط السواد. ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس، أو بعض الجن إلى بعض، وبعض الإنس إلى بعض. ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ أي: الأباطيل المموهة، من: زخرفه: إذا زينه للناظرين، وانظر «القول» في الآية رقم [٧/٥]. ﴿شَآءَ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿رَبُّكَ﴾: انظر الفاتحة رقم [١] أو [٣/ ٧]. ﴿فَذَرْهُمْ﴾: اتركهم، وانظر الآية رقم [٧/١٨٦]. ﴿يَفْتَرُونَ﴾: يختلقون من الكفر، وغيره مما زين لهم. وهذا قبل الأمر بالقتال.

تنبيه: الآية الكريمة صريحة في أنه يوجد شياطين من بني آدم في ثياب البشر، وقد ذكرت لك في الاستعاذة: أن كلمة الشيطان تطلق على كل نفس عاتية خبيثة، خارجة عن الصراط المستقيم، من الإنس، والجن، والحيوان، وهذا هو قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في رواية عطاء عنه، وهو قول مجاهد، وقتادة، قالوا: وشياطين الإنس أشد تمرداً من شياطين الجن؛ لأن شيطان الجن إذا عجز عن إغواء المؤمن الصالح، وأعياه أمره؛ استعان على إغوائه بشيطان الإنس؛ ليفتنه. ويدل على صحة هذا القول ما رواه أبو ذر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**هل تعوَّذْتَ بالله مِنْ شيطانِ الجنِّ، والإنسِ؟**». قلْتُ: يا رسولَ الله! وهلْ للإنْسِ شيطانٌ؟ قال: «**نَعمْ شَرٌّ مِنْ شياطينِ الجنِّ**». ذكره البغوي بغير سند، وأسنده الطبري.

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: إن شيطان الإنس أشد عليَّ من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجرني إلى المعاصي. انتهى خازن بتصرف بسيط.

أقول: وكما يوجد شياطين من الإنس في ثياب البشر يوجد كلاب، وحيات، وعقارب، وحشرات على اختلاف أنواعها من الإنس في ثياب البشر، والذي يعامل الناس في هذه الأيام، ويخالطهم؛ فإنه يفضل الكلاب، وما ذكرته على كثير منهم. ولولا الإطالة عليك؛ لذكرت لك

الكثير من الأشعار والأقوال المأثورة في هذا الصدد. ولا تنس أخيراً: أن الآية صريحة في أن ما يفعله الكافر، والعاصي، والفاسد، والمفسد إنما هو بمشيئة الله، فهنيئاً لمن لم يشأ الله له الضلالة، والمعاصي، والفساد، وويل، ثم ويل، ثم ويل، لمن شاء الله له شيئاً من ذلك.

اللهم تولني بعنايتك، واحفظني من شر شياطين الإنس، والجن، ولا تشأ لي ما يبعدني عن رحاب جودك، وكرمك، وإحسانك، واجعل توسلي هذا شاملاً لعقبي، ولإخواني، ولجميع المسلمين، واغفر لي ما قدمت من سيئات في حياتي، واغفر لوالدي، ولجميع المؤمنين والمؤمنات؛ فإنك خير مسؤول، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله، وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف عامله ما بعده، التقدير: جعلنا لكل نبي... إلخ. جعلاً كائناً مثل الجعل الذي جعلناه لك من عداوة قومك لك، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٥٥]. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل وفاعل. وانظر إعراب: ﴿جَعَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/٥]. ﴿لِكُلِّ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول ثان تقدم على الأول، وهو ﴿عَدُوًّا﴾. ﴿شَيَاطِينَ﴾: بدل من: ﴿عَدُوًّا﴾، وبعضهم أعرب ﴿عَدُوًّا﴾ مفعولاً ثانياً مقدماً، و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ حالاً منه قدم عليه على القاعدة: «نعت النكرة، إذا تقدم عليها يعرب حالاً». و﴿شَيَاطِينَ﴾: مفعولاً أول مؤخراً، وأعرب الزمخشري، وأبو البقاء، والحوفي: ﴿شَيَاطِينَ﴾ مفعولاً أول، والثاني ﴿عَدُوًّا﴾، و﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ حالاً من: ﴿عَدُوًّا﴾ لأنه صفته في الأصل انتهى جمل. و﴿شَيَاطِينَ﴾: مضاف، و﴿الْإِنسِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَالْجِنِّ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿يُوحِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿بَعْضُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ بَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿زُخْرُفَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿الْقَوْلِ﴾: مضاف إليه. ﴿غُرُورًا﴾: مفعول لأجله، أو هو حال، بمعنى: غارين، والجملة الفعلية: ﴿يُوحِي...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل نصب حال من (الشياطين)، وجوز اعتبارها صفة: ﴿عَدُوًّا﴾. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١٠٧]. و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَذَرْهُمْ﴾: الفاء: هي الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر. (ذرهم): أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به. ﴿وَمَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب معطوفة على الضمير المنصوب، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً تفترونه. وعلى اعتبار ﴿وَمَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب، التقدير: فذرهم، وافتراءهم. هذا؛ وجوز اعتبار الواو للمعية، فتكون: ﴿وَمَا﴾ على الاعتبارين الأولين في محل نصب مفعول معه، وعلى الاعتبار الثالث يكون المصدر المسبوك منها، ومن الفعل في

محل نصب مفعول معه، والجملة الفعلية: ﴿فَذَرْهُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب للشرط المقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً وحاصلاً؛ فذرهم... إلخ.

﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ﴾: تميل، ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وأصغى إليه: مال بسمعه نحوه، وأصغى الإناء: أماله، وبابه، نصر، ورمى، وصدِيَ، والضمير يعود إلى ما عاد إليه الضمير في: ﴿فَعَلُوهُ﴾ وهو زخرفة القول، وما نتج عنه من الاغترار، والخداع. ﴿بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ انظر الآية رقم [٥/٣٣]. ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: وليكتسبوا من الآثام، والسيئات. ﴿مُّقْتَرِفُونَ﴾: مكتسبون من الأعمال الخبيثة.

الإعراب: (لتصغى): مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَفْـِٔدَةُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه مبني على الفتح في محل جر، والجملة الفعلية: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على قوله: ﴿غُرُورًا﴾ لأن اللام مفيدة لمعناه، ويكون ما بينهما كلاماً معترضاً، ولكن لما كان المفعول الأول مستكملاً لشروط النصب؛ نصب، وهذا فات فيه شرط النصب، وهو صريح المصدرية، واتحاد الفاعل، فإن فاعل الوحي ﴿بَعْضُهُمْ﴾، وفاعل الإصغاء (الأفئدة) فلذا وصل الفعل بحرف العلة. انتهى جمل نقلاً عن الكرخي. وقال ابن الأنباري: اللام متعلقة بفعل مضمر معناه: وفعلنا بهم ذلك؛ لكي تصغى إلى الباطل أفئدة... إلخ. وقال غيره: اللام متعلقة بـ ﴿يُوحِى﴾. وقيل: اللام لام القسم، وكسرت لما لم يؤكد الفعل بالنون، وهذا القول عزاه ابن هشام في مغنيه لأبي الحسن الأخفش، وقال: وافقه أبو علي الفارسي على ذلك، وانظر الكلام على الشاهد (٣٧٩) من كتابنا: «فتح القريب المجيب» ففيه الكفاية. والمعتمد الأول من هذه الأقوال، وقول ابن الأنباري لا بأس به. وانظر الآية [٩/٦٢]. ﴿وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعل لهما، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور معطوفان على ما قبلهما، وتقدير الكلام: للإصغاء، وللإرضاء، وللاقتراف. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مُّقْتَرِفُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون

عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو: شيئاً هم مقترفونه، أو: لَهُ.

﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَبْتَغِى﴾: أطلب. ﴿حَكَمًا﴾: حاكماً يحكم بيني، وبينكم، ويفصل المحق منا من المبطل. هذا؛ وحكم أبلغ من حاكم، فلذا لا يوصف به غير العادل؛ لأن الحاكم من شأنه أن يحكم، والحكم أهل أن يتحاكم إليه. ﴿أَنزَلَ﴾: انظر الآية رقم [٤٩/٥]. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: المراد به القرآن الكريم، وانظر الآية رقم [٢/٧]. ﴿مُفَصَّلًا﴾: مبيناً فيه الحق والباطل، بحيث ينفي التخليط، والالتباس، وفيه تنبيه على أن القرآن بإعجازه، وتقريره مغن عن سائر الكتب. ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ﴾: أعطيناهم. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: المراد به التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه الصلاة والسلام. ﴿أَنَّهُۥ﴾ أي: القرآن. ﴿رَّبِّكَ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة) ورقم [٣/٧]. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: انظر الآية رقم [٢٧/ ٥] والمراد بالذين يعلمون أن القرآن منزل من عند الله بالحق: عبد الله بن سلام، وأصحابه. وقيل: بل المراد جميع اليهود، وإنما وصف جميعهم بالعلم؛ لأن أكثرهم يعلمون، ومن لم يعلم فهو متمكن منه بأدنى تأمل. انتهى بيضاوي بتصرف. ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: الشاكين في أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون: أنه منزل من ربك بالحق. هذا؛ وقد قيل: إن هذا الخطاب غير ملائم بحسب الظاهر؛ لأن النهي المذكور محال في حقه ﷺ.

وحاصل الجواب: أن متعلق الامتراء هو علم أهل الكتاب بحقية القرآن. وهو أحد الأجوبة في الكشاف. والثاني: أنه من باب التهييج، والتحريض على الأمر. والثالث: أن الخطاب له ﷺ، لكن المقصود الغير. انتهى جمل بتصرف.

أقول: أو أنه على سبيل الفرض، والتقدير؛ لأنه من المحال أن يشك النبي ﷺ في شيء، أو يبني شيئاً من أموره على الشك. وانظر الآية رقم [١٤٧/٢]. هذا؛ وقد كان المشركون يقولون للنبي ﷺ: اجعل بيننا وبينك حكماً. فأمره الله أن يجيبهم بما في الآية الكريمة من جواب.

الإعراب: ﴿أَفَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، وتوبيخ. الفاء: حرف عطف. (غير): مفعول به مقدم، و(غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَبْتَغِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿حَكَمًا﴾: حال، أو تمييز لـ (غير). ذكره الحوفي، وأبو البقاء، وابن عطية. هذا؛ وجوز اعتبار (غير) حالاً من: ﴿حَكَمًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وانظر الآية رقم [١٦٤] الآتية. فيكون: ﴿حَكَمًا﴾ مفعولاً به، والجملة الفعلية: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى﴾ معطوفة على مقدر يقتضيه الكلام،

والكلام كله مقول لقول محذوف، التقدير: قل لهم يا محمد: أأميل إلى زخارف الشياطين، فأبتغي حكماً؟! انتهى. أبو السعود بتصرف، والناقل الجمل. ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الفعلية: ﴿أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلة الموصول، والعائد: رجوع الفاعل إلى الموصول، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿مُفَصَّلًا﴾: حال من: ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المنصوب. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل وفاعل. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿مُنَزَّلٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّكَ﴾: متعلقان بـ ﴿مُنَزَّلٌ﴾. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في: ﴿مُنَزَّلٌ﴾ وأن، واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ والجملة الفعلية هذه في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها غير داخلة في مقول المقدر. ﴿فَلَا﴾: الفاء: هي الفصيحة، (لا): ناهية جازمة. ﴿تَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، وهو في محل جزم بـ (لا) الناهية، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر الفعل الناقص، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط محذوف، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً فلا تكونن... إلخ، وانظر الآية رقم [٣٥]. والشرط المقدر ومدخوله كلام مستأنف فيما يظهر، لا محل له.

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ...﴾ إلخ: يقرأ بالإفراد، والجمع، فمن قرأ بالإفراد؛ قال: الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة. إذا كانت مضبوطة بضابط واحد، ومعنى تمامها: بلوغها الغاية في الأخبار، والأحكام، والمواعيد. ﴿صِدْقًا﴾: في الأخبار، والمواعيد. ﴿وَعَدْلًا﴾: في الأقضية، والأحكام، والشهادة. ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾: لا أحد يبدل شيئاً منها بما هو أصدق، وأعدل، أو لا أحد يقدر أن يحرفها، كما فعل بالتوراة، وغيرها، والمراد بكلمات الله: قرآنه الذي أنزله، وتولى حفظه ورعايته، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾. ﴿ٱلسَّمِيعُ﴾: لما يقولون. ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾: بما يضمرون من الكيد، والخداع، فلا يهملهم. هذا؛ وانظر: ﴿لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أيضاً في الآية رقم [٣٤].

تنبيه: ﴿كَلِمَتُ﴾ فيها ثلاث لغات: الأولى: كَلِمة على وزن نَبِقة، وهي الفصحى، ولغةُ أهل الحجاز، وبها نطق القرآن الكريم في آيات كثيرة، وجمعها: كَلِم، كنَبِق. والثانية: كِلْمة على وزن سِدْرة، والثالثة كَلْمة على وزن: تمرة، وهما لغتا تميمٍ، وجمع الأولى: كِلْم، كسِدر، والثانية:

كَلْم، كتمر، وكذلك كل ما كان على وزن فعِل، نحو: كَبِد، وكَتِف، فإنه يجوز فيه اللغات الثلاث، فإن كان الوسط حرف حلق، جاز فيه لغة رابعة وهي إتباع الأول للثاني في الكسر، نحو: فِخِذ، وشِهِد. وهي في الأصل قول مفرد، مثل محمد، وقام، وقعد، وفي، ولن، وقد تطلق على الجمل المفيدة، كما في قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ إشارة إلى: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَـٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون] وقال النبي ﷺ: «**أصدق كلمةٍ قالها شاعرٌ، كلمة لبيد:**

ألا كــلُّ شــيءٍ مــا خــلَا اللهَ بــاطــلُ وكُــلُّ نــعــيــمٍ ـ لا مَــحَــالَــةَ ـ زائــلُ»

المراد بـ: «كلمة» الشطر الأول بكامله. وتقول: قال فلان كلمة، والمراد بها: كلام كثير، وهو شائع، ومستعمل عربية في القديم، والحديث. وانظر شرح الكلام في الآية [١٤٣/ ٧].

الإعراب: (تمت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَتُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، و﴿كَلِمَتُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿صِدْقًا﴾: يحتمل المفعول لأجله، والحال، والتمييز. ﴿وَعَدْلًا﴾: معطوف على سابقه. ﴿لَّا﴾: نافية للجنس تعمل عمل: «إن». ﴿مُبَدِّلَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر: ﴿لَّا﴾، وهذا على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر ﴿لَّا﴾ فأما على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه، فالجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مُبَدِّلَ﴾ لأنه اسم فاعل، أو بمحذوف صفة له. والثاني أقوى، وعليهما فخبر: ﴿لَّا﴾ محذوف، تقديره: موجود، أو حاصل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، وجوز اعتبارها في محل نصب حال من: ﴿كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾، وقد أغنى الظاهر عن الضمير، أي: الذي يربط الحال بصاحبها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ مستأنفة مقوية لمعنى الكلام السابق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦﴾

الشرح: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أكثر الناس، يريد الكفار، والجهال، وأتباع الأهواء الفاسدة. ﴿يُضِلُّوكَ﴾: يبعدوك. وانظر: ﴿وَضَلَّ﴾ في الآية رقم [٢٤]. ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينه، ومنهاجه القويم، وصراطه المستقيم، وانظر: ﴿سَبِيلِ﴾ في الآية رقم [١٦/ ٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾، وهو ظنهم: أن آباءهم كانوا على الحق، وأن أصنامهم ستشفع لهم، وتنفعهم، أو هم يتبعون جهالتهم، وآراءهم الفاسدة. فإن الظن يطلق على ما يقابل العلم. ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾: يكذبون على الله فيما ينسبون إليه، كاتخاذ الولد، وجعل عبادة الأوثان وصلة إليه، وتحليل الميتة، وتحريم البحائر، وغير ذلك. أو يقدرون: أنهم

على شيء. وحقيقة الخرص ما يقال من ظن، وتخمين، ومنه: خرص التمر، والعنب على شجرهما، وهو معروف في مبحث الزكاة في الفقه الإسلامي.

روي: أن المشركين، قالوا للنبي: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت مَنْ قتلها؟: فقال: «الله قتلها». قالوا: أنت تزعم: أن ما قتلت أنت، وأصحابك حلال، وما قتلها الكلب، والصقر حلال، وما قتله الله حرام! فنزلت الآية الكريمة.

الإعراب: ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿تُطِعْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَكْثَرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿مَن﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، وجملة: ﴿تُطِعْ أَكْثَرَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُضِلُّوكَ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية. ﴿عَن سَبِيلِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، و(إن) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿يَتَّبِعُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. (إنْ): حرف نفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾ حرف حصر لا محل له، وجملة: ﴿يَخْرُصُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾: يقول الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: يا محمد إن ربك هو أعلم منك، ومن جميع خلقه أيَّ الناس يكفر، ويخرج عن جادة الحق والصواب. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: كذلك هو أعلم بمن كان على هدى، واستقامة، وسداد، لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه. فأخبر سبحانه: أنه أعلم بالفريقين: الضال، والمهتدي، وأنه يجازي كلّاً بما يستحق. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٧/٢]. ﴿يَضِلُّ﴾: انظر الآية رقم [٢٤]. ﴿سَبِيلِهِۦ﴾: المراد به دينه، وانظر الآية رقم [٥/١٦] هذا؛ وقد قرئ: ﴿يُضِلُّ﴾ أيضاً بضم الياء من الرباعي، وفتحها من الثلاثي.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة لا محل لها. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية

على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، دل عليه: ﴿أَعْلَمُ﴾ لابه؛ لأن أفعل لا ينصب الظاهر، ولا يرفعه إلا في مسألة الكحل، ونحوها. والجملة الفعلية: ﴿يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ صلة: ﴿مَن﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿مَن﴾ استفهامية مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية معلق الفعل المقدر عنها، أي: إنها في محل نصب مفعول به. وقيل: ﴿مَن﴾ موصولة، وهي في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بمن، بدليل ظهور الباء بعده في: ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾. وعليه فالجار والمجرور متعلقان بـ ﴿أَعْلَمُ﴾. (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَعْلَمُ﴾: خبره ﴿بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿أَعْلَمُ﴾، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: هذا مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام، ويحرمون الحلال، وهو ما ذكرته لك في شرح الآية رقم [١١٦]. والأمر للإباحة، لا للوجوب. ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾: والمعنى: كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه، لا مما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم، أو مات حتف أنفه، فإن الإيمان بآيات الله يقتضي استباحة ما أحله الله، واجتناب ما حرمه. ﴿ٱسْمُ﴾: انظر شرحه في البسملة. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر شرحه في الاستعاذة. ﴿كُنتُم﴾: انظر إعلال مثله في الآية رقم [٦/ ٥]. ﴿بِـَٔايَٰتِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: انظر (الإيمان) في الآية رقم [٩٤/ ٥].

الإعراب: ﴿فَكُلُوا۟﴾: الفاء: فيها وجهان: أحدهما: أنها الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر: التقدير: إن كنتم صحيحي الإيمان؛ فكلوا. والثاني: أنها عاطفة على محذوف، كأنه قيل: كونوا على الهدى، فكلوا، والظاهر: أنها عاطفة على ما تقدم من مضمون الجمل المتقدمة انتهى. جمل بتصرف كبير. وأرجح الاستئناف على جميع الأقوال المذكورة، وذلك بالإعراض عن الكلام السابق. (كلوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا۟﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصوفة والموصولة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية: ﴿ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط هو الضمير المجرور محلاً بـ (على)، والجملة الفعلية: (كلوا...) إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المذكورة في الفاء. ﴿إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٤٠] والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ بعدهما، والدلالة على جواب الشرط المحذوف في هذه الآية أوضح منها في تلك.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)﴾

الشرح: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ أي: أيُّ شيء يمنعكم من أكل الذي ذكر اسم الله عليه؟! فأرى: أن في الكلام توبيخاً. ﴿اسْمُ اللَّهِ﴾: انظر الإحالة في الآية السابقة. ﴿فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾: بين لكم المحرم عليكم، والمحلل لكم، وذلك فيما ذكره في الآية رقم [٥/٣]. ﴿إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾: ألجأتكم الضرورة إلى أكله، وقد ذكر في الآية المذكورة، والمحال عليها أيضاً برقم [٢/١٧٣]. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ﴾: يخرجون عن جادة الحق والصواب بتحليل الحرام، وتحريم الحلال. هذا؛ ويقرأ الفعل بفتح ياء المضارعة، وضمها، كما يقرأ ﴿فَصَّلَ﴾ و﴿حَرَّمَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل. ﴿بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، بما تهواه أنفسهم من تحليل الميتة وغيرها، وتحريم البحيرة، وغيرها، وذلك من غير علم علموه. هذا؛ و(أهوائهم) جمع: هوى. وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [٤/ ١٣٥] فإنه جيد جداً. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ أي: بالمتجاوزين الحق إلى الباطل، والحلال إلى الحرام، وبالعكس فيهما. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة)، وانظر شرح: ﴿بِغَيْرِ﴾ فيها أيضاً، وانظر شرح (الحرام) في الآية رقم [٥/٢].

تنبيه: في إحالة التفصيل فيما حرم الله على آية (المائدة) إشكال أورده فخر الدين الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ وحاصله: أن سورة (الأنعام) مكية، وسورة (المائدة) مدنية من آخر القرآن نزولاً بالمدينة، وقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ...﴾ إلخ يقتضي: أن ذلك التفصيل قد تقدم على هذا المحل، والمدني متأخر عن المكي، فيمتنع كونها متقدمة، ثم قال: بل الأولى أن يقال: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم...﴾ إلخ، أي في قوله بعد هذه الآية في هذه السورة: ﴿قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا...﴾ إلخ الآية الآتية رقم [١٤٥] وهذه وإن كانت مذكورة بعدها بقليل، إلا أن هذا القدر من التأخر، لا يمنع أن يكون هو المراد.

قال كاتبه: وقد ذكر المفسرون وجهاً آخر، وهو: أن الله علم: أن سورة (المائدة) متقدمة على سورة (الأنعام) في الترتيب، لا في النزول، فبهذا الاعتبار حسنت الحوالة على ما في (المائدة) بقوله: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ...﴾ إلخ باعتبار تقدمه في الترتيب، وإن كان متأخراً في النزول، والله أعلم بمراده. انتهى جمل نقلاً من الخازن بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبره. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف

ناصب. (لا): نافية. ﴿تَأْكُلُوا﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول به، التقدير: شيئاً كائناً مما... إلخ، و﴿مَا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ). ﴿ذُكِرَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿اسْمُ﴾: نائب فاعله، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿عَلَيْهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿ذُكِرَ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ (على)، و(أن) المصدرية، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: في عدم الأكل، والجار والمجرور متعلقان بـ (مَا) الاستفهامية لتضمنها معنى الفعل. وقيل: هو في محل نصب بنزع الخافض، والجملة الاسمية: ﴿وَمَا لَكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَقَدْ﴾: الواو: واو الحال. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿فَصَّلَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهِ﴾، ﴿لَكُم﴾: متعلقان به. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: حرمه عليكم، وفاعل: ﴿حَرَّمَ﴾ يعود إلى: ﴿اللَّهِ﴾ أيضاً. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان به، وهذا على قراءة الفعلين بالبناء للفاعل، وأما على قراءتهما بالبناء للمفعول، فنائب فاعل: (فُصِّل) هو ﴿مَّا﴾ ونائب فاعل: (حُرِّم) يعود على ﴿مَّا﴾، وهو العائد، أو الرابط. والجملة الفعلية: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، ورجوع الفاعل عليه في قراءة البناء للفاعل، والواو فقط على قراءة البناء للمفعول. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء، وهل هو متصل، أو منقطع؟ خلاف، والأرجح الأول؛ لأنه استثناء من: ﴿مَا﴾، أو من ضميرها العائد عليها من الجملة بعدها، فهو استثناء، من الجنس. ﴿اضْطُرِرْتُمْ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. ﴿إِلَيْهِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ (إلى). ﴿وَإِنَّ﴾: الواو: واو الحال. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿كَثِيرًا﴾: اسمها. ﴿لَّيُضِلُّونَ﴾: اللام: هي المزحلقة، والجملة الفعلية: (يضلون بأهوائهم) في محل رفع خبر: (إنَّ)، فعلى قراءة الفعل بضم الياء يكون المفعول محذوفاً، وعلى قراءته بفتح الياء يكون لازماً لا يحتاج إلى مفعول. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال، أي: ملتبسين بغير، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ولا يوجد رابط لاعتبارها حالاً. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١١٧] وهي مستأنفة لا محل لها، وفيه تهديد، ووعيد للمتجاوزين حدود الله.

﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ ١٢٠﴾

الشرح: ﴿وَذَرُواْ﴾: اتركوا، وانظر الآية رقم [٧/٧٠]. ﴿ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: المراد به جميع الذنوب سرها، وعلانيتها. وقيل: المراد بظاهر الإثم: أفعال الجوارح، وباطنه: أفعال القلوب، فيدخل في ذلك الأمراض القلبية كلها من حسد، وكبر، وعجب، وإرادة الشر للعباد. وقيل: المراد بظاهر الإثم: الزنى في الحوانيت، وباطنه: الزنى في السر. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣/ ٥] فإنه جيد. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾: انظر الآية رقم [١١١/ ٤] فإنه جيد. ﴿سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُواْ يَقْتَرِفُونَ﴾: سيعاقبون عقاباً شديداً بسبب اكتسابهم الذنوب، والمعاصي، والسيئات. هذا؛ و(يجزون) من الجزاء، والمجازاة، وهي المكافأة على عمل ما، تكون في الخير، وتكون في الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ ومن الثاني قوله تعالى: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ فقد أراد جزاء الشر، والجزاء من جنس العمل، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر. هذا؛ والفعل: «جزى» وما يتصرف منه ينصب مفعولين.

الإعراب: (ذروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُواْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿ظَٰهِرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْإِثْمِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة للموصوف، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَبَاطِنَهُۥٓ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمها، وجملة: ﴿يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: السين: حرف استقبال. (يجزون): مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بمحذوف مفعوله الثاني، أي: يجزون سوءاً كائناً بسبب عملهم، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٢٤] الآتية فإنه مثله بلا فارق، والجملة الفعلية: ﴿سَيُجْزَوْنَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ١٢١﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ﴾: ظاهر في تحريم متروك التسمية عمداً، أو نسياناً. وإليه ذهب داود الظاهري، وابن سيرين، والشعبي. ونقل عن عطاء: أنه قال: كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام، أو شراب، فهو حرام، واحتجوا على ذلك بظاهر هذه الآية، وهو

مؤول بما ستعرفه. وقال الثوري، وأبو حنيفة: إن ترك التسمية عامداً؛ لا تحل، وإن تركها ناسياً؛ حلت. وقال الشافعي: تحل الذبيحة، سواء ترك التسمية عامداً، أو ناسياً. ونقله البغوي عن ابن عباس، ومالك، ونقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين، فيما إذا ترك التسمية عامداً، وإن تركها ناسياً؛ حلت، فمن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر عليها اسم الله تعالى، قال: المراد من الآية الميتات بدون تذكية، وما ذبح على اسم الأصنام، بدليل: أن الله تعالى قال في سياق الآية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ وأجمع العلماء على أن آكل ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا يفسق. وفي الحديث حين سئل رسول الله ﷺ عن متروك التسمية، قال: «**كلوا فَإنَّ اللهَ في قلبِ كلِّ مُؤْمنٍ**» وفي الحديث أيضاً: «**ذبيحةُ المسلمِ حلالٌ، وإن لم يذكر اسم الله عليها**». ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الضمير يعود إلى (ما)، ويجوز أن يعود إلى الأكل، وهو مصدر الفعل المتقدم. ﴿لَفِسۡقٌ﴾: خروج عما يحل، وانظر ﴿ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ في الآية رقم [٢٥/٥]. ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: انظر الآية رقم [١١٢] وانظر الاستعاذة. ﴿لَيُوحُونَ﴾: يوسوسون، ويزخرفون. ﴿أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾: أتباعهم، وأنصارهم، وانظر الآية رقم [١٤]. ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾: وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت مَنْ قتلها؟ فقال: «الله قتلها»، قالوا: تزعم: أن ما قتلت أنت، وأصحابك حلال، وما قتله الصقر، والكلب حلال، وما قتله الله حرام! ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ﴾ أي: في استحلال ما حرم الله. ﴿إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾: فإن من ترك طاعة الله إلى طاعة غيره، واتبعه في دينه؛ فقد أشرك، ولأن من أحل شيئاً مما حرم الله، أو حرم شيئاً مما أحل الله؛ فهو مشرك؛ لأنه أثبت حاكماً غير الله، ومن كان كذلك؛ فهو مشرك. انتهى بيضاوي وجمل بتصرف.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَأۡكُلُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة مفعول به محذوف، التقدير: شيئاً كائناً مما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، وجملة: ﴿لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بـ (على)، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (ذروا...) إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾: الواو: واو الحال. (إنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَفِسۡقٌ﴾: اللام: هي المزحلقة. (فسق): خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٌ﴾ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بـ (على)، والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ وقد جوز اعتبارها مستأنفة لا محل لها، كما جوز اعتبارها معطوفة على ما قبلها مع تخالفهما في الفعلية، والاسمية. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: اسم (إنَّ). ﴿لَيُوحُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (يوحون): فعل، وفاعل. ﴿إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة

بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (يوحون)، والجملة الفعلية: ﴿لَيُوحُونَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿أَطَعْتُمُوهُمْ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم لتحسين اللفظ، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. اللام: هي المزحلقة. (مشركون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ في محل جزم جواب الشرط، ومن حقها أن تقترن بالفاء، وإنما حسن حذفها فيه لأن الشرط بلفظ الماضي. هذا؛ وقد قيل إن اللام الموطئة للقسم مقدرة، فالأصل لئن أطعتموهم... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ جواب القسم المحذوف المدلول عليه باللام، وحذف جواب الشرط لسد جواب القسم مسده على القاعدة التي رأيت شرحها في الآية رقم [١٠٩] والقسم، وجوابه، أو: والشرط وجوابه كلام مستأنف لا محل له.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾: في الكلام استعارة تمثيلية واضحة، مثل الله به من هداه للإيمان، وأنقذه من الضلال، وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الأشياء، فيميز بها بين الحق والباطل، والهدى والضلالة. ﴿مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ أي: كالذي بقي في ظلمات الكفر يتخبط فيها، ولا يستطيع الخروج منها. ﴿زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ...﴾ إلخ: أي كما زين للمؤمنين إيمانهم زين للكافرين كفرهم، وسوء أعمالهم. بعد هذا انظر ﴿أَوَلَوْ﴾ في الآية رقم [١٠٤] المائدة ف: ﴿أَوَمَن﴾ مثله. ﴿مَيْتًا﴾: انظر الآية رقم [٩٥] ويقرأ به هنا مخففاً، ومشدداً. ﴿ٱلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٥/٣٢]. ﴿مَّثَلُهُۥ﴾: انظر الآية رقم [٩٣]. ﴿ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ أي: ظلمة الكفر، وظلمة الجهالة، وظلمة عمى البصيرة، وانظر الآية رقم [١]. انظر الكفر في الآية رقم [٥/٣٩]. هذا؛ والمزين هو الله تعالى، ويدل عليه قوله: ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ وانظر (نا) في الآية رقم [٣٤] أو رقم [٦] من سورة (الأعراف).

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في حمزة، رضي الله عنه وأبي جهل. وقيل: نزلت في عمر، أو عمار بن ياسر ـ رضي الله عنهما ـ، وأبي جهل، وخصوص السبب لا يمنع العموم، فكل من أنعم الله عليه بالإيمان فقد أحياه به، وكل من خيمت ظلمات الكفر عليه، فهو ميت بلا ريب، أي: ميت القلب. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَوَمَن﴾: الهمزة: حرف استفهام. الواو: حرف عطف، أو استئناف. (مَنْ): اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه يعود إلى (مَنْ). ﴿مَيْتًا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. (أحييناه): فعل وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. (جعلنا): فعل وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نُورًا﴾: مفعول به. ﴿يَمْشِى﴾: مضارع مرفوع، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان به. ﴿فِى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من فاعل: ﴿يَمْشِى﴾، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿نُورًا﴾. ﴿كَمَن﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بالكاف. ﴿مَّثَلُهُۥ﴾: مبتدأ. ﴿فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية هذه صلة: (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿بِخَارِجٍ﴾: الباء: حرف جر زائد. (خارج): خبر ﴿لَيْسَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، واسم ﴿لَيْسَ﴾ ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود إلى (مَنْ). ﴿مِّنْهَا﴾: متعلقان بـ(خارج)، وجملة: ﴿لَيْسَ...﴾ إلخ في محل نصب حال مِنْ (مَنْ) أي: مثل الذي أو: شخص استقر في الظلمات حالة كونه مقيماً فيها. وقال أبو البقاء: صاحب الحال الضمير المستتر في الجار والمجرور، ولا يجوز أن يكون حالاً من الهاء في: ﴿مَّثَلُهُۥ﴾ للفصل بينه وبين الحال في الخبر، وليس بشيء؛ لأن الحال قد تأتي وبينها وبين صاحبها كلام كثير، كما يشهد به الواقع، والكلام: ﴿أَوَمَن كَانَ...﴾ إلخ مستأنف لا محل له فيما أرى. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: زين للكافرين أعمالهم تزييناً كائناً مثل تزيين إيمان المؤمن له أعماله. ﴿زُيِّنَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع نائب فاعل، وعلى الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع نائب فاعل، انظر التقدير آنفاً. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: (كانوا يعملونه).

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا...﴾ إلخ: أي كما جعلنا في مكة أكابر مجرميها؛ ليمكروا فيها، جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها؛ ليمكروا فيها. هذا؛ وقرئ: (أكبر مجرميها) وانظر الآية رقم [٤١] (المائدة) وتخصيص الأكابر بالذكر؛ لأنهم أقوى على استتباع الناس، والمكر بهم، بما لهم من سلطة، ومال، وجاه، وتلك سنة الله: أنه جعل أتباع الرسل ضعفاء أقوامهم، وجعل فساقهم أكابرهم، وإذا عرفنا: أن العلماء ورثة الأنبياء؛ تجلت لنا هذه الحقيقة في كل زمان، ومكان؛ حيث نجد أصدقاء العلماء، ومجالسيهم، وملازميهم هم الفقراء، والضعفاء، بينما نجد الأغنياء، وأصحاب الجاه الدنيوي بعيدين عنهم، إلا من رحم ربك. ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾ أي: إن وبال مكرهم يعود إليهم ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله. ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾: أن وبال ذلك المكر يعود عليهم، ويضرهم. هذا؛ و(القرية) في الأصل: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على الضيعة الصغيرة، وعلى المدينة الكبيرة، كيف لا، وقد جعل الله مكة المكرمة أم القرى، كما رأيت في الآية رقم [٩٢]. هذا؛ وفي القاموس المحيط: القرية بكسر القاف، وفتحها، والنسبة إليها قروي، وقريي. والمكر: الكيد، والخداع، وتدبير الضر، والشر للناس في الخفاء كالذي حصل من زعماء مكة مع الرسول ﷺ. ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٩/٧]. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: الشعور: هو إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته، والمعنى: وما يشعرون: أن وبال مكرهم راجع على أنفسهم، وأنهم سيحاسبون عليه يوم القيامة حساباً عسيراً.

الإعراب: (كذلك): متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، أي: جعلنا في مكة فساقاً، ومجرمين جعلاً مثل جَعْلِنا في كل قريةٍ أكابر مجرميها، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [٥٥]. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿جَعَلَ﴾ في الآية رقم [٢] (المائدة) ﴿فِي كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿كُلِّ﴾ مضاف، و﴿قَرْيَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَكَٰبِرَ﴾: مفعول به ثان مقدم. ﴿مُجْرِمِيهَا﴾: مفعول به أول مؤخر منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، وها: ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿فِي كُلِّ﴾ مفعولاً أولاً، و﴿أَكَٰبِرَ﴾ مفعولاً ثانياً، و﴿مُجْرِمِيهَا﴾ بدلاً من: ﴿أَكَٰبِرَ﴾، كما جوز أن يكون: ﴿أَكَٰبِرَ﴾: مضافاً، و﴿مُجْرِمِيهَا﴾: مضافاً إليه، إن فسر الجعل بالتمكين، وأفعل التفضيل إذا أضيف جاز فيه الإفراد، والمطابقة، ولذلك قرئ: (أكبر مجرميها). انتهى. بيضاوي. هذا؛ وقد

اعتبر الجمل ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ هو المفعول الثاني وجب تقديمه؛ ليصح عود الضمير عليه، و﴿أَكَابِرَ﴾ هو المفعول الأول، وما بعده مضاف إليه، ثم قال: وهذا أحسن الأعاريب، ثم نقل عن السمين كلاماً كثيراً لا طائل تحته. ﴿لِيَمْكُرُوا﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل. وقيل: هي لام العاقبة، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل جعلنا. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَمْكُرُونَ﴾: فعل وفاعل، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِأَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى، وأقوى من الاستئناف، وجملة: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ معطوفة عليها.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ أي: جاء كفار قريش علامة، وبينة تدل على صدق الرسول ﷺ. وانظر الآية رقم [٤] و[٥]. ﴿قَالُوا﴾ أي: كفار قريش، وانظر «القول» في الآية رقم [٣/٧]. ﴿لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ أي: قالوا: لن نصدق محمداً حتى ينزل علينا مثل ما نزل عليه من الوحي، والآيات القرآنية. ﴿نُؤْتَىٰ﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٤]. ﴿مِثْلَ﴾: انظر الآية رقم [٩٣]. ﴿رُسُلُ﴾: انظر الآية رقم [٨٣/ ٥] وأيضاً رقم [١٩/ ٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ أي: الله أعلم بالشخص الذي يستحق النبوة، والرسالة، فيخص بها من علم أنه يصلح لها، وذلك بما تحلى به ذلك الشخص من فضائل نفسانية، وأخلاقٍ حميدة؛ إذ الرسالة ليست بالمال، ولا بقوة الرجال، ولا بشرف الأنساب. هذا؛ ويقرأ: (رسالاته). ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾: كفروا، وعاندوا. ﴿صَغَارٌ﴾: ذلة، وحقارة. ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة، وقد أصابتهم في الدنيا قبل الآخرة، وذلك بغزوة بدر، وفتح، مكة وغيرهما، ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ﴾، أي في الآخرة، وانظر: ﴿وَعَذَابٌ﴾ في الآية رقم [٣٩/ ٥]. ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾: بسبب مكرهم، وخداعهم، وخروجهم عن جادة الحق والصواب، وانظر (المكر) في الآية السابقة. هذا؛ والعندية هنا مجاز عن حشرهم يوم القيامة، أو عن حكمه، وقضائه بذلك.

تنبيه: (يصيب)، ماضيه: أصاب، وهو يحتمل معاني كثيرة، تقول: أصاب السهم، يصيب: لم يخطئ هدفه. وأصاب الرجل، يصيب في قوله: أتى بالصواب. وأصاب فلاناً البلاء، يصيبه:

وقع عليه. وأصل يصيب: يُؤَصْيب، أو يُؤَصْوِب، فقل في إعلاله: حذفت الهمزة للتخفيف حملاً على المبدوء بهمزة المضارعة، مثل: أؤصيب، الذي حذفت همزته الثانية للتخلص من ثقل الهمزتين، فصار: (يصيب أو يصوب) ثم يقال: اجتمع معنا حرف صحيح ساكن، وحرف علة متحرك، والحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، فنقلت حركة الياء، أو الواو - وهي الكسرة - إلى الصاد بعد سلب سكونها، فصار: (يصيب، أو يُصِوْب) ثم قلبت الواو في الثاني ياء لانكسار ما قبلها. وهذا الإعلال يجري في كل فعل ثلاثي مزيدة الهمزة في أوله، مثل: أجاب، يجيب، وأكرم، يكرم، وأخرج، يخرج، كما حذفت الهمزة الثانية من: يؤمنون؛ لأن ماضيه: آمن، وأصله: أأمن، والمضارع يُؤَأمن، أُؤْمِن، فتحذف من الأول، وتسهل في الثاني، وقد يجيء على القياس، وهو الأصل المهجور، كما في قول أبي حيان الفقعسي: [الرجز]

فـــإنــــهُ أهـــلٌ لأنْ يُـــؤكْـــرَمـــا

ولا تنس: أن الهمزة المزيدة هذه تحذف من اسمي الفاعل، والمفعول المأخوذين من الفعل الثلاثي المزيدة فيه الهمزة، وذلك مثل: مُكرِم، ومُكرَم، والقياس: مُؤْكرِم، ومُؤكرَم، وقس على ذلك. تنبه لهذا؛ واحفظه، فإني لا أعيده مرة ثالثة في هذا الكتاب، والله يتولاني وإياك، ويأخذ بيدي ويدك إلى أقوم طريق.

تنبيه: يروى: أن الوليد بن المغيرة قال للنبي ﷺ: لو كانت النبوة حقّاً؛ لكنت أنا أولى بها منك؛ لأني أكبر منك سنّاً، وأكثر مالاً، وأعز نفراً. فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال مقاتل: نزلت في أبي جهل، وذلك: أنه قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى إذا صرنا كفرسي رهان، قالوا، منا نبي يوحى إليه. والله لا نؤمن به، ولا نتبعه أبداً إلا أن يأتينا وحي كما يأتيه. فأنزل الله هذه الآية. وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسداً منهم للنبي ﷺ. انتهى بتصرف.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف استئناف. إذا: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب، وجملة: ﴿جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح، وجملة: ﴿قَالُوا۟...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿لَن﴾: حرف نفي ونصب واستقبال. ﴿نُّؤْمِنَ﴾: مضارع منصوب بـ (لن)، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مضمرة. ﴿نُؤْتَىٰ﴾: مضارع مبني للمجهول منصوب بـ «أن» المضمرة، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل تقديره: «نحن»، وهو المفعول الأول. ﴿مِثْلَ﴾: مفعول به ثان، و﴿مِثْلَ﴾ مضاف، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها،

والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: أوتيه رسل الله. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بإضافة ﴿مِثْلَ﴾ إليه، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾ والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿لَن نُّؤْمِنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾: مبتدأ، وخبر، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿حَيْثُ﴾: مفعول به لفعل محذوف، تقديره: يعلم. ﴿يَجْعَلُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة، وعلى القراءة الثانية: (رسالاته) علامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: «يعلم حيث. . .» إلخ المقدرة هي بمنزلة البدل من: ﴿أَعْلَمُ﴾. ﴿سَيُصِيبُ﴾: السين: حرف استقبال. (يصيب): مضارع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿أَجْرَمُوا۟﴾ صلته لا محل لها. ﴿صَغَارٌ﴾: فاعل. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ: ﴿صَغَارٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَعَذَابٌ﴾: معطوف على ﴿صَغَارٌ﴾. ﴿شَدِيدٌۢ﴾: صفته. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل (يصيب) و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: «بما كانوا يمكرونه» وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في مجل جر بالباء، التقدير: «بسبب مكرهم». ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَمْكُرُونَ﴾ في محل نصب خبر ﴿كَانُوا۟﴾.

﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ﴾: يعرفه طريق الحق، ويوفقه للإيمان. ﴿يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾: يقال شرح الله صدره فانشرح، أي: وسعه لقبول الإيمان، والخير، فوسع، وذلك أن الإنسان إذا اعتقد في عمل من الأعمال: أن نفعه زائد، وخيره راجح، وربحه ظاهر، مال بطبعه إليه، وقويت رغبته فيه، فتسمى هذه الحال: سعة النفس، وانشراح الصدر، فيتسع حينئذ صدره للخبر، ويفسح فيه مجاله. وهذا كله كناية عن جعل النفس قابلة للحق، مهيأة لحلوله فيها، معرضة عما يمنعه، وينافيه. وإليه أشار النبي ﷺ حين سئل عنه، فقال: «**نور يقذفه الله في قلب المؤمن، فينشرحُ لَهُ، وينْفَسِحُ**». فقالوا: هَلْ لذلكَ من أَمارةٍ يُعرَفُ بِهَا؟ قالَ: «**نَعَم: الإنابةُ إلى دار الخلودِ، والتجافي عَنْ دَارِ الغرورِ، والاستعدادُ للْموتِ قبل نزولِهِ**». أسنده الطبري عن ابن مسعود.

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾: حتى لا يدخله الإيمان. وقال الكلبي: ليس للخير فيه منفذ. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إذا سمع ذكر الله؛ اشمأز قلبه، وإذا سمع ذكر الأصنام؛ ارتاح إلى ذلك.

أقول: ولعله أخذه من قوله تعالى ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾. هذا؛ وقرئ: ﴿ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف، والتشديد. وقرئ: ﴿حَرَجًا﴾ بفتح الراء، وكسرها. ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: شبه الله الكافر مبالغة في ضيق صدره بمن يزاول ما لا يقدر عليه، فإن صعود السماء مثل فيما يبعد عن الاستطاعة، ونبه به على أن الإيمان يمتنع منه، كما يمتنع منه الصعود. وقيل: معناه: كأنه يتصاعد إلى السماء نبوّاً عن الحق، وتباعداً في الهرب منه. وأصل ﴿يَصَّعَّدُ﴾ يتصعد، وقد قرئ به، كما قرئ بالتخفيف، وقرئ: (يصَّاعد) بمعنى متصاعد، وانظر شرح ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ في الآية [٩٩]. ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كما يضيق صدر الكافر، ويبعد قلبه عن قبول الحق يجعل العذاب أو الخذلان على الكافرين الذين لا يؤمنون بآيات الله. بعد هذا انظر (يريد) في الآية رقم [١٧/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة، وانظر: ﴿أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾ في الآية رقم [٨٨] من سورة (النساء) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٣٩] والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَهْدِيَهُۥ﴾ في محل نصب مفعول به. ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا﴾ إعرابه واضح إن شاء الله تعالى، وهو مثل سابقه. ﴿حَرَجًا﴾: قيل: هو صفة لما قبله، ولا أراه قوياً، وإنما أرى: أنه من تعدد المفعول الثاني؛ لأن أصل ما قبله خبر لـ: ﴿صَدْرَهُۥ﴾ والخبر يتعدد بلا ريب، فقولك (صدره ضيق حرج) كلام لا غضاضة فيه، فلما دخل الفعل الذي هو من أفعال التصيير والتحويل، فتعدد الخبر صار من تعدد المفعول الثاني. احفظه فإنه جيد. ﴿كَأَنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿يَصَّعَّدُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ). ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿كَأَنَّمَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: رجوع الفاعل إليه. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: يجعل الله الرجس... جعلاً كائناً مثل جعل صدر الكافر ضيقاً... إلخ. ﴿يَجْعَلُ﴾: مضارع. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿ٱلرِّجْسَ﴾: مفعول أول. ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف مفعول ثان، وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول، والكلام: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مع المقدر المحذوف كله مستأنف لا محل له.

﴿وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَهَٰذَا﴾: هذه الإشارة إلى البيان الذي جاء به القرآن في هذه السورة، وهو ما رأيته. ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾: طريق ربك الذي ارتضاه الله، وهو الإسلام، والدين الذي جاء به

محمد ﷺ، وتعاليمه السمحة. وقد رأيت في سورة (الفاتحة) أنه يقرأ بالصاد، والسين، والزاي، ويذكر، ويؤنث، والأول أكثر. هذا؛ ولو جعلت الإشارة إلى ما بعدها، كما في قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ و﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ فلست مفنداً. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ أي: لا عوج فيه، وانظر إعلاله في الآية رقم [١٦/ ٥]. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٩٧]. وفي الكلام التفات، انظر الآية رقم [٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٦] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿وَهَٰذَا﴾: الواو: حرف استئناف. (هذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿صِرَٰطُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: حال من: ﴿صِرَٰطُ رَبِّكَ﴾، والعامل في الحال اسم الإشارة لما فيه من معنى الفعل، والجملة الاسمية: ﴿وَهَٰذَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٩٧].

﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾ أي: السلامة، وهي الجنة، وسميت الجنة بذلك؛ لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلامة، كما قال تعالى في وصفها: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾ وقيل: المراد بالسلام التحية، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم﴾ وقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ انتهى. خازن باختصار. ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾: في المراد بهذه العندية وجوه:

أحدها: أنها معدة عنده، كما تكون الحقوق معدة مهيأة حاضرة، كقوله ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾.

وثانيها: أن العندية تشعر بأن هذا الأمر المدخر الموصوف بالقرب من الله بالشرف، والرتبة، لا بالمكان، والجهة لتنزهه تعالى عنهما.

ثالثها: هي كقوله تعالى في صفة الملائكة: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ وقوله في الحديث القدسي: «**أنا عند المنكسرة قلوبهم**». وقوله: «**أنا عند ظن عبدي بي**». وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ انتهى جمل نقلاً من كرخي. ﴿وَلِيُّهُم﴾: متولي أمورهم، وانظر الآية رقم [١٤]. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: بسبب أعمالهم الصالحة التي عملوها في دار الدنيا. هذا؛ وانظر: ﴿دَارُ﴾ في الآية رقم [٧٨] (الأعراف). ﴿رَبِّهِمْ﴾، انظر الآية رقم [٣] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَارُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّلَٰمِ﴾: مضاف إليه. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ثان. وقيل: متعلق بمحذوف حال من: ﴿دَارُ ٱلسَّلَٰمِ﴾، وكثير من النحاة لا يجيز مجيء الحال من المبتدأ، والأولى أن يكون

متعلقاً بمحذوف حال من الضمير المستقر في الخبر المحذوف، وهو متعلق: ﴿لَهُمْ﴾. و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ دَارُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجوز اعتبار الجملة الاسمية في محل جر صفة ثانية لـ: (قوم)، كما جوز اعتبارها في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ وَلِيُّهُم﴾ في محل نصب حال من: ﴿رَبِّهِمْ﴾ والرابط: الواو، والضمير. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بـ ﴿وَلِيُّهُم﴾ لأنه اسم فاعل، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٢٤] فإنه مثله بلا فارق. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَيَوْمَ﴾: المراد به يوم القيامة، وما فيه من الحساب، والعذاب، والأهوال. هذا؛ واليوم في الدنيا هو الوقت من طلوع الشمس إلى غروبها، وهذا في العرف، وأما اليوم الشرعي فهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، كما يطلق اليوم على الليل، والنهار معاً، كما رأيت في الآية رقم [٩٦] وقد يراد به الوقت مطلقاً، تقول: ذخرتك لهذا اليوم، أي لهذا الوقت، والجمع أيام، أصله: أَيْوام، فقلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء، وجمع الجمع: أياويم، وأيام العرب: وقائعها، وحروبها، وأيام الله: نعمه، ونقمه. ويقال: فلان ابن الأيام، أي: العارف بأحوالها، ويقال: أنا ابن اليوم، أي: أعتبر حالي فيما أنا فيه. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: يبعثهم جميعاً للحساب، والجزاء، والضمير مراد به جميع الخلق من الجن، والإنس، ولم يتقدم له ذكر، ولكنه فسر بما بعده، كما ترى، وقرئ بالنون. ﴿يَٰمَعْشَرَ﴾: جماعة، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: رهط، ونفر، وجمعه: معاشر، مثل: أراهط. ﴿ٱلْجِنِّ﴾: انظر الآية رقم [٧٦] ﴿قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ أي: قد استكثرتم من إغوائهم، وإضلالهم، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم، فحشروا معكم، كقولهم: استكثر الأمير من الجنود. انتهى بيضاوي. وانظر ﴿ٱلْإِنسِ﴾ في الآية رقم [١١٢] (قال): انظر «القول» في الآية رقم [٣/٧]. ﴿أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: الذين أطاعوا الجن فيما يأمرونهم به. ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ أي: انتفع الإنس بالجن، بأن دلوهم على الشهوات، وما يتوصل به إليها، وانتفع الجن بالإنس بأن أطاعوهم، وحصلوا مرادهم منهم. وقيل: استمتاع الإنس بهم: أنهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز، والمخاوف، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ واستمتاع الجن بالإنس اعترافهم: أنهم يقدرون على إجارتهم، واستغاثتهم. ﴿وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ﴾

أَجَّلْتَ لَنَا﴾: وهو يوم القيامة إذا بعثوا فيه للحساب، والجزاء، وهو اعتراف منهم بطاعة الشيطان، واتباع الهوى، وتكذيب البعث، وتحسر على حالهم. ﴿قَالَ﴾: القائل الملائكة بأمر الله تعالى. ﴿ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ﴾: منزلكم. هذا؛ والفرق بين مأوى، ومثوى: أن الثاني مكان الإقامة المنبئة عن المكث، وأما المأوى الذي يأوي إليه الإنسان ولو موقتاً. وانظر الآية رقم [٣/١٥١]. هذا؛ و﴿ٱلنَّارُ﴾ أصلها: النور، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نويرة، والجمع: أنْوُر، ونيران، ونيرة، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين. ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أي: إلا الأوقات التي ينقلون فيها من النار إلى الزمهرير. وقيل: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قبل الدخول، كأنه قيل: «النار مثواكم أبداً إلا ما أمهلكم». ﴿رَبَّكَ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٣/٧]. ﴿حَكِيمٌ﴾: في أفعاله. ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوال الثقلين، وأعمالهم. هذا؛ وانظر: ﴿شَآءَ﴾ في الآية رقم [٢٠/٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة، والآية رقم [٨/١] وانظر: ﴿رَبَّنَا﴾ في الآية رقم [٢٣] (الأعراف) تجد ما يسرك.

الإعراب: (يوم): مفعول به لفعل محذوف، تقديره: اذكر. ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾: مضارع، والفاعل تقديره هو يعود إلى (الله) وعلى قراءته بالنون فالفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الضمير المنصوب، وهي حال مؤكدة. (يا): أداة نداء تنوب مناب أدعو. (معشر): منادى منصوب، وهو مضاف، و﴿ٱلْجِنِّ﴾: مضاف إليه، والجملة الندائية اعتبرها البيضاوي، وأبو البقاء في محل نصب بـ: «اذكر» المقدر، والصواب: أنها في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: «ويقال لهم: يا معشر الجن». والجملة الفعلية معطوفة على الجملة الفعلية قبلها، فهي داخلة في منصوب «اذكر». ﴿قَدِ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱسْتَكْثَرْتُم﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿قَدِ...﴾ إلخ في محل نصب حال من المنادى، والعامل فيه: «يا» لما فيها من معنى الفعل على حد قول الشاعر: [البسيط]

يَـا أَيُّـهـا الـرَّبْـعُ مَـبْـكِـيّـاً بِـسـاحَـتِـهِ

﴿قَالَ﴾: ماض. ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿أَوْلِيَآؤُهُم﴾. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا﴾: فعل، وفاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بِبَعْضٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكلام: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها فهي داخلة في منصوب: «اذكر» المقدر، وساغ ذلك؛ لأن ﴿قَالَ﴾ حكاية حال ماضية، والصواب أنها مراد بها المستقبل، فهي بمعنى المضارع. وانظر هذا المبحث ـ أعني به: التعبير بالماضي عن المستقبل ـ في الآية رقم [١١٦/ ٥] فإنه جيد، وهو أولى من

الاستئناف. (بلغنا): فعل، وفاعل. ﴿أَجَلَنَا﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لما قبله، وجملة: ﴿أَجَّلْتَ لَنَا﴾ صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: أجلته لنا، وجملة: ﴿وَبَلَغْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى الله. ﴿ٱلنَّارُ﴾: مبتدأ. ﴿مَثْوَىٰكُمْ﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وهو أولى من اعتباره ظرفاً، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿خَٰلِدِينَ﴾: حال من كاف الخطاب منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وفاعله مستتر فيه. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بـ: ﴿خَٰلِدِينَ﴾، والجملة الاسمية: ﴿ٱلنَّارُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب على الاستثناء المنقطع؛ لأن الأوقات ليست من جنس ما تقدم. وقد تكلف أبو البقاء تأويلين لاعتبار الاستثناء متصلاً، ولا داعي لذلك. وقال مكي: وإن جعلت ﴿مَا﴾ لمن يعقل لم يكن منقطعاً، فكأنه يريد: أن المستثنى من الخلود أشخاص. ولم يقل به أحد. والجملة الفعلية بعد ﴿مَا﴾ صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: «إلا الأوقات شاءها الله». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿حَكِيمٌ﴾: خبر أول. ﴿عَلِيمٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو تعليلية لا محل لها على الوجهين. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾: نكل بعضهم إلى بعض، أو نجعل بعضهم يتولى بعضاً، فيغويهم. أو: أولياء بعض، وقرناءهم في العذاب كما كانوا في الدنيا. انتهى. بيضاوي. هذا؛ وخذ قول ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إذا أراد الله بقوم خيراً؛ ولى عليهم خيارهم، وإذا أراد بقوم شَرّاً؛ وَلَّى عليهم شرارهم، فعلى هذا القول: إن الرعية متى كانوا ظالمين؛ سلط الله عليهم ظالماً مثلهم، فمن أراد أن يخلص من ظلم ذلك الظالم؛ فليترك الظلم. وحديث «**كَيْفَمَا تَكُونوا يُوَلَّ عليْكُمْ**». مشهور. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ أي: يسلط الله عليهم من يظلمهم بسبب أعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها. هذا؛ وما قبله من الخازن. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٥/٣٢] و[٦/٧] وانظر الظلم في الآية رقم [١٤٤] الآتية.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف عامله ما بعده، التقدير: «نولي بعض الظالمين بعضاً تولية كائنةً مثل إنزال العقاب

بالإنس، والجن الذين استمتع بعضهم ببعض». وقد قدم، وأخر بعضهم في التقدير. وهذا أحسن كما رأيت الكثير منه فيما مضى. ﴿نُوَلِّي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿بَعْضَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم. ﴿بَعْضًۢا﴾: مفعول به ثان، فالأول هو المولَّى، والثاني هو المولَّى عليه. وقدر الجلال: «على بعض» فكأنه يعني: أنه منصوب بنزع الخافض، ولا مبرر له؛ لأن الفعل ينصب مفعولين صريحين، تقول: ولَّيْتُ محموداً عملاً. وهو واضح إن شاء الله تعالى. ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل: ﴿نُوَلِّي﴾ وانظر إعراب: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [١٢٤].

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨]. ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾: الرسل من الإنس خاصة، لكن لما جمعوا مع الجن في الخطاب صح ذلك، ونظيره قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ والمرجان يخرج من الملح دون العذب، وتعلق بظاهره قوم منهم الضحاك، ومقاتل، وقالوا: بعث إلى كل من الثقلين رسل من جنسهم. وقيل: الرسل من الجن رسل المرسل إليهم، وهو ما حصل حينما سمع بعض الجن القرآن من النبي ﷺ، فآمنوا، ثم ذهبوا إلى قومهم منذرين. اقرأ آيات سورة (الأحقاف): ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ...﴾ وسورة (الجن) بكاملها تفهم ذلك؛ إن كنت من أهل القرآن، والإيمان.

﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى﴾: يتلونها عليكم مع التوضيح، والتبيين، والقاص من يحكي القصة، ومن أحسن من الله قصصاً، ولكن أكثر الناس لا يعقلون. وانظر الآية رقم [٤]. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ أي: ويخوفونكم من يوم القيامة العظيم شأنه، الشديد هوله، الطويل زمانه، الذي تعرضون فيه على ربكم. ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ أي: نقر، ونعترف: أنه وصل إلينا ما ذكر من إرسال الرسل، وإنذارهم إيانا. ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: خدعتهم، وفتنتهم. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾: انظر الآية رقم [٢٩]. ﴿وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ...﴾ إلخ: أي: اعترفوا بكفرهم، وخروجهم عن طاعة ربهم. وهذه الشهادة منهم غير المتقدمة كما ترى، فلا تكرار في الكلام. بعد هذا انظر شرح: ﴿رُسُلٌ﴾ في الآية رقم [٨٣] (المائدة) وشرح (يوم) في الآية رقم [١٢٨] وشرح: ﴿أَنفُسِنَا﴾ في الآية رقم [٨/ ٧] وشرح (الكفر) في الآية رقم [٣٦] من سورة (المائدة).

تنبيه: قال الخازن: فإن قلت: كيف أقروا على أنفسهم بالكفر في هذه الآية، وجحدوا الشرك، والكفر في قوله تعالى ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾؟ قلت: يوم القيامة يوم طويل، والأحوال فيه مختلفة، فإذا رأوا ما حصل للمؤمنين من الخير، والفضل، والكرامة؛ أنكروا الشرك، لعل ذلك الإنكار ينفعهم، وقالوا: ﴿وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فحينئذ يختم على أفواههم، وتشهد عليه جوارحهم بالشرك، والكفر، فذلك قوله تعالى: ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ انتهى بحروفه. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٢] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿يَا مَعْشَرَ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب «أدعو». (معشر): منادى، وهو مضاف، و﴿الْجِنِّ﴾: مضاف إليه. ﴿وَالْإِنسِ﴾: معطوف على سابقه. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام مفيد للتوبيخ. (لم): حرف نفي وقلب وجزم، وبدخول الاستفهام أفاد التقرير أيضاً. ﴿يَأْتِكُمْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والكاف مفعول به. ﴿رُسُلٌ﴾: فاعله. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة له. ﴿يَقُصُّونَ﴾: مضارع، والواو فاعله. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان به. ﴿آيَاتِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَقُصُّونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رُسُلٌ﴾ أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. وقيل: في محل نصب حال محذوفة من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، والأول أقوى يؤيده قوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ وجملة: ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ﴾ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، و﴿لِقَاءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿يَوْمِكُمْ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة يومكم أي المشار إليه، والهاء حرف تنبيه لا محل له، وبعضهم يعتبر اسم الإشارة بدلاً، أو عطف بيان، وما ذكرته أولى. والجملة الفعلية: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف كالجملة الندائية قبلها. ﴿شَهِدْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٥/٢] ﴿عَلَىٰ أَنفُسِنَا﴾ متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿شَهِدْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مستأنفة وهي بمنزلة جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: فماذا قالوا عند ذلك التوبيخ؟ فقيل: ﴿قَالُوا شَهِدْنَا...﴾ إلخ. و﴿قَالُوا﴾: ماض لفظاً، ومعناه مستقبل، أي: يقولون، وانظر هذا البحث في الآية رقم [١١٠/٥] تجد ما يسرك. (غرتهم): ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿الْحَيَاةُ﴾: فاعله. ﴿الدُّنْيَا﴾: صفة الحياة مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ لا محل لها مثلها، واعتبارها في محل نصب حال من واو الجماعة سديد، والمعنى يؤيده، ولكنها تحتاج إلى تقدير: «قد» قبلها، والرابط: الواو،

والضمير. (شهدوا): فعل وفاعل، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/٥]. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنَّهُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بكونهم كافرين، أو هو منصوب بنزع الخافض، وبعضهم يعتبره مفعولاً صريحاً، ولا تنس: أن جملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، والجملة الفعلية: ﴿وَشَهِدُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمۡ يَكُن رَّبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ ١٣١﴾

الشرح: ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى ما تقدم ذكره من إرسال الرسل للإنس، والجن. ﴿رَّبُّكَ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] والآية رقم [٢/٧]. ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٢٣]. ﴿بِظُلۡمٖ﴾ أي: بسبب ظلمهم، وخروجهم عن أوامر ربهم. وانظر (الظلم) في الآية رقم [١٤٤]. ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ أي: لم ينبهوا برسل، ولم ينذروا بعقاب الله، وسخطه؛ إن هم أعرضوا.

هذا؛ و(أهل) اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل: معشر، ورهط، والأهل: العشيرة، وذو القربى، ويطلق على الزوجة، وعلى الأتباع أيضاً، وجمعه: أهلون، وأهَالِ، وآهَال، وأهَلات، وأهْلات وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾.

الإعراب: ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الأمر ذلك، واعتبره الجمل مبتدأ، خبره ما بعده، ويعتبره الفراء مفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: فعل الله ذلك، والأول أرجح، وأولى. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب، وجوز اعتبارها مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف. التقدير: أنه. ﴿لَّمۡ﴾: حرف جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ ﴿لَّمۡ﴾. ﴿رَّبُّكَ﴾: اسمه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مُهۡلِكَ﴾: خبر ﴿يَكُن﴾، وهو مضاف، و﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، وهذه الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة: ﴿لَّمۡ يَكُن...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿أَن﴾ على اعتبارها مخففة من الثقيلة، و﴿أَن﴾ على الوجهين فيها تؤول بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالمبتدأ المقدر؛ لأنه مصدر على الوجه الأول في الإعراب، ومتعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ على قول الجمل، ومتعلقان بالفعل المحذوف على رأي الفراء. ﴿بِظُلۡمٖ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في ﴿مُهۡلِكَ﴾. وقيل: متعلقان به نفسه، والجملة الاسمية: ﴿وَأَهۡلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ في محل نصب حال من ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ ١٣٢﴾

الشرح: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۚ﴾: المعنى: ولكل عامل بطاعة الله، أو بمعصيته درجات. يعني: منازل يبلغها بعمله إن كان خيراً؛ فخير، وإن كان شرّاً؛ فشر. وإنما سميت درجات لتفاضلها في الارتفاع، والانحطاط، كتفاضل الدرج. وهذا إنما يكون في الثواب، والعقاب على قدر أعمالهم في الدنيا، فمنهم من هو أعظم ثواباً، ومنهم من هو أشد عقاباً، وقيل غير ذلك انتهى خازن. وهذا الذي أرتضيه. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾: قيل: هذا مختص بأهل الكفر، والمعاصي، ففيه وعيد، وتهديد لهم، والذي ذكرته بالجملة الأولى أصح؛ لأن علمه تعالى شامل لكل المعلومات، فيدخل فيه المؤمن، والكافر، والطائع، والعاصي، وإنه تعالى عالم بأعمالهم على التفصيل التام، فيجزي كل عامل على قدر عمله، وما يليق به من ثواب، أو عقاب. انتهى. خازن بتصرف. ويقرأ ﴿يَعۡمَلُونَ﴾ بالياء، والتاء.

الإعراب: ﴿وَلِكُلٍّ﴾: (لكل) متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿دَرَجَٰتٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿مِّمَّا﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿دَرَجَٰتٌ﴾ و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ) والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء عملوه. وعلى الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ: (مِنْ)، التقدير: من عملهم، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿رَبُّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِغَٰفِلٍ﴾: الباء: حرف جر صلة. (غافل): خبر (ما) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَمَّا﴾: متعلقان بـ ﴿بِغَٰفِلٍ﴾. و(ما) تحتمل ما تحتمله سابقتها، وباقي الإعراب واضح إن شاء الله تعالى. والجملة الاسمية: ﴿وَمَا رَبُّكَ...﴾ إلخ تحتمل الاستئناف، والعطف على ما قبلها، ولا محل لها على هذين الوجهين، كما تحتمل أن تكون في محل نصب حال من واو الجماعة، في: ﴿عَمِلُواْۚ﴾ وعليه فالرابط: الواو، والضمير المحذوف، وهو مفعول: ﴿يَعۡمَلُونَ﴾. تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفۡ مِنۢ بَعۡدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوۡمٍ ءَاخَرِينَ ١٣٣﴾

الشرح: ﴿وَرَبُّكَ ٱلۡغَنِيُّ﴾ أي: عن خلقه، فلا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم، فلكل عامل عمله، وجميع الخلق فقراء إليه. ﴿ذُو ٱلرَّحۡمَةِۚ﴾: صاحب الرحمة الواسعة لجميع خلقه، فمن رحمته تأخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون، ويرجعون. ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ﴾ أي:

يهلككم، والخطاب لأهل مكة، ففيه وعيد، وتهديد لهم؛ لأن الآية مكية، كما قد عرفت، وقد بين الله مثله للمؤمنين في الآية رقم [٥/٥٤] وهي مدنية كما قد عرفت هناك. ويتجلى التهديد، والوعيد في الآية الأخيرة من سورة (محمد) عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾. ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾ أي: ينشئ، ويخلق من بعد إهلاككم خلقاً غيركم أمثل، وأطوع منكم. ﴿كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ أي: كما أوجدكم من نسل قوم لم يكونوا على مثل صفتكم، بل كانوا طائعين، وهم أهل سفينة نوح، وذريتهم من بعدهم من القرون إلى زمنكم. هذا؛ وانظر شرح: (ربك) في الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة) والآية رقم [٧/٢]. ﴿الرَّحْمَةِ﴾: انظر الآية [٧/١٥٥]. ﴿يَشَاءُ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٨]. ﴿ذُرِّيَّةِ﴾: هي نسل بني آدم، وهي تقع على الواحد، والجمع، قيل: هي مشتقة من الذرا، وهو بفتح الذال كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذراه، أي: في كنفه، وستره، ودفئه، وهو بضم الذال: أعلى الشيء. وقيل: هي مشتقة من الذرء، وهو الخلق، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ من آية أخرى. أبدلت همزة الذرء ياء، ثم شُدِّدت الياء، وتبعتها الراء في التشديد. ﴿قَوْمٍ﴾: انظر الآية رقم [٢٠] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿وَرَبُّكَ﴾: (ربك): مبتدأ. ﴿الْغَنِيُّ﴾: خبر أول. ﴿ذُو﴾: خبر ثان مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿الرَّحْمَةِ﴾: مضاف إليه، وقيل: ﴿الْغَنِيُّ ذُو﴾ صفتان للمبتدأ، والخبر الجملة الشرطية الآتية، والأول أقوى. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿يَشَأْ﴾: مضارع فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (ربك)، والمفعول محذوف كما قد عرفته، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: مضارع جواب الشرط، والفاعل يعود إلى (ربك)، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و﴿إِن﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو في محل رفع خبر المبتدأ، كما رأيت، والجملة الاسمية: ﴿وَرَبُّكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (يستخلف): مضارع معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، والفاعل يعود إلى (ربك) أيضاً. هذا؛ ويجوز في العربية رفع (يستخلف) ونصبه، وانظر ما ذكرته من قراءات في الآية رقم [٢٨٣] (البقرة) وما تبعها من أوجه الإعراب. أما في هذه الآية لم أعثر على قراءة بغير الجزم. ﴿مِنْ بَعْدِكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، ﴿مَّا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: يشاؤه. ﴿كَمَا﴾: الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَنشَأَكُم﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (ربك)، والكاف مفعول به. ﴿مِّن ذُرِّيَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال من كاف الخطاب، التقدير: «بدلاً من ذرية...» إلخ، و﴿ذُرِّيَّةِ﴾: مضاف، و﴿قَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ءَاخَرِينَ﴾: صفة ﴿قَوْمٍ﴾ مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر

سالم... إلخ. هذا؛ و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف يقع مفعولاً مطلقاً، أي: يستخلف... إلخ استخلافاً كائناً مثل إنشائكم... إلخ.

﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ١٣٤﴾

الشرح: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾: به من مجيء القيامة، والبعث بعد الموت، والحشر للحساب، والجزاء، وانظر الوعد في الآية رقم [٧/٤٤] ﴿لَآتٍ﴾ أي: لكائن لا محالة، فهو متحقق الوقوع، هذا ﴿لَآتٍ﴾ أصله: لآتي بكسرة على الياء علامة للجر، أو بضمة علامة للرفع، وبتنوين الصرف، لكن استثقلت الكسرة أو الضمة على الياء بعد كسرة، فسكنت الياء، فالتقى ساكنان: الياء، والتنوين، فحذفت الياء لعلة الالتقاء، وبقيت التاء مكسورة على ما كانت عليه قبل الإعلال، فقيل: «آتٍ» بالكسر، وإنما لم يقل بالرفع لأن الياء محذوفة لعلة الالتقاء، فهي كالثابتة، فتمنع الرفع للتاء. وهكذا قل في إعلال كل اسم منقوص مجرد من: «أل» والإضافة، سواء أكان ثلاثيّاً، أم رباعيّاً. ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين عذاب الله، والعجز معروف. هذا؛ وانظر: ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾ في الآية رقم [٢] من سورة (التوبة)، ورقم [٥٣] من سورة (يونس) ويكثر تكراره في القرآن الكريم، للدلالة على أن الكافرين، والفاسقين لا يعجزون الله تعالى، ولا يهربون من عذابه، وانتقامه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾. ﴿تُوعَدُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير أن الذي، أو شيئاً توعدونه. ﴿لَآتٍ﴾: اللام: هي المزحلقة. (آت): خبر إن مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمَآ﴾: الواو: واو الحال. ﴿مَا﴾: نافية حجازية تعمل عمل: «ليس». ﴿أَنتُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع اسم (ما). ﴿بِمُعْجِزِينَ﴾: الباء: حرف جر صلة. (معجزين): خبر (ما). مجرور لفظاً، منصوب محلّاً، والجملة الاسمية: ﴿وَمَآ أَنتُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١٣٥﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٧/٥]. والمخاطب بذلك النبي ﷺ. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٥/٢٠] أو رقم [٧/٥٨]. ﴿ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾: على غاية

تمكنكم، واستطاعتكم. أو على ناحيتكم، وجهتكم، وحالتكم التي أنتم عليها. فالكل محتمل هنا. وقرئ بالجمع: (مكاناتكم). ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾: على ما كنت عليه من المصابرة، والثبات على الإسلام، والمعنى: اثبتوا على كفركم، وعداوتكم لي، فإني ثابت على الإسلام، وعلى مصابرتكم، فهو أمر تهديد، ووعيد، دليله ما بعده. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: من تكون له العاقبة المحمودة، لنا، أو لكم. وقيل: معناه: فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم، أيُّنا كان على الحق في عمله، نحن، أم أنتم؟ ﴿عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ أي: المحمودة، والمراد بها: الجنة، وما فيها من النعيم المقيم. وانظر شرح الدار في الآية رقم [٧٨] (الأعراف) وقد قرئ الفعل: ﴿تَكُونُ﴾ بالتاء، والياء. ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾: لا يسعدون بالخلود في الجنة؛ لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب.

هذا؛ وقد وضع الله (الظالمين) موضع (الكافرين)؛ لأنه أعم وأكثر فائدة؛ إذ يعم الظالمين من المسلمين في كل زمان، ومكان، كما أنه يشمل جميع أنواع الظلم. وانظر (الظلم) في الآية رقم [١٤٤] الآتية. هذا؛ وفي الآية الكريمة قولان: أحدهما: أنها محكمة. وهذا على رأي من يعتبر مضمونها التهديد، والوعيد. والثاني: أنها منسوخة بآية السيف. وهذا على قول من يرى: أن المراد بها ترك القتال. وانظر: ﴿لَا يُفْلِحُ﴾ في الآية رقم [٢١].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿يَاقَوْمِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥/٢٠] أو [٧/٥٨]. ﴿اعْمَلُوا﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا﴾ في الآية رقم [٥/١]. ﴿عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿اعْمَلُوا...﴾ إلخ مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ تعليل للأمر، وهي من مقول القول. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف تعليل. (سوف): حرف استقبال. ويقال: حرف تسويف. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به، فيكون الفعل من العرفان، وانظر «العلم، والمعرفة» في الآية رقم [٦١] من سورة (الأنفال). ﴿تَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَاقِبَةُ﴾: اسم تكون مؤخر، وهو مضاف، و﴿الدَّارِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿تَكُونُ...﴾ إلخ صلة من لا محل لها من الإعراب. هذا؛ ويجوز أن تكون ﴿مَنْ﴾ استفهامية في محل رفع مبتدأ والجملة الفعلية بعدها في محل رفع خبرها، والجملة الاسمية على هذا الاعتبار في محل نصب سدت مسد مفعول: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ على اعتباره متعدياً لمفعول واحد، أو في محل نصب سدت مسد مفعوليه على اعتباره من أفعال اليقين، وعلى الاعتبارين فهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، والجملة الفعلية تعليلية، مؤكدة لمضمون الجملة قبلها. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء

اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُفْلِحُ﴾: مضارع. ﴿الظَّالِمُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿لَا يُفْلِحُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. هذا؛ وقد قيل: إن الجملة الاسمية مستأنفة، وكأنها جواب لسؤال مقدر، كأنه قيل: وما عاقبتهم؟ وعليه، فليست داخلة في المقول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: مشركو العرب. ﴿لِلَّهِ﴾: انظر شرحه في الاستعاذة. ﴿ذَرَأَ﴾: خلق. ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾: المراد به: جميع المزروعات التي كانوا يزرعونها، وهي قليلة كما هو معروف. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: يطلق هذا اللفظ على الحيوانات المأكول لحمها، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، والماعز. ﴿نَصِيبًا﴾: قسماً. ﴿فَقَالُوا﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥/٧]. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: انظر (زعم) في الآية رقم [٦٠] (النساء) فإنه جيد. ﴿لِشُرَكَائِنَا﴾: المراد به: الأصنام التي كانوا يقدسونها، ويعظمونها. وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (يونس) تجد ما يسرك.. ﴿يَصِلُ﴾: أصله يوصل؛ لأن ماضيه وصل، فحذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما: الياء، والكسرة، وتحذف من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه. ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: بئس الحكم حكمهم. هذا؛ ويقرأ: ﴿بِزُعْمِهِمْ﴾ بفتح الزاي، وضمها، وهما قراءتان سبعيتان، وفيه لغة ثالثة لبعض قيس.

تنبيه: لما بين الله تعالى قبح طريقة الكفار، وما كانوا عليه من إنكار البعث بعد الموت، وغير ذلك؛ عقبه بذكر أنواع من جهالاتهم، وأحكامهم الفاسدة، تنبيهاً على ضعف عقولهم، وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية.

تنبيه: روي: أنهم كانوا يعينون شيئاً من حرثٍ، ونتاجٍ لله، ويصرفونه للضيفان، والمساكين، وشيئاً منها لآلهتهم، وينفقونه على سدنتها، ويذبحون عندها، ثم إن رأوا ما عينوه لله أزكى بدلوه بما لآلهتهم، وإن رأوا ما لآلهتهم أزكى؛ تركوه لها حبّاً لها، وفي قوله: ﴿مِمَّا ذَرَأَ﴾ تنبيه على فرط جهالتهم، فإنهم أشركوا للخالق في خلقه جماداً لا يقدر على شيء، ثم رجحوه عليه بأن جعلوا الزاكي له. انتهى بيضاوي.

وفي الخازن: وكانوا يجبرون ما جعلوه لها مما جعلوه لله، ولا يجبرون ما جعلوه لله مما جعلوه لها، وكانوا إذا أصابهم قحط؛ استعانوا بما جعلوه لله يأكلون منه، ووفروا ما جعلوه لها،

ولم يأكلوا منه، فإذا هلك ما جعلوه؛ لها أخذوا بدله مما جعلوه لله، ولا يفعلون كذلك فيما جعلوه لها. انتهى بحروفه.

هذا؛ وقد روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أنه قال: إذا سرك أن تعلم جهل العرب؛ فاقرأ ما فوق الثلاثين والمئة من سورة (الأنعام) انتهى خازن. وفي محفوظي: فاقرأ ما فوق الخمس والثلاثين... إلخ، وهو الموافق للواقع. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَجَعَلُوا﴾: (جعلوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني تقدم على الأول. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَصِيبًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة المشهورة، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء ذرأه. ﴿مِنَ الْحَرْثِ﴾: الجار، والمجرور بدل مما قبلهما. ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿نَصِيبًا﴾: هو المفعول الأول. وجملة: ﴿وَجَعَلُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿هَذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿فَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (جعلوا...) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بالفعل: ﴿فَقَالُوا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الاسمية: ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ معطوفة على سابقتها، فهي مثلها في محل نصب مقول القول. ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف تفريع واستئناف. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (ما). ﴿لِشُرَكَائِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الاسم إليها كما رأيت. ﴿فَلَا﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ، وساغ ذلك؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. (لا): نافية. ﴿يَصِلُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾. ﴿إِلَى اللَّهِ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو ﴿مَا﴾ والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها مفرعة عما قبلها ومستأنفة. وإعراب: ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ﴾ واضح إن شاء الله تعالى، والجملة اسمية معطوفة على سابقتها، لا محل لها مثلها. ﴿سَاءَ﴾: ماض جامد دال على إنشاء الذم، وفاعله مستتر فسره التمييز، وهو: ﴿مَا﴾ فإنها بمعنى شيء مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، وجملة: ﴿يَحْكُمُونَ﴾ في محل نصب صفة ﴿مَا﴾، والمخصوص بالذم محذوف، وتقدير الكلام: «ساء الشيء شيئاً محكوماً به من قبلهم، وهو

المذموم». هذا؛ وأجيز اعتبار ﴿مَا﴾ موصولة وموصوفة ومصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل ﴿سَآءَ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وتقديره الكلام. ﴿سَآءَ﴾ الذي، أو: شيء يحكمون به، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ساء حكمهم، وانظر الآية رقم [٣٢] والإعراب الأول هو المعروف، والمشهور، ويؤيده ذكر التمييز منصوباً صريحاً في الآية رقم [٩٧] (النساء) وأيضاً رقم [١١٥] منها و[٣٨] منها وهو كثير في القرآن الكريم. هذا؛ وجملة: ﴿سَآءَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: انظر التقدير في الإعراب، فإنه سيتضح لك الأمر. ﴿زَيَّنَ لِكَثِيرٍ...﴾ إلخ: وفي هذه الجملة قراءات كثيرة، والمتواتر منها ثنتان: الأولى قراءة العامة مبنيّاً للفاعل... إلخ وهذه القراءة واضحة المعنى والتركيب وقرأ ابن عامر (زُيِّن) مبنيّاً للمفعول، ورفع (قَتْلُ) على أنه نائب فاعل، ونصب ﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾ على أنه مفعول به للمصدر، وشركائهم بالجر على أن المصدر مضاف إليه. قال البيضاوي: وهو ضعيف في العربية معدود من ضرورات الشعر كقول الشاعر: [مجزوء الكامل]

فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

وقد دافع عن هذه القراءة سليمان الجمل دفاعاً شديداً. ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾ أي: من الجن، أو من السدنة. وانظر الآية رقم [٣٤] من سورة (يونس). ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: ليهلكوهم بالإغواء، والتزيين. ﴿وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾: وليخلطوا عليهم دينهم، وهو دين إسماعيل الصحيح الذي ورثه من أبيه إبراهيم، عليهما الصلاة والسلام، أو ما وجب عليهم أن يتدينوا به. وقراءة الجمهور بكسر الباء من: لبست عليه الأمر، ألبسه بفتح الباء في الماضي، وكسرها في المضارع؛ إذا أدخلت عليه الشبهة، وخلطته فيه. وقرأ النخعي: (وليلبَسوا): بفتح الباء، والصحيح: أن لبس بالكسر بمعنى لبس الثياب، وبالفتح بمعنى الخلط، والصحيح أنه استعار اللبس لشدة المخالطة الحاصلة بينهم وبين التخليط حتى كأنهم لبسوها كالثياب، وصارت محيطة بهم انتهى جمل نقلاً عن السمين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ...﴾ إلخ: أي ما فعل المشركون ما زين لهم، أو ما فعل شركاء التزيين، أو ما فعل الفريقان شيئاً من ذلك. وانظر الآية رقم [١١٢] ففيها الكفاية. هذا؛ وانظر قتل الأولاد في الآية رقم [١٤٠] الآتية.

الإعراب: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: الواو: حرف عطف. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: زين لكثير من المشركين. . . تزييناً كائناً مثل ذلك التزيين لهم في الشرك، وقسمة الأموال، وغير ذلك. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، وانظر التفصيل في الآية رقم [٥٥]. ﴿زَيَّنَ﴾: ماض. ﴿لِكَثِيرٍ﴾: متعلقان به. ﴿مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ متعلقان بمحذوف صفة (كثير). ﴿قَتْلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أَوْلَٰدِهِمْ﴾: مضاف إليه من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿شُرَكَآؤُهُمْ﴾: فاعل: ﴿زَيَّنَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى قراءة البناء للمجهول، فـ (قتلُ) بالرفع نائب فاعله، و(أولادَهم) بالنصب مفعول به للمصدر، و(شركائهم) بالجر بإضافة (قَتْلُ) إليه، وأقحم المنصوب بين المتضايفين، كما رأيت تفصيله في الشرح، وجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، والاستئناف ممكن بالإعراض عما قبلها. ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿زَيَّنَ﴾، التقدير: لإردائهم و﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾: معطوف على ما قبله، وهو مثله في إعرابه. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿دِينَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [١٠٧] و[١١٢] مفردات وجملاً، فإن الإعراب واحد. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقَالُوا۟ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾ أي: مشركو العرب. وانظر «القول» في الآية رقم [٥/٧] هذه: الإشارة إلى ما جعل لآلهتهم. ﴿أَنْعَٰمٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢٦]. ﴿وَحَرْثٌ﴾: انظر الآية نفسها. ﴿حِجْرٌ﴾: حرام، فِعْل بمعنى: مفعول، كالذِّبح بمعنى: المذبوح، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ و«فِعْل» يستوي فيه الواحد، والكثير، والمذكر، والمؤنث. ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ﴾: لا يأكل منها إلا من نشاء: يريدون خدم الأوثان، والرجال دون النساء. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: انظر الآية قبل السابقة. ﴿وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ يعني: البحائر، والسوائب، والحوامي. انظر الآية

رقم [١٠٣/ ٥] لشرح ذلك، وتفصيله. ﴿وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ أي: وقت الذبح، وإنما يذكرون أسماء الأصنام عليها. وقيل: لا يحجون عليها، ولا يركبونها لفعل الخير؛ لأنه لما جرت العادة بذكر الله على فعل كل خير؛ ذم هؤلاء على ترك فعل الخير. وانظر شرح: ﴿ٱسْمِ﴾ في البسملة. ﴿ٱفْتِرَآءً﴾: اختلاقاً من غير دليل. (يجزيهم): انظر الآية رقم [١٢٠] بعد هذا انظر شرح: ﴿حِجْرٌ﴾ في الآية رقم [٢٣] (النساء) تجد ما يسرك، ويثلج صدرك.

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿هَٰذِهِۦٓ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَنْعَٰمٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية هذه في محل نصب مقول القول، وجملة ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَحَرْثٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿حِجْرٌ﴾: صفة ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾، وقد رأيت في الشرح: أنه يستوي فيه المفرد، وغيره. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يَطْعَمُهَآ﴾: مضارع، وها: مفعول به. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَن﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل رفع فاعل، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: نشاؤه. ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة. والهاء في محل جر بالإضافة من إضافة المصدر لفاعله، والجملة الفعلية: ﴿لَّا يَطْعَمُهَآ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ ﴿أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ﴾، أو هي في محل نصب حال منهما بعد وصفهما بما تقدم. ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف التقدير: وهذه ﴿أَنْعَٰمٌ﴾. وهذه الجملة معطوفة على ما قبلهما، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. هذا؛ ويجوز عطف أنعام على السابق، فيكون العطف عطف مفرد على مفرد. ﴿حُرِّمَتْ﴾: ماض مبني للمجهول. والتاء للتأنيث. ﴿ظُهُورُهَا﴾: نائب فاعل، وها: في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿أَنْعَٰمٌ﴾. ﴿وَأَنْعَٰمٌ﴾: هو مثل سابقه على الوجهين المعتبرين فيه، والجملة الفعلية: ﴿لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا﴾ في محل رفع صفة: ﴿أَنْعَٰمٌ﴾. ﴿ٱفْتِرَآءً﴾: فيه أربعة أوجه: أحدها ـ وهو مذهب سيبويه ـ: أنه مفعول من أجله. الثاني: أنه مصدر، عامله من غير لفظه؛ لأن قوله المحكي عنهم افتراء، فهو نظير: «قعد القرفصاء» وهو قول الزجاج. الثالث: أنه مصدر، عامله من لفظه مقدر، أي: افترى ذلك افتراء. الرابع: أنه مصدر في موضع الحال، أي: قالوا ذلك حال افترائهم، وهي تشبه الحال المؤكدة؛ لأن هذا القول المخصوص لا يكون قائله إلا مفترياً، وقوله: ﴿عَلَيْهِ﴾ يجوز تعلقه بـ: ﴿ٱفْتِرَآءً﴾ على القول الأول والرابع، وعلى الثاني والثالث بقالوا، لا بـ: ﴿ٱفْتِرَآءً﴾ لأن المصدر المؤكد لا يعمل، ويجوز أن يتعلق بمحذوف صفة لـ: ﴿ٱفْتِرَآءً﴾، وهذا جاز على كل قول من الأقوال السابقة. انتهى جمل بحروفه نقلاً عن السمين. ﴿سَيَجْزِيهِم﴾: السين، حرف استقبال، ويقال: حرف تنفيس. (يجزيهم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والهاء مفعول به أول.

﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وانظر إعراب: ﴿بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [١٢٤] فهو مثله بلا فارق، والجملة الفعلية: ﴿سَيَجْزِيهِم...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا﴾ أي: مشركو العرب. ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ﴾: قال ابن عباس، وقتادة، والشعبي - رضي الله عنهم -: أرادوا أَجِنَّةَ البحائر، والسوائب، فما ولد منها حيّاً؛ فهو خالص للرجال دون النساء، وما ولد منها ميتاً؛ أكله الرجاء، والنساء. وهو قوله: ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ﴾.

هذا؛ وقد أُنِّثَ ﴿خَالِصَةٌ﴾ وهي خبر عن ﴿مَا﴾ باعتبار معناها، وذُكِّرَ ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾ وهو خبر عنها باعتبار لفظها، فعلى هذا تكون التاء في ﴿خَالِصَةٌ﴾ للتأنيث. هذا؛ وقد قيل: إن التاء للنقل إلى الاسمية، أو للمبالغة، كما في: علامة، ونسابة، وراوية، والخاصة، والعامة. أو على المصدر على وزن فاعلة، كالعافية، والعاقبة. وذكر (مُحَرَّمٌ) للحمل على اللفظ، وهذا نادر لا نظير له، وإنما عهد مراعاة المعنى، ثم اللفظ في (من) و(ما) انتهى جمل بحروفه.

بعد هذا انظر: ﴿الْمَيِّتِ﴾ في الآية رقم [٩٥] و(يجزيهم) في الآية رقم [١٢٠] والمعنى هنا: سيحاسبهم على قولهم الكذب في التحليل، والتحريم بدون دليل، قال تعالى: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ﴾. ﴿حَكِيمٌ﴾: في صنعه، وأحكامه، وتشريعاته. ﴿عَلِيمٌ﴾: بخلقه، وبمصالحهم.

الإعراب: ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿فِي بُطُونِ﴾: متعلقان بمحذوف صلة: ﴿مَا﴾، أو بمحذوف صفتها، و﴿بُطُونِ﴾: مضاف، و﴿هَٰذِهِ﴾: مضاف إليه، فهو اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿الْأَنْعَامِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. وقيل: هو صفة لاسم الإشارة. ﴿خَالِصَةٌ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَا فِي...﴾ إلخ، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿لِّذُكُورِنَا﴾: متعلقان بـ: ﴿خَالِصَةٌ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَمُحَرَّمٌ﴾: معطوف على: ﴿خَالِصَةٌ﴾. ﴿عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾: متعلقان بـ (محرم)، و(نا): في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرئ بنصب: ﴿خَالِصَةٌ﴾ على أنه حال، وصاحب الحال الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور: ﴿فِي بُطُونِ﴾ فيكون خبر المبتدأ متعلق: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ والقياس يقتضي نصب (محرم) لأنه معطوف على: ﴿خَالِصَةٌ﴾، ولم أجد من قرأه بالنصب، كما قرئ: (خالصةً)

بالإضافة إلى الضمير، وفي إعرابه وجهان: أحدهما: مبتدأ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، فيتكون جملة اسمية في محل رفع خبر المبتدأ: ﴿مَا﴾ والثاني على أنه بدل من ﴿مَا﴾، فيبقى: ﴿لِّذُكُورِنَا﴾ خبرها. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لم)، واسمه يعود إلى ما يوجد في بطون الأنعام. ﴿مَّيْتَةً﴾: خبره، وقرئ (ميتةٌ) بالرفع، وهو على اعتبارين: أولهما: اعتباره اسماً لـ: ﴿يَكُن﴾ والخبر محذوف، التقدير: وإن يكن هناك ميتة، وثانيهما اعتبار الفعل تامّاً، وميتة فاعله، كما قرئ (تكن) بالتاء، ورفع ميتة، ونصبها، والإعراب يكون على الوجهين مثل قراءته بالياء بلا فارق. والجملة الفعلية على جميع وجوه الإعراب لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَهُمْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هم): مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿شُرَكَآءُ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» ﴿شُرَكَآءُ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. والجملة الشرطية معطوفة على جملة: (قالوا...) إلخ. ﴿سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية السابقة، وهي مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّهُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾: خبران لها، والجملة الاسمية تعليلية، أو مستأنفة لا محل لها على الوجهين.

﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ﴾: المراد بهم العرب الذين قتلوا بناتهم مخافة الفقر، والعار؛ الذي يتسبب عن السبي، ونحوه. وخسارتهم كانت في الدنيا باعتبار السعي في نقص عددهم، وإزالة ما أنعم الله به عليهم. وفي الآخرة باستحقاق العذاب الأليم. هذا؛ وقد قرئ: ﴿قَتَلُوٓاْ﴾ بالتشديد، والتخفيف.

هذا؛ وهل كان قتل الأولاد يقتصر على البنات، أم يتعدى إلى الذكور؟ المعروف: أن عامتهم كانوا يكرهون البنات، وإن الكثير منهم يئدون البنات؛ حتى نتج عن ذلك نقص في الإناث في بعض القبائل، ولذا اضطر الواحد منهم إلى الزواج من قبيلة أخرى. وأما قتل الذكور؛ فكان قليلاً جدّاً، وكان لا يقع إلا في حالات شدة المعيشة، والفقر، والضيق؛ لأنهم كانوا يتكثرون بالذكور، ويعتزون بهم، كما هو معروف، ومشهور. ﴿سَفَهًۢا﴾: جهلاً، والسفاهة هي الخفة، والجهالة المذمومة، وسبب هذه السفاهة هو قلة العلم، بل عدمه؛ لأن الجهل كان هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله ﷺ، ولذا سموا: جاهلية. هذا؛ وسفه نفسه: استمهنها، وأذلها، واستخف بها،

قال المبرد، وثعلب: سفه بالكسر متعد، وبالضم لازم، ويشهد له ما جاء في قول النبي ﷺ: «الكِبر أنْ تسفَهَ الحقَّ، وتغمِصَ الناسَ». أي: تحقرهم. وانظر الآية رقم [٦٥/ ٧] فإنه جيد. ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: بغير حجة، وبرهان. ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾: وهو ما ذكر من الزروع، والأنعام، كالبحيرة... إلخ. ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: اختلافاً عليه سبحانه وتعالى. ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾: انظر الآية رقم [٢٤]. ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾: إلى الحق، والصواب. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَسِرَ﴾: ماض. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ﴾ صفة الموصول، والعائد الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿سَفَهًا﴾: مفعول لأجله، أو هو مفعول مطلق لفعل محذوف. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(غير) مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿قَدْ خَسِرَ...﴾ إلخ: قال الجمل: جواب قسم محذوف. ولم أجده لغيره، ويظهر: أنها مستأنفة إن لم نوافقه بذلك. (حرموا): فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: الذي، أو: شيئاً رزقهم الله إياه، وعلى الثالث تؤول ما مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: حرموا رزق الله على أنفسهم، وجملة: ﴿وَحَرَّمُوا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾: انظر مثله في الآية رقم [١٣٨]. وجملة: ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ بمنزلة التأكيد لجملة: ﴿قَدْ خَسِرَ...﴾ إلخ. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمها، والألف للتفريق. ﴿مُهْتَدِينَ﴾: خبرها منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وجملة: ﴿وَمَا كَانُوا...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

> **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)﴾**

الشرح: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ﴾ أي: والله الذي خلق، وابتدع. ﴿جَنَّاتٍ﴾: بساتين. وانظر: ﴿جَنَّ﴾ في الآية رقم [٧٦]. ﴿مَعْرُوشَاتٍ﴾: مرفوعات على ما يحملها. ﴿وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾: ملقيات على وجه الأرض. وقيل: المعروشات: ما غرسه الناس، وغير المعروشات: ما نبت في البراري، والجبال. وانظر شرح: ﴿وَغَيْرَ﴾ في سورة (الفاتحة). ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾: إنما أفردا بالذكر مع أنهما داخلان في الجنات؛ لما فيهما من المنافع، والفضيلة على سائر ما ينبت في

الجنات، والمراد بالزرع: جميع الحبوب؛ التي يقتات بها. ﴿مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ﴾ أي: ثمره، وحبه في الهيئة، والطعم، كالحلو، والحامض، والجيد، والرديء، والصغير، والكبير، وغير ذلك. ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍۚ﴾: يتشابه ورقهما، وبعض أفرادهما في اللون، والطعم، ولا يتشابه بعضها. ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾: ثمر كل واحد من ذلك، والأمر للإباحة لا للوجوب. ﴿إِذَآ أَثْمَرَ﴾: وإن لم ينضج، ولم يبع. وفيه رخصة للمالك في الأكل قبل حصاده، وتمام نضجه، أما بعد النضج فيحرم الأكل منه لتعلق حق الفقراء به، كما هو مبين في الفقه الإسلامي. ﴿وَءَاتُوا۟﴾: أعطوا. ﴿حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾: يوم جذاذه، وقطعه، واختلفوا في هذا الحق المأمور بإخراجه، فقيل: المراد به: الزكاة المفروضة، والآية مدنية، وعلى هذا فالآية محكمة، أي غير منسوخة. وقيل: بل المراد به أنه حق سوى الزكاة، فرض يوم الحصاد، وهو إطعام مَنْ حضر، وترك ما سقط من الزرع، والثمر. وهذا؛ وقرئ: ﴿حَصَادِهِۦ﴾ بفتح الحاء، وكسرها. ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾: الإسراف تجاوز الحد فيما يفعله الإنسان، وإن كان في الإنفاق أشهر. وقيل: السرف تجاوز ما حد لك، وسرف المال: إنفاقه في غير منفعة.

ولهذا قال سفيان: ما أنفقت في غير طاعة الله؛ فهو سرف؛ وإن كان قليلاً. وقال سعيد بن المسيب: معناه: لا تمنعوا الصدقة. فتأويل الآية على هذا القول: لا تجاوزوا الحد في البخل، والإمساك، حتى تمنعوا الواجب من الصدقة. وهذان القولان يشتركان في أن المراد من الإسراف: مجاوزة الحد، إلا أن الأول في البذل، والإعطاء، والثاني في الإمساك، والبخل. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ أي: يبغضهم، وعليه فعدم محبة الله لهم كناية عن البغض، والسخط، والغضب، ومحبته للعبد رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَنشَأَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى الموصول، وهو العائد. ﴿جَنَّٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾: صفة ﴿جَنَّٰتٍ﴾ منصوب مثله. ﴿وَغَيْرَ﴾: معطوف على: ﴿مَّعْرُوشَٰتٍ﴾، وغير مضاف، و﴿مَعْرُوشَٰتٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿أَنشَأَ...﴾ إلخ لا محل لها صلة الموصولة، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ﴾: معطوفان على جنات، فهو من عطف الخاص على العام. ﴿مُخْتَلِفًا﴾: حال مما قبله، وهذه الحال مقدرة؛ لأن النخل، والزرع وقت خروجه لا أكل منه، حتى يكون مختلفاً، أو متفقاً، وهو مثل قولهم: مررت برجل معه صقر صائداً به غداً، وقوله تعالى: ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ أوضح. أي: مقدراً لكم الخلود فيها. ﴿أُكُلُهُۥ﴾: فاعل ﴿مُخْتَلِفًا﴾ لأنه اسم فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والضمير عائد للزرع، والباقي مقيس عليه، أو النخل، والزرع داخل في حكمه لكونه معطوفاً عليه، أو للجميع على تقدير: «أُكُلُ ذلك» أو «كلُّ واحد منهما». ﴿وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ﴾:

معطوفان على جنات. ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾: حال من: (الزيتون والرمان) وفاعله محذوف، تقديره: ورقهما. ﴿وَغَيْرَ﴾: معطوف عليه فهو حال مثله، و(غير) مضاف، و﴿مُتَشَٰبِهٍ﴾: مضاف إليه، وفاعله أيضاً محذوف، التقدير: طعمهما، أو نحو ذلك. ﴿كُلُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا۟﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿مِن ثَمَرِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِذَآ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، مبني على السكون في محل نصب. ﴿أَثْمَرَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ثَمَرِهِۦٓ﴾ والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها، واعتبار ﴿إِذَآ﴾ شرطية ضعيف فيما يظهر، والجملة الفعلية: ﴿كُلُوا۟...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، وجملة: ﴿وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: آتوا حقه الفقراء والمساكين... إلخ. ﴿وَلَا﴾: ناهية جازمة. ﴿تُسْرِفُوٓا۟﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للنهي، لا محل لها.

﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: انظر الآية رقم [١٣٦]. ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾: المراد ما يحمل الأثقال، مثل الجمال، وما يفرش للذبح، مثل الغنم، والماعز، أو ما يفرش المنسوج من شعره، وصوفه ووبره. وقيل: الكبار الصالحة للحمل، والصغار الدانية من الأرض، مثل الفرش المفروش عليها، سميت بذلك؛ لأنها كالفرش للأرض لدنوها منها. ﴿كُلُوا۟﴾: هذا الأمر للإباحة. ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾: مما أحل لكم أكله. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: طرائقه، وتعاليمه في التحليل، والتحريم من عند أنفسكم. ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهر العداوة، بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في الاستعاذة، وشرح: ﴿عَدُوٌّ﴾ في الآية رقم [١١٢]. ﴿مُّبِينٌ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [١٧/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. هذا؛ و﴿خُطُوَٰتِ﴾ جمع خطوة، بضم الخاء، وسكون الطاء. وهي في الأصل ما بين القدمين، فاستعيرت هنا لوسوسة الشيطان، وزخرفته، وتجمع في القلة: خُطوات بضم الخاء، وتثليث الطاء، أي: الضم بإتباع ثانيه لأوله، والفتح، وإبقاء السكون على حاله كما في المفرد، وتجمع في الكثرة على: خُطًى، بضم الخاء. هذا؛ والخطوة بفتح الخاء: المرة الواحدة، وجمعها: خَطوات بفتح الخاء، والطاء لا غير.

بعد هذا أنقل لك ما قاله المرحوم مصطفى الغلاييني في جامع الدروس العربية: وإن جمعت اسماً ثلاثيّاً، مضموم الأول، أو مكسوره، ساكن الثاني، صحيحه، خالياً من الإدغام، مثل: خُطْوة، وجُمْل، وهِنْد، وقِطْعة، وفِقْرَة، جاز فيه ثلاثة أوجه: الأول: إتباع ثانيه لأوله، كخُطُوات، وجُمُلات، وهِنِدَات، وقِطِعات وفِقِرات. الثاني: فتح ثانيه، كخُطَوات، وجُمَلات، وهِنَدات، وقِطَعات، وفِقَرات. الثالث: إبقاء ثانيه على حاله من السكون، كخُطْوات وجُمْلات، وهِنْدات، وقِطْعات، وفِقْرات.

أما الاسم فوق الثلاثي، كزينب، والاسم الصفة، كَضَخْمَة، والاسم الثلاثي المحرك الثاني كَشَجَرَة، والاسم الثلاثي الذي ثانيه حرف علة، كجَوْزة، والاسم الثلاثي الذي فيه إدغام، كمرَّة، فكل ذلك لا تغيير فيه عند جمعه جمعاً مؤنثاً سالماً. انتهى.

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾: متعلقان بفعل محذوف، معطوف على ما قبله، التقدير: وأنشأ، أو: وخلق من الأنعام. ﴿حَمُولَةً﴾: مفعول به للفعل المحذوف. ﴿وَفَرْشًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿كُلُوا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِمَّا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعول به، و(ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير، الذي، أو شيئاً رزقكم الله إياه، وعلى الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (مِنْ)، التقدير: من رزق الله لكم. وجملة: ﴿كُلُوا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (لا): ناهية. ﴿تَتَّبِعُوا﴾: مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿خُطُوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و ﴿خُطُوَٰتِ﴾: مضاف، و ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: مضاف إليه. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليل للنهي لا محل لها. هذا؛ والجار والمجرور: ﴿لَكُمْ﴾ متعلقان بمحذوف حال من ﴿عَدُوٌّ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً».

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٤٣)﴾

الشرح: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾: ثمانية أصناف. هذا؛ والزوج: ما معه آخر من جنسه يزاوجه، ويحصل منهما النَّسل، فيطلق لفظ الزوج على المفرد إذا كان معه آخر من جنسه، لا ينفك عنه، ويحصل منهما النسل، وكذا يطلق على الاثنين، فهو مشترك، والمراد هنا الإطلاق الأول. انتهى جمل. ﴿مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ يعني: الذكر، والأنثى. والضأن: ذوات الصوف من الغنم، الواحد:

ضائن، والأنثى: ضائنة، والجمع: ضوائن. ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ يعني: الذكر، والأنثى، والمعز: ذوات الشعر من الغنم. والمعز يقرأ بسكون العين، وفتحها، وهو جمع ماعز. وقيل: الضأن، والمعز اسما جمع، والأول أصح. ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾ أي: من الغنم، والماعز. ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾: مثنى أنثى، والمراد بهما أيضاً من الغنم، والماعز. ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: الهمزة حرف استفهام، وقد مدت مدّاً لازماً بقدر ست حركات، ولولا مدها لم يظهر الاستفهام، ويسمى هذا المد في أحكام التجويد بمد الفرق؛ لأنه يفرق بين الاستفهام، والخبر؛ لأنه لولا المد؛ لتوهم: أنه خبر لا استفهام. وانظر الآية رقم [٥١] من سورة (يونس) ففيها الشفاء الكافي لقلبك.

هذا؛ وقد قرئ (اثنان) على الابتداء. ﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾: أو ما حملت إناث الجنسين ذكراً كان، أو أنثى. والمعنى: إنكار أن يحرم الله من جنس الغنم شيئاً. ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾: أخبروني بأمر معلوم من عند الله يدل على تحريم ما حرمتم. ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي: في دعوى التحريم، وانظر إعلال: ﴿قُلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٧] (المائدة) فإعلال: ﴿كُنتُمْ﴾ مثله، وانظر (النبأ) في الآية رقم [١٤] (المائدة) أو رقم [١٠١] (الأعراف).

الإعراب: ﴿ثَمَانِيَةَ﴾: ذكر فيه أبو البقاء خمسة أوجه: أحدها: هو معطوف على ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي: وأنشأ ثمانية أزواج. وحذف الفعل، وحرف العطف. وهو ضعيف. الثاني: أن تقديره: كلوا ثمانية أزواج. والثالث: هو منصوب بـ: «كلوا» محذوف، تقديره: كلوا مما رزقكم ثمانية أزواج، ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ معترض بينهما. والرابع: هو بدل من: ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ والخامس: هو حال، تقديره: مختلفة، أو متعددة، وصاحب الحال هو (ما) وتقديره الثاني: كلوا لحم ثمانية، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، و﴿ثَمَانِيَةَ﴾: مضاف، و﴿أَزْوَاجٍ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿اثْنَيْنِ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿اثْنَيْنِ﴾: بدل من ﴿ثَمَانِيَةَ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بالمثنى. هذا؛ وعلى قراءة: (اثنان) فهو مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الألف. . . إلخ، والجار والمجرور: ﴿مِنَ الضَّأْنِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر مقدم، وعليه فالجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ﴾ معطوف على ما قبله، وإعرابه مثله على الوجهين. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، وتوبيخ. (الذكرين): مفعول به مقدم منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿حَرَّمَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾. ﴿أَمِ﴾: حرف عطف. ﴿الْأُنثَيَيْنِ﴾: معطوف على (الذكرين) منصوب مثله. . إلخ. (أم): حرف عطف. (ما): اسم موصول مبني على السكون في محل نصب معطوف على (الذكرين)، وتحتمل (ما) الموصوفة، أي: شيء. هذا؛ وترسم مع (أم) هكذا (أما) وذلك بسبب

إدغام الميم الساكنة في الميم المتحركة. ﴿ٱشۡتَمَلَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿عَلَيۡهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَرۡحَامُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿ٱشۡتَمَلَتۡ...﴾ إلخ صلة (ما) أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ: (على) وانظر الآية التالية لما أهمل هنا. ﴿نَبِّـُٔونِي﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به أول، وانظر إعراب: ﴿أَرُونِي﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿بِعِلۡمٍ﴾: متعلقان به، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُمۡ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿صَٰدِقِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كُنتُمۡ...﴾ إلخ: لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف، دل عليه ما قبله، تقديره: إن كنتم صادقين في دعوى التحريم؛ فنبئوني بأمر معلوم من عند الله. والجملة الشرطية مرتبطة بما قبلها تمام الارتباط، فهي مستأنفة مثلها.

﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾

الشرح: ﴿ٱلۡإِبِلِ﴾: اسم جمع لا واحد له من لفظه، فمفرده: جمل، أو ناقة، والبعير يشملهما كالإنسان للرجل، والمرأة، وقوله تعالى حكاية عن قول أولاد يعقوب لأبيهم: ﴿وَنَزۡدَادُ كَيۡلَ بَعِيرٖۖ﴾ دليل واضح على ذلك. هذا؛ ويجمع على: آبال، والإبل مؤنثة؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها إذا كانت لغير الآدميين، مثل: خيل، وغنم، وإبل، فالتأنيث لها لازم، وإذا قالوا: خيلان، وغنمان، وإبلان، فإنما يريدون قطيعين من الخيل، والغنم، والإبل. ﴿ٱلۡبَقَرِ﴾: اسم جنس، واحده: بقرة، وهي تقع على الذكر، والأنثى، نحو: حمامة، والصفة تميز الذكر من الأنثى. تقول: بقرة ذكر، وبقرة أنثى. وقيل: بقرة اسم للأنثى خاصة من هذا الجنس، والذكر: الثور، نحو: ناقة، وجمل، وأتان، وحمار. وسمي هذا الجنس بذلك؛ لأنه يبقر الأرض، أي: يشقها بالحرث، ومنه: بقر بطنه. هذا؛ وأهل اليمن يسمون البقرة باقورة، وكتب النبي ﷺ في كتاب الصدقة لأهل اليمن: «**في ثلاثين باقورةً بقرة**». هذا؛ والباقر: جماعة البقر مع رعائها، والتبقر: التوسع في العلم، ومنه محمد (الباقر) لتبقره في العلم، أي: لتبحره فيه. ﴿أَرۡحَامُ﴾: جمع رحم، والمراد به هنا: مستودع الجنين في أحشاء الحبلى من الإنسان،

والحيوان. ومعنى هذا الكلام: إنكار: أن الله حرم شيئاً من هذه الأجناس الأربعة، ذكراً كان، أو أنثى، وما تحمل إناثها، ردّاً عليهم، فإنهم كانوا يحرمون ذكور الأنعام تارة، وإناثها تارة أخرى، وأولادها كيف كانت تارة زاعمين: أنَّ الله حرمها، فقيل لهم: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، وإن كان من قبل الأنوثة فجميع الإناث حرام، وإن كان من قبل اشتمال الرحم فالزوجان حرام، فمن أين جاء التخصيص ببعض المذكورات؟

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ﴾: هذا توبيخ آخر، والمعنى: هل كنتم حضوراً مع الله وقت وصاكم به؛ لأنكم لا تؤمنون بنبي، فلا طريق لكم إلا المشاهدة، والسماع، فاعتمدتم ذلك، لا بل أنتم كاذبون مفترون هذا التحريم، وهذا التحليل. ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾: حيث نسب إليه تحريم ما لم يحرم، وهل يوجد أشقى، وأشد ظلماً، وأبعد عن الحق ممن يكذب على الله، ويضيف إليه شيئاً لا أصل له، يفعل ذلك؛ ليضل الناس عن طريق الحق، والصواب.

قيل: المراد بذلك عمرو بن لحي الخزاعي؛ لأنه أول من بحر البحائر، وسيب السوائب، وغير دين إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ويدخل في هذا الوعيد كل من كان على طريقته، أو ابتدع شيئاً لم يأمر به الله، ولا رسوله، ونسب ذلك إلى الله تعالى؛ لأن اللفظ عام، فلا وجه للتخصيص. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: إن الله لا يرشد، ولا يوفق من كذب على الله، وأضاف إليه ما لم يشرعه لعباده. هذا؛ وانظر: ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ في الآية رقم [٢٠/٥] وانظر (الظلم) في الآية رقم [٥١/٥] وانظر: ﴿غَيْرِ﴾ في سورة (الفاتحة).

الإعراب: ﴿وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِۗ﴾ هذا الكلام معطوف على مثله في الآية السابقة، وهو مثله قراءة، وإعراباً. ﴿قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية السابقة، وأضيف هنا: أن الجملة الفعلية: ﴿ءَآلذَّكَرَيْنِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وأن الجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف، وهي بمعنى: بل، وتسمى منقطعة، بخلاف سابقتها، فإنها متصلة؛ لأنها معادلة للهمزة، فهي عاطفة. ﴿كُنتُمْ شُهَدَآءَ﴾ كان، واسمها، وخبرها، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿شُهَدَآءَ﴾ وهو أولى من تعليقه بـ: (كان). ﴿وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ ماض، ومفعوله، وفاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿بِهَٰذَاۚ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه مقحم بينهما لا محل له. (مَنْ): اسم استفهام بمعنى النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَظْلَمُ﴾ لأنه صيغة تفضيل، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة. ﴿ٱفْتَرَىٰ﴾: ماض مبني

على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان به. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به. ﴿لِّيُضِلَّ﴾: مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿ٱلنَّاسَ﴾ و(غير): مضاف، و﴿عِلْمٍ﴾: مضاف إليه، التقدير: غير عالمين، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: للإضلال، والجملة الفعلية: ﴿ٱفْتَرَىٰ...﴾ إلخ صلة (مَنْ) أو صفتها، والجملة الاسمية: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة بكاملها في الآية رقم [٥١] (المائدة) إفراداً، وجملاً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿قُل﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ، ومثله ما بعده، وما قبله. ﴿لَّآ أَجِدُ﴾: انظر إعلال: ﴿يَصِلُ﴾ في الآية رقم [١٣٦] فهو مثله. ﴿فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ أي: أنزل إلي من القرآن الكريم بواسطة جبريل الأمين، عليه السلام. ﴿مُحَرَّمًا﴾: المحرم، والحرام هو في الأصل كل ممنوع، قال تعالى: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ فالحرمات: كل ممنوع منك مما بينك وبين غيرك. وقولهم: لفلان بي حرمة، أي: أنا ممتنع من مكروهه. وحرمة الرجل محظورة به عن غيره. وقوله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ فالمحروم هو الممنوع من المال والتلذذ به. والإحرام بالحج، والعمرة هو المنع من أمور معروفة في الفقه الإسلامي.

﴿طَاعِمٍ﴾: آكل. ﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾: يأكله، والمراد بطاعم الذكور والإناث. فهو رد لما افتروه. والفعل من باب: فهم، وعلم، وهو في المصحف كما رأيت، وقرئ بتشديد الطاء وكسر العين، ونسبت هذه القراءة لعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه. ﴿يَكُونَ مَيْتَةً﴾ قرئ الفعل بالتاء، والياء كما قرئ برفع: ﴿مَيْتَةً﴾ ونصبها. والمراد بتحريم الميتة: تحريم لحمها، أو الانتفاع بشيء منها، وهي التي ماتت من غير ذكاة شرعية، والحديث الشريف ألحق بها ما أُبين من حيوان حي، وخص منها السمك والجراد بقول النبي ﷺ: «**أحلت لنا ميتتان، ودمان: السمك، والجراد، والكبد، والطحال**». وانظر: ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ أي: إعلاله، ومعناه في الآية رقم [٩٥].

﴿دَمًا مَّسْفُوحًا﴾ أي: سائلاً، بخلاف غيره، كالكبد، والطحال. هذا؛ والمراد به هنا وفي آية (البقرة) دم الحيوان الذي يذبح، كان الجاهليون يجمدونه، ويقلونه بالزيت، ونحوه، ثم يأكلونه. ﴿لَحْمَ خِنزِيرٍ﴾: والمراد به جميع أجزائه، وإنما خص اللحم بالذكر؛ لأنه معظم ما يؤكل من

الحيوان. ﴿رِجْسٌ﴾: نجس، وقد ثبت عند كثير من النصارى: أن في أكل لحمه ضرراً. ﴿فِسْقًا﴾: عصياناً، وخروجاً عن طاعة الله تعالى. وانظر: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في الآية رقم [٢٥/ ٥]. ﴿أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾: رفع الصوت للصنم عند ذبحه، ويدخل في ذلك كل ما لم يقصد به وجه الله تعالى، ولذا نهى الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ عن أكل الإبل التي ذبحها جد الفرزدق غالب عند مباراته غيره في الكرم. وقس على ذلك كل ما لم يقصد به وجه الله تعالى. هذا؛ والإهلال: رفع الصوت، وكانوا يرفعونه عند الذبح لآلهتهم، والأصل فيه أن يرفع الصوت بالتكبير عند رؤية الهلال في مطلع الشهر الجديد. هذا؛ ويلحق بما ذكر من الأمور الأربعة بالسنَّة النبوية كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير.

﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ﴾: ألجأته الضرورة إلى أكل شيء مما ذكر بسبب الجوع، أو خوف، أو إكراه، ونحو ذلك. ﴿بَاغٍ﴾: خارج عن المسلمين. من: البغي والظلم. ﴿عَادٍ﴾: معتد عليهم بقطع الطريق. هذا قول المفسرين من أئمة الشافعية. وأما المفسرون من أئمة الحنفية فقد فسروا الأول بقاصد للشهوة، واللذة، وفسروا الثاني بمتجاوز مقدار الحاجة من سد الرمق، ودفع الخوف، والتخلص من الإكراه. هذا؛ وانظر إعلال مثلهما في الآية رقم [١٣٤]. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٣/ ٧]. ﴿غَفُورٌ﴾: لعبده المؤمن إذا فعل الأكل في حال الضرورة المذكورة. وهو صيغة مبالغة. ﴿رَّحِيمٌ﴾: بعباده حيث رخص لهم الأمور المحظورة في حال الضرورة. وانظر البسملة للتوسع في شرحه، وانظر: ﴿أَوْحَيْنَآ﴾ في الآية [١٦٣] من سورة (النساء).

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَجِدُ﴾: مضارع، وفاعله مستتر تقديره: «أنا». ﴿فِى مَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني تقدم على الأول، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر. ﴿أُوحِىَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (ما). ﴿إِلَىَّ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية: ﴿أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع نائب الفاعل إليها. ﴿مُحَرَّمًا﴾: مفعول به أول. ﴿عَلَىٰ طَاعِمٍ﴾: متعلقان بـ ﴿مُحَرَّمًا﴾ وجملة: ﴿يَطْعَمُهُۥٓ﴾ مع الفاعل المستتر في محل جر صفة ﴿طَاعِمٍ﴾ وجملة: ﴿لَّآ أَجِدُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿أَن يَكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَن﴾، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿مُحَرَّمًا﴾. ﴿مَيْتَةً﴾: خبره. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿دَمًا﴾: معطوف على ميتة. ﴿مَّسْفُوحًا﴾: صفته. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿لَحْمَ﴾: معطوف على ما قبله، و﴿لَحْمَ﴾: مضاف، و﴿خِنزِيرٍ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وقرأ ابن كثير: (تكون) بالتاء لتأنيث الخبر، وعلى القراءتين يقرأ ﴿مَيْتَةً﴾ بالنصب، والرفع، فعلى النصب يكون الفعل ناقصاً، وعلى الرفع يكون الفعل تامّاً بمعنى: يوجد، و«أن» المصدرية، والمضارع على نقصانه، أو تمامه في تأويل مصدر في محل نصب على الاستثناء. ﴿فَإِنَّهُۥ﴾: الفاء: حرف تعليل. (إنه): حرف مشبه

بالفعل، والهاء اسمها. ﴿رِجْسٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿فِسْقًا﴾: معطوفة على ﴿مَيْتَةً﴾ في حال نصبه، أو هو معطوف على المصدر المؤول. ﴿أُهِلَّ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لِغَيْرِ﴾: متعلقان به، و(غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف رفع نائب فاعله، والجملة الفعلية صفة: ﴿فِسْقًا﴾. ﴿فَمَنِ﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱضْطُرَّ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ). ﴿غَيْرَ﴾: حال من نائب الفاعل، وغير مضاف، و﴿بَاغٍ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء المحذوفة. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): صلة لتأكيد النفي. ﴿عَادٍ﴾: معطوف على ما قبله مجرور مثله. ﴿فَإِنَّ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (إنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: خبران لـ(إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، هذا هو الظاهر، وعند التأمل يظهر لك: أنَّ جواب الشرط محذوف، تقديره، فلا إثم عليه، ولا حرج، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، كما رأيت في الآية رقم [٣٩]. هذا؛ ويجوز اعتبار (مَنْ) موصولة في محل رفع مبتدأ، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبرها، وزيدت الفاء في خبر الموصول لتحسين اللفظ، ولأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى ما تقدم؛ فالخبر محذوف، والجملة الاسمية هذه مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿هَادُواْ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿حَرَّمْنَا﴾: انظر: ﴿مُحَرَّمًا﴾ في الآية السابقة. ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ هو النعامة، والبعير، ونحو ذلك من الدواب، وكل ما لم يكن مشقوق الأصابع من البهائم، والطير، مثل: البعير، والنعامة، والأوز، والبط. هذا؛ وفي (الظفر) خمس لغات، أعلاها بضم الظاء، والفاء، وهي قراءة العامة، وثانيها بضم فسكون، وبها قرأ الحسن، وثالثها بكسر الظاء، والفاء، ونسبت لأبي السمال، ورابعها بكسر الظاء، وسكون الفاء، ونسبت أيضاً للحسن، وخامسها: أظفور، ولم يقرأ بها فيما علمت. وجمع الثلاثي: أظفار، وجمع أظفور أظافير، وهو القياس، وأظافر من غير مد، وليس بقياس. انتهى جمل نقلاً عن السمين، بتصرف كبير مني. وهذا التحريم المذكور في هذه الآية خاص باليهود اللؤماء. ﴿ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ﴾: انظر شرحهما في الآية رقم [١٤٤].

﴿شُحُومَهُمَآ﴾: جمع: شحم، وهو شحم رقيق يغشى الكرش، والأمعاء. ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ﴾ أي: يستثنى من الشحوم ما علق بظهور البقر، والغنم. ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: الأمعاء، جمع: حاوية، أو حاوياء، والمراد: تحليل الشحم الذي يشتمل على الأمعاء. ﴿مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾: المراد به: ألية الغنم، فإنه أحل لهم. والمراد بالعظم المختلط: عظم العصعص. ﴿ذَٰلِكَ﴾: الإشارة إلى التحريم المذكور. ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾: عاقبناهم به، وانظر الآية [١٢٠]. ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾ أي: بسبب ظلمهم، وخروجهم عن أوامر ربهم، فكانوا كلما ارتكبوا معصية من المعاصي؛ عوقبوا بتحريم شيء مما أحل لهم، وهم ينكرون ذلك، ويدعون: أنها محرمة على الأمم قبلهم. وانظر الآية رقم [٤/١٦٠]. ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ أي: في الإخبار، والوعد، والوعيد. وفيه تعريض باليهود: أنهم كاذبون فيما يقولون. وانظر (نا) في الآية رقم [٥/٣٢] أو [٦] من سورة (الأعراف).

بعد هذا فالبغي هو الظلم، والاعتداء على حق غيرك، وعواقبه ذميمة، ومآل الباغي وخيم، وعقباه أليمة، ولو أن له جنوداً بعدد الحصى، والرمل، والتراب، ورحم الله من يقول: [البسيط]

لا يأْمَنِ الدَّهرَ ذو بغيٍ ولوْ مَلِكاً ... جنودُهُ ضَاقَ عنها السَّهْلُ والجبلُ

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تمكُرْ، ولا تُعِنْ ماكِراً، ولا تَبغِ، ولا تُعِنْ باغِياً، ولا تنكثْ، ولا تعِنْ ناكِثاً**». وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾، و﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ: ثلاث من كُنَّ فيهِ كُنَّ عليه، وتلا الآيات الثلاث، وعن النبي ﷺ: أنه قال: «**أسْرَعُ الخيرِ ثواباً صلة الرَّحِمِ، وأعجلُ الشرِّ عقاباً البغيُ، واليمينُ الفاجرةُ**». وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنه قال: لو بغَى جبل على جبل؛ لدك الباغي. ورحم الله من يقول: [البسيط]

يا صاحِبَ الْبَغْيِ إنَّ الْبَغْيَ مَصْرَعَةٌ ... فارْبِعْ فَخَيْرُ مَقَالِ الْمَرْءِ أعدَلُهُ

فَلَوْ بغَى جَبلٌ يوماً على جَبلٍ ... لَانْدَكَّ منه أعاليهِ وأسْفَلُهُ

وكان المأمون العباسي يتمثل بهذين البيتين في أخيه الأمين، حين ابتدأ بالبغي عليه، قال الشاعر الحكيم: [مجزوء الكامل]

والبغيُ يصْرَعُ أهلَهُ ... والظلمُ مرتعُهُ وَخيمُ

هذا؛ وانظر أنواع الظلم في رسالة: (الحج والحجاج في هذا الزمن).

الإعراب: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل ﴿حَرَّمْنَا﴾ بعدهما، وجملة: ﴿هَادُواْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَرَّمْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ذِى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة،

و﴿ذِى﴾: مضاف، و﴿ظُفُرٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِنَ ٱلْبَقَرِ﴾: معطوفان على: ﴿كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ فهما في محل نصب مثله، وجوز تعليقهما بالفعل بعدهما، والأول أقوى معنى. ﴿وَٱلْغَنَمِ﴾: معطوف على سابقه. ﴿حَرَّمْنَا﴾: فعل وفاعل. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شُحُومَهُمَآ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء. ﴿حَمَلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿ظُهُورُهُمَآ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: حملته... إلخ. ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾: معطوف على ما قبله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، وتقديره الكلام: أو حملته الحوايا. وقال أبو البقاء: ﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ في موضع نصب عطفاً على ﴿مَا﴾. وقيل: هو معطوف على: ﴿شُحُومَهُمَآ﴾، فتكون محرمة أيضاً، ولا وجه للقولين، تأمل. ﴿مَا﴾: معطوفة على: ﴿مَا﴾ السابقة على الوجهين المعتبرين فيها، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل المستتر إليها. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿جَزَيْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: جزيناهموه. هذا؛ وقد جوز اعتبار ﴿ذَٰلِكَ﴾ مفعولاً به ثانياً مقدماً. والمعنى لا يأباه. ﴿بِبَغْيِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من المفعول الثاني المحذوف، التقدير: كائناً بسبب بغيهم، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ سواء أكانت اسمية أم فعلية؛ فهي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَصَٰدِقُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (صادقون): خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في محل نصب حال من (نا) الفاعل، والرابط: الواو، والضمير.

﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ﴾ أي: فيما جئت به من تحليل، وتحريم، وغير ذلك من أحكام التشريع. ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ أي: من سعة رحمته: أنه لم يعاجلكم بالانتقام، فلا تغتروا بذلك، فإنه إمهال، لا إهمال، وانظر الآية رقم [١٥٥/ ٧]. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: فحين ينزل العذاب على المجرمين لا يستطيع أحد أن يرده، ويدفعه مهما أوتي من قوة.

هذا؛ وقد قيل: المعنى: ذو رحمة على المطيعين، وذو بأس شديد على المجرمين. ولا بأس. هذا؛ وسياق الكلام يدل على أن واو الجماعة عائدة على: ﴿ٱلَّذِينَ هَادُواْ﴾ في الآية السابقة، ولا بأس أن أقول: إن قوله: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ...﴾ إلخ يشمل اليهود، ومشركي أهل مكة. (قل): انظر «القول» في الآية رقم [٥/ ٧]. ﴿رَّبُّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣] (الأعراف). ﴿بَأْسُهُۥ﴾: انظر الآية رقم [٤٢]. ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٢٠/ ٥] أو رقم [٣٢] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف تفريع، واستئناف. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿كَذَّبُوكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَقُل﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (قل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمخاطب بذلك الرسول ﷺ. ﴿رَّبُّكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ذُو﴾: خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، و﴿ذُو﴾: مضاف، و﴿رَحْمَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَٰسِعَةٍ﴾: صفة: ﴿رَحْمَةٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿رَّبُّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿فَقُل...﴾ إلخ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. والجملة الشرطية: ﴿فَإِن...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿بَأْسُهُۥ﴾: نائب فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عَنِ ٱلْقَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا يُرَدُّ...﴾ إلخ معطوفة على خبر المبتدأ، أو هي معطوفة على الجملة الاسمية برمتها، وعلى كل فهي من جملة المقول.

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾: هذا إخبار عن مستقبل، ووقع مخبره يدل على إعجازه، وقد وقع مقتضاه، كما حكى سبحانه عنهم في سورة (النحل) بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾. ﴿شَآءَ﴾: انظر الآية رقم [١٨/ ٥]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة.

﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ﴾ أي: لو شاء الله خلاف ذلك مشيئة ارتضاء، كقوله: ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ لما فعلنا ما فعلنا نحن، ولا آباؤنا. أرادوا أنهم على الحق المشروع المرضي عند الله، لا الاعتذار عن ارتكاب هذه القبائح بإرادة الله إياها منهم.

﴿كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أي: مثل هذا التكذيب لك في أن الله تعالى منع من الشرك، ولم يحرم ما حرموه كذب الذين من قبلهم الرسل. انتهى بيضاوي.

﴿حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ أي: استمروا على ما هم عليه من التكذيب حتى نزل بهم عقاب الله تعالى. وفي قوله تعالى: ﴿ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ﴾ استعارة تصريحية تبعية. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك. ﴿قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ﴾: من أمر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم. ﴿فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ﴾: فتظهروه لنا، وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم، وفعلكم. ﴿إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾: ما تتبعون في تحليلكم وتحريمكم إلا الظن من غير حجة، ولا برهان. ﴿وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾ أي: تكذبون. وانظر الآية رقم [١١٦].

تنبيه: ذكرت لك: أن قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ...﴾ إلخ إخبار عن مستقبل، وقد حقق مقتضاه بما ذكرته لك من سورة (النحل). هذا؛ ولا مانع أن نقول: إن المعنى: أنهم يستمرون على هذا القول، وإن كانوا قد قالوه، وحكمة الاستقبال: أنهم كما قالوا ذلك في الماضي، منهم أيضاً من يقوله في المستقبل، وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١٤٢] (البقرة) وما ذكرته في شرحها. بعد هذا انظر «القول» في الآية رقم [٥/٧] و﴿شَيۡءٖ﴾في الآية رقم [١٩/٥] والبأساء في الآية رقم [٤٢]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿سَيَقُولُ﴾: مضارع، والسين حرف استقبال. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع فاعل، وجملة: ﴿أَشۡرَكُواْ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١٠٧] و[١١٢] ولو ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): زائدة تأكيد النفي. ﴿ءَابَآؤُنَا﴾: معطوف على (نا) وجاز ذلك لوجود الفصل بـ: (لا)، وجملة: ﴿وَلَا حَرَّمۡنَا﴾ معطوفة على جملة جواب (لولا) لا محل لها مثلها. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شَيۡءٖ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً عامله ما بعده، التقدير: «كذب الذين من قبلهم تكذيباً كائناً مثل تكذيبهم لك يا محمد». ﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَبۡلِهِمۡ﴾: متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر بعدها «أن» مقدرة. ﴿ذَاقُواْ﴾: فعل وفاعل، والألف للتفريق. ﴿بَأۡسَنَاۗ﴾: مفعول به، و(نا): في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بـ: ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل ﴿كَذَّبَ﴾، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قُلۡ﴾: أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَلۡ﴾: حرف استفهام، وتوبيخ. ﴿عِندَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والكاف في محل جر بالإضافة.

﴿مِّنْ﴾: حرف جر زائد. ﴿عِلْمٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَتُخْرِجُوهُ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد فاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله. ﴿لَنَآ﴾: متعلقان به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر معطوف على المصدر: ﴿عِلْمٍ﴾ التقدير: فهل يوجد عندكم علم فإخراج لنا. ﴿إِن﴾: حرف نفي بمعنى «ما». ﴿تَتَّبِعُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلظَّنَّ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنْ﴾: الواو: حرف عطف. ﴿إِن﴾: حرف نفي. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿تَخْرُصُونَ﴾: فعل وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا الخطاب موجه للنبي ﷺ، وانظر «القول» في الآية رقم [٥] (الأعراف). ﴿فَلِلَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾: البينة الواضحة التي بلغت غاية المتانة والقوة على الإثبات، أو بلغ بها صاحبها صحة دعواه، وهي من الحج بمعنى القصد، كأنها تقصد إثبات الحكم، وتطلبه. انتهى بيضاوي.

وقال النسفي: الحجة البالغة عليكم بأوامره، ونواهيه، ولا حجة لكم على الله بمشيئته انتهى. وقال الربيع بن أنس: لا حجة لأحد عصى الله، أو أشرك به على الله، ولكن لله الحجة البالغة على عباده. انتهى خازن. ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: بالتوفيق لها، والحمل عليها، ولكن شاء هداية قوم، وضلال آخرين، وفيه دليل على أن الله تعالى لم يشأ إيمان الكافر، ولو شاء لهداه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾، وانظر الإرادة في الآية رقم [٤١/٥] وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٨/ ٤] فإنه جيد جدّاً.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله: أنت. ﴿فَلِلَّهِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (لله): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْحُجَّةُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر، التقدير: إذا لم تكن لكم حجة؛ فلله الحجة، والجملة الشرطية على هذا الاعتبار في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَلَوْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شَآءَ﴾: ماض. وفاعله يعود إلى (الله)، والجملة الفعلية مع المفعول المحذوف لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. (هداكم): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله) والكاف مفعول به.

﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لمعنى الكاف مع الميم منصوب. . . إلخ، والجملة الفعلية: ﴿لَهَدَىٰكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للرسول ﷺ كسابقه، ولاحقه، وانظر «القول» في الآية رقم [٥/٧]. ﴿هَلُمَّ﴾: اسم فعل بمعنى: احضروا، و﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾: مفعول به، فإن اسم الفعل يعمل عمل مسماه من تعدٍّ، ولزوم، واعلم: أن فيها لغتين: لغة الحجاز، ولغة بني تميم، فأما لغة الحجاز، وبها جاء التنزيل، فإنها فيها بصيغة واحدة، سواء أسندت لمفرد، أم مثنى، أم مجموع، مذكر، أم مؤنث، نحو: هلمَّ يا زيدُ، هلمَّ يا زيدانِ، هلمَّ يا زيدونَ، هلمَّ يا هندانِ، هلمَّ يا هنداتُ. وهي على هذه اللغة اسم فعل لعدم تغيرها، والتزمت العرب فيها فتح الميم على هذه اللغة، وهي حركة بناء، بنيت على الفتح تخفيفاً. وأما لغة تميم ـ وقد نسبها الليث إلى بني سعد ـ فتلحقها الضمائر، كما تلحق سائر الأفعال، فيقال: هلمَّا يا زيدانِ، هلمُّوا يا زيدونَ، هلمّي يا هندُ، هلمَّنَّ يا هنداتُ. وقال الفراء: يقال: هلمِّينَ يا نسوة، وهي على هذه اللغة فعل صريح لا يتصرف. هذا قول الجمهور، وقد خالف بعضهم في فعليتها على هذه اللغة، وليس بشيء، والتزمت العرب فيها أيضاً على لغة تميم فتح الميم إذا كانت مسندة لضمير الواحد المذكر، ولم يجيزوا فيها ما أجازوه في: ردَّ، وشدَّ من الضم والكسر. انتهى جمل نقلاً عن السمين، ومثله في قطر الندى، ولكنه أخصر. هذا؛ وأصله عند البصريين: هَالُمَّ من: لَمَّ إذا قصد، حذفت الألف لتقدير السكون في اللام فإنه الأصل، وعند الكوفيين أصله: هل أم، فحذفت الهمزة بإلقاء حركتها على اللام. وهو بعيد؛ لأن هل لا تدخل على الأمر، ويكون متعدياً كما في الآية، ولازماً كقوله تعالى: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَاۖ﴾ انتهى بيضاوي.

بعد هذا أقول: وهو جامد على الاعتبارين، لا يأتي منه مضارع، أو اسم مضارع، ولا ماض ولا اسمه. وانظر: ﴿هَاتُواْ﴾ في الآية رقم [٢/١١١] و﴿تَعَالَوْاْ﴾ في الآية التالية. ﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾ أي: من الإنس، أو من الجن، ولا يراد به هنا الأصنام، وهو جمع: شاهد، أو شهيد. وإنما أمروا بإحضارهم؛ لتلزمهم الحجة، ويظهر ضلالهم، وأنه لا متمسك لهم سوى تقليدهم. ﴿فَإِن شَهِدُواْ﴾: بعد حضورهم. ﴿فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ﴾: فلا تصدقهم فيه، وبين لهم فساده، فإن تسليمه موافقة لهم في الشهادة الباطلة. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: إن وقع منهم شهادة؛ فإنما هي باتباع الهوى، فلا تتبع أنت أهواءهم. وانظر ﴿ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في الآية رقم [٤/١٣٥] و﴿ءَايَةٍ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ﴾: لا يصدقون، ولا يعتقدون بوجود

الآخرة، وانظر الآية رقم [٥/٣٣]. ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾: انظر الآية رقم [١] والمحال عليها، فإنه جيد، وانظر: «الحرام، والمحرم» في الآية رقم [١٤٥].

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هَلُمَّ﴾: انظر الشرح، وفاعله مستتر تقديره: «أنتم». ﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة لما قبله، أو هو بدل منه. ﴿يَشْهَدُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿حَرَّمَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الفعلية: ﴿حَرَّمَ هَٰذَا﴾ في محل رفع خبر ﴿أَنَّ﴾، و﴿أَنَّ﴾ واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: يشهدون بتحريم الله لهذا، والجملة الفعلية هذه صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿هَلُمَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَإِن﴾: الفاء: حرف استئناف، (إنْ) حرف شرط جازم. ﴿شَهِدُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها... إلخ. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): ناهية. ﴿تَشْهَدْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَعَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَلَا تَشْهَدْ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط... إلخ، وإن ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ﴾: مثل سابقه. ﴿أَهْوَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة جواب الشرط. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: معطوف على ما قبله، فهو في محل جر مثله، والجملة الفعلية: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. (هم): ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِرَبِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَعْدِلُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُم...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ
إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ
ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا
بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هو مثل سابقه. ﴿تَعَالَوْاْ﴾: انظر الآية رقم [٥/١٠٤] ففيها الكفاية. ﴿أَتْلُ﴾: أقرأ. ﴿حَرَّمَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٥]. ﴿رَبُّكُمْ﴾: انظر سورة (الأعراف) رقم [٣]

والشرك رقم [٣٣] منها أيضاً. ﴿شَيْـًٔا﴾: انظر الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ﴾: يراد في هذا اللفظ: الأب، والأم، ففيه تغليب الأب على الأم، وأيضاً في لفظ (الأبوين) تغليب، وفيه إشعار بتفضيل الأب على الأم، والذكر على الأنثى. والإحسان إلى الأبوين يكون بالقول، والفعل، والإنفاق عليهما عند عجزهما، واحتياجهما. ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾ أي: من أجل فقر، ومن خشيته، كقوله: ﴿خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾. هذا؛ وانظر قتل الأولاد في الآية رقم [١٤٠]. ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كبائر الذنوب، أو الزنى خاصة. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: بأن اطلع عليها الناس. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: بأن لم يطلع عليه إلا الله تعالى. ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ...﴾ إلخ: هذا شبيه بذكر الخاص بعد العام اعتناء بشأنه؛ لأن الفواحش يندرج فيها قتل النفس، فجرد منها هذا استعظاماً له، وتهويلاً لشأنه. ﴿ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾: كالقَوَدِ، وحدِّ الردَّة، ورجم المحصن.

فعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا يَحِلُّ دمُ امْرِئٍ مسْلمٍ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ، وأني رسولُ اللهِ إلَّا بإحدَى ثلاثٍ: الثَّيِّبُ الزاني، والنفسُ بالنفسِ، والتاركُ لدينِه المفارقُ لِلْجماعةِ»**. انتهى. متفق عليه. هذا؛ وانظر قتل المؤمن عمداً في الآية رقم [٩٣/ ٤]. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي: ما ذكر في هذه الآية. ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: تفهمون ما أباح، وما حرم. والترجي في هذه الآية، وأمثالها إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لشيء من عباده، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً! وانظر (العقل) في الآية رقم [٧٥/ ٢] أو الآية [٢٢] من سورة (الأنفال).

تنبيه: يكثر السؤال في هذه الأيام عن منع الحمل، بل وعن إسقاط الجنين باستعمال بعض العقاقير. والجواب يكون بعونه تعالى كما يلي: منع الحمل إذا كان على اتفاق بين الزوجين، ولسبب من الأسباب، كضعف الزوجة، وعجزها عن القيام بخدمة الأولاد، فهو من المباحات التي لا حرج فيها، وأما إذا كان هرباً من نفقات الأولاد، وتكاليف الحياة؛ فهو مكروه كراهةً شديدةً، وهو يدخل تحت قول الرسول ﷺ: «العزْلُ هو الوأْدُ الخفِيُّ» وإسقاط الجنين بعد التخلق مكروه كراهةً شديدةً، ما لم يكن هناك خطر على المرأة، كما يحدث في بعض الحالات، فهو من المباحات، وأما إسقاطه بعد نفخ الروح، فهو قتل نفس، ويدخل تحت الوعيد الشديد الذي ذكرته في الآية رقم [٩٣/ ٤] ما لم تكن هناك ضرورة شديدة تدعو لإسقاطه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿تَعَالَوْاْ﴾: فعل أمر، مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَتْلُ﴾: مضارع مجزوم بجواب الأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط مقدر، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية لا محل لها بمفردها، وهي مع

سابقتها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فهي على الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: حرمه ربكم عليكم، وعلى الاعتبار الثالث تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: أتل تحريم ربكم عليكم. و﴿حَرَّمَ﴾ ماض، و﴿رَبُّكُمْ﴾ فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَلَّا﴾: (أن): حرف مصدري ونصب. (لا) نافية. ﴿تُشْرِكُوا﴾: مضارع منصوب بـ: (أنْ)، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله؛ والألف للتفريق. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، أو هو نائب مفعول مطلق، و(أن) المصدرية والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل نصب بدل من الضمير المحذوف الواقع مفعولاً به. ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ﴾: متعلقان بفعل محذوف معطوف على ما قبله، ومنصوب أيضاً؛ إذ التقدير: وأن تحسنوا بالوالدين. ﴿إِحْسَانًا﴾: مفعول مطلق عامله الفعل المحذوف، ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَقْتُلُوا﴾: معطوف على: ﴿تُشْرِكُوا﴾ منصوب مثله... إلخ. ﴿أَوْلَادَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة... ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿نَحْنُ﴾: ضمير منفصل مبني على الضم في محل رفع مبتدأ. ﴿نَرْزُقُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ﴾ تعليل للنفي لا محل لها. ﴿وَإِيَّاهُمْ﴾: ضمير نصب منفصل مبني على السكون في محل نصب معطوف على الكاف الواقعة مفعولاً به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَقْرَبُوا﴾: معطوف على ما قبله منصوب أيضاً... إلخ. ﴿الْفَوَاحِشَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب بدلاً من الفواحش، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، ومن بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾ وعلى الاعتبار الثالث تؤول ما مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب بدلاً من: ﴿الْفَوَاحِشَ﴾، التقدير: ولا تقربوا الفواحش ظاهرها، وباطنها. وإعراب: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ﴾ مثل إعراب سابقه، بسبب العطف أيضاً. ﴿الَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة لـ: ﴿النَّفْسَ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: حرمها الله. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، أي إلا قتلاً ملتبساً بالحق. ﴿ذَلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَصَّاكُمْ﴾: ماض مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿اللَّهُ﴾، أو: إلى ﴿رَبُّكُمْ﴾. ﴿بِهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿ذَلِكُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل

لها من الإعراب. هذا؛ وجوز أبو البقاء اعتبار: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ مفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: أوجب عليكم، أو ألزمكم ذلكم... إلخ، وعليه فالجملة الفعلية: ﴿وَصَّىٰكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من اسم الإشارة، ويلزم تقدير: «قد» قبلها، وهو تكلف لا داعي له، وإن الابتداء باسم الإشارة أكثر من وقوعه مفعولاً به، ويعطي معنىً أقوى، ولا سيما إذا اتصل به اللام المفيدة للبعد، والكاف المفيدة للخطاب. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمه، والميم علامة جمع الذكور. ﴿تَعْقِلُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لعل)، والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ تعليل للوصاية لا محل لها.

تنبيه: الإعراب المتقدم هو الإعراب الظاهر، والمتبادر. وتتميماً للفائدة، أنقل لك ما ذكره ابن هشام في مغنيه من أوجه، فقال طيب الله ثراه: فقيل: إن (لا) نافية. وقيل: ناهية. وقيل: زائدة، والجميع محتمل.

وحاصل القول في الآية أن ﴿مَا﴾ خبرية بمعنى الذي، منصوبة بـ ﴿أَتْلُ﴾، و﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ صلة، و﴿عَلَيْكُمْ﴾ متعلقان بـ: ﴿حَرَّمَ﴾، هذا هو الظاهر، وأجاز الزجاج كون ﴿مَا﴾ استفهامية منصوبة بحرم، والجملة محكية بـ ﴿أَتْلُ﴾؛ لأنه بمعنى: أقول، ويجوز أن يعلق ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بـ ﴿أَتْلُ﴾، ومن رجح إعمال أول المتنازعين، وهم الكوفيون رجحه على تعلقه بـ: ﴿حَرَّمَ﴾، وفي (أن) وما بعدها أوجه:

أحدها: أن يكون في موضع نصب بدلاً من: ﴿مَا﴾ وذلك على أنها موصولة، لا استفهامية؛ إذ لم يقترن البدل بهمزة الاستفهام.

الثاني: أن يكون في موضع رفع خبراً لـ: «هو» محذوفاً، أجازهما بعض المعربين، وعليهما فـ: (لا) زائدة، قاله ابن الشجري، والصواب: أنها نافية على الأول، وزائدة على الثاني.

الثالث: أن يكون الأصل: أبين لكم ذلك؛ لئلا تشركوا، وذلك لأنهم إذا حرم عليهم رؤساؤهم ما أحله الله سبحانه، فأطاعوهم؛ أشركوا؛ لأنهم جعلوا غير الله بمنزلته.

والرابع: أن الأصل أوصيكم بأن لا تشركوا، بدليل: أن ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ معناه: وأوصيكم بالوالدين، وأن في آخر الآية ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾. وعلى هذين الوجهين، حذفت الجملة، وحرف الجر.

والخامس: أن التقدير: أتل عليكم أن لا تشركوا، فحذف مدلولاً عليه بما تقدم، وأجاز هذه الأوجه الثلاثة الزجاج.

والسادس: أن الكلام تم عند: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ ثم ابتدئ: عليكم أن لا تشركوا، وأن تحسنوا بالوالدين إحساناً، وأن لا تقتلوا، ولا تقربوا، فـ: ﴿عَلَيْكُمْ﴾ على هذا اسم فعل بمعنى: الزموا.

و(أنْ) في الأوجه الستة مصدرية و(لا) في الأوجه الأربعة الأخيرة نافية.

والسابع: أنَّ (أنْ) مفسرة بمعنى: (أي)، و(لا) ناهية، والفعل مجزومٌ لا منصوب، وكأنه قيل: أقول لكم: لا تشركوا به شيئاً، وأحسنوا بالوالدين إحساناً. وهذان الوجهان الأخيران أجازهما ابن الشجري. انتهى مغني بحروفه.

أقول: ذكر الأوجه المتقدمة سليمان الجمل بتغيير بعض العبارات، والمؤدى واحد، وزاد: ثامناً، وتاسعاً.

فالوجه الثامن: أنَّ (أنْ) وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع على الابتداء، والخبر الجارُّ قبله، والتقدير: عليكم عدم الإشراك، ويكون الوقف على قوله: ﴿حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ كما تقدم في وجه الإغراء، وهو مذهب أبي بكر ابن الأنباري.

والوجه التاسع: أن تكون في موضع رفع بالفاعلية بالجارِّ قبلها، وهو ظاهر قول ابن الأنباري المتقدم، والتقدير: استقر عليكم عدم الإشراك انتهى.

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ أي: ولا تقربوا مال اليتيم إلا بما فيه صلاحه، وتثميره، وتحصيل الربح له، فلا تأخذوا منه شيئاً. وهذا إذا كان القيم على مال اليتيم غنيّاً، غير محتاج إليه، فلو كان الوصي، أو القيم فقيراً؛ فله أن يأكل بالمعروف. انظر الآية رقم [٦/ ٤]. ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾: فقد اختلف في (الأَشُدِّ) على أقوال كثيرة، والمراد بـ:(الأَشُدِّ) في هذه الآية، وأمثالها هو ابتداء بلوغ الحلم مع إيناس الرشد، وهو فحوى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾ الآية رقم [٦] من سورة (النساء).

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾: يعني بالعدل من غير زيادة، ولا نقصان. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾: طاقتها في ذلك، وذكره عقيب الأمر معناه: أن إيفاء الحق عسير، فكأنه قيل: عليكم بما في وسعكم، وطاقتكم، وما عداه غير مؤاخذين به. وانظر (نا) في الآية رقم [٣٢] (المائدة) وانظر الآية رقم [٧/٤١] و[٢/٢٨٥]. ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ﴾ أي: تكلمتم في حكم، أو غيره. ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾: في قولكم، وحكمكم. ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ أي: ولو كان المحكوم عليه صاحب قرابة. وما أجدرك أن تنظر نص الآية رقم [٤/١٣٥] ورقم [٥/٨] ففيهما الدواء الناجع. ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟﴾ أي: ما عهد إلى عباده، ووصاهم به، وأوجبه عليهم. أو ما أوجبه الإنسان على نفسه، كنذر، ونحوه، فيجب الوفاء به. انتهى. خازن. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥/١]. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: هو مثل الآية السابقة، وقد قرئ بتشديد الكاف، وتخفيفها.

تنبيه: نهى الله عن قربان مال اليتيم. فضلاً عن أكله، والقاعدة: أن الأحكام إذا كانت نواهِيَ، يقال فيها: فلا تقربوها، على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ﴾ وهكذا، وإن كانت أوامر يقال فيها: لا تعتدوها، أي لا تتجاوزوها بأن لا تفعلوا، وماهنا من قبيل الأول. وتخصيص اليتيم بالذكر مع أن حال البالغ وماله كذلك؛ لأن طمع الطامعين فيه أكثر لضعفه، ولعظم إثمه. بعد هذا انظر شرح (المال) في الآية رقم [٢/١٧٦] و[٨/٢٨] و﴿ٱلْيَتِيمِ﴾: في الآية رقم [٢/٨٣] والميزان إعلاله مثل إعلال: ﴿مِيثَٰقَ﴾ في الآية رقم [٥/٨] ﴿قُلْتُمْ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٨] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَقْرَبُوا۟﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلْيَتِيمِ﴾: مضاف إليه، ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بِٱلَّتِى﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز أن يكونا متعلقين بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، والجملة الاسمية: ﴿هِىَ أَحْسَنُ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَبْلُغَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلْيَتِيمِ﴾. ﴿أَشُدَّهُۥ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟﴾ وما بينهما معترض لا محل له. (أوفوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿أَوْفُوا۟﴾ في الآية رقم [٥/١]. ﴿ٱلْكَيْلَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أي: مقسطين، وجملة: ﴿وَأَوْفُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُكَلِّفُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وُسْعَهَا﴾: مفعول به ثان، وها: في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا نُكَلِّفُ...﴾ إلخ مستأنفة، أو معترضة لا محل لها. ﴿وَإِذَا﴾: الواو: حرف عطف. (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿قُلْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة إذا إليها. ﴿فَٱعْدِلُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جوابها. (اعدلوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب. (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هو معطوف على جملة: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟...﴾ إلخ. ﴿وَلَوْ﴾: الواو: واو الحال، (لو): وصلية هنا. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر مفهوم من المقام، التقدير: ولو كان المقول، أو المحكوم عليه. ﴿ذَا﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء

الخمسة، و﴿ذَا﴾: مضاف، و﴿قُرۡبَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، وجملة: ﴿وَلَوۡ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو فقط، واعتبار (لو) امتناعية يحوج إلى تقدير جواب لها، ولا داعي لذلك. (بعهد): متعلقان بالفعل بعدهما، و(عهد) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَوۡفُواْۚ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها أيضاً. ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية السابقة.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾

الشرح: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي...﴾ إلخ: الإشارة إلى ما ذكر في السورة الكريمة، فإنها بأسرها في إثبات التوحيد، والنبوة، وبيان الشريعة. هذا قول البيضاوي.

وقال الخازن، وغيره: الإشارة إلى ما ذكر في الآيتين السابقتين من الوصايا، ويدخل فيه أيضاً جميع أحكام الشريعة، وكل ما بينه رسول الله ﷺ من تعاليم دين الإسلام. هذا؛ وقد قرئ بفتح همزة (أنَّ) وكسرها، كما قرئ بالفتح، وسكون النون، وانظر: ﴿صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ في الآية رقم [١٦/ ٥]. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ يعني: الطرق المختلفة، والأهواء المضلة، والبدع الخبيثة. وانظر: ﴿سُبُلَ﴾ في الآية رقم [١٦/ ٥] و[٧/١٤٢]. ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ أي: فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه، وطريقه الذي ارتضاه لعباده.

روى البغوي بسنده عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطّاً، ثم قال: «**هذا سبيلُ الله**». ثُمّ خطَّ خُطوطاً عن يمينه، وعن شمالِهِ، وقال: «**هذه سُبُلٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**». وقرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا﴾.

وقال النسفي: روي: أن رسول الله ﷺ خط خطّاً مستوياً، ثم قال: «**هذا سبيل الرشد، وصراط الله، فاتبعوه**». ثم خط على كل جانب ستة خطوط ممالة، ثم قال: «**هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، فاجتنبوها**». وتلا هذه الآية. ثم يصير كل واحد من الاثني عشر طريقاً ستة طرق، فتكون اثنين وسبعين.

أقول: وهذه كلها في النار، وتبقى الفرقة الثالثة والسبعون، وهذه هي الناجية التي تسير **على** سنة محمد، وسنة خلفائه الراشدين الهادين المهتدين من بعده. وانظر الحديث المروي عن النبي ﷺ في الآية رقم [١٥٩] الآتية تجد ما يسرك.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: ﴿تَتَّقُونَ﴾: لتكونوا على رجاء إصابة التقوى، ذكر سبحانه أولاً: ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ثم: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم: ﴿تَتَّقُونَ﴾ لأنهم إذا عقلوا؛ تفكروا، ثم تذكروا، أي: اتعظوا فاتقوا المحارم. انتهى. نسفي بتصرف.

قال سليمان الجمل: وحاصل ما ذكر في هاتين الآيتين ـ يعني السابقتين إلى: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ من المحرمات عشرة أشياء: خمسة بصيغ النهي، وخمسة بصيغ الأمر، وتؤول الأوامر بالنهي لأجل التناسب، ثم قال: وفي أبي السعود، وهذه الأحكام العشرة لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار.

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذه آيات محكمات، لم ينسخهن شيء في جميع الكتب، وهن محرمات على بني آدم كلهم، وهن أم الكتاب، من عمل بهن دخل الجنة، ومن تركهن دخل النار. وعن كعب الأحبار، والذي نفس كعب بيده: إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ...﴾ الآيات. انتهى بحروفه.

الإعراب: ﴿وَأَنَّ﴾: الواو: حرف عطف. (أنَّ): حرف مشبه بالفعل على تشديد النون، ومخففة من الثقيلة على سكونها، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم: (أنَّ) أو في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿صِرَٰطِى﴾: خبر (أنَّ)، أو خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة؛ والجملة الاسمية: ﴿هَٰذَا صِرَٰطِى﴾ في محل رفع خبر (أنَّ). وعلى تخفيفها، وعلى فتح همزتها تؤول مع اسمها، وخبرها بمصدر في محل جر بحرف الجر محذوف، التقدير، ولأن هذا... إلخ، والجار والمجرور هذان معطوفان على المصدر المؤول من قوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ﴾ والمجرور بحرف جر محذوف، وعلى كسر همزة (إنَّ)، فالجملة تكون اسمية، وهي مستأنفة لا محل لها، وعطفها على الجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم...﴾ إلخ ممكن. هذا؛ وقد ذكر أبو البقاء في المصدر المؤول على فتح همزة (أن) ثلاثة أوجه: أحدها تقدير: ولأن هذا؛ واللام متعلقة بقوله: ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي: ولأجل استقامته اتبعوه. والثاني: أنه معطوف على: ﴿مَا حَرَّمَ...﴾ إلخ أي: وأتلو عليكم: أن هذا صراطي. والثالث: هو معطوف على الهاء في: ﴿وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾. وهو فاسد. وأقول المرضي من أقواله الثلاثة الثاني، وهو مقارب لما ذكرته في الإعراب، ﴿مُسْتَقِيمًا﴾: حال من: ﴿صِرَٰطِى﴾، وهي حال مؤكدة، والعامل فيها اسم الإشارة. ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اتبعوه): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً وواقعاً؛ فاتبعوا هذا الصراط المستقيم، وانظر الآية رقم [٣٩]. (لا): ناهية. ﴿تَتَّبِعُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على

ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿ٱلسُّبُلَ﴾: مفعول به. ﴿فَتَفَرَّقَ﴾: الفاء: هي للسببية. (تفرق): مضارع حذف منه إحدى التاءين منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلسُّبُلَ﴾. ﴿بِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعول به، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال. ﴿عَن سَبِيلِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و«أن» المضمرة، والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم اتباعٌ، فتفرقٌ. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥١].

﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [٤٣/٥]. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: أعطينا. ﴿مُوسَى﴾: انظر الآية رقم [٢٠/٥]. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: المراد به: التوراة التي أنزلها الله على موسى، عليه السلام. ﴿تَمَامًا﴾ أي: إتماماً للنعمة التي أنعمها الله على بني إسرائيل. ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ﴾ أي: على من أحسن القيام بتعاليم هذا الكتاب. هذا؛ وقد قرئ: (على الذين أحسنوا)، كما قرئ: (أحسنُ) بالرفع وبدون واو. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: بياناً مفصلاً، وموضحاً لكل ما يحتاج إليه في الدين. هذا؛ وانظر: ﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [١٩/٥]. ﴿وَهُدًى﴾: انظر الآية رقم [٩١]. ﴿لَّعَلَّهُم﴾: لعل بني إسرائيل يؤمنون، ويصدقون بلقاء ربهم للجزاء والحساب. وانظر الترجي في الآية رقم [١٥١].

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف على ﴿وَصَّىٰكُم﴾ وهي لترتيب الإخبار، وليست هنا للترتيب الحقيقي، وإلا أفاد الترتيب عكس الواقع. ﴿ءَاتَيْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿حَلَلْتُمْ﴾ في الآية رقم [٢/٥]. ﴿مُوسَى﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾: مفعول به ثان. ﴿تَمَامًا﴾: يجوز فيه خمسة أوجه: أحدها: أنه مفعول لأجله، أي: لأجل تمام نعمتنا. الثاني: أنه حال من ﴿ٱلْكِتَٰبَ﴾. الثالث: أنه مفعول مطلق؛ لأنه بمعنى آتيناه إيتاء تمام لا نقصان. الرابع: أنه حال من الفاعل، أي: متممين. الخامس: أنه مصدر منصوب بفعل مقدر من لفظه، ويكون على حذف الزوائد، التقدير: أتممناه إتماماً. ﴿عَلَى ٱلَّذِىٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿تَمَامًا﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿أَحْسَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِىٓ﴾ ومفعوله محذوف، تقديره: العمل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. هذا؛ وعلى قراءة: (أحسنوا) فهو فعل، وفاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول، وعلى قراءة: (أحسن) برفع النون فهو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: الذي هو أحسن، وعليه فالجملة اسمية، وهي صلة الموصول لا محل لها. (تفصيلاً): معطوف على: ﴿تَمَامًا﴾. ﴿لِّكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿وَتَفْصِيلًا﴾ أو بمحذوف صفة له، و(كل): مضاف، و﴿شَىْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿وَهُدًى﴾:

معطوف على: ﴿تَمَامًا﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. (رحمة): معطوف على ما قبله. ﴿لَّعَلَّهُم﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء في محل نصب اسمها. ﴿بِلِقَآءِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و(لقاء) مضاف، و﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ) والجملة الاسمية: ﴿لَّعَلَّهُم...﴾ إلخ مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: انظر الآية رقم [٩٢] ففيها الكفاية. ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾ أي: فاعملوا بما فيه من الأوامر، والنواهي، والأحكام. ﴿وَٱتَّقُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٣٥/ ٥]. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: انظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [١٥١].

الإعراب: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٩٢]. ﴿فَٱتَّبِعُوهُ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٥٣] ومحلها مثلها أيضاً. (اتقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّكُمْ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَن تَقُولُوٓا۟﴾ أي: أنزل الله القرآن؛ لئلا تقولوا يا معشر قريش... إلخ، وانظر «القول» في الآية رقم [٥] (الأعراف). ﴿إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا﴾ أي: اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة، والنصارى الذين أنزل عليهم الإنجيل. وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب. وانظر: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: شرحه في الآية رقم [٢/ ٧]. هذا؛ و(طائفة) الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل: (فريق) المذكور في الآية رقم [٨١]. ﴿وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: قراءة كتبهم. ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: لا علم لنا بشيء من ذلك. والخطاب لأهل مكة، والمراد إثبات الحجة عليهم، بإنزال القرآن على محمد ﷺ كي لا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة، والإنجيل قد أنزلا على اليهود، والنصارى، وهما بغير لغتنا، فلم نعرف ما فيهما. فقطع الله عذرهم بإنزال القرآن عليهم بلغتهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿تَقُولُوٓا۟﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، و﴿أَن﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، و«لا» مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا تقولوا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ في الآية السابقة. وقيل: متعلقان بـ: ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾ مقدراً لئلا يلزم الفصل بين العامل، والمعمول بأجنبي إن علقا بالمذكور. وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهية قولكم: ﴿إِنَّمَآ...﴾ إلخ، فهو مفعول لأجله، وانظر الشاهد [٤٨] من كتابنا: «فتح القريب المجيب». ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعله. ﴿عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وتعليقهما بمحذوف حال من: ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾ فيه ضعف. ﴿مِن قَبْلِنَا﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿طَآئِفَتَيْنِ﴾، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِن﴾: الواو: واو الحال. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة لا عمل لها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿عَن دِرَاسَتِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَغَٰفِلِينَ﴾: اللام: هي الفارقة بين العاملة والمهملة. (غافلين): خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَإِن...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا)، والرابط: الواو، والضمير. وهذا الإعراب إنما هو على مذهب البصريين، وأما الكوفيون، فيقولون: إن (إن) نافية بمعنى «ما»، واللام بمعنى: «إلا»، والتقدير عندهم: «وما كنا عن دراستهم إلا غافلين». والأقوى عند جمهور النحاة، والمعتمد عندهم هو قول البصريين. وقال ابن مالك ـ رحمه الله ـ في ألفيته: [الرجز]

وخُفِّفَتْ إِنَّ فَقَلَّ العَمَلُ وتَلْزَمُ اللَّامُ إِذَا مَا تُهْمَلُ

﴿أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾: الخطاب لمشركي العرب كالذي قبله. ﴿لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي: التوراة، أو الإنجيل، أو كتاب مثلهما. ﴿لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾: أهدى من اليهود، والنصارى، وذلك لحدة أذهاننا، وثقافة أفهامنا، وغزارة حفظنا لأيام العرب، ولذلك تلقفنا فنوناً من العلم، كالقصص، والأشعار، والخطب مع أننا أميون، لا نقرأ، ولا نكتب. ﴿جَآءَكُم﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿بَيِّنَةٌ﴾: حجة واضحة تعرفونها، وبرهان ساطع ترونه بأعينكم، وتسمعونه بآذانكم. ﴿رَّبِّكُمْ﴾:

انظر الآية رقم [٣/٧]. ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: لمن تأمل فيه، وعمل به، والمراد بذلك القرآن العظيم. ﴿كَذَّبَ﴾: يقرأ بالتخفيف، والتشديد. ﴿بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: آيات القرآن التي أنزلت على قلب محمد ﷺ. وانظر الآية رقم [٤]. والمعنى: لا أحد أظلم ممن سمع آيات الله، ثم كذب بها بعد أن عرف صحتها، وتمكن من معرفتها. ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾: أعرض عنها. وانظر الآية رقم [٤٦]. ﴿سَنَجْزِي﴾: انظر الآية رقم [١٢٠]. ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: أسوأ العذاب، وأشده. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾: بسبب إعراضهم عن آيات الله بعد إذ أنزلت عليهم. وانظر إعلال: ﴿وَهُدًى﴾ في الآية رقم [٩١].

تنبيه: قال الخازن: إن جماعة من الكفار قالوا: لو أنزل علينا ما أنزله الله على اليهود، والنصارى؛ لكنا خيراً منهم وأهدى. وإنما قالوا ذلك لاعتمادهم على صحة عقولهم، وجودة فطنتهم، وذهنهم. انتهى.

الإعراب: ﴿أَوْ تَقُولُوا۟﴾: معطوف على مثله في الآية السابقة منصوب، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّآ﴾: (أنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان به. ﴿ٱلْكِتَٰبُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر. انظر محله، وما قيل فيه في الآية رقم [٥٨]. ﴿لَكُنَّآ﴾ اللام: واقعة في جواب لو. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمها. ﴿أَهْدَىٰ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿أَهْدَىٰ﴾، والجملة الفعلية: ﴿لَكُنَّآ...﴾ إلخ جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها من الإعراب، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿فَقَدْ﴾: الفاء: حرف تعليل، أو هي الفصيحة، فعلى الأول يكون التقدير: لا تعتذروا بذلك؛ لأنه قد... إلخ، وعلى الثاني يكون التقدير: إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم من كونكم أهدى من الطائفتين على تقدير نزول الكتاب عليكم؛ فقد حصل ما فرضتم، وجاءكم بينة. انتهى.. جمل نقلاً عن أبي السعود، وقريب منه في روح البيان. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَكُم﴾: ماض، والكاف مفعول به. ﴿بَيِّنَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَيِّنَةٌ﴾ وجملة: ﴿فَقَدْ جَآءَكُم...﴾ إلخ لا محل لها على الوجه الأول في الفاء، وفي محل جزم جواب الشرط المقدر على الوجه الثاني فيها. ﴿وَهُدًى﴾: معطوف على بينة مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام بمعنى النفي مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره. ﴿مِمَّن﴾: متعلقان بـ: ﴿أَظْلَمُ﴾، ومن تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ: (مِنْ)، والجملة

الفعلية: ﴿كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صلة: (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿وَصَدَفَ عَنْهَا﴾ معطوفة عليها. ﴿سَنَجْزِى﴾: السين: حرف استقبال. (نجزي): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مفعوله الأول. وجملة: ﴿يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿سُوٓءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة للموصوف، ﴿بِمَا﴾: متعلقان بالفعل: (نجزي) وما تحتمل الموصوفة، والموصولة، والمصدرية، والجملة الفعلية بعدها صفتها، أو صلتها، والرابط، أو العائد محذوف، التقدير: بشيء، أو: بالذي كانوا يصدفون عنه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بصدوفهم، أو بصدفهم عن آيات الله. وانظر الآية رقم [١٢٤]. وجملة: ﴿سَنَجْزِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون. يعني: أهل مكة. وهم ما كانوا منتظرين لذلك، ولكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر؛ شبهوا بالمنتظرين انتهى بيضاوي. وقال الخازن: وتقدير الآية: أنهم لا يؤمنون بك إلا إذا جاءتهم إحدى هذه الأمور الثلاث، فإذا جاءتهم إحداها؛ آمنوا، وذلك حين لا ينفعهم إيمانهم. انتهى. ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٤]. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: انظر الآية رقم [١١] (الأعراف). والمراد: ملائكة الموت، أو ملائكة العذاب. ﴿يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره بالعذاب. وقال الخازن: يعني للحكم، وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة. وانظر الآية رقم [٢/٢١٠] لشرح هذا المجيء، والإتيان. أو ﴿يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ أي: علامات الساعة.

عن حذيفة بن أسد الغفاري، والبراء بن عازب ـ رضي الله عنهما ـ قالا: كنا نتذاكر الساعة؛ إذ أشرف علينا رسول الله ﷺ، فقال: «**ما تَذَاكرونَ؟ قُلْنَا: نَتَذَاكَرُ الساعةَ، قَالَ: إِنَّهَا لا تقومُ حَتَّى تَرَوْا قبلها عشرَ آياتٍ، الدخانَ، ودابةَ الأرضِ، وخسفاً بالمشرقِ، وخسفاً بالمغربِ، وخسفاً بجزيرةِ العربِ، والدجالَ، وطلوعَ الشمسِ من مغْرِبها، ويأجوجَ، ومأجوجَ، ونزولَ عيسى عليه الصلاة والسلام، وناراً تخرجُ مِنْ عَدَنٍ**». ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾: المراد به طلوع الشمس من مغربها، وهو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وذلك: أن الكفار يسلمون في زمن عيسى، عليه الصلاة والسلام، ولو لم ينفع الكفار إيمانهم أيام عيسى؛ لما صار الدين واحداً، فإذا قبض عيسى، ومن معه من المسلمين، رجع أكثرهم إلى الكفر، فعند ذلك تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس؛ آمن من على وجه الأرض حين لا ينفع نفساً

إيمانها لم تكن آمنت من قبل، وكذلك لا ينفع مؤمناً لم يكن عمل صالحاً قبل الطلوع عمل صالح بعد الطلوع؛ لأن حكم الإيمان، والعمل الصالح حينئذ حكم من آمن، أو عمل عند الغرغرة، وذلك لا يفيد شيئاً، كما قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا﴾. انتهى جمل نقلاً عن الخازن بتصرف كبير مني.

﴿ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾: تهديد، ووعيد للمشركين، أي: انتظروا إتيان أحد الثلاثة المذكورة، فإنا منتظرون له، وحينئذ يكون لنا النصر، والغلبة، والعزة، والكرامة، ويكون لكم الذلة، والمهانة، وغضب الله تعالى، ثم دخول جهنم. وبئس المصير! ولا تنس: أن الخطاب موجه للنبي ﷺ. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَأْتِيَهُمُ﴾: مضارع منصوب بـ: ﴿أَن﴾، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: فاعله، و﴿أَن﴾ المصدرية، والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿يَأْتِىَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله. وهو على حذف مضاف كما رأيت في الشرح، فلما حذف المضاف حل المضاف إليه محله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿يَأْتِىَ﴾: معطوف على ما قبله أيضاً. ﴿بَعْضُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف إليه، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿لَا يَنفَعُ﴾ بعده. هذا؛ وقد قرئ برفعه على اعتباره مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ في محل رفع خبره. ﴿يَأْتِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل. ﴿بَعْضُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف إليه، و﴿ءَايَٰتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنفَعُ﴾: مضارع. ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به. ﴿إِيمَٰنُهَا﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَا يَنفَعُ...﴾ إلخ مستأنفة على نصب: ﴿يَوْمَ﴾ وتعليقه به، وهي في محل رفع خبره على رفعه، واعتباره مبتدأ، وتكون الجملة الاسمية: ﴿يَوْمَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، ولا تنس: أن جملة: ﴿يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها، على رفعه ونصبه. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿تَكُنْ﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، واسمه مستتر تقديره: «هي» يعود إلى نفساً. ﴿ءَامَنَتْ﴾: فعل ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى: ﴿نَفْسًا﴾ أيضاً، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿تَكُنْ﴾. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وبني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً، وجملة: ﴿لَمْ تَكُنْ...﴾ إلخ في محل نصب صفة: ﴿نَفْسًا﴾، وجوز اعتبارها مستأنفة. ﴿كَسَبَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود

إلى ﴿نَفْسًا﴾ أيضاً. ﴿فِىٓ إِيمَٰنِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿خَيْرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ معطوفة على جملة: ﴿ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ فهي في محل نصب مثلها. ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱنتَظِرُوٓا﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، وقد حذفت النون للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿مُنتَظِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ تعليل للأمر لا محل لها.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ﴾: بدَّدوه، فآمنوا ببعض، وكفروا ببعض، أو افترقوا فيه.

قال رسول الله ﷺ: «**افترقت اليهودُ على إحْدَى وسبعين فِرقةً، كلُّها في الهاويةِ إلا واحدةً، وافترقتِ النصارى على اثنتين وسبعين فرقةً، كلُّها في الهاوية إلا واحدةً، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في الهاوية، إلا واحدةً**». انتهى بيضاوي. أقول: وفي رواية أخرى: «**وهي: ما أنا عليه وأصحابي**». اللهم اهدنا بهدي نبينا، وهدي خلفائه الراشدين، وصحابته أجمعين، وثبتنا بالقول الثابت في الدنيا، والآخرة يا أرحم الراحمين. هذا؛ وقرئ (فارقوا). ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ أي: أحزاباً متفرقة في الضلالة.

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية: هم أهل الضلالة من هذه الأمة، وروي ذلك مرفوعاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الذين فرقوا دينهم، وكانوا شِيَعاً لَسْتَ منهم في شَيْءٍ وليسوا مِنْكَ هُمْ أهلُ البِدَعِ، وأهلُ الشُّبُهَاتِ، وأهلُ الضلالةِ مِنْ هذِهِ الأمة**». أسنده الطبري، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: أنه قال: «**وإنه سيخرجُ في أمتي أقوامٌ تتجارى بهم الأهواءُ، كما يتجارى الكلبُ بصاحبِهِ، ولا يبقى منه عِرْقٌ، ولا مِفْصَلٌ، إلا دَخَلَهُ**». أخرجه أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص. انتهى خازن. وانظر الآية [٦٥]. ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ أي: أنت بريء منهم، وهم منك براء. وهو أحسن تفسير أرتضيه. وقيل: معناه: لست مأموراً بقتالهم. وقيل: معناه: لست في شيء كائن من تفريقهم. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: حسابهم، وجزاؤهم إلى الله، فهو الذي يتولى ذلك. ﴿لَّسْتَ﴾: انظر الآية رقم [٦٦]. ﴿شَىْءٍ﴾: انظر الآية رقم [١٩/٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿يُنَبِّئُهُم﴾: انظر الآية رقم [١٤/٥]. هذا؛ وحكم الآية منسوخ بآية السيف.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿فَرَّقُواْ﴾: فعل ماض، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ءَامَنُواْ﴾ في الآية رقم [١/ ٥]. ﴿دِينَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَّسْتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿شَيْءٍ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿فِي شَيْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (ليس)، وجملة: ﴿لَّسْتَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّمَآ﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَمْرُهُمْ﴾: مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ...﴾ إلخ تعليل للنفي، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿يُنَبِّئُهُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والهاء مفعول به أول، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وانظر بقية الإعراب في الآية رقم [١٥٦] والآية رقم [٤/ ١٢] وغيرهما مما تقدم مفصلاً، والجملة الفعلية: ﴿يُنَبِّئُهُم...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿جَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: فعل الخير على وجه العموم، وتقييدها وحصرها بـ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ لا وجه له. ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ أي: عشر حسنات أمثالها فضلاً من الله، وكرماً، وجوداً منه. وقرئ: (عشرةٌ أمثالها) بالتنوين، و(أمثالُها) بالرفع على الوصف، وهذا أقل ما وعد به سبحانه من الأضعاف، وقد جاء الوعد بسبعين، وبسبعمئة، وبغير حساب، ولذلك قيل: المراد بالعشر الكثرة دون العدد. انتهى بيضاوي. وانظر شرح: ﴿عَشْرُ﴾ في الآية رقم [٨٩] من سورة (المائدة).

أقول: ويختلف العدد الموعود به بحسب الأشخاص الفاعلين، وبحسب الأحوال، والأزمنة، والأمكنة، كما هو معروف، ومشهور. وانظر الكلام على: ﴿مِثْلَ﴾ في الآية رقم [٩٣] ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: فعلة الشر، والسوء على وجه العموم، وتقييدها وحصرها بالشرك لا وجه له. هذا؛ وإعلال (السيئة) مثل إعلال: ﴿ٱلْمَيِّتِ﴾ في الآية رقم [٩٥]. ﴿يُجْزَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٢٠]. ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أي: لا يظلم المحسن بإنقاص شيء من ثوابه، ولا يظلم المسيء بزيادة ما يستحقه من العقاب. وانظر «الظلم» و«البغي» في الآية رقم [١٤٦] وما أحراك أن تقرأ آية (النساء) رقم [٤٠].

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿مَن﴾ تقديره: «هو». ﴿بِٱلْحَسَنَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز اعتبارهما متعلقين بمحذوف حال، أي: ملتبساً بالحسنة. ﴿فَلَهُۥ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (له): متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿عَشْرُ﴾: مبتدأ مؤخر، و﴿عَشْرُ﴾: مضاف، و﴿أَمْثَالِهَا﴾: مضاف إليه، و(ها): في محل جر بالإضافة، وعلى القراءة الثانية، فـ: (أمثالُها) بالرفع صفة: ﴿عَشْرُ﴾. والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان، وهو المرجح لدى المعاصرين. هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَن﴾ موصولة؛ فهي مبتدأ، وجملة: ﴿جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ في محل رفع خبرها، زيدت الفاء في خبره؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾: إعرابه مثل سابقه. (لا): نافية. ﴿يُجْزَىٰٓ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، ونائب الفاعل يعود إلى (مَنْ)، وهو المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مِثْلَهَا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط، أو في محل رفع خبر المبتدأ على نحو ما رأيت في الجملة قبلها، والجملة الاسمية على الوجهين معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. (هم): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُظْلَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله. والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ في محل نصب حال من الفاعل المستتر العائد على (مَنْ) في الجملتين، والرابط: الواو، والضمير. ولا تنس أنَّه روعي لفظ (مَنْ) في الجملتين السابقتين، وروعي معناها في هذه الجملة.

﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . . .﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا موجه للنبي ﷺ، كسابقه، ولاحقه. ﴿هَدَىٰنِى﴾: أرشدني، ودلني، ويأتي بمعنى التثبيت كما في سورة (الفاتحة). ﴿رَبِّىٓ﴾: انظر سورة (الفاتحة) رقم [١] أو [٣/ ٧]. ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: المراد به دين الإسلام. وانظر الآية رقم [١٦/ ٥] فإنه جيد.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّنِى﴾: حرف مشبه بالفعل، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿هَدَىٰنِى﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿رَبِّىٓ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما.

﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾: صفة ﴿صِرَٰطٍ﴾، وجملة: ﴿هَدَىٰنِى...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّنِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿. . . دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾

الشرح: ﴿دِينًا﴾: الدين اسم لجميع ما يعبد به الله تعالى. والدين أيضاً: الملة والشريعة. ومن هذا قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾. والدين: الحساب، والجزاء، ومنه: يوم الدين، أي: يوم الجزاء، والحساب، ومنه: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: يوم الدين يوم حساب الخلائق، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشر، إلا من عفا الله عنه، والأمر أمره. ثم قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾. هذا؛ والدين بفتح الدال القرض المؤجل، وجمع الأول أديان، وجمع الثاني ديون، وأدْيُن. هذا؛ والدينونة: القضاء، والحساب، والديانة: اسم لجميع ما يتعبد به الله. ﴿قِيَمًا﴾: يقرأ بالتشديد، وبالتخفيف، أي: مستقيماً لا عوج فيه، فعلى الأول أصله: قيْوِماً، فقلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء. وعلى الثاني أصله: قِوَماً، فقلبت الواو ياء لمناسبة الكسرة قبلها. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥/٤] والآية [٥/٩٧] فإنه جيد. ﴿مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾: دين، وطريقة إبراهيم، وهي بكسر الميم، وهي بفتح الميم: الرماد الحار. ﴿حَنِيفًاۚ﴾: انظر الآية رقم [٧٩]. ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: تعريض بقومه بأنهم كافرون مشركون، لعبادتهم الحجارة، والأوثان، وهي لا تضر، ولا تنفع، كما هو تعريض باليهود والنصارى.

الإعراب: ﴿دِينًا﴾: بدل من محل ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ﴾؛ لأنه المفعول الثاني، و(هدى) يتعدى تارة بإلى كما هنا، وتارة بنفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ وكما في سورة (الفاتحة)، وجوز اعتباره منصوباً بفعل مضمر، أي: عرفني ديناً قيماً، أو: الزموا ديناً، كما جوز نصبه على المصدرية على المعنى، أي: هداني هداية دين قيم. ولا وجه له.

وقال أبو البقاء: إنه مفعول ثان لـ ﴿هَدَىٰنِى﴾. ولا وجه له؛ لأن المفعول الثاني هو المجرور بإلى، فاكتفى به، ولا يصح اعتباره من تعدد المفعول الثاني؛ لأن ﴿هَدَىٰنِى﴾ ليس من أفعال اليقين. ﴿قِيَمًا﴾: صفة ﴿دِينًا﴾ مبالغة. ﴿مِّلَّةَ﴾. بدل من ﴿دِينًا﴾ أو عطف بيان عليه، وجوز اعتباره منصوباً بفعل محذوف، التقدير، أعني، و﴿مِّلَّةَ﴾ مضاف، و﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿حَنِيفًاۚ﴾: حال من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقال أبو البقاء: أو على إضمار: أعني. وليس بقوي. هذا؛ وجوز مجيء الحال من المضاف إليه؛ لأن المضاف مثل جزئه. ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف عطف أو واو الحال. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص، واسمه مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾. ﴿مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر كان، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب

حال ثانية من ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ والرابط: الواو، والضمير. وقيل: معطوفة على ما قبلها. وقيل: معترضة. وقيل: مستأنفة وأرجح الحالية.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿صَلَاتِي﴾: انظر الآية رقم [٤/١٠٣]. ﴿وَنُسُكِي﴾: عبادتي كلها. وقيل: المراد: قربان الذبائح في الحج، والعمرة. وقيل: المراد: مناسك الحج، والعمرة. ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: وما أنا عليه في حياتي، وأموت عليه من الإيمان، والطاعة، أو طاعات الحياة، والخيرات المضافة إلى الممات، كالوصية والتدبير، أو الحياة، والممات أنفسهما، بمعنى: مالك حياتي، وبيده مماتي انتهى. بيضاوي.

وقال الخازن: وحاصل هذا الكلام أن الله أمر رسوله ﷺ أن يبين أن صلاته ونسكه وسائر عبادته، وحياته وموته، كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره. ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [١] من سورة (الفاتحة).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿صَلَاتِي﴾: اسمها منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بالحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، ﴿وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾: هذه الأسماء معطوفة على ﴿صَلَاتِي﴾ منصوبة مثلها. هذا؛ ويقرأ بفتح ياء (محياي) وسكون ياء الثاني، وبالعكس قراءتان سبعيتان انتهى. جمل. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿رَبِّ﴾: صفة ﴿لِلَّهِ﴾، أو بدل منه، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ صَلَاتِي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ يعني: في العبادة، والخلق، والإيجاد، والإعدام، وسائر أفعاله، لا يشاركه فيها أحد من خلقه. ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ أي: قل يا محمد لقومك: أمرت بهذا التوحيد، وبهذا الإخلاص. ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: قال قتادة: يعني: من هذه الأمة؛ لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته. وقيل: معناه: وأنا أول المستسلمين لقضائه، وقدره. هذا؛ وانظر شرح: ﴿أَوَّلُ﴾ في الآية رقم [١٤٣] من سورة (الأعراف).

الإعراب: ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل (إنَّ). ﴿شَرِيكَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿لَا﴾، أو بمحذوف صفة له، وانظر: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ﴾

في الآية رقم [١١٥]. والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. (بذلك): جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أُمِرْتُ﴾: فعل ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على الاسمية قبلها على الوجهين المعتبرين فيها، فعلى الحالية يكون الرابط اسم الإشارة. (أنا): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوَّلُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فعلى الحالية يكون الرابط محذوفاً، التقدير: أنا أول المسلمين له.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء الجاهلين: أأطلب ربّاً غير الله، وهو رب كل موجود في هذا الكون الواسع؟! وهو جواب لقولهم حين قالوا له ﷺ: ارجع إلى ديننا. هذا؛ وانظر شرح: ﴿رَبُّ﴾ في الآية رقم [٣/ ٧] و﴿شَىْءٍ﴾ في الآية رقم [١٩/ ٥]. ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا﴾: يعني إن إثم الجاني عليه لا على غيره. ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ يعني: لا تُؤاخذ نفس آثمة بإثم أخرى، ولا تحمل نفس حاملة حمل أخرى، ولا يؤاخذ أحد بذنب آخر، وذلك: أن المشركين كانوا يقولون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا، ولنحمل خطاياكم، إما بمعنى: ليكتب علينا ما عملتم من الخطايا لا عليكم، وإما بمعنى لنحمل يوم القيامة ما كتب عليكم من الخطايا: فقوله: ﴿وَلَا تَكْسِبُ...﴾ إلخ رد لقولهم المذكور بالمعنى الأول، وقوله: ﴿وَلَا تَزِرُ...﴾ إلخ رد لقولهم المذكور بالمعنى الثاني. انتهى جمل. نقلاً من أبي السعود. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿نَفْسٍ﴾: انظر الآية رقم [٩/ ٧]. ﴿تَزِرُ﴾: إعلاله مثل إعلال: ﴿يَصِلُ﴾ في الآية رقم [١٣٦] وماضيه: وَزَرَ، والمصدر: وِزْر بكسر الواو، وفتحها، وهو بمعنى الإثم. هذا؛ والوزر بفتح الواو والزاي الملجأ والمستغاث، قال تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ...﴾ إلخ. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ﴾: يوم القيامة، فيجازي كلاًّ ما يستحقه من الثواب، أو العقاب. ﴿فَيُنَبِّئُكُم﴾: انظر الآية رقم [١٤/ ٥]. ﴿بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ أي: في الدنيا بشأن الأديان، والملل، والنحل، ويكون ذلك بتبيين الرشد من الغي، وتمييز المحق من المبطل. هذا؛ وانظر إعلال مثل: ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [٧] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿أَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (غير): حال، وهو في الأصل صفة لـ ﴿رَبًّا﴾، فلما قدم صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» و(غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَبْغِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿رَبًّا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿أَغَيْرَ...﴾ إلخ

في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (هو): مبتدأ. ﴿رَبُّ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير. (لا): نافية. ﴿تَكْسِبُ﴾: مضارع. ﴿كُلُّ﴾: فاعله، و﴿كُلُّ﴾: مضاف، و﴿نَفْسٍ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿عَلَيْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال مستثنى من عموم الأحوال، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَكْسِبُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿وِزْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿أُخْرَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف المقصورة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَزِرُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في محل نصب حال. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾: مبتدأ مؤخر، والكاف فيهما ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال أيضاً. هذا؛ وإن اعتبرت الجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَكْسِبُ...﴾ إلخ مستأنفة؛ فتكون هي وما عطف عليها لا محل لها من الإعراب. (ينبئكم): مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿اللَّهِ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿بِمَا﴾: متعلقان به، و(ما) في محل نصب مفعوله الثاني، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿فِيهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَخْتَلِفُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كُنتُمْ فِيهِ...﴾ إلخ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بـ: ﴿فِيهِ﴾. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فينبئكم بكونكم مختلفين فيه، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها على الاعتبارين.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾: يخلف بعضكم بعضاً، أو خلفاء الله في أرضه، تتصرفون فيها، أو خلفاء الله في الأرض في تنفيذ أحكامه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾. هذا؛ و﴿خَلَائِفَ﴾ جمع: خليفة، مثل: كرائم جمع: كريمة، وصحائف جمع: صحيفة. هذا؛ وكل من جاء بعد من مضى فهو خليفة. وفي المصباح: والخليفة أصله: خليف بغير هاء؛ لأنه بمعنى الفاعل، دخلته الهاء للمبالغة، كعلامة، ونسابة، ويكون وصفاً للرجل خاصة، ويقال: خليفة آخر بالتذكير. ومنهم من يقول: خليفة أخرى بالتأنيث. ويجمع باعتبار أصله على: خلفاء، مثل: شريف وشرفاء. وباعتبار اللفظ على خلائف. انتهى. جمل.

وانظر رقم [١٤] (يونس). ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾: في الخلق، والرزق، والشرف، والعقل، والقوة، والفضل، فجعل منهم الحسن، والقبيح، والغني، والفقير، والشريف، والوضيع، والعالم، والجاهل، والقوي، والضعيف. وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات. ليس لأجل العجز، أو الجهل، أو البخل، فإن الله سبحانه منزه عن صفات النقص، وإنما هو لأجل الاختبار، والامتحان، والابتلاء، كما قال تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ ليظهر للناس الصابر، والشاكر، والمطيع، والعاصي... إلخ. ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لمن عصاه؛ لأن كل ما هو آت قريب، والمعنى سريع العقاب إذا جاء وقته، فلا يرد: كيف قال: ﴿سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾، مع أنه حليم، والحليم هو الذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه؟ ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ﴾: لذنوب أوليائه، وأهل طاعته. ﴿رَّحِيمٌۢ﴾ أي: بجميع خلقه.

الإعراب: (هو): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿جَعَلَكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به أول، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، وهو العائد. ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿جَعَلَكُمْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. (رفع): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿بَعْضَكُمْ﴾ مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَوْقَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿فَوْقَ﴾: مضاف، و﴿بَعْضٍ﴾: مضاف إليه. ﴿دَرَجَٰتٍ﴾: منصوب بنزع الخافض، التقدير: إلى درجات، والناصب له عند البصريين النزع، وعند الكوفيين الفعل، والجملة الفعلية ﴿وَرَفَعَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، والكاف مفعول به. ﴿فِى مَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿مَآ﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ ﴿فِى﴾. ﴿ءَاتَىٰكُمْ﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (الله) والكاف مفعول به أول، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني. التقدير: آتاكم إياه، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (رفع). ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿سَرِيعُ﴾: خبرها، وهو مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، والجملة بعدها معطوفة عليها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

سُورَةُ الأَعْرَافِ

نزلت بمكة. روي ذلك عن ابن عباس، رضي الله عنهما، وبه قال الحسن، ومجاهد، وعكرمة، وعطاء، وجابر بن زيد وقتادة. وروي عن ابن عباس أيضاً: أنها مكية، إلا خمس آيات، أولها: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ﴾ وبه قال قتادة، وقال مقاتل: ثماني آيات في سورة (الأعراف) مدنية، أولها: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾. . إلى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ﴾. وهي مئتان وست آيات، وثلاثة آلاف، وثلاثمئة، وخمس وعشرون كلمة، وأربعة عشر ألف حرف، وعشرة أحرف. انتهى خازن وانظر شرح الاستعاذة، والبسملة، وإعرابهما في أول سورة (الفاتحة).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾

الشرح: ﴿الٓمٓصٓ﴾: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: معناه: أنا الله أفصل. وعنه: أنا الله أعلم، وأفصل، وعنه أيضاً: أن ﴿الٓمٓصٓ﴾ قسم أقسم الله به، وهو اسم من أسماء الله تعالى. وقال قتادة: ﴿الٓمٓصٓ﴾ اسم من أسماء القرآن. وقال الحسن: هو اسم للسورة. وقال السدي: هو بعض اسمه تعالى: المصور. وقال أبو العالية: الألف: مفتاح اسم الله، واللام: مفتاح اسمه اللطيف، والميم: مفتاح اسمه مجيد، والصاد: مفتاح اسمه صادق، وصبور. وقيل: هي حروف مقطعة استأثر الله تعالى بعلمها، وهي سره في كتابه العزيز. وقيل: هي حروف اسمه الأعظم. وقيل: هي حروف تحتوي معاني دل الله بها خلقه على مراده. وقد تقدم بسط الكلام على معاني الحروف المقطعة أوائل السور في أول سورة (البقرة) انتهى خازن بحروفه.

﴿كِتَٰبٌ﴾: هو في اللغة: الضم، والجمع، وسميت الجماعة من الجيش: كتيبة لاجتماعهم، كما سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يضم الكلام بعضه إلى بعض، ويجمعه، ويرتبه. وفي الاصطلاح اسم لجملة مختصة من العلم، مشتملة على أبواب، وفصول، ومسائل غالباً، والمراد به هنا القرآن الكريم؛ الذي أنزل على قلب محمد ﷺ. ﴿أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾: الخطاب للرسول ﷺ. ﴿فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ﴾: شك فيه، وسمي الشك حرجاً؛ لأن الشاك ضيق الصدر حرِجُهُ، كما أن المتيقن منشرحُ الصدر منفسحُهُ. أو المراد: ضيق الصدر من تبليغه مخافة أن تُكَذَّب فيه، أو

تُقَصِّر في القيام بحقه. وتوجيه النهي إليه للمبالغة. وانظر الآية رقم [٦/١٢٥]. ﴿لِتُنذِرَ بِهِۦ﴾. لتخوف به المشركين. والإنذار: التخويف من وقوع العقاب. ﴿وَذِكۡرَىٰ﴾: عظة، وتذكير للمؤمنين بك، فهو مصدر بمعنى التذكير، أو التذكر. هذا؛ والإيمان الصحيح هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان، والعمل بالأركان. ولما سئل الرسول ﷺ عنه، قال: «**الإيمانُ أن تؤْمِنَ بالله، وملاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، والْيَوْمِ الآخِرِ، والقضاءِ والقدَرِ خيرِهِ وَشَرِّهِ من الله تعالى**». وانظر الآية رقم [٢] من سورة (الأنفال) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿الٓمٓصٓ﴾: لقد تكلمت في أول سورة (البقرة) بالتفصيل عن إعراب هذه الحروف المقطعة، وأقول هنا: يجوز اعتبار هذا اللفظ مبتدأ، و﴿كِتَٰبٌ﴾: خبره، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، أي: المدعو به ﴿الٓمٓصٓ﴾ كما يجوز اعتباره مفعولاً به لفعل محذوف، التقدير: اقرأ ﴿الٓمٓصٓ﴾. ﴿كِتَٰبٌ﴾: خبر: ﴿الٓمٓصٓ﴾ على اعتباره مبتدأ، وخبر لمبتدأ محذوف، أي: هو كتاب على الوجهين الآخرين في: ﴿الٓمٓصٓ﴾. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة ﴿كِتَٰبٌ﴾. ﴿فَلَا﴾ الفاء: حرف عطف على قول من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام في مغنيه يعتبرها للسببية المحضة، وأراها الفاء الفصيحة؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر، فكأنه قيل: إذا أنزل إليك؛ فلا... إلخ. (لا): ناهية. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ:(لا) الناهية. ﴿فِي صَدۡرِكَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿يَكُن﴾ تقدم على اسمه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿حَرَجٌ﴾: اسمها مؤخر. ﴿مِّنۡهُ﴾: متعلقان بمحذوف صفة حرج، والجملة: ﴿فَلَا يَكُن...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿لِتُنذِرَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان به، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿أُنزِلَ﴾ وجوز تعليقهما بالفعل الناقص. (ذكرى): يجوز اعتباره مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف، التقدير: ولتذكر ذكرى، ويحتمل أن يكون مجروراً بالعطف على محل ﴿لِتُنذِرَ﴾ ويحتمل الرفع من وجهين: العطف على ﴿كِتَٰبٌ﴾، أو هو خبر لمبتدأ محذوف. ﴿لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: متعلقان بـ (ذكرى) لأنه مصدر.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾

الشرح: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي: قل يا محمد لقومكَ: اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم، وهو يشمل القرآن الكريم، والسنَّة النبوية، فإنها مما أنزل؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾. ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ﴾ أي: لا تتخذوا الذين يدعونكم إلى الكفر، والشرك أولياء، فتتبعوهم. والمعنى: ولا تتولوا من دونه شياطين الإنس، والجن،

فيأمروكم بعبادة الأصنام، واتباع البدع، والأهواء الفاسدة. والضمير يعود لـ: ﴿مَآ أُنزِلَ﴾، ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ أي: تذكراً قليلاً، أو زماناً قليلاً تذكرون؛ حيث تتركون دين الله، وتتبعون غيره. ﴿رَّبِّكُمْ﴾: المراد به خالقكم، ورازقكم. هذا؛ والرب يطلق، ويراد به المالك، والسيد، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ وقوله جل شأنه: ﴿فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا﴾ كلتا الآيتين محكية عن قول يوسف، عليه السلام، كما يقال: رب الدار، ورب الأسرة، أي: مالكها، كما يراد به المربي، والمصلح، ويقال: ربَّ فلان الضيعة يربها: إذا أصلحها، والله سبحانه وتعالى مالك العالمين، ومربيهم، وموصلهم إلى كمالهم شيئاً فشيئاً، يجعل النطفة علقة، ثم يجعل العلقة مضغة، ثم يجعل المضغة عظماً، ثم يكسو العظم لحماً، يصوره، ويجعل فيه الروح، ثم يخرجه خلقاً آخر، وهو صغير ضعيف، فلا يزال ينميه، وينشيه؛ حتى يجعله رجلاً. ولا يطلق الرب على غيره تعالى إلا مقيداً بالإضافة، مثل قولك: رب الدار، ورب الناقة، ونحو ذلك. والرب: المعبود بحق، وهو المراد منها تعالى عند الإطلاق، ولا يجمع إذا كان بهذا المعنى، ويجمع إذا كان معبوداً بالباطل، قال تعالى حكاية عن قول يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ كما يجمع إذا كان بأحد المعاني السابقة، قال الشاعر: [الطويل]

هَنِيئاً لأَرْبابِ الْبُيُوتِ بُيوتُهُمْ ... ولِلآكِلينَ التَّمْرَ مخمسَ مَخْمَسَا

وهو اسم فاعل، أصله: رابب، ثم خفف بحذف الألف، وإدغام أحد المثلين في الآخر.

(دون): من الدنو، وهو القرب، ومنه تدوين الكتب؛ لأنه إدناء، أي: تقريب البعض من البعض، ثم استعير للرتب، فيقال: زيد دون عمرو، أي: في الشرف، والسيادة. ثم اتسع فيه، فاستعمل في كل تجاوز حد إلى حد. هذا؛ ويأتي «دون» بمعنى قدام، قال الشاعر: [الطويل]

تُرِيكَ الْقَذَى مِنْ دونِها وهيَ دُونَهُ ... إذَا ذاقَها مَنْ ذاقَها يَتَمَطَّقُ

هذا، ومثله: «أدنى» وألفه منقلبة عن واو؛ لأنه من: دنا يدنو: إذا قرب، وله معنيان: أحدهما: أن يكون المعنى ما تقرب قيمته بخساسته، ويسهل تحصيله. والثاني أن يكون بمعنى القريب منكم لكونه في الدنيا، والذي هو خير ما كان من امتثال أمر الله؛ لأن نفعه متأخر إلى الآخرة، خذ قوله تعالى لليهود اللؤماء: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾. وقيل: الألف مبدلة من همزة؛ لأنه مأخوذ من: دنؤ، يدنؤ، فهو دنيء، والمصدر: الدناءة، وهو من الشيء الخسيس، فأبدل الهمزة ألفاً. وقيل: أصله: أدْوَنُ، من الشيء الدون، فأخرت الواو، فانقلبت ألفاً، فوزنه الآن: أفلع. انتهى. عكبري. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: جمع: ولي، وهو الذي يتولى شؤون غيره. هذا؛ والولي أيضاً هو الذي يتحبب إلى الله بعبادته، وطاعته. هذا؛ ويأتي الولي بمعنى المعين، والمساعد، والنصير. والفرق بين الولي وبين ما ذكر: أن الولي قد يضعف عن النصرة، والمعاونة، والنصير قد يكون أجنبيّاً عن المنصور، والمعان، والمساعَدِ، فبينهما عموم وخصوص من وجه. هذا؛ ويقرأ ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بالتاء، والياء.

الإعراب: ﴿ٱتَّبِعُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف هي الألف الفارقة بين واو العلة، وواو الضمير. وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] الآتية. ﴿مَآ﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَآ﴾، وهو العائد، أو الرابط، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها. ﴿إِلَيۡكُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكُمۡ﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، و﴿مِّن﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَآ﴾ وجملة: ﴿ٱتَّبِعُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعُواْ﴾: مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿مِن دُونِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة... إلخ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَوۡلِيَآءَۗ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ لقد ذكر ابن هشام في مغني اللبيب في هذه الجملة، وأمثالها إعراباً، فأنا أنقله لك باختصار فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: ﴿مَّا﴾: محتملة لثلاثة أوجه:

أحدها: الزيادة، فتكون لمجرد تقوية الكلام، فتكون حرفاً باتفاق، و﴿قَلِيلٗا﴾ في معنى النفي، وإما لإفادة التقليل مثلها في (أكلت أكلاً ما) وعلى هذا فيكون تقليلاً بعد تقليل.

الوجه الثاني: النفي، و﴿قَلِيلٗا﴾ نعت لمصدر محذوف، أو لظرف محذوف، أي: تذكراً قليلاً، أو زمناً قليلاً.

الثالث: أن تكون مصدرية، وهي وصلتها فاعل بـ: ﴿قَلِيلٗا﴾، و﴿قَلِيلٗا﴾ حال معمول لمحذوف دل عليه المعنى، أي: «تذكروا، فأخروا قليلاً تذكرهم». أجازه ابن الحاجب، ورجح معناه على غيره. انتهى بتصرف كبير، ولم يذكر إعراب: ﴿قَلِيلٗا﴾ على الوجه الأول. وذكر سليمان الجمل الوجه الأول، واعتبر: ﴿قَلِيلٗا﴾ نعتاً لمصدر محذوف، مثل اعتباره في الوجه الثاني. وذكر أبو البقاء الثاني، وقال: التقدير: فما يتذكرون قليلاً، ولا كثيراً، وجملة: ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ تعليلية لا محل لها من الإعراب. وهذا الإعراب مأخوذ من إعراب ابن هشام لقوله تعالى: ﴿فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ وهي الآية رقم [٨٨] من سورة (البقرة).

﴿وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ٤﴾

الشرح: ﴿قَرۡيَةٍ﴾: انظر الآية رقم [١٢٣] (الأنعام). ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾: أهلكنا أهلها، فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه. ﴿فَجَآءَهَا﴾: فجاء أهلَها. وهذا الفعل يستعمل لازماً إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ. فمن الأول قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ

نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾. ومن الثاني الآية الكريمة. ومثلها كثير. ﴿بَأۡسُنَا﴾: عذابنا، أو هو أشد العذاب. ﴿بَيَٰتًا﴾ أي: في الليل كقوم لوط. ﴿أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ﴾: كقوم شعيب أتاهم العذاب وقت القيلولة، وهي استراحة وسط النهار. هذا؛ وتخصيص هاتين الحالتين بالعذاب؛ لأن نزول المكروه عند الغفلة أفظع، وحكايته للسامعين أزجر، وأروع عن الاغترار بأسباب الأمن، والراحة انتهى جمل نقلاً من كرخي. وقال البيضاوي: وفي التعبيرين مبالغة في غفلتهم، وأمنهم من العذاب، ولذلك خص الوقتين، ولأنهما وقت دعة واستراحة، فيكون مجيء العذاب فيهما أفظع.

وقال الخازن: لما أمر الله رسوله ﷺ بالإنذار، والإبلاغ، وأمر أمته باتباع ما أنزله إليهم؛ حذرهم نقمته، وبأسه إن لم يتبعوا ما أمروا به، فذكر في هذه الآية ما في ترك المتابعة، والإعراض عن أمره من الوعيد. انتهى.

الإعراب: ﴿وَكَم﴾: الواو: حرف استئناف. (كم): خبرية بمعنى: «كثير» مبنية على السكون في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، يفسره ما بعده، ويقدر مؤخراً، التقدير: وكم من قرية أهلكنا أهلكناها؛ لأنها لها صدر الكلام، أو هي في محل رفع مبتدأ. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿قَرۡيَةٍ﴾: تمييز (كم) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿أَهۡلَكۡنَٰهَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر الآية التالية. والجملة الفعلية مفسرة لا محل لها على الوجه الأول في (كم)، وفي محل رفع خبرها على الوجه الثاني فيها. ﴿فَجَآءَهَا﴾: الفاء: حرف عطف. (جاءها): ماض، و(ها): مفعول به. ﴿بَأۡسُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، ولا يصح معنى العطف إلا بتقدير: أردنا إهلاك أهلها فجاءها... إلخ. ﴿بَيَٰتًا﴾: هو مصدر في موضع الحال، والمعنى: مبيتين. وقيل: هو مفعول لأجله. وقيل: هو ظرف زمان، والأول أقوى لعطف الجملة الاسمية عليه. ﴿هُمۡ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿قَآئِلُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو؛ لأنه جمع مذكر... إلخ. والجملة الاسمية معطوفة على بياتاً، فهي في محل نصب حال مثلها.

﴿فَمَا كَانَ دَعۡوَىٰهُمۡ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٥﴾

الشرح: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: دعاؤهم، واستغاثتهم. أو: قولهم بمعنى: اعترافهم بجنايتهم. ﴿جَآءَهُم﴾: انظر الآية السابقة. ﴿بَأۡسُنَآ﴾: عذابنا، والمراد به نزوله بهم في الدنيا. وانظر الآية رقم [١٤٣] (الأنعام). ﴿قَالُوٓاْ﴾: القول يطلق على خمسة معان: أحدها: اللفظ الدال على معنى. الثاني: حديث النفس، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾. الثالث: الحركة، والإمالة، يقال: قالت النخلة، أي: مالت. الرابع: ما يشهد به الحال، كما في قوله تعالى:

﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾. الخامس: الاعتقاد، كما تقول: هذا قول المعتزلة، وهذه مقالة الأشاعرة. أي: ما يعتقدونه. وانظر الكلام في الآية رقم [١٤٤]. ﴿كُنَّا﴾: انظر إعلال مثله في الآية رقم [١١]. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٦] الأنعام، وقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ اعتراف منهم حين وقوع العذاب بكونهم ظالمين، وذلك حين لا ينفع الاعتراف، ومفاد هذا التحسر على شيء مضى، والطمع في الخلاص، وانظر (نا) في الآية رقم [٧] الآتية.

الإعراب: ﴿فَمَا﴾: الفاء: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾: اسم كان مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿إِذۡ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾. ﴿جَآءَهُم﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿بَأۡسُنَآ﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذۡ﴾ إليها. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق، هذا هو الإعراب المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: فعل ماض مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو، ويقال اختصاراً: فعل، وفاعل، وأن المصدرية، والفعل ﴿قَالُوٓاْ﴾ في تأويل مصدر في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾. هذا؛ ويجوز أن يكون اسمها مؤخراً، و﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ خبرها مقدماً. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، وحذفت النون للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمه. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبر كان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿فَمَا كَانَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦﴾

الشرح: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾ أي: نسأل الأمم الذين أرسلت إليهم الرسل: ماذا أجبتم، وعملتم فيما جاءتكم به الرسل؟ ﴿وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ أي: ولنسألن الرسل الذين أرسلناهم إلى الأمم: هل بلغتم رسالاتنا، أم قصرتم؟ وفائدة هذا السؤال مع اعترافهم في الآية الأولى على أنفسهم بذلك التقريع، والتوبيخ للكفار، وفائدة سؤال الرسل مع كونهم قد بلغوا ما كلفوا به تكون عند إنكار الكفار تبليغ الرسالة من الرسل، فيكون ذلك مزيداً من التقريع، والتوبيخ لهم. انتهى خازن بتصرف كبير.

وقال البيضاوي: والمنفي في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ سؤال الاستعلام، أو الأول في موقف الحساب، وهذا عند نزول العقاب. هذا؛ وانظر (نا) في الآية التالية، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ﴾: الفاء: حرف استئناف. اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله. (نسألن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿أُرْسِلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿إِلَيْهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب الفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلاً بـ: (إلى) والجملة الفعلية: (لنسألن...) إلخ جواب القسم المحذوف المقدر، والقسم، وجوابه كلام مستأنف لا محل له. بعد هذا ينبغي أن تعلم أن الفعلين: (نسأل، نرسل) ينصبان مفعولين، وقد حذف المفعول الثاني لكل منهما، انظر تقديره في الشرح؛ تجده جملة فعلية. ﴿وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾: إعراب هذه كسابقتها، وهي معطوفة عليها.

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ⑦﴾

الشرح: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾: فلنخبرن الرسل، ومن أرسلوا إليهم بعلم، ويقين بما عملوا في الدنيا. ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ يعني: عنهم، وعن أفعالهم، وعن الرسل فيما بلغوا، وعن الأمم فيما أجابوا. وفائدة سؤال الأمم والرسل ـ مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات ـ التقريع، والتوبيخ للكفار؛ لأنهم إذا أقروا على أنفسهم؛ كان أبلغ في المقصود، فأما سؤال الاسترشاد، والاستثبات؛ فهو منفي عن الله تعالى؛ لأنه عالم بجميع الأشياء قبل كونها، وفي حال كونها، وبعد كونها، فهو العالم بالكليات، والجزئيات، وعلمه بظاهر الأشياء كعلمه بباطنها. انتهى خازن بحروفه.

تنبيه: قال ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح): وقوله تعالى: (كتبنا، جعلنا، إنا، نحن نقص، نسأل) لفظ يقع في جميع اللغات على من كان له شركاء، وأمثال، وعلى الواحد المطاع العظيم، الذي له أعوان يطيعونه، وإن لم يكن له شركاء، ولا نظراء، والله تعالى خلق كل ما سواه، فيمتنع أن يكون له شريك، أو مثل، والملائكة وسائر العالمين جنوده، فإذا كان الواحد من الملوك يقول: إنا ونحن، وكتبنا وفعلنا... إلخ، ولا يريدون أنهم ثلاثة ملوك، فمالك الملك رب العالمين، ورب كل شيء، ومليكه هو أحق بأن يقول: إنا، ونحن... إلخ مع أنه ليس له شريك، ولا مثل، بل له جنود السموات، والأرض انتهى.

أقول: و(نا): تسمى نون العظمة، وليست دالة على الجماعة، فالله تعالى لا شريك له في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، وكثيراً ما يتكلم بها العبد، فيقول: أخذنا، وأعطينا... إلخ وليس معه أحد، وهذا واقع، ومستعمل.

الإعراب: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم﴾: انظر الآية السابقة، ففيها الكفاية. ﴿بِعِلْمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر. (ما): نافية. ﴿كُنَّا غَآئِبِينَ﴾: انظر إعراب: ﴿كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ في الآية رقم [٥]. والجملة الفعلية تحتمل العطف على ما قبلها، وتحتمل الحالية من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٨)﴾

الشرح: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم سؤال الرسل، والأمم، وهو يوم القيامة. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: العدل. وانظر الآية رقم [٣٣] الآتية. هذا؛ وتنوين (إذٍ) عوض عن جملة محذوفة، تضاف (إذ) إليها في الأصل، فإن الأصل: «يوم إذ يسألون». فحذفت الجملة الفعلية، وعوض عنها التنوين، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين، كما كسرت الهاء في (صهٍ ومهٍ) عند تنوينهما، ومثل ذلك قل في «حينئذ» ونحوه. هذا؛ والمراد بـ: (الوزن) القضاء، أو وزن الأعمال، وهو مقابلتها بالجزاء. والجمهور على أن صحائف الأعمال توزن بميزان، له لسان، وكفتان، ينظر إليه الخلائق، إظهاراً للمعدلة، وقطعاً للمعذرة، كما يسألهم عن أعمالهم، فتعترف بها ألسنتهم، وتشهد بها جوارحهم انتهى بيضاوي. وانظر: «تنبيه» في الآية رقم [١٣٠] (الأنعام) فإنه جيد. والحكمة من وزن الأعمال مع علم الله بمقاديرها تتجلى فيما يلي: منها: إظهار العدل الإلهي، وأن الله لا يظلم مثقال ذرة. ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا، وإقامة الحجة عليهم في العقبى. ومنها: تعريف العباد ما لهم من خير وشر وحسنة وسيئة، ومنها: إظهار علامة السعادة والشقاوة. انتهى خازن. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت حسناته على سيئاته، وموازين جمع ميزان، وأصله موازن، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ومثله: ميعاد وميثاق وميراث وميقات. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: الفائزون، الناجون من عذاب النار؛ لأن الفلاح اسم جامع للخلاص من كل مكروه، والفوز بكل محبوب، وأصله: المؤفلحون، انظر الآية رقم [١٢١] (الأنعام) ففيها الكفاية، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: (الوزن): مبتدأ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و(إذ) ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل جر بالإضافة، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، وانظر ما ذكرته في الشرح. ﴿ٱلْحَقُّ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنه نعت للوزن، أي الوزن الحق كائن في ذلك اليوم. والثاني: أنه خبر مبتدأ محذوف، كأنه جواب سؤال مقدر، من قائل يقول: ما ذلك الوزن؟ فقيل: هو الحق لا الباطل. والثالث: أنه بدل من الضمير المستكن في الظرف. وهو غريب، ذكره مكي. هذا؛ وجوز اعتباره خبراً للمبتدأ، وفي: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ على هذا؛ وجهان: أحدهما: أنه منصوب على الظرف، ناصبه (الوزن) أي: يقع الوزن ذلك اليوم. والثاني أنه مفعول به على السعة. وهذا الثاني ضعيف جدّاً لا حاجة إليه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿فَمَن﴾:

الفاء: حرف عطف، وتفريع. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ثَقُلَتْ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ ثان. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل رفع خبر: (أولئك) هذا؛ وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ ضمير فصل لا محل له؛ فيكون: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبر (أولئك) وعلى الوجهين فالجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه، فقيل: هو جملة الشرط. وقيل: هو جملة الجواب. وقيل: هو الجملتان. وهو المرجح لدى المعاصرين. بعد هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهو مبتدأ، والجملة الفعلية بعده صلته، والجملة الاسمية: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم. وعلى كل فالجملة الاسمية مفرعة، ومعطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾

الشرح: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: رجحت سيئاته على حسناته. هذا؛ وقد ذكر الله في الآية السابقة السعداء الذين غلبت حسناتهم على سيئاتهم، وذكر في هذه الآية الأشقياء الذين غلبت سيئاتهم على حسناتهم، وبقي صنف ثالث، وهم: من تساوت حسناتهم، وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف الذين ذكرهم الله في الآية رقم [٤٦] من هذه السورة. ﴿خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ أي: ضيعوها، وحرموها من جزيل ثواب الله تعالى، وكرامته. ﴿بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: سبب ذلك الخسران: أنهم كانوا بحجج الله، وأدلة توحيده يجحدون، ولا يقرون بها.

روي عن أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ أنه حين حضره الموت قال في وصيته لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا، وثقله عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الحق غداً أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا، وخفته عليهم، وحق لميزان يوضع فيه الباطل غداً أن يكون خفيفاً. انتهى خازن.

هذا؛ و(الآيات) جمع: آية، وهي تطلق على معان كثيرة، منها: الدلالة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ وتطلق على المعجزة، مثل انشقاق القمر، ونحوه، وتطلق على

الموعظة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كما تطلق على جملتين، أو أكثر من كلام الله تعالى. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: يجحدون آيات الله، وينكرونها. وانظر الظلم بمعناه الأصلي في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام).

﴿أَنفُسَهُم﴾: جمع: نفس، وهو جمع قلة، وجمع الكثرة: نفوس، والنفس تؤنث باعتبار الروح، وتذكر باعتبار الشخص، أي: فإنها تطلق على الذات أيضاً، سواء أكان ذكراً، أم أنثى. فعلى الأول قيل: إنها جسم لطيف مشتبك بالجسم اشتباك الماء بالعود الرطب، فتكون سارية في جميع البدن. وقال الجنيد ـ رحمه الله تعالى ـ الروح: شيء استأثر الله بعلمه، ولم يطلع عليه أحداً من خلقه، فلا يجوز البحث عنه بأكثر من أنه موجود، قال تعالى في سورة (الإسراء): ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقال بعضهم: إن هناك لطيفة ربانية، لا يعلمها إلا الله تعالى، فمن حيث تفكرها تسمى عقلاً، ومن حيث حياة الجسد بها تسمى روحاً، ومن حيث شهوتها تسمى نفساً، فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار.

هذا؛ وقد ذكر القرآن الكريم: أن النفس خمس مراتب: الأمارة بالسوء، واللوامة، والمطمئنة، والراضية، والمرضية، فالنفس الأمارة هي التي تأمر صاحبها بالسوء، ولا تأمر بالخير، إلا نادراً، وهي مقهورة، ومحكومة للشهوات. وإن سكنت لأداء الواجبات الإلهية، وأذعنت لاتباع الحق، لكن بقي فيها ميل للشهوات؛ سميت لوامة. وإن زال هذا الميل، وقويت على معارضة الشهوات، وزاد ميلها إلى عالم القدس، وتلقت الإلهامات؛ سميت ملهمة. فإن سكن اضطرابها، ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلاً؛ سميت مطمئنة. فإن ترقت من هذا، وأسقطت المقامات من عينها، وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية. فإن زاد هذا الحال عليها؛ صارت مرضية عند الحق، وعند الخلق، فإن أمرت بالرجوع إلى العباد لإرشادهم وتكميلهم سميت كاملة. فالنفس سبع طبقات، ولها سبع درجات، كما ذكرت وقدمت، وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ...﴾ إلخ: انظر إعراب هذا الكلام في الآية السابقة. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿خَسِرُوا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿أَنفُسَهُم﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿كَانُوا﴾: فعل ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِآيَاتِنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿خَسِرُوا﴾، والجملة الفعلية هذه صلة الموصول لا محل لها وتقدير الكلام: «خسروا أنفسهم بسبب ظلمهم وجحودهم لآيات الله تعالى» تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

الشرح: ﴿مَكَّنَّـٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: قال الجلال: الخطاب لبني آدم. وقال الخازن: للناس، وقال الجمل: لأهل مكة، والكل محتمل هنا، ولكن الأخير أليق بالمقام. والتمكين: التمليك. قال البيضاوي: أي: مكناكم من سكناها، وزرعها، والتصرف فيها. ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَـٰيِشَ﴾: أسباباً تعيشون فيها، وقرئ شاذّاً: (معائش) كصحائف، وهو ليس مثله؛ لأن المد في: «صحيفة» زائد، وفي: «معيشة» أصلي؛ لأن أصلها: مَعْيُشة، كمكرُمة، أو: معْيِشه، كمنزلة، أَوْ: مَعْيَشَة، كمتربة، فالياء أصلية على كل حال. هذا؛ والمعيش، والمعيشة: مكسب الإنسان الذي يعيش به. وفي القاموس: العيش الحياة، والعيش أيضاً: الطعام، وما يعاش به. انتهى جمل بتصرف كبير. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ فهو تأكيد لقلة الشكر، الذي هو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله. هذا؛ و«شكر» يتعدى بنفسه، وبحرف الجر، تقول: شكرته، وشكرت له، كما تقول: نصحته، ونصحت له.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب هذا القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَكَّنَّـٰكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ متعلقان بالفعل قبلهما. (جعلنا): فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ: (نا)، التي هي ضمير متصل في محل رفع فاعل. هذا الإعراب هو المتعارف عليه في مثل هذا، والإعراب الأصلي أن تقول: مبني على فتح مقدر على آخره، منع من ظهوره اشتغال المحل بالسكون العارض كراهة توالي أربع متحركات فيما هو كالكلمة الواحدة. وقل مثله في إعراب: جعلت، وجعلْن. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بـ ﴿مَعَـٰيِشَ﴾، أو بمحذوف حال منه، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». وهذا أولى من التعليق بالفعل. ﴿مَعَـٰيِشَ﴾: مفعول به ثان، والمفعول الأول: ﴿لَكُمْ﴾ والجملة الفعلية: ﴿وَجَعَلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على الجملة قبلها لا محل لها مثلها. ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣] لإعراب هذه الجملة، ومحلها، ففيها الكفاية.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَـٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَـٰكُمْ﴾ أي: خلقنا أباكم آدم طيناً غير مصور، ثم صورناه. نزَّل خلقه، وتصويره منزلة خلق الكل، وتصويره. انتهى بيضاوي. وقال أبو السعود: وإنما نسب

الخلق، والتصوير إلى المخاطبين مع أن المراد خلق آدم، وتصويره، إعطاء لمقام الامتنان حقه، وتأكيداً لوجوب الشكر عليهم بالرمز إلى أن لهم حظّاً من خلقه، وتصويره؛ لأنهما، من الأمور السارية إلى ذريته جميعاً. وقال القاري: نزل خلقه، وتصويره منزلة خلق الكل، وتصويرهم؛ لأنه أبو البشر. انتهى جمل. وقال بعضهم: المخاطب بنو آدم، والمراد بهم أبوهم، وهذا من باب الخطاب لشخص، والمراد به غيره، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ وإنما المنجي، والذي كان يسام سوء العذاب أسلافهم، وهذا مستفيض في لسانهم. انتهى جمل. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهملة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب، وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق (رب) و(لا) العاملة عمل «ليس» فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ و«ثم» هذه غير «ثَمَّ» بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ﴾ وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به الكاف، وقد يتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ. ﴿قُلْنَا﴾: أصله: قَوَلْنا، فقل في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فالتقى ساكنان: الألف، واللام، فحذفت الألف، فصار (قَلنا) بفتح القاف، ثم أبدلت الفتحة ضمة لتدل على الواو المحذوفة، فصار: ﴿قُلْنَا﴾. وهناك إعلال آخر، وهو أن تقول، أصل الفعل: قَوَلَ، فلما اتصل به ضمير رفع متحرك، نقل إلى باب: فعُل، فصار: (قَوُلْتُ) ثم نقلت حركة الواو إلى القاف قبلها، فصار: (قُولْت) فالتقى ساكنان: العين المعتلة، ولام الفعل، فحذفت العين، وهي الواو لالتقائهما ساكنين، فصار: (قلت) وهكذا قل في إعلال كل فعل أجوف واوي مسند إلى ضمير رفع متحرك، مثل: «كان» و«قام» وغيرهما.

﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾: الملائكة: أجسام نورانية لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يبولون، ولا يتغوطون، ولا ينامون، ولا يموتون، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، لا يوصفون بذكورة، ولا بأنوثة، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ويقومون بأعمال مختلفة، كلٌّ فيما وكل إليه من أعمال، ورؤساؤهم عشرة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل وعزرائيل، ورقيب، وعتيد، ومنكر ونكير، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار.

﴿لِآدَمَ﴾: اسم علم أعجمي، مشتق من الأدمة، بمعنى: الأسوة، أو من أديم الأرض، أي: من وجهها، وترابها، أو من الأدمة بمعنى: الألفة، وأصله: أَأْدم بهمزتين، قلبت الثانية مدّاً مجانساً لحركة الأولى، كما قلبت في: «إيمان» فإن أصله: إِأْمان، وكما قلبت في «أومن» فإن أصله: أُأْمِن.

﴿إِبْلِيسَ﴾: اسم مأخوذ من: أبلس، يبلس إبلاساً، بمعنى: سكت غمَّاً، وأيس من رحمة الله وخاب، وخسر. وهو من الملائكة. كذا قال علي، وابن عباس، وابن مسعود، رضي الله عنهم

أجمعين، ولأن الأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه، وقوله تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ أي: صار من الجن، كقوله تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ أي: صار من المغرقين. وقيل: الاستثناء منقطع؛ لأنه لم يكن من الملائكة، بل كان من الجن بالنص. وهو قول الحسن، وقتادة، ولأنه خلق من نار، والملائكة خلقوا من نور، ولأنه أبى، وعصى، واستكبر، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، ولا يستكبرون عن عبادته، ولأنه قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي﴾ ولا نسل للملائكة. وعن الجاحظ: إن الجن، والملائكة جنس واحد، فمن طهر منهم؛ فهو ملك، ومن خبث منهم؛ فهو شيطان، ومن كان بين بين؛ فهو جني.

هذا؛ والسجود في الأصل: تذلل مع تطامن، وفي الشرع: وضع الجبهة على الأرض على قصد العبادة. والمأمور به إما المعنى الشرعي، فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى، وجعل آدم قبلة سجودهم، تعظيماً لشأنه، أو سبباً لوجوبه، كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة، والصلاة لله، فمعنى: «اسجدوا له» أي: إليه، وأما المعنى اللغوي، وهو التواضع لآدم تحيةً، وتعظيماً له، كسجود إخوة يوسف له في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فلم يكن فيه وضع الجبهة على الأرض، إنما كان بالانحناء، فلما جاء الإسلام؛ أبطل ذلك بالسلام.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ﴾: انظر إعراب مثله في الآية السابقة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْجُدُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. هذا الإعراب هو المتعارف عليه في مثل هذه الكلمة، والإعراب الحقيقي أن تقول: مبني على السكون المقدر على آخره منع من ظهوره اشتغال المحل بالضم الذي جيء به لمناسبة الواو. ويقال: منع من ظهوره إرادة التخلص من التقاء الساكنين، وحرك بالضمة لمناسبة واو الجماعة. وقل مثله في قولك: (احفظا واسجدا) والمانع من ظهور السكون الفتح الذي جيء به لمناسبة ألف الاثنين، وأيضاً قولك (احفظي، واسجدي) والمانع من ظهور السكون الكسر الذي جيء به لمناسبة ياء المؤنثة المخاطبة. ﴿لِأَدَمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: ﴿ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَسَجَدُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء. ﴿إِبْلِيسَ﴾: مستثنى، وهل هو متصل، أو منقطع فيه خلاف، كما رأيت في الشرح. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾، واسمه ضمير مستتر تقديره: «هو». ﴿مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر ﴿يَكُن﴾، والجملة الفعلية: ﴿لَمْ يَكُن...﴾

إلخ مستأنفة لا محل لها؛ لأنها جواب سؤال مقدر. انتهى. جمل، وقال أبو البقاء: هي في محل نصب حال من: ﴿إِبْلِيسَ﴾ وعليه: فالرابط الواو، ورجوع الضمير عليه.

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: القائل هو الله تعالى. ﴿مَا مَنَعَكَ...﴾ إلخ: أي: أي شيء منعك من السجود في الوقت الذي أمرتك به. ﴿قَالَ﴾ أي: إبليس. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾: وهي جوهر نوراني. ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ أي: وهو جسم كثيف ظلماني، وقد أخطأ الخبيث، بل الطين أفضل لرزانته، ووقاره، ومنه الحلم، والحياء، والصبر، وذلك داع إلى التوبة، والاستغفار. وفي النار الطيش، والحدة، والترفع، وذلك داع إلى الاستكبار. والتراب عدة الممالك، والنار عدة المهالك، والنار مَظِنَّة الخيانة والإفناء، والتراب مِئِنة الأمانة، والإنماء، والطين يطفئ النار، ويتلفها، والنار لا تتلفه، وهذه فضائل غفل عنها إبليس، حتى زل بفاسد من المقاييس. انتهى نسفي.

تنبيه: قال الله تعالى هنا: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ وفي سورة (الحجر): ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ وفي سورة (ص): ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ واختلاف العبارات عند الحكاية يدل على أن اللعين قد أدرج في معصية واحدة ثلاث معاص: مخالفة الأمر، ومفارقة الجماعة، والاستكبار مع تحقير آدم، وقد وبخ على كلٍّ منها، لكن اقتصر عند الحكاية في كل موطن على ما ذكر فيه اكتفاءً بما ذكر في موطن آخر، وقد تركت حكاية التوبيخ رأساً في سورة (البقرة)، و(الإسراء)، و(الكهف)، و(طه). انتهى نقلاً من أبي السعود.

﴿خَيْرٌ﴾: أفعل تفضيل، أصله: أخير، نقلت حركة الياء للخاء؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة، ثم حذفت الهمزة استغناء عنها بحركة الخاء. ومثله قل في: حِبٌّ وشرٌّ اسميْ تفضيل؛ إذ أصلهما: أَحْبَبُ، وأَشْرَر، فنقلت حركة الباء الأولى، والراء الأولى إلى ما قبلهما، ثم أدغم الحرفان المتماثلان في بعضهما، ثم حذفت الهمزة من أولهما استغناء عنها بحركة الخاء، والشين. وقد يستعمل خير وشر على الأصل، كقراءة بعضهم قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾ بفتح الشين، ونحو قول رؤبة بن العجاج: [الرجز]

يا قاسِمَ الْخيراتِ وابْنَ الأَخْيرِ ما سَاسَنَا مِثْلُكَ مِنْ مُؤَمَّرِ

وخير، وشر، وحب يستعملن بصيغة واحدة للمذكر، والمؤنث، والمفرد، والمثنى، والجمع؛ لأنها بمعنى أفعل، كما رأيت. ﴿نَّارٍ﴾: أصله نور، تحركت الواو وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وهي من المؤنث المجازي، وقد تذكر، وتصغيرها: نويرة، والجمع: أَنْوُرٌ،

ونيران، ونيرة، ويكنى بها عن جهنم التي سيعذب الله بها الكافرين، والفاسقين، والفعل: نار، ينور، ويستعمل لازماً، ومتعدياً إذا بدئ بهمزة التعدية، كما في قولك: أنارت الشمس الكون.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿مَا﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿مَنَعَكَ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل مستتر تقديره هو يعود إلى: ﴿مَا﴾، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَا مَنَعَكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَلَّا﴾. (أن): حرف مصدري، ونصب، و(لا) صلة لتأكيد معنى النفي، بدليل حذفها في سورة ﴿صٓ﴾. ﴿تَسْجُدَ﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، والمتعلق محذوف، التقدير: لآدم، و(أن) والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: من السجود، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني، أو المصدر مفعول ثان صريح. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله. ﴿أَمَرْتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: (به) لأن الغالب فيه أن يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف الجر، وانظر إعراب: (جعلنا) في الآية رقم [١٠] فهو مثله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿أَنَا﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره. ﴿مِّنْهُ﴾: متعلقان به؛ لأنه أفعل تفضيل، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿خَلَقْتَنِي﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون للوقاية. ﴿مِن نَّارٍ﴾: متعلقان به، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ياء المتكلم، أي كائناً من نار، والجملة الفعلية: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ تعليل للخيرية، أو تفسير لها، وجملة: ﴿وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ معطوفة عليها، وإعرابها كإعرابها.

﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، أو من السماء. هذا؛ والهبوط: الإنزال، والانحدار من فوق إلى أسفل على سبيل القهر، والهوان، والاستخفاف. ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾: فلا يصح، ولا يجوز أن تسكن في السماء، أو في الجنة، وأنت متكبر، مخالف لأمر الله؛ لأنها مكان الخاشع، والمطيع. وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق بأهل الجنة، وأن الله طرده من الجنة، وأهبطه، منها لتكبره لا لمجرد عصيانه، علماً بأن الأرض يسكنها المتكبرون، والمتجبرون من كفار، وفساق، وغيرهم. ﴿فَٱخْرُجْ﴾: تأكيد للأمر بالهبوط. ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: الذليلين الحقيرين، لتكبرك. قال النبي المعظم ﷺ: «**من تواضع رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله**».

تنبيه: قال الله تعالى هنا: ﴿فَٱهْبِطْ﴾ بالإفراد، وقال في سورة (البقرة) رقم [٣٨]: ﴿ٱهْبِطُواْ﴾ بالجمع، وقال في سورة (طه) رقم [١٢٣]: ﴿ٱهْبِطَا﴾ بالتثنية، والمراد بالأول: إبليس وحده،

كما هو ظاهر، والمراد بالثاني: آدم، وحواء، وإبليس. وقيل: والحية، والصحيح: أن المراد: آدم، وحواء، وذريتهما. والمراد بالثالث: آدم، وحواء، أو: آدم، وإبليس. وانظر شرح كل آية في محلها، وينبغي أن تعلم أن سبب طرد إبليس من الجنة، بل من رحمة الله إنما هو حسده لآدم، وتكبره عليه، نعوذ بالله منهما. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿فَٱهْبِطْ﴾: الفاء: زائدة، أو هي الفصيحة، (اهبط): أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول على زيادة الفاء، ولا محل لها على اعتبار الفاء الفصيحة؛ إذ التقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً منك؛ فاهبط، وإذا ومدخولها في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿فَمَا﴾ الفاء: حرف تعليل. (ما): نافية. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَكَ﴾: متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ﴿يَكُونُ﴾ مقدماً، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ في محل رفع اسمها مؤخراً. ﴿فَٱخْرُجْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والمتعلق محذوف، التقدير: منها، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، ومؤكدة لها. ﴿إِنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبرها، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكَ...﴾ إلخ تعليل للهبوط، والخروج، لا محل لها.

﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ أي: قال إبليس: أمهلني، فلا تمتني، أو لا تعجل عقوبتي، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾: المراد به يوم القيامة، وهو اليوم الذي يخرج فيه الناس من قبورهم للحساب، والجزاء بعد النفخة الثانية. ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ أي: قال الله تعالى لإبليس لمَّا سأل الإمهال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ أي: الممهلين المؤخرين، وقد قيد الله هذا الإمهال في سورة (الحجر) بقوله: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ وهو النفخة الأولى التي يموت بسببها من في السموات، والأرض إلا من شاء الله، فقد كره اللعين أن يذوق مرارة الموت، وطلب البقاء، والخلود إلى النفخة الثانية، وحينئذ لا موت؛ لأن الموت قد تم عند النفخة الأولى، فلم يعط سؤاله، وإنما أجيب طلبه، وهو الإمهال مع أنه إنما طلبه ليفسد أحوال العباد، لما في ذلك من ابتلاء العباد، ولما في مخالفته من عظيم الثواب. انتهى جمل بتصرف.

أقول: وإنما أمهله ليكون سبباً في وفاء وعد الله لجهنم: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ إذ لولاه لكان الناس جميعاً مهتدين. هذا؛ وقد ذكر الله في سورة (الكهف): أن له ذرية، وذلك ليكون لكل إنسان من بني آدم قرين، وشيطان. انظر ما ذكرته في شرح الاستعاذة، وفي شرح الآية رقم [١١٢] (الأنعام) وانظر «القول» في الآية رقم [٥].

الإعراب: ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾: فعل دعاء، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب مفعول به، ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان به. ﴿يُبْعَثُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿يَوْمِ﴾ إليها، والجملة الفعلية: ﴿أَنظِرْنِيٓ﴾ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٣]، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ إِنَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾: قال الخازن: يعني: فبأي شيء أضللتني. وقال الزمخشري: فبسبب إغوائك إياي لأقعدن لهم، ثم قال: والمعنى فبسبب وقوعي في الغي لأجتهدن في غوايتهم؛ حتى يفسدوا بسببي، كما فسدت بسببهم. وقال سليمان الجمل: غرضه بهذا أخذ ثأره منهم؛ لأنه لما طرد، ومقت بسببهم على ما تقدم أحب أن ينتقم منهم أخذاً بالثأر. ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ أي: لبني آدم ترصداً بهم، كما يقعد القطاع على الطرقات. ﴿صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: دين الإسلام، أو الطريق الموصل إلى مرضاتك.

عن سبرة بن أبي الفاكه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الشيطان قعد لابن آدمَ بأطْرقةٍ، قعد له في طريقِ الإسلامِ، فقالَ: تُسلم وتذرُ دينَ آبائِكَ، وآباءِ آبائِكَ؟! فعصاهُ، وأسلمَ، وقعد له بطريقِ الهجرةِ، فقال: تهاجرُ، وتذرُ أرضكَ، وسماءَك، وإنما مثلُ المهاجِرِ كمثلِ الفرسِ في الطِّوَلِ؟! فعصاهُ، فهاجَرَ. وقعد له بطريقِ الجِهادِ، فقال: تجاهِدُ، فهو جهْدُ النفسِ والمالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فتُنكحُ المرأةُ، ويقسمُ المالُ؟! فعصاهَ، فجاهدَ. قال: فمن فعل ذلك؛ كان حقّاً على اللهِ أن يُدخلَه الجنةَ، وإن غرقَ؛ كان حقّاً على اللهِ أن يدخله الجنةَ، أو وَقَصَتْهُ دابتهُ كان حقّاً على الله أن يدخله الجنةَ**». أخرجه النسائي. انتهى خازن.

أقول: وقس على ذلك جميع أبواب الخير، فإن الشيطان يصد الناس عنها. وانظر الآية رقم [٢٦٧] من سورة (البقرة). بعد هذا انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [١٦] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿إِبْلِيسَ﴾. ﴿فَبِمَآ﴾: الفاء: صلة، أو هي الفصيحة على مثال ما رأيت في الآية رقم [١٣] الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿أَغْوَيْتَنِي﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والنون للوقاية، وانظر إعراب: (جعلنا) في الآية رقم [١٠] و﴿مَآ﴾ المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم، أو أحلف؛ لأن الباء دالة على قسم مقدر،

ومتعلقة بفعله المقدر. انتهى جمل. وقال البيضاوي، والنسفي: والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف، تقديره: فبسبب إغوائك أقسم، أو تكون للقسم، أي: فأقسم بإغوائك. وقال أبو البقاء: الباء تتعلق بـ ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾، ولا وجه له؛ لأن اللام تمنعه، وعلى قول الخازن فـ: (ما) استفهامية مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما، والوقف يكون عليه، وما بعده كلام مستأنف، وعليه فالجملة فعلية، وهي في محل نصب مقول القول. انتهى بتصرف كبير. ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب القسم. (أقعدن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿صِرَاطَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، أو هو منصوب على نزع الخافض، التقدير: على صراطك، كقولهم (ضُرِب زيدٌ الظهرَ والبطنَ) والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾: صفة، وجملة: ﴿لَأَقْعُدَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف المدلول عليه بالباء، وهي جواب قسم محذوف على قول الخازن، وعلى الاعتبارين فالقسم، وجوابه في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم...﴾ إلخ: قال البيضاوي: أي: من جميع الجهات الأربع مثل قصده إياهم بالتسويل، والإضلال من أي وجه يمكنه بإتيان العدو من الجهات الأربع، ولذلك لم يقل: من فوقهم، ومن تحت أرجلهم. وقيل: لم يقل: من فوقهم؛ لأن الرحمة تنزل من فوق، ولم يقل: من تحتهم لأن الإتيان منه يوحش الناس. وعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من قبل الآخرة. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من قبل الدنيا. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: من جهة حسناتهم، وسيئاتهم، ويحتمل أن يقال: ﴿مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: من حيث يعلمون، ويقدرون على التحرز عنه، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾: من حيث لا يعلمون، ولا يقدرون. ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ﴾: من حيث يتيسر لهم أن يعملوا، ويتحرزوا، ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم، واحتياطهم. وإنما عدي الفعل إلى الأولين، بحرف الابتداء؛ لأنه منهما متوجه إليهم، وإلى الأخيرين بحرف المجاوزة، فإن الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم. ونظيره قولهم: جلست عن يمينه. انتهى بحروفه.

﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾: مطيعين مؤمنين وموحدين، وإنما قال اللعين هذا ظناً منه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ وذلك لما رأى منهم: أن مبدأ الشر متعدد، ومبدأ الخير واحد. وقيل: سمعه من الملائكة. وقيل: رآه في اللوح المحفوظ. انتهى بيضاوي، وغيره. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٩] (النساء) تجد ما يسرك. هذا؛ و(أيمان) جمع: يمين، والمراد: اليد

اليمنى، كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾. هذا؛ واليمين أيضاً: الحلف بالله، أو بصفة من صفاته، أو باسم من أسمائه، كما في الآية رقم [٨٩] (المائدة) وانظره بكسر الهمزة في الآية رقم [٢]. ﴿شَمَآئِلِهِمْ﴾: جمع: شمال، وهي عكس، ومقابل اليد اليمنى. هذا؛ والشمال يقابل الجنوب، والشمال ريح الشمال الآتية من جهته، وجمعه: شمالات. ﴿تَجِدُ﴾: أصله: توجد، فحذفت الواو لوقوعها بين عدوتيها، وهما الياء والكسرة في المضارع الغائب (يجد) وتحذف من مضارع المتكلم، والمخاطب قياساً عليه، والمصدر: وجداً، وماضيه: وجد.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَآتِيَنَّهُم﴾: إعرابه مثل إعراب: ﴿لَأَقْعُدَنَّ﴾ في الآية السابقة، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة عليها لا محل لها مثلها. ﴿مِّنۢ بَيْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿بَيْنِ﴾: مضاف، و﴿أَيْدِيهِمْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾: الكل معطوف على ما قبله. (لا): نافية. ﴿تَجِدُ﴾ مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: مفعول به أول، والهاء... إلخ. ﴿شَٰكِرِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ. هذا؛ وقيل: هو حال على اعتبار الفعل متعدياً لمفعول واحد فقط. والمعتمد الأول، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَجِدُ...﴾ إلخ تحتمل العطف على ما قبلها، والاستئناف، ولا محل لها على الوجهين.

﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿مِنْهَا﴾: من الجنة. ﴿مَذْءُومًا﴾: مذموماً، من: ذأمه، يذأمه ذأماً: إذا عابه، ومقته، وحقره، فهو مذؤوم. ﴿مَّدْحُورًا﴾: مطروداً من رحمة الله. ودحره: طرده، وأبعده، والفعلان: ذأم، ودحر من باب: قطع. هذا؛ وقرئ: (مذوماً) من: ذامه، يذيمه ذيماً، وهو بمعنى الأول. ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾: تكرر هذا الوعد لجهنم بملئها، ولا تملأ إلا بسبب الشيطان، وزخرفته. ﴿مِنكُمْ﴾ أي: منك، ومنهم. أي: الذين اتبعوك. فغلب المخاطب. قال الخازن: أقسم الله أن من تبع إبليس من بني آدم، وأطاعه منهم أن يملأ جهنم منه، وممن كفر من بني آدم. انتهى. والمراد: إبليس، وذريته، وأتباعه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿ٱخْرُجْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾: حالان من الفاعل المستتر. وقيل: الثاني حال من نائب فاعل الأول، فهي حال متداخلة، وجملة: ﴿ٱخْرُجْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَّمَن﴾ اللام: لام الابتداء. (مَنْ): اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿تَبِعَكَ﴾: ماض، والكاف في محل نصب

مفعول به، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: «هو» يعود إلى (مَنْ)، وهو العائد. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. (أملأن): مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر، تقديره: «أنا». ﴿جَهَنَّمَ﴾: مفعول به. ﴿مِنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لمعنى (كم) فهو مجرور، وعلامة جره الياء... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب قسم محذوف، والقسم المحذوف، وجوابه في محل رفع خبر المبتدأ، الذي هو (مَنْ). هذا؛ وجه للإعراب. هذا وجوز اعتبار اللام موطئة لقسم محذوف، واعتبار (مَنْ) اسم شرط جازماً، والفعل بعدها شرطها، وهي مبتدأ، والجملة الفعلية: ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة المشهورة: «إذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للسابق منهما». وخبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [٨]. وهذا الوجه ضعيف؛ لأن اللام الموطئة لا تدخل إلا على (إنْ) الشرطية، كما ذكره ابن هشام في وجه ضعيف. هذا؛ وقد قرئ بكسر اللام، فتكون حرف جر، و(مَنْ) اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: «هذا الوعيد الشديد للذي تبعك...» إلخ، ويكون إعراب: ﴿لَأَمْلَأَنَّ...﴾ إلخ كما في الوجه الأول، والكلام على جميع وجوه الإعراب في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

الشرح: (آدم): انظر الآية رقم [١١]. ﴿ٱسْكُنْ﴾: من السكنى، وهي الهدوء، والاستقرار، والثبوت. ﴿وَزَوْجُكَ﴾: الزوج يطلق على الرجل، وعلى المرأة، والقرينة تبين الذكر من الأنثى، ويقال لها أيضاً: زوجة. وزوج آدم اسمها: حواء، سميت بذلك؛ لأنها خلقت من حي، كما رأيت في الآية رقم [١/٤]. وقيل لها: امرأة؛ لأنها من المرء أخذت، روي: أن الملائكة قالت لآدم: أتحبها؟ قال: نعم، قالوا لحواء: أتحبينه؟ قالت: لا، وفي قلبها أضعاف ما في قلبه من حبه لها. قالوا: فلو صدقت امرأة في حبها لزوجها؛ لصدقت حواء. انتهى من القرطبي. ﴿فَكُلَا﴾: هذا الأمر للإباحة، كما هو ظاهر. ﴿شِئْتُمَا﴾: انظر الآية رقم [٥/١٩]. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي، والمنكرات. وانظر الآية رقم [٦/١٤٦]. هذا؛ والمراد بالشجرة: شجرة الحنطة. وقيل: هي شجرة العنب؛ لأنها أصل كل فتنة. وقيل غير ذلك.

ولقد نهى الله عن قرب الشجرة؛ لأنه أبلغ في النهي عن الأكل منها، كما في الآية رقم [١٥٢] (الأنعام) ولأنه من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه. بعد هذا فقد زاد الله في آية

(البقرة) رقم [٣٥] قوله ﴿رَغَدًا﴾ ورغد العيش من باب: ظرف، وطرب، فهو راغد، وهو في رغد من العيش، أي: في رزق واسع، وأرغد القوم: أخصبوا. كما ذكر سبحانه في سورة (البقرة) ﴿وَكُلَا﴾ بالواو، وقال هنا ﴿فَكُلَا﴾ بالفاء.

قال الإمام فخر الدين الرازي مبيناً الفرق بينهما: إن الواو تفيد الجمع المطلق، والفاء تفيد الجمع على سبيل التعقيب، فالمفهوم من الفاء نوع داخل تحت المفهوم من الواو، ولا منافاة بين النوع، والجنس، ففي سورة (البقرة) ذكر الجنس، وهنا ذكر النوع. انتهى خازن، ولا تنس: أن هذا الكلام قد خوطب به آدم بعد طرد إبليس من الجنة، وهو ما أفادته الآية السابقة.

الإعراب: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ﴾: الواو: حرف استئناف. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (آدم): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا)، والجملة الندائية، وما بعدها من جمل في محل نصب مقول القول، التقدير: وقلنا: يا آدم... إلخ، وقد ذكر هذا القول في آية (البقرة) رقم [٣٥]. ﴿ٱسْكُنْ﴾: فعل أمر، وفاعله ضمير مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَنتَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر في: ﴿ٱسْكُنْ﴾. ﴿وَزَوْجُكَ﴾: معطوف على الضمير المستتر، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: مفعول به، وهو منصوب على الظرفية المكانية عند بعض النحاة، وفي مقدمتهم سيبويه، والمحققون على رأسهم الأخفش، ينصبونه على التوسع في الكلام بإسقاط الخافض، لا على الظرفية، فهو منتصب انتصاب المفعول به على السعة بإجراء اللازم مجرى المتعدي، وقل مثل ذلك في: (دخلت المدينةَ، ونزلت البلدَ، وسكنت الشام). ﴿فَكُلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (كلا): فعل أمر مبني على حذف النون، والألف فاعله، وانظر إعراب: (اسجدوا) في الآية رقم [١١]. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر. ﴿شِئْتُمَا﴾: فعل، وفاعل، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَقْرَبَا﴾: مضارع مجزوم بلا، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين فاعله. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسرة في محل نصب مفعول به، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، ولا تجوز الوصفية هنا؛ لأنه اسم جامد. ﴿فَتَكُونَا﴾: الفاء: هي السببية. (تكونا): مضارع ناقص منصوب بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين اسمه. ﴿مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبره، و«أن» المضمرة والفعل: (تكونا) في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: «لا يكن منكما قرب من الشجرة، فظلم لنفسيكما». هذا؛ وجوز أن تكون الفاء عاطفة، وأنَّ الفعل: (تكونا) مجزوم بسبب العطف على النهي، ولكن الأول أقوى معنى، وأتم سبكاً،

ولا تنس: أن كل الجمل المتعاطفة في محل نصب مقول القول للفعل المقدر، والقول، ومقوله كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أي: وسوس لآدم وحواء. والوسوسة في الأصل: الصوت الخفي. والوسوسة: حديث النفس، وهي أيضاً: حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان. والوسواس: اسم للشيطان، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾. واختلف أين كانت هذه الوسوسة، وفي أنه تمثل لهما، فقاولهما بذلك، أو ألقاه إليهما عن طريق الوسوسة، وأنه كيف توصل إليهما بعد ما قيل له: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾؟

فقيل: إنه منع من الدخول على وجه التكرمة، كما كان يدخل مع الملائكة، ولم يمنع أن يدخل للوسوسة ابتلاء لآدم، وحواء. وقيل: قام عند الباب، فناداهما. وقيل: تمثل بصورة دابة، فدخل، ولم تعرفه الخزنة. وقيل: دخل في فم الحية؛ حتى دخلت به. وقيل: أرسل بعض أتباعه، فوسوس لهما. والعلم عند الله سبحانه، وتعالى. انتهى بيضاوي.

هذا؛ ونقل الخازن عن الإمام الرازي عن الحسن: أنه قال: كان يوسوس في الأرض إلى السماء إلى الجنة بالقوة القوية التي جعلها الله تعالى له. وقال أبو مسلم الأصبهاني: بل كان آدم، وإبليس في الجنة؛ لأن هذه الجنة كانت بعض جنات الأرض، والذي يقوله بعض الناس من أن إبليس دخل في جوف الحية، فدخلت به إلى الجنة، فقصة مشهورة ركيكة. انتهى. هذا؛ وانظر شرح ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في الاستعاذة، وفي الآية رقم [١١٢] (الأنعام). ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا﴾: ليظهر، ويكشف لهما. ﴿مَا وُۥرِيَ﴾: ما غطي، وستر. ﴿سَوْءَٰتِهِمَا﴾: تثنية: سوأة، والمراد بها: العورة، أي: الفرج، وكانا لا يريانهما من أنفسهما، ولا أحدهما من الآخر، وإنما فعل ذلك ليسوءهما بانكشاف عورتيهما. ولذلك عبر سبحانه عنهما بالسوأة، وفيه دليل على أن انكشاف العورة في الخلوة، وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن في الطباع. انتهى بيضاوي بتصرف. هذا؛ وإنما بدت سوآتهما لهما، لا لغيرهما على المعتمد.

هذا؛ واختلف في اللباس الذي نزع عنهما، قال الخازن: فقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: كان لباسهما الظفر، فلما أصابا الخطيئة؛ نزع عنهما، وبقيت الأظفار، تذكرة، وزينة، ومنافع. وقال وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - كان لباس آدم وحواء نوراً، وقال مجاهد: كان لباسهما التقى، وفي رواية عنه: التقوى. وقيل: إن لباسهما من ثياب الجنة. وهذا القول أقرب؛ لأن إطلاق اللباس ينصرف إليه، ولأن النزع لا يكون إلا بعد اللبس. انتهى.

أقول: وفي محفوظي: أن الظفر المذكور آنفاً هو اللباس، وكان من لباس الجنة، وكان من أجمل ما يكون، فلما فعل آدم وحواء الخطيئة؛ تناثر عنهما هذا اللباس، وبقيت منه بقية على رؤوس أصابع اليدين، والرجلين، وقد غيرت هيئة هذا اللباس إلى الأظفار الموجودة على رؤوس أصابعنا. ويذكر أن آدم عليه الصلاة والسلام كان إذا نظر إلى أظفاره بكى؛ تذكراً منه لما كان فيه من النعيم في الجنة، وصار ذلك طبيعة عند كل إنسان إذا غلبه الضحك فلينظر إلى أظفاره، فيذهب ضحكه فجأة.

وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ أي: ما منعكما من أكل هذه الشجرة المذكورة في الآية السابقة. ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾. ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾: الذين لا يموتون، أو يخلدون في الجنة، واستدل به على فضل الملائكة على الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام. وجوابه: أنه كان من المعلوم: أن الحقائق لا تنقلب، وإنما كانت رغبتهما، في أن يحصل لهما أيضاً، ما للملائكة من الكمالات الفطرية، والاستغناء عن الأطعمة، والأشربة، وذلك لا يدل على فضلهم مطلقاً. انتهى بيضاوي. هذا؛ وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١١٧] (النساء) فإنه جيد. هذا؛ وقد قرئ: (مَلِكَيْنِ) بكسر اللام، وهي قراءة يحيى بن كثير، والضحاك.

الإعراب: ﴿فَوَسْوَسَ﴾: (وسوس): ماض. ﴿لَهُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿لِيُبْدِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام العاقبة، أو هي لام التعليل، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿لَهُمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو هي نكرة موصوفة، مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿وُۥرِيَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿مَا﴾، والجملة صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع نائب الفاعل إليها. ﴿عَنْهُمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والميم، والألف في الجميع حرفان دالان على التثنية. ﴿مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، و﴿مِن﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَا﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل (يبدي) في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (وسوس)، والجملة الفعلية: ﴿فَوَسْوَسَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿نَهَىٰكُمَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والكاف مفعول به. ﴿رَبُّكُمَا﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿عَنْ هَٰذِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل أو عطف بيان من اسم الإشارة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿تَكُونَا﴾: مضارع ناقص منصوب بـ: ﴿أَن﴾، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وألف الاثنين اسمه. ﴿مَلَكَيْنِ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه مثنى، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، و﴿أَن﴾ والفعل ﴿تَكُونَا﴾ في تأويل مصدر في محل نصب مفعول لأجله، وأصل الكلام: مخافة، أو كراهية كونكما ملكين.

وهذا عند البصريين، وهو عند الكوفيين على حذف حرف الجر، وتقدير الكلام عندهم: «لئلا تكونا...» إلخ وبعد السبك بمصدر، يكون التقدير: «لعدم كونكما» وعليه فالجار والمجرور متعلقان بالفعل: (نهى). ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾: هو مثل سابقه إعراباً، وتأويلاً، وتقديراً. وجملة: ﴿مَا نَهَاكُمَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (وسوس...) إلخ، وهي مفسرة لها في المعنى، لا محل لها مثلها.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)﴾

الشرح: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: حلف لهما بالله على ذلك. وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة. وقيل: أقسما له بالقبول. وقيل: أقسما عليه بالله إنه لمن الناصحين، فأقسم لهما، فجعل ذلك مقاسمة. انتهى بيضاوي. وقال القرطبي: وجاء «فاعلت» من واحد. وهو يردُّ على من قال: إن المفاعلة لا تكون إلا من اثنين. وقال قتادة: حلف لهما بالله؛ حتى خدعهما ـ وقد يخدع المؤمن بالله ـ فقال: إني خلقت قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتبعاني؛ أرشدكما. وقال بعض العلماء: من خادعنا بالله خدعنا له. ﴿النَّاصِحِينَ﴾: انظر (شكر) في الآية رقم [١٠] وانظر: ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ في الآية رقم [١٠٩] (الأنعام) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾: الواو: حرف عطف. (قاسمهما): ماض، والفاعل يعود إلى الشيطان، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَكُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿النَّاصِحِينَ﴾ بعدهما، وهذا على أن أل للتعريف، وليست موصولة بمعنى «الذي». وقيل: هي بمعنى الذي، وعليه فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف يبينه ﴿النَّاصِحِينَ﴾ التقدير: إني لناصح لكما، وهذا يسمى التبيين، ومثله الآية رقم [١٣٠] (البقرة) وهو كثير في القرآن والشعر العربي، والميم والألف للتثنية. اللام: هي المزحلقة. ﴿لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، والجملة القسمية معطوفة على جملة: ﴿وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا...﴾ إلخ فهي داخلة في التفسير، ومن جملته.

﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٢)﴾

الشرح: ﴿فَدَلَّاهُمَا﴾: أوقعهما في الهلاك، قاله ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ. وقيل: جرأهما على المعصية. وقال البيضاوي: فنزلهما إلى الأكل من الشجرة. نبه به على أنه أهبطهما

بذلك من درجة عالية، إلى رتبة سافلة، فإن التدلية، والإدلاء إرسال الشيء من أعلى إلى أسفل. ﴿بِغُرُورٍۚ﴾: بما غرهما به من القسم، فإنهما ظنا: أن أحداً لا يحلف بالله كاذباً، وإبليس أول من حلف بالله كاذباً، وقد قال الرسول ﷺ: «**المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لَئِيمٌ**». ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾: أكلا منها، وانظر شرح ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾ في الآية رقم [١٩]. ﴿بَدَتۡ﴾: ظهرت، وانكشفت، وقل في إعلاله: أصله: «بدا»، فلما اتصل به تاء التأنيث، صار: بَدَاتْ، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، فصار ﴿بَدَتۡ﴾. ﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: انظر الآية رقم [٢٠] لشرحه، وفيه قراءات كثيرة، ولكن لا يتغير الإعراب، فلذا لم أتعرض لها، والمعنى: فلما وجدا طعمها آخذين في الأكل منها؛ أخذتهما العقوبة، وشؤم المعصية، فتهافت عنهما لباسهما، وظهرت لهما عوراتهما. انتهى بيضاوي. يقال: إن أول من أكل من الشجرة حواء بإغواء إبليس إياها، فلما أكلت؛ لم يصبها شيء؛ لأن المنهي عنه ما وجد كاملاً (وهو للاثنين) وخفي هذا المعنى على آدم، فطمع ونسي هذا الحكم، وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ﴾. وقيل: نسي قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾. ﴿وَطَفِقَا﴾: أخذا، وشرعا، فهذا الفعل من أفعال الشروع. ﴿يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ﴾ أي: يرقعان، ويلزقان ورقة فوق ورقة على القبل، والدبر. هذا؛ وخصف النعل خصفاً: خرزها ورقعها، و(الورق) قيل: ورق التين. وقيل: ورق الموز.

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا...﴾ إلخ: قال البيضاوي: عتاب على مخالفة النهي، وتوبيخ على الاغترار بقول العدو. وفيه دليل على أن مطلق النهي للتحريم. انتهى. قال محمد بن قيس: ناداه ربه: يا آدم! لم أكلت منها؛ وقد نهيتك؟ قال: أطعمتني حواء. قال لحواء: لم أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية. قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس. قال الله: أما أنت يا حواء؛ فلأدمينك كل شهر كما أدميت الشجرة. وأما أنتِ يا حية؛ فأقطع رجليك، فتمشين على وجهك، وليشدخن رأسك كلُّ من لقيك. وأما أنت يا إبليس؛ فملعون. بعد هذا انظر شرح: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنَ﴾ في الاستعاذة.

﴿عَدُوّٞ﴾: هو ضد الصديق، وهو على وزن «فعول» بمعنى «فاعل» مثل: صبور، وشكور، وما كان على هذا الوزن يستوي فيه المفرد، والمثنى، والجمع، والمذكر، والمؤنث، إلا لفظاً واحداً جاء نادراً. (قالوا): هذه عدوة الله. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ﴾، وقال: ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والجمع: أعداءٌ؛ وأعادٍ، وعُداتٌ، وعدىً. وقيل: أعادٍ جمع: أعداء، فيكون جمع الجمع. وفي القاموس: والعدا بالضم، والكسر: اسم الجمع. ﴿مُّبِينٞ﴾: هو اسم فاعل من: «أبان» الرباعي، أصله: «مُبْيِن»، بسكون الباء، وكسر الياء، فنقلت كسرة الياء إلى الباء بعد سلب سكونها؛ لأن الحرف الصحيح أولى بالحركة من حرف العلة. ولا تنس: أن اسم الفاعل من: بان الثلاثي: «بائن». ﴿رَبِّكُمۡ﴾: انظر الآية رقم [٢].

تنبيه: يُسأَل: آدمُ معصومٌ، فكيف يخالف النهي؟ وأجيب بوجوه، منها: أنه اعتقد: أن النهي للتنزيه، لا للتحريم. ومنها: أنه نسي النهي. ومنها: أنه اعتقد نسخه بسبب مقاسمة إبليس له: أنه من الناصحين، فاعتقد أنه لا يحلف أحد بالله كاذباً. انتهى جمل. أقول: وقد اختلف هل كان ذلك قبل النبوة، أو بعدها؟ والظاهر: أنه أعطي النبوة في الأرض.

يروى: أن روح موسى التقت مع روح آدم عليهما السلام، فقال موسى: يا آدم أكلت من الشجرة حتى سببت لذريتك العناء والشقاء! فقال آدم: يا موسى أنت رسول الله وكليمه، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بآلاف السنين؟ فحجَّ آدم موسى. أي: غلبه بالحجة.

الإعراب: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾: الفاء: حرف عطف. (دلاهما): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ والهاء مفعول به، والميم والألف في الجميع حرفان دالان على التثنية. ﴿بِغُرُورٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من المفعول به، أي: مغترين، والجملة الفعلية: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، وهي من تتمة التفسير للوسوسة. ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى: «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿ذَاقَا﴾: ماض، والألف فاعله. ﴿ٱلشَّجَرَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية (لمَّا) وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها، وعلى اعتبارها متعلقة بالجواب. ﴿بَدَتۡ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث. ﴿لَهُمَا﴾: متعلقان به. ﴿سَوۡءَٰتُهُمَا﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿بَدَتۡ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، (طفقا): ماض ناقص، والألف اسمه. ﴿يَخۡصِفَانِ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والألف فاعله. ﴿عَلَيۡهِمَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به. ﴿مِن وَرَقِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿وَرَقِ﴾: مضاف، و﴿ٱلۡجَنَّةِۖ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿يَخۡصِفَانِ...﴾ إلخ في محل نصب خبر (طفقا)، وجملة: ﴿وَطَفِقَا...﴾ إلخ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله. (ناداهما): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿رَبُّهُمَآ﴾: فاعل، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتقرير. (لم): حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿أَنۡهَكُمَا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم) وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفتحة قبلها دليل عليها، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا» والكاف مفعول به. ﴿عَن﴾: حرف جر. ﴿تِلۡكُمَا﴾: التاء: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بـ ﴿عَن﴾، والجار والمجرور

متعلقان بالفعل قبلهما، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿ٱلشَّجَرَةِ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه، وجملة: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا...﴾ إلخ تفسير للنداء، لا محل لها من الإعراب، أو معمول لقول محذوف، أي: وقال؛ أو قائلاً: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا...﴾ إلخ. انتهى جمل نقلاً من أبي السعود، وجملة: ﴿وَنَادَىٰهُمَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَأَقُل﴾: مضارع معطوف على ما قبله مجزوم مثله، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكُمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلشَّيْطَٰنَ﴾: اسمها. ﴿لَكُمَا﴾: متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَا﴾ أي: آدم وحواء. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿رَبَّنَا﴾ أي: يا ربنا، وانظر الآية رقم [٣]. ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ أي: بارتكاب المعصية، وإخراجها من الجنة بسبب المخالفة لأمر الله تعالى، وانظر (الظلم) في الآية رقم [١٤٦] (الأنعام). ﴿أَنفُسَنَا﴾: انظر الآية رقم [٨]. ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾: ذنبنا، وتعف عنا. ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾: وتتفضل علينا برحمتك، ورضاك. ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: من الهالكين. قال قتادة: قال آدم: يا رب أرأيت إن تبت إليك، واستغفرتك، قال: إذاً أدخلك الجنة، وأما إبليس؛ فلم يسأله التوبة، وسأله أن ينظره، فأعطى كل واحد منهما ما سأل. هذا؛ وقد ذكرت لك في الآية رقم [٣٧] (البقرة) أن الكلمات التي تلقاها آدم ـ أي: ألهمه ربه أن يقولها ـ هي ما في هذه الآية.

تنبيه: قال الخازن: وقد استدل من يرى صدور الذنب من الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بهذه الآية. وأجيب عنها بأن درجة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل، مما حملهم على الخوف منه، والإشفاق من المؤاخذة بما لم يؤاخذ به غيرهم، وأنهم ربما عوتبوا بأمور صدرت عنهم على سبيل التأويل، أو السهو، فهم بسبب ذلك خائفون وجلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم، وسيئات بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها ذنوب كذنوب غيرهم، ومعاص كمعاصي غيرهم، فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم، وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي، والذكر القدسي، وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح، والخشية لله عز وجل ذنوباً؛ وهي حسنات بالنسبة إلى غيرهم، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. انتهى. بحروفه. وانظر الآية رقم [١٠٦] (النساء) والآية رقم [٤٣] (التوبة).

الإعراب: ﴿قَالَا﴾: ماض، وألف الاثنين فاعله. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿ظَلَمْنَآ﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب:

﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿أَنفُسَنَا﴾: مفعول به، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف عطف. (إن): حرف شرط جازم، واللام الموطئة للقسم محذوفة. التقدير: ولئن، دل على ذلك الجملة المؤكدة بنون التوكيد الثقيلة. ﴿لَّمْ﴾: حرف جازم، ﴿تَغْفِرْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وهو فعل الشرط، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والمفعول محذوف، تقديره: «ذنبنا». ﴿لَنَا﴾: متعلقان بـ ﴿تَغْفِرْ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾: مضارع معطوف على ما قبله، مجزوم مثله، والفاعل تقديره: «أنت»، و(نا): ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿لَنَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، واللام واقعة في جواب القسم المقدر، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً، تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر (نكونن) والجملة الفعلية هذه لا محل لها؛ لأنها جواب للقسم المقدر، وحذف جواب الشرط لدلالة جواب القسم المقدر عليه، على القاعدة: (إذا اجتمع شرط، وقسم؛ فالجواب للسابق منهما). بعد هذا: كل الجمل الموجودة في هذه الآية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها من الإعراب.

فائدة: قال مكي بن أبي طالب القيسي ـ رحمه الله تعالى ـ: ونداء الرب قد كثر حذف يا النداء منه في القرآن، وعلة ذلك: أن في حذف «يا» من نداء الرب تعالى، فيه معنى التعظيم له، والتنزيه، وذلك: أن النداء فيه ضرب من معنى الأمر؛ لأنك، إذا قلت: يا زيد، فمعناه: تعالَ يا زيدُ، أدعوكَ يا زيدُ، فحذفت «يا» من نداء الرب؛ ليزول معنى الأمر، وينقص؛ لأن «يا» تؤكده، وتظهر معناه، فكان في حذف «يا» التعظيم والإجلال والتنزيه للرب تعالى، فكثر حذفها في القرآن والكلام في نداء الرب. لذلك المعنى. انتهى.

فائدة: وقال أيضاً في التركيب: ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾: دخلت (إن) على ﴿لَّمْ﴾ ليرتد الفعل إلى أصله في لفظه، وهو الاستقبال؛ لأن ﴿لَّمْ﴾ تردُّ لفظ المستقبل إلى معنى المضي، و(إنْ) تردُّ الماضي إلى معنى الاستقبال، فلما صارت ﴿لَّمْ﴾ ولفظ المستقبل بعدها بمعنى الماضي؛ ردتها (إنْ) إلى الاستقبال؛ لأن (إنْ) ترد الماضي إلى معنى الاستقبال. انتهى.

﴿قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: الله. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱهْبِطُواْ﴾: انزلوا، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣]. ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: استقرار، أو موضع استقرار، وقال السدي: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ يعني: القبور. ويضعفه ما بعده. ﴿وَمَتَٰعٌ﴾: انتفاع، وتلذذ، وتمتع. واستمتع بكذا: انتفع به،

والمتعة: الانتفاع، والتلذذ بالشيء، وأمتعه الله، ومتعه بكذا بمعنى واحد. وانظر الآية رقم [٧٠] (يونس) ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى يوم القيامة، أو إلى الموت. وهو أولى.

تنبيه: ذكر القرطبي، وغيره: أن آدم أهبط بسرنديب من الهند بجبل، يقال له: بوذ، وأهبطت حواء بجدة من الحجاز، وأهبط إبليس بالأبلة ـ بضم الهمزة، والموحدة، وتشديد اللام ـ جبل قرب البصرة. وقيل: بجدة، وأهبطت الحية بسجستان. وقيل: بأصبهان. هذا؛ وسجستان، أكثر بلاد الله حيات، ولولا العِرْبِدُّ ما يأكلها، ويفني كثيراً منها؛ لأخليت سجستان من أجل الحيات، ذكره أبو الحسن المسعودي. هذا؛ والعربد: الذكر الكبير من الأفاعي. وهو بكسر العين وتشديد الدال، وبكسر الباء وفتحها.

تنبيه: لقد اختلف في الجنة التي أسكن الله بها آدم، وحواء، ثم أخرجهما منها، فالجمهور على أنها جنة المأوى أخذاً بظواهر الآيات، والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ وحديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يَجْمَعُ اللهُ الناسَ، فيقومُ المؤمنونَ حينَ تزْدَلِفُ الجنةُ، فيأتونَ آدمَ، فيقولونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنا الجنةَ، فيقولُ: وهل أخرجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إلَّا خطيئةُ أبيكُمْ**». قال ابن كثير في البداية والنهاية: وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى. وليست تخلو من النظر.

وقال فريق من العلماء: إن الجنة التي سكنها آدم، وحواء كانت من جنات الدنيا؛ لأنه كُلِّف فيها ألا يأكل من الشجرة، ولأنه نام فيها، وأخرج منها، ودخل عليه إبليس فيها، ووسوس إليه، ولغا آدم، وعصى ربه فيها، وهذا ينافي أنها جنة المأوى. وقد حكي هذا القول عن أبيّ بن كعب، وعبد الله بن عباس، ووهب بن منبه، وسفيان بن عيينة، وغيرهم، رضي الله عنهم أجمعين. انتهى من قصص الأنبياء للنجار بتصرف كبير.

أقول: والذي نرتضيه: أنها جنة المأوى، وهي مخلوقة من قبل أن يخلق الله آدم، خلافاً لمن زعم: أن الجنة غير موجودة الآن، وأن الله يخلقها يوم القيامة. دليل وجودها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ كما أن النار موجودة الآن بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾. وما أحراك أن تنظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٣] من (آل عمران) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، وينبغي أن تعلم: أن الكلام أتى للمتكلم (قلنا) في الآية رقم [٣٦] (البقرة) ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ومتعلق الفعل محذوف، تقديره: منها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿بَعْضُكُمْ﴾: مبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لِبَعْضٍ﴾:

متعلقان بـ ﴿عَدُوٌّ﴾ بعدهما. ﴿عَدُوٌّ﴾: خبر المبتدأ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. (لكم): متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بـ: ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾، وقد جوز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المستتر في: (لكم). ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. وقيل: مستأنفة، والأول أقوى. ﴿وَمَتَاعٌ﴾: معطوف على مستقر عطف مفرد على مفرد. ﴿إِلَى حِينٍ﴾: متعلقان بـ (متاع)، أو بمحذوف صفة له، التقدير: «متاع ممتد إلى حين».

﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿تَحْيَوْنَ﴾: تعيشون، والخطاب لآدم وذريته ولإبليس ولذريته، وأصل الفعل: «تحييون» تحركت الياء الثانية وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، فصار: (تحياون) ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين. ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ أي: وتقبرون. ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ أي: يخرجكم ربكم من الأرض للحساب، والجزاء. وهذا الفعل يقرأ بالبناء للفاعل، وبالبناء للمفعول. ومعنى هذه الآية قريب من معنى قوله تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو» يعود إلى (الله). ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَحْيَوْنَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وما بعدها معطوف عليها، والإعراب واضح، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة؛ لا محل لها من الإعراب.

﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿آدَمَ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ أي: خلقناه لكم بتدبيرات سماوية، وأسباب نازلة، ينزل المطر من السماء، فينبت بسببه القطن، ونحوه. وقيل في توجيهه: جميع بركات الأرض تنسب إلى السماء، وإلى الإنزال، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾. ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ﴾: يستر عوراتكم التي أراد الشيطان كشفها منكم، ويغنيكم عن سترها بورق الشجر، ونحوه. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣١] من سورة (المائدة). ﴿وَرِيشًا﴾: الريش للطائر معروف. فهو لباسه، وزينته، كالثياب للإنسان، فاستعير لفظه للإنسان؛ لأنه لباسه، وزينته. هذا؛ ونقل عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ تفسيره بالمال، قال الخازن: وهو قول مجاهد، والضحاك والسدي؛ لأن المال ما يتزين به.

ويقال: تريش الرجل: إذا تمول. هذا؛ وقد قيل: إن المراد به الأثاث الذي يفرش في البيوت، ويتزين به. ولا بأس به. وخذ قول جرير في مدح هشام بن عبد الملك: [الوافر]

فَرِيشي منكُمُ، وهَوايَ معْكُمْ وإنْ كانتْ زِيارتكمْ لِمَامَا

أي: فلباسي الفاخر، أو مالي الكثير. ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾: قال الخازن: اختلف العلماء في معناه، فمنهم من حمله على نفس الملبوس، وحقيقته، ومنهم من حمله على المجاز. أما من حمله على نفس الملبوس؛ فاختلفوا أيضاً في معناه، فقال ابن الأنباري: هو اللباس الأول، وإنما أعاده إخباراً: أن ستر العورة من التقوى. وقال زيد بن علي: هو آلات الحروب كالدرع، والمغفر. وقيل: هو الصوف، والخشن من الثياب؛ التي يلبسها أهل الزهد، والورع. وقيل: هو ستر العورة في الصلاة. وأيضاً اختلف في معناه من حمله على المجاز، فقال قتادة، والسدي: هو الإيمان؛ لأن صاحبه يتقي به من النار، وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هو العمل الصالح، وقال الحسن: هو الحياء، وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: هو السمت الحسن. وقال عروة بن الزبير: هو خشية الله. وقال الكلبي: هو العفاف. فعلى هذه الأقوال: إن لباس التقوى خير لصاحبه، إذا أخذ به مما خلق الله من لباس التجمل، وزينة الدنيا، وأنشدوا في المعنى: [الطويل]

إذا أَنْتَ لم تلبَسْ ثِياباً مِنَ التُّقَى عرِيتَ وإنْ وَارَى القميصَ قميصُ

انتهى. بتصرف كبير. بعد هذا: فالتقوى: هي حفظ النفس من العذاب الأخروي، بامتثال أوامر الله، واجتناب نواهيه؛ لأن أصل المادة من: الوقاية، وهي الحفظ، والتحرز من المهالك في الدنيا، والآخرة. وانظر ما وصف الله به المتقين في أول سورة (البقرة). ﴿خَيْرٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: يعني خلق اللباس الذي تسترون به عوراتكم، وتتقون به أذى الحر والبرد، وغير ذلك مما ذكر، كل ذلك دليل على قدرة الله، وداع إلى معرفته وعبادته. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: لعلهم يذكرون نعمة الله عليهم، فيشكرونها. والترجي في هذه الآية، وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لشيء من عباده. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً!.

الإعراب: ﴿يَٰبَنِيٓ﴾: (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (بني): منادى منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و(بني) مضاف، و﴿ءَادَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَنزَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لِبَاسًا﴾: مفعول به. ﴿يُوَٰرِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل يعود إلى: ﴿لِبَاسًا﴾. ﴿سَوْءَٰتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن

الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿وَرِيشًا﴾: معطوف على: ﴿لِبَاسًا﴾، وجملة: ﴿يُوَارِي...﴾ إلخ في محل نصب صفة: ﴿لِبَاسًا﴾، وجملة: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من المنادى على حد قول القائل: [البسيط]

يا أيُّها الرَّبْعُ مبْكِيّاً بساحَتِهِ

﴿وَلِبَاسُ﴾: يقرأ بالنصب عطفاً على لباساً، ويقرأ بالرفع على أنه مبتدأ. و(لباس) مضاف، و﴿التَّقْوَى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز أن يكون ﴿ذَٰلِكَ﴾ نعتاً لـ (لباس) أي: المذكور، والمشار إليه، وأن يكون بدلاً، أو عطف بيان، و﴿خَيْرٌ﴾ الخبر. وقيل: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ﴾ خبر مبتدأ محذوف، تقديره: «وساتر عوراتكم لباس التقوى». أو على العكس، أي: «ولباس التقوى ساتر عوراتكم». انتهى عكبري. ﴿ذَٰلِكَ﴾: مبتدأ... إلخ. ﴿مِنْ آيَاتِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿آيَاتِ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿ذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿يَذَّكَّرُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعل) والجملة الاسمية: ﴿لَعَلَّهُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها مفيدة للتعليل تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)﴾

الشرح: ﴿آدَمَ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا يصرفنكم الشيطان عن الدين، وعن أوامر الله تعالى. ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: كما تسبب في إخراج أبويكم آدم، وحواء من الجنة بسبب وسوسته لهما. قال الخازن: والمعنى: أن من قدر على إخراج أبويكم من الجنة بوسوسته، وشدة عداوته؛ فبأن يقدر على فتنتكم بطريق الأولى. فحذر الله بني آدم، وأمرهم بالاحتراز عن وسوسة الشيطان، وغروره، وتزيينه القبائح، وتحسينه الأفعال الرديئة في قلوب بني آدم.

هذا؛ وفي: ﴿أَبَوَيْكُم﴾ تغليب الأب على الأم. وانظر الآية رقم [١٥١] (الأنعام). ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾: أضاف سبحانه نزع اللباس إلى الشيطان؛ لأنه كان بسبب وسوسته، وانظر (اللباس) في الآية رقم [٢٠] و﴿يَنزِعُ﴾ حكاية أمر قد وقع؛ لأن نزع اللباس عنهما كان قبل

الإخراج. ﴿سَوْءَٰتِهِمَآ﴾: انظر الآية رقم [٢٠]. ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: جنوده، وأعوانه، وذريته. هذا؛ و(القبيل) جمع: قبيلة، وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضاً، وقال الليث: كل جيل من إنس، وجن قبيل. ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾، فهذا نص صريح على أن الشياطين يروننا، ولا نراهم. قال العلماء: إن الله خلق في عيون الجن إدراكاً، يرون بذلك الإدراك الإنس، ولم يخلق في عيون الإنس هذا الإدراك، فلم يروا الجن. انتهى.

ولهذا كانت محاربة الشيطان، والتحرز من كيده أشد من محاربة عدو الحرب والمبارزة في الميدان، فعن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ قال «**إنَّ الشيطانَ يَجري مِن ابنِ آدَمَ مجرى الدَّم**». وجعلت صدور بني آدَمَ مساكن لهم إلا من عصمه الله تعالى، كما قال تعالى ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾. وقال مجاهد: قال إبليس: جعل لنا أربعة: نرى، ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا فتى. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: يتولون أمورهم، ويتلاعبون بهم كما يشاؤون، وانظر الآية رقم [٣]. هذا؛ وأما المؤمنون؛ فهم في أمان من كيدهم، وحرز من شرهم. بعد هذا انظر شرح (الشيطان) في الاستعاذة. هذا؛ وقد قال البيضاوي: والآية مقصود القصة، وفذلكة الحكاية.

فائدة: قال ذو النون ـ رحمه الله تعالى ـ: إن كان هو يراك من حيث لا تراه؛ فاستعن بمن يراه من حيث لا يراه، وهو الله الكريم الستار، الرحيم الغفار. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

فائدة: «حيث» مبنية، وإنما بنيت؛ لأنها لا تدل على موضع بعينه، ولأن ما بعدها من تمامها كالصلة من الموصول، وبنيت على حركة؛ لأن قبل آخرها ساكناً، وكان الضم أولى بها بحركتها؛ لأنها غاية، فأعطيت غاية الحركات، وهي الضمة؛ لأن الضمة أقوى الحركات. وقيل: بنيت على الضم؛ لأن أصلها: «حوث» فدلت الضمة على الواو، ويجوز فتحها. وفي حيث ست لغات: بالياء مع الضم والفتح والكسر، والواو مع الضم، والفتح، والكسر، وهي: حيْثُ، وحيْثَ، وحيْثِ، وحوْثُ، وحوْثَ، وحوْثِ.

الإعراب: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿لَا﴾: ناهية جازمة. ﴿يَفْتِنَنَّكُمُ﴾: مضارع على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم بلام الناهية، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. هذا؛ والنهي في اللفظ لـ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ ورأيت في الشرح المراد منه. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية كالجملة الندائية قبلها، ولا تصلح الحالية هنا؛ لأنها إنشائية: ﴿كَمَآ﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿أَخْرَجَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿أَبَوَيْكُم﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه مثنى، وحذفت النون للإضافة، والكاف ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف واقع مفعولاً مطلقاً، التقدير: «لا يفتننكم الشيطان فتنة كائنة، أو مثل فتنة أبويكم». وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في

مثل هذا أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى ذلك؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. ﴿يَنزِعُ﴾: مضارع، والفاعل ضمير مستتر يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾. ﴿عَنْهُمَا﴾: متعلقان به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿لِبَاسَهُمَا﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُرِيَهُمَا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أيضاً، والهاء: مفعول به. ﴿سَوْءَٰتِهِمَآ﴾: مفعول به منصوب كما في الآية السابقة، والهاء في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿يَنزِعُ﴾ والجملة الفعلية: ﴿يَنزِعُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل أخرج المستتر، أو من أبويكم، والرابط على الاعتبارين هو الضمير فقط. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿يَرَىٰكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ والكاف مفعول به، والفعل بصري فلذا اكتفى بمفعول واحد، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: (إنَّ. . .) إلخ مفيدة للتعليل لا محل لها. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع توكيد للضمير المستتر في الفعل. ﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾: معطوف على الضمير المستتر في الفعل، وسوغ ذلك توكيده بالضمير المنفصل، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وقرئ بالنصب، وخرج على وجهين: أحدهما عطفه على اسم (إنَّ)، وثانيهما على أنه مفعول معه. ﴿مِنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، أو هما متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾ مبني على الضم في محل جر. والجملة الفعلية: ﴿لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): في محل نصب اسمها، وقد حذفت نونها للتخفيف، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿جَعَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر الآية رقم [٩]. ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾: مفعول به أول. ﴿أَوْلِيَآءَ﴾: مفعول به ثان. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ وجملة: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿جَعَلْنَا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية تعليل آخر للنهي، فهي مؤكدة لسابقتها، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الوجهين.

﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ أي: فعل العرب فعلة متناهية في القبح، والشناعة، كعبادة الصنم، وكشف العورة في الطواف. ويدخل فيها جميع المعاصي، والكبائر. ﴿قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ﴾: اعتذروا عن كفرهم، وسوء أعمالهم، واحتجوا بأمرين: تقليد الآباء،

والكذب على الله تعالى، فأعرض الله عن الأول لظهور فساده، ورد الثاني بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ وبين سبحانه في الاية رقم [١٧٠] (البقرة) أن آباءهم كانوا لا يعقلون، ولا يهتدون إلى طريق السداد، والرشاد. والمعنى: إن هذه الأفعال التي كانوا يفعلونها هي نفسها قبيحة، تأباها العقول السليمة، فكيف يأمر الله بها ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ...﴾ إلخ، أي: أتفترون على الله الكذب، وتنسبون إليه أموراً، لا مستند لكم في ذلك؟! أي: من غير علم تقولون ذلك على الله. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة، وانظر الآية رقم [٦٨] من سورة (يونس).

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿فَعَلُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَٰحِشَةً﴾: مفعول به. ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، وانظر الآية رقم [٥]. ﴿وَجَدۡنَا﴾: فعل، وفاعل، وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿عَلَيۡهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما مفعوله الثاني. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به أول، و(نا): في محل جر بالإضافة. وجملة: ﴿وَجَدۡنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها يحتمل العطف على جملة الصلة: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ ويحتمل الاستئناف، فلا محل له على الوجهين. (الله): مبتدأ. ﴿أَمَرَنَا﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، و(نا): مفعول به. ﴿بِهَاۗ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما المفعول الثاني، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱللَّهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿قُلۡ﴾: أمر، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَأۡمُرُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله) والمفعول محذوف، تقديره: «أحداً» ونحوه. ﴿بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وهما المفعول الثاني، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلۡ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿أَتَقُولُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وإنكار، وتوبيخ. (تقولون): فعل، وفاعل. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مقول القول، وصح ذلك؛ لأنها كناية عن كلام كثير. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَعۡلَمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف: إذ التقدير: ما لا تعلمونه، والجملة الفعلية: ﴿أَتَقُولُونَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ . . .﴾

الشرح: ﴿قُلۡ﴾: أمر موجه للنبي ﷺ كسابقه، ولاحقه. ﴿أَمَرَ﴾: هذا الفعل يتعدى

لمفعولين، الثاني منهما مجرور بحرف جر في الغالب، وجاء منصوباً في الشعر، وهو كثير. ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: العدل، وهو الوسط في كل أمر، المتجافي عن طرفي: الإفراط، والتفريط.

وقال الخازن: فالأمر بالقسط في هذه الآية يشتمل على معرفة الله بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأنه واحد لا شريك له. ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: توجهوا إلى عبادة الله مستقيمين غير عادلين إلى غيرها في كل وقت سجود، أو مكانه، وهو الصلاة، أو في أي مسجد حضرتكم الصلاة، ولا تؤخروها حتى تعودوا إلى مساجدكم. ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: اعبدوا الله مخلصين له الطاعة والعبادة والدعاء، لا تشركوا معه أحداً من خلقه. ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿رَبِّي﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلدِّينَ﴾: انظر الآية رقم [١٦١] (الأنعام). هذا؛ وقد خص الله الوجوه بالذكر؛ لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة، وفيها أكثر الحواس النافعة، ولأنها مظهر آثار الخشوع، والخضوع، ولأنها مواضع السجود، ولا تنس: أن الوجه ما تتم به المواجهة، وسمي وجهاً لذلك.

هذا؛ و﴿مَسْجِدٍ﴾ اسم مكان، وهو بكسر الجيم، والقياس فتحها؛ لأن اسم المكان، والزمان يكونان على وزن: مَفْعَل بفتح العين؛ إن كانا مأخوذين من ماض ثلاثي يجيء مضارعه بفتح العين، أو ضمها، كمذهب ومَنظَر، وبكسرها إن كانت عين المضارع مكسورة كمجلس ومنزل، وكما خرج مسجد عن القياس، خرج كثير مثل: المَشْرِق، والمغرِب، والمنبِت، والمسقِط، والمرفِق والْمَنْخِر والمجزِر، والمظِنة. مع أن مضارعها مضموم العين. وانظر الآية رقم [١١٥] من سورة (البقرة).

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿أَمَرَ﴾: ماض. ﴿رَبِّي﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والمفعول محذوف، تقديره: «عباده». ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما المفعول الثاني، وجملة: ﴿أَمَرَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. (أقيموا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿وُجُوهَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و ﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و ﴿مَسْجِدٍ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وفي عطف الجملة: ﴿وَأَقِيمُواْ...﴾ إلخ على ما قبلها أقوال، وتأويلات، وتوجيهات كثيرة، منها: أن التقدير: وقال: أقيموا... إلخ، فحذف «قال» لدلالة الكلام عليه. ومنها: أن العطف على معنى بالقسط؛ إذ المعنى: أقسطوا، وأقيموا... إلخ. ومنها: أن العطف على محذوف، التقدير: فاقبلوا، وأقيموا... إلخ، وعلى هذا فالفاء هي الفصيحة، وهذا كله للتخلص من عطف الإنشاء على الخبر، (ادعوه): فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: (أقيموا) على جميع الوجوه المعتبرة فيها. ﴿مُخْلِصِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون

عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿مُخْلِصِينَ﴾. ﴿الدِّينَ﴾: مفعوله، ولذا فيه ضمير مستتر هو فاعله.

﴿...كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ أي: كما أنشأكم ابتداء من العدم يعيدكم يوم القيامة بعد الفناء، فيجازيكم على أعمالكم. فأخلصوا له العبادة. وإنما شبه الإعادة بالابتداء تقريراً لإمكانها، والقدرة عليها. وقيل: كما بدأكم من التراب تعودون إليه. وقيل: كما بدأكم حفاة، عراةً، غُرْلاً تعودون. وقيل: كما بدأكم مؤمناً، وكافراً يعيدكم. انتهى. بيضاوي بتصرف.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن الله عز وجل بدأ خلق بني آدم مؤمناً، وكافراً، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ ثم يعيدهم يوم القيامة، كما بدأ خلقهم مؤمناً، وكافراً. وحجة هذا القول قوله في سياق الآية: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ فإنه كالتفسير له، ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُبعَثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه**». أخرجه مسلم، زاد البغوي في روايته: «**المؤمِنُ على إيمانِهِ، والكافرُ على كفرِهِ**». انتهى خازن. ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾: هداهم الله للإيمان به، ومعرفته، ووفقهم لطاعته، وعبادته. ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ يعني: وخذل فريقاً؛ حتى وجبت عليهم الضلالة للسابقة التي سبقت لهم في الأزل بأنهم أشقياء.

وفيه دليل على أن الهدى، والضلالة من الله عز وجل. ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ خَلَقَ الخلْقَ في ظُلْمةٍ، فَأَلْقَى عليهِمْ مِنْ نورِهِ، فَمَن أَصَابَهُ مِنْ ذلِكَ النورِ؛ اهْتَدَى، وَمَنْ أخطأَهُ، ضلَّ**». أخرجه الترمذي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٨] (النساء) فإنه جيد. هذا؛ و(الفريق) الطائفة من الناس، والفريق أكثر من الفرقة، وهو اسم جمع، لا واحد له من لفظه، كرهط، وقوم. ﴿الشَّيَاطِينَ﴾: انظر الاستعاذة، والآية رقم [١١٢] (الأنعام). ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: يتولون أمورهم، ويتلاعبون بهم. وانظر الآية رقم [٢]. ﴿دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿اللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿وَيَحْسَبُونَ﴾: ماضيه حسب، فهو من باب تعب في لغة جميع العرب، إلا بني كنانة، فإنهم يكسرون المضارع مع كسر الماضي أيضاً على غير قياس، وقد قرئ المضارع بفتح السين وكسرها، والمصدر: الحسبان (بكسر الحاء) وحسبت المال حسباً من باب: قتل، بمعنى: أحصيته عدداً. ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ المعنى: أنهم مع ضلالتهم يظنون، ويحسبون: أنهم على هداية، وحق. وفيه دليل على أن الكافر الذي يظن: أنه في دينه على الحق، والجاحد، والمعاند في الكفر سواء.

الإعراب: ﴿كَمَا﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿بَدَأَكُمْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله)، والكاف مفعول به، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف، عامله ما بعده، التقدير: «تعودون عوداً مثل بدئكم». وقيل: تقديره: «تخرجون خروجاً مثل بدئكم». انتهى. مكي. والأول أليق بلفظ الآية الكريمة. انتهى. جمل. ﴿تَعُودُونَ﴾: فعل، وفاعل. والجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها، أو هي تعليل لقوله: ﴿وَأَقِيمُوا...﴾ إلخ، فتكون على حد قوله: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ الآية رقم [١٩٨] (البقرة). ﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به مقدم. ﴿هَدَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى ﴿اللَّهِ﴾. ﴿فَرِيقًا﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير: وأضل، أو خذل فريقاً، والجملة الفعلية السابقة في محل نصب حال من فاعل ﴿بَدَأَكُمْ﴾، التقدير: «هادياً فريقاً». والثانية معطوفة عليها، والتقدير: «وخاذلاً فريقاً». هذا؛ وجوز اعتبار ﴿فَرِيقًا﴾ حالاً من واو الجماعة، التقدير: «تعودون فريقين: سعداء وأشقياء». يقوي هذا قراءة أبيّ: (تعودون فريقين فريقاً هدى. . .) إلخ. انتهى قرطبي. أقول: وهذا يعني: أن فريقاً بدل من: «فريقين» وتكون جملة: ﴿هَدَىٰ﴾ صفة: ﴿فَرِيقًا﴾ وجملة: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ صفة: ﴿فَرِيقًا﴾ الثاني على كل حال. ﴿إِنَّهُمُ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿اتَّخَذُوا﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿الشَّيَاطِينَ﴾: مفعوله الأول ﴿أَوْلِيَاءَ﴾: مفعوله الثاني. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بـ ﴿أَوْلِيَاءَ﴾، أو بمحذوف صفة له، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿اتَّخَذُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر إن، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمُ...﴾ إلخ تعليل لخذلان من حقَّ عليهم الضلالة. هذا؛ وقرئ بفتح الهمزة، وعليه فـ: (إنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: لأنهم. . . إلخ، والجار والمجرور بعد السبك متعلقان بالفعل: ﴿حَقَّ﴾. (يحسبون): فعل، وفاعل. ﴿أَنَّهُم﴾: أن واسمها. ﴿مُّهْتَدُونَ﴾: خبرها مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي: (يحسبون)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة: ﴿اتَّخَذُوا...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها.

﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾

الشرح: ﴿آدَمَ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾: البسوا ثيابكم، وتجملوا فيها إذا أردتم الصلاة في أي مسجد كان. ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾: الأمر للإباحة إلا ما سد الرمق، وأقام البدن؛ فإنه واجب. ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾: بتحريم الحلال، أو بالتعدي إلى الحرام، أو بإفراط الطعام، والشره فيه. ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم.

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في أمرين: الأول كانت المرأة في الجاهلية تطوف بالكعبة عريانة، فتقول: من يُعِيرني تَطوافاً؟ أي: شيئاً تجعله على فرجها، وهي تقول: [الرجز]

اليومَ يبدُو بعضُهُ أو كلُّهُ ... وما بَدا منْهُ فَلَا أُحِلُّهُ

فأمر الله بني آدم عامة بلبس الثياب، والتجمل بها في كل مسجد دخلوه. وتقدم: أن ستر العورة واجب في غير الصلاة أيضاً. والأمر الثاني: كان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا قوتاً، ولا يأكلون دسماً، يعظمون بذلك حجهم، فهمَّ المسلمون بذلك، فأمرهم الله بالأكل الذي يقيم أودهم، ويحفظ صحتهم.

تنبيه: الإسراف: مجاوزة الحد، وهو مذموم في كل شيء، والمراد هنا: النهي عنه في الأكل، والشرب. والإسراف فيهما يكون بأحد أمرين.

الأول: المغالاة في ثمنهما. والثاني: المغالاة في تعاطيهما. فالأول أن يكلف العبد نفسه ما لا طاقة له به ماليّاً؛ حيث لا يأكل إلا الطعام الفاخر؛ ووضعه المالي لا يتحمل هذا. ويدخل في ذلك المغالاة في اللباس الفاخر.

والأمر الثاني: يراد به التضلع في الطعام، والشراب. وهذا فوق: أنه إسراف في المال مضر بالصحة، والبدن، وقد أرشدنا الرسول المعظم ﷺ، إلى الاعتدال في الأكل، والشراب، وفي ذلك ما يغني عن كلام الأطباء، بل ولا يحوج إلى الوقوف عليهم، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرّاً من بطنٍ، بحسْبِ ابنِ آدمَ لُقَيْماتٌ يُقمْنَ صلبه، فإنْ كَانَ لا محالةَ؛ فثلُثٌ لطعامِهِ، وثُلثٌ لشرابِه، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**». أخرجه الترمذي من حديث المقدام بن معديكرب.

قال علماؤنا: لو سمع بقراط هذه القسمة؛ لعجب من هذه الحكمة. ويذكر: أنه كان للرشيد طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان، وعلم الأبدان! فقال له علي: قد جمع الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ فقال النصراني: ولا يؤثر عن رسولكم شيء من الطب، فقال علي: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: ما هي؟ قال: «**المِعدَةُ بَيْتُ الأدْواءِ، والحِميةُ رأسُ كلِّ دَوَاءٍ، وأَعْطِ كلَّ جسدٍ ما عوَّدْتَهُ**». فقال النصراني: ما ترك كتابكم، ولا نبيكم لجالينوس طبّاً! وقال عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كل ما شئت، والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرفٌ، ومَخِيلَة.

﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ يعني: إن الله لا يحب من أسرف في المأكول، والمشروب، والملبوس. وفي هذه الآية وعيد شديد لمن أسرف في هذه الأشياء؛ لأن محبة الله تعالى عبارة

عن رضاه عن العبد، وإيصال الثواب إليه، وإذا لم يحبه؛ علم أنه تعالى ليس راضياً عنه. انتهى خازن. وانظر الآية رقم [١٤١] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: انظر الآية رقم [٢٦]. ﴿خُذُواْ﴾: فعل أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿زِينَتَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و ﴿عِندَ﴾: مضاف، و ﴿كُلِّ﴾: مضاف إليه، و ﴿كُلِّ﴾: مضاف، و ﴿مَسْجِدٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿خُذُواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، كالجملة الندائية قبلها، والجملتان ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ معطوفتان عليها، لا محل لهما مثلها. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُسْرِفُوٓاْ﴾: مضارع مجزوم بلا الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿إِنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُحِبُّ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾. ﴿ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿لَا يُحِبُّ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُۥ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: خطاب للرسول ﷺ كسابقه، ولاحقه. والمعنى: قل لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت عراة، والذين يحرمون على أنفسهم في أيام الحج اللحم والدسم. انتهى. خازن. ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ أي: من النبات، كالقطن، والكتان. ومن الحيوان، كالحرير، والصوف، ومن المعادن كالدروع انتهى. بيضاوي وغيره. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: المستلذات من المآكل، والمشارب. وفيه دليل على أن الأصل في المطاعم والملابس، وأنواع التجملات الإباحة؛ لأن الاستفهام في ﴿مَنْ﴾ للإنكار. ﴿هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ويشركهم فيها المشركون، والملحدون، والفاسقون فهي لهم أصالة، ولغيرهم تبعاً، لقوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾. ﴿خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: الطيبات من الرزق من اختصاص المؤمنين في الآخرة، ولا حظَّ لغيرهم فيها، بل على العكس يعذبون في نار جهنم العذاب الأليم، ويعاقبون العقاب الشديد. ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ...﴾ إلخ: أي: نبين الحلال، ونوضحه، ونبين الحرام، ونوضحه بياناً شافياً كافياً لقوم علموا: أني أنا الله وحدي، لا شريك لي، فأحلوا حلالي، وحرموا

حرامي. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾: جمع: عبد، وهو يطلق على الإنسان حرّاً كان، أو رقيقاً، ويجمع على: عبيد أيضاً، وعلى غيره. (الإيمان): انظر الآية رقم [١]. ﴿ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: انظر الآية رقم [٢٩] (الأنعام) ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: انظر الآية رقم [١٢] منها. ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾ انظر الآية رقم [٩].

﴿لِقَوْمٍ﴾: اسم جمع، لا واحد له من لفظه: مثل: نفر، ومعشر، وهو يطلق على الرجال دون النساء، بدليل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾. وقال زهير بن أبي سلمى المزني: [الوافر]

ومـــا أدري ـ وســـوفَ إخـــالُ أدْرِي ـ أَقـــومٌ آلُ حِـــصـــنٍ أمْ نِـــســـاءُ؟

وربما دخل فيه النساء على سبيل التبع للرجال، كما في إرسال الرسل لأقوامهم؛ إذ إن كل لفظ: (يا قوم) في القرآن الكريم، إنما يراد به الرجال، والنساء جميعاً.

تنبيه: الآية صريحة في إباحة الطيبات من الطعام، والشراب، والفاخر من الثياب، وقد أكل السلف الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم الطيبات، وتمتعوا بالفاخر من الثياب، وإذا كان بعض الناس يُقَتِّرون على أنفسهم وأولادهم في المأكول والمشروب مع القدرة، ويلبسون الخشن والرث من المتاع باسم الزهد والورع والتقوى، فإنه ليس من الإسلام في قليل ولا كثير، بل إنه إنكار وجحود لنعم الله تعالى، والله يحب أن يرى أثر نعمه على عباده، كما أنه جميل يحب من عباده أن يتجملوا، ولا سيما في بعض الحالات، وكثير من المناسبات كالجمع والأعياد، وزيارة الإخوان والأصدقاء. والتظاهر بالزهد عن طريق الخشونة في العيش، ولبس الثياب الخشنة مع سوء العمل لا يجدي فتيلاً، كما أن تناول المستلذات من الطعام والشراب، ولبس الثياب الناعمة مع حسن العمل، وامتثال أوامر الله لا يضر قليلاً ولا كثيراً، ورحم الله الشافعي إذ يقول: [الكامل]

حَسِّنْ ثيابَكَ ما استطعْتَ فإنَّها زَيْنُ الرِّجالِ بها تُعَزُّ وتُكْرَمُ

ودَعِ التَّخشُّنَ في الثِّيابِ تواضُعاً فالله يعلمُ ما تُسِرُّ وتكتمُ

فجديدُ ثَوْبِكَ لا يضُرُّكَ بعدَما تَخْشَى الإلهَ وتَتَّقي ما يَحْرُمُ

ورثيثُ ثوبِكَ لا يزيدُكَ رِفعةً عندَ الإلهِ وأنْتَ عبدٌ مُجْرِمُ

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَنْ﴾: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿حَرَّمَ﴾: ماض، والفاعل مستتر تقديره: «هو» يعود إلى: ﴿مَنْ﴾. ﴿زِينَةَ﴾: مفعول به، و(هو) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّتِىٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة: ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾. ﴿أَخْرَجَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾.

﴿لِعِبَادِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والعائد محذوف، التقدير: التي أخرجها الله لعباده. ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: معطوف على: ﴿زِينَةَ ٱللَّهِ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنها جمع مؤنث سالم. ﴿مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: (الطيبات) أو بمحذوف حال منه على اعتبار «أل» فيه للتعريف، أو بمحذوف صفة له، على اعتبار «أل» فيه للجنس، وجملة: ﴿حَرَّمَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿مَنْ حَرَّمَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: فعل أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿هِيَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوا۟﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿خَالِصَةً﴾: بالنصب حال من الضمير المستتر في متعلق: ﴿لِلَّذِينَ﴾ إذ التقدير: هي مستقرة وثابتة للذين آمنوا... خالصة لهم يوم القيامة. هذا؛ وقد قرأ بالرفع نافع وحده، ويخرج على وجهين: أولهما على أنه خبر ثان للمبتدأ، وثانيهما على أنه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هي خالصة لهم. والظرف: ﴿يَوْمَ﴾ متعلق بـ: ﴿خَالِصَةً﴾ على الوجهين، و ﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه. خذ هذا الإعراب، وتوكل على الكريم الوهاب، ثم بعد ذلك أنقل لك ما قاله أبو البقاء بحروفه؛ لتكون على بصيرة من أمرك.

قال رحمه الله تعالى: ﴿هِيَ﴾ مبتدأ وفي الخبر ستة أوجه: أحدها: (خالصةٌ) على قراءة من رفع، فعلى هذا تكون اللام متعلقة بـ (خالصةٌ) أي: هي خالصة لمن آمن في الدنيا، و﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ظرف لـ ﴿خَالِصَةً﴾، ولم يمتنع تعلق الظرفين بها؛ لأن اللام للتبيين، والثاني ظرف محض، و﴿فِى﴾ متعلقة بـ ﴿ءَامَنُوا۟﴾. والثاني: أن يكون الخبر ﴿لِلَّذِينَ﴾ و(خالصةٌ) خبر ثان، و﴿فِى﴾ متعلقة بـ ﴿ءَامَنُوا۟﴾. والثالث: أن يكون الخبر ﴿لِلَّذِينَ﴾. و﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ معمول الظرف الذي هو اللام، أي يستقر للذين آمنوا في الحياة الدنيا. و(خالصةٌ): خبر ثان. والرابع: أن يكون الخبر ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، و ﴿لِلَّذِينَ﴾ متعلق بـ ﴿خَالِصَةً﴾، والخامس أن تكون اللام حالاً من الظرف الذي بعدها على قول الأخفش، والسادس أن تكون ﴿خَالِصَةً﴾ نصباً على الحال على قراءة من نصب، والعامل فيها: ﴿لِلَّذِينَ﴾، أو ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ إذا جعلته خبراً، وحالاً، والتقدير: «هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا، في حال خلوصها لهم يوم القيامة». أي: إن الزينة يشاركون فيها في الدنيا، وتخلص لهم في الآخرة. انتهى.

وقال مكي: وقد قال الأخفش: إن قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ فـ: ﴿أَخْرَجَ﴾ هو العامل في الظرف. وقيل: قوله: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ متعلق بـ ﴿حَرَّمَ﴾ فهو العامل

فيه. والمعنى على قول الأخفش: قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده في الحياة الدنيا. وعلى قول غيره. قل: من حرم في الحياة الدنيا زينة الله؛ التي أخرج لعباده. انتهى. ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الكاف: حرف تشبيه، وجر. (ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله الفعل الذي بعده، وتقدير الكلام: «نفصل الآيات تفصيلاً كائناً مثل ذلك التفصيل». ﴿نُفَصِّلُ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿ٱلْءَايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿لِقَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ في محل جر صفة (قوم) والمفعول محذوف، التقدير: لقوم يعلمون ذلك، وهو من المعرفة لا العِلْم. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (الأنفال). والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هو مثل سابقه. ﴿حَرَّمَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٥] (الأنعام) ﴿رَبِّىَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾: كبائر الذنوب، أو الزنى خاصة. ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾: ما يطلع عليه الناس منها. ﴿وَمَا بَطَنَ﴾: الذي لم يطلع عليه أحد إلا الله تعالى. ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾: المعاصي، والمنكرات على جميع أنواعها، واختلاف درجاتها، فيكون من عطف العام على الخاص. وقيل: الإثم صغائر الذنوب، فيكون من عطف الخاص على العام. هذا؛ وقد قيل: الإثم: اسم من أسماء الخمرة، وهو قول الحسن، وعطاء. قال الجوهري: وقد تسمى الخمر إثماً، واستدل عليه بقول بعض الجاهليين: [الوافر]

شَـرِبْـتُ الإِثْـمَ حـتَّـى ضَـلَّ عـقْـلِـي ... كَـذَاكَ الإِثْـمُ يَـذْهَـبُ بـالْـعُـقُـول

وقال ابن سيده صاحب المحكم: وعندي: أن تسمية الخمر بالإثم صحيح؛ لأن شربها إثم. وأنكر أبو بكر بن الأنباري تسمية الخمر بالإثم، قال: لأن العرب ما سمته إثماً قط في جاهلية، ولا في إسلام، ولكن قد يكون الخمر داخلاً تحت الإثم، لقوله تعالى: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾. انتهى خازن. ﴿وَٱلْبَغْىَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٦] الأنعام ﴿ٱلْحَقِّ﴾: خلاف الباطل.

قال الراغب: أصل (الحق) المطابقة، والموافقة، كمطابقة رجل الباب في حقه لدورانه على الاستقامة، و(الحق) يقال لموجد الشيء بحسب ما تقتضيه الحكمة، ولذلك قيل في الله تعالى: هو الحق، وللموجود بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك يقال: فعل الله تعالى كله حق، نحو الموت، والرزق، والحساب... إلخ، وللاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في

نفسه، نحو اعتقاد زيد في الجنة حق، وللفعل والقول الواقعين بحسب ما يجب، وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب، نحو قولك حق، وفعلك حق. ويقال: أحققت ذا، أي: أثبته حقّاً، أو حكمت بكونه حقّاً. انتهى بغدادي.

﴿وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾: الشرك: أن تجعل لله نداً في العبادة، أو تصف إنساناً بصفة من صفات الله تعالى، أو تجعل لإنسان تأثيراً في فعل من أفعال الله تعالى. وهذا هو الشرك الظاهر، وهناك أنواع كثيرة من الشرك، منها: الرياء، وهو خفي لا يدركه إلا من منحه الله علماً من عنده، وتوفيقاً من هدايته. فعن محمود بن لبيد ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أخوفَ ما أخَافُ عليكمْ الشركُ الأصغرُ**». قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسولَ اللهِ! قال: «**الرِّيَاءُ، يقول الله عز وجل إذا جَزَى الناسَ بأعمالِهِمْ: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانْظُروا هَلْ تَجِدُونَ عندَهُمْ جَزَاءً؟!**». رواه أحمد، والبيهقي. وعن شداد بن أوس ـ رضي الله عنه ـ: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**مَنْ صَامَ يُرائي؛ فَقَدْ أشركَ، ومَنْ صلَّى يرائي؛ فقد أشرك، ومن تَصدَّق يرائي؛ فقدْ أشركَ**». رواه البيهقي. ﴿سُلْطَانًا﴾: حجة، وبرهاناً. ﴿وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أي: وأن تفتروا على الله الكذب، وتنسبوا إليه أموراً من غير علم عندكم بمعرفتها، بل هي تقوُّل، وافتراء. وانظر شرح (سلطان) في الآية [٩٦] من سورة (هود).

تنبيه: قال الخازن: المعنى: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب، ويطوفون بالبيت عراة، ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم: إن الله لم يحرم ما تحرمونه أنتم، بل أحله الله لعباده، وطيبه لهم، وإنما حرم الفواحش، من الأفعال، والأقوال، ظاهرها، وباطنها. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا أَحَدَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ، من أجْل ذَلِكَ حرَّمَ الفواحشَ ما ظهَر منها، وما بطنَ، ولا أحدَ أَحَبُّ إليه المدحُ من الله، من أجْلِ ذلِكَ مَدَحَ نَفْسَهُ**». متفق عليه. انتهى.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة، ومكفوفة. ﴿حَرَّمَ﴾: ماض. ﴿رَبِّيَ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، ﴿الْفَوَاحِشَ﴾: مفعول به. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب بدلاً من: ﴿الْفَوَاحِشَ﴾، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، و(مِنْ) بيان لما أبهم في ﴿مَا﴾. وعلى الاعتبار الثالث تؤول ﴿مَا﴾ مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب بدلاً من: ﴿الْفَوَاحِشَ﴾، التقدير: «حرم ربي الفواحش ظاهرها، وباطنها». والجملة الفعلية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَالْإِثْمَ

﴿وَٱلْبَغْىَ﴾: معطوفان على ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾. ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بـ: (البغي) لأنه مصدر. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر فيه، و (غير) مضاف، و ﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه. (أن): حرف مصدري ونصب. ﴿تُشْرِكُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ (أن)، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و (أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل نصب معطوف على: ﴿ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي: وحرم الإشراك، أو الشرك. ﴿بِٱللَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة. فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يُنَزِّلْ﴾: مضارع مجزوم بـ: ﴿لَمْ﴾. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿سُلْطَـٰنًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿لَمْ يُنَزِّلْ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور بالباء في: ﴿بِهِۦ﴾. ﴿وَأَن تَقُولُوا۟﴾: هو مثل: ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟﴾ وهو معطوف عليه بعد سبكه بمصدر. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: انظر إعراب هذا في الآية رقم [٢٨] وقد حذف المفعول، كما في الآية السابقة.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿أُمَّةٍ﴾: جماعة، وتكون واحداً؛ إذا كان يقتدى به. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ﴾. وقد يطلق لفظ الأمة على غير هذا المعنى، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول المشركين: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ أي: على طريق، وملة، ودين، وكل جنس من الحيوان أمة. انظر الآية رقم [٣٨/ ٦]. والأُمَّةُ: الحين، والوقت، قال تعالى: ﴿وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي: بعد وقت، وحين. وقال جل ذكره: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ أي: إلى مدة. ﴿أَجَلٌ﴾: الأجل: الوقت المؤقت لانقضاء وقت المهلة، والمراد به هنا: أجل الموت. وقيل: أجل العذاب، والانتقام. وانظر الآية رقم [٢/ ٦] فإنك تجد ما يسرك. ﴿جَآءَ أَجَلُهُمْ﴾ يعني: إذا حل وقت عذابهم، وهلاكهم. وانظر: ﴿جَآءَ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ يعني: فلا يؤخرون، ولا يمهلون قدر ساعة، ولا أقل من ساعة. فالسين بالفعلين زائدة، كما تبين لك من الشرح. وإنما ذكرت الساعة؛ لأنها أقل أسماء الأوقات في العرف. وهذا حين سألوا نزول العذاب، فأخبرهم الله تعالى: أن لهم وقتاً، فإذا جاء ذلك الوقت، وهو وقت إهلاكهم؛ فلا يؤخرون عنه، ولا يقدمون. هذا؛ ويمكن أن يراد به أجل الموت لكل إنسان. هذا؛ وكثيراً ما يطلق اسم الساعة على القيامة، وإطلاقها على القيامة؛ لأنها تفجأ الناس بغتة في ساعة لا يعلمها إلا الله تبارك وتعالى. وقيل: سميت القيامة ساعة لسرعة الحساب فيها؛ لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة، أو أقل من ذلك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٨٧] الآتية.

الإعراب: (لكل): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(كل) مضاف، و ﴿أُمَّةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿أَجَلٌ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف تفريع. (إذا): انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿جَآءَ﴾: فعل ماض. ﴿أَجَلُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المرجوح المشهور. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَأْخِرُونَ﴾: فعل مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو فاعله، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿سَاعَةً﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾: إعرابه مثل سابقه، ومتعلقه محذوف لدلالة الأول عليه، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها لا محل لها مثلها، و(إذا) ومدخولها كلام مفرع عن الجملة الاسمية لا محل له مثلها؛ لأنها مستأنفة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾

الشرح: ﴿ءَادَمَ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: «أتى» يستعمل لازماً؛ إن كان بمعنى: حضر، وأقبل، ومتعدياً إن كان بمعنى: وصل، وبلغ، فمن الأول قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ومن الثاني ما في الآية الكريمة، ومثلها كثير. ﴿رُسُلٌ﴾: جمع: رسول، وهو ذكر، حر من بني آدم، سليم عن منفر طبعاً، أوحي إليه بشرع يعمل به، ويؤمر بتبليغه، وإن لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي. وانظر عدد الأنبياء، والمرسلين، وما ذكرته بشأنهم في الآية رقم [١٦٤] (النساء) و[٨٦] (الأنعام). هذا؛ و﴿رُسُلٌ﴾ بضم الراء، والسين، ويجوز تسكين سينه، قال عيسى بن عمر: كل اسم على ثلاثة أحرف، أوله مضموم، وأوسطه ساكن، فمن العرب من يخففه، ومنهم من يثقله، وذلك مثل: عسر، ويسر، وأسد، ورحم، وحلم... إلخ. ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي﴾: يقرؤون عليكم كتابي، وأدلة أحكامي، وشرائعي التي شرعت لعبادي. وانظر الآية رقم [٩]. ﴿ٱتَّقَىٰ﴾ أي: الله، فامتثل أوامره، واجتنب نواهيه. وانظر الآية رقم [٢٥]. ﴿وَأَصْلَحَ﴾ أي: عمله. ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي: في الآخرة عند الفزع الأكبر، والهول الأعظم. ﴿يَحْزَنُونَ﴾ أي: على ما فاتهم في الدنيا، أو بما يسوءهم في الآخرة.

تنبيه: قال الخازن: وإنما قال: ﴿رُسُلٌ﴾ بلفظ الجمع، وإن كان المراد به واحداً، وهو النبي ﷺ؛ لأنه خاتم الأنبياء، وهو مرسل إلى كافة الخلق، فذكره بلفظ الجميع على سبيل التعظيم، فعلى هذا يكون الخطاب في قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ...﴾ إلخ لأهل مكة، ومن يلحق بهم. وقيل: أراد جميع الرسل، وعلى هذا فالخطاب عام في كل بني آدم، وإنما قال: ﴿مِّنكُمْ﴾، يعني من جنسكم، ومثلكم من بني آدم؛ لأن الرسول إذا كان من جنسهم؛ كان أقطع لعذرهم، وأثبت للحجة عليهم؛ لأنهم يعرفونه، ويعرفون أحواله، فإذا أتاهم بما لا يليق بقدرته، أو بقدرة أمثاله؛

علم: أن ذلك الذي أتى به معجزة له، وحجة على من خالفه. هذا؛ وفي قوله: ﴿ٱتَّقَىٰ﴾ مراعاة لفظ (مَنْ)، وفي قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...﴾ إلخ مراعاة معناها.

الإعراب: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٧]. ﴿إِمَّا﴾: هذه (إنْ) الشرطية ضمت إليها (ما) زائدة لتؤكد معنى الشرط؛ لأن معنى إن في الأصل الشك، فزال هذا المعنى بسبب (ما) ولذا أكد الفعل بنون التوكيد. ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾: فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، وهو في محل جزم فعل الشرط، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿رُسُلٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿مِّنكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رُسُلٌ﴾. ﴿يَقُصُّونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ءَايَٰتِي﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَقُصُّونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ: ﴿رُسُلٌ﴾ أو في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم. ﴿فَمَنِ﴾ الفاء: واقعة في جواب الشرط. (مَنْ): اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱتَّقَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف، وهو في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى (من). (أصلح): ماض معطوف على ما قبله، وهو في محل جزم مثله، والفاعل يعود إلى (من). ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية مهملة، ولا يجوز إعمالها إعمال: «ليس»؛ لأنها تكررت. ﴿خَوْفٌ﴾: مبتدأ. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر المبتدأ ويجوز تعليقهما بـ ﴿خَوْفٌ﴾ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، وعليهما فخبر المبتدأ محذوف، تقديره: حاصل أو موجود، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في محل جزم جواب الشرط. وانظر خبر المبتدأ الذي هو (مَنْ) في الآية رقم [٨] هذا؛ وإن اعتبرت (مَنْ) اسماً موصولاً؛ فهي مبتدأ والجملة الفعلية بعدها صلتها، والجملة الاسمية: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في محل رفع خبر، وزيدت الفاء في الخبر؛ لأن الموصول يشبه الشرط في العموم، وعلى كلٍّ فالجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (إنْ) عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها كلام مبتدأ كالجملة الندائية قبلها. (لا): نافية، أو زائدة لتأكيد النفي. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ وجملة: ﴿يَحْزَنُونَ﴾ في محل رفع خبره، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، على الوجهين المعتبرين فيها.

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: جحدوا الآيات، وأنكروها، وكذبوا رسلنا. ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ﴾ أي: استكبروا عن الإيمان بها. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: جمع: صاحب، ويكون بمعنى:

المالك كما هنا، ويكون بمعنى: الصديق، ويجمع أيضاً على: صحب، وصحاب، وصحابة، وصحبة وصحبان، ثم يجمع أصحاب على: أصاحيب أيضاً، ثم يخفف، فيقال: أصاحب. ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. هذا؛ وقد جعل المكذبون، والمستكبرون أصحاب النار، بمعنى مالكيها، لملازمتهم لها، وعدم انفكاكهم عنها، وقل مثله في: أصحاب الجنة. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: مقيمون لا يخرجون، ماكثون أبداً، لا يموتون، ولا يفنون. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وشرح (الآيات) في الآية رقم [٩].

الإعراب: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَذَّبُواْ﴾ و(استكبروا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الأولى صلة الموصول لا محل لها، والثانية معطوفة عليها. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿عَنْهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ (الذين) والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة، فهي في محل جزم مثلها؛ لأنها قسيمة لها، أي مقابلة لها في المعنى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٤٢] الآتية.. ودخلت الفاء في الخبر الأول دون الثاني للمبالغة في الوعد، والمسامحة في الوعيد، وهذا يؤكد اعتبار (مَنْ) اسماً موصولاً. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿خَٰلِدُونَ﴾: خبره مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾، أو من ﴿ٱلنَّارِ﴾ نفسها، والعامل في الحال اسم الإشارة، والرابط على الاعتبارين الضمير، وفيها معنى التأكيد للكلام السابق، وجوز اعتبارها خبراً ثانياً لـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾. والأول أقوى.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ إلخ: أي: لا أحد أظلم... إلخ، وذلك لجمعهم بين أمرين لا يجتمعان عند عاقل: افتراؤهم على الله بما هو باطل غير ثابت، وتكذيبهم ما هو ثابت بالحجة. أو المعنى: لا أحد أظلم ممن ذهب إلى أحد الأمرين، فكيف بمن جمع بينهما؟! والأمر الأول: هو ما زعمه مشركو العرب من كون الملائكة بنات الله تعالى. والأمر الثاني: هو تكذيبهم بالقرآن الكريم، وبالمعجزات؛ التي أيد الله بها رسوله ﷺ. وانظر شرح (آية) في رقم [٩]. وقد راعى لفظ

(مَنْ) في الجملتين الفعليتين، وراعى معناها في الجمل الآتية كلها. ﴿يَنَالُهُمْ﴾: يصيبهم. ﴿نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: في هذا النصيب قولان: أحدهما: أن المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب، والثاني أن المراد به ما كتب لهم من الأرزاق والآجال والسعادة والشقاوة... إلخ، والمراد بالكتاب: اللوح المحفوظ. وانظر الآية رقم [٢]. ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: المراد بالرسل: الملائكة؛ الذين يقبضون أرواح هؤلاء المفترين، والمكذبين. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦١/ ٦] تجد ما يسرك. وانظر (جاء) في الآية رقم [٤] وانظر شرح: ﴿رُسُلُنَا﴾ في الآية رقم [٣٥]. ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قال الملائكة لهؤلاء المكذبين. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾: هذا سؤال توبيخ، وتقريع، وتبكيت، لا سؤال استعلام.

والمعنى: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله؟ ادعوهم ليدفعوا عنكم ما نزل بكم. وانظر الإعلال مثل ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [١١] وانظر: ﴿دُونِ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾: غابوا عنا عند حاجتنا إليهم. وانظر الآية رقم [٦٠]. ﴿وَشَهِدُواْ﴾: اعترفوا وأقروا بكفرهم بلفظ الشهادة التي هي لتحقيق الخبر. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٣٠/ ٦]. ﴿أَنفُسِهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٩]. وانظر شرح (الكفر) في الآية رقم [٣٦/ ٥] وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿فَمَنْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (مَنْ): اسم استفهام مفيد للنفي، مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَظْلَمُ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِمَّنِ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿أَظْلَمُ﴾، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية: ﴿ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ صلة (مَنْ)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط رجوع الفاعل إليها، وجملة: ﴿كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ﴾ معطوفة عليها، على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: مبتدأ. ﴿يَنَالُهُمْ﴾: مضارع، والهاء ضمير في محل نصب مفعول به. ﴿نَصِيبُهُم﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَصِيبُهُم﴾، والجملة الفعلية: ﴿يَنَالُهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿جَآءَتْهُمْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿رُسُلُنَا﴾: فاعله، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾: مضارع مرفوع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب حال من فاعل: (جاء) أو من مفعوله؛ لأن فيها ضميرين، الواو تعود إلى الفاعل، والهاء تعود إلى المفعول، واعتبارها من الفاعل أقوى، وجملة: ﴿جَآءَتْهُمْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٤]. ﴿أَيْنَ﴾: اسم استفهام معناه التوبيخ، مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بمحذوف في محل رفع

خبر مقدم. ﴿مَا﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَدْعُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبره. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و ﴿دُونِ﴾: مضاف، و ﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿كُنتُمْ...﴾ إلخ صلة: ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: «كنتم تدعونه... إلخ». والجملة الاسمية: ﴿أَيْنَ مَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ جواب إذا لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ لا محل له، بعد هذا ينبغي أن تعلم: أن أبا الحسن الأخفش يعتبر ﴿إِذَا﴾ في مثل هذه الآية مجرورة بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾، وهو رأي لا يوافقه عليه أحد من النحويين. هذا؛ وجملة: ﴿ضَلُّواْ عَنَّا﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا﴾ مستأنفة لا محل لها؛ لأنها بمنزلة سؤال جواب مقدر. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها، والميم في الجميع حرف دال على جماعة الذكور. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿كَٰفِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿كَانُواْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ) و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب بنزع الخافض، أو في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: «شهدوا على أنفسهم بكونهم كافرين». وينبغي أن تعلم: أن حذف الجار يطرد مع أنْ وأنَّ، وجملة: ﴿وَشَهِدُواْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ، لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِى النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۝٣٨﴾

الشرح: ﴿قَالَ ادْخُلُواْ...﴾ إلخ: أي يقول الله يوم القيامة، أو أحد من الملائكة للكافرين: ﴿ادْخُلُواْ...﴾ إلخ. هذا؛ وانظر «القول» في الآية [٥] والتعبير بالماضي عن المستقبل إنما هو لتحقق وقوع هذا الكلام يوم القيامة. وانظر الآية رقم [١١٦/٥] تجد ما يسرك. ﴿ادْخُلُواْ فِىٓ أُمَمٍ﴾ أي: مع أمم، والمراد بهم الجماعات، والأحزاب، وأهل الملل. وانظر شرح: ﴿أُمَمٍ﴾ في الآية رقم [٣٣] وانظر شرح: ﴿أُمَمٍ﴾ في الآية رقم [٣٨/٦]. ﴿خَلَتْ﴾: مضت. وانظر إعلال: ﴿بَدَتْ﴾ في الآية رقم [٢١] فهو مثله. ﴿مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾: انظر شرح: ﴿الْجِنِّ﴾ في الآية رقم [٧٦/ ٦] وشرح: ﴿الْإِنسِ﴾ في الآية رقم [١١٢/٦]. ﴿النَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ أي: النار، أو في النار. ﴿لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ أي: في الدين، والتي قبلها في الدخول، أو في التلبس بذلك

الدين، فيلعن المشركون المتأخرون السابقين منهم، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس.

﴿ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ أي: تداركوا، وتلاحقوا في النار. هذا؛ وأصل: ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: تداركوا، فأدغمت التاء في الدال، بعد قلبها دالاً، وتسكينها، ثم اجتلبت همزة الوصل ليمكن النطق بالساكن. ولهذه الكلمة نظائر، مثل: ادكر، واطلع... إلخ، ﴿أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾: قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: يعني قال آخر كل أمة لأولها. وقال السدي: قالت أخراهم الذين كانوا في آخر الزمان لأولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين، وقال مقاتل: يعني: قال آخرهم دخولاً النار، وهم الأتباع لأولاهم دخولاً، وهم القادة؛ لأن القادة يدخلون النار أولاً. انتهى. خازن.

و﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾ و(أولاهم) يحتمل أن يكون: «فعلى» أنثى «أفعل» الذي للمفاضلة، والمعنى على هذا كما قال الزمخشري: أخراهم منزلة، وهم الأتباع، والسفلة، لأولاهم منزلة، وهم القادة، والسادة، والرؤساء، ويحتمل أن تكون: (أخرى) بمعنى: آخرة، تأنيث: «آخر» مقابل «أول» لا تأنيث «آخر» الذي للمفاضلة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ والفرق بين أخرى بمعنى آخرة، وبين أخرى تأنيث آخر بزنة أفعل للتفضيل: أن التي للتفضيل لا تدل على الانتهاء، كما لا يدل عليه مذكرها، ولذلك يعطف أمثالها عليها في نوع واحد، تقول: مررت بامرأة وأخرى وأخرى، كما تقول: برجل وآخر وآخر، وهذه تدل على الانتهاء، كما يدل عليه مذكرها، ولذلك لا يعطف أمثالها عليها، ولأن الأولى تفيد إفادة غير، وهذه لا تفيد إفادة غير، والظاهر في هذه الآية الكريمة أنهما ليستا للتفضيل، بل لما ذكرت لك. انتهى جمل نقلاً عن السمين.

﴿رَبَّنَا﴾: انظر الآية رقم [٢] لشرحه، والآية رقم [٢٢] لحذف (يا) منه. ﴿أَضَلُّونَا﴾: سنوا لنا الضلال، فاقتدينا بهم. وانظر الآية رقم [٦٠]. ﴿فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا﴾ أي: أعطهم عذاباً. هذا؛ وعذاب اسم مصدر، لا مصدر؛ لأن المصدر: تعذيب؛ لأنه من: عذب، يعذب بتشديد الذال فيهما. وقيل: هو مصدر على حذف الزوائد، مثل: عطاء، ونبات لأعطى، وأنبت. ﴿ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ أي: ضاعف لهم عذاب النار؛ لأنهم ضلوا، وأضلوا. وما أحراك أن تنظر الآية رقم [٦٦] من سورة (الأحزاب) وما بعدها. ﴿قَالَ﴾ أي: الله: ﴿لِكُلٍّ ضِعْفٌ﴾ أي: لكل من القادة، والأتباع مضاعف العذاب، أما القادة؛ فبكفرهم وتضليلهم، وأما الأتباع، فبكفرهم، وتقليدهم.

هذا؛ و﴿ضِعْفٌ﴾ بكسر الضاد، وسكون العين: مثل الشيء، وضعفاه: مثلاه، وأضعافه: أمثاله، هذا هو الأصل في الضعف، ثم استعمل في المثل، وما زاد، وليس للزيادة حد، فيقال: هذا ضعف هذا، أي مثله؛ أو مثلاه، أو ثلاثة أمثاله، وهكذا؛ لأن الضعف في الأصل زيادة غير محصورة، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ لم يرد به مثلاً، ولا مثلين، وأولى

الأشياء به أن يجعل عشرة أمثاله، كقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ فأقل الضعف محصور، وهو المثل، وأكثره غير محصور. هذا؛ ويقال: أضعفت الشيء، وضعَّفته، وضاعفته، فمعناه: ضممت إليه مثله فصاعداً. وقال بعضهم: ضاعفْتُ أبلغُ مِنْ: ضَعَّفْتُ، ولذا قرأ أكثرهم قوله تعالى: ﴿يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾، ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾. ﴿وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾: يقرأ بالتاء على الخطاب، ويقرأ بالياء على الغيبة، فيكون في الكلام التفات، والمعنى: لا يعلم كل فريق ما أعد الله تعالى من العذاب للفريق الآخر. وانظر العلم، والمعرفة في الآية رقم [٦٠] من سورة (الأنفال). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره: «هو». ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿فِيٓ أُمَمٖ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَلَتۡ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع تاء التأنيث، والفاعل يعود إلى ﴿أُمَمٖ﴾، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿أُمَمٖ﴾. ﴿مِن قَبۡلِكُم﴾: متعلقان بالفعل: ﴿خَلَتۡ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿أُمَمٖ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثالثة لـ ﴿أُمَمٖ﴾، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿أُمَمٖ﴾ بعد وصفه بما تقدم. ﴿وَٱلۡإِنسِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿فِي ٱلنَّارِۖ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾. ﴿كُلَّمَا﴾: كل: ظرفية متعلقة بجوابها؛ إذ هي تحتاج إلى جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، و(ما): مصدرية توقيتية. ﴿دَخَلَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أُمَّةٞ﴾: فاعله، ومفعوله محذوف، التقدير: دخلت أمة النار، و (ما) والفعل: ﴿دَخَلَتۡ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بإضافة (كل) إليه، التقدير: كل وقت دخولها النار. وهذا التقدير، وهذه الإضافة هما اللذان سببا الظرفية لـ: (كل). وانظر مبحث: «كلَّما» في كتابنا: «فتح القريب المجيب». وقيل: (ما): نكرة موصوفة، والجملة الفعلية بعدها صفة لها، وهي بمعنى وقت أيضاً. ﴿لَّعَنَتۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث والفاعل يعود إلى: ﴿أُمَّةٞ﴾. ﴿أُخۡتَهَاۖ﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَاۖ﴾ جواب: ﴿كُلَّمَا﴾ لا محل لها، و﴿كُلَّمَا﴾ متعلقة بجوابها، وهي ومدخولها كلام مستأنف لا محل له، أو هي في محل نصب حال من: ﴿ٱلنَّارِۖ﴾، والرابط المحذوف الذي قدرته. تأمل.

﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَا﴾: انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿ٱدَّارَكُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَمِيعٗا﴾: حال من واو الجماعة، وجملة: ﴿ٱدَّارَكُواْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة: ﴿إِذَا﴾ إليها على القول

المشهور المرجوح. ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿لِأُولَىٰهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء فيه وفي سابقه ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه حرف النداء، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. وانظر الآية رقم [٢٣]. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿أَضَلُّونَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية في محل رفع المبتدأ، والجملة الاسمية والجملة الندائية كلتاهما في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَتْ...﴾ إلخ جواب: ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و ﴿إِذَا﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له بعد ﴿حَتَّىٰٓ﴾ الابتدائية. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٧] عن الأخفش. ﴿فَـَٔاتِهِمْ﴾ الفاء: حرف عطف على رأي من يجيز عطف الإنشاء على الخبر، وابن هشام يعتبرها للسببية المحضة، وأراها، وأمثالها الفصيحة. (آتهم): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء ضمير في محل نصب مفعول به أول. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول به ثان. ﴿ضِعْفًا﴾: صفته. ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية لـ ﴿عَذَابًا﴾، أو بمحذوف حال منه بعد وصفه بما تقدم، وجملة: ﴿فَـَٔاتِهِمْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر؛ إذ التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً وواقعاً؛ فآتهم، وهذا الكلام داخل في مقول ﴿قَالَتْ﴾. تأمل. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، تقديره هو. ﴿لِكُلٍّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ضِعْفٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول؛ لأنها معطوفة على ما قبلها. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾: انظر الآية السابقة لشرح المفردات. وهو مشافهة ومخاطبة للأخرى. ﴿فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ والمعنى: قد ثبت: أنه لا فضل لكم علينا، وإنا وإياكم متساوون في الضلال، واستحقاق العقاب. وهذه المحاورة بين القادة، والأتباع، والرؤساء، والسفلة مما يقع يوم القيامة، أو بعد دخولهم النار، ذكرها الله في سور كثيرة. انظر الآية رقم [٢١] من سورة (إبراهيم)، والآية رقم [٤٧ و٤٨] من سورة (غافر)، والآية [٢٣] من سورة (ق) وما بعدها. ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ...﴾ إلخ. : هذا الكلام يحتمل أن يكون من قول القادة للأتباع،

والأمة الأولى للأخرى التي بعدها. ويحتمل أن يكون من قول الله تعالى، يعني: يقول الله للجميع: ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ﴾. انتهى خازن وانظر شرح ﴿ٱلْعَذَابَ﴾ في الآية السابقة. وانظر إعلال مثل: ﴿كُنتُمْ﴾ في الآية رقم [١١] وانظر الاستعارة في الآية [١٤] من سورة (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية السابقة. ﴿فَمَا﴾: الفاء: زائدة لتحسين اللفظ. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان بالخبر المحذوف، أو هما متعلقان بمحذوف خبر ثان، أو هما متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستقر في الجار والمجرور: ﴿لَكُمْ﴾. وبعضهم يعلقهما بمحذوف حال من ﴿فَضْلٍ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، ولا أؤيده، ﴿مِن﴾: حرف صلة. ﴿فَضْلٍ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿فَمَا كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَتْ...﴾ إلخ معطوفة، ومرتبة على جواب الله لـ ﴿أُخْرَىٰهُمْ﴾، فلا محل لها إذاً مثله. ﴿فَذُوقُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة كما في الآية السابقة. (ذوقوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلْعَذَابَ﴾: مفعول به ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. ما: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية (فعلى الأولين) مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (ذوقوا). ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص، مبني على السكون، والتاء اسمه. ﴿تَكْسِبُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر ﴿كَانَ﴾، والجملة الفعلية صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كنتم تكسبونه. هذا؛ وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بسبب كسبكم. والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (ذوقوا)، والجملة: ﴿فَذُوقُواْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، والتقدير: وإذا كان ذلك حاصلاً، وواقعاً؛ فذوقوا... إلخ. هذا؛ وإن اعتبرت الفاء زائدة؛ فلا شرط مقدر. وعلى الاعتبارين فالكلام في محل نصب مقول القول لقول محذوف. انظر الاحتمالين المذكورين في الشرح. والقول المحذوف، ومقوله كلام مستأنف لا محل له. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: لأدعيتهم، وأعمالهم؛ لأن الله يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أو لأرواحهم إذا ماتوا، كما تفتح لأدعية المؤمنين، وأعمالهم، ولأرواحهم. هذا؛ والفعل:

﴿تُفَتَّحُ﴾ يقرأ بالتخفيف، والتشديد، وبالتاء، والياء، وبالبناء للمجهول، والبناء للمعلوم. هذا؛ وانظر شرح: ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾ وإعلاله في الآية رقم [٦/٩٩]. ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: هي في الأصل: البستان من النخل، والشجر الكثير المتكاثف، الذي يجن، أي: يستر ما يكون متداخلاً فيه. وسميت دار الثواب جنة كما هنا؛ لما فيها من النعيم الذي لا ينفد. وجمع الجنة على جنات يدل على جنان كثيرة. مرتبة بحسب أعمال العاملين، لكل طبقة منهم جنة من تلك الجنان.

﴿يَلِجَ﴾: يدخل. وانظر إعلال: ﴿تَجِدُ﴾ في الآية رقم [١٦] فهو مثله. ﴿ٱلْجَمَلُ﴾: قال البيضاوي: وقرئ: (الجمَّل) كالقُمَّل، و(الجُمَل) كالنُّفَر، و(الجُمْل) كالقُفْل، و﴿ٱلْجَمَلُ﴾ كالنَّصَب، و(الجَمْل) كالحبْل. وهي الحبل الغليظ من القنب. وقيل: حبل السفينة، ولا يقال للبعير: جمل إلا إذا بزل. وقيل: لا يقال له ذلك إلا إذا بلغ أربع سنين، وهو السن الذي يقال له فيه: «حق»، وقبله يقال له: «حوار» ثم «فصيل» ثم «ابن مخاض» ثم «ابن لبون» وفي الخامسة: «جذع» وفي السادسة: «ثني» وفي السابعة: «رباع» وفي الثامنة: «سديس» وفي التاسعة: «بازل» وفي العاشرة: «مخلف» وليس بعد البزول، والإخلاف سن، بل يقال: بازل عام، أو عامين، ومخلف عام، أو عامين حتى يهرم، فيقال له: «عَوْد». انتهى جمل. هذا؛ والجمل حيوان معروف يكون بسنام، أو بسنامين، وجمعه: جمال وأجْمال، وجُمْل، وجمالة (بتثليث الجيم) وجمع الجمع: جمالات بتثليث الجيم، وجمائِل. ولم يذكر لفظه في غير هذه السورة.

﴿سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾: السم مثلث السين لغة، لكن السبعة على الفتح، وقرئ شاذّاً بالكسر والضم. انتهى جمل. وفي المصباح: السم: ما قتل بالفتح في الأكثر، وجمعه: سموم، مثل: فلس وفلوس، وسمام أيضاً، مثل: سهم، وسهام، والضم لغة لأهل العالية، والكسر لغة لبني تميم، والسم: ثقب الإبرة، وفيه اللغات الثلاث، وجمعه: سمام. انتهى. ﴿ٱلْخِيَاطِ﴾، ومثله: المِخْيَط: الآلة التي يخاط بها على وزن: فِعال ومِفعل، كإزار، ومِئْزر، ولحاف، وملحف، وقناع، ومقنع. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. والمراد بـ: ﴿سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة.

قال الخازن: وإنما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات؛ لأنه أكبر من سائرها عند العرب، فجسم الجمل من أعظم الأجسام، وثقب الإبرة من أضيق المنافذ، فكان ولوجُ الجمل مع عظم جسمه في ثقب الإبرة الضيق محالاً، فكذلك دخول الكفار الجنة محال، وهذا كقولك: لا آتيك حتى يشيب الغراب، وَيَبْيضَّ القارُّ، ومنه قول الشاعر: [الوافر]

إذا شابَ الغرابُ أتيْتُ أهلي ... وصارَ القارُ كاللَّبَنِ الحليبِ

انتهى خازن بتصرف. وإن كنت من أهل المعاني؛ فهاك قول الشاعر: [الطويل]

وَلَوْ أنَّ ما بِي مِنْ جَوًى وَصَبَابةٍ ... على جملٍ لَمْ يدخلِ النارَ كافِرُ

﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: الكافرين؛ لأنه تقدم من صفتهم: أنهم كذبوا بآيات الله، واستكبروا عنها. وهذه صفة الكفار، ولا تنس: أن كثيراً من المسلمين مجرمون، ولكن الجرائم تختلف من شخص إلى شخص. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٣٦]. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تُفَتَّحُ﴾: مضارع مبني للمجهول. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان به. ﴿أَبْوَٰبُ﴾: نائب فاعله، ويقرأ بالنصب على أنه مفعول به، فيكون الفاعل مستتراً، تقديره: «هي» يعود إلى الملائكة، وقيل: إلى الآيات، وعلى قراءة الياء يعود إلى (الله) و﴿أَبْوَٰبُ﴾: مضاف، و ﴿ٱلسَّمَآءِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ ابتدائية، أو مستأنفة، لا محل لها، وهي اسمية. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَدْخُلُونَ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾: مفعول به. وانظر الآية رقم [١٩]. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَلِجَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱلْجَمَلُ﴾: فاعله. ﴿فِى سَمِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب حال من: ﴿ٱلْجَمَلُ﴾، أي داخلاً في سم، و ﴿سَمِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْخِيَاطِ﴾: مضاف إليه، و«أن» المضمرة والفعل: ﴿يَلِجَ﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿لَا تُفَتَّحُ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نجزي المجرمين جزاءً كائناً مثل جزاءِ المكذبين المستكبرين. ﴿نَجْزِى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿وَكَذَٰلِكَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع أيضاً. هذا؛ والاستئناف ممكن؛ إذ الجملة بمنزلة التذييل لما قبلها، المقصود منها الوعيد كما رأيت.

﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾

الشرح: ﴿لَهُم﴾: للمكذبين، والمستكبرين. ﴿جَهَنَّمَ﴾: هي النار التي يعذب فيها من ذكر. وانظر دركات النار في الآية رقم [٤/ ١٤٥]. ﴿غَوَاشٍ﴾: أغطية من النار جمع: غاشية، وهو الغطاء كاللحاف، ونحوه، والمهاد: الفراش. ومعنى الآية: أن النار محيطة بهم من تحتهم، ومن فوقهم. هذا؛ ولا تنس: أنه قد يراد بالغاشية: القيامة، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ﴾. هذا؛ وإعلال: ﴿غَوَاشٍ﴾ مثل إعلال: ﴿لَءَاتٍ﴾ في الآية رقم [٦/ ١٣٤] والفارق بينهما: أن تنوين ﴿غَوَاشٍ﴾ تنوين عوض عن الياء المحذوفة. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ يعني:

وكذلك نكافئ، ونجازي المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وانظر (الظلم) في الآية رقم [٦/١٤٦]. وانظر (جزى) في الآية رقم [١٢٠] منها أيضاً.

تنبيه: قال البيضاوي: عبر عنهم (أي عن المشركين) بالمجرمين تارة، وبالظالمين أخرى، إشعاراً بأنهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الأوصاف الذميمة، وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة، والظلم مع التعذيب بالنار تنبيهاً على أنه أعظم الإجرام (أي: الجرائم).

الإعراب: ﴿لَهُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّن جَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالخبر المحذوف، أو بمحذوف خبر ثان، أو بمحذوف حال من الضمير المستقر في الخبر المحذوف. ﴿مِهَادٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة في الآية السابقة، والرابط: الضمير فقط، أو هي مستأنفة لا محل لها. ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿غَوَاشٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: فإعراب هذه الجملة ومحلها مثل ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ في الآية السابقة بلا فارق.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنُواْ﴾: انظر (الإيمان) في الآية رقم [٢]. ﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: الأعمال الصالحات على اختلاف أنواعها، وتفاوت درجاتها، ومراتبها. ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ﴾ أي: طاقتها، وقدرتها في ذلك، وذكره عقيب الإيمان والعمل الصالح؛ ليبين: أن المطلوب من الأعمال ما سهل فعله، وما فيه عسر، ومشقة فلسنا مكلفين بفعله، وغير مؤاخذين بتركه. ويدخل في هذا الباب جميع الرخص في الإسلام، كقصر الصلاة للمسافر، والفطر في رمضان للمريض والمسافر، وغير ذلك مما هو مشهور، ومعروف في الفقه الإسلامي. هذا؛ وقرئ: (لا تكلف نفس إلا وسعها). وانظر شرح: ﴿نَفْسًا﴾ في الآية رقم [٩]. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٣٦] ما عدا ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾، انظر شرحها في الآية رقم [٤٠] هذا؛ والتكليف: ما فيه كلفة، وقد يكون فيه جهد، ومشقة. وانظر الآية رقم [٢/٢٨٦] و[٦/١٥٢]. وانظر (نا) في الآية رقم [٦].

تنبيه: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ هو معطوف على ما في الآيتين السابقتين، ومقابل له؛ إذ اقتضت حكمة الله تعالى، ورحمته أن لا يذكر التكذيب من الكافرين؛ إلا ويذكر التصديق من المؤمنين؛ ولا يذكر الكفر؛ إلا ويذكر الإيمان، ولا يذكر النار؛ إلا ويذكر

الجنة، ولا يذكر الغضب، والسخط إلا ويذكر الرضا، والرحمة؛ ليكون المؤمن خائفاً راجياً، وراهباً راغباً... إلخ.

الإعراب: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥] فهو مثله، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿الصَّٰلِحَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿نُكَلِّفُ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، ﴿نَفْسًا﴾: مفعول به أول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿وُسْعَهَا﴾: مفعول به ثان، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى القراءة الثانية فـ: (تُكَلَّفُ) مضارع مبني للمجهول، و(نَفْسٌ) نائب فاعله، وهو المفعول الأول، وعلى القراءتين فالجملة الفعلية معترضة بين المبتدأ، والخبر، لا محل لها. وجوز أبو البقاء اعتبارها خبراً أول، وهو ضعيف. ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ...﴾ إلخ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٣٦] والجملة الاسمية: ﴿أُولَٰئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ إلخ في الآية [٤٠].

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ أي: وأخرجنا ما في صدور المؤمنين من حسد، وحقد، وعداوة كانت بينهم في الدنيا فجعلناهم إخواناً على سرر متقابلين، لا يحسد بعضهم بعضاً على شيء خص الله به بعضهم دون بعض. ومعنى نزع الغل: تصفية الطباع، وإسقاط الوساوس، ودفعها من أن ترد على القلب، حتى يكون القلب خالياً من كل غش. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

روي عن علي ـ كرم الله وجهه ـ: أنه قال: فينا والله أهل بدر نزلت: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾. وروي عنه أيضاً: أنه قال: إني لأرجو أن أكون أنا، وعثمان، وطلحة، والزبير منهم. هذا؛ و(الغل) بالمعنى المذكور بكسر الغين، وهو بضمها القيد من الحديد، وحرارة العطش أيضاً. هذا؛ و«الغلول» من المغنم خاصة، لا من الخيانة، ولا من الحقد. انظر الآية رقم [٣/١٦١]. ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ﴾ أي: من تحت قصورهم، ومساكنهم؛ التي يسكنونها. ﴿الْأَنْهَٰرُ﴾: جمع: نهر، وهو معروف في الدنيا، ولكن شتان ما بين أنهار الجنة،

وأنهار الدنيا! هذا؛ ويجمع النهر على: أنهر ونُهُر ونهور، وهاء «النهر» تسكن وتفتح. فبعد أن بين الله: أنه نزع ما في قلوبهم من حقد؛ أخبر بما أنعم به عليهم من اللذات، والمسرات. ﴿وَقَالُوا۟﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: انظر الآية الأولى من سورة (الفاتحة).

والمعنى: إن المؤمنين إذا دخلوا الجنة؛ حمدوا الله الذي وفقهم للإيمان، وأرشدهم للعمل؛ الذي هذا ثوابه، وما كان لهم هذا لولا توفيق الله، وهدايته. وفي الآية دليل على أن المهتدي مَنْ هداه الله، ومن لم يهدِهِ الله؛ فليس بمهتد: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾. ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ثبت لنا أن ما وعد به الرسل من الثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين أنه حق واقع. ﴿جَآءَتْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿رُسُلُ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿رَبِّنَا﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: انظر الآية رقم [٣٣]. ﴿وَنُودُوٓا۟﴾ أي: نادى مناد، واختلف في هذا المنادي، فقيل: هو الله. وقيل: الملائكة. ﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا...﴾ إلخ: أي: هذه الجنة التي استحققتم الدخول فيها بسبب عملكم الصالح في الدنيا.

فعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة - رضي الله عنهما -: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ؛ نادى مُنادٍ: إنَّ لكم أَنْ تَحْيَوْا، فلَا تموتُوا أبداً، وإنَّ لكمْ أنْ تَصِحُّوا، فلَا تسْقَموا أبداً، وإنَّ لكُمْ أَنْ تشِبُّوا، فلَا تهرموا أبداً، وإن لكم أنْ تنعموا، فلا تبْأَسوا أبداً**». فذلك قوله عز وجل: ﴿وَنُودُوٓا۟ أَن...﴾ إلخ.

وروى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «**ما مِنْ أحَدٍ إلَّا ولَهُ منزلٌ في الجنةِ، ومنزلٌ في النارِ، فأمَّا الكافِرُ؛ فإنهُ يرِثُ المؤمِنَ مَنْزِلَهُ من النارِ، والمؤمِنُ يرِثُ الكافِرَ منزلَهُ من الجنَّةِ**». فذلك قوله تعالى: ﴿أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. وقيل: ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾ عن الأعمال الصالحة؛ التي عملتموها؛ لأن الجنة جعلت لهم جزاء، وثواباً على الأعمال. ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يَدْخُلَ الجنةَ أحدٌ بعملِهِ، وإنَّمَا يدخُلُهَا برحمةِ الله**». فإنَّ دخولَ الجنةِ برحمةِ اللهِ، وانقسام المنازلِ، والدرجاتِ بالأعمال.

الإعراب: (نزعنا): فعل، وفاعل. وانظر الآية رقم [١٠]. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِى صُدُورِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الجار والمجرور، و﴿مِّنْ﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَا﴾ والجملة الفعلية: ﴿تَجْرِى...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿تَجْرِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ. ﴿مِن تَحْتِهِمُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية: ﴿وَنَزَعْنَا...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْحَمْدُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلَّهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. ﴿ٱلَّذِى﴾:

اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة، أو بدل من: ﴿ٱللَّهَ﴾. ﴿هَدَىٰنَا﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهَ﴾. و(نا): مفعول به. ﴿لِهَٰذَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. (ما): نافية. ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): ضمير متصل في محل رفع اسمها. ﴿لِنَهْتَدِيَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أنْ» مضمرة وجوباً بعد لام الجحود، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، التقدير: وما كنا مريدين للاهتداء، والجملة الفعلية هذه في محل نصب حال من (نا) الدالة على الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. ﴿لَوْلَآ﴾: حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط، والمصدر المؤول من: ﴿أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ في محل رفع مبتدأ، التقدير: لولا هداية الله، وخبر هذا المبتدأ محذوف، التقدير: موجودة، والجملة الاسمية هذه قائمة مقام شرط ﴿لَوْلَآ﴾، وجوابها محذوف، دل عليه ما قبله. ﴿لَقَدْ﴾: اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿رُسُلُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و ﴿رَبِّنَا﴾: مضاف إليه، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رُسُلُ رَبِّنَا﴾، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدْ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، (نودوا): ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، ﴿أَن﴾: حرف تفسير. ﴿تِلْكُمُ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم علامة جمع الذكور. ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. ﴿أُورِثْتُمُوهَا﴾: ماض مبني للمجهول، مبني على السكون، والتاء نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والميم علامة جمع الذكور. وحركت بالضم للإشباع، فتولدت واو الإشباع. و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. هذا؛ وقيل: ﴿ٱلْجَنَّةُ﴾ خبر المبتدأ، والجملة الفعلية في محل نصب حال من الجنة، والعامل في الحال اسم الإشارة. والأول أقوى. وعلى اعتبار الحال يجب تقدير: «قد» قبل الجملة الفعلية، والجملة الاسمية: ﴿أَن تِلْكُمُ...﴾ إلخ مفسرة لقوله: (نودوا) لا محل لها. وانظر الآية التالية. والجملة الفعلية: ﴿وَنُودُوٓا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ المعطوفة بدورها على جملة (نزعنا...) إلخ لا محل لها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع، والجملة الاسمية: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وأيضاً القسم المقدر، وجوابه كله في محل نصب مقول القول. ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ انظر إعراب: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ في الآية رقم [٣٩] فالإعراب واحد بلا فارق بينهما.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ...﴾ إلخ: أي: نادى أهل الجنة أهل النار. وهذا النداء، إنما يكون بعد استقرار أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا...﴾ إلخ: يعني: ما وعدنا ربنا في الدنيا على ألسنة رسله من الثواب على الإيمان به، وبرسله، وطاعته. ﴿حَقّٗا﴾ أي: ثابتاً موجوداً. ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ﴾ أي: ما وعدكم به ربكم من العقاب على ألسنة الرسل، وذلك بسبب الكفر. ﴿قَالُواْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿نَعَمۡۚ﴾: حرف جواب كأجل، وجير، وإي، وبلى. ونقيضها: لا. و«نعم» تكون لتصديق المخبر، أو إعلام المستخبر، أو وعد الطالب. ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ﴾: قيل: المؤذن إسرافيل. وقيل: غيره من الملائكة. هذا؛ والأذان: الإعلام، والمعنى: نادى مناد أسمع الفريقين: ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ نازلة ﴿عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنفسهم بالكفر. بعد هذا انظر شرح: ﴿أَصۡحَٰبُ﴾ في الآية رقم [٣٦] و﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾: في الآية رقم [٤٠]. ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿رَبُّنَا﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿حَقّٗا﴾: انظر الآية رقم [٣٣]. ﴿قَالُواْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٦] من سور (المائدة).

﴿وَعَدَنَا﴾: فلا بد من شرح الوعد، والتوسع به هنا، فأقول ـ وبالله التوفيق ـ: إذا قلت: وعدت فلاناً من غير أن تتعرض لذكر الموعود به؛ كان ذلك خيراً، وإذا قلت: أوعدت فلاناً من غير ذكر الموعد به؛ كان ذلك شرّاً، وهو ما في بيت طرفة بن العبد: [الطويل]

وإنِّي وإنْ أَوْعدْتُهُ أو وعدْتُهُ ... لَمخلِفُ إيعادي ومنجِزُ موْعدي

وهذا هو قول الجوهري، وقول كثير من أئمة اللغة، وأما عند ذكر الموعود به، أو الموعد به، فيجوز أن يستعمل «وعد» في الخير، وفي الشر، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾. ومن الثاني قوله جل شأنه: ﴿قُلۡ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكُمُۖ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾. وأنشدوا: [الطويل]

إذا وعدَتْ شرّاً أتى قبْلَ وقتِهِ ... وإنْ وعدَتْ خيْراً أراثَ وعتَّمَا

كما يستعمل (أوعد) فيهما أيضاً، كقولك: «أوعدت الرجل خيراً، وأوعدته شرّاً». هذا؛ والمركز في الطبائع: أن من مكارم الأخلاق، وجميل العادات: أنك إذا وعدت غيرك أن تنزل به شرّاً؛ كان الخلف محمدة، وإذا وعدته خيراً؛ كان الخلف منقصة، وهذا ما أراده طرفة في بيته المتقدم. هذا؛ والثابت عند الأشاعرة: أنه يجوز إخلاف الوعيد في حقه تعالى كرماً، وعند الماتريدية لا يجوز. وأما الوعد؛ فلا يجوز الخلف في حقه تعالى اتفاقاً. دليل الأشاعرة قول

النبي ﷺ: «**مَنْ وعدهُ اللهُ على عملٍ ثواباً؛ فهو منجزٌ لَهُ، ومَنْ أوعدَهُ على عَملٍ عقاباً؛ فهوَ بالْخِيارِ، إنْ شاءَ؛ عذَّبَهُ، وإنْ شَاءَ؛ عفَا عنهُ**».

﴿لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: المراد بالظالمين الكفار؛ الذين استحقوا العذاب المقيم في جهنم. هذا؛ وقد كرر الله لعن الكفار في الآية الكريمة رقم [١٦١/ ٢] انظرها. وهو دليل قاطع على أن من مات على كفره فقد استحق اللعن من الله، والملائكة، والناس أجمعين. وأما الأحياء من الكفار؛ فقد قال العلماء: لا يجوز لعن كافر معين؛ لأن حاله عند الوفاة لا يعلم، فلعله يموت على الإسلام، وقد شرط الله في الآية [١٦١/ ٢] إطلاق اللعنة على من مات على الكفر، ويجوز لعن الكفار، أي جملة بدون تعيين، كما في قولك: لعن الله الكافرين، يدل عليه قول النبي ﷺ: «**لعنَ اللهُ الْيهودَ، حرِّمَتْ علَيهمُ الشُّحُومُ، فجمَّلوها، فبَاعوهَا**». وذهب بعضهم إلى جواز لعن إنسان معين من الكفار، بدليل جواز قتاله، وأما العصاة من المسلمين، فلا يجوز لعن أحد منهم على التعيين قطعاً، وأما على الإطلاق، فيجوز كما في قولك: لعن الله الفاسقين، والفاسقات، والفاسدين، والفاسدات... إلخ، لما روي: أن النبي ﷺ قال: «**لعنَ اللهُ السارقَ، يسرِقُ البيضةَ والحبْلَ، فتُقْطَعُ يَدُهُ**». ولعن رسول الله ﷺ الواشمةَ، والمستوشمة، وآكل الرِّبا، ولعن مَنْ غيَّر منارَ الأرضِ، ومَنِ انتسبَ إلى غيرِ أبيهِ، ومَنْ عمِلَ عَمَلَ قَوْمِ لوطٍ، ومن أتى امرأةً في دبرها، وغير ذلك، وكل هذا في الصحيح. هذا؛ ومعنى اللعن: الطرد، والإبعاد من رحمة الله تعالى. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَنَادَىٰٓ﴾: الواو: استئنافية. (نادى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المقصورة للتعذر. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَصۡحَٰبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَن﴾ مفسرة، أو مخففة من الثقيلة. ﴿قَدۡ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿وَجَدۡنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿وَعَدَنَا﴾: ماض، ومفعوله. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعله، و(نا) في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف التقدير: الذي أو شيئاً وعدنا ربنا إياه. وعلى اعتبار ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: وجدنا وعْدَ ربنا. ﴿حَقًّا﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا...﴾ إلخ مفسرة للفعل نادى لا محل لها، وعلى اعتبار ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة فاسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة الفعلية في محل رفع خبرها، وهي تؤول مع اسمها المحذوف وخبرها بمصدر في محل نصب بنزع الخافض، أو هو مجرور بحرف جر محذوف، التقدير: نادى أصحاب... إلخ بوجداننا ما وعدنا... إلخ، واعتبار ﴿أَن﴾ مخففة يقال بقوله تعالى ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ...﴾ إلخ في الآية السابقة، والجملة الفعلية: ﴿وَنَادَىٰٓ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهَلۡ﴾: الفاء: حرف

استئناف. (هل): حرف استفهام. ﴿وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ فإعراب هذه الجملة مثل إعراب سابقتها، وهي مستأنفة لا محل لها مثلها. ﴿قَالُوا﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿نَعَمْ﴾: حرف جواب مبني على السكون في محل نصب مقول القول، وذلك على سبيل الحكاية، وجملة: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ مستأنفة لا محل لها. ﴿فَأَذَّنَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (أذن): ماض. ﴿مُؤَذِّنٌ﴾: فاعله. ﴿بَيْنَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل، أو بـ: ﴿مُؤَذِّنٌ﴾ والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: مفسرة، أو مخففة من الثقيلة. ﴿لَّعْنَةُ﴾: مبتدأ، وهو مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿عَلَى الظَّالِمِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مفسرة لا محل لها، وعلى اعتبار: ﴿أَن﴾ مخففة فاسمها ضمير الشأن محذوف، والجملة الاسمية في محل رفع خبرها، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر... إلخ، انظر ما قبله، وجملة: ﴿فَأَذَّنَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. هذا؛ وقرئ: (إنَّ) بكسر الهمزة، وتشديد النون، ونصب: (لعنة) وعليه: فالجملة الاسمية مقولة لقول محذوف.

﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿يَصُدُّونَ﴾: يمنعون، ويصرفون. وهو بضم الصاد. هذا؛ ويأتي بمعنى: يعرضون، ويميلون، كما في قوله تعالى في وصف المنافقين: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ ويأتي بضم الصاد، وكسرها، كما يأتي بمعنى: يضجون فرحاً، وهو بكسر الصاد، كما في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾. ومصدر الأولين: صدٌّ، وصُدُود، ومصدر الأخير صَديد. ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾: دينه، وشريعته. هذا؛ و(السبيل) الطريق يذكر، ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾. ومن التأنيث قوله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ والجمع على التأنيث سبول، وعلى التذكير: سبل، كما في الآية رقم [١٦/ ٥]. ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: يطلبون لها اعوجاجاً، وميلاً عن القصد، والاستقامة، وذلك بمنعهم الناس عن الدخول في الإسلام. وأنث الضمير على اعتبار (السبيل) مؤنثة.

هذا؛ و(العوج) بكسر العين، وفتحها، وقد فرق العرب بينهما، فخصوا المكسور بالمعاني، والمفتوح بالأعيان، تقول: في دينه عوج (بالكسر) وفي الجدار عوج (بالفتح). ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: المراد بها: الحياة التي يحياها الإنسان مرة ثانية بعد الموت، وبعد البعث، والحساب، والجزاء، وتكون في الجنة لمن آمن وعمل صالحاً، أو في النار لمن كفر، أو عمل سيئاً. ﴿كَافِرُونَ﴾: انظر الآية رقم [٦٦] الآتية. هذا؛ فالآية الكريمة تبين مدى كفر القرشيين، وتماديهم في الضلال، فإنهم لا يكتفون بكفرهم، وضلالهم، بل يحاولون منع الناس عن الدخول في دين الله. وانظر ذم علماء اليهود؛ لسلوكهم هذا الطريق في الآية رقم [٩٩] من سورة (آل عمران).

الإعراب: ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة: ﴿الظَّالِمِينَ﴾، أو بدل منه، أو في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين. أو في محل رفع مبتدأ خبره محذوف، تقديره: خاسرون، أو خائبون، ونحوهما. أو في محل نصب بفعل محذوف. و﴿سَبِيلِ﴾: مضاف، و ﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. (يبغونها): فعل، وفاعل ومفعول به أول، وقد كان الضمير مجروراً بحرف الجر، فلما حذف الجار اتصل بالفعل وانتصب به، على حد قوله تعالى: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾. ﴿عِوَجًا﴾: مفعول به ثان على التوسع. هذا؛ وقد قيل: إن الضمير مفعول به صراحة، و ﴿عِوَجًا﴾ حال من الضمير، بمعنى معوجة، ولا بأس به. والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. (هم): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِالْآخِرَةِ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿كَافِرُونَ﴾: خبر مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، وهو أولى من الاستئناف. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾: بين الجنة، والنار. وقيل: بين أهليهما حجاب، أي: ساتر، أو حاجز يحجز بينهما، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾. والأعراف أعالي السور المذكور، وهو جمع: عرف، وهو كل مرتفع، ومنه قيل: عرف الديك، لارتفاعه على ما سواه من الجسد، وهو بضم العين، والعرف: المعروف، قال تعالى لنبيه: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾. هذا؛ والعرف (بفتح العين): الريح طيبة كانت، أو منتنة. ﴿رِجَالٌ﴾: جمع: رجل، وهو مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة، والشهامة، وغيرهما. وقد اختلف في هؤلاء الرجال اختلافاً كبيراً، وأرجّح: أنهم رجال استوت حسناتهم، وسيئاتهم، وهم من أهل التوحيد، فيوقفون على هذا السور، يتفضل الله عليهم بدخول الجنة. ومساق الآيات الآتية يؤكد هذا. ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾: أولئك الرجال يعرفون كلاًّ من أهل الجنة، وأهل النار بالعلامات التي تكون على وجوههم، فعلامات أهل الجنة بياض الوجوه، وبهجة النعيم عليهم. وعلامات أهل النار سواد الوجوه، وزرقة العيون. ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ أي: ينادي أولئك الرجال أهل الجنة، ويقولون لهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ أي: حصل لكم السلامة من الآفات، وحصل لكم الأمن من غضب الله، وسخطه، وحصل لكم الأمن من دخول النار. ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أي: أولئك الرجال لم يدخلوا الجنة، وهم لا يزالون على الأعراف، ولكنهم طامعون في دخولها، لم يقطعوا أملهم من كرم الله، وجوده. هذا؛ وإعلال: (نادوا) شبيه بإعلال: ﴿تَحْيَوْنَ﴾ في الآية رقم [٢٤]:

﴿أَصْحَٰبَ﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: انظر الآية رقم [٤٠]. هذا؛ والطمع: نزوع النفس إلى الشيء، والحرص على حصوله. وطمع، يطمع من باب: سلم، يسلم، والتعبير بالماضي بقوله: ﴿وَنَادَوْاْ﴾ عن المستقبل؛ لتحقق وقوعه. وانظر الآية رقم [١١٠] (المائدة) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿وَبَيْنَهُمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (بينهما): ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم، والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿حِجَابٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿رِجَالٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿يَعْرِفُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿كُلًّا﴾: مفعول به. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَعْرِفُونَ...﴾ إلخ في محل رفع صفة: ﴿رِجَالٌ﴾. (نادوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَصْحَٰبَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و ﴿ٱلْجَنَّةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿وَنَادَوْاْ...﴾ إلخ: معطوفة على ما قبلها فهي في محل رفع صفة مثلها، وساغ ذلك؛ لأن الفعل بمعنى المستقبل كما رأيت. ﴿أَن﴾: مفسرة، أو مخففة من الثقيلة. ﴿سَلَٰمٌ﴾: مبتدأ، وساغ الابتداء به، وهو نكرة؛ لأنه بمعنى الدعاء. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مفسرة لـ (نادوا) لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر أن المخففة... إلخ، على نحو ما رأيت في الآية [٤٤]. ﴿لَمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَدْخُلُوهَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعوله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩] والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة. وقيل: من ﴿أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾، والأول أقوى. (هم): ضمير منفصل مبتدأ، وجملة: ﴿يَطْمَعُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ﴾: صرفت أبصار الرجال المحبوسين على الأعراف. ﴿تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ أي: جهتهم، وحيالهم، فنظروا إليهم، وإلى سواد وجوههم، وما هم فيه من العذاب. ﴿قَالُواْ رَبَّنَا...﴾ إلخ أي: قالوا مستغيثين ومستجيرين ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالشرك. هذا؛ و﴿تِلْقَآءَ﴾ يستعمل ظرف مكان كما هنا، ويستعمل مصدراً كالتبيان، ولم يجيء من المصادر على التفعال بالكسر غير: التلقاء والتبيان والزلزال والوسواس، وإذا فتحت الأول صارت أسماءً. هذا؛ و ﴿تِلْقَآءَ﴾ يقرأ بالمد، والقصر قراءتان سبعيتان. هذا؛ ولم أعثر على فعل لـ ﴿تِلْقَآءَ﴾

على الاعتبارين: المصدرية والاسمية. هذا؛ وهمزته بالمد منقلبة عن ياء (تلقاي) لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين. ﴿أَصْحَٰبِ﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿قَالُوا۟﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿رَبَّنَا﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿ٱلْقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٣١]. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: انظر الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام).

تنبيه: قال الخازن في تفسير الآية رقم [٤٤]: فإن قلت: إذا كانت الجنة في السماء، والنار في الأرض؛ فكيف يمكن أن يبلغ هذا النداء؟ أو كيف يصح أن يقع؟ قلت: إن الله تعالى قادر على أن يقوي الأصوات، والأسماع، فيصير البعيد كالقريب. انتهى.

قال سليمان الجمل: ويحتمل: أنه تعالى يقرب إحدى الدارين من الأخرى، إما بإنزال العليا، وإما برفع السفلى، فإن قلت: كيف يرى أهل الجنة أهل النار، وبالعكس مع أن بينهما حجاباً؛ وهو سور الجنة؟ أجيب باحتمال: أن سور الجنة لا يمنع الرؤية لما وراءه لكونه شفافاً كالزجاج، وباحتمال: أن فيه طاقات تحصل الرؤية منها. انتهى.

أقول: إن ما قاله الخازن بعيد كل البعد، وما قاله الجمل أقرب إلى الصواب، فإن نص الآية السابقة: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ...﴾ إلخ يفيد: أنهما متجاورتان، والآيات رقم [٥٠] إلى [٦٠] من سورة الصافات تؤكد هذا كل التأكيد، فإن قوله تعالى: ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي: نظر المؤمن إلى صديقه الكافر الذي كان ينفي البعث بعد الموت، والحساب... إلخ فرآه في وسط جهنم، فوبخه، وأنبه على ما كان يقوله له في الدنيا، ويبقى وجودهما في الآخرة في أي مكان متجاورتين من مكنونات علم الله تعالى، على أننا نعتقد بوجودهما في الدنيا في مكان لا نعرفه، والدليل على ذلك قوله تعالى في حق فرعون، وأشياعه. ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ وقال الرسول المعظم: «**إذا جاءَ رمضَان؛ فتّحتْ أبوابُ الجنةِ، وغلِّقَتْ أبوابُ النارِ، وصُفِّدَتِ الشياطينُ**». رواه الشيخان عن أبي هريرة، رضي الله عنه. خذ هذا التحقيق، فإنه دقيق، وادع الله لي بالتوفيق.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿صُرِفَتْ﴾: ماض مبني للمجهول، والتاء للتأنيث. ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾: نائب فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿تِلْقَآءَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، وهو مضاف، و ﴿أَصْحَٰبِ﴾: مضاف إليه، و ﴿أَصْحَٰبِ﴾: مضاف، و ﴿ٱلنَّارِ﴾: مضاف إليه، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، وجملة: ﴿صُرِفَتْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف منه حرف النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة. وانظر الآية رقم [٢٣]. ﴿لَا﴾: دعائية جازمة. ﴿تَجْعَلْنَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَا﴾، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و ﴿مَعَ﴾:

مضاف، و﴿ٱلْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: صفة: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملتان: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و (إذا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا﴾: من أصحاب النار، كانوا عظماء في الدنيا، فينادونهم على السور بأسمائهم، ويقولون لهم وهم في النار: يا وليد بن المغيرة، يا أبا جهل بن هشام، يا فلان، يا فلان. انتهى خازن. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: وهي سواد الوجوه، وزرقة العيون. ﴿قَالُواْ مَآ أَغْنَىٰ...﴾ إلخ. يقولون لهم لم ينفعكم جمع المال، أو كثرتكم شيئاً يذكر. ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: لم ينفعكم استكباركم عن الإيمان، وعن الحق الذي جاء به محمد ﷺ. هذا؛ وقد قرئ: (تستكثرون) بالثاء بدل الباء من الكثرة. هذا؛ والتعبير بالماضيين بدل المضارعين لتحقق وقوع ذلك يوم القيامة. وانظر الآية رقم [٥/ ١١٦]. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾: انظر الآية رقم [٤٦]. ﴿رِجَالًا﴾: انظر الآية [٤٦]. ﴿قَالُواْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿كُنتُمْ﴾: انظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] فهو مثله.

الإعراب: (نادى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر. ﴿أَصْحَٰبُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلْأَعْرَافِ﴾: مضاف إليه. ﴿رِجَالًا﴾: مفعول به. ﴿يَعْرِفُونَهُم﴾: فعل مضارع، وفاعله، ومفعوله، والجملة الفعلية في محل نصب صفة: ﴿رِجَالًا﴾. ﴿بِسِيمَٰهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿مَآ﴾: نافية. ﴿أَغْنَىٰ﴾: ماض مبني على فتح... إلخ. ﴿عَنكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿جَمْعُكُمْ﴾: فاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿مَآ أَغْنَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. هذا؛ وجوز اعتباراً ﴿مَآ﴾ استفهامية، فهي مبنية على السكون في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿أَغْنَىٰ...﴾ إلخ في محل رفع خبرها، وعليه فالجملة اسمية، وهي في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ تفسير (نادى...) إلخ لا محل للتفسير، ولا للمفسر. ﴿مَآ﴾: مصدرية. ﴿كُنتُمْ﴾: ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، و﴿مَآ﴾ المصدرية وما بعدها في تأويل مصدر في محل رفع معطوف على: ﴿جَمْعُكُمْ﴾. وانظر الشرح. هذا؛ واعتبار: ﴿مَآ﴾ هنا موصولة، أو موصوفة ضعيف بجانب اعتبارها مصدرية. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: الإشارة إلى ضعفاء المسلمين، وذلك؛ لأن أهل النار يرون أهل الجنة، وأصحاب الأعراف ينظرون إلى الفريقين، فيشير أصحاب الأعراف لضعفاء المؤمنين الذين كانوا يعذبون في الدنيا من قبل المشركين، كصهيب، وبلال، وسلمان، وخباب، وأشباههم، ويقولون للمشركين: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ. ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ﴾: هذا من مقول أصحاب الأعراف لأهل الجنة المستضعفين في الدنيا، فيكون التفاتاً من خطاب قوم إلى خطاب آخرين. وقيل: الأمر لأصحاب الأعراف أنفسهم، والقائل هو الله، أو الملائكة، وذلك بعد أن حبسوا، وأبصروا الفريقين، وعرفوهم، وقالوا لهم ما قالوا. وقيل: لما عيروا أصحاب النار، وأنّبوهم؛ أقسم أصحاب النار: أن أصحاب الأعراف لا يدخلون الجنة، فقال الله، أو بعض الملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ. وهو ضعيف، تأمل. وقرئ في الشاذ: (دخلوا الجنة) بصيغة الماضي. ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ...﴾ إلخ. انظر الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ، وتقريع. (هؤلاء): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه، لا محل له. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَنَالُهُمُ﴾: مضارع مرفوع، والهاء مفعوله. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بِرَحۡمَةٍۚ﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية جواب ﴿أَقۡسَمۡتُمۡ﴾ لا محل لها، والقسم والجواب صلة الموصول، والعائد الضمير المنصوب، والجملة الاسمية: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لـ: ﴿قَالُواْ﴾ في الآية السابقة، وهذا على اعتباره من مقول أصحاب الأعراف، أو لقول محذوف على أن القائل هو الله، أو الملائكة لأصحاب الأعراف. وقد رأيت ضعفه. ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿ٱلۡجَنَّةَ﴾: مفعول به. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٩]. وعلى القراءة الشاذة فهو ماض مثل: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذا الكلام في الآية رقم [٣٥] والجملتان في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير فيهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول للمذكور في الآية السابقة، أو لقول محذوف، كما رأيت. هذا؛ وعلى اعتبار الجملة ماضوية؛ فهي في محل رفع خبر ثان للمبتدأ.

﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠﴾

الشرح: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما صار أصحاب الأعراف إلى الجنة، طمع أهل النار في الفرج، فقالوا: يا ربنا إن لنا قرابات من أهل الجنة، فائذَن لنا حتى نراهم، ونكلمهم، فيأذن لهم، فينظرون إلى قراباتهم في الجنة، وما هم فيه من النعيم، فيعرفونهم، وينظر أهل الجنة إلى قراباتهم من أهل النار، فلم يعرفوهم لسواد وجوههم، فينادي أصحاب النار أصحاب الجنة بأسمائهم، فينادي الرجل أباه، وأخاه، فيقول: قد احترقت، أفض علي من الماء! فيقال لهم: أجيبوهم، فيقولون: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. وهذا الجواب يفيد الحرمان.

قال بعضهم: لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الأكل، والشرب؛ عذبهم الله في الآخرة بشدة الجوع، والعطش، فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا، فأجيبوا بالتحريم، والمنع، والحرمان. ﴿أَصۡحَٰبُ﴾: انظر الآية رقم [٣٦]. ﴿ٱلنَّارِ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ انظر الآية رقم [٤٠]. ﴿أَفِيضُواْ﴾: صبوا، والإفاضة: الصب، وهو هنا من الرباعي. وانظره من الثلاثي في الآية رقم [٨٣] من سورة (المائدة). ﴿ٱلۡمَآءِ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٦/٩٩]. ﴿ٱللَّهُۚ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿حَرَّمَهُمَا﴾: انظر: ﴿مُحَرَّمًا﴾ في الآية رقم [٦/١٤٥]. ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: انظر الكفر في الآية رقم [٦٦] الآتية.

الإعراب: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٤٣]. ﴿أَنۡ﴾: مفسرة، أو مخففة من الثقيلة. ﴿أَفِيضُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿عَلَيۡنَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿أَفِيضُواْ...﴾ إلخ مفسرة للفعل: (نادى...) إلخ، أو هي في محل رفع خبر ﴿أَنۡ﴾ المخففة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه، و﴿أَنۡ﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف. وينبغي أن تعلم أنه قد مر معك مثل هذه في خمسة مواضع، وهي: ﴿أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ﴾، ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا﴾، ﴿أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ...﴾ إلخ، ﴿أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ وفي هذه المواضع كلها يجوز اعتبار ﴿أَنۡ﴾ مفسرة، ومخففة من الثقيلة، ولكنني أقول: إن صح في الآيات السابقة الاعتباران، فإنه يبدو لي اعتبار المخففة في هذه الآية ضعيفاً؛ لأن الجملة الواقعة خبراً لها طلبية إنشائية، وهذا لا يجيزه كثير من المحققين. والجملة الفعلية: (نادى...) إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [٤٧] لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف والثانية بالإتباع. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿مِمَّا﴾: جار ومجرور معطوفان على قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾. وهذا

لا يصح إلا بتضمين: ﴿أَفِيضُواْ﴾ معنى: ألقوا إذا كان المراد من ذلك الطعام؛ لأن الطعام لا يفاض، وإنما الإفاضة للماء. هذا؛ وقد قيل: إن المراد: مما رزقكم الله من سائر الأشربة المباحة غير الماء، فيبقى الفعل: ﴿أَفِيضُواْ﴾ على بابه من غير تضمين حينئذ. هذا؛ و (ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية. فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، وهو المفعول الثاني؛ إذ التقدير: من الذي، أو من شيء رزقكم الله إياه، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (من)، التقدير: من رزق الله إياكم ما تشتهون. ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱللَّهَ﴾: اسمها. ﴿حَرَّمَهُمَا﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهَ﴾، والهاء مفعول به، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، والجملة الفعلية مع المتعلق في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾

الشرح: ﴿ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا﴾: كتحريم البحيرة، والسائبة... إلخ، والتصفيق حول الكعبة، والصفير أيضاً، وغير ذلك مما لا أصل له. هذا؛ وانظر شرح (الدين) في الآية رقم [١٦١/ ٦] واللعب: ترك ما ينفع بما لا ينفع. واللهو: الميل عن الجد إلى الهزل. ﴿وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: شغلتهم بالطمع في طول العمر، وحسن العيش، والحياة، ونيل الشهوات. وانظر الآية رقم [٢٩/ ٦] لشرح الحياة الدنيا. ﴿نَسُواْ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٤٤/ ٦]. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨/ ٦]. هذا؛ ومعنى ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾ أي: من رحمتنا، أو هو بمعنى: نعاقبهم على سوء أعمالهم، ونجازيهم على فساد عقيدتهم. وذكره بما ترى للمشابهة بما كانوا يفعلون؛ لأن الله منزه عن النسيان، وهذا يسمى في فن البلاغة مشاكلة، وهو كثير في القرآن الكريم، كقوله جل ذكره: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾. ﴿كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ أي: نسوا يوم القيامة، والعمل له، والاستعداد للقائه بالإيمان والعمل الصالح والتوبة والإنابة. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: انظر شرحها في الآية رقم [٩]. ﴿يَجْحَدُونَ﴾: جحد الشيء: أنكره، وجحد الإسلام كفر به. وهو من باب: فتح. هذا؛ والمراد بـ: (اليوم) و﴿يَوْمِهِمْ هَٰذَا﴾ يوم القيامة؛ الذي يبعثون فيه للحساب والجزاء.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: يجوز فيه ما جاز بنظيره في الآية رقم [٤٥]. ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾: فعل ماض وفاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿دِينَهُمْ﴾: مفعول به أول،

و(الهاء) في محل جر بالإضافة. ﴿لَهْوًا﴾: مفعول به ثان. ﴿وَلَعِبًا﴾: معطوف عليه، والجملة الفعلية: ﴿ٱتَّخَذُوا۟...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلاً بالإضافة. ﴿وَغَرَّتْهُمُ﴾: الواو: حرف عطف. (غرتهم): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾: فاعل. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةُ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها. ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾: الفاء: زائدة، أو حرف استئناف. (اليوم): ظرف زمان متعلق بالفعل بعده. ﴿نَنسَىٰهُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. ﴿كَمَا﴾ الكاف: حرف تشبيه وجر. (ما): مصدرية. ﴿نَسُوا۟﴾: فعل، وفاعل، ﴿لِقَآءَ﴾: مفعول به، و ﴿لِقَآءَ﴾: مضاف، و﴿يَوْمِهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿يَوْمِهِمْ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: ننساهم اليوم نسياناً كائناً مثل نسيانهم لقاء يومهم هذا، وهذا ليس مذهب سيبويه، وإنما مذهبه في مثل هذا التركيب أن يكون منصوباً على الحال من المصدر المضمر المفهوم من الفعل المتقدم. وإنما أحوج سيبويه إلى هذا؛ لأن حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه لا يجوز إلا في مواضع محصورة، وليس هذا منها. انتهى جمل نقلاً عن السمين. والجملة الفعلية: ﴿نَنسَىٰهُمْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها، أو هي في محل رفع خبر: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على اعتباره مبتدأ في وجه من أوجه إعرابه، فتكون الفاء زائدة في الخبر لشبه الموصول بالشرط في العموم. (ما): مصدرية. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿يَجْحَدُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان) و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر عطفاً على المصدر المؤول السابق؛ إذ التقدير: كنسيانهم، وكونهم جاحدين. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧] تأمل، وتدبر وربك أعلم.

﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم﴾ أي: الكفار من أهل مكة، وغيرهم. ﴿بِكِتَٰبٍ﴾: المراد به: القرآن الكريم. وانظر الآية رقم [٢]. ﴿فَصَّلْنَٰهُ﴾: بينا معانيه من العقائد، والأحكام، والمواعظ، والحلال، والحرام، والقصص، والوعد، والوعيد، والمحكم، والمتشابه، كما قال بعضهم. ذاكراً ما اشتمل عليه القرآن الكريم: [الطويل]

حَلَالٌ حَرَامٌ مُحْكَمٌ مُتَشَابِهٌ بَشِيرٌ نَذِيرٌ قِصَّةٌ عِظَةٌ مَثَلْ

هذا؛ وقرئ (فضلناه) بالضاد من الفضل. ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾ أي: عالمين بوجه تفصيله؛ حتى جاء حكيماً، وفيه دليل على أن الله عالم بعلم، أو مشتملاً على علم. انتهى بيضاوي. ﴿هُدًى﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٦/٩١]. ﴿وَرَحۡمَةً﴾: ذا رحمة. ﴿لِّقَوۡمٍ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢] وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وانظر لطيفة في الآية [٢٠٣] الآتية، فإنها جيدة.

الإعراب: ﴿وَلَقَدۡ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف تقديره: أقسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئۡنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿بِكِتَٰبٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿فَصَّلۡنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر صفة (كتاب). ﴿عَلَىٰ عِلۡمٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (نا). ﴿هُدًى﴾: حال من الضمير المنصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والثابتة دليل عليها، وليست عينها، وهو بمعنى: هادياً، أو: ذا هدى، وجوز اعتباره مفعولاً لأجله. (رحمة): معطوف على ما قبله. هذا؛ وقد قرئ بالرفع على أنه، وسابقه خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هو هدى، وهو رحمة، وتكون الجملة الاسمية على هذا في محل نصب حال من الضمير المنصوب، وأجاز الكسائي، والفراء فيهما الخفض، يجعلانهما بدلاً من: ﴿عِلۡمٍ﴾، وهذا لم يثبت قراءة، وإن جاز عربية، وجملة: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم...﴾ إلخ جواب القسم المقدر لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿لِّقَوۡمٍ﴾: متعلقان بأحد الاسمين على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وحذفت صفة الثاني، لدلالة الأول عليها، أو بالعكس، وجملة: ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف صفة: (قوم).

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ قَدۡ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

الشرح: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾: هل ينتظر كفار قريش، ومن على شاكلتهم الذين كذبوا بآيات الله. ﴿إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ﴾: الضمير يعود إلى (كتاب) المذكور في الآية السابقة، وتأويله: تحقيق وقوع ما وعدوا به من العذاب، والخزي في الدنيا، والانتقام في نار جهنم في الآخرة، وهو ما وعدوا به في القرآن، وعلى لسان الرسول ﷺ. وتأويل الشيء: ما يؤول إليه، وهو بمعنى: تفسيره، وتوضيحه. ﴿يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ﴾: يوم يتحقق الذي وعدوا به، ويرونه بأعينهم، ويلمسونه بأيديهم. وهذا يكون في يوم القيامة. بالإضافة، لما لحقهم من الذل، والهوان في الدنيا. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ

﴿نَسُوهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: تركوا العمل بما في القرآن، وجعلوه نسياً منسيّاً. ﴿قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي: ثبت لنا أن ما جاءت به الرسل، وما وعدوا به من الثواب للمطيعين، والعقاب للعاصين: أنه حق واقع. فهذا إقرار منهم، واعتراف بكفرهم، ولكن لا ينفعهم، ذلك الإقرار، والاعتراف، وإنما أقروا بهذه الأشياء؛ لأنهم شاهدوا نتائجها معاينة.

﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾: بعد معاينة العذاب، ووقوعه فيهم، فهم يتمنون أحد الأمرين: الأول: وجود شفيع يشفع لهم عند ربهم؛ لينقذهم مما ألم بهم. والأمر الثاني: الرجوع، إلى الدنيا؛ ليؤمنوا، ويتوبوا من كفرهم، ويعملوا الأعمال الصالحات؛ التي ترضي الله تعالى. وكلا الأمرين محال. ﴿قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ أي: أهلكوا أنفسهم بسبب كفرهم في الدنيا، وما طلبوه من أحد الأمرين لا يحصل لهم، بل لو فرض وقدر رجوعهم إلى الدنيا؛ لعادوا لما كانوا عليه من الكفر، والعصيان لسابق علم الله تعالى فيهم: أنهم أصحاب النار. ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ أي: غاب عنهم، وذهب ما كانوا يزعمونه في الدنيا من أن الأصنام التي يعبدونها تشفع لهم.

بعد هذا انظر (أتى) في الآية رقم [٣٥] و«القول» في الآية رقم [٥] وإعلال: ﴿نَسُواْ﴾ في الآية رقم [٤٤/ ٦]. ﴿جَآءَتْ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿رُسُلُ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿رَبِّنَا﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: انظر الآية رقم [٣٣]. ﴿شُفَعَآءَ﴾: جمع شفيع. هذا؛ والشفاعة التوسل، وابتغاء الخير، والذي يكون منه التوسل يسمى: الشفيع، والشفاعة تكون حسنة، وتكون سيئة، فالأولى هي التي روعي فيها حق مسلم، ودفع بها عنه شر، أو جلب إليه خير، وابتغي بها وجه الله، ولم تؤخذ عليها رشوة، وكانت في أمر جائز، لا في حد من حدود الله، ولا في حق من حقوق الناس. والسيئة ما كانت بخلاف ذلك. وقيل: الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم؛ لأنها في معنى الشفاعة إلى الله، فعن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَعا لأَخيهِ بظهرِ الْغَيْب؛ استجِيبَ لهُ، وقالَ لَهُ الملكُ: ولك مثلُ ذلِكَ**». فذلك النصيب الذي ذكره الله في الآية رقم [٨٥/ ٤]. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٩]. ﴿وَضَلَّ﴾: انظر الآية رقم [٢٤/ ٦] وانظر (غير) في سورة (الفاتحة).

الإعراب: ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام معناه النفي. ﴿يَنظُرُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿تَأْوِيلَهُ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿يَقُولُ﴾، وجملة: ﴿يَأْتِى تَأْوِيلُهُ﴾ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾ إليها. ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿نَسُوهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿نَسُوهُ﴾، وقد بني قبل على الضم لقطعه عن الإضافة لفظاً، لا معنى. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿رُسُلُ﴾: فاعله، وهو مضاف، و ﴿رَبِّنَا﴾: مضاف

إليه، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿رُسُلُ رَبِّنَا﴾ وجملة: ﴿قَدْ جَآءَتْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿يَقُولُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَهَل﴾: الفاء: حرف استئناف. ﴿هَل﴾: حرف استفهام معناه التمني هنا. ﴿لَّنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿شُفَعَآءَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجر اللفظي لم يظهر؛ لأنه ممنوع من الصرف لألف التأنيث الممدودة، وهي علة تقوم مقام علتين من موانع الصرف. ﴿فَيَشْفَعُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة وجوباً بعد الفاء السببية، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على اسم صريح، وهو ﴿شُفَعَآءَ﴾، والمعنى: نتمنى شفعاء، فشفاعة منهم لنا. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿نُرَدُّ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، ونائب الفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية معطوفة على جملة قبلها داخلة معها في حكم الاستفهام، كأنه قيل: فهل لنا من شفعاء، أو هل نرد، ورافعه وقوعه موقعاً يصلح للاسم، أو الجملة معطوفة على تقدير: هل يشفع لنا شافع أو هل نرد. انتهى. نسفي. هذا؛ وقرئ الفعل: (نردَّ) بالنصب عطفاً على المنصوب قبله. ﴿فَنَعْمَلَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء السببية في جواب الاستفهام، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على ما تقدم تقديره. هذا؛ ويقرأ الفعل بالرفع على تقدير: فنحن نعمل، وعليه فالجملة الفعلية خبر لهذا المقدر، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿نُرَدُّ﴾ بحالة رفعه، وهي مستأنفة لا محل لها بحالة نصب: (نردَّ). ﴿غَيْرَ﴾: مفعول به، و﴿غَيْرَ﴾: مضاف، و﴿ٱلَّذِى﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص، مبني على السكون، و(نا): اسمها، وجملة: ﴿نَعْمَلُ﴾ في محل نصب خبر (كان)، والجملة الفعلية صلة الموصول، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: الذي كنا نعمله. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿خَسِرُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، أي: قال الله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرُوٓا۟...﴾ إلخ وهذه الجملة المقدرة مستأنفة لا محل لها. (ضل): ماض. ﴿عَنْهُم﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل: (ضل). ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، وجملة: ﴿يَفْتَرُونَ﴾ في محل نصب خبر كان، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَّا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي أو شيء كانوا يفترونه. وعلى اعتبار: ﴿مَّا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: ضل عنهم افتراؤهم.

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾

الشرح: ﴿رَبَّكُمُ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: انظر الآية رقم [٦/١]. ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أي: في ستة أوقات، أو في مقدار ستة أيام، فإن اليوم المتعارف عليه: من زمان طلوع الشمس إلى غروبها، ولم يكن حينئذ. وفي خلق الأشياء مُدَرَّجاً مع القدرة على خلقها دفعة دليل للاختيار، واعتبار للنظار، وحث على التأني في الأمور وانظر شرح اليوم في الآية رقم [٦/١٢٨]. هذا؛ وقد ذكر في كثير من الآيات: ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾. هذا؛ وما ذكر من أن الله ابتدأ الخلق يوم الأحد، وفرغ منه يوم الجمعة عصراً، وخلق يوم الأحد كذا، وخلق يوم الإثنين كذا، كل ذلك لم يثبت. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: استولى، ولا يجوز تفسيره باستقر، وثبت، فيكون الله من صفات الحوادث، وهذا التأويل ينبغي أن يقال في كل ما يوهم وصفاً لا يليق به تعالى.

﴿ٱلْعَرْشِ﴾: قال الراغب في كتابه: (مفردات القرآن): وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر، إلا بالاسم على الحقيقة، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة، فإنه لو كان كذلك؛ لكان حاملاً له. تعالى الله عن ذلك. انتهى خازن.

هذا؛ وقد قال سليمان الجمل: وأما المراد به هنا: فهو الجسم النوراني المرتفع على كل الأجسام، المحيط بكلها. وانظر ما ذكرته في آية الكرسي رقم [٢/٢٥٥]. والمنقول عن جعفر الصادق والحسن، وأبي حنيفة، ومالك ـ رضي الله عنهم ـ: إن الاستواء معلوم، والتكييف فيه مجهول، والإيمان به واجب، والجحود له كفر، والسؤال عنه بدعة. انتهى نسفي. ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾: يغطي به. ولم يذكر عكسه للعلم به. أو لأن اللفظ يحتملهما، ولذلك قرئ بنصب ﴿ٱلَّيْلَ﴾ ورفع (النَّهارُ)، وقال النسفي: يلحق الليل بالنهار، والنهار بالليل، وقرئ بتشديد الشين. وانظر شرح (الليل) و(النهار) في الآية رقم [٦/٩٦]. ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: يعقبه سريعاً كالطالب له، لا يفصل بينهما شيء.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾: مذللات بقضائه، وتصريفه. وتقرأ هذه الأسماء بالنصب، والرفع. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ أي: هو الذي خلق الأشياء، وله الأمر، فإنه الموجد، والمتصرف، وفي الآية دليل على أنه لا خالق إلا الله، عز وجل، وفيه ردٌّ على من يقول: إن للشمس، والقمر، والكواكب تأثيرات في هذا العالم. ﴿تَبَارَكَ﴾: تنزه الله عن كل ما لا يليق به. وقال الخازن: تمجد، وتعظم، وارتفع. وهذا الفعل لم يأت منه مضارع، ولا أمر. ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾:

جمع: عالم (بفتح اللام) وهو يقال لكل ما سوى الله، ويدل له قول موسى ـ على نبينا وعليه أفضل صلاة وسلام ـ لما قال له فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾. والعوالم كثيرة لا تحصيها الأرقام، وهي منتشرة في هذا الكون المترامي الأطراف في البر، والبحر؛ إذ كل جنس من المخلوقات يقال له: عالم، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكُمُ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبرها. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة، أو بدل من: ﴿ٱللَّهُ﴾. ﴿خَلَقَ﴾: فعل ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾، وهو العائد. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم بالإلحاق. ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة: ﴿خَلَقَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿فِى سِتَّةِ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿خَلَقَ﴾، و﴿سِتَّةِ﴾: مضاف، و ﴿أَيَّامٍ﴾: مضاف إليه. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿يُغْشِى﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِى﴾. ﴿ٱلَّيْلَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلنَّهَارَ﴾: مفعول به ثان، والأول في المعنى فاعلاً، والثاني مفعولاً. والعكس صحيح، كما في قولك (أعطيت زيداً عمراً) والجملة الفعلية: ﴿يُغْشِى...﴾ إلخ في محل نصب حال من فاعل: ﴿خَلَقَ﴾ المستتر، والرابط: الضمير فقط. هذا؛ وعلى قراءة (يغشى) بفتح الياء، ورفع (الليلُ) على أنه فاعله، ونصب ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ على أنه مفعوله، فالجملة الفعلية مستأنفة لا محل لها. ﴿يَطْلُبُهُۥ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّيْلَ﴾، والهاء ضمير في محل نصب مفعول به. ﴿حَثِيثًا﴾: صفة لمفعول مطلق محذوف، التقدير: يطلبه طلباً حثيثاً. أو هو حال بمعنى: حاثّاً، وجملة: ﴿يَطْلُبُهُۥ...﴾ إلخ في محل نصب حال من: ﴿ٱلَّيْلَ﴾، وعند التأمل يظهر لك: أن الأحوال الكثيرة متداخل بعضها في بعض. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾: هذه الأسماء معطوفة على ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾؛ إذ التقدير: «خلق الشمس...» إلخ. ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾: حال من: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾: متعلقان بـ ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى قراءة الأسماء: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ...﴾ إلخ بالرفع، فـ (الشمس) مبتدأ و(القمرُ والنجومُ) معطوفان عليه، والخبر: ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ﴾، وتكون الجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها. ﴿أَلَا﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلْخَلْقُ﴾: مبتدأ مؤخر. ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾: معطوف عليه عطف مفرد على مفرد، والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها.

﴿تَبَارَكَ﴾: ماض. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿رَبُّ﴾: صفة، أو بدل منه، و ﴿رَبُّ﴾: مضاف، و ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ولا تنس: أن الإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الفعلية: ﴿تَبَارَكَ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها؛ إذ هي بمنزلة التذييل للكلام السابق المراد منها تمجيد الله، وتقديسه. جل جلاله، وتعالى شأنه.

﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ﴾: قيل: معناه: اعبدوه. والأصح: أنه بمعنى السؤال، والدعاء، والطلب، وهو نوع من العبادة، بل هو مخ العبادة، كما ورد عن الرسول المعظم ﷺ، وذلك لأن الداعي لا يقدم على الدعاء. إلا إذا عرف من نفسه الحاجة إلى ذلك المطلوب، وهو عاجز عن تحصيله، وعرف: أن ربه تبارك، وتعالى يسمع الدعاء، ويعلم حاجته، وهو قادر على إيصالها إلى الداعي، فعند ذلك يعرف نفسه بالعجز، والنقص، ويعرف ربه بالقدرة، والكمال. ﴿رَبَّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢]. ﴿تَضَرُّعًا﴾: تذللاً، واستكانة، خشوعاً، وخضوعاً. ﴿وَخُفْيَةً﴾ أي: سرّاً في أنفسكم، وهو أفضل من الجهر في الدعاء؛ لأنه دليل الإخلاص، اسمع قوله تعالى في مدح زكريا ـ عليه السلام ـ: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾.

فعن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فجعل الناسُ يجهرون بالتكبير، فقال رسول الله ﷺ: «**أيُّها الناسُ ارْبعوا على أنفسِكُمْ، إنكم لا تَدعونَ أَصَمّاً، ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً بصِيراً، وهو معكُمْ، والذي تدعونه أقربُ إلى أحدِكُمْ مِنْ عُنُقِ راحلتِهِ**». قال أبو موسى ـ رضي الله عنه ـ: وأنا خَلْفَهُ أقول: «لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم» في نفسِي. فقال: «**يا عبد الله بن قيس، ألا أدُلُّكَ على كنْزٍ من كُنوزِ الجنَّةِ، قلْتُ: بلى يا رسولَ اللهِ! قالَ: لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ**». متفق عليه. هذا؛ وقد قرئ: (خفية) بضم الخاء، وكسرها. والمعنى يتغير كما هو واضح؛ إذ معنى الأول: السر، والخفاء، ومعنى الثاني: الخوف، والوجل. ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾: المجاوزين ما أمروا به في الدعاء، وغيره. نبه به على أن الداعي لا ينبغي له أن يطلب ما لا يليق به، كرتبة الأنبياء، والصعود إلى السماء. وقيل: هو الصياح في الدعاء، والإسهاب فيه. وما أحراك أن تنظر الآية رقم [١٨٦] من سورة (البقرة).

فعن النبي ﷺ: «**سيكونُ قومٌ يعتدونَ في الدُّعَاءِ، وحسْبُ المرْءِ أَنْ يقولَ: اللَّهُمَّ إنِّي أسألُكَ الجنَّةَ، ومَا قرَّبَ إليْها مِنْ قَوْلٍ، وعَملٍ، وأعوذ بكَ مِنَ النَّارِ، وما قرَّبَ إليْهَا مِنْ قوْلٍ وعَمَلٍ**». انتهى بيضاوي. وانظر الآية رقم [١٨٠]. هذا؛ وعدم محبة الله للمعتدين كناية عن البغض، والسخط، والغضب، ومحبته للعبد: رضاه عنه، وغفر ذنوبه، وستر عيوبه. وانظر الآية رقم [٢٩]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿ٱدۡعُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسۡجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿رَبَّكُمۡ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَضَرُّعٗا﴾: حال من واو الجماعة بمعنى: متضرعين. وقيل: هو مفعول لأجله. ﴿وَخُفۡيَةًۚ﴾: معطوف على ما قبله على الوجهين المعتبرين فيه، وجملة: ﴿ٱدۡعُواْ...﴾ إلخ مستأنفة لا محل لها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ إعراب هذه الجملة، ومحلها مثل: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ في الآية رقم [٣١].

﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾

الشرح: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بالكفر، والمعاصي، والدعاء إلى غير طاعة الله تعالى، وإضرار الناس، كما فعل الأخنس. انظر الآية رقم [٢/٢٠٥]. ﴿بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ أي: ببعث الأنبياء، وشرع الأحكام، وتبيين الحلال، والحرام. ﴿وَٱدۡعُوهُ﴾: اسألوه، واطلبوا حوائجكم، قلَّت، أو كثرت، عظمت، أم صغرت من الله وحده، فهو يجيب دعوة الداعين. ﴿خَوۡفٗا﴾: أصل الخوف: انزعاج في الباطن، يحصل من توقع أمر مكروه يقع في المستقبل.

وأما التخوف؛ فإنه يأتي بمعنى: التنقص، كما في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾. يروى: أن الفاروق ـ رضي الله عنه ـ قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ﴾؟ فسكتوا، فقام شيخ من هذيل، وقال: هذه لغتنا، التخوف: التنقص. قال: فهل تعرف العرب هذا في أشعارهم؟، قال: نعم، قال شاعرنا أبو كبير الهذلي: [البسيط]

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفِنُ

فقال عمر ـ رضي الله عنه ـ: أيها الناس عليكم بديوانكم لا تضلوا! قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم. هذا؛ ويأتي الخوف بمعنى: العلم، وبه قيل في قوله تعالى: ﴿فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا...﴾ إلخ. الآية رقم [٢/١٨٢]. وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ﴾ الآية رقم [٢/٢٢٩]. ﴿وَطَمَعًاۚ﴾: الطمع: توقع محبوب يحصل في المستقبل. وانظر الآية رقم [٤٦]. ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ﴾: أصل الرحمة: رقة تقتضي الإحسان إلى المرحوم، وتستعمل تارة في الرقة المجردة عن الإحسان، وتارة في الإحسان المجرد عن الرقة، وإذا وصف بها الباري ـ عز وجل ـ فليس يراد بها إلا الإحسان المجرد دون الرقة، فرحمة الله ـ جل علاه ـ عبارة عن الإفضال، والإنعام على عباده، وإيصال الخير إليهم. وقيل: هي إرادة إيصال الخير والنعمة إلى عباده، فعلى القول الأول تكون الرحمة من صفات الأفعال، وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات. انتهى خازن.

وكون الرحمة قريبة من المحسنين؛ لأن الإنسان في كل ساعة من الساعات في إدبار عن الدنيا، وإقبال على الآخرة، وإذا كان كذلك؛ كان الموت أقرب إليه من الحياة، وليس بينه وبين رحمة الله ـ التي هي الثواب في الآخرة ـ إلا الموت، وهو قريب من الإنسان. انتهى خازن. وانظر الآية رقم [١٥٦]. والمحسنون: هم الذين أحسنوا المعاملة مع الله، ومع عباده.

هذا؛ و﴿قَرِيبٌ﴾ مذكر، و ﴿رَحْمَتَ﴾ مؤنث، وهو خبر عنها، وقد ذكر المفسرون أقوالاً كثيرة في هذا التذكير، لا طائل تحتها، كما ذكر أبو البقاء، ومكي تأويلات، لا تكاد تكون مقبولة. وأذكر أن الخبر ذكِّر؛ لأن ﴿رَحْمَتَ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه. وقد أشار الجلال إلى ذلك. واكتساب التذكير من المضاف إليه، واكتساب التأنيث من المضاف إليه أيضاً باب من أبواب النحو. انظر الشاهد [٩٠١] وما بعده من كتابنا: «فتح القريب المجيب» تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تُفْسِدُوا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة لا محل لها على الوجهين. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿إِصْلَاحِهَا﴾: مضاف إليه، و(ها): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. (ادعوه): فعل أمر وفاعله، ومفعوله. وانظر مثله في الآية السابقة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿خَوْفًا﴾: حال من واو الجماعة، بمعنى: خائفين. وقيل: مفعول لأجله. ﴿وَطَمَعًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَحْمَتَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و ﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿قَرِيبٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بقريب، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ مفيدة للتعليل، لا محل لها.

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾

الشرح: ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ﴾: يبعثُها. ويقرأ: (الريح) بالإفراد. هذا؛ وذكر سبحانه في الآية رقم [٢/١٦٤]: أن من الآيات الدالة على قدرته تصريف الرياح، وتصريفها تقليبها شمالاً وجنوباً، وقبولاً ودبوراً، فالشمال: هي التي تهب من جانب القطب الشمالي، والجنوب تقابلها، والقبول (بفتح القاف) وهي ريح الصَّبا (بفتح الصاد) وهي التي تهب من مطلع الشمس، والدبور (بفتح الدال) تقابلها، وهي التي تأتي من جهة مغرب الشمس.

قال الرسول ﷺ: «**نُصِرْتُ بالصَّبَا، وأُهلِكَتْ عادٌ بالدَّبُور**». هذا؛ والريح: الهواء المسخر بين السماء، والأرض، وأصله: الروح، قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والجمع: أرواح، ورياح، وأصل رِياح: رِواح، فعل به كما فعل بأصل الريح، والأكثر في الريح التأنيث، وقد تذكر على معنى الهواء قال تعالى: ﴿جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، ولا تنس: أن الريح تفسر بالدولة والقوة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: دولتكم، وقوتكم، شبهت في نفوذ أمرها، وتمشيه بالريح وهبوبها. ويقال: هبت رياح بني فلان: إذا دالت الدولة لهم، ونفذ أمرهم.

﴿بُشْرًا﴾: جمع: بشير، وهو بضم الباء، وسكون الشين، ويقرأ بضمتين. انظر ما ذكرته في ﴿رُسُلٌ﴾ في الآية رقم [٣٥]. هذا؛ ويقرأ: (نُشراً) بضم النون، وضم الشين، وسكونها على أنه جمع: نشور بمعنى: ناشر، كطهور بمعنى: طاهر، ويجوز أن يكون جمع: نشور بمعنى: منشور، ويقرأ: (نشراً) بفتح النون وسكون الشين، على أنه مصدر نشر بعد الطي، والقراءات كلها سبعية، كما يقرأ: (بشرى) على وزن: حُبْلَى، أي: ذات بشارة، وكما يقرأ: (بشرا) بفتح الباء، وسكون الشين، وهو مصدر: بشرته إذا بشرته.

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: (إن الرياح ثمان: أربع منها عذاب، وهي: القاصف، والعاصف، والصرصر، والعقيم. وأربع منها رحمة، وهي: الناشرات، والمبشرات، والمرسلات والذاريات). ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦ﴾: يعني أمام المطر الذي هو رحمته، وإنما سماه رحمة؛ لأنه سبب لحياة الأرض. هذا؛ و﴿بَيْنَ يَدَيْ﴾ بمعنى: أمام، وقدام، مستعمل في القرآن الكريم بكثرة، وخذ ما يأتي فعن أبي: هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الريحُ مِنْ رَوْحِ اللهِ تعالَى، تأتي بالرَّحمةِ، وتأتي بالْعَذابِ، فإذَا رأيتموها؛ فلا تسَبُّوها، واسألوا اللهَ مِنْ خيرِهَا، واستعيذوا بالله من شَرِّها**». رواه الشافعي بطوله، وأخرجه أبو داود في المسند عنه. ﴿أَقَلَّتْ﴾: حملت، ورفعت. ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ أي: بالماء لثقله، والسحاب: الغيم، جمع: سحابة مشتق من السحب؛ لأنه يجر بعضه بعضاً. ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: جلت قدرة الله، فالريح تسوق الغيوم بأمره إلى حيث شاء. انظر آية (النور) رقم [٤٣] ففيها تفصيل لذلك.

هذا؛ وقد حصل في الكلام التفات من الغيبة إلى جمع المتكلم، انظر الآية رقم [٦/ ٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٧] ومعنى ﴿لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾: لسقيه وإحيائه بالمطر. وقد ذكر سبحانه في كثير من الآيات: أن المطر يحيي الأرض الميتة؛ أي التي لا نبات فيها بالنبات. هذا؛ وقال الليث: البلد كل موضع من الأرض، عامر، أو غير عامر، خال، أو مسكون، والطائفة منها بلدة، والجمع: بلاد، زاد غيره: والمفازة تسمى بلدة؛ لكونها مسكن الوحش، والجن. قال الأعشى: [البسيط]

وبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهرِ التُّرْسِ موحشةٌ لِلْجنِّ بالليلِ في حافاتِهَا زَجَلُ

وقال جران العود: [الرجز]

وبلدةٍ ليسَ بها أنيسُ إلا اليعافيرُ وإلَّا الْعِيسُ

وانظر شرح: ﴿مَيِّتٍ﴾ في الآية رقم [٩٥/ ٦] وهو يقرأ هنا بالتشديد، والتخفيف. ﴿بِهِ﴾: الأول يحتمل فيه عود الضمير على: ﴿لِبَلَدٍ﴾، أو على: ﴿سَحَابًا﴾. ويحتمل في ﴿بِهِ﴾ الثاني ما ذكر، ويزيد عليه عود الضمير على: ﴿ٱلْمَآءَ﴾. قال السمين: ولا ينبغي أن يعدل عنه. وانظر شرح: ﴿ٱلْمَآءَ﴾ في الآية رقم [٦/٩٩]. ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: والمعنى: أن إخراجنا التمر الرطب من الخشب اليابس هو مثل إخراجنا الناس من قبورهم يوم القيامة للحساب، والجزاء.

قال الخازن: واختلفوا في وجه التشبيه، فقيل: إن الله تعالى، كما يخلق النبات بواسطة إنزال المطر، كذلك يحيي الموتى بواسطة إنزال المطر أيضاً. قال أبو هريرة، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: «**إنَّ النَّاسَ إذا مَاتُوا في النفخةِ الأُولَى؛ أمطرَ اللهُ تعالَى عليهِمْ ماءً مِنْ تَحْت الْعَرشِ، يُدْعَى ماءَ الحيوانِ أربعين يوماً، فينبتونَ، كما يَنْبُتُ الزَّرْعُ مِنَ الماء... إلخ**». انتهى بتصرف. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾: تتعظون، وتنتصحون، وقد حذف منه إحدى التاءين؛ لأن أصله: تتذكرون، وهذا الحذف كثير شائع في القرآن الكريم، وفي الكلام العربي. وانظر الترجي في الآية رقم [٢٥]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَهُوَ﴾: الواو: حرف عطف. (هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿يُرْسِلُ﴾: مضارع، وفاعله يعود إلى ﴿ٱلَّذِي﴾ وهو العائد. ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾: مفعول به. ﴿بُشْرًا﴾: حال من ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. وقيل: مفعول مطلق، وهذا على قراءته بالنون؛ لأن أرسل، وأنشر متقاربان في المعنى. ﴿بَيْنَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿بُشْرًا﴾، أو بمحذوف صفة له، و ﴿بَيْنَ﴾: مضاف، و ﴿يَدَيْ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه مثنى لفظاً، وحذفت النون للإضافة، و ﴿يَدَيْ﴾: مضاف، و ﴿رَحْمَتِهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُرْسِلُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة. ﴿حَتَّىٰٓ﴾: حرف ابتداء. ﴿إِذَآ﴾: انظر الآية رقم [٢٨]. ﴿أَقَلَّتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل مستتر يعود إلى: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾. ﴿سَحَابًا﴾: مفعول به. ﴿ثِقَالًا﴾: صفة: ﴿سَحَابًا﴾، وجملة: ﴿أَقَلَّتْ...﴾ إلخ في محل جر بالإضافة ﴿إِذَآ﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿سُقْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] والجملة الفعلية جواب: ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها، و ﴿إِذَآ﴾ ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. وانظر رأي الأخفش في الآية رقم [٣٧]. ﴿لِبَلَدٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَيِّتٍ﴾: صفة (بلد)، وجملة: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ معطوف على جواب: ﴿إِذَآ﴾ لا محل لها مثله، وكذلك جملة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ معطوفة على جواب: ﴿إِذَآ﴾ والجار والمجرور: ﴿بِهِ﴾ في الجملتين متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿كُلِّ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال

المحل بحركة حرف الجر الزائد، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿الثَّمَرَاتِ﴾: مضاف إليه. هذا؛ وقد قال الجمل: ﴿مِن﴾ تبعيضية، أو ابتدائية. ولا معنى لهما هنا، كما هو ظاهر. وقال الخازن يعني: وأخرجنا بذلك البلد بعد موته، وَجَدْبِهِ من أصناف الثمار، والزروع. وهذا لا يفيد في الإعراب، والمرجح ما أعربته لك. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، وتقدير الكلام: نخرج الموتى من قبورهم إخراجاً كائناً مثل إخراج الثمرات من الخشب اليابس. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. ﴿نُخْرِجُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿الْمَوْتَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة، ومحلها هو مثل: ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ في الآية رقم [٢٥].

﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾: الأرض الكريمة التربة السهلة السمحة. ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾: بأمره، وتيسيره حسناً جيداً مثمراً؛ لأنه مقابل لما بعده. هذا؛ وانظر: ﴿وَالْبَلَدُ﴾ في الآية السابقة، وإعلال: ﴿الطَّيِّبُ﴾ مثل إعلال: ﴿الْمَيِّتِ﴾ في الآية رقم [٩٥] (الأنعام). هذا؛ ويقرأ: ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء للمعلوم، والبناء للمجهول، فالأول من الثلاثي، والثاني من الرباعي، ورفع: ﴿نَبَاتُهُ﴾ على القراءتين، كما يقرأ بالبناء للمعلوم من الرباعي، ونصب: ﴿نَبَاتُهُ﴾ وانظر شرح: ﴿رَبِّهِ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿وَالَّذِي خَبُثَ﴾ أي: خبث ترابه، وأرضه، فهي سبخة لا تنبت. ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ أي: عسيراً، وبمشقة، وكلفة. والمراد: إلا نباتاً قليلاً نادراً غير نافع، كشوك، ونحوه مما لا نفع فيه وهو يقرأ بكسر الكاف، وفتحها، وسكونها. ﴿كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ﴾: نكررها، ونرددها تارة من جهة المقدمات العقلية، وتارة من جهة الترغيب، والترهيب، وتارة بالتنبيه، والتذكير بأحوال المتقدمين. ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ أي: الله تعالى على إنعامه عليهم بالهداية، والتوفيق، وحيث جنبهم طريق الكفر، والضلال. وإنما خص الشاكرين بالذكر؛ لأنهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن، فعملوا بتعاليمه. وانظر شرح: ﴿الْآيَاتِ﴾ في الآية رقم [٩] وانظر شرح: ﴿لِقَوْمٍ﴾ في الآية رقم [٣٢] وانظر: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [١٠] وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

تنبيه: قال المفسرون: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن، والكافر، فشبه المؤمن بالأرض الحرة الطيبة، وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن. بنزول المطر على الأرض الطيبة، فإذا نزل المطر عليها؛ أخرجت أنواع الأزهار، والثمار، كذلك المؤمن إذا سمع القرآن؛ آمن به، وانتفع به، وظهرت منه الطاعات، والعبادات، وأنواع الأخلاق الحميدة. وشبه الكافر بالأرض الرديئة

الغليظة السبخة، التي لا ينتفع بها؛ وإن أصابها المطر، فكذلك الكافر إذا سمع القرآن؛ لا ينتفع به، ولا يصدقه، ولا يزيده إلا عتوّاً، وكفراً، وإن عمل الكافر الحسنة في الدنيا؛ كانت بمشقة، وكلفة، ولا ينتفع بها في الآخرة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن، يقول: هو طيب، وعمله طيب، كما أن البلد الطيب ثمره طيب، ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة؛ التي خرجت منها البركة، فالكافر خبيث، وعمله خبيث.

ويدل على هذا التأويل ما روي عن أبي موسى الأشعري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ مَثَلَ ما بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى، والْعِلمِ، كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضاً، فكانَتْ منها طائفةٌ طيِّبةٌ، قَبِلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلأَ والعشبَ الكثيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِب، أَمْسَكتِ الماءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاس، فشربوا منها، وسَقَوْا، وزرعُوا، وأصابَ طَائِفَةً أُخْرَى، إنَّما هِيَ قِيعانٌ، لا تُمْسِكُ ماءً، ولا تُنْبِتُ كَلأً، فذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، عز وجل، ونَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ تعالى بِهِ، فَعَلِمَ، وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يرفعْ بذلِكَ رَأساً، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللهِ تعالى؛ الَّذِي أُرْسِلْتُ**». أخرجاه في الصحيح. انتهى. خازن.

ولا يخفى: أن في الآية الكريمة استعارة تصريحية. هذا؛ وأقول: يمكن أن يراد بالنبات: الصلحاء، والعلماء، والمجاهدون الذين ينشؤون في البلد الطيب، ومكة والمدينة أطيب البلاد، فقد خرج منهما الأبطال، والعلماء، والصلحاء، وهذا يلاحظ في بعض القرى، فهناك قرية طيبة يخرج منها ما ذكرت، وهناك قرية، أو بلدة لا يتخرج منها إلا الأشقياء، ويبقى الجهل ضارباً أطنابه فيها كل حياته، فلا ينشأ جيل إلا وهو أخبث مما قبله منهمك في لذات الدنيا، وجمع حطامها الفاني من حلال، أو من حرام لا يبالي. ولا تنس بلاد الكفر، وقراهم.

الإعراب: ﴿وَٱلْبَلَدُ﴾: (البلد): مبتدأ. ﴿ٱلطَّيِّبُ﴾: صفته. ﴿يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ﴾: فعل، وفاعله، أو فعل، ونائبه، أو فعل، ومفعوله، والفاعل مستتر تقديره: «هو» وذلك على حسب القراءات التي رأيتها، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِإِذْنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من ﴿نَبَاتُهُۥ﴾ و(إذن) مضاف، و﴿رَبِّهِۦ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. (الذي): مبتدأ، وجملة: ﴿خَبُثَ﴾ صلته، والعائد رجوع الفاعل إليه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخْرُجُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى نباته. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَكِدًا﴾: حال من الفاعل المستتر، أو هو صفة مفعول مطلق محذوف، التقدير: إلا خروجاً نكداً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِى...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، وتقدير الكلام:

نصرف الآيات تصريفاً كائناً مثل تبييننا الأحكام فيما تقدم. ﴿ٱلْأَيَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية: ﴿كَذَٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وهي فذلكة الآية. ﴿لِقَوْمٍ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿نُصَرِّفُ﴾ وجملة: ﴿يَشْكُرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل جر صفة (قوم).

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَرْسَلْنَا﴾: بعثنا. ﴿نُوحًا﴾: اسمه: السكن. وقيل: عبد الغفار. وسمي ﴿نُوحًا﴾ لكثرة نوحه على نفسه، وهو ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، وهو إدريس النبي، وكان نوح نجاراً. واختلفوا في سبب نوحه، فقيل: لدعوته على قومه بالهلاك. وقيل: لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان. وقيل: لأنه مر بكلب مجذوم، فقال له: إخسأ يا قبيح، فأوحى الله تعالى إليه: أعبتني، أم عبت الكلب؟! وهو أول رسول بعث بشريعة، وأول نذير على الشرك، وأنزل الله عليه عشر صحائف، وكان أول من عذبته أمته لردهم دعوته، وأهلك الله أهل الأرض بدعائه، وكان أبا البشر كآدم عليهما السلام، وكان أطول الأنبياء عمراً، عمَّر ألفاً وخمسين سنة. وقيل: أكثر، لم تنقص قوته، ولم يشب، ولم تسقط له سن، وصبر على أذى قومه طول عمره، وكان أبواه مؤمنين بدليل دعوته لهما بالمغفرة في الآية الأخيرة من سورة (نوح). ﴿قَوْمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿فَقَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾: وحدوه. هذا؛ والعبادة غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولذلك يحرم السجود لغير الله تعالى. وانظر سجود الملائكة لآدم في الآية رقم [١]. وقيل: العبودية أربعة: الوفاء بالعهود، والرضا بالموجود، والحفظ للحدود، والصبر على المفقود. ﴿ٱللَّهَ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: إن لم تقبلوا ما أمركم به من عبادة الله، واتباع أمره، وطاعته. واليوم الذي خافه عليهم، هو إما يوم الطوفان، وإهلاكهم فيه، أو هو يوم القيامة. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وانظر (الخوف) في الآية رقم [٥٦] وانظر شرح (غير) في سورة (الفاتحة) وفي الآية رقم [٢] من سورة (التوبة).

تنبيه: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لما ذكر في الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته، وغرائب خلقه، وصنعته الدالة على توحيده، وربوبيته، وأقام الدلالة القاطعة على صحة البعث بعد الموت؛ أتبع ذلك بقصص الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، وما جرى لهم مع أممهم، وفي ذلك تسلية للنبي ﷺ لأنه لم يكن إعراض قومه فقط عن قبول الحق، بل قد أعرض عنه سائر الأمم الخالية، والقرون الماضية، ومن كذب محمداً ﷺ من قومه كانت عاقبته مثل أولئك الذين خلوا من قبله من الأمم المكذبة. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٥] من سورة (هود).

الإعراب: ﴿لَقَدْ﴾ اللام: واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. وهذا الجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. وقد: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿نُوحًا﴾: مفعول به. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نُوحًا﴾، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ جواب القسم، لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى (نوح) ﴿يَٰقَوْمِ﴾ منادى منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، والياء المحذوفة ضمير في محل جر بالإضافة، وحذف الياء هذه إنما هو بالنداء خاصة؛ لأنه لا لبس فيه، ومنهم من يثبت الياء ساكنة، ومنهم من يثبتها، ويحركها بالفتحة، ومنهم من يقلبها ألفاً بعد فتح ما قبلها، ومنهم من يقول: يا قومُ بضم الميم، ففيه خمس لغات، ويزاد سادسة، وهي حذف الياء بعد قلبها ألفاً، وإبقاء الفتحة على الميم دليلاً عليها. والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱعْبُدُواْ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول: ﴿مَا﴾: نافية ﴿لَكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مِّنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿إِلَٰهٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿غَيْرُهُۥٓ﴾: يقرأ بالرفع صفة ﴿إِلَٰهٍ﴾ على المحل، أو بدل منه، وبالجر صفته على اللفظ، وبالنصب على الاستثناء، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. وقيل: مستأنفة، ولا وجه له، وجملة: ﴿فَقَالَ يَٰقَوْمِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿إِنِّىٓ﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿أَخَافُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿عَذَابَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿يَوْمٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عَظِيمٍ﴾: صفة: ﴿يَوْمٍ﴾، وصفه بالعظم، والمراد عظم ما فيه، وإن اعتبرته صفة: ﴿عَذَابَ﴾ فيكون الجر على الجوار. انظر الآية رقم [٦/٥] والجملة الفعلية: ﴿أَخَافُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ) والجملة الاسمية: ﴿إِنِّىٓ...﴾ إلخ تعليل للأمر، لا محل لها. هذا؛ ويقدر المفسرون: إن لم تؤمنوا، أو إن عبدتم غيره، ونحو ذلك، وهذا يعني: أن الجملة الاسمية تقع جواباً لهذا الشرط المقدر، وهو تكلف، وعلى كلٍّ فالكلام كله في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: الأشراف، والسادة، ولا يقال لغيرهم؛ لأنهم يملؤون العيون بكبريائهم، وزينتهم، وما يحاطون به من هيبة، وعظمة. وهو اسم

جمع لا واحد له من لفظه مثل: رهط، ونحوه. ﴿قَوْمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: في خروج عن جادة الحق والصواب. وهو مصدر: ضل، يضل، وأكثر استعماله بمعنى: كفر، يكفر، وضل: غاب كما في الآية رقم [٣٧] وأضل غيره: أخرجه عن الهدى، والاستقامة، كما في الآية رقم [٣٧] وضل الشيء: ضاع، وهلك، وضل: أخطأ، ولولا هذا المعنى لكفر أولاد يعقوب بقولهم لأبيهم: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ وقولهم في غيبته: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾، وضل: تحير، وتردد، وهو أقرب ما يفسر به قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾. ﴿مُّبِينٍ﴾: انظر الآية رقم [٢٢].

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، والهاء ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿لَنَرَىٰكَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (نراك): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿فِى ضَلَٰلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مُّبِينٍ﴾: صفة: ﴿ضَلَٰلٍ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾: شرح المفردات مثله في الآية السابقة، وقال البيضاوي ـ رحمه الله تعالى ـ بالغ في النفي، كما بالغوا في الإثبات. ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ...﴾ إلخ: قال البيضاوي: استدراك باعتبار ما يلزمه، وهو كونه على هدى، كأنه قال: ولكني على هدى في الغاية؛ لأني رسول من الله. انتهى. ﴿رَسُولٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿رَّبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤].

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (نوح). ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٥٨]. ﴿لَيْسَ﴾: ماض ناقص. ﴿بِى﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر: ﴿لَيْسَ﴾ تقدم على اسمها. ﴿ضَلَٰلَةٌ﴾: اسمها المؤخر، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِنِّى﴾: الواو حرف عطف. (لكني): حرف مشبه بالفعل، وحذفت نون الوقاية، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَسُولٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿رَسُولٌ﴾، أو بمحذوف صفته، و﴿رَّبِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي مثلها في نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

الشرح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: يقرأ بتشديد اللام، وتخفيفها. ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾: جمعها لاختلاف أوقاتها، أو لتنوع معانيها، كالعقائد، والمواعظ، والأحكام. أو لأن المراد بها ما أوحي إليه، وإلى الأنبياء قبله، كصحف شيث، وإدريس، وغير ذلك. ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾: انظر: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: قال البيضاوي: فيه تقرير لما أوعدهم به، فإن معناه أعلم من قدرته، وشدة بطشه. أو من جهته بالوحي أشياء لا علم لكم بها. هذا؛ والعلم المراد به هنا: المعرفة لا اليقين. وانظر الآية رقم [٦٠] من سورة (الأنفال).

قال الخازن: والنصح: إرادة الخير لغيره، كما يريده لنفسه. وقيل: النصح تحري قول أو فعل فيه صلاح للغير. وقيل: حقيقة النصح: تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه وانظر النصيحة في الآية رقم [٧٩]. والمعنى: أنه قال: أبلغكم جميع تكاليف الله، وشرائعه، وأرشدكم إلى الوجه الأصلح، والأصوب لكم، وأدعوكم إلى ما دعاني إليه، وأحب لكم ما أحب لنفسي.

قال بعضهم: والفرق بين إبلاغ الرسالة، وبين النصيحة هو: أن تبليغ الرسالة أن يعرفهم جميع أوامر الله تعالى، ونواهيه، وجميع أنواع التكاليف التي أوجبها الله عليهم، وأما النصيحة فهو أن يرغبهم في قبول تلك الأوامر، والنواهي والعبادات، ويحذرهم عقابه؛ إن عصوه. انتهى.

الإعراب: ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول، والميم علامة جمع الذكور. ﴿رِسَٰلَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و﴿رِسَٰلَٰتِ﴾: مضاف، و﴿رَبِّي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أُبَلِّغُكُمْ...﴾ إلخ في محل رفع صفة ثانية لـ ﴿رَسُولٌ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والاستئناف ممكن بالإعراض عن الكلام السابق، وجملة: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ معطوفة عليها على جميع الاعتبارات فيها. (أعلم): مضارع، والفاعل تقديره أنا. ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾: متعلقان بـ (أعلم). ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيئاً لا تعلمونه، وقد حذف متعلق الفعل لدلالة متعلق الأول عليه، وجملة: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها أيضاً.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: العجب بفتح العين، والجيم: انفعال نفساني يعتري الإنسان عند استعظامه، أو استطرافه، أو إنكاره ما يرد عليه، ويشاهده.

وقال الراغب: العجب: حيرة تعرض للإنسان بسبب الشيء، وليس هو شيئاً له في ذاته حالة حقيقية، بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب، ومن لا يعرفه، وحقيقة أعجبني كذا: ظهر لي ظهوراً لم أعرف سببه. انتهى جمل نقلاً عن السمين في غير هذا الموضع. هذا؛ والعجب بضم العين، وسكون الجيم: الكبر، وحقيقته: أن يرى نفسه فوق غيره علماً، أو أدباً، أو عبادةً، وزهداً، وغير ذلك، وقد عده الرسول ﷺ من الثلاث المهلكات: «**شحٌّ مُطاعٌ، وهوًى متّبعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِهِ**». ﴿جَآءَكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿ذِكْرٌ﴾: رسالة، أو موعظة، أو المراد به: الصحف التي أنزلت على نوح، فإنه كثيراً ما يطلق على القرآن الكريم. ﴿رَّبِّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ﴾: على لسان رجل كائن منكم، تعرفونه، وتعرفون نسبه، فإنهم كانوا يتعجبون من إرسال البشر، ويقولون: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾. وانظر شرح: ﴿رَجُلٍ﴾ في الآية رقم [٤٦]. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: ليخوفكم عذاب الله، ونقمته إن لم تؤمنوا، والإنذار التخويف من وقوع العقاب. ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: انظر ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾ في الآية رقم [٢٦]. ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي: بسبب التقوى.

قال البيضاوي: وفائدة الترجي: التنبيه على أن التقوى غير موجب، والترحم من الله تفضل، وأن المتقي ينبغي أن لا يعتمد على تقواه، ولا يأمن من عذاب الله تعالى. انتهى. وقال سليمان الجمل: وهذا الترتيب في غاية الحسن؛ لأن المقصود من الإرسال الإنذار، ومن الإنذار التقوى، ومن التقوى الفوز بالرحمة. انتهى. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٢٦].

الإعراب: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الواو: حرف عطف. (عجبتم): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] والجملة الفعلية هذه مع المتعلق معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: أكذبتم، وعجبتم. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿جَآءَكُمْ﴾: ماض في محل نصب بـ ﴿أَن﴾، والكاف في محل نصب مفعول به. ﴿ذِكْرٌ﴾: فاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿ذِكْرٌ﴾، أو بمحذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة، و﴿أَن﴾ المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: عجبتم من مجيء ذكر لكم من ربكم. ﴿عَلَىٰ رَجُلٍ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿جَآءَكُمْ﴾، وجوز أن يكونا

متعلقين بمحذوف حال من الضمير المستتر في الجار والمجرور قبلهما. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿رَجُلٍ﴾. وانظر الشرح. ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿ذِكْرٌ﴾، والكاف مفعول به، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿جَآءَكُمْ﴾. ﴿وَلِتَتَّقُوا۟﴾: إعرابه مثل إعراب سابقه، والمصدر المؤول والمجرور باللام معطوفان على ما قبلهما؛ إذ التقدير: للإنذار، وللتقوى. (لعلكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿تُرْحَمُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لعلَّ) والجملة الاسمية: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي مفيدة للتعليل أيضاً.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾

الشرح: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: كذبوا نوحاً، ورفضوا دعوته؛ التي استمرت ألفاً إلا خمسين عاماً. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ أي: أنجيناه ومن معه من كيد أعدائهم، ومكرهم. وقيل: أي: من الغرق، والطوفان. والمراد بمن معه: المؤمنون، وكانوا أربعين رجلاً، وأربعين امرأة. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿ٱلْفُلْكِ﴾: السفينة التي استقلها نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمن معه. هذا؛ والفلك: واحد، وجمع، تذكَّر، وتؤنث. قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ فأفرد، وذكَّر. وقال تعالى: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ فأنث، ويحتمل الإفراد والجمع، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ فجمع. وكأنه يذهب بها إذا كانت واحدة إلى المركب؛ فتذكر، وإلى السفينة فتؤنث. انتهى. جمل.

روي: أن نوحاً صنع السفينة في سنتين، وكان طولها ثلاثمئة ذراع، وعرضها خمسين، وسمكها ثلاثين، وجعل لها ثلاثة بطون، فجعل في أسفلها الدواب والوحش، وفي وسطها الإنس، وفي أعلاها الطير، وركبها في عاشر رجب ونزل منها في عاشر المحرم. انتهى. فصام ذلك اليوم، وصار سنة لمن بعده إلى يومنا هذا. ﴿عَمِينَ﴾ أي: عمي القلوب عن طريق الإيمان والحق، و﴿عَمِينَ﴾ صفة مشبهة لكن تصرف فيه بحذف لامه كقاض إذا جمع، فأصله: عميين، حذفت الأولى تخفيفاً. وفي السمين. يقال: عمٍ: إذا كان أعمى البصيرة، غير عارف بأموره. وأعمى، أي: في البصر، وهذا قول الليث. وقيل: عمٍ، وأعمى بمعنًى، كخضرٍ، وأخضر. انتهى جمل.

الإعراب: ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾: (كذبوه): فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥]. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر

إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿وَالَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. ﴿مَعَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول. ﴿فِي الْفُلْكِ﴾: متعلقان بما تعلق به الظرف. وقيل: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر في متعلق الظرف، كما يحتمل تعليقهما بالفعل: (أنجينا) والجملة الفعلية: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها، وكذلك جملة: ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ﴾ معطوفة، وجملة: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿عَمِينَ﴾: صفة: ﴿قَوْمًا﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء؛ لأنه جمع مذكر سالم... إلخ، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، وجملة: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للغرق، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الوجهين.

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم. هذا؛ و﴿عَادٍ﴾ اسم للحي، ولذلك صرف، ومنهم من جعله اسماً للقبيلة، ولذلك منعه، و﴿عَادٍ﴾ في الأصل اسم الأب الكبير، وهو عاد بن عوص بن إرم، بن سام، بن نوح، عليه الصلاة والسلام، فسميت به القبيلة، أو الحي، وكذلك ما أشبهه من نحو «ثمود»، إن جعلته اسماً لمذكر صرفته، وإن جعلته اسماً لمؤنث منعته.

وأما (هود) فقد اشتهر في ألسنة النحاة: أنه عربي، وفيه نظر؛ لأن الظاهر من كلام سيبويه لما عده مع نوح، ولوط: أنه أعجمي. وهود بن عبد الله، بن رباح، بن الخلود، بن عاد، بن عوص، بن إرم، بن سام، بن نوح. وقال ابن إسحاق: هو هود بن شالخ، بن أرفخشل، بن سام بن نوح. وأخوته لعاد ـ أي: القبيلة ـ أخوة نسب، لا أخوة دين. هذا؛ وقد صرح سبحانه هنا، وفيما سيأتي في: صالح، وشعيب بتعيين المرسل إليهم دون ما سبق في نوح، وما سيأتي في لوط، وذلك؛ لأن المرسل إليهم إذا كان لهم اسم، قد اشتهروا به؛ ذكروا به، وإلا فلا. وقد امتازت عاد وثمود ومدين بأسماء مشهورة. هذا؛ وكان بين هود، وبين نوح ثمانمئة سنة، وعاش أربعمئة وأربعاً وستين سنة. انتهى جمل نقلاً من هنا، وهناك.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٥٨]. ﴿أَفَلَا﴾ الهمزة للإنكار، وهي في نية التأخير عن الفاء؛ لأنها حرف عطف، وكذا تقدم على الواو وثم، تنبيهاً على أصالتها في التصدير، نحو قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ...﴾ إلخ. ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ. ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ﴾ وأخواتها تتأخر عن حروف العطف، كما هو قياس جميع أجزاء الجملة المعطوفة، نحو قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾. و﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ هذا مذهب سيبويه، والجمهور، وخالف جماعة أولهم الزمخشري،

فزعموا: أن الهمزة في الآيات المتقدمة في محلها الأصلي، وأن العطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف، فيقولون: التقدير في: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ﴾ و﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا﴾ و﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ﴾: أمكثوا فلم يسيروا في الأرض؟ أنهملكم فنضرب لكم المثل؟ أتؤمنون في حياته، فإن مات أو قتل. . . إلخ؟ ويضعف قولهم، ما فيه من التكلف، أنه غير مطرد في جميع المواضع. انتهى مغني اللبيب بتصرف. ﴿تَتَّقُونَ﴾: انظر التقوى في الآية رقم [٢٦].

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: متعلقان بفعل محذوف، أي: وأرسلنا. . . إلخ. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿هُودًا﴾: بدل من: ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان عليه، والجملة الفعلية: المقدرة: «وأرسلنا. . .» إلخ معطوفة على مثلها في الآية رقم [٥٩] لا محل لها مثلها. ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٥٩] وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ هنا مستأنفة، لا محل لها، بخلافها هناك، فإنها معطوفة بالفاء كما رأيت، وعلل ذلك الخازن بقوله: إن نوحاً كان مواظباً على دعوة قومه غير متوانٍ، وأما هود؛ فلم يكن كذلك، بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء، فجاء قوله بغير فاء. انتهى بتصرف. ﴿أَفَلَا﴾ الهمزة: حرف استفهام وتقريع وتوبيخ. (فلا): الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿تَتَّقُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، ومفعوله محذوف للعلم به، والجملة الفعلية: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على القول الثاني، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في «الفاء»، تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿كَفَرُواْ﴾: الكفر: ستر الحق بالجحود، والإنكار. وكفر فلان النعمة يكفرها كفراً وكفوراً وكفراناً: إذا جحدها وأنكرها. وكفر الشيء: غطاه وكفره. وسمِّي الكافر كافراً؛ لأنه يغطي نعم الله بجحدها، وعبادته غيره. وسمي الزارع كافراً؛ لأنه يلقي البذر في الأرض، ويغطيه، ويستره بالتراب. قال تعالى في تشبيه حال الدنيا: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ﴾. وسمي الليل كافراً؛ لأنه يستر كل شيء بظلمته. قال لبيد بن ربيعة الصحابي ـ رضي الله عنه ـ في معلقته: [الكامل]

حَتَّى إذَا أَلْقَتْ يداً فِي كَافِرٍ ... وأَجَنَّ عَوْراتِ الثُّغُورِ ظَلَامُهَا

﴿قَوْمِهِۦٓ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿فِى سَفَاهَةٍ﴾: في خفة، وسخافة عقل، وفي حمق، وجهالة، وضلالة عن الحق والصواب. هذا؛ وسفه نفسه سفهاً، وسفاهةً استمهنها، وأذلها،

واستخف بها. قال المبرد، وثعلب: سَفِه بالكسر متعد، وبالضم لازم، ويشهد له ما جاء عن النبي ﷺ: «**الكبر أن تسْفَه الحق، وتغمِصَ الناسَ**». والأول من باب طرب، والثاني من باب ظرف. هذا؛ وجاء في المختار: (وقولهم: سِفه نفسَه، وغبِن رأيَه، وبِطر عيشَه، وألِم بطنَه، ووفِق أمرَه، ورشِد أمرَه، كان الأصل: سَفِهَتْ نفسُ زيدٍ، ورشد أمره، فلما حول الفعل إلى الرجل، انتصب ما بعده بوقوع الفعل عليه؛ لأنه صار في معنى سفَّه نفسه بالتشديد، هذا قول البصريين والكسائي، ويجوز عندهم تقديم هذا المنصوب، كما يجوز: غلامَهُ ضربَ زيدٌ).

وقال الفراء: لما حول الفعل من النفس إلى صاحبها خرج ما بعده مفسراً ليدل على أن السفه فيه، وكان حكمه أن يكون سَفِهَ زيدٌ نفساً؛ لأن المفسر لا يكون إلا نكرة، ولكنه ترك على إضافته، ونصب كنصب النكرة تشبيهاً بها. ولا يجوز عنده تقديمه؛ لأن المفسر لا يتقدم، ومثله قولهم: ضِقْتُ به ذرعاً، وطبت به نفساً. والمعنى: ضاق ذرعي به، وطابت نفسي به. انتهى. بحروفه. ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: في ادعائك النبوة.

قال الخازن: والفرق بين إجابة قوم نوح: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ وبين إجابة قوم هود: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾: أن نوحاً كما خوف قومه في الطوفان، وأخذ في صنع السفينة، قال به قومه: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ...﴾ إلخ حيث تتعب في صنع سفينة في أرض ليس فيها من الماء شيء، وأما هود عليه السلام فإنه لما زيف عبادة الأصنام، ونسب من عبدها إلى السفه وقلة العقل؛ قابلوه بمثله. انتهى بتصرف. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل صفة ﴿ٱلْمَلَأُ﴾ أو بدل منه، وجملة: ﴿كَفَرُوا۟﴾: مع المتعلق المحذوف صلة الموصول. ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ﴾ انظر إعراب مثلها ومحلها في الآية رقم [٦٠] وإعراب: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ﴾ مثلها معطوفة عليها فهي في محل نصب مقول القول. ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، وجملة: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر.

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الشرح: شرح هذه الآية، وإعرابها مثل الآية رقم [٦١] وأذكر ما كتبه الجمل عليها نقلاً من أبي السعود، حيث قال: استدراك على ما قبله باعتبار ما يلزمه من كونه في الغاية القصوى من الرشد، فإن الرسالة من جهة رب العالمين موجبة لذلك، فكأنه قيل: ليس بي شيء مما تنسبونه إلي، ولكني في غاية الرشد، والصدق، ولم يصرح بنفي الكذب اكتفاء بما في حيز الاستدراك. و﴿مِّن﴾ لابتداء الغاية.

﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾: انظر الآية رقم [٦٢] ففيها الكفاية. ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ﴾: قال الجمل نقلاً من الخازن بتصرف: أتى هود بالجملة الاسمية، ونوح بالجملة الفعلية، حيث قال: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ وذلك؛ لأن صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة، وكان نوح عليه الصلاة والسلام يكرر دعوته لهم ليلاً، ونهاراً، من غير تراخ، فناسب التعبير بالفعل، وأما هود عليه الصلاة والسلام، فلم يكن كذلك، بل كان يدعوهم وقتاً دون وقت، فلهذا عبر بالاسمية. انتهى.

﴿أَمِينٌ﴾ أي: على أداء الرسالة، وتبليغ النصح. والأمين: الثقة على ما ائتمن عليه. والمدح للنفس بأعظم الصفات غير لائق بالعقلاء، وإنما فعل هود ذلك، وقال هذا القول؛ لأنه كان يجب عليه إعلام قومه بذلك، ومقصوده الرد عليهم في قولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ فوصف نفسه بالأمانة، وأنه أمين في تبليغ ما أرسل به من عند الله. ففيه تقرير للرسالة، والنبوة، وفيه دليل على جواز مدح الإنسان نفسه في موضع الضرورة إلى مدحها. انتهى. خازن بحروفه. هذا؛ وانظر (النصح) في الآية رقم [٦٢] وانظر (النصيحة) في الآية رقم [٧٩] الآتية.

أقول: قد مدح يوسف نفسه بقوله: ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ ومدح نوح، وصالح، ولوط، وشعيب أنفسهم بذلك في سورة (الشعراء) والغرض من ذلك ما ذكرته آنفاً. على نبينا، وعليهم ألف ألف ألف صلاة وتسليم.

الإعراب: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى﴾: انظر الإعراب، ومحل الجملة في الآية رقم [٦٢]. (أنا): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ: ﴿نَاصِحٌ﴾ بعدهما. ﴿نَاصِحٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿أَمِينٌ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، وهذا أولى من العطف على الجملة الفعلية، بخلافه في الآية رقم [٦٢] فالعطف أولى لاتفاق الجملتين في الفعلية.

﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٦٣]. ﴿خُلَفَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٦/١٦٥]. ﴿مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾: حيث ملككم ديارهم، ومساكنهم، وجعلكم خلفاءهم؛ لأنهم كانوا من نسل الذين بقوا مع نوح، وإن شداد بن

عاد الذي كان معاصراً لهود عليه السلام قد ملك المعمورة من رمل عالج إلى بحر عمان، وكان مركزهم بالأحقاف من بلاد حضرموت. هذا؛ وانظر شرح: ﴿قَوْمِ﴾ في الآية رقم [٣٢] و﴿نُوحٍ﴾ في الآية رقم [٥٩].

﴿وَزَادَكُمْ﴾: هذا الفعل ضد: «نقص»، يكون لازماً، كقولك: زاد المال، ويكون متعدياً لمفعولين، كما في الآية الكريمة، وقولك: «زاد الله خالداً خيراً» بمعنى: جزاه الله خيراً. وأما قولك: زاد المال درهماً، والبر مدّاً، فدرهماً، ومدّاً تمييز، ومثله قل في: نقص، ومن المتعدي لمفعولين قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾. ﴿بَصْطَةً﴾ أي: طولاً، وقوة.

قال الكلبي والسدي: كانت قامة الطويل منهم مئة ذراع، وقامة القصير ستين ذراعاً. وقال وهب: كان رأس أحدهم مثل القبة العظيمة، وكانت عينه بعد موته تفرخ فيها الضباع. هذا؛ و﴿بَصْطَةً﴾ يقرأ بالسين، والصاد، ﴿ءَالَآءَ ٱللَّهِ﴾: نعمه، و﴿ءَالَآءَ﴾ جمع مفرده: إلْي بكسر الهمزة، وسكون اللام، أو: أُلْي، بضم الهمزة، وسكون اللام، أو: إلَى بكسر الهمزة وفتح اللام، أو: أَلَى بفتحهما. وانظر مفرد: ﴿ءَانَآءَ﴾ في الآية رقم [١١٣/ ٣] فهو قريب منه. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٧] وانظر الترجي في الآية رقم [٢٦] فإنه جيد. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. وانظر شرح: ﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ في الآية رقم [١٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ انظر إعراب هذا الكلام ومحله من الإعراب في الآية رقم [٦٣]. (اذكروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان بمعنى «وقت» مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿جَعَلَكُمْ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ والكاف مفعول به أول. ﴿خُلَفَآءَ﴾: مفعول به ثان. ﴿مِنۢ بَعْدِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿خُلَفَآءَ﴾، و﴿بَعْدِ﴾: مضاف، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف إليه، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿نُوحٍ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿جَعَلَكُمْ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. والجملة الفعلية: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة محذوفة، التقدير: لا تعجبوا وتدبروا واذكروا. وهذا الكلام كله مستأنف لا محل له. الواو: واو الحال. (زادكم): ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿رَّبِّكُمْ﴾، والكاف مفعول به أول. ﴿فِى ٱلْخَلْقِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿بَصْطَةً﴾: مفعول به ثان، والجملة الفعلية: (زادكم...) إلخ في محل نصب حال من واو الجملة، والرابط: الواو، والضمير، وهي على تقدير «قد» قبلها. ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (اذكروا): فعل، وفاعل. ﴿ءَالَآءَ﴾: مفعول به، و﴿ءَالَآءَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها

جواب شرط غير جازم مقدر بـ «إذا»، وفي الكلام حذف؛ إذ التقدير: فاذكروا آلاء الله، واعملوا عملاً يليق بذلك، وهو أن تؤمنوا به، وتتركوا ما أنتم عليه من عبادة الأصنام؛ لكي تفوزوا بالفلاح في الآخرة. وانظر إعراب مثل: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في الآية رقم [٦٢].

﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾: قال قوم هود له. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ﴾: المراد بالمجيء هاهنا أحد أمرين: إما المجيء من مكان اعتزل فيه عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل نبينا ﷺ بغار حراء قبل المبعث. وإما من السماء على التهكُّم والاستهزاء، أو القصد على المجاز، كقولهم: «ذهب يسبني» وانظر (جاء) في الآية رقم [٤] والعبادة في الآية رقم [٥٩]. ﴿وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾: فهذا استبعاد منهم اختصاص الله بالعبادة، وكيف يتركون ما أَلْفَوْا عليه آباءهم من الشرك انهماكاً منهم في التقليد لما أَلِفوهُ. ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾: من العذاب المدلول عليه بقوله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ انظر (أتى) في الآية رقم [٣٥]. ﴿تَعِدُنَآ﴾: انظر إعلال: ﴿تَجِدُ﴾ في الآية رقم [١٧]. وانظر الوعد في الآية رقم [٤٣]. ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: فيما تتوعدنا وتتهددنا. وانظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠].

بعد هذا أقول: إن (نذر) مضارع يأتي منه أمر، ولم يأت منه ماض، فهو ناقص التصرف، ومثله: يدع، دع، ويَعِمُ، عِمْ. وإلى الآن لم أتكلم على هذه الأفعال الثلاثة، والأولان بمعنى الترك، والثالث بمعنى التحية، والسلام، وهنا أتكلم عن ذلك بعونه تعالى، فأقول: قد قيل: قد سمع سماعاً نادراً الماضي من الأولين. فقالوا: وَدَعَ، ووَذَرَ، بوزن: وضع إلا أن ذلك شاذ في الاستعمال؛ لأن العرب كلهم إلا قليلاً منهم أميت هذا الماضي من لغاتهم، وليس المعنى: أنهم لم يتكلموا به ألبتة، بل تكلموا به دهراً طويلاً، ثم أماتوه بإهمالهم استعماله، فلما جمع العلماء، ما وصل إليهم من لغات العرب؛ وجدوه مماتاً إلا ما سمع منه سماعاً نادراً.

قال قطة العدوي: قال بعض المتقدمين: زعم النحاة: أن العرب أماتت ماضي (يدع) ومصدره، واسم مفعوله، واسم فاعله، مع أنه قد قرأ عروة بن الزبير، وابنه هشام قوله تعالى ﴿مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتخفيف الدال بمعنى: ما تركك، وكذا قرأ مقاتل، وابن أبي عبلة، وقال الرسول ﷺ «**شَرُّ النَّاسِ مَنْ وَدَعَهُ الناسُ اتقاءَ شرِّهِ**». وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «**دَعُوا الْحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ**». وقال الشاعر: [المنسرح]

وكَأَنَّ ما قَدَّمُوا لأنفسِهِمْ أعْظَمُ نفعاً مِنَ الَّذي وَدَعُوا

وقال آخر: [الطويل]

وثـمَّ ودَعْـنَـا آلَ عـمـرٍو وعـامِـرٍ ... فـرائِـسَ أطـراءِ الـمـثـقـفـةِ الـسُّـمُـرِ

وقال غيره: [الرمل]

لـيـتَ شِـعْـرِي عـن خـلـيـلـي مـا الـذي ... غـالَـهُ فـي الـحـبِّ حـتـى وَدَعَـهْ

فها هو الماضي قد ورد عن أفصح العرب قراءة وحديثاً، وكذا في شعر العرب، وورد المصدر أيضاً في قول النبي ﷺ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أقوامٌ عَنْ ودْعِهِمُ الجمعاتِ**. ـ وفي رواية **الجماعاتِ** ـ **أَوْ لَيَخْتِمنَّ اللهُ على قلوبِهِمْ، ثُمَّ ليكونُنَّ مِنَ الغافِلين**». أخرجه مسلم وغيره. وورد اسم الفاعل، واسم المفعول من: «ودع» في قول خفاف بن ندبة: [الطويل]

إذا مـا اسـتـحـمَّـتْ أرضُـهُ مـن سـمـائِـهِ ... جـرَى وهـوَ مـودعٌ ووادِعٌ مـصـدَّقُ

فكيف يقال: إن العرب أماتته، فالصواب القول بقلة الاستعمال، لا بالإماتة. انتهى. بتصرف كبير وقال السيوطي في همع الهوامع: الغالب الاستغناء عن مادة (ودع) بمادة (ترك) ولذا قال: فعلى هذا يعدُّ (ودع) في الجوامد، وما قيل في ودَعَ ومضارعه يَدَع، وأمره دَعْ، يقال في وَذَرَ. ومضارع يَذرُ وأمره ذَرْ، كما يقال في وعم ومضارعه يَعِمُ، وأمره عِمْ. تأمل، وتدبر وربك أعلم وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿أَجِئۡتَنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري، (جئتنا): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿لِنَعۡبُدَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿وَحۡدَهُۥ﴾: حال من: ﴿ٱللَّهَ﴾، وصح ذلك؛ لأنه بمعنى: منفرداً، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: أجئتنا لعبادة الله وحده؟! وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَنَذَرَ﴾: مضارع معطوف على: (نعبد) منصوب مثله، وفاعله مستتر تقديره: «نحن». ﴿مَا﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿يَعۡبُدُ﴾: مضارع. ﴿ءَابَآؤُنَا﴾: يتنازعه الفعلان السابقان، فكان يطلبه اسماً له، ويعبد يطلبه فاعلاً له، والثاني أولى عند البصريين لقربه، والأول أولى عند الكوفيين لتقدمه، فلا بد من الإضمار في أحد الفعلين على القولين، وجملة: ﴿يَعۡبُدُ...﴾ إلخ في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة ما، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: «كان يعبده آباؤنا» هذا؛ وإن اعتبرت ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: ونذر عبادة آبائنا. ﴿فَأۡتِنَا﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨] (ائتنا): فعل أمر مبني على

حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، ﴿بِمَا﴾: متعلقان بما قبلهما وما تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: بالذي أو بشيء تعدنا إياه، أو به، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: فأتنا بوعدك لنا بالهلاك، والجملة الفعلية: ﴿فَأْتِنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم؛ إذ التقدير: وإذا كان ما تتوعدنا به صحيحاً فأتنا به. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر كان، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه؛ إذ التقدير: إن كنت من الصادقين فأتنا بما تعدنا، والجملة الشرطية مع التي قبلها كل أولئك في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: هود ـ عليه السلام ـ لقومه. ﴿قَدْ وَقَعَ﴾: نزل، أو حق، ووجب. ﴿رَّبِّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿رِجْسٌ﴾: عذاب. من: الارتجاس، وهو الاضطراب. ﴿وَغَضَبٌ﴾: سخط وانتقام، أو إرادة الانتقام. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى﴾: أتخاصمونني؟! فهو إنكار لما حصل منهم. ﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ...﴾ إلخ: أي: في أشياء سميتموها آلهة، وليس فيها معنى الإلهية؛ لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للمخلوقات. و﴿أَسْمَآءٍ﴾ جمع: اسم، انظر البسملة لترى أصله، واشتقاقه. ﴿مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ أي: عبدتم الأصنام، ووضعتم لها أسماء بدون سند، ولا برهان تعتمدون عليه، وما كان بهذه المثابة فهو باطل. ذكر: أنهم كان لهم ثلاثة أصنام: سموا أحدها: صموداً، والثاني صمداً، والثالث: هبل. وقيل: صموداً، وصداء، والهباء. ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: غضب الله، وعقابه. ﴿إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ أي: إني أنتظر هلاككم، ونزول العذاب بكم، فهو تهديد، ووعيد لقومه؛ الذين حق عليهم غضب الله تعالى.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (هود). ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿وَقَعَ﴾: ماض. ﴿عَلَيْكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رِجْسٌ﴾ كان صفة له، انظر مثله في الآية رقم [٦٩]. وجوز تعليقهما

بالفعل قبلهما، والكاف ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿رِجْسٌ﴾: فاعل ﴿وَقَعَ﴾. ﴿وَغَضَبٌ﴾: معطوف عليه، وجملة: ﴿قَدْ وَقَعَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى﴾: الهمزة: حرف استفهام. (تجادلونني): مضارع، وفاعله ومفعوله، ونون الوقاية مقحمة بينهما. ﴿فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، و(ها): ضمير متصل في محل نصب مفعول به. ﴿أَنتُمْ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد لتاء الفاعل. ﴿وَءَابَآؤُكُم﴾: معطوف على تاء الفاعل، والميم في الجميع حرف دال على جماعة الذكور، وجملة: ﴿سَمَّيْتُمُوهَآ...﴾ إلخ في محل جر صفة: ﴿أَسْمَآءٍ﴾، وجملة: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿مَّا﴾: نافية. ﴿نَزَّلَ ٱللَّهُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِن﴾: حرف جر صلة. ﴿سُلْطَٰنٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والجملة الفعلية: ﴿مَّا نَزَّلَ...﴾ إلخ في محل جر صفة ثانية لـ ﴿أَسْمَآءٍ﴾، أو هي في محل نصب حال منه بعد وصفه بما تقدم، والرابط: الضمير فقط. ﴿فَٱنتَظِرُوٓا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. (انتظروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١] والمفعول محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط مقدر بـ: «إذا»، أو هي في محل جزم شرط مقدر بـ: «إنْ»، والتقدير على الأول، وإذا كان ما ذكر حاصلاً منكم؛ فانتظروا. وعلى الثاني: إن كنتم مصرين على شرككم فانتظروا. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم ضمير متصل في محل نصب اسمها، ﴿مَعَكُم﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ) وعلامة الجر الياء. . .إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها، والجملة الشرطية المقدرة مع التعليل في محل نصب مقول القول.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾ أي: فأنجينا هوداً من العذاب الذي أصاب قومه. ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ أي: من المؤمنين به. ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾: انظر ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ﴾ في الآية رقم [٥٦]. ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ: استأصلناهم، فلم نبق منهم كافراً؛ لأن الدابر هو الآخر، وإذا قطع الآخر، فقد قطع ما قبله، فحصل الاستئصال، والمراد بـ: (آياتنا) المعجزات التي أعطيها هود، عليه الصلاة والسلام. وانظر الآية رقم [٨] وانظر نا في الآية رقم [٩]. ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾: نفى الله الإيمان عمن أهلكهم من قوم هود، ففيه تنبيه على أن الفرق بين من نجا وبين من هلك إنما هو الإيمان. وانظر الآية رقم [٢].

تنبيه: روي: أن قوم هود كانوا يعبدون الأصنام، ومنازلهم بالأحقاف بين عُمَان وحضرموت من أرض اليمن، فبعث الله إليهم هوداً، فكذبوه، وازدادوا عتوّاً، فأمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين؛ حتى لحقهم الجهد، وكان الناس حينئذ مسلمهم، ومشركهم إذا نزل بهم بلاء؛ توجهوا إلى البيت الحرام، وطلبوا من الله الفرج، فجهزوا إليه قَيْلَ بن عنز، ومرثد بن سعد في سبعين من أعيانهم، وكان إذ ذاك بمكة العمالقة، أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وسيدهم معاوية بن بكر، فلما قدموا عليه؛ وهو بظاهر مكة؛ أنزلهم، وأكرمهم، وكانوا أخواله، وأصهاره، فلبثوا عنده شهراً، يشربون الخمر، وتغنيهم الجرادتان (قينتان له) فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له؛ أهمه ذلك، واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم، فقال شعراً، وأمر الجرادتين أن تغنيا به، ومطلعه ما يلي: [الوافر]

أَلَا يـا قَـيْـلُ وَيْـحَـكَ قُـمْ فَـهَـيْـنِـمْ   لَـعَـلَّ اللهَ يَـسْـقِـيـنَـا غَـمَـامَـا
فَـيَـسْـقِـي أَرضَ عَـادٍ إِنَّ عَـاداً   قَـدْ امْـسَـوْا لا يُـبِـيـنُـونَ الـكَـلَامَـا

فأزعجهم ذلك، فقال مِرثد، والله لا تسقون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيكم، وتبتم إلى الله؛ سقيتم! فقالوا لمعاوية: احبسه عنا لا يقدمَنَّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك ديننا، ثم دخلوا مكة، فقال قَيْلُ: اللهم اسق عاداً ما كنت تسقيهم، فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثاً: بيضاء وحمراء وسوداء، ثم ناداه مناد من السماء: يا قَيْلُ اختر لنفسك، ولقومك. فقال: اخترت السوداء، فإنها، أكثرهن ماءً، فخرجت على عاد من وادي المغيث، فاستبشروا بها، وقالوا: هذا عارض ممطرنا، فجاءتهم منها ريح عقيم، فأهلكتهم، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه، ومن معه من الريح، إلا ما تلين عليه الجلود، وتلذ به الأنفس، انظر ما ذكره الله في سورة (الذاريات) وسورة (الحاقة)، وغيرهما. انتهى. بيضاوي بتصرف.

الإعراب: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وقال سليمان الجمل: الفاء الفصيحة، وقدر قبلها: «فوقع، ما وقع فأنجيناه». ولا أرى له وجهاً صحيحاً. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب. ﴿مَعَهُۥ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، التقدير: آمنوا معه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِرَحْمَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّنَّا﴾: متعلقان بـ (رحمة)، أو بمحذوف صفة له. (قطعنا): فعل، وفاعل. ﴿دَابِرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و ﴿ٱلَّذِينَ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها، والجملة المنفية: ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَقَطَعْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا...﴾ إلى ﴿غَيْرُهُۥ﴾: انظر شرح هذا الكلام، في الآية رقم [٦٥] وهو معطوف عليه، فيقدر المحذوف مثله. هذا؛ و﴿ثَمُودَ﴾ قبيلة أخرى من العرب، كعاد سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن غابر بن سام بن نوح، وهو أخو جد يس بن غابر، وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله. قال أبو عمرو بن العلاء: سميت ثمود لقلة مائها، والثمد: الماء القليل. والأول هو المعتمد. وانظر صرفه، وعدمه في الآية رقم [٦٥] وقرئ بصرفه شاذاً. ﴿صَٰلِحًا﴾: هو ابن عبيد، بن آسف، بن ماسح، بن عبيد، بن حاذر، بن ثمود، وليس من أنبياء بني إسرائيل كهود، وكان بينهما مئة سنة، وعاش صالح مئتين وثمانين سنة كما في التحبير. انتهى جمل. وأخوته لقومه أخوة نسب لا أخوة دين كهود. ﴿جَآءَتْكُم﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿بَيِّنَةٌ﴾: معجزة واضحة ظاهرة الدلالة على نبوتي، وبرهان جلي على صدقي بأني رسول الله إليكم. ثم فسر هذه المعجزة بقوله سبحانه: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ وكون هذه الناقة معجزة لأنها خرجت من صخرة، وهم ينظرون إليها، وليست من ذكر وأنثى معهودين، وخلقت في ساعة واحدة، وكانت تشرب ماء العين التي هي ماؤهم ورواؤهم في يوم، وهم يشربونه في يوم، وفي يوم شربها كانوا يحلبونها، فيغنيهم لبنها عن الماء ذلك اليوم. وإضافة الناقة إلى ﴿ٱللَّهِ﴾ إضافة تشريف، وتعظيم، كما يقال: بيت الله، وعبد الله. ﴿فَذَرُوهَا﴾: اتركوها. وانظر الآية رقم [٧٠]. ﴿أَرْضِ ٱللَّهِ﴾: ملكه. ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾: نهى عن المس الذي هو مقدمة الإصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى، مبالغة في النهي، كما في قوله تعالى ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ هذا؛ والسوء الشر والفساد، والجمع: أسواء، وهو بضم السين من ساءه، وهو بفتحها المصدر، تقول: رجل سَوْءٍ بالإضافة، ورجل السَّوْءِ، ولا تقول: الرجل السوْءِ، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ﴾ وتأنيثه السوأى: كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾. وانظر الآية رقم [٩٨/ ٩]. ﴿عَذَابٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٧]. ﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم بكسر اللام، اسم فاعل بمعنى موجع.

وقال سليمان الجمل: بفتح اللام على طريق الإسناد المجازي، حيث أسند الألم للعذاب، وهو في الحقيقة إنما يسند إلى الشخص المعذب، فهو على حد (جدَّ جدُّهُ). والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾. انظر الآية رقم [٦٥] و[٥٩] ففيهما الكفاية. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال.

﴿جَآءَتْكُم﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والكاف مفعول به، والميم في الجميع حرف دال على جماعة الذكور. ﴿بَيِّنَةٌ﴾: فاعل. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿بَيِّنَةٌ﴾، أو بمحذوف صفة لها، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط. هذا؛ والاستئناف ممكن بالإعراض عما قبلها. ﴿هَٰذِهِۦ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿نَاقَةُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ءَايَةً﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة... إلخ». ﴿ءَايَةً﴾: حال من: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾، والعامل في الحال اسم الإشارة، فهي حال متداخلة. هذا؛ وقيل، بدل من: ﴿هَٰذِهِۦ﴾ وهذا يعني أنه قرئ بالرفع. هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿لَكُمْ﴾ متعلقين بمحذوف خبر ثان للمبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ﴾ مفسرة لقوله ﴿بَيِّنَةٌ﴾ أو هي بدل منها، إبدال جملة من مفرد. وقيل: هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَذَرُوهَا﴾: الفاء هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨] (ذروها): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، و(ها): مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً وثابتاً؛ فذروها، و«إذا» المقدرة، ومدخولها كلام مستأنف، أو هو معطوف على ما قبله. ﴿تَأْكُلْ﴾: مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للأمر، وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف مقدر بـ: «إنْ»، والفاعل مستتر تقديره: «هي»، ﴿فِىٓ أَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و ﴿أَرْضِ﴾: مضاف، و ﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿تَأْكُلْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب الطلب، أو جواب شرط جازم، ولم تقترن بالفاء، أو بـ: «إذا» الفجائية، التقدير: إن تذروها؛ تأكل... إلخ. (لا): ناهية جازمة ﴿تَمَسُّوهَا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و(ها): مفعوله. ﴿بِسُوٓءٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿فَيَأْخُذَكُمْ﴾: الفاء: للسببية. (يأخذكم): مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد الفاء، والكاف مفعول به. ﴿عَذَابٌ﴾: فاعله. ﴿أَلِيمٌ﴾: صفته، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر معطوف بالفاء على مصدر متصيد من الفعل السابق، التقدير: لا يكن منكم مس للناقة بسوء، فأخذ لكم.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾: انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٦٩] وهذا يدل على امتداد ملك قوم عاد كما رأيت هناك. ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾:

أسكنكم، ومكنكم فيها، وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٧] من سورة (يونس). ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾: تبنون في سهولها، أو من سهولها بما تعملون منها، كاللبن، والآجر المتخذ من الطين السهل اللين. هذا؛ وسميت القصور قصوراً لقصور الفقراء عن تحصيلها، وحبسهم عن نيلها. انتهى. جمل. ﴿وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ أي: وتشقون بيوتاً في الجبال، والمراد: الكهوف، والغيران التي كانوا ينحتونها في الجبال، قيل: كانوا يسكنون السهول في الصيف، والجبال في الشتاء، وهذا يدل على أنهم كانوا متنعمين مترفهين. هذا؛ وقرئ: ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ بفتح التاء الثانية وكسرها، كما قرئ: (تنحاتون). ﴿ءَالَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٦٩]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الاستعاذة. ﴿وَلَا تَعْثَوْا﴾: ولا تفسدوا، والعثوُّ: أشد الفساد. وانظر الآية رقم [٥٦].

روي: أن عاداً لما أهلكت؛ عمرت ثمود بلادها، أي: قسماً منها؛ لأن قبيلة ثمود لم تصل إلى الأحقاف التي كانت مركزاً لعاد، وخلفوها في عمارة الأرض التي ذكرتها في الآية السابقة، وعمروا أعماراً طوالاً، فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات، وكانوا في سعة من العيش، فعتوا على الله، وأفسدوا في الأرض، وعبدوا الأوثان، فبعث الله إليهم صالحاً، وكانوا قوماً عرباً، وصالح من أوسطهم نسباً، فدعاهم إلى الله، فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون، فأنذرهم، فسألوه أن يخرج من صخرة يعينها ناقة عشراء، فصلى، ودعا ربه، فتمخضت تمخض النتوج بولدها، فخرجت منها ناقة كما شاؤوا، فآمن به جندع، ورهط من قومه. انتهى. نسفي بتصرف، وزيادة.

الإعراب: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٦٨] وجملة: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها في الآية السابقة. (بوأكم): ماض، والفاعل يعود إلى الله، والكاف مفعول به. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿جَعَلَكُمْ...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها. ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن سُهُولِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف مفعول به ثان تقدم على الأول، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿قُصُورًا﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً». ﴿قُصُورًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿تَتَّخِذُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الكاف المفعول به، والرابط الضمير فقط. (تنحتون): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْجِبَالَ﴾: منصوب بنزع الخافض، أي من الجبال، و﴿بُيُوتًا﴾: مفعول به. وقيل: إن الفعل يتضمن معنى ما قبله، وعليه فالجبال مفعوله الأول، وبيوتاً مفعوله الثاني. وقيل: ﴿ٱلْجِبَالَ﴾ مفعول به، و﴿بُيُوتًا﴾ حال مقدرة، فإنه بمعنى المشتق، أي: مسكونة، والجملة الفعلية: ﴿وَتَنْحِتُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (اذكروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله،

والألف للتفريق. ﴿ءَالَآءَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، وجملة: (اذكروا...) إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط مقدر بـ: «إذا»، التقدير: «وإذا كان ذلك واقعاً وحاصلاً؛ فاذكروا...» إلخ، وإذا ومدخولها على هذا التقدير معطوف على ما قبله، فهو داخل في الحالية. (لا): ناهية. ﴿تَعْثَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بـ ﴿مُفْسِدِينَ﴾ بعدهما. ﴿مُفْسِدِينَ﴾: حال مؤكدة لمعنى الفعل منصوب، وعلامة نصبه الياء، نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿وَلَا تَعْثَوْا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾ أي: تكبروا عن الإيمان به. ﴿قَوْمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾ أي: استضعفهم الأقوياء، واستذلوهم. ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾: للمؤمنين بصالح، ومصدقيه بما جاء به من عند ربه. وانظر (الإيمان) في الآية رقم [٢]. ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا...﴾ إلخ: أي: أتعتقدون برسالة صالح. ﴿قَالُوٓا۟﴾: ذلك استهزاء. وانظر شرح: ﴿رَبِّكُمْ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ...﴾ إلخ: أي: نحن مصدقون، ومعترفون برسالته، وبما جاء من عند ربه. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات ومحلها في الآية رقم [٦٦]. ﴿لِلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿قَالَ﴾. ﴿ٱسْتُضْعِفُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، والواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿لِمَنْ﴾: جار ومجرور بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ﴾ بدل كل من كل، إن كان كل المستضعفين مؤمنين، وبدل بعض من كل إن كان بعضهم مؤمنين، وبعضهم كافرين. ﴿ءَامَنَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (مَنْ) وهو العائد. ﴿مِنْهُمْ﴾ جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الفاعل المستتر، ومن بيان لما أبهم في (مَنْ) والجملة الفعلية: ﴿ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿أَتَعْلَمُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام. (تعلمون): فعل مضارع، والواو فاعله. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿صَٰلِحًا﴾: اسمها. ﴿مُّرْسَلٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّهِۦ﴾، متعلقان بـ ﴿مُّرْسَلٌ﴾ لأنه اسم مفعول، والهاء في محل جر بالإضافة، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل قبله، والجملة الفعلية: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ...﴾ إلخ في محل نصب

مقول القول. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وحذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿بِمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ ﴿مُؤْمِنُونَ﴾ بعدهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، وجملة: ﴿أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط هو الضمير المجرور محلّاً بالباء، التقدير: بالذي، أو بشيء أرسل به، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بإرساله، والجار والمجرور متعلقان بما بعدهما. ﴿مُؤْمِنُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾ أي: عن أمر الله، والإيمان به، وبرسوله (صالح). ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: جاحدون منكرون. فوضعوا ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ موضع ﴿أُرْسِلَ بِهِۦ﴾ ردّاً لما جعله المؤمنون معلوماً مسلماً. وانظر الإيمان في الآية رقم [٢] والكفر في الآية رقم [٦٦] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱسْتَكْبَرُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مع المتعلق المحذوف صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِنَّا﴾: (إنَّ): حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾: متعلقان بـ ﴿كَٰفِرُونَ﴾ بعدهما. ﴿ءَامَنتُم﴾: فعل، وفاعل، والميم علامة جمع الذكور. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد الضمير المجرور محلّاً بالباء. ﴿كَٰفِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ﴾: نحروها، وقتلوها. أسند سبحانه العقر إلى جميعهم، وإن كان العاقر «قدار بن سالف»؛ لأنه كان برضاهم، وكان «قدار» أحمر، أزرق العينين، قصيراً. كما كان فرعون كذلك.

قال النبي ﷺ: «**يا علي أشْقَى الأولين عاقرُ ناقةِ صَالحٍ، وأشقى الآخرين قَاتِلُكَ**». هذا؛ والعقر في الأصل: قطع عرقوب البعير، ثم جعل النحر عقراً؛ لأن ناحر البعير يعقره، ثم ينحره، وباب (عقر) ضرب، ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾: تكبروا عن أمر ربهم، وهو ما أمروا به على لسان صالح من قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾. هذا؛ والعتو: الغلو في الباطل، والتكبر عن الحق. هذا؛ وانظر إعلال مثل: (عتوا) في الآية رقم [٢٥]. ﴿رَبِّهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿وَقَالُواْ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿ٱئْتِنَا﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٣٤]. ﴿تَعِدُنَآ﴾: انظر إعلال: ﴿تَجِدُ﴾ في الآية رقم [١٧] فهو مثله. ﴿كُنتَ﴾: انظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠] فهو مثله. وقولهم: ﴿يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا...﴾ إلخ تهكم؛ لأنهم كانوا مكذبين في كل ما هددهم وتوعدهم به من العذاب. وانظر مثل إعلال: ﴿ٱئْتِنَا﴾ في الآية رقم [٥٠] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿فَعَقَرُواْ﴾: الفاء: حرف استئناف. (عقروا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. (عتوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعل. ﴿عَنْ أَمْرِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و ﴿أَمْرِ﴾: مضاف، و ﴿رَبِّهِمْ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَعَتَوْاْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (صالح): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ: (يا) ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٦٩] وكله مع الجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: قال الفراء، والزجاج: الرجفة: الزلزلة الشديدة العظيمة. وقال مجاهد والسدي: هي الصيحة. فيحتمل: أنهم أخذتهم الزلزلة من تحتهم، والصيحة من فوقهم؛ حتى هلكوا. انتهى خازن. ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: أصبحوا في أرضهم، وبلدهم ميتين على وجوههم خامدين. هذا؛ والجثوم للناس، والطير بمنزلة البروك للبعير.

هذا؛ و«الدار» مؤنثة، وقد تذكر، وهي منزل الإنسان، ومسكنه، أصلها: دَوَر بفتحتين قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها. وجمعها: ديار، ودُور، وادْؤُر، وَأَدْوُر، وأدوِرَة وأدْوار، ودُورات، ودِيارات، ودُوران، ودِيران. وأصل ديار: دِوار، قلبت الواو ياء؛ لأنها وقعت عيناً في جمع على وزن «فِعَال» لمفرد اعتلت عينه بالقلب. هذا؛ والدار أيضاً: البلد، والقبيلة. ودار القرار: الآخرة، والداران: الدنيا والآخرة. ودار الحرب: بلاد العدو.

هذا؛ وقد قال أبو حاتم: إنَّ الديار العساكر، والخيام، لا البنيان، والعمران، وإن الدار البنيان، والعمران، وعليه قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ أي: في عساكرهم،

وخيامهم ميتين، وقال جل شأنه: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ أي: في مدينتهم المعمورة، ولو أراد غير ما قيل لجمع الدار، فعلم من كلامه: أن الديار مخصوصة بالخيام. انتهى.

قال صاحب خزانة الأدب: وهذه غفلة عن قول الشاعر ـ وهو مجنون ليلى ـ: (أُقَبِّلُ ذا الجدارَ) وهو حائط البيت، وذلك في قوله: [الوافر]

أَمُرُّ على الديارِ ديارِ ليلى ... أُقَبِّلُ ذَا الجدارَ وذا الجدارَا
وما حبُّ الديار شغفْنَ قلْبي ... ولكنْ حُبُّ مَنْ سكنَ الدِّيارَا

وهذان البيتان هما الشاهد رقم (٩٠٣) من كتابنا: «فتح القريب المجيب».

تنبيه: بالإضافة لما ذكرته عن النسفي في الآية رقم [٧٣] أذكر أيضاً: أن الناقة ولدت ولداً مثلها، ومكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر، وترد الماء غبّاً، فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل ماء فيها، ثم تتفحج، فيحلبون ما شاؤوا حتى تمتلئ أوانيهم، فيشربون، ويدخرون، وكانت تصيف بظهر الوادي، فتهرب منها أنعامهم إلى بطنه، وتشتُو ببطنه، فتهرب مواشيهم إلى ظهره، فشقَّ ذلك عليهم، وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم، وصدقة بنت المختار، فعقروها واقتسموا لحمها. فرقى ولدها جبلاً اسمه: قارة، فرغا ثلاثاً، فقال لهم صالح: أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب، فلم يقدروا عليه؛ إذ انفرجت الصخرة بعد رغائه، فدخلها، فقال لهم صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: تصبح وجوهكم غداً مصفرة، وبعد غد محمرة، واليوم الثالث مسودة، ثم يصبحكم العذاب. فلما رأوا العلامات؛ طلبوا أن يقتلوه، فأنجاه الله، إلى أرض فلسطين، ولما كانت ضحوة اليوم الرابع، تحنطوا، وتكفنوا بالأنطاع، فأتتهم صيحة من السماء، فتقطعت قلوبهم فهلكوا. انتهى بيضاوي بحروفه.

وفي الخازن ـ عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر، قال: «**لا تَدْخُلوا مسَاكِنَ الذين ظلموا أنفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ ما أصابَهُمْ، إلا أن تكونوا باكِينَ، ثم قنَّعَ رأسَهُ، وأسرع السير حتَّى جَاوَزَ الوادي**». متفق عليه.

وعنه أيضاً: أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض ثمود، فاستقوا من آبارها، وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوه، ويعلفوا الإبل بالعجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة. رواه الشيخان.

وكانت الفرقةُ المؤمنةُ مِنْ قومِ صالحٍ أربعةَ آلاف، خرج بهم صالح ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد هلاك قومه من فلسطين، إلى حضرموت، فلما دخلوها؛ مات صالح، فسمي: حضرموت، ثم بنوا فيها أربعة آلاف مدينة، وسموها: حاضوراء. وقال قوم من أهل العلم توفي صالح بمكة، وهو ابن ثمان وخمسين سنة، وأقام في قومه عشرين سنة. انتهى خازن بتصرف.

الإعراب: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ﴾: الفاء: حرف عطف. (أخذتهم): ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿الرَّجْفَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها. (أصبحوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوا﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿فِي دَارِهِمْ﴾: متعلقان بما بعدهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿جَاثِمِينَ﴾: خبر (أصبح) منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وقيل: (أصبحوا) تامّاً، و﴿جَاثِمِينَ﴾ حالاً. والأول أقوى، وجملة: (أصبحوا...) إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾: فأعرض عنهم صالح، عليه الصلاة والسلام. هذا؛ والإعراض، والتولي، والإدبار عن الشيء يكون بالجسم، ويستعمل في الإعراض عن الأمور والاعتقادات اتساعاً ومجازاً. هذا؛ وقال البيضاوي: ظاهره: أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين، ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم، كما خاطب رسول الله ﷺ أهل قليب بدر، وقال: «**إنا وجدنا ما وعدنا ربنا حقّاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً**». أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم. ﴿وَقَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٣٢]. ﴿رَبِّي﴾: انظر الآية رقم [٢]. والمراد بـ: ﴿رِسَالَةَ رَبِّي﴾: تعاليمه وتكاليفه، وأوامره ونواهيه التي جاء بها كل رسول من عند ربه. هذا؛ وقد قال نوح وهود ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ وقال صالح ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾ والأول أبلغ من الثاني، ولعل مرجع ذلك ومرده إلى طول مدة نوح وهود عليهما الصلاة والسلام، وإلى قصر حياة صالح ومدته كما رأيت حياة الجميع فيما تقدم. ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: انظر: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ﴾: الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى، والنصيحة: منيحة تدرأ الفضيحة، ولكنها وخيمة تورث السخيمة. انتهى. نسفي. وانظر (النصح) في الآية رقم [٦١].

الإعراب: ﴿فَتَوَلَّىٰ﴾: الفاء: حرف عطف. (تولى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى (صالح). ﴿عَنْهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿يَٰقَوْمِ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥٩]. ﴿لَقَدْ﴾: اللام واقعة في جواب قسم محذوف، تقديره: والله. ﴿أَبْلَغْتُكُمْ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به أول. ﴿رِسَالَةَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و ﴿رَبِّي﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ...﴾ إلخ جواب القسم، المقدر، والقسم

وجوابه، والجملة الندائية كل ذلك في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً، والجملة الفعلية: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ معطوفة على جواب القسم، ومحلها في محل نصب مقول القول. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿لَّا﴾: نافية ﴿تُحِبُّونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾: مفعول به منصوب... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلُوطًا﴾: هو ابن أخي إبراهيم عليه السلام آمن به، وهاجر معه من بلاد العراق، قال تعالى ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ...﴾ إلخ فأقام إبراهيم ـ عليه السلام ـ في فلسطين، وأقام لوط ـ عليه السلام ـ في الأردن، فأرسله الله إلى أهل «سدوم» يدعوهم إلى الله، وينهاهم عن فعلهم القبيح. هذا؛ وقال الجمل: سذوم بالذال المعجمة، وهي بلد بحمص. نقلاً من أبي السعود، وأين حمص من الأردن؟! قال: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: انظر الآية رقم [٣١]. ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: سؤال توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية في القبح والشناعة، ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾: لم يفعل هذه الفاحشة أحد قبلكم. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤].

﴿أَحَدٍ﴾: أصله: وحد؛ لأنه من الوحدة، فأبدلت الواو همزة، وهذا قليل في المفتوحة، إنما يحسن في المضمومة والمكسورة مثل قولهم: وجوه وأجوه، ووسادة وإسادة، وهو مرادف للواحد في موضعين: أحدهما: وصف الباري جل علاه، فيقال: هو الواحد، وهو الأحد. والثاني: أسماء العدد، فيقال: أحد وعشرون، وواحد وعشرون. وفي غير هذين الموضعين يفرق بينهما في الاستعمال، فلا يستعمل (أحد) إلا في النفي، وهو كثير في الكلام، أو في الإثبات مضافاً، كما في قوله تعالى ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ بخلاف الواحد، وقولهم: «ما في الدار أحد» هو اسم لمن يعقل، ويستوي فيه المفرد، والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث، قال تعالى ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ وقال جل ذكره: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾.

الإعراب: ﴿وَلُوطًا﴾: مفعول به لفعل محذوف، التقدير، واذكر لوطاً، ونحوه. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب بدلاً من: (لوطاً). ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: (لوطاً). ﴿لِقَوْمِهِۦٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿أَتَأْتُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتوبيخ. (تأتون): فعل، وفاعل. ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: مفعول به. وجملة: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿سَبَقَكُم﴾: ماض، والكاف مفعول به. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنْ﴾: حرف جر صلة. ﴿أَحَدٍ﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه ضمة

مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَحَدٍ﴾، والجملة الفعلية: ﴿مَا سَبَقَكُم...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، أو من ﴿ٱلْفَٰحِشَةَ﴾ نفسها، والرابط: الضمير على الاعتبارين. هذا؛ وقد قيل: إنها مستأنفة، لا محل لها، وجملة: «اذكر لوطاً» أو «وأرسلنا لوطاً» المقدرة معطوفة على ما قبلها، ومتضمنة عطف قصة لوط على قصة نوح وهود وصالح على نبينا وعليهم جميعاً ألف ألف ألف تحية وسلام وصلاة.

﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ...﴾ إلخ: هذا من قول لوط ـ عليه السلام ـ لقومه مخاطباً لهم. وانظر (أتى) في الآية رقم [٣٥]. ﴿ٱلرِّجَالَ﴾: جمع: رجل، وهو مأخوذ من الرجولة، وهي البطولة، والشجاعة، والقوة، وغير ذلك. ﴿مِّن دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿شَهْوَةً﴾: قال البيضاوي: وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة، وتنبيه على أنه ينبغي للعاقل أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد، وبقاء النوع، لا قضاء الوطر.

قال عمرو بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ ما زنىٰ ذكر على ذكر في الدنيا إلا كان من قوم لوط. هذا؛ وقد لعن الرسول ﷺ من عمل عمل قوم لوط، كما لعن من أتى امرأته في دبرها أيضاً. ﴿ٱلنِّسَآءِ﴾: أصله: النساي، تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة والياء المنقلبة ألفاً، فأبدلت الثانية همزة. هذا؛ ونساء: اسم جمع لا واحد له من لفظه؛ لأن مفرده: امرأة، وتجمع المرأة أيضاً على: نسوة بضم النون وكسرها، ونسوان بكسر النون، ونسون ونسنين، وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان الذي رأيته في الآية رقم [١٤/ ٥] فهي مطبوعة عليه، إما إهمالاً وإما كذباً. هذا؛ والمرأة مشتقة من المرء، وهو الرجل؛ لأنها خلقت منه. ﴿قَوْمٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾: مجاوزون الحلال إلى الحرام وانظر الآية رقم [١٤١/ ٦] وإنما ذمهم الله بهذا العمل الخبيث؛ لأن الله خلق الإنسان وركب فيه الشهوة لبقاء النسل وعمران الدنيا، وجعل النساء محلاً للشهوة، وموضع النسل، فإذا تركهن الرجل وعدل عنهن إلى غيرهم من الرجال، فكأنما قد جاوز الحد واعتدى؛ لأنه وضع الشيء في غير موضعه الذي خلق له؛ لأن أدبار الذكور ليست محلاً للولادة، التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الإنسان.

وكانت قصة قوم لوط على ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره من أهل الأخبار والسير: أنه كانت قرى قوم لوط مخصبة ذات زروع، وثمار، لم يكن في الأرض مثلها، فقصدهم الناس، فآذوهم، وضيقوا عليهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، وقال لهم: إذا فعلتم بهم كذا وكذا

نجوتم منهم. فأبوا، فلما ألح عليهم الناس؛ قصدوهم، فأصابوا غلماناً حساناً صباحاً، فأخبثوا، واستحكم ذلك فيهم. قال الحسن: كانوا لا ينكحون إلا الغرباء. وقيل: استحكم ذلك فيهم؛ حتى نكح بعضهم بعضاً، وقال الكلبي: إن أول من عمل عمل قوم لوط إبليس، وذلك: أن بلادهم أخصبت، فقصدها أهل البلدان، فتمثل لهم إبليس في صورة شاب أمرد، فدعا إلى نفسه، فكان أول من نُكِح في دبره، فأمر الله السماء أن تحصبهم، والأرض أن تخسف بهم. انتهى. خازن بتصرف، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف ضمير متصل في محل نصب اسمها. هذا؛ وقد قرئ: (أإنكم) بهمزة الاستفهام ﴿لَتَأْتُونَ﴾ اللام: هي المزحلقة. تأتون: فعل، وفاعل. ﴿الرِّجَالَ﴾: مفعول به. ﴿شَهْوَةً﴾: مفعول لأجله، أو هو حال بمعنى مشتهين، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ) وعلى تقدير الهمزة يكون في الكلام توبيخ آخر، وهذا أشنع مما سبق لتأكيده بـ: (إنَّ) واللام، واسمية الجملة. هذا؛ والكلام في محل نصب مقول القول. ﴿مِّن دُونِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من (الواو) أو من ﴿الرِّجَالَ﴾. ﴿بَلْ﴾: حرف إضراب انتقالي من الإنكار إلى الإخبار عن حالهم التي أدت بهم إلى ارتكاب أمثالها، وهي اعتياد الإسراف في كل شيء، أو عن الإنكار عليها إلى الذم على جميع معايبهم، أو عن محذوف مثل: لا عذر لكم فيه، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف. ﴿أَنتُمْ﴾: مبتدأ. ﴿قَوْمٌ﴾: خبره. ﴿مُّسْرِفُونَ﴾: صفة قوم مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية من مقول لوط، عليه الصلاة والسلام.

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا﴾: قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: أتى هنا بقوله: ﴿وَمَا﴾ وفي النمل والعنكبوت بقوله: ﴿فَمَا﴾ والفاء هي الأصل في هذا الباب؛ لأن المراد: أنهم لم يتأخر جوابهم عن نصيحته، وأما الواو فالتعقيب أحد محاملها، فتعين هنا أنها للتعقيب لأمر خارجي، وهو القرينة في السورتين المذكورتين، لا أنها اقتضت ذلك بوضعها. انتهى نقلاً عن السمين.

﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ أي: المستكبرين منهم عن الإيمان، انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أَخْرِجُوهُم﴾ أي: أخرجوا لوطاً، ومن آمن معه. ﴿قَرْيَتِكُمْ﴾: وهي سذوم بالذال بوزن رسول من قرى حمص الشام. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٨٠] وانظر شرح القرية في الآية رقم [٨٨]. ﴿إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي: من الفواحش، ومن أدبار الرجال، وهذا استهزاء منهم بلوط، وأتباعه. (الناس): اسم جمع لا واحد له من لفظه، كالقوم، والرهط،

واحده: إنسان من غير لفظه، وهو يطلق على الإنس، والجن، ولكن غلب استعماله في الإنس، قال تعالى ﴿ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ وأصله: الأناس، حذفت منه الهمزة تخفيفاً على غير قياس، وحذفها مع لام التعريف كاللازم، لا يكاد يقال: الأناس، وقد نطق القرآن الكريم بهذا الأصل، ولكن بدون لام التعريف، كما في هذه الآية، وقوله سبحانه: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ وقيل: إن أصله: النَّوَس، ولم يحذف منه شيء، وإنما قلبت الواو ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿جَوَابَ﴾: خبر ﴿كَانَ﴾ تقدم على اسمها، و ﴿جَوَابَ﴾: مضاف، و ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَن﴾: حرف مصدري، ونصب. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥] والفعل في محل نصب بـ: ﴿أَن﴾ و﴿أَن﴾ والفعل في تأويل مصدر في محل رفع اسم ﴿كَانَ﴾ مؤخر. هذا؛ وقد قرئ برفع ﴿جَوَابَ﴾ على أنه اسمها، والمصدر المؤول خبرها، والأول أفصح؛ لأن فيه جعل الأعراف اسماً. ﴿أَخْرِجُوهُم﴾: فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿إِنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل والهاء في محل نصب اسمها. ﴿أُنَاسٌ﴾: خبرها، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿أُنَاسٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُمْ...﴾ إلخ تعليل للأمر، وهي في محل نصب مقول القول.

﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ ۝٨٣﴾

الشرح: ﴿فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ﴾ أي: أنجى الله لوطاً ومن آمن معه من أهله. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وأهل اسم جمع لا واحد له من لفظه، مثل معشر ورهط. و(الأهل): العشيرة وذو القربى، ويطلق على الزوجة وعلى الأتباع أيضاً، والجمع أهلون، وأهال، وآهال، وأهلات، بسكون الهاء وفتحها، وبالأولين قرئ قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾: فإنها كانت تسر الكفر، واسمها واهلة. ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ أي: من الذين بقوا في العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث، مثل قوله تعالى في حق مريم: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ﴾ هذا؛ و﴿ٱلْغَـٰبِرِينَ﴾ اسم فاعل من: غبر الشيء بقي، وغبر أيضاً مضى، فهو من الأضداد، وبابه دخل. انتهى. مختار. هذا؛ ولذا يمكن أن يقال: في غابر الأزمان وحاضرها. كما يقال: في غابر الأزمان وماضيها، وقال أبو ذؤيب الهذلي في رثاء أولاده: [الكامل]

فَغَبَرْتُ بعد هُمُو بعيْشٍ ناصِبٍ وإخالُ أنِّي لاحِقٌ مستتْبَعُ

الإعراب: ﴿فَأَنجَيْنَهُ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به؛ والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَهْلَهُ﴾: معطوف على الضمير المنصوب، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾: مستثنى بـ: ﴿إِلَّا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمها يعود إلى: ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾. ﴿مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿كَانَتْ﴾، والجملة الفعلية: ﴿كَانَتْ...﴾ إلخ قال الجمل: مستأنفة، وقعت جواباً عن سؤال نشأ من استثنائها، كأنه قيل: فماذا كان حالها، فقيل: ﴿كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾. انتهى بتصرف، وأرى جوازاً اعتبارها حالاً من: ﴿ٱمْرَأَتَهُ﴾، وهي على تقدير «قد» قبلها، والرابط: الضمير فقط. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا﴾ أي: وأنزلنا عليهم من السماء مطراً عجيباً، وهو مُبَيَّنٌ في قوله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ وهذه الحجارة قد عجنت بالكبريت والنار. هذا؛ ويقال: مطرت السماء، وأمطرت. وقال أبو عبيدة: يقال في العذاب: أمطرت، وفي الرحمة مطرت. وانظر نا في الآية رقم [٧]. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ...﴾ إلخ: أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله، وعملوا الفواحش كيف أهلكتهم؟!

قال مجاهد: نزل جبريل، عليه الصلاة والسلام، فأدخل جناحيه تحت مدائن قوم لوط، فاقتلعها، ورفعها إلى السماء، ثم قلبها، فجعل أعلاها أسفلها، ثم أتبعوا بالحجارة. هذا؛ وإن كان الخطاب للنبي ﷺ، لكن المراد به غيره من أمته، ليعتبروا بما جرى على أولئك، فينزجروا بذلك الاعتبار عن الأفعال القبيحة، والفواحش الخبيثة. انتهى. خازن بتصرف. ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾.

هذا؛ ولم يؤنث الفعل: ﴿كَانَ﴾ لأن ﴿عَٰقِبَةُ﴾ مؤنث مجازي، وما كان منه يستوي فيه التذكير والتأنيث، أو لأن: ﴿عَٰقِبَةُ﴾ اكتسب التذكير من المضاف إليه.

الإعراب: (أمطرنا): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مَّطَرًا﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَمْطَرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿فَٱنظُرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (انظر): أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾ تقدم عليها، وعلى اسمها. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص. ﴿عَٰقِبَةُ﴾: اسم ﴿كَانَ﴾ مرفوع، وهو مضاف، و ﴿ٱلْمُجْرِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة

جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كَيْفَ كَانَ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به للفعل: (انظر) المعلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام، والجملة الفعلية: ﴿فَانظُرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما وقع حاصلاً؛ فانظر معتبراً بما حصل.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدين... إلخ، و﴿مَدْيَنَ﴾ اسم رجل، وهو مدين بن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، فعلى هذا يكون المعنى: وأرسلنا إلى ولد مدين، ومدين اسم للقبيلة، كما يقال: بنو تميم، وبنو عدي. وقيل: مدين اسم للماء الذي كانوا عليه. وقيل: هو اسم للمدينة. وعلى هذين القولين يكون المعنى: وأرسلنا إلى أهل مدين. والصحيح هو الأول، لقوله: ﴿أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ يعني: في النسب لا في الدين، وشعيب هو ابن ميكيل، بن يشجر، بن مدين، بن إبراهيم عليه السلام، وأم ميكيل هي بنت لوط عليه السلام، وكان يقال لشعيب ـ عليه السلام ـ: خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وكانوا أهل كفر، وبخس في المكيال، والميزان. انتهى خازن بتصرف. وقد صرح سبحانه هنا بتعيين المرسل إليهم... إلخ انظر الآية رقم [٦٥]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾. انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [٥٩]. ﴿جَاءَتْكُم﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿بَيِّنَةٌ﴾: معجزة واضحة ظاهرة الدلالة على نبوتي، وبرهان جلي على صدقي بأني رسول الله إليكم.

قال الخازن: لأنه لا بد لكل نبي من معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله؛ غير أن تلك المعجزة التي كانت لشعيب لم تذكر في القرآن، وليست كل معجزات الأنبياء مذكورة في القرآن. وقيل: أراد بالبينة: مجيء شعيب بالرسالة إليهم. وقيل: أراد بالبينة: الموعظة فيما يلي، وهي قوله: ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ﴾ انتهى. والمعنى: أتموا الكيل، والميزان، وأعطوا الناس حقوقهم، وكانوا يضيفون إلى كفرهم بخس المكيال، والميزان، فيطففون الكيل، ويرجحون الميزان إذا أخذوا، وينقصونهما إذا أعطوا، كما قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾. وانظر: ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ في الآية رقم [٨]. ﴿النَّاسَ﴾: انظر الآية رقم [٨١].

﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾: جمع: شيء، وهو في الأصل عبارة عن كل موجود، إما حسّاً، كالأجسام، وإما حكماً، كالأقوال، نحو: قلت شيئاً. وانظر الآية رقم [٦/١٩]. هذا؛ وجمع الشيء: أشياء غير منصرف، واختلف في علته اختلافاً كبيراً، والأقرب ما حكي عن الخليل ـ رحمه الله تعالى ـ وهو رأي سيبويه، والمازني، وجمهور البصريين: إن وزنه شيئاء وزان: حمراء، فاستثقل وجود همزتين في تقدير الاجتماع، فنقلت الأولى إلى أول الكلمة، فبقيت وزان: لفعاء، كما قلبوا: أدؤراً، فقالوا: آدر وشبهه، ويقال لهذا: قلب مكاني. وجمع الأشياء: أشايا.

هذا؛ وقال البيضاوي: إنما قال: ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾ للتعميم تنبيهاً على أنهم كانوا يبخسون الجليل، والحقير، والقليل، والكثير. وقيل: كانوا مكاسين، لا يدعون شيئاً إلا مكسوه. ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: بالكفر والظلم. ﴿بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾: بعد ما أصلح أمرها، وأهلها الأنبياء وأتباعهم بالشرائع، وأصلحوا فيها. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: الإشارة إلى ما أمرهم به ونهاهم عنه من الأعمال. ﴿خَيْرٌ﴾: انظر الآية رقم [١٢] ومعنى الخيرية: زيادة النعم من مال وولد. وما يتبع ذلك من حسن الذكر على مدى الدهر. ﴿كُنتُم﴾: انظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] فهو مثله. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: انظر (الإيمان) في الآية رقم [٢] والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾: جار ومجرور متعلقان بفعل محذوف معطوف على مثله في الآية رقم [٥٨] فهو عطف قصة على قصة. وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَخَاهُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿شُعَيْبًا﴾: بدل من: ﴿أَخَاهُمْ﴾، أو عطف بيان عليه. ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٥٩] وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٤] لتركه الفاء هنا. ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٧٣]. ﴿فَأَوْفُواْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (أوفوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. ﴿ٱلْكَيْلَ﴾: مفعول به. ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾: معطوف على ما قبله. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَبْخَسُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿ٱلنَّاسَ﴾: مفعول به أول. ﴿أَشْيَآءَهُمْ﴾: مفعول به ثان، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٥٦] وهي هنا معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل

رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والميم حرف دال على جماعة الذكور. ﴿خَيْرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿لَكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتُم﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿مُّؤْمِنِينَ﴾: خبره منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الشرطية، وما قبلها مجموع ذلك كله في محل نصب مقول القول.

﴿وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾: بكل طريق من طرق الدين. قال البيضاوي: وصراط الحق وإن كان واحداً؛ لكنه يتشعب إلى معارف، وحدود، وأحكام، وكان قوم شعيب إذا رأوا واحداً يسعى في شيء منها؛ منعوه، وتوعدوه، وهددوه إن هو آمن بشعيب. وقيل: كانوا يجلسون على المراصد، فيقولون لمن يريد شعيباً: إنه كذاب، فلا يفتننك عن دينك، ويوعدون من آمن به. وقيل: كانوا يقطعون الطرق. انتهى. بتصرف. هذا؛ وانظر الوعد، والوعيد في الآية رقم [٤٤]. ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ انظر الآية رقم [٤٥] ففيها الكفاية، والضمير في ﴿بِهِۦ﴾ يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾. وقيل: يعود إلى: ﴿بِكُلِّ صِرَٰطٍ﴾، والأول أولى.

﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾: قال الزجاج: يحتمل ذلك ثلاثة أوجه: كثر عددكم، وكثركم بالغنى بعد الفقر، وكثركم بالقوة بعد الضعف. ووجه ذلك: أنهم إذا كانوا فقراء ضعفاء؛ فهم بمنزلة القليل، والمعنى: أنه كثركم بعد القلة، وأعزكم بعد الذلة، فاشكروا نعمة الله عليكم، وآمنوا به. انتهى خازن. ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي: من الأمم قبلكم كقوم نوح وهود وصالح ولوط. وانظروا نظر اعتبار، وتبصر، وأقرب الأمم إليكم قوم لوط زماناً ومكاناً، فانظروا كيف أرسل الله عليهم حجارة من السماء لما عصوه وكذبوا رسله، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَقْعُدُوا۟﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، وعلامة جزمه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟...﴾ إلخ فهي مثلها في محل نصب مقول القول.

﴿بِكُلِّ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و (كل) مضاف، و ﴿صِرَٰطٍ﴾: مضاف إليه. ﴿تُوعِدُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، ومفعوله محذوف، والجملة الفعلية في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، وجملة: ﴿وَتَصُدُّونَ...﴾ إلخ معطوفة عليها، فهي في محل نصب حال مثلها. ﴿مَنْ﴾: اسم موصول أو نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿ءَامَنَ بِهِۦ﴾ صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط: رجوع الفاعل إليها، التقدير: تصدون عن سبيل الله الذي، أو شخصاً آمن به، وجملة: ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ معطوفة على ما قبلها فهي في محل نصب حال أيضاً، وتقدير الكلام: لا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله، وباغين عوجاً. وانظر الآية رقم [٤٥] لتتمة الإعراب. (اذكروا): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل قبله، وعليه فالمفعول محذوف، التقدير: اذكروا نعمة الله عليكم في ذلك الوقت. وقيل: إذ مفعول به غير ظرف، التقدير: واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلاً عددكم ﴿كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ كان واسمها وخبرها، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، وجملة ﴿وَٱذْكُرُوٓا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا...﴾ إلخ، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً، وجملة: ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿وَٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٨٤] وهي معطوفة على ما قبلها، فهي من جملة مقول شعيب على نبينا وعليه ألف صلاة وألف سلام.

﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَٱصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿طَآئِفَةٌ﴾: الطائفة: الجماعة من الناس، لا واحد لها من لفظها، مثل فريق، ورهط ومعشر، وجمعها: طوائف وانظر الآية رقم [٦٨] (التوبة). ومعنى الجملة الشرطية: وإن اختلفتم في رسالتي، فصرتم فرقتين: فرقة آمنت برسالتي، وفرقة كذبت بها، وجحدتها. ﴿فَٱصْبِرُوا﴾: فانتظروا، وتربصوا فيه وعيد، وتهديد. ﴿حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا﴾ أي: الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين، ويظهرهم عليهم. وهذا؛ وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم. أو هو حث للمؤمنين على الصبر، واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين إلى أن يحكم الله بينهم، وينتقم لهم منهم. أو خطاب للفريقين؛ ليصبر المؤمنون على أذى المشركين، والكافرون على ما يسوءهم من إيمان من آمن منهم؛ حتى يحكم الله بين الفريقين، فيميز الخبيث من الطيب. انتهى نسفي بتصرف.

﴿ٱللَّهُ﴾: علم على الذات الواجب الوجود، المستحق لجميع المحامد، وهو اسم الله الأعظم، الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، وإنما تخلفت الإجابة في بعض الأحيان عند الدعاء به لتخلف شروط الإجابة، التي أعظمها أكل الحلال. ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ أي: إنه حاكم عادل، منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه، وإنما قال: ﴿خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ لأنه قد يسمى بعض الأشخاص حاكماً على سبيل المجاز، والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة. هذا؛ وانظر شرح: ﴿خَيْرٌ﴾ في الآية رقم [١٢] وانظر شرح (بين) في الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: (إن): حرف شرط جازم. ﴿كَانَ﴾: ماض ناقص مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط. ﴿طَآئِفَةٌ﴾: اسمها، ولم يؤنث الفعل؛ لأن التأنيث مجازي. ﴿مِّنكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿طَآئِفَةٌ﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿ءَامَنُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٤]. ﴿بِٱلَّذِىٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أُرْسِلْتُ﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، والتاء نائب فاعله. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني، والأول هو نائب الفاعل، وجملة: ﴿أُرْسِلْتُ بِهِۦ﴾ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ...﴾ إلخ في محل نصب خبر: ﴿كَانَ﴾، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَطَآئِفَةٌ﴾: معطوف على سابقه، ومتعلقه محذوف لدلالة، ما قبله عليه. ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يُؤْمِنُواْ﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾ وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمتعلق محذوف لدلالة ما قبله عليه، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿طَآئِفَةٌ﴾. ﴿فَٱصْبِرُواْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (اصبروا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر. ﴿يَحْكُمَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله. ﴿بَيْنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، و«أن» المضمرة بعد ﴿حَتَّىٰ﴾ والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (اصبروا). ﴿وَهُوَ﴾: الواو: واو الحال. (هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبر المبتدأ، و ﴿خَيْرُ﴾: مضاف، و ﴿ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ خَيْرُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلْمَلَأُ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿قَوْمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿يَٰشُعَيْبُ﴾: انظر الآية رقم [٨٥]. ﴿قَرْيَتِنَآ﴾: المراد بها مدينة مدين، وبينها وبين مصر ثمانية مراحل، وسميت باسم الذي بناها، وهو مدين بن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام. هذا؛ والقرية في الأصل: اسم للمكان الذي يجتمع فيه القوم، وهو يطلق على الضيعة الصغيرة، وعلى المدينة الكبيرة، كيف لا؟ وقد جعل الله مكة المكرمة، كما رأيت في الآية رقم [٦/٩٢] أم القرى. هذا؛ وفي القاموس المحيط: القرية بكسر القاف وفتحها، والنسبة إليها: قروي وقريي. ﴿مِلَّتِنَا﴾: ديننا، وطريقتنا، وهي بكسر الميم، وهي بفتح الميم: الرماد الحار. ﴿أَوَلَوْ﴾: انظر الآية رقم [٦٥]. ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي: ألم نكن كارهين لملتكم وطريقتكم، فكيف نعود فيها مع كراهتنا وبغضنا لها؟! أو: كيف تعيدوننا إليها في حال كراهتنا لها؟!

المعنى للآية: قال الأشراف في الدنيا الذين تكبروا عن الإيمان لشعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ: أنت ومن معك من المؤمنين بك بين أمرين: إما الخروج من بلدتنا، والجلاء عنها، وإما الرجوع إلى طريقتنا وملتنا، فأجابهم بقوله: ألم نكن كارهين لملتكم... إلخ، وشعيب لم يكن في ملتهم قط؛ لأن الأنبياء لا يجوز عليهم الكفر في جميع أدوار حياتهم، لكن غلبوا الجماعة على الواحد، فخوطب هو وقومه بخطابهم، وعلى ذلك أجري الجواب قوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾. هذا؛ وبعضهم يقول: إن المعنى: لتصيرن في ملتنا. وعليه لا تغليب، ولا إشكال، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَحْسَنَّ مُدَّةً   إِلَيَّ فَقَدْ عَادَتْ لَهُنَّ ذُنُوبُ

أراد: فقد صارت لهن ذنوب، ولم يرد: أن ذنوباً كانت لهن قبل الإحسان.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾. ﴿ٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: فعل، وفاعل والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِن قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، و(مِنْ) بيان لما أبهم في ﴿ٱلَّذِينَ﴾ والهاء ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والكاف مفعول به، واللام واقعة في جواب قسم محذوف، التقدير: و(الله) ونحوه.

والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه في محل نصب مقول القول. ﴿يَٰشُعَيۡبُ﴾: منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بيا النداء، والجملة الندائية معترضة بين الفعل ومتعلقه، وهي من مقول الملأ. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب معطوف على الكاف الواقعة مفعولاً به، وجملة: ﴿ءَامَنُواْ﴾ صلته. ﴿مَعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بـ ﴿ءَامَنُواْ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِن قَرۡيَتِنَآ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿لَنُخۡرِجَنَّكَ﴾، و(نا) في محل جر بالإضافة. ﴿أَوۡ﴾: حرف عطف. ﴿لَتَعُودُنَّ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه النون المحذوفة لتوالي الأمثال، وواو الجماعة المحذوفة المدلول عليها بالضمة ضمير في محل رفع فاعل. وشرح هذا كما يلي: «أصل الفعل: تعودون، فلما اتصل به نون التوكيد الثقيلة صار: تعودُونَنَّ، فحذفت نون الرفع لتوالي ثلاث نونات، فصار تعودُوْنَّ، فحذفت واو الجماعة لالتقاء الساكنين، وبقيت الضمة على الدال لتدل على الواو المحذوفة، فصار: ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ واللام واقعة في جواب قسم محذوف، والقسم المحذوف وجوابه معطوف على ما قبله، فهو في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فِي مِلَّتِنَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهذا على اعتبار الفعل بمعنى: لترجعن، وأما على اعتباره بمعنى: لتصيرن؛ فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبره، و(نا): في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (شعيب). ﴿أَوَلَوۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري داخلة على فعل محذوف، التقدير: أنعود فيها؟ الواو: حرف عطف و(لو) حرف شرط بمعنى: «إنْ». ﴿كُنَّا﴾: فعل ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿كَٰرِهِينَ﴾: خبره منصوب. .إلخ، وجواب (لو) محذوف، دل عليه ما قدرته قبله، و(لو) وجوابها في محل نصب مقول القول.

هذا؛ ونقل الجمل عن أبي مسعود: أن الجملة في محل نصب حال من ضمير الفعل المقدر، والتقدير: أنعود إلى ملتكم في حال كراهتنا لها، وهذا يعني: أن (لو) وصلية شرطية، بمعنى «إنْ» أو غيرها، والجملة الفعلية: ﴿قَالَ أَوَلَوۡ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنۡ عُدۡنَا فِي مِلَّتِكُم بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩﴾

الشرح: ﴿قَدِ ٱفۡتَرَيۡنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾: قد اختلقنا، وابتدعنا باطلاً على الله. وانظر الآية رقم [٨٩]. ﴿عُدۡنَا﴾: رجعنا، أو صرنا. وانظر الآية السابقة، وما ذكرته فيها. ﴿مِلَّتِكُم﴾: انظر الآية السابقة. ﴿بَعۡدَ إِذۡ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنۡهَاۚ﴾: بعد أن أنقذنا، وخلصنا الله من طريقتكم المعوجة. وانظر

رفع الإشكال عن شعيب في الآية السابقة. ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾ أي: لا ينبغي، ولا يحق لنا أن نرجع في ملتكم، أو نصير فيها وهو كما في الآية السابقة. ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ أي: إلا بمشيئة الله وإرادته، ونرجو أن لا يعيدنا إلى ملتكم المعوجة.

هذا، وماضي: ﴿يَشَآءَ﴾: شاء، ولم يرد له، ولا لـ «أراد يريد» أمر فيما أعلم، فهما ناقصا التصرف، وأصل شاء: شيء على وزن فَعِل بكسر العين، بدليل قولك شئت شيئاً، وقد قلبت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقد كثر حذف مفعوله، ومفعول: «أراد» حتى لا يكاد ينطق به إلا في الشيء المستغرب، مثل قوله تعالى: ﴿لَّوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ﴾ وقال الشاعر الخريجي: [الطويل]

فَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَبكي دَماً لبكيْتُهُ عليهِ وَلَكِنْ ساحَةُ الصَّبْرِ أوسعُ

وقيد بعضهم حذف مفعول هذين الفعلين بعد «لو»، وليس كذلك. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿رَبُّنَا﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: إن الله بكل شيء عليم، فلا يصيب عبداً شيء من ضر، أو نفع إلا بعلمه، وتقديره، ومشيئته، وأحاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون إلى يوم القيامة. وانظر شرح: ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٨٥]. ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾: اعتمدنا في أن يثبتنا على الإيمان، ويبعدنا عن الفسوق، والعصيان، ويكفينا شر الأشرار. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾: ربنا احكم بيننا وبينهم، والفتاح: القاضي، والفتاحة: الحكومة.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ما كنت أدري ما معنى قوله: ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا...﴾ إلخ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك، يعني: أقاضيك. وهذا قول قتادة، والسدي، وابن جريج، وجمهور المفسرين: أن الفاتح هو القاضي، والحاكم، سمي بذلك؛ لأن يفتح إغلاق الإشكال بين الخصوم، ويفصلها.

وقال الزجاج: وجائز أن يكون معناه: ربنا أظهر أمرنا؛ حتى ينفتح بيننا وبين قومنا، وينكشف، والمراد منه: أن نزِّل عليهم عذاباً يدل على كونهم مبطلين، وعلى كون شعيب والمؤمنين معه محقين، وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف، والتميز. انتهى خازن.

وهذا الكلام إنما قاله شعيب ـ على نبينا وعليه أفضل صلاة، وأتم تسليم ـ حينما أيس من إيمان قومه. وما ذكره الله في هذه الآية من قول شعيب، إنما هو استسلام لمشيئة الله تعالى، ولم تزل الأنبياء والأكابر يخافون العاقبة، وانقلاب الأمر، ألا ترى إلى قول الخليل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ وكان سيد الرسل ﷺ كثيراً ما يقول: «**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**». بعد هذا انظر شرح: ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في الآية رقم [٣٣] وشرح: ﴿خَيْرُ﴾ في الآية رقم [١٢] وانظر: (بين) في الآية رقم [٩٤] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿قَدِ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿ٱفْتَرَيْنَا﴾: فعل فاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَذِبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي من مقول شعيب، وفيها معنى التعجب. قاله الزمخشري، كأنه قيل: ما أكذبنا على الله إن عدنا في الكفر. هذا؛ وجه، والوجه الثاني: أن الجملة جواب قسم محذوف، حذفت منه اللام، والتقدير: والله لقد افترينا. . .إلخ. ذكره الزمخشري أيضاً، وجعله ابن عطية احتمالاً. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿إِنْ﴾: حرف شرط جازم. ﴿عُدْنَا﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا): فاعله. ﴿فِي مِلَّتِكُم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما على تمامه، ومتعلقان بمحذوف خبره على نقصانه. ﴿بَعْدَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل: ﴿عُدْنَا﴾، و﴿بَعْدَ﴾: مضاف، و﴿إِذْ﴾ ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿نَجَّىٰنَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، و(نا): مفعول به. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذْ﴾ إليها، والجملة الفعلية: ﴿عُدْنَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، التقدير: ﴿إِنْ عُدْنَا...﴾ إلخ؛ فقد افترينا. .الخ، وهذا على اعتبار الجملة السابقة مستأنفة، وأما على اعتبارها جواباً لقسم محذوف؛ فيكون جواب الشرط قد حذف لدلالة جواب القسم عليه، على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما». ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿وَمَا﴾: الواو: واو الحال. (ما): نافية. ﴿يَكُونُ﴾: مضارع ناقص. ﴿لَنَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر مقدم، والمصدر المؤول من: ﴿أَن نَّعُودَ﴾ في محل رفع اسم ﴿يَكُونُ﴾ مؤخر. ﴿فِيهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على تمامه، وبمحذوف خبر على نقصانه، والجملة الفعلية: ﴿وَمَا يَكُونُ...﴾ إلخ في محل نصب حال من (نا) والرابط: الواو، والضمير. هذا؛ والاستئناف ممكن، وهو داخل في مقول شعيب. ﴿إِلَّآ﴾: أداة استثناء، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ في محل نصب على الاستثناء، وفيه وجهان: أحدهما: أنه متصل من الأوقات العامة، التقدير: وما يكون لنا أن نعود فيها في وقت من الأوقات إلا في وقت مشيئة الله ذلك، أو هو مستثنى من الأحوال العامة، والتقدير: ما يكون لنا أن نعود فيها في حال من الأحوال إلا في حال مشيئة الله تعالى. والوجه الثاني: أن الاستثناء منقطع. هذا؛ وبعضهم يعتبر المصدر منصوباً بنزع الخافض، والتقدير: إلا بمشيئة الله. ولا تنس أن مفعول ﴿يَشَآءَ﴾ محذوف، التقدير: إلا أن يشاء الله إهلاكنا. ونحوه. ﴿رَبُّنَا﴾: بدل من لفظ الجلالة بدل كل من كل، أو هو عطف بيان عليه. ﴿وَسِعَ﴾: ماض. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿عِلْمًا﴾: تمييز، وجوز اعتباره

مفعولاً مطلقاً، عامله: ﴿وَسِعَ﴾؛ لأن معناه: علم، وجملة: ﴿وَسِعَ...﴾ إلخ كالتعليل للاستثناء؛ إذ المعنى: فلا يبعد أن يكون في علمه أن يهلكنا بسبب الأسباب لأنه قد أحاط بكل شيء علماً.

﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل بعدهما، والتقديم يفيد الاختصاص. ﴿تَوَكَّلۡنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، وهي داخلة في المقول. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذف أداة النداء منه. وانظر الآية رقم [٢٣] تجد ما يسرك، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱفۡتَحۡ﴾: فعل دعاء وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بَيۡنَنَا﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله، و(نا): في محل جر بالإضافة. (بين): معطوف على ما قبله، و(بين) مضاف، و﴿قَوۡمِنَا﴾: مضاف إليه، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡحَقِّ﴾: متعلقان بالفعل: ﴿ٱفۡتَحۡ﴾. ﴿وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الآية في الآية رقم [٨٧] وهي في محل نصب حال من فاعل: ﴿ٱفۡتَحۡ﴾ المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والآية كلها في محل نصب مقول القول.

﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعۡتُمۡ شُعَيۡبًا إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ٩٠﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥] انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿كَفَرُواْ﴾: انظر الآية رقم [٦٦]. ﴿قَوۡمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿شُعَيۡبًا﴾: انظر الآية رقم [٨٥] والمعنى: إن الكفرة العظماء في الدنيا يحذرون الناس من اتباع شعيب، وإنهم إن اتبعوه، واستبدلوا الكفر بالإيمان خسروا، لاستبدال الضلالة بالهدى، أو لفوات ما يحصل لهم من فوائد مالية بالبخس، أو التطفيف. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ﴾: انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [٨٨] والجملة الفعلية: (قال...) إلخ مستأنفة، لا محل لها ﴿لَئِنِ﴾ اللام: موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله. (إن): حرف شرط جازم. ﴿ٱتَّبَعۡتُمۡ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿شُعَيۡبًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِنَّكُمۡ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. إذن حرف جواب، وجزاء. ﴿لَّخَٰسِرُونَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (خاسرون): خبر (إن) مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا...﴾ إلخ جواب القسم لا محل لها، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه على القاعدة: «إذا اجتمع شرط وقسم؛ فالجواب للسابق منهما». قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ في ألفيته: [الرجز]

واحـذِفْ لَـدَى اجْـتِـمـاعِ شَـرْطٍ وقَـسَـمْ   جَـوابَ مَـا أَخَّـرْتَ فَـهْـوَ مُـلْـتَـزَمْ

والقسم، وجوابه، والشرط، ومدخوله، كل أولئك في محل نصب مقول القول.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۝٩١﴾

الشرح: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾: الزلزلة الشديدة، وفي سورة (الحجر): ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ ولعلها كانت من مبادئها. ﴿فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٧٨].

قال ابن عباس، وغيره: فتح الله عليهم باباً من جهنم، فأرسل عليهم حرّاً شديداً من جهنم، فأخذ بأنفاسهم، فلم ينفعهم ظل، ولا ماء، فدخلوا في الأسراب؛ ليبردوا فيها، فوجدوها أشد حرّاً من الظاهر، فخرجوا هرباً إلى البرية، فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة، فأظلتهم، وهي الظلة المذكورة في سورة (الشعراء) فوجدوا لها برداً ونسيماً، فنادى بعضهم بعضاً، حتى إذا اجتمعوا تحت السحابة: رجالهم، ونساؤهم، وصبيانهم؛ ألهبها الله عليهم ناراً، ورجفت بهم الأرض من تحتهم، فاحترقوا كاحتراق الجراد المقلي، وصاروا رماداً. انتهى. خازن، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: انظر إعراب الآية بكاملها برقم [٧٨].

﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٩٢﴾

الشرح: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا﴾: أعرضوا عن الإيمان به، وجادلوه بالباطل. وانظر شرح (شعيب) في الآية رقم [٨٥]. ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾. كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم ينزلوها في يوم من الأيام، يقال: غنيت بالمكان. أي: أقمت به، والمغاني: المنازل التي بها أهلها، واحدها: مغنى، قال الشاعر: [الكامل]

وَلَقَدْ غَنَوْا فيها بأَنعَمِ عِيشَةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

وقال المتنبي في وصف شعب بوان: [الوافر]

مَغاني الشِّعْبِ طيباً في المغاني ... بِمَنزِلَةِ الربيعِ مِنَ الزمانِ

هذا؛ وانظر إعلال مثل: ﴿يَغْنَوْا۟﴾ في الآية رقم [٢٥]. ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: خسروا أنفسهم بهلاكهم دنيا، وأخرى، لا الذين صدقوا شعيباً، واتبعوه، كما زعموا، فإنهم هم الرابحون في الدارين. وللتنبيه على هذا؛ والمبالغة فيه كرر الموصول، واستأنف بالجملتين، وأتى بهما اسميتين. انتهى. بيضاوي.

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية صلة

الموصول لا محل لها. ﴿شُعَيْبًا﴾: مفعول به. ﴿كَأَن﴾: حرف مشبه بالفعل مخفف من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: «كأنهم». ﴿لَّمْ﴾: حرف نفي، وقلب، وجزم. ﴿يَغْنَوْا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿كَأَن﴾، والجملة الاسمية: ﴿كَأَن...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿الَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿كَذَّبُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿هُمُ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع توكيد لواو الجماعة، وحرك بالضم لالتقاء الساكنين، أو هو ضمير فصل لا محل له من الإعراب، ولو قرئ ما بعده بالرفع؛ لكان مبتدأ، وما بعده خبره؛ إذ يجوز في مثل ذلك ثلاثة أوجه، ولكني لم أعثر على قراءة بالرفع فيبقى الوجهان اللذان ذكرتهما. ﴿الْخَاسِرِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء إلى آخره، وجملة: ﴿كَانُوا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿الَّذِينَ...﴾ إلخ بدل مما قبلها، أو هي توكيد لها، والغرض من ذلك المبالغة كما ذكرته سابقاً. خذ هذا الإعراب، وتوكل على الوهاب.

هذا؛ وقال أبو البقاء ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾ لك فيه ثلاثة أوجه: أحدها: هو مبتدأ، وفي الخبر وجهان: أحدهما: ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ وما بعده جملة أخرى، أو بدل من الضمير في: ﴿يَغْنَوْا﴾، أو نصب بإضمار: «أعني». والثاني: أن الخبر: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا...﴾ إلخ و﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا﴾ على هذا حال من الضمير في: ﴿كَذَّبُوا﴾، والوجه الثاني: أن يكون صفة لقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ والثالث: أن يكون بدلاً منه، وعلى الوجهين يكون: ﴿كَأَن لَّمْ...﴾ إلخ حالاً، وهو تكلف، وتعسف، كما ترى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ...﴾ إلخ انظر شرح هذا الكلام في الآية رقم [٧٩] بلا فارق بينهما. ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ أي: فكيف أحزن... إلخ.

قال النسفي: اشتد حزنه على قومه، ثم أنكر على نفسه، فقال: كيف يشتد حزني على قوم، ليسوا بأهل للحزن عليهم، لكفرهم، واستحقاقهم ما نزل بهم؟! أو أراد: لقد أعذرت لكم في الإبلاغ، والتحذير مما نزل بكم، فلم تصدقوني، فكيف أحزن عليكم؟! انتهى. بتصرف. ﴿آسَىٰ﴾: أحزن، والماضي: أسي، والمصدر أساً من باب: تعب، فهو أسيّ مثل: حزين،

وآسى أصله مثل: آمنوا، وآدم، انظر الآية رقم [١١]. ﴿قَوْمٍ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿كَفِرِينَ﴾: انظر (الكفر) في الآية رقم [٦٥].

الإعراب: ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾: انظر إعراب هذا الكلام في الآية رقم [٧٩]. ﴿فَكَيْفَ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (كيف): اسم استفهام وتعجب مبني على الفتح في محل نصب حال، عامله ما بعده. ﴿ءَاسَى﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَى قَوْمٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿كَفِرِينَ﴾: صفة قوم مجرور... إلخ، وجملة: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَى...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. وانظر الآية رقم [٣٨].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَرْيَةٍ﴾: انظر الآية رقم [٨٨]. ﴿نَّبِيٍّ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿أَهْلَهَا﴾: انظر الآية رقم [٨٣]. ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾: انظر الآية رقم [٦/٤٢]. ﴿يَضَّرَّعُونَ﴾: يخضعون، ويتوبون؛ إذ التضرع: التخشع، والتذلل، والانقياد، وترك التمرد والعصيان.

قال الجمل: لم يدغم في «الأنعام»، أي في الآية رقم [٤٣] لمناسبة الماضي المذكور هناك بقوله: ﴿تَضَرَّعُوا﴾ في أن كلًّا منهما جاء على الفك، وهنا لم يذكر الماضي، بل أتى بالمضارع مدغماً على الأصل. وانظر الترجي في هذه الآية، وأمثالها في الآية رقم [٢٦].

قال الجمل: في الآية إشارة إجمالية إلى بيان أحوال سائر الأمم إثر بيان أحوال الأمم المذكورة تفصيلاً أي فيما تقدم من هذه السورة، والمقصود من ذلك: تحذير، وتخويف كفار قريش، وغيرهم من الكفار المعاندين لينزجروا عما عليه من الكفر، والتكذيب. انتهى. نقلاً من أبي السعود، والخازن.

الإعراب: ﴿وَمَآ﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿أَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿فِي قَرْيَةٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِّن﴾: حرف صلة. ﴿نَّبِيٍّ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد. ﴿إِلَّآ﴾: حرف حصر. ﴿أَخَذْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿أَهْلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلْبَأْسَآءِ﴾: متعلقان بالفعل: (أخذ). ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٢٦]. وجملة: ﴿أَخَذْنَآ...﴾ إلخ في محل نصب حال مستثنى من عموم الأحوال، وهي على تقدير «قد»

قبلها، وتقدير الكلام: وما أرسلنا في قرية من القرى المهلكة نبياً من الأنبياء في حال من الأحوال إلا حال كوننا قد أخذنا. . . إلخ، وجملة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾: البلاء، كقحط، ومرض وشدائد، وقال أهل اللغة: السيئة: كل ما يسوء الإنسان، وأصلها «سيوئة» قلبت الواو ياء، وأدغمت الياء في الياء. ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: الخير والنعمة كخصب وعافية، وراحة بال، وقال أهل اللغة: هي كل ما يستحسنه الطبع والعقل. هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟﴾: حتى كثروا عَدَداً، وعُدَداً، وهو يتعدى ولا يتعدى. ويقال: عفا النبات، وعفا الشحم، والوبر: إذا كثر. وقال الحطيئة: [الطويل]

بمُسْتأسِدِ الغربانِ عافٍ نباتُه ... بأسْؤُقِ عافياتِ الشَّحمِ كومِ

ومنه: إعفاء اللحية؛ أي: تركها حتى تطول، وتنمو. وعفا المنزل، يعفو عفاء: إذا انمحت آثاره، وذهبت معالمه، قال الشاعر: [البسيط]

وبالصَّريمةِ منهمْ منزِلٌ خلَقٌ ... عافٍ تغيَّرَ إلَّا النُّؤْيُ والوتِدُ

وعفو المال: ما يفضل عن الحاجة، قال تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ أي: الفاضل عن حاجتهم، وعفا، يعفو بمعنى: صفح، يصفح، وهو كثير في القرآن، والعافي: طالب المعروف والإحسان. قال عروة بن الورد: [الطويل]

وإنِّي امْرُؤٌ عَافي إنائِيَ شِرْكةٌ ... وأَنْتَ امْرُؤٌ عَافي إنائِكَ واحِدُ

وجمع العافي: عفاة. قال الأعشى: [المتقارب]

تطوفُ العُفاةُ بأبوابِهِ ... كطَوْفِ النَّصارى ببيتِ الوثَنْ

قالوا: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿مَسَّ﴾: أصاب، ونزل. ﴿ٱلضَّرَّآءُ﴾: انظر الآية رقم [٦/٤٢]. ﴿وَٱلسَّرَّآءُ﴾: كل ما يسر من نعمة، وصحة، وغير ذلك. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: الشعور: إدراك الشيء من وجه يدق، ويخفى، مشتق من الشعر لدقته، وسمي الشاعر شاعراً لفطنته، ودقة معرفته. والمعنى: وما يشعرون أن وبال كفرهم راجع على أنفسهم. وانظر شرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣] وانظر مثل إعلال: ﴿عَفَوا۟﴾ في الآية [٢٥].

ومعنى الآية: يقول الله تعالى: أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والشدة السلامة من الآفات، والعاهات، والسعة في الأرزاق، والأموال اختباراً، وامتحاناً بالأمرين؛ حتى كثروا

عدداً، وعدداً، ولكنهم كفروا النعمة، وقالوا: قد أصاب آباءنا ما أصابنا من الخير، والشر. وهذا كفران لنعمة الله، ونسيان لذكره، واعتقاد منهم بأن من عادة الدهر أن يعاقب في الناس بين السراء والضراء. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٦٨] الآتية.

الإعراب: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿بَدَّلْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿مَكَانَ﴾: مفعول به أول، وهو مضاف، و﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلْحَسَنَةَ﴾: مفعول به ثان. هذا؛ وجوز اعتبار ﴿مَكَانَ﴾ ظرفاً، والتقدير: في مكان السيئة. ﴿حَتَّىٰ﴾: حرف غاية وجر، بعدها «أن» مقدرة. ﴿عَفَوا۟﴾: فعل ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة بعد: ﴿حَتَّىٰ﴾، والفعل: ﴿عَفَوا۟﴾ في تأويل مصدر في محل جر بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿بَدَّلْنَا﴾، وجملة: ﴿بَدَّلْنَا...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿أَخَذْنَآ...﴾ إلخ داخلة في حكمها. (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. و﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿مَسَّ﴾: ماض. ﴿ءَابَآءَنَا﴾: مفعول به، و(نا): ضمير في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلضَّرَّآءُ﴾: فاعل. ﴿وَٱلسَّرَّآءُ﴾: معطوف عليه، وجملة: ﴿قَدْ مَسَّ...﴾ إلخ في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿وَقَالُوا۟...﴾ إلخ الفعل وحده معطوف على: ﴿عَفَوا۟﴾، فهو داخل في حكمه. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والفعل وحده معطوف على عفا، فهو داخل في حكمه. ﴿بَغْتَةً﴾: حال من نا، أو من الهاء بمعنى مباغِتين، وهو مفعول لفعل محذوف، التقدير: تبغتهم بغتة، فتكون هذه الجملة في محل نصب حال، وجوز اعتبار ﴿بَغْتَةً﴾ مصدراً لـ (أخذ) على غير لفظه، كقولهم: أتيته ركضاً. (هم): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَشْعُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، والواو فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾

الشرح: ﴿أَهْلَ﴾: انظر الآية رقم [٨٣]. ﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: جمع قرية، والمدلول عليها بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ﴾. وقيل: المراد: مكة وما حولها. وانظر الآية رقم [٨٨]. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: انظر «الإيمان» رقم [٢]. ﴿وَٱتَّقَوْا۟﴾ أي: الكفر والمعاصي ومن جملتها قولهم في الآية السابقة: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ وانظر «التقوى» في الآية رقم [٢٦]. ﴿لَفَتَحْنَا﴾: بالتخفيف، والتشديد قراءتان سبعيتان ﴿ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [٦/١]. هذا؛ والسماء

يذكر، ويؤنث. والسماء: كل ما علاك، فأظلك، ومنه قيل لسقف البيت: سماء، والسماء: المطر، يقال: مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم. قال معاوية بن مالك: [الوافر]

إِذَا نَــزَلَ الــسَّــمَــاءُ بِــأَرْضِ قَــوْمٍ رَعَــيْــنَــاهُ وإِنْ كَــانُــوا غِــضَــابَــا

أراد بالسماء المطر، ثم أعاد الضمير عليه في: «رعيناه» بمعنى النبات، وهذا يسمى في فن البديع بالاستخدام. وأصل سماء: سماو، فيقال في إعلاله: تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، ولم يعتد بالألف الزائدة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان: الألف الزائدة، والألف المنقلبة، فأبدلت الثانية همزة. ﴿كَذَّبُوا﴾ أي: الرسل. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: وهذا الأخذ عبارة عما في قوله: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ فهو الأخذ حال السعة، والرخاء، لا حال الشدة، والبلاء، وذلك أعظم حسرة، وأشد ندامة.

قال الخازن: بركات السماء المطر، وبركات الأرض النبات، والثمار، وجميع ما فيها من الخيرات، والأنعام، والأرزاق، والأمن، والسلامة من الآفات، وكل ذلك من فضل الله، وإحسانه على عباده. وأصل البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وسمي المطر بركة السماء؛ لثبوت البركة فيه، وكذا ثبوت البركة في نبات الأرض؛ لأنه نشأ عن بركات السماء، وهو المطر. انتهى.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿أَنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿أَهْلَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر، و﴿أَنَّ﴾ واسمها وخبرها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لفعل محذوف، وهو شرط لو عند المبرد، التقدير: ولو ثبت إيمانهم، وعند سيبويه في محل رفع بالابتداء، والخبر محذوف، التقدير: ولو إيمانهم ثابت أو حاصل، وقول المبرد هو المرجح؛ لأن (لو) لا يليها إلا فعل ظاهر أو مقدر، والفعل المقدر وفاعله جملة فعلية لا محل لها من الإعراب؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿ءَامَنُوا﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا﴾ في الآية رقم [٥]. والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿أَنَّ﴾. (اتقوا): إعرابه مثل إعراب: ﴿عَفَوا﴾ في الآية السابقة. ﴿لَفَتَحْنَا﴾: فعل، وفاعل، واللام واقعة في جواب لو. ﴿عَلَيْهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿بَرَكَٰتٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿بَرَكَٰتٍ﴾. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَفَتَحْنَا...﴾ إلخ جواب (لو) لا محل لها، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِن﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك مهمل لا عمل له. ﴿كَذَّبُوا﴾: مثل ﴿ءَامَنُوا﴾، والجملة الفعلية معطوفة على (لو) ومدخولها لا محل لها أيضاً. ﴿فَأَخَذْنَٰهُم﴾: انظر مثله في الآية السابقة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الآية رقم [٣٩] مع التقدير ففيه الكفاية، وجملة: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾﴾

الشرح: ﴿أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿يَأْتِيَهُم﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿بَأْسُنَا﴾: عذابنا وانظر الآية رقم [٦/٤٢]. ﴿بَيَٰتًا﴾: ليلاً، وهو في الأصل مصدر «بات»، وأما مصدر «بيَّتَ» فهو «تبييت»، فالأول مثل سلام، والثاني مثل: تسليم. ﴿نَآئِمُونَ﴾: النوم هو قسمان: نوم العين ونوم القلب، فنوم العين فترة طبيعية، تعتري الحيوان، وتتعطل حواسه بها، وأما نوم القلب فهو تعطيل القوى المدركة، الثاني لم يقع منه ﷺ؛ لأن قلبه لا ينام، كما في حديث الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «**إنَّ عينيَّ تنامانِ، ولا ينامُ قلبي**». ورحم الله البوصيري؛ إذ يقول: [البسيط]

لا تُنكرِ الْوَحْيَ مِنْ رؤياهُ، إنَّ لَهُ قلْباً إذا نامَتِ العينانِ لَمْ يَنَمِ

هذا؛ وما يتقدم النوم يقال: له «سنة» بكسر السين، وهو المسمى بالنعاس. هذا؛ والمنام مصدر بمعنى النوم، أو اسم مكان بمعنى موضعه، أو اسم زمان بمعنى زمانه؛ لأن «مفعلاً» يصلح لهذا كله.

الإعراب: ﴿أَفَأَمِنَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف. (أمِنَ أهلُ): فعل ماض، وفاعله، و﴿أَهْلُ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقُرَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والمصدر المؤول من «أن» المصدرية، والمضارع المنصوب بها في محل نصب مفعول به، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿بَأْسُنَا﴾: فاعله، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿بَيَٰتًا﴾: حال من: ﴿بَأْسُنَا﴾ بمعنى: مستخفياً باغتاً لهم ليلاً، وجوز اعتباره ظرفاً، ومفعولاً مطلقاً عامله محذوف. ﴿وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾: مبتدأ وخبر والجملة الاسمية في محل نصب حال من الضمير المنصوب، والرابط: الواو، والضمير، والجملة الفعلية: ﴿أَفَأَمِنَ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم...﴾ إلخ وما بينهما اعتراض، قال الزمخشري: المعنى: فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة، أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً، وأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهذا رجوع عن مذهبه الذي ذكرته في الآية رقم [٦٤] إلى مذهب الجماعة. انتهى جمل بتصرف كبير.

﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَأَمِنَ﴾: (أو) يقرأ بفتح الواو، وسكونها على أنها لأحد الشيئين. وانظر شرح باقي الكلام في الآية السابقة وانظر اللعب في الآية رقم [٦/٣٢]. هذا؛ و(الضحى): اشتداد الشمس، وامتداد النهار، يقال: ﴿ضُحًى﴾ وضحاء بالفتح والمد لقوة ارتفاعها. قبل الزوال. والضحى مؤنث. هذا؛ والإعراب مثل الآية السابقة بلا فارق، والآية المعطوفة على ما قبلها، والعاطف الواو، أو (أوْ).

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾؟

الشرح: ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: عقابه، وجزاءه، وقد استعير هنا لاستدراج العبد، وأخذه من حيث لا يحتسب. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلْقَوْمُ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: الذين خسروا أنفسهم بالكفر، وترك النظر والاعتبار. وانظر «الخسران» في الآية رقم [٥] من سورة (المائدة). فإنه جيد.

قال سليمان الجمل ـ رحمه الله تعالى ـ: تكرير النكير لزيادة التوبيخ، والمراد بـ ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾ إتيان بأسه في الوقتين المذكورين، ولذلك عطف الأول، والثالث بالفاء، فإن الإنكار فيهما متوجه إلى ترتب الأمن على الأخذ المذكور. وأما الثاني؛ فمن تتمة الأول، فلذلك عطف بالواو انتهى. نقلاً من أبي السعود. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٩٦].

الإعراب: ﴿أَفَأَمِنُواْ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. الفاء: حرف عطف. (أمنوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة معطوفة على ما قبلها. ﴿مَكْرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر الميمي لفاعله. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَأْمَنُ﴾: مضارع. ﴿مَكْرَ ٱللَّهِ﴾: مثل الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْقَوْمُ﴾: فاعل ﴿يَأْمَنُ﴾. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: صفة ﴿ٱلْقَوْمُ﴾ مرفوع مثله... إلخ، وجملة: ﴿فَلَا يَأْمَنُ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، بالفاء فأفادت: أن العذاب يعقب أمن مكر الله. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾: أو لم يتبين. ويقرأ بالياء، وهي قراءة الجمهور، وقرأه مجاهد بالنون. ﴿لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ﴾: المراد بهم: أهل مكة، وما حولها، الذين ورثوا الأرض من بعد موت أصحابها. وانظر (أهل) في الآية رقم [٨٣]. ﴿نَشَآءُ﴾: انظر (شاء) في الآية رقم [٨٩]. ﴿أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾: أهلكناهم بسبب ذنوبهم، كما أهلكنا من قبلهم من القرون الخالية. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾: نختم؛ إذ الطبع: الختم، وهو التأثير في الطين ونحوه، فاستعير هنا لعدم فهم القلوب ما يلقى إليها. والطبع أيضاً: السجية التي جبل عليها الإنسان. ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾: هذا الفعل من الأفعال الصوتية، إن تعلق بالأصوات؛ تعدى إلى مفعول واحد، وإن تعلق بالذوات؛ تعدى إلى اثنين، الثاني منهما جملة فعلية مصدرة بمضارع من الأفعال الصوتية، مثل قولك: سمعت فلاناً يقول كذا. وهذا اختيار

الفارسي. واختار ابن مالك ومن تبعه أن تكون الجملة الفعلية في محل نصب حال؛ إن كان المتقدم معرفة، وصفة؛ إن كان نكرة، مثل قولك: سمعت رجلاً يقول: كذا. والمعنى: فهم لا يسمعون سماع تدبر واعتبار، وانتفاع، وإن كان لهم آذان.

الإعراب: ﴿أَوَلَمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام. الواو: حرف استئناف. وانظر الآية رقم [٦٥] لإعراب (أفلا). (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَهۡدِ﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف حرف العلة، وهو الياء، وفي فاعله ثلاثة أوجه: أظهرها: أنه المصدر المؤول من ﴿أَن لَّوۡ...﴾ إلخ. الثاني: أن الفاعل هو ضمير (الله) تعالى، أي: أو لم يبين الله. ويؤيده قراءة من قرأ: (نهد) الثالث: أنه ضمير عائد على ما يفهم من سياق الكلام، أي: أو لم يهد ما جرى للأمم السابقة؟! وعلى هذين الوجهين ف ﴿أَن﴾ وما في حيزها في تأويل مصدر كما تقدم في محل المفعول، وهذا المصدر مفعول به أيضاً على قراءة النون. انتهى باختصار من الجمل نقلاً عن السمين. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والجملة الفعلية: ﴿يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ﴾ صلة الموصول. ﴿مِنۢ بَعۡدِ﴾: متعلقان بـ ﴿يَرِثُونَ﴾، و﴿بَعۡدِ﴾: مضاف، و﴿أَهۡلِهَآ﴾: مضاف إليه، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه. ﴿لَّوۡ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿نَشَآءُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والمفعول محذوف، دل عليه جواب: ﴿لَّوۡ﴾، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَصَبۡنَٰهُم﴾: فعل، وفاعل ومفعول به. ﴿بِذُنُوبِهِمۡۚ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَصَبۡنَٰهُم...﴾ إلخ جواب ﴿لَّوۡ﴾ لا محل لها، و﴿لَّوۡ﴾ ومدخولها في محل رفع خبر (أنْ)، و(أنْ) واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر. انظر الكلام فيه فيما تقدم. ﴿وَنَطۡبَعُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، والذين لا يجيزون عطف المضارع على الماضي يقدرون قبلها مبتدأ، التقدير: ونحن نطبع... إلخ، وهو على الاستئناف ويؤيده عطف الجملة الاسمية: ﴿فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴾ عليها. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٠١﴾

الشرح: ﴿تِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰ﴾ أي: التي مر ذكرها، وهي قرى قوم نوح، وصالح، وهود، ولوط، وشعيب. وانظر القرية في الآية رقم [٨٨]. ﴿نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾: نخبرك عنها، وعن أخبار أهلها، وما كان من أمرهم، وأمر رسلهم؛ الذين أرسلوا إليهم. ففيه تسلية للنبي ﷺ، وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم.

هذا؛ والنبأ: الخبر وزناً، ومعنىً، ويقال: النبأ أخص من الخبر؛ لأن النبأ لا يطلق إلا على كل ما له شأن، وخطر من الأنباء. وقال الراغب: النبأ: خبر ذو فائدة، يحصل به علم، أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل: نبأ، حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، وحقه أن يتعرى عن الكذب كالمتواتر، وخبر الله تعالى، وخبر الرسول ﷺ. هذا؛ والفعل منه من الأفعال التي تنصب ثلاثة مفاعيل، وقد يجيء الفعل منه غير مضمن معنى «أعلم»، فلذلك يتعدى لواحد بنفسه، وللآخر بحرف الجر، كما في هذه الآية. ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿رُسُلُهُم﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمعجزات الواضحات، والحجج الدامغات.

﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبۡلُۚ﴾ والمعنى: لم يؤمنوا، ولم يتركوا التكذيب من قبل مجيء المعجزات ومن بعد مجيئها أيضاً، فقد استمروا على كفرهم، إلى أن أهلكهم الله تعالى.

قال الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قول أبي بن كعب، والربيع بن أنس: إن من سبق في علم الله: أنه لا يؤمن به؛ فلا يؤمن أبداً، وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة: أنهم لا يؤمنون أبداً، فأخبر عنهم: أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم مكذبون به في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم. ﴿يَطۡبَعُ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾: انظر الآية رقم [٦٦]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿تِلۡكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾: فيه أوجه: الأول: كونه خبراً، والجملة بعده في محل نصب حال منه، والرابط الضمير المجرور محلّاً بالإضافة. الثاني: كونه بدلاً من اسم الإشارة، والجملة في محل رفع خبر المبتدأ. الثالث: كونه خبراً، والجملة الفعلية في محل رفع خبر ثان. والمعتمد الأول، ويؤيده مجيء الحال مفرداً منصوباً في قوله تعالى: ﴿فَتِلۡكَ بُيُوتُهُمۡ خَاوِيَةَۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ﴾ وغير ذلك. ﴿نَقُصُّ﴾: مضارع مرفوع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿عَلَيۡكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿مِنۡ أَنۢبَآئِهَاۚ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وقد رأيت ما قيل في محل الجملة. ﴿وَلَقَدۡ﴾ الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، التقدير: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. اللام: واقعة في جواب هذا القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جَآءَتۡهُمۡ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. ﴿رُسُلُهُم﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: متعلقان بالفعل: (جاء). وقيل: متعلقان بمحذوف حال من ﴿رُسُلُهُم﴾ بمعنى مبينين لهم، والجملة الفعلية: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿فَمَا﴾: الفاء: عاطفة. (ما): نافية. ﴿كَانُواْ﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿لِيُؤۡمِنُواْ﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام الجحود، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من

الأفعال الخمسة، والواو فاعله، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) والتقدير: وما كانوا مريدين للإيمان. ﴿بِمَا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء كذبوا به، والجملة الفعلية: ﴿فَمَا كَانُوا...﴾ إلخ معطوفة على جواب القسم، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الوجهين ﴿كَذَٰلِكَ﴾: الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: يطبع الله على قلوب الكافرين من أهل مكة طبعاً كائناً مثل طبعه على قلوب الأمم السابقة. وهذا الكلام كله مستأنف لا محل له. وأرجو أن يكون الإعراب مفهوماً؛ لأنه لا خفاء فيه.

﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾: وما وجدنا لأكثر الناس، أو لأكثر الأمم المتقدمة من وفاء بالعهد، فإنهم نقضوا ما عهد الله إليهم في الإيمان، والتقوى بإنزال الكتب، وإرسال الرسل، وبإجراء المعجزات، وإقامة الحجج الدامغات. أو نقضوا ما عهدوا إليه حين كانوا في ضر، ومخافة، مثل ما ذكر من قولهم: ﴿لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

هذا؛ وقد قيل: إن عهد الله إلى خلقه ثلاثة عهود: الأول: العهد الذي أخذه على جميع ذرية آدم عليه السلام بأن يقروا بربوبيته، وهو ما ذكره في الآية رقم [١٧٢] من هذه السورة. والعهد الثاني خص به النبيين أن يبلغوا الرسالة، ويقيموا الدين، وذلك في الآية رقم [٧] من سورة (الأحزاب) والعهد الثالث: خص به العلماء من كل أمة، وذلك في الآية رقم [١٨٧] من سورة (آل عمران). ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾: وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين خارجين عن طاعتنا، وأمرنا. وهذا تأويل كوفي كما ستقف عليه في الإعراب. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: الواو: حرف استئناف. (ما): نافية. ﴿وَجَدْنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿لِأَكْثَرِهِم﴾: فيه ثلاثة أوجه: الأول: تعليقهما بالفعل قبلهما، وهو الظاهر، كقولك: ما وجدت له مالاً، أي ما صادفت له مالاً، ولا لقيته. الثاني: تعليقهما بمحذوف حال من ﴿عَهْدٍ﴾؛ لأنه في الأصل صفة نكرة، فلما قدم عليها نصب على الحال. وعلى هذين الوجهين فـ (وجد) متعد لواحد، وهو ﴿عَهْدٍ﴾. الثالث: تعلقهما في محل نصب مفعولاً ثانياً لـ: (وجد) إذ هي بمعنى: علم، والمفعول الأول هو ﴿مِّنْ عَهْدٍ﴾ وقد يترجح هذا بأن (وجد) الثانية علمية، فينبغي أن تكون الأولى كذلك مطابقة للكلام، ومناسبة له. ومن

يرجح الأول يقول: إن الأولى لمعنى، والثانية لمعنى آخر. انتهى جمل نقلاً عن السمين بتصرف. ﴿عَهْدٍ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، وهو ﴿مِّنْ﴾. (إن): مخففة من الثقيلة مهملة. ﴿وَجَدْنَآ﴾: مثل سابقه. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: مفعول به أول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لَفَٰسِقِينَ﴾ اللام: هي الفارقة بين المخففة، والنافية. (فاسقين): مفعول به ثان منصوب، وهذا الإعراب إنما هو إعراب البصريين، وقد توافرت الشروط لإهمالها، وهو إيلاؤها فعلاً ناسخاً، ووجود اللام في خبرها. قال ابن مالك ـ رحمه الله تعالى ـ: [الرجز]

وَخُفِّفَتْ إنَّ فَقَلَّ العَمَلُ   وتلزمُ اللامُ إذا ما تُهْمَلُ

هذا؛ وأما الكوفيون؛ فيعتبرون: (إن) نافية بمعنى (ما) واللام بمعنى (إلا) والآية الكريمة مستأنفة معترضة بين المتعاطفين، وهو أولى من العطف على ما قبلها لاختلاف الفعلين بالماضي، والمضارع.

﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف يقتضي ثلاثة أمور: التشريك في الحكم، والترتيب، والمهلة، وفي كل منها خلاف مذكور في مغني اللبيب. وقد تلحقها تاء التأنيث الساكنة، كما تلحق «رُبَّ» و«لَا» العاملة عمل «ليس»، فيقال: ثُمَّتْ، ورُبَّتْ، وَلَاتَ، والأكثر تحريك التاء معهن بالفتح. هذا؛ وثم هذه غير (ثَمَّ) بفتح الثاء، فإنها اسم يشار به إلى المكان البعيد، نحو قوله تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ﴾. وهي ظرف لا يتصرف، ولا يتقدمه حرف التنبيه، ولا يتصل به كاف الخطاب، وقد تتصل به التاء المربوطة، فيقال: ثَمَّةَ.

﴿بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم﴾: من بعد الرسل الذين تقدم ذكرهم في هذه السورة، أو من بعد الأمم الذين أهلكهم الله بمخالفة تلك الرسل. ﴿مُّوسَىٰ﴾: هو في الأصل: موشى بالشين مركباً من اسمين: الماء، والشجر، فالماء يقال له في العبرانية: (مو) والشجر يقال له: (شا) فعربته العرب، وقالت: «موسى» بالسين، وسبب تسميته بذلك: أن امرأة فرعون التقطته من نهر النيل بين الماء والشجر لما ألقته أمه فيه، كما هو مذكور في سورة (طه)، و(القصص). ﴿فِرْعَوْنَ﴾: قال الجمل: قال المسعودي: ولا يعرف لفرعون تفسير في العربية، وظاهر كلام الجوهري: أنه مشتق من معنى العتو، فإنه قال: والفراعنة: العتاة، وقد تفرعن، وهو ذو فرعنة، أي: دهاء، ومكر. وفرعون لقب لمن ملك العمالقة في مصر كقيصر لمن ملك الروم، وكسرى لمن ملك الفرس، والنجاشي لمن ملك الحبشة، وكان فرعون موسى ـ عليه السلام ـ مصعب بن الريان،

ـ وقيل: ابنه الوليد ـ من بقايا «عاد». وانظر الآية التالية. وفرعون يوسف ـ عليه السلام ـ ريان بن الوليد، وبينهما أكثر من أربعمئة سنة. ﴿فَظَلَمُواْ بِهَآ﴾: كفروا بتلك الآيات بدل الإيمان، فوضع (ظلموا) زيادة في التشنيع عليهم؛ إذ من حق العاقل أن يؤمن، ويقبل الموعظة والنصيحة عندما يتبين له طريق الهدى. وانظر (الظلم) في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام). (الملأ): انظر الآية رقم [٦٠] وإنما خص الملأ بالذكر؛ لأنهم إذا آمنوا؛ آمن الأتباع. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾: انظر هذه الجملة في الآية رقم [٨٣] ففيها الكفاية لذوي الدراية. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿بَعَثْنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِنۢ بَعْدِهِم﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مُّوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿بِـَٔايَٰتِنَآ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿مُّوسَىٰ﴾، التقدير: مبعوثاً أو مرسلاً، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾: متعلقان بالفعل (بعثنا)، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿وَمَلَإِيْهِۦ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة. (ظلموا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿بِهَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها بالفاء العاطفة، و﴿ثُمَّ﴾ عطفت قصة موسى مع فرعون على ما قبلها من قصص في هذه السورة. ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [٨٤] تجده وافياً كافياً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأعز، وأكرم.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿يَٰفِرْعَوْنُ﴾: انظر الآية السابقة، وأضيف هنا ما ذكره الخازن، وغيره: كان ملك فرعون أربعمئة سنة، وعاش ستمئة وعشرين سنة، ولم ير مكروهاً قط، ولو حصل له في تلك المدة جوع يوم، أو حمى ليلة، أو وجع؛ لما ادعى الربوبية. ﴿رَسُولٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿رَّبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤].

الإعراب: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل، وفاعل. (يا): حرف نداء ينوب مناب: «أدعو». (فرعون): منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب بـ (يا). ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم في محل نصب اسمها. ﴿رَسُولٌ﴾: خبرها. ﴿مِّن رَّبِّ﴾: متعلقان بـ (رسول)، أو بمحذوف صفته، و﴿رَّبِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والكلام كله في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ...﴾ إلخ كلام مستأنف لتفصيل ما أجمل قبله من كيفية

إظهار الآيات، وكيفية عاقبة المفسدين، ولم يكن هذا القول، وما بعده من جواب فرعون إثر ما ذكر ما هاهنا، بل بعدما جرى بينهما من المحاورات المحكية بقوله تعالى ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الآيات، فطوى ذكره هنا للإيجاز. انتهى أبو السعود.

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿حَقِيقٌ﴾: واجب. وقيل: جدير. والمعنى لا يؤيده. ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾: قرأ الجمهور بتخفيف اللام، وقرأ نافع بتشديد الياء. ﴿أَقُولَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: انظر الآية رقم [٣٣]. ﴿جِئْتُكُم﴾: انظر رقم [٤]. ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾: معجزة. ﴿رَّبِّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: ﴿بَنِىٓ﴾: أصله: بنين، حذفت النون للإضافة، وهو جمع ابن مأخوذ من البناء؛ لأن الابن مبنى أبيه، ولذلك ينسب المصنوع إلى الصانع. ﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: هو نبي الله يعقوب، عليه الصلاة والسلام، ومعناه في اللغة العبرية: صفوة الله، أو عبد الله، فـ «إسرا» هو العبد، أو الصفوة، و«إيل» هو الله، وأولاد يعقوب كانوا اثني عشر رجلاً، فأولاد كل واحد منهم صاروا قبيلة، ويطلق على هذه القبائل: الأسباط، كما هو مذكور في غير ما آية وانظر الآية رقم [١٦٠]. ﴿فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: فاتركهم حتى يرجعوا معي إلى الأرض المقدسة؛ التي هي وطن آبائهم، وكان قد استعبدهم، واستخدمهم في الأعمال الشاقة، وسامهم سوء العذاب، وانتقالهم من بلاد الشام إلى أرض مصر كان في عهد يوسف، عليه السلام، كما هو معروف في سورة (يوسف).

الإعراب: ﴿حَقِيقٌ﴾: خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: أنا حقيق. ﴿عَلَىٰٓ أَن﴾: ﴿عَلَىٰٓ﴾: حرف جر. ﴿أَن﴾: حرف ناصب. ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَقُولَ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَن﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلْحَقَّ﴾: مفعول به؛ لأنه يتضمن معنى الجملة، وجوز أن يكون منصوباً على المصدر، أي: القول الحق. انتهى جمل. و﴿أَن﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بـ: ﴿عَلَىٰٓ﴾، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿حَقِيقٌ﴾. هذا؛ وجه من: الإعراب، والوجه الثاني: ﴿حَقِيقٌ﴾: مبتدأ، والجار والمجرور اللذان ذكرتهما في محل رفع خبره وعلى قراءة (عليَّ) بتشديد الياء فالجار والمجرور متعلقان بـ ﴿حَقِيقٌ﴾، والمصدر المؤول من: ﴿أَن لَّآ أَقُولَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والتقدير: واجب علي قول الحق. وقد أغرب أبو البقاء حيث اعتبر: ﴿حَقِيقٌ﴾ صفة لـ: ﴿رَسُولٌ﴾ أو خبراً بعد خبر. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿جِئْتُكُم﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول كالجملة الاسمية قبلهما. ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾: متعلقان

بالفعل قبلهما. ﴿مِّن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ: (بينة) أو محذوف صفة له، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فَأَرْسِلْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨] (أرسل): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿مَعِيَ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وياء المتكلم ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿بَنِيَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِيَ﴾: مضاف، و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، أو للتركيب الذي رأيته، وجملة: ﴿فَأَرْسِلْ...﴾ إلخ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. والكلام كله من مقول موسى عليه السلام.

﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿كُنتَ﴾: انظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿جِئْتَ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: معجزة تدل على صدقك. وانظر الآية رقم [٩]. ﴿فَأْتِ﴾: انظر الآية رقم [٣٥] والمعنى: إن فرعون قال لموسى بعد تبليغ الرسالة: إن كنت جئت من عند من أرسلك ببينة تدل على صدقك؛ فائتني بها، وأحضرها؛ لتصح دعواك، ويثبت صدقك فيما قلت. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى فرعون. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنتَ﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء اسمه. ﴿جِئْتَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان). ﴿بِـَٔايَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿كُنتَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَأْتِ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ائت): أمر بمني على حذف حرف العلة، وهو الياء، والكسرة قبلهما دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِهَآ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿فَأْتِ بِهَآ﴾ في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وإعراب: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ واضح إن شاء الله تعالى. وحذف جواب الشرط لدلالة جواب الأول عليه، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ﴾: فطرح موسى عصاه على الأرض. ﴿فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾: (الثعبان): ذكر الحيات العظيم الضخم. وفي آية أخرى: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ والجان: الحية الصغيرة.

ووجه الجمع: أنها كانت في العظم كالثعبان العظيم، وفي خفة الحركة، كالحية الصغيرة، وهي الجان. ﴿مُّبِينٌ﴾: ظاهر واضح لمن يراه. وانظر إعلاله في الآية رقم [٢٢].

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: لما ألقى موسى عصاه؛ صارت حية عظيمة، صفراء، شقراء، فاتحة فمها، بين لحييها ثمانون ذراعاً، وارتفعت من الأرض بقدر ميل، وقامت على ذنبها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، وتوجهت نحو فرعون لتأخذه، فوثب هارباً، وأحدث، أي: تغوط في ثيابه بحضرة قومه في ذلك اليوم مرات عديدة، واستمر معه هذا المرض، وهو الإسهال حتى غرق، وقد انهزم الناس خوفاً مزدحمين، وقتل بعضهم بعضاً، فمات منهم خمسة وعشرون ألفاً، ودخل فرعون قصره، وصاح: يا موسى! أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها، وأنا أؤمن بك، وأرسل معك بني إسرائيل! فأمسكها بيده، فعادت عصا كما كانت. انتهى. خازن، وغيره.

هذا؛ والعصا كانت من آس الجنة، طولها عشرة أذرع على طول موسى، ولها شعبتان تتقدان في الظلمة نوراً، حملها آدم معه من الجنة، فتوارثها الأنبياء؛ حتى وصلت إلى شعيب عليه السلام، فأعطاها لموسى حين لجأ إليه، وزوَّجه إحدى ابنتيه، وأسند إليه رعاية الغنم.

هذا؛ والعصا تطلق على أمور، يقال: ألقى عصاه، أي: أقام، وترك الأسفار، وهو مثل عربي. ويقال: انشقت العصا. أي: وقع الخلاف بين القوم، قال الشاعر: [الطويل]

إذا كانَتِ الْهَيْجَاءُ وانشَقَّتِ الْعَصَا فحَسْبُكَ والضَّحَّاكَ سيْفٌ مهنَّدُ

وهذا هو الشاهد [٩٦٧] من كتابنا: «فتح القريب المجيب»، انظر إعرابه هناك، فإنه جيد، ويقال في الخوارج: قد شقوا عصا المسلمين، أي: اجتماعهم، وائتلافهم، والعصيان: ضد الطاعة، وتجمع العصا على «عصي» بضم العين، وكسرها، وتشديد الياء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾. ومقتضى القياس أن يقال في جمعها: عصوٌّ؛ لأن ألفها منقلبة عن واو، ولذا يقال في تثنيتها: عصوان، فأبدل من الواو الثانية ياء؛ لأنها طرف، ليس بينها وبين الضمة إلا حرف ساكن، فصار (عصُوْيٌ) فاجتمعت الواو، والياء، والأول ساكن، فقلبت الواو الأولى ياء، ثم أدغمت الياء في الياء، ثم قلبت ضمة الصاد كسرة لتصح الياء، ثم تبعت حركة العين حركة الصاد. وانظر الآية رقم [١٨] من سورة (طه).

الإعراب: ﴿فَأَلْقَىٰ﴾: (ألقى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى موسى. ﴿عَصَاهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف دال على التعقيب، كما ترى. (إذا): للمفاجأة هنا، وهي تختص بالجمل الاسمية، ولا تحتاج لجواب، ولا تقع في الابتداء، ومعناها الحال

لا الاستقبال، نحو: خرجت فإذا الأسد بالباب. وهي حرف عند الأخفش، وابن مالك، يرجحه: خرجت فإذا إنَّ زيداً بالباب. لأن «إن» لا يعمل ما بعدها فيما قبلها. وظرف مكان عند المبرد، وابن عصفور. وظرف زمان عند الزجاج، والزمخشري. وزعم الأخير: أن عاملها مشتق من لفظ المفاجأة. ولا يعرف هذا لغير الزمخشري. وإنما ناصبها عندهم الخبر المذكور في نحو: «خرجتُ فإذا زيدٌ جالسٌ» أو المقدر في نحو: فإذا الأسد. أي: حاضر، وإذا قدرت: أنها الخبر، فعاملها: مستقر، أو استقر، ولم يقع الخبر معها في التنزيل إلا مصرحاً به. انتهى ملخصاً من مغني اللبيب. وعلى اعتبارها ظرف مكان، أو زمان لا أجد لها متعلقاً هنا إلا بالتقدير: فانقلبت في ذلك الوقت، أو في ذلك المكان. . .إلخ، وتعليقها بـ: ﴿مُّبِينٌ﴾، كما ذكرت في المثال المتقدم لا يعطي المعنى الذي أعطاه هذا التقدير، تأمل، وتدبر. ﴿هِىَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ثُعۡبَانٌ﴾: خبره. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفته، والجملة الاسمية في محل جر بإضافة إذا إليها على التقدير الذي قدرته، وعليه فالجملة الفعلية معطوفة على سابقتها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف والثانية بالإتباع، وعلى تعليقها بـ: ﴿مُّبِينٌ﴾ فتبقى الجملة اسمية معطوفة على الفعلية قبلها.

﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ١٠٨﴾

الشرح: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ﴾ أي: أخرجها من جيبه، أو من تحت إبطه. والمراد بها: اليمنى. هذا؛ واليد تستعمل في الأصل لليد الجارحة، وتطلق، ويراد بها القوة، والقدرة، كما في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ كما تطلق على النعمة، والمعروف، يقال: لفلان عندي يد، أي: نعمة ومعروف، وإحسان. وتطلق على الحيلة، والتدبير، فيقال: لا يد لي في هذا الأمر. أي: لا حيلة لي فيه، ولا تدبير. ﴿بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾: ولا تكون بيضاء للناظر إلا إذا كان بياضها عجيباً خارجاً عن العادة، يجتمع الناس للنظر إليه، كما تجتمع النظار للعجائب.

روي: أن موسى ـ عليه السلام ـ كان أسمر شديد السمرة، فأدخل يده في جيبه، أو تحت إبطه، ثم نزعها؛ فإذا هي بيضاء نورانية، غلب شعاعها شعاع الشمس. وقال سبحانه في سورة (طه): ﴿تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾ فهو احتراز عن أن يكون البياض عن مرض، كبرص، ونحوه. وبياضها طارئ، لا جِبِلِّي.

الإعراب: هو كما في الآية السابقة بلا فارق. ﴿لِلنَّٰظِرِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿بَيۡضَآءُ﴾ لأنه صفة مشبهة.

﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ١٠٩﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلۡمَلَأُ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿قَوۡمِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: هو الذي يستعمل السحر، وهو

كل ما لطف، ودق، يقال: سحره: إذا أبدى له أمراً يدق عليه، ويخفى. وقال الغزالي في الإحياء ما نصه: السحر نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر، وبأمور حسابية في مطالع النجوم، فيتخذ من تلك الحواس هيكل على صورة الشخص المسحور، ويترصد له في وقت مخصوص من المطالع، وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر، والفحش المخالف للشرع، ويتوصل بسببها إلى الاستغاثة بالشياطين، ويحصل من مجموع ذلك بحكم إجراء الله العادة أحوال غريبة في الشخص المسحور. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٠٢] (البقرة) عن نسبة السحر إلى سليمان، عليه السلام، والحكم في تعلمه، ومعنى (ساحر عليم) متفوق في علم السحر.

تنبيه: أسند القول هنا إلى ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، وفي سورة (الشعراء) إلى فرعون نفسه: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ﴾ وأجاب الزمخشري عن ذلك بثلاثة أوجه: أحدها أن يكون هذا الكلام صادراً منه، ومنهم، فحكي هنا عنهم، وفي الشعراء عنه. والثاني: أنه قاله ابتداء، وتلقنه عنه خاصته، فقالوه لأعقابهم. والثالث: أنهم قالوه عنه للناس. على طريق التبليغ، كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأي، فيبلغه للخاصة، ثم يبلغونه للعامة. وهذا الوجه قريب من الثاني في المعنى.

الإعراب: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَوْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَسَٰحِرٌ﴾: خبر ﴿إِنَّ﴾ واللام المزحلقة. ﴿عَلِيمٌ﴾: صفة ساحر، وجملة: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾﴾

الشرح: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: هذا من بقية الكلام الذي قبله، وفي (الشعراء) زيادة: ﴿بِسِحْرِهِۦ﴾ بيان لسبب الإخراج، وينبغي ملاحظته هنا. وهذه الجملة من كلام الملأ، وقد خاطبوا فرعون وحده بذلك تعظيماً له كما يخاطب الملوك بصفة الجمع، أو يكونون قالوه له، ولامرأته، أو يكون من كلام فرعون على إضمار قول؛ أي: فقال لهم فرعون. والأول أصح، وأقوى. ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾: بمعنى: ماذا تشيرون، من: المشاورة، والائتمار: التشاور في أمر من الأمور، وهو أولى من اعتباره من الأمر المعروف. هذا؛ ويقرأ الفعل بفتح النون، وكسرها. وانظر باقي الكلام في الإعراب؛ ففيه مزيد إيضاح.

الإعراب: ﴿يُرِيدُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (موسى)، والمصدر المؤول من الناصب، والمضارع في محل نصب مفعول به، التقدير: يريد إخراجكم. ﴿مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾: متعلقان بالفعل

قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، أما الأولى فهي في محل نصب مفعول به، والميم علامة جمع الذكور، والمتعلق محذوف، تقديره: بسحره، كما مرت الإشارة إليه، وجملة: ﴿يُرِيدُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾، فهي من جملة مقول الملأ. ﴿فَمَاذَا﴾: الفاء: هي الفصيحة (ماذا): (ما): اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. (ذا): موصول مبني على السكون في محل رفع خبر، والجملة الفعلية بعده صلته، والعائد محذوف. هذا؛ ويجوز اعتبار (ماذا) اسم استفهام مركباً، وفي محله وجهان: الأول اعتباره مفعولاً مقدماً للفعل بعده، والثاني اعتباره مبتدأ، والجملة الفعلية خبره. ﴿تَأْمُرُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والمفعول به والمتعلق محذوف؛ إذ التقدير: تأمروننا به، وأما على قراءة كسر النون، فهي نون الوقاية، وتكون قد حذفت نون الرفع، والمفعول به، والتقدير: تأمرونني به، والجملة الفعلية على الاعتبارين صلة (ذا) أو هي في محل رفع خبر، أو هي فعلية لا محل لها، وجملة: ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ سواء أكانت اسمية، أم فعلية لا محل لها؛ لأنها جواب لشرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر حاصلاً؛ فماذا تأمرون؟ وهذا الكلام من مقول الملأ. هذا؛ وقد قيل: إنه من مقول محذوف لفرعون، التقدير: قال فرعون للملأ: فماذا. . .إلخ، ويؤيده قراءة النون بالكسر، وعليه فالجملة الفعلية هذه مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر.

﴿قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أَرْجِهْ﴾: فيه ست قراءات، ثلاثة بإثبات الهمزة (أرجئه) بكسر الهاء من غير إشباع، وضمها كذلك، وبإشباع حتى يتولد منها واو. وثلاثة بحذف الهمزة: ﴿أَرْجِهْ﴾ بسكون الهاء، وكسرها من غير إشباع، وبه حتى يتولد منها ياء. ﴿وَأَرْسِلْ﴾: وفي (الشعراء): ﴿وَٱبْعَثْ﴾ ﴿ٱلْمَدَآئِنِ﴾ قيل: هي مدائن صعيد مصر، وكان رؤساء السحرة بأقصى مدائن الصعيد، ومدائن: جمع مدينة على وزن فعيلة، فالياء زائدة في المفرد، فلذلك تقلب همزة في الجمع مثل: صحيفة، وصحائف، وغير ذلك، والمدينة من: مدن يمدن بالمكان: إذا أقام به، فالفعل من باب: نصر. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: جامعين.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿أَرْجِهْ﴾: فعل أمر مبني على السكون على الهمزة المحذوفة كما رأيت؛ والهاء مفعول به، وتسكينها قراءة، كما رأيت، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. أخاه: معطوف على الضمير المنصوب، وعلامة نصبه الألف نيابة عن الفتحة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَرْسِلْ﴾: أمر، وفاعله أنت، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب

مقول القول مثلها. ﴿فِى ٱلْمَدَآئِنِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿حَٰشِرِينَ﴾: مفعول به، وهو في الأصل صفة لموصوف محذوف؛ إذ الأصل: رجالاً حاشرين، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾﴾

الشرح: ﴿يَأْتُوكَ﴾ أي: الرجال المرسلون إلى المدائن. ﴿سَٰحِرٍ﴾: وفي قراءة: (سحَّار)، وهو في (الشعراء) متفق على قراءته، وهو صيغة مبالغة اسم الفاعل. ﴿عَلِيمٍ﴾: متفوق في علم السحر. وانظر (أتى) في الآية رقم [٣٥].

الإعراب: ﴿يَأْتُوكَ﴾: مضارع مجزوم بجواب الأمر: (أرسل) وجزمه عند الجمهور بشرط محذوف، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والكاف مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب. ﴿بِكُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(كل) مضاف، و﴿سَٰحِرٍ﴾: مضاف إليه، وهو صفة لموصوف محذوف. ﴿عَلِيمٍ﴾: صفة ثانية للموصوف المحذوف، والذي في الآية رقم [١٠٩] مثله.

﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: فأرسل في طلبهم الشرطة، والجنود، كما قال تعالى في سورة (الشعراء) ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وكانوا اثنين وسبعين. وقيل: كانوا آلافاً. وانظر: ﴿وَجَآءَ﴾ في الآية رقم [٤] والسحرة في الآية رقم [١٠٩] و﴿فِرْعَوْنَ﴾في الآية رقم [١٠٣]. ﴿قَالُوٓا۟﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿إِنَّ لَنَا﴾... فيقرأ: (أئن) بهمزتين، بمد الهمزة الأولى، وقصرها، قراءات كثيرة فيها، ونكر (أجراً) للتعظيم، قال الزمخشري كقوله: «إن له لإبلاً، وإن له لغنماً». ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ أي: لموسى ولسحره.

الإعراب: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ﴾: ماض، وفاعله، ومفعوله، والجملة معطوفة على مقدر رأيته في الشرح. ﴿قَالُوٓا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب مثله في الآية رقم [٤]. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل، وهمزة الاستفهام قبلها في قراءة من قرأ بها. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ﴿إِنَّ﴾ مقدم. ﴿لَأَجْرًا﴾: اسمها مؤخر، واللام لام الابتداء، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. قال الإمام فخر الدين الرازي ـ رحمه الله تعالى ـ: ولقائل أن يقول: كان حق الكلام: (فقالوا) بالفاء. وجوابه: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاؤوا، فأجيب بقوله:

﴿قَالُوٓا۟...﴾ إلخ. انتهى خازن. ﴿إِن﴾: حرف شرط جازم. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، و(نا) اسمها. ﴿نَحْنُ﴾: تأكيد لـ (نا)، أو هو ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْغَٰلِبِينَ﴾: خبر (كان) منصوب... إلخ، وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، والشرط، ومدخوله في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾ أي: فرعون. ﴿نَعَمْ﴾ أي: إن لكم أجراً. فـ (نعم) حرف جواب سد مسد هذه الجملة. وانظر الآية رقم [٤٤]. ﴿وَإِنَّكُمْ لَمِنَ...﴾ إلخ: أي: ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، فتكونون أول من يدخل، وآخر من يخرج من عندي.

قال الكلبي: والآية تدل على أن كل الخلق كانوا عالمين بأن فرعون كان عبداً ذليلاً مهيناً عاجزاً، وإلا؛ لما احتاج إلى الاستعانة بالسحرة. وتدل أيضاً على أن السحرة ما كانوا قادرين على قلب الأعيان، وإلا؛ لما احتاجوا إلى طلب الأجر، والمال من فرعون؛ لأنهم لو قدروا على قلب الأعيان؛ لقلبوا التراب ذهباً، ولنقلوا ملك فرعون لأنفسهم، ولجعلوا أنفسهم ملوك العالم، ورؤساءهم، والمقصود من هذه الآيات تنبيه الإنسان لهذه الدقائق، وأن لا يغتر بكلمات أهل الأباطيل، والأكاذيب. انتهى جمل.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفعل يعود إلى ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿نَعَمْ﴾: هذا الحرف يقوم مقام جملة، كما رأيت مبني على السكون في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنَّكُمْ﴾: الواو: حرف عطف. (إنكم): حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمه. ﴿لَمِنَ﴾: اللام: هي المزحلقة. (من المقربين): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية معطوفة على ﴿نَعَمْ﴾ السادة مسد الجملة، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوا۟﴾ أي: السحرة. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِىَ﴾ أي: حبالك، وعصاك، ومثله: ﴿نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾ أي: حبالنا، وعصينا، وفي قولهم لموسى ـ عليه السلام ـ هذا القول مراعاة لحسن الأدب، ولذلك منَّ الله عليهم بالإيمان. وانظر: ﴿وَإِمَّآ﴾ في الآية رقم [١٠٦] من سورة (التوبة).

قال البيضاوي: خيروا موسى مراعاة للأدب، وإظهاراً للجلادة، ولكن كانت رغبتهم في أن يلقوا قبله، فنبهوا عليها بتغيير النظم إلى ما هو أبلغ، وتعريف الخبر، وتوسيط الفصل، وتأكيد

ضميرهم المتصل بالمنفصل، فلذلك قال: ﴿أَلْقُواْ﴾ إكراماً، وتسامحاً، أو ازدراءً بهم، ووثوقاً بعلو شأنه. انتهى.

الإعراب: ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿يَـٰمُوسَىٰٓ﴾: منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بأداة النداء، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿إِمَّآ﴾: أداة شرط، وتفصيل، وهي هنا مفيدة للتخيير، والمصدر المؤول من ﴿أَن تُلْقِيَ﴾ قال الجمل: فيه ثلاثة أوجه: أحدها النصب بفعل مقدر، أي: افعل إما إلقاءك، وإما إلقاءنا. كذا قدره الشيخ، وفيه نظر؛ لأنه لا يفعل إلقاءهم، فينبغي أن يقدر فعل لائق بذلك، وهو: «اختر». الثاني الرفع على أنه خبر ابتداء مضمر، تقديره: أمرك إما القاؤك، وإما إلقاؤنا. الثالث أن يكون مبتدأ خبره محذوف، تقديره: إما لقاؤك مبدوء به، وإما إلقاؤنا مبدوء به. انتهى. أقول: والمعتمد القول الأخير. ﴿أَن﴾: حرف ناصب مصدري. و﴿نَّكُونَ﴾: مضارع ناقص منصوب بـ ﴿أَن﴾ واسمه مستتر تقدير: «نحن»: ﴿نَحْنُ﴾: انظر مثله في الآية رقم [١١٢]. ﴿ٱلْمُلْقِينَ﴾: خبر ﴿نَّكُونَ﴾ منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وقد حذف مفعوله كما رأيت في الشرح، والكلام كله في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾: انظر الآية السابقة. ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾: صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقة ما فعلوه من التمويه، والتخييل. وهذا هو السحر، وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر، وبين معجزة الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ التي هي فعل الله، وذلك لأن السحر قلب الأعين، وصرفها عن إدراك ذلك الشيء، والمعجزة: قلب نفس الشيء عن حقيقته، كقلب عصا موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ حية تسعى. ﴿وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾: خوفوا الناس، وأفزعوهم بما فعلوا من السحر. ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾: وذلك: أنهم ألقوا حبالاً غلاظاً، وخشباً طوالاً، فإذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي، يركب بعضها بعضاً، وأوجس في نفسه خيفة موسى، وهذه الخيفة لم تحصل له لأجل السحر؛ لأنه كان على ثقة، ويقين: أنهم لن يغلبوه، وإنما كان خوفه أن يتفرق الناس خوفاً مما رأوا قبل ظهور معجزته، وحجته. انتهى خازن بتصرف كبير. ﴿ٱلنَّاسِ﴾: انظر الآية رقم [٨٢]. ﴿وَجَآءُو﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿أَعْيُنَ﴾: جميع: عين، وتجمع على: عيون، وأعيان أيضاً، وأعيان غير مشهور، وقليل الاستعمال. هذا؛ و﴿أَعْيُنَ﴾ جمع قلة، وغيره جمع كثرة، والمراد بها هنا: العين الباصرة. هذا؛ وتطلق على الجاسوس، كما في قولهم: بث الأمير

عيونه في المدينة، أي: جواسيسه، كما تطلق على ذات الشخص، كما في قولك: جاء محمود عينه، وعين الشيء: خياره، وتطلق على النقد من ذهب، وغيره، وإليك قول الشاعر: [البسيط]

واسْتَخْدَمُوا الْعَيْنَ مِنّي وهْيَ جارِيةٌ وقدْ سَمْحتُ بها أيَّامَ وصْلِهِمُو

فالمراد بالعين ذاته، والمراد بجارية عينه التي تجري بالدمع، والمراد بقوله: «بها» نقد الذهب وهذا يسمى استخداماً في فن البديع. كما تطلق على الماء الجاري النابع من الأرض، وتطلق على المطر الهاطل من السحاب، قال عنترة: [الكامل]

جادَتْ عليْهِ كُلُّ عيْنٍ ثَرَّةٍ فَتَرَكْنَ كلَّ حَديقةٍ كالدِّرْهَمِ

هذا؛ وأعيان القوم: أشرافهم، وبنو الأعيان: الإخوة من الأبوين.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿أَلْقُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿اسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] والمفعول محذوف يدل عليه المقام، والجملة الفعلية، في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف تفريع، وعطف. (لمَّا): حرف وجود لوجود. وانظر الآية رقم [٢١]. ﴿أَلْقَوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف يدل عليه المقام، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وجملة: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ جواب (لمَّا) لا محل لها، و﴿فَلَمَّآ﴾ ومدخولها كلام معطوف على جملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ لا محل له مثلها. (استرهبوهم): فعل، وفاعل ومفعول به والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله، وجملة: ﴿وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ معطوفة أيضاً على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ أي: قلنا له على لسان جبريل، عليه السلام. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. هذا؛ والوحي الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك، والوحي: الكتاب المنزل على الرسول المرسل إلى قومه. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿أَلْقِ عَصَاكَۖ﴾: اطرح عصاك على الأرض. وانظر الآية رقم [١٠٧]. ﴿تَلْقَفُ﴾: تأخذ وتبتلع بسرعة بعد قلبها حية عظيمة. هذا؛ وقرئ (تلَّقف) بتشديد القاف، والأصل تتلقف بتاءين، فحذفت إحداهما، وقرئ: (اتَّلَقَّف) بتشديد التاء أيضاً، وقراءة حفص بتخفيف القاف كما رأيت أولاً من: لقف، كعلم يعلم، وركب، يركب، يقال: لقفت الشيء، أَلْقَفُه لَقْفاً، وتلقَّفْتُه أتلقَّفُه تَلَقُّفاً إذا أخذته بسرعة فأكلته، أو ابتلعته. ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾: ما يقلبون بتمويههم.

هذا؛ وأصل الإفك: قلب الشيء عن وجهه، ومنه قيل للكذاب: أفاك لأنه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح إلى الباطل. وانظر الآية رقم [٩٥] من سورة (الأنعام).

تنبيه: قال ابن زيد: كان اجتماعهم بالإسكندرية، فيقال: بلغ ذنب الحية من وراء البحر، ثم فتحت فاها ثمانين ذراعاً، فإذا هي تبتلع كل شيء أتوا به من السحر، فكانت تبتلع حبالهم، وعصيهم واحداً واحداً حتى ابتلعت الكل، وقصدت القوم الذين حضروا ذلك المجمع، ففزعوا، ووقع الزحام بينهم، فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفاً، ثم أخذها موسى، فعادت في يده عصا، كما كانت أول مرة، فلما رأى السحرة ذلك؛ عرفوا: أنه من أمر السماء، وليس بسحر، وعرفوا: أن ذلك ليس من قدرة البشر، فعند ذلك خروا سجداً، وقالوا: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. انتهى خازن.

تنبيه: إلقاء العصا، وانقلابها حية وقع مرتين بحضرة فرعون، الأولى كانت سبباً في جمع السحرة، والثانية بحضرتهم، فالأولى ذكرت في الآية رقم [١٠٦] والثانية هي المذكورة هنا، ووقع انقلابها مرة ثالثة، ولم يكن هناك أحد غير موسى، وقد ذكرت في سورة (طه)، وكانت في طريق عودته من مدين إلى مصر. تأمل.

تنبيه: لقد جرت سنة الله أن يؤيد الرسول بمعجزة من جنس ما برع به قومه، فقوم موسى برعوا بالسحر، فأيده بانقلاب العصا حية، وقوم عيسى برعوا بالطب، فأيده الله بإحياء الموتى، وإبراء الأكمه، والأبرص، وقوم محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين بالفصاحة والبلاغة، فأيده الله بالقرآن الكريم.

الإعراب: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾: (أوحينا): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَنْ﴾: حرف تفسير. وقيل: مصدرية. ﴿أَلْقِ﴾: أمر مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت». ﴿عَصَاكَ﴾: مفعول به منصوب. . .إلخ، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾ مفسرة لا محل لها، وعلى اعتبار ﴿أَنْ﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به. وأراه ضعيفاً. وجملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ...﴾ إلخ معطوفة على جواب لما لا محل لها ﴿فَإِذَا﴾: الفاء: حرف عطف، ولا بد من تقدير جملة قبلها؛ ليترتب ما بعد الفاء عليها، كما رأيت في الآيتين رقم [١٠٧ و١٠٨] التقدير: فألقاها، فإذا هي، ومن جوز أن تكون الفاء زائدة في نحو: «خرجت؛ فإذا الأسد حاضر» جوز زيادتها هنا، وعلى هذا تكون هذه الجملة قد أوحيت إلى موسى، كالتي قبلها، وأما على اعتبار الفاء عاطفة فالجملة غير موحى بها إليه. انتهى جمل نقلاً عن السمين. ﴿فَإِذَا هِىَ﴾ انظر الآية رقم [١٠٧]. ﴿تَلْقَفُ﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (حية). ﴿مَا﴾: تحتمل الموصوفة والموصولة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صفتها، أو صلتها والرابط أو العائد محذوف، التقدير: تلقف شيئاً، أو

الذي كانوا يأفكونه. واعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع الفعل بمصدر في محل نصب مفعول به، التقدير: تلقف إفكهم، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿هِيَ﴾.

﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾﴾

الشرح: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: ظهر، وثبت الحق؛ الذي جاء به موسى. وانظر الآية رقم [٣٣]. ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾: من السحر، وذلك: أن السحرة قالوا: لو كان ما صنع موسى سحراً؛ لبقيت حبالنا، وعصينا! وانظر ما ذكرته في الآية السابقة.

الإعراب: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها بالفاء العاطفة لا محل لها أيضاً. ﴿وَبَطَلَ﴾: ماض. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين فاعل، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بطل الذي أو شيء كانوا يعملونه، وعلى اعتبارها مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، التقدير: بطل عملهم. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿وَبَطَلَ مَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَغُلِبُوا۟﴾ أي: فرعون، وجنوده، والسحرة. ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾: رجعوا ذليلين، مقهورين، مبهوتين بما وقع لهم، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿فَغُلِبُوا۟﴾: ماض مبني للمجهول، الواو نائب فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿هُنَالِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب على الظرفية المكانية متعلق بالفعل قبله، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿وَٱنقَلَبُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿صَٰغِرِينَ﴾: حال من واو الجماعة منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾﴾

الشرح: إن السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله تعالى ما ليس في قدرتهم مقابلته، وعلموا: أنه ليس بسحر خروا لله ساجدين، وذلك: أن الله عز وجل ألهمهم معرفته والإيمان به.

الإعراب: ﴿وَأُلْقِيَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿السَّحَرَةُ﴾: نائب فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها. ﴿سَاجِدِينَ﴾: حال منصوب... إلخ.

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾: قال السحرة: صدقنا، واعترفنا بوجود رب العالمين. قال فرعون: إياي تعنون؟! فقالوا: بل رب موسى، وهارون، ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿ءَامَنَّا﴾: انظر (الإيمان) في الآية رقم [٢]. ﴿بِرَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿وَهَٰرُونَ﴾: هو أخو موسى لأمه وأبيه، وهو أسن من موسى، وقدموه في الذكر لكبره في الرتبة، أو لأنه وقع في آخر الآية مراعاة للفاصلة، ولذلك قال في سورة (طه): ﴿بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر الآية رقم [٥]. ﴿ءَامَنَّا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿بِرَبِّ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿رَبِّ﴾: مضاف، و﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿رَبِّ﴾: بدل من سابقه، أو عطف بيان عليه، أو صفة له، و﴿رَبِّ﴾: مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. (هارون): معطوف على: ﴿مُوسَىٰ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: ﴿ءَامَنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال، أي قائلين: ﴿ءَامَنَّا...﴾ إلخ، وهي على تقدير: «قد» قبلها.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾﴾

الشرح: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾: بموسى، أو بالله، ويؤيد الأول قوله في سورة (طه): ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ﴾ وانظر شرح همزة آدم في الآية رقم [١١] فما هنا مثلها. هذا؛ وقرأ غير حفص (أآمنتم) بهمزة الاستفهام الإنكاري. ﴿قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ أن أسمح لكم بذلك، والهمزة مثل همزة (آدم). ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ...﴾ إلخ: إن صنيعكم هذا لحيلة احتلتموها أنتم وموسى في مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض في نفوسكم، وهو أن تخرجوا القبط من مصر ، وتسكنوا بني إسرائيل، وذلك: أن فرعون رأى موسى يحدِّث كبير السحرة، فقال له: تؤمن بي إن غلبتك؟! فقال: لآتين بسحر لا يغلبه سحر، ولئن غلبتني؛ لأؤمنن بك! فظن فرعون: أنهما قد تواطآ

عليه، وعلى القبط. وانظر شرح المدينة في الآية رقم [١١١] وانظر شرح: ﴿أَهْلَهَا﴾ في الآية رقم [٨٢]. ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: فيه تهديد ووعيد، فسره بما يلي.

الإعراب: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَامَنتُم﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿قَبْلَ﴾: ظرف زمان متعلق بالفعل قبله. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿ءَاذَنَ﴾: مضارع منصوب بـ ﴿أَنْ﴾، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لَكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿أَنْ﴾ والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿قَبْلَ﴾ إليه، التقدير: قبل إذني لكم. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰذَا﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل نصب اسم ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿لَمَكْرٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾: فعل، وفاعل، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة مكر. ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿لِتُخْرِجُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، و«أن» المضمرة والفعل المضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿مَكَرْتُمُوهُ﴾. ﴿مِنْهَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿أَهْلَهَا﴾: مفعول به، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰذَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: حرف استئناف. (سوف): حرف استقبال، ﴿تَعْلَمُونَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف للتعميم، التقدير: فسوف تعلمون ما أفعل بكم! والجملة الفعلية هذه مستأنفة، وهي من مقول فرعون كما ترى، تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾

الشرح: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: قرأ حفص بضم وتشديد الطاء من الرباعي. وقرأ غيره بفتح الهمزة وتخفيف الطاء من الثلاثي وكذا: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾ ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: يريد: أنه يقطع من كل شق طرفاً، فيقطع اليد اليمنى، والرجل اليسرى، أو بالعكس. قيل: إن فرعون أول من سن هذا القطع، وهذا الصلب للمؤمنين، وذلك لشدة كفره، وعناده، ثم شرعه الله لقطاع الطريق، وللباغين تعظيماً لجرمهم، وتنكيلاً بهم، ولذلك سماه الله محاربة الله، ورسوله، ولكن على التعاقب لفرط رحمته، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٦] من سورة (المائدة)، وجيء هنا بـ ﴿ثُمَّ﴾، وفي سورة (طه) و(الشعراء) بالواو؛ لأن الواو صالحة للمهلة، فلا تنافي بين الآيات. انتهى. جمل نقلاً عن السمين. بعد هذا انظر شرح (اليد) في الآية رقم [١٠٨] وشرح: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣].

الإعراب: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، واللام واقعة في جواب قسم محذوف، والنون حرف لا محل له، والفاعل ضمير مستتر تقديره: «أنا» والجملة الفعلية جواب القسم المحذوف، وكأنه قال: بعزتي وعظمتي؛ لأقطعن، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول. ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَرْجُلَكُم﴾: معطوف على ما قبله. ﴿مِّنْ خِلَٰفٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من (الأيدي والأرجل) التقدير: مختلفة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾: إعرابه مثل إعراب: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ﴾ والجملة معطوفة عليها، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿أَجْمَعِينَ﴾: تأكيد لمدلول الكاف، والميم، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: السحرة الذين آمنوا مجيبين إلى فرعون. ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون إلى ربنا بالموت لا محالة، فلا نبالي بوعيدك، وتهديدك، فهو الذي يفصل بيننا، وبينك بالحق، وهو خير الحاكمين، فكأنهم استلذوا العذاب رغبة في الأجر، والثواب حين خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان. هذا؛ وانظر «القول» في الآية رقم [٥] وشرح: ﴿رَبِّنَا﴾ في الآية رقم [٣].

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿إِنَّآ﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وقد حذفت نونها، وبقيت الألف دليلاً عليها. ﴿إِلَىٰ رَبِّنَا﴾: متعلقان باسم الفاعل بعدهما، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة. ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعه الواو. . .إلخ وفاعله ضمير مستتر تقديره: «نحن»، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ...﴾ إلخ: وما تكره منا. وقال عطاء: معناه: ما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه إلا الإيمان بربنا، والتصديق بآياته لما ظهرت لنا، ووضحت. ثم توجهوا إلى الله بهذا الدعاء: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: أفض، واصبب علينا صبراً كاملاً تامّاً. ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ أي: أمتنا على دين الإسلام، وهو دين خليلك إبراهيم، عليه الصلاة والسلام.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ كانوا في أول النهار سحرة، وآخر النهار شهداء. قال الكلبي: إن فرعون قطع أيديهم، وأرجلهم، وصلبهم. وقال غيره: لم يقدر عليهم لقوله تعالى:

﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ ﴿بِآيَاتِ﴾: انظر الآية رقم [٩]. ﴿رَبَّنَا﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿جَاءَتْنَا﴾: انظر الآية رقم [٤] وانظر ما ذكرته في: ﴿تَنقِمُونَ﴾ في الآية رقم [٦٢/ ٥] تجد ما يسرك. وانظر رقم [٧٥/ ٩].

تنبيه: قال السحرة: ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ فهذا يدل على أن دين الإسلام هو دين التوحيد من لدن آدم إلى يوم القيامة، وما قاله نوح، وإبراهيم، وما وصى به يعقوب أولاده، وما قاله سليمان، وبلقيس، وغيرهم أكبر دليل على ذلك، ومن قرأ القرآن بتدبر وإمعان يجد ذلك في محاله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٧/ ٣] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَمَا﴾: (ما): نافية. ﴿تَنقِمُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مِنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿أَنْ﴾: حرف مصدري ونصب. ﴿آمَنَّا﴾: فعل، وفاعل. ﴿بِآيَاتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و(آيات) مضاف، و﴿رَبِّنَا﴾: مضاف إليه، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿لَمَّا﴾: ظرف زمان بمعنى حين مبني على السكون في محل نصب متعلق بالفعل: ﴿آمَنَّا﴾، ﴿جَاءَتْنَا﴾: ماض، والتاء للتأنيث، و(نا): مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «هي» يعود إلى: ﴿بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿لَمَّا﴾ إليها. وقيل: هي حرف وجود لوجود، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه وجوابها محذوف، التقدير: لما جاءتنا آمنا، والاعتبار الأول أقوى، و﴿أَنْ﴾ المصدرية والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به، وقيل في محل نصب مفعول لأجله، والأول أقوى، وجملة: ﴿وَمَا تَنقِمُ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية السابقة، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿رَبَّنَا﴾: منادى حذفت منه أداة النداء، و(نا): في محل جر بالإضافة. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣]. ﴿أَفْرِغْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿عَلَيْنَا﴾: متعلقان به. ﴿صَبْرًا﴾: مفعول به. (توفنا): فعل دعاء مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الألف، والفاعل مستتر، تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿مُسْلِمِينَ﴾: حال من (نا) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، والكلام كله في محل نصب مقول القول، أي مقول السحرة، تأمل، وتدبر، وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿الْمَلَأُ﴾: انظر الآية رقم [٦٠]. ﴿فِرْعَوْنَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٢]. (تذر): انظر الآية رقم [٧٠]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية

رقم [١٠٣]. ﴿وَقَوْمَهُ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿وَنَسْتَحْيِ نِسَآءَهُمْ﴾: نتركهن بدون قتل، أما الصبيان؛ فإنا نقتلهم، وهذه الطريقة الشنعاء ارتكبها في حق بني إسرائيل قبل ولادة موسى عليه الصلاة والسلام كما هو معروف، ومشهور. هذا؛ و(نساء) أصله: نساي، قلبت الياء ألفاً؛ لتطرفها، وانفتاح ما قبلها، ولم يعتد بالألف الساكنة؛ لأنها حاجز غير حصين، فالتقى ساكنان، فقلبت الألف الثانية همزة. و(أبناء) أصله: أبناو، فإعلاله مثل إعلال: (نساء). هذا؛ و(نساء) اسم جمع لا واحد له من لفظه؛ لأن مفرده: امرأة، وتجمع المرأة أيضاً على: نسوة (بسكون النون، وضمها) ونسوان، ونسون، ونسنين. وهذه الجموع كلها مأخوذة من النسيان مما يدل على أن المرأة مطبوعة عليه إما كذباً، أو إهمالاً. وانظر النسيان في الآية رقم [٥/١٤]. ﴿قَٰهِرُونَ﴾: غالبون، وهم تحت سيطرتنا وقهرنا.

المعنى قال جماعة من عظماء قوم فرعون: أتترك موسى، وقومه بني إسرائيل يعيثون في الأرض فساداً بتغيير دينك، ونبذ معبوداتك؟!. فأجابهم بأنه سيقتل الذكور، ويترك الإناث، وهو صاحب القوة، والغلبة عليهم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت لفرعون بقرة كان يعبدها، وكان إذا رأى بقرة حسنة أمرهم بعبادتها، ولذلك أخرج لهم السامري عجلاً، وقال السدي: كان فرعون قد اتخذ لقومه أصناماً، وكان يأمرهم بعبادتها، وقال لهم: (أنا ربكم ورب هذه الأصنام)، وذلك قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ انتهى. خازن، وقيل غير ذلك.

الإعراب: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿مِن قَوْمِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلْمَلَأُ﴾، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿أَتَذَرُ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تذر): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب... إلخ. ﴿وَقَوْمَهُ﴾: معطوف على موسى، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، وعلامة نصبه حذف النون... إلخ، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾، متعلقان بما قبلهما، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (تذر) وجملة: ﴿أَتَذَرُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿قَالُوٓا۟﴾ لا محل لها مثلها. ﴿وَيَذَرَكَ﴾: مضارع منصوب بسبب العطف على ﴿لِيُفْسِدُوا۟﴾ أو هو منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد واو المعية في جواب الاستفهام، وقرئ بالرفع على الاستئناف، أو بالعطف على: ﴿أَتَذَرُ﴾ وقيل الجملة في محل نصب حال، وهو يحتاج إلى تقدير مبتدأ، أي: وهو يذرك، كما قرئ بالسكون، كأنه قيل: يفسدوا ويَذَرْك، كقوله تعالى ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن﴾ والفاعل يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾ والكاف مفعول به. ﴿وَءَالِهَتَكَ﴾: معطوف على الكاف، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل

يعود إلى: ﴿فِرْعَوْنَ﴾. ﴿سَنُقَتِّلُ﴾: السين: حرف استقبال. (نقتل): مضارع، وهو يقرأ بالتشديد، والتخفيف، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿أَبْنَاءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿سَنُقَتِّلُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (نستحيي): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿نِسَاءَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول. ﴿وَإِنَّا﴾: الواو: واو الحال. (إنا): حرف مشبه بالفعل، و(نا): ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بما بعده، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿قَاهِرُونَ﴾: خبر (إنَّ) مرفوع، وعلامة رفعة الواو؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وفاعله مستتر فيه، تقديره: «نحن»، والجملة الاسمية: ﴿وَإِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، في: (نُقَتِّل) والرابط: الواو، والضمير.

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿لِقَوْمِهِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿بِٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾: الصبر حبس النفس من الجزع عند المصيبة، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش، وهو مر المذاق لا يكاد يطاق، إلا أنه حلو العواقب، يفوز صاحبه بأسنى المطالب، كما قال القائل: [البسيط]

الصبرُ مِثْلُ اسمِهِ مُرٌّ مذاقَتُهُ ... لكِنْ عواقِبُهُ أحلَى من العسلِ

وبالجملة: فنفع الصبر معلوم مشهور، والحض عليه في الكتاب، والسنة مقرر مسطور، ولا تنس: أن من أسماء الله تعالى الصبور. وفُسِّر بالذي لا يعجل بالعقوبة على مَنْ عصاه.

فائدة ـ قال الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ وقال: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ وقال ﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ قالوا: الصبر الجميل هو الذي لا شكاية معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذية معه. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: أرض مصر، ويشمل جميع الأرض. ﴿يُورِثُهَا﴾: يقرأ بالتخفيف، والتشديد. ﴿يَشَآءُ﴾: انظر الآية رقم [٨٩]. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: الخاتمة المحمودة، والنهاية الحسنة. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: انظر (التقوى) في الآية رقم [٢٦]. هذا؛ وإن موسى عليه السلام ـ قال لقومه هذا الكلام حين سمعوا قول فرعون، وتهديده، وتضجروا منه. فهو تسكين لهم، وتطييب لخاطرهم، ووعد لهم بالنصر على عدوهم، وأنهم سيرثون ديارهم،

وأموالهم إن هم صبروا، واستعانوا بالله على كيد عدوهم ومكره. وانظر الآية رقم [٨٧] من سورة يونس عليه السلام.

الإعراب: ﴿قَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لِقَوْمِهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿ٱسْتَعِينُواْ﴾: أمر مبني على حذف النون والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُواْ﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلْأَرْضَ﴾: اسمها. ﴿لِلَّهِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿إِنَّ﴾ ﴿يُورِثُهَا﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى (الله)، و(ها): مفعول به أول. ﴿مَن﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: يشاؤه. ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف المنصوب، و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في ﴿مَن﴾ والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يُورِثُهَا...﴾ إلخ في محل نصب حال من لفظ الجلالة أو من الضمير المستتر في الجار والمجرور. ﴿لِلَّهِ﴾ أي: إن الأرض مستقرة لله حال كونها مورثة من الله لمن يشاء من عباده، ويجوز أن يكون ﴿يُورِثُهَا﴾ خبراً ثانياً، وأن يكون خبراً وحده، و﴿لِلَّهِ﴾ هو الحال، ويجوز أن تكون الجملة الفعلية مستأنفة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ تعليل للأمر لا محل لها. ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾: مبتدأ. ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على جملة: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ...﴾ إلخ هذا؛ وقد قرئ بنصب (العاقبة) عطفاً على: ﴿ٱلْأَرْضَ﴾ عطف مفرد على مفرد، وجملة: ﴿قَالَ مُوسَىٰ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿تَأْتِيَنَا﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿جِئْتَنَا﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿رَبُّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿عَدُوَّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٢٢]. ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾: يجعلكم خلفاء في أرض مصر بعد إهلاك عدوكم، ويملككم إياها. ﴿فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾: فيرى ما تعملون من كفر، وشكران، وطاعة، وعصيان، فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم، وسترى خبث أعمالهم، وما عملوا من فساد، وإفساد بعد هلاك الفراعنة. والمعنى: يرى وقوع ذلك منكم؛ لأنه سبحانه يعلم ما يقع منهم، ولكن لا يعاقبهم إلا بعد صدور ذلك منهم.

المعنى: إن بني إسرائيل لما سمعوا ما قاله فرعون من التهديد، والوعيد؛ قالوا: ﴿أُوذِينَا...﴾ إلخ، وذلك: أنهم كانوا مستضعفين في يد فرعون، وقومه، فكان يقتل صبيانهم، ويترك إناثهم

أحياء، ويستعملهم في الأعمال الشاقة إلى نصف النهار، فلما جاء موسى بالرسالة وجرى؛ ما جرى شدد فرعون في استعمالهم، وأعاد القتل في صبيانهم، قالوا: ﴿أُوذِينَا...﴾ إلخ. وظاهر هذا الكلام يوهم: أنهم كرهوا مجيء موسى بالرسالة، وهو كفر، والجواب: أن موسى كان قد وعدهم بالنصر، وزوال ما هم فيه من الشدة، فظنوا: أن ذلك يكون على الفور، فلذا استبطؤوا ما وعدهم به موسى، عليه السلام. انتهى. خازن بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، ﴿أُوذِينَا﴾: ماض مبني للمجهول مبني على السكون، و(نا): نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مِن قَبْلِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَأْتِيَنَا﴾ في محل جر بإضافة ﴿قَبْلِ﴾ إليه، التقدير: من قبل إتيانك لنا. ﴿وَمِنۢ بَعْدِ﴾: معطوفان على: ﴿مِن قَبْلِ﴾. ﴿مَا﴾: مصدرية. ﴿جِئْتَنَا﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، و﴿مَا﴾ والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بإضافة ﴿بَعْدِ﴾ إليه، التقدير: ومن بعد مجيئك إيانا. وجملة: ﴿قَالُوٓاْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿عَسَىٰ﴾: فعل ماض جامد دال على الرجاء.

﴿رَبُّكُمْ﴾: اسم ﴿عَسَىٰ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة، والمصدر المؤول من ﴿أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾ في محل رفع خبر: ﴿عَسَىٰ﴾، ويجب تأويله باسم الفاعل؛ لأن المصدر لا يخبر به عن الجثة، فيصير التقدير: عسى ربكم مهلكاً عدوكم، وجملة: ﴿عَسَىٰ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة كالتي قبلهما؛ لأن كل واحدة منهما بمنزلة جواب لسؤال مقدر. ﴿وَيَسْتَخْلِفَكُمْ﴾: مضارع معطوف على: ﴿يُهْلِكَ﴾ منصوب مثله، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّكُمْ﴾، والكاف مفعول به، والميم علامة جمع الذكور. في الأرض: متعلقان بما قبلهما. ﴿فَيَنظُرَ﴾: مضارع معطوف على ما قبله، منصوب مثله، والفاعل يعود إلى ﴿رَبُّكُمْ﴾ أيضاً، وهو معلق عن العمل لفظاً بسبب الاستفهام. ﴿كَيْفَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب حال عامله ما بعده. ﴿تَعْمَلُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة: ﴿كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب مفعول به. هذا؛ وإن اعتبرت: ﴿فَيَنظُرَ﴾ منصوباً بـ: «أنْ» مضمرة بعد الفاء السببية في جواب الترجي؛ فلست مفنداً. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ...﴾ إلخ: أي: انتقمنا منهم بالقحط، والجدب، وقلة الأمطار، والمياه، تقول العرب: مسَّتهم السنة بمعنى: أخذهم الجدب في السنة، ومنه قوله ﷺ في الدعاء على قريش: «**اللهمَّ اجْعَلْها عليهِمْ سنينَ كسِنِي يوسفَ**». و﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: وإتلاف الغلات، والثمار بالآفات.

قال قتادة: أما السنون؛ فلأهل البوادي، وأما نقص الثمرات؛ فلأهل الأمصار. ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾: يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر، والمعاصي، وذلك لأن الشدة ترقق القلوب، وترغب فيما عند الله من الخير. وانظر هذا الترجي في الآية رقم [٢٥]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

﴿ءَالَ﴾: أصله: أهل، فأبدلت الهاء همزة ساكنة، فصار (أَأْل) ثم أبدلت الهمزة الثانية الساكنة مدّاً مجانساً لحركة الهمزة الأولى على القاعدة، مثل (آدم) في الآية رقم [١١] وقلب الهاء همزة سائغ مستعمل لغة، كما في: أراق، فإن أصله: هراق. وهو كثير في الشعر العربي. وهذا مذهب سيبويه. وقال الكسائي أصله: أول. كجمل من: آل، يؤول، تحركت الواو، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، وقد صغروه على (أُهَيْل) وهو يشهد للأول، وعلى (أوَيْل) وهو يشهد للثاني. ولا يستعمل ﴿ءَالَ﴾ إلا فيمن له خطر، وشأن بخلاف (أهل). يقال: آل النبي، وآل الملك، ولا يقال: آل الحجام، ولكن: أهله، ولا ينتقض بآل فرعون، فإن له شرفاً باعتبار الدنيا، واختلف في جواز إضافته إلى المضمر، فمنعه الكسائي، والنحاس، وزعم أبو بكر الزبيدي: أنه من لحن العوام، والصحيح جوازه، كما في قول عبد المطلب بن هاشم جد النبي ﷺ: [مجزوء الكامل]

لَا هُمَّ إنَّ المرءَ يَمْـ ... ـنَعُ رحْلَهُ فامْنَعْ رِحالَكْ

وانصرْ علَى آلِ الصَّلِيـ ... ـبِ، وعابِدِيهِ اليومَ آلَكْ

﴿فِرْعَوْنَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: جمع سنة، وأصلها: سنو، أو سنه، بدليل قولهم في جمعه بالألف والتاء: سنوات وسنهات. وقولهم في اشتقاق الفعل منه: سانهت، وسانيت، وأصل سانيت سانوت، فقلبوا الواو ياء حين تجاوزت متطرفة ثلاثة أحرف.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: الواو: حرف قسم وجر، والمقسم به محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. (لقد): اللام: واقعة في جواب هذا القسم. (قد): حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿أَخَذْنَآ﴾: فعل، وفاعل. ﴿ءَالَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿فِرْعَوْنَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة، وجملة: (لقد...) إلخ جواب القسم لا محل لها، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿بِٱلسِّنِينَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿وَنَقْصٍ﴾: معطوف على (السنين). ﴿مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: متعلقات بـ (نقص) لأنه مصدر ﴿لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة ومحلها في الآية رقم [٢٦] وما يشبهها في الآية رقم [٦٣].

﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)﴾

الشرح: ﴿جَاءَتْهُمُ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿الْحَسَنَةُ﴾: انظر الآية رقم [٩٥]. ﴿قَالُوا﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿لَنَا هَٰذِهِ﴾ أي: نحن مستحقوها، وهي لأجلنا على العادة التي جرت في سعة الأرزاق، وصحة الأبدان فلذا لم يشكروه سبحانه على نعمه. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: انظر الآية رقم [٩٥] وانظر إعلال: ﴿تُصِبْهُمْ﴾ في الآية رقم [٦/١٢٤]. ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ...﴾ إلخ: يتشاءموا بهم، ويقولوا: ما أصابتنا إلا بشؤمهم، وما أصابنا بلاء إلا حين رأيناهم، وهذا إغراق منهم بالغباوة وقسوة القلب، فإن الشدائد ترقق القلوب، وتذلل العرائك، سيما بعد مشاهدة المعجزات، وهي لم تؤثر فيهم، بل زادوا عتوّاً، وانهماكاً في الغي. وإنما عرَّف ﴿الْحَسَنَةُ﴾ وذكرها مع أداة التحقيق (إذا) لكثرة وقوعها، وتعلق الإرادة بإحداثها بالذات، ونكر (السيئة) وأتى بها مع حرف الشك: (إنْ) لندورها، وعدم القصد لها إلا بالتبع. انتهى بيضاوي بتصرف. وأصل ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: يتطيروا فأدغمت التاء في الطاء لمقاربتها لها في المخرج، وقرئ شاذّاً: (تطيروا). ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ أي: سبب خيرهم وشرهم عنده، وهو حكمه، ومشيئته. أو سبب شؤمهم عند الله، وهو أعمالهم المكتوبة عنده، فإنها التي ساقت لهم ما يسوءهم.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: ﴿طَائِرُهُمْ﴾ ما قضي لهم، وقدر عليهم من عند الله. وقرئ: (طيرهم) وانظر الآية رقم [٦/٣٨]. ﴿اللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن ما يصيبهم من الله، أو من شؤم أعمالهم.

الإعراب: ﴿فَإِذَا﴾: (إذا): ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿جَاءَتْهُمُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والهاء مفعول به. ﴿الْحَسَنَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿قَالُوا﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿لَنَا﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ مؤخر، والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُوا...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف مفرع عما قبله لا محل له. (إنْ): حرف شرط جازم. ﴿تُصِبْهُمْ﴾: مضارع فعل الشرط، والهاء مفعول به. ﴿سَيِّئَةٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿يَطَّيَّرُوا﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن

بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إنَّ) ومدخولها كلام معطوف على (إذا) ومدخولها لا محل له مثله. ﴿بِمُوسَىٰ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَمَن﴾: اسم موصول بمعنى الذين مبني على السكون في محل جر معطوف على (موسى). ﴿مَّعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَآ﴾: حرف تنبيه، واستفتاح يسترعي انتباه المخاطب لما يأتي بعده من كلام. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿طَٰٓئِرُهُمْ﴾: مبتدأ. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿أَلَآ إِنَّمَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَهُمْ﴾: اسم (لكنَّ) والهاء في محل جر بالإضافة، والميم في الكل حرف دال على جماعة الذكور. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَعْلَمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، انظر تقديره في الشرح، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (لكنَّ) والجملة الاسمية: ﴿وَلَٰكِنَّ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها.

﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَالُوا۟﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿مَهْمَا﴾: أصلها (ما) الشرطية، ضمت إليها (ما) الزائدة للتأكيد، ثم قلبت ألفها هاء، استثقالاً للتركيب. وقيل: هي مركبة من (مه) الذي يصوت به الكافُّ، و(ما) الجزائية، وقد رد ابن هشام هذا في المغني، فقال: وهي بسيطة لا مركبة من: (مه) و(ما) الشرطية، ولا من (ما) الشرطية و(ما) الزائدة، ثم أبدلت الهاء من الألف الأولى دفعاً للتكرار، خلافاً لزاعمي ذلك. هذا؛ والضميران في ﴿بِهِۦ﴾ و﴿بِهَا﴾ يعودان إلى ﴿مَهْمَا﴾ فالأول مراعاة للفظها، والثاني مراعاة لمعناها. ﴿تَأْتِنَا﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ﴿ءَايَةٍ﴾: معجزة. وانظر الآية رقم [٩]. هذا؛ وإنما سمو(ها): ﴿ءَايَةٍ﴾ على زعم موسى، لا لاعتقادهم، ولذلك قالوا: ﴿لِّتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ أي: لتسحر بها أعيننا، وتصرفنا عما نحن عليه من دين. ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بمصدقين. وانظر الإيمان في الآية رقم [٢].

الإعراب: ﴿وَقَالُوا۟﴾: (قالوا): فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿مَهْمَا﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، وقال أبو البقاء: في محل نصب بما بعده. ولا وجه له. وقيل: منصوب بفعل يفسره ما بعده، والمعتمد الأول. ﴿تَأْتِنَا﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿مِنْ ءَايَةٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المجرور في: ﴿بِهِۦ﴾ و﴿مِنْ﴾ بيان لما أبهم في: ﴿مَهْمَا﴾. ﴿لِّتَسْحَرَنَا﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»،

و(نا): مفعول به. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و«أن» المضمرة والمضارع في تأويل مصدر في محل جر باللام، والجار والمجرور متعلقان بـ ﴿ءَايَةٍ﴾، أو بمحذوف صفة لها. ﴿فَمَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (ما): نافية حجازية تعمل عمل ليس. ﴿نَحْنُ﴾: اسم (ما). ﴿لَكَ﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿بِمُؤْمِنِينَ﴾: الباء: حرف جر زائد. (مؤمنين): خبر (ما) مجرور لفظاً، منصوب محلاً، وجملة: ﴿فَمَا نَحْنُ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط، وخبر المبتدأ الذي هو: ﴿مَهْمَا﴾ مختلف فيه، فقيل: جملة فعل الشرط. وقيل: جملة الجواب. وقيل: الجملتان. وهو المرجح لدى المعاصرين.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

الشرح: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: انظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: ما طاف بهم، وغشي أماكنهم، وحروثهم من مطر، أو سيل وقيل: هو الجدري. وقيل: الموتان. وقيل: الطاعون، ومدلول اللفظ بخلاف ذلك. ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾: معروف، واحدته جرادة، تقع للذكر، والأنثى، ولا يفرق بينهما، إلا أن تقول: رأيت جرادة ذكراً، أو أنثى. ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾: هي أفراخ الجراد قبل نبات أجنحتها، أو البراغيث، أو كبار القردان وقيل: غير ذلك وهو يقرأ بالتشديد والتخفيف مع فتح القاف وسكون الميم. وقيل: هو القمل المعروف في الثياب وغيرها، ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾: جمع ضِفدِع بكسر الضاد والدال: دابة مائية معروفة، والواحدة ضِفدِعة، وناس يقولون بفتح الدال، وأنكره الخليل. ﴿وَٱلدَّمَ﴾: قلبت مياههم دماً. وقيل: هو الرعاف. ﴿ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: معجزات مبينات ظاهرات، لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله، أو مفرقات بين كل آيتين شهر. ﴿فَٱسْتَكْبَرُوا۟﴾: عن الإيمان بموسى. ﴿قَوْمًا﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: كافرين معاندين.

تنبيه: روي: أنهم مطروا ثمانية أيام في ظلمة شديدة، لا يقدر أحد أن يخرج من بيته، ودخل الماء بيوتهم؛ حتى قاموا في الماء إلى تراقيهم، وكانت بيوت بني إسرائيل مشتبكة ببيوتهم، فلم يدخل فيها قطرة، وركد الماء فوق أراضيهم، فمنعهم من الحرث، والتصرف فيها، ودام ذلك أسبوعاً، فقالوا لموسى: ادع لنا ربك يكشف عنا ما نحن فيه، ونحن نؤمن بك. فدعا، فكشف عنهم، ونبت لهم من الزرع، والكلأ ما لم يعهد مثله. فقالوا: ما كان هذا الماء إلا نعمة علينا، فلم يؤمنوا، فبعث الله عليهم الجراد، فأكلت زروعهم، وثمارهم، ثم أخذت تأكل الأبواب، والسقوف، والثياب، ففزعوا إلى موسى ثانياً، فدعا، وخرج إلى الصحراء، وأشار بعصاه نحو المشرق، والمغرب، فرجعت إلى النواحي التي جاءت منها. فلم يؤمنوا، فسلط الله عليهم القمل، فأكل ما أبقاه الجراد، وكان يقع في أطعمتهم، ويدخل بين أثوابهم،

وجلودهم، فيمصها، ولم يؤذ أحداً من بني إسرائيل، ففزعوا إلى موسى، فدعا، فرفع عنهم، فقالوا: قد تحققنا الآن أنك ساحر، فأرسل الله عليهم الضفادع، بحيث لا يكشف ثوب، ولا طعام إلا وجدت فيه، وكانت تمتلئ منها مضاجعهم، وتثب إلى قدورهم، وهي تغلي، وتدخل أفواههم عند التكلم، ولم يقرب بني إسرائيل منها شيء، ففزعوا إلى موسى، وتضرعوا إليه، فدعا الله، فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياههم دماء؛ حتى كان القبطي يجتمع مع الإسرائيلي على إناء واحد، فيكون ما يليه دماً، وما يلي الإسرائيلي ماء، ويمص الماء من فم الإسرائيلي، فيصير دماً في فيه. انتهى بيضاوي بتصرف.

تنبيه: قال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وغيرهما: لما آمنت السحرة، ورجع فرعون مغلوباً أبى هو وقومه إلا الإقامة على الكفر، والتمادي في الشر، والفساد، فتابع الله عليهم الآيات، فأخذهم الله أولاً بالسنين، ونقص الثمرات، وأراهم قبل ذلك من المعجزات اليد، والعصا، فلم يؤمنوا، فدعا عليهم موسى، وقال: يا رب! إن عبدك فرعون علا في الأرض، وبغى، وعتا، وإن قومه قد نقضوا العهد، فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة، ولقومي عظة، ولمن بعدهم آية، وعبرة، فبعث الله تعالى عليهم الطوفان، والجراد... إلخ.

أقول: وهذه الآيات التسع ذكرها الله إجمالاً في قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾.

الإعراب: ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلطُّوفَانَ﴾: مفعول به، وما بعده معطوف عليه. ﴿ءَايَٰتٍ﴾: حال. ﴿مُّفَصَّلَٰتٍ﴾: صفة: ﴿ءَايَٰتٍ﴾ منصوب مثله، وعلامة نصبهما الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم. ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على سابقتها لا محل لها مثلها. (كانوا): ماض ناقص، مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قَوْمًا﴾: خبر (كان). ﴿مُّجْرِمِينَ﴾: صفة منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَكَانُواْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً.

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾: نزل بهم، وأصابهم. ﴿ٱلرِّجْزُ﴾: العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان، وما بعده. وقال سعيد بن جبير ـ رضي الله عنه ـ الرجز: الطاعون، وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت، فنزل بهم الطاعونُ حتى ماتَ منهم في يَوْمٍ واحدٍ سبعون ألفاً، فأمْسَوْا وهُمْ لا يَتَدافنونَ، ﴿قَالُواْ﴾: انظر الآية رقم [٥] لشرحه وإعرابه. ﴿يَٰمُوسَى﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ أي: بعهده عندك، وهو

النبوة. أو بالذي عهده إليك أن تدعوه به فيجيبك، كما أجابك في آياتك. وانظر (العهد) في الآية رقم [١٠٢]. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ أي: نقسم بعهد الله عندك لئن كشفت عنا العذاب؛ لنصدقن بما أرسلت به. وهذا الوعد قطعوه على أنفسهم عند نزول كل نوع من أنواع العذاب المتقدمة، ولكنهم كانوا ينكثون عهدهم عند رفع العذاب. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٥].

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: (لما): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: حرف وجوب لوجوب، وهي ظرف بمعنى «حين» عند ابن السراج الفارسي، وابن جني، وجماعة تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه. وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿وَقَعَ﴾: ماض. ﴿عَلَيْهِمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرِّجْزُ﴾: فاعل، والجملة الفعلية ابتدائية لا محل لها على القول بحرفية (لما) وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها، وعلى اعتبارها متعلقة بالجواب. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (لمَّا) لا محل لها. ﴿وَلَمَّا﴾ ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو. (موسى): منادى مفرد علم مبني على ضم مقدر على الألف المقصورة في محل نصب بـ (يا)، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿ٱدْعُ﴾: فعل أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿رَبَّكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. ما: تحتمل الموصوفة، والموصولة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي، أو بشيء عهده إليك، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، أي بعهده عندك، والجار، والمجرور على جميع الاعتبارات متعلقان بالفعل: ﴿ٱدْعُ﴾ أو بمحذوف حال من الفاعل المستتر بمعنى: ادع الله متوسلاً إليه. وقيل: متعلقان بفعل محذوف، كما قيل: (الباء) حرف قسم وجر. ولا وجه له. وجملة: ﴿ٱدْعُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. ﴿لَئِن﴾: حرف شرط جازم، واللام موطئة لقسم محذوف. ﴿كَشَفْتَ﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله. ﴿عَنَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرِّجْزَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿كَشَفْتَ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَنُؤْمِنَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة؛ التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. انظر الآية رقم [٩٠] ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ﴾: معطوف على ما قبله،

وإعرابه مثله. ﴿مَعَكَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٥].

﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ١٣٥﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ﴾: رفعنا عنهم العذاب المذكور في الآية السابقة بسبب دعوة موسى، عليه السلام. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾: إلى زمن هم بالغوه، فمنتهون إليه، ثم يعذبون فيه، أو يهلكون، وهو وقت الغرق، أو الموت المحدد في وقته: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾. ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾: يخلفون الوعد، وينقضون العهد بعدم إيمانهم؛ الذي وعدوا به مراراً. وأصل النكث من: نكث الصوف، ونحوه؛ ليغزله ثانياً، فاستعير لنقض العهد بعد إحكامه، وإبرامه.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: انظر الآية السابقة. ﴿كَشَفۡنَا﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَنۡهُمُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلرِّجۡزَ﴾: مفعول به. وانظر محل الجملة الفعلية في الآية السابقة. ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما. ﴿هُم﴾: ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بَٰلِغُوهُ﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، وحذفت النون للإضافة، والهاء في محل جر بالإضافة، من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه، والجملة الاسمية في محل جر صفة: ﴿أَجَلٍ﴾. ﴿إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٠٧] و﴿إِذَا﴾ واقعة في جواب (لمَّا) و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على مثله في الآية السابقة، لا محل له مثله.

﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٣٦﴾

الشرح: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي: كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم. وأصل الانتقام في اللغة: سلب النعمة بالعذاب. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ أي: في البحر الملح الذي لا يدرك قعره. وقيل: اليم: هو لجة البحر، ومعظم مائه. ﴿بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: كان هلاكهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا، وصدق نبينا. ﴿وَكَانُواْ عَنۡهَا﴾: عن تلك الآيات. ﴿غَٰفِلِينَ﴾: فلم يتعظوا، ولم يتفكروا فيها. وانظر الآية رقم [٩٠] من سورة (يونس) عليه السلام.

تنبيه: فإن قيل: إن الله تعالى علم من حال آل فرعون: أنهم لا يؤمنون بتلك الآيات، فما الفائدة من تواليها عليهم، وإظهار الكثير منها؟ فالجواب على مذهب أهل السنة: أن الله تعالى

يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل. وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة: فلعله تعالى علم من قوم فرعون: أن بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات، وظهورها، فلهذا السبب والاها عليهم. والله أعلم بمراده. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ مفسرة للانتقام، والفاء تفسيرية، ولا يصح اعتبارها عاطفة. ﴿بِأَنَّهُمْ﴾: الباء: حرف جر وسبب. (أنهم): حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿كَذَّبُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا) في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟...﴾ إلخ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلها، التقدير: بسبب تكذيبهم. (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمها، والألف للتفريق. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿غَٰفِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿وَكَانُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿كَذَّبُوا۟...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها، وجوز اعتبارها مستأنفة، والأول أقوى، وأولى. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ...﴾ إلخ: بالاستعباد، وذبح الأبناء، والتسخير في الأعمال الشاقة، وهم بنو إسرائيل. ﴿مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾: المراد بها: أرض مصر، والشام ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة، والعمالقة. والمراد بمشارقها، ومغاربها: جميع نواحيها. وقيل: أراد جميع جهات الأرض. وهو اختيار الزجاج، قال: لأن داود، وسليمان ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ كانا من بني إسرائيل، وقد ملكا الأرض. انتهى خازن بتصرف.

﴿ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ أي: بكثرة الثمار، والزروع، والخصب والسعة. هذا قول المفسرين، وأرى: أن البركة حلت فيها من وجود الأنبياء، وتناسلهم، ودفنهم فيها. ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ المراد بها قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ إلخ وقرئ: (كلمات ربك) لتعدد المواعيد. هذا؛ و﴿كَلِمَتُ﴾ بفتح الكاف، وكسر اللام، ويقرأ بكسر الكاف وإسكان اللام، وفيها لغة أخرى: فتح الكلام، وإسكان اللام. هذا؛ وقد تطلق الكلمة على الكلام الكثير، مثل قولك: قال فلان كلمة، أي: ألقى

خطبة، وقال الشاعر كلمته، أي: قصيدته، وكثيراً ما تطلق على الجملة المفيدة، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ إشارة إلى قوله: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ وقوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ ومعلوم أن النصارى لم يقولوا كلمة واحدة فقط في تأليه عيسى عليه الصلاة والسلام. وانظر الكلام في الآية رقم [١٤٤] والآية رقم [٦/١١٥]. ﴿رَبِّكَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: تأنيث: الأحسن، كالسوأى تأنيث: الأسوأ. ﴿بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٥]. ﴿صَبَرُوا۟﴾: انظر الآية رقم [١٢٨]. ﴿وَدَمَّرْنَا﴾: أهلكنا وخربنا. ﴿يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ﴾: في أرض مصر من القصور، والعمارات. وانظر: ﴿فِرْعَوْنُ﴾: في الآية رقم [١٠٣]. ﴿وَقَوْمُهُۥ﴾: انظر الآية رقم [٣١]. ﴿كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾: يسقفون من البنيان، أو يبنون بيوتاً من البيوت، والقصور، أو ما كانوا يعرشون من الثمار، والأعناب. هذا؛ وعرش؛ يعرش من باب: ضرب، ونصر قراءتان.

تنبيه: هذا آخر قصة فرعون، والقبط، وتكذيبهم بآيات الله، ثم أتبعه قصة بني إسرائيل، وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون، ومعاينتهم الآيات العظام، ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر، وغير ذلك؛ ليتسلى رسول الله ﷺ عما رآه من اليهود، والمنافقين في المدينة المنورة، وعما رآه في مكة من إيذاء قريش. انتهى نسفي. هذا؛ وانظر: ﴿يَصْنَعُونَ﴾ في الآية رقم [٦٣] من سورة (المائدة).

الإعراب: ﴿وَأَوْرَثْنَا﴾: (أورثنا): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿ٱلْقَوْمَ﴾: مفعول به أول. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب صفة ﴿ٱلْقَوْمَ﴾. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يُسْتَضْعَفُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجمل الفعلية في محل نصب خبر (كان) وجملة: ﴿كَانُوا۟...﴾ إلخ صلة الموصول، لا محل لها. ﴿مَشَٰرِقَ﴾: مفعول به ثان لـ (أورثنا). وقيل: المفعول الثاني هو ﴿ٱلَّتِى﴾ كما قيل: المفعول الثاني محذوف، تقديره: «الأرض» أو «الملك»، وعليهما يكون ﴿مَشَٰرِقَ﴾ ظرف مكان متعلق بما قبله، أو هو منصوب بنزع الخافض. والمعتمد الأول، و﴿مَشَٰرِقَ﴾ مضاف، و﴿ٱلْأَرْضِ﴾: مضاف إليه. (مغاربها): معطوف على ما قبله، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلَّتِى﴾: صفة مشارق، وما عطف عليه. وقيل: صفة: ﴿ٱلْأَرْضِ﴾، وهو ضعيف. ﴿بَٰرَكْنَا﴾: فعل، وفاعل. و﴿فِيهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول، لا محل لها. (تمت): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿كَلِمَتُ﴾: فاعل، و﴿كَلِمَتُ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: صفة: ﴿كَلِمَتُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المقصورة، وجملة: ﴿وَتَمَّتْ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (أورثنا...) إلخ لا محل لها مثلها؛ لأنها معطوفة بدورها على ما قبلها. ﴿عَلَىٰ بَنِىٓ﴾: متعلقان بالفعل: (تمت)، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾: مضاف،

و﴿إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. (ما): مصدرية. ﴿صَبَرُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، و(ما) والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (تمت)، التقدير: بصبرهم، (دمرنا): فعل، وفاعل، ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿كَانَ﴾: فعل ماض ناقص. ﴿يَصْنَعُ﴾: مضارع. ﴿فِرْعَوْنُ﴾: تنازعه كل من كان والفعل: ﴿يَصْنَعُ﴾، ولا بد من الإضمار في أحدهما مع إعمال الآخر فيه، والأولى اعتباره اسماً لـ: ﴿كَانَ﴾ مؤخراً، وجملة: ﴿يَصْنَعُ﴾ في محل نصب خبرها مقدماً، وجملة: ﴿كَانَ...﴾ إلخ صلة ﴿مَا﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: دمرنا الذي، أو شيئاً كان يصنعه فرعون. هذا؛ وقد أجاز السمين في هذه الجملة أربعة أوجه: أحدها: ما ذكرته، الثاني أن اسم كان ضمير عائد على: ﴿مَا﴾ الموصولة و﴿يَصْنَعُ﴾ مسند لـ ﴿فِرْعَوْنُ﴾، والجملة خبر عن ﴿كَانَ﴾، والعائد محذوف، التقدير: ودمرنا الذي كان هو يصنعه فرعون، الثالث: أن تكون: ﴿كَانَ﴾ زائدة، و﴿مَا﴾ مصدرية، والتقدير: ودمرنا ما يصنع فرعون. أي صنعه. قال الجمل: وينبغي أن يجيء هذا الوجه أيضاً؛ وإن كانت ﴿مَا﴾ موصولة اسمية على أن العائد محذوف، تقديره: ودمرنا الذي يصنعه فرعون، الرابع: أن ﴿مَا﴾ مصدرية أيضاً، و﴿كَانَ﴾ ليست زائدة، بل ناقصة، واسمها ضمير الأمر، والشأن، والجملة من قوله: ﴿يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ﴾ خبر (كان) فهي مفسرة للضمير. انتهى جمل. وانظر الآية رقم [١١٨] التوبة ﴿وَقَوْمُهُۥ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَدَمَّرْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها أيضاً. ﴿مَا﴾: معطوفة على سابقتها على الوجهين المعتبرين فيها، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: كانوا يعرشونه.

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ﴾: عبرنا، وقطعنا بهم البحر. وجاوز بمعنى: جاز. هذا؛ ويقال: جاز الوادي، وجاوزه: إذا قطعه، وتركه وراء ظهره. روي: أن عبورهم البحر كان في يوم عاشوراء، فصامه موسى، عليه السلام، وأمر بصيامه شكراً على مهلك فرعون، ونجاتهم من شره. ﴿بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٥]. ﴿فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ...﴾ إلخ: مروا على قوم يعبدون الأصنام، قيل: كانت تلك الأصنام تماثيل من البقر، وذلك أول شأن العجل، والقوم كانوا من العمالقة الذين أمر موسى بقتالهم. وقيل: كانوا من لخم.

و﴿يَعْكُفُونَ﴾: يعبدون. قرئ بضم الكاف وكسرها من بابي: ضرب، ونصر. وانظر: ﴿قَوْمٍ﴾ في الآية رقم [٣٢] و(أتَوْا) في الآية رقم [٣٤]. وقل في إعلاله: أصله: (أتَيُوا) استثقلت الضمة التي على الياء، فحذفت، فالتقى ساكنان، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة على التاء، ويقال في إعلاله أيضاً تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلبت ألفاً، فصار (أتَاوْا) فحذفت الألف لالتقاء الساكنين، وبقيت الفتحة على التاء لتدل على ذلك المحذوف. ﴿قَالُواْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿يَـٰمُوسَى﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا﴾: تمثالاً نعبده ونعظمه. ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾: أصنام وتماثيل يعبدونها ويعظمونها.

قال البغوي ـ رحمه الله ـ: لم يكن ذلك شكّاً من بني إسرائيل بوحدانية الله تعالى، وإنما معناه: اجعل لنا شيئاً نعظمه، ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى، وظنوا: أن ذلك لا يضر الديانة، وكان ذلك لشدة جهلهم. ﴿تَجْهَلُونَ﴾: انظر الجهل، والجاهل في الآية رقم [٦/٣٥]. هذا؛ وقد وصفهم الله بالجهل المطلق، وأكده لبعد ما صدر عنهم بعدما رأوا من الآيات الكبرى.

عن أبي واقد الليثي ـ رضي الله عنه ـ: أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى غزوةِ حُنَيْنٍ مرَّ بشجرةٍ للمشركين كانوا يعلِّقون عليها أسلحتهم، يقال لها: ذاتُ أنواطٍ، فقالوا: يا رسول الله! اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ، كما لَهُمْ ذاتُ أنواطٍ، فقال: «**سبحانَ الله! هذا كما قال قومُ موسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ **والذي نفسي بيده؛ لتركبُنَّ سَنَنَ مَنْ قبلَكمْ**». أخرجه الترمذي. انتهى خازن.

تنبيه: قال يهودي لعلي ـ رضي الله عنه ـ: اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه، فقال: قلتم اجعل لنا إلهاً، ولم تجف أقدامكم. أي: من البحر. انتهى نسفي. وانظر الآية رقم [٣٢] من سورة (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَجَـٰوَزْنَا﴾: (جاوزنا): فعل، وفاعل. ﴿بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ انظر الآية السابقة لإعرابهما، والجار المجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْبَحْرَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَجَـٰوَزْنَا...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿فَأَتَوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً. ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿يَعْكُفُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر صفة: ﴿قَوْمٍ﴾. ﴿عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَّهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿أَصْنَامٍ﴾ ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَى﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٣٤] وهي مستأنفة، لا محل لها. ﴿ٱجْعَل﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَّنَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، على أنهما مفعوله الأول. ﴿إِلَـٰهًا﴾: مفعوله الثاني. هذا؛ ويجوز أن يكون ﴿لَّنَآ﴾ متعلقين بمحذوف حال من: ﴿إِلَـٰهًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، وجملة: ﴿ٱجْعَل...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾. قال أبو البقاء في (ما) ثلاثة

أوجه: أحدها: هي المصدرية، والجملة الاسمية: ﴿لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ صلة لها، وحسن ذلك: أنَّ الظرف مقدر بالفعل، والثاني: أن (ما) بمعنى «الذي» و﴿لَهُمْ﴾ متعلقان بمحذوف صلة (ما)، التقدير: كالذي ثبت لهم. و﴿ءَالِهَةٌ﴾ بدل من الضمير المستكن في: ﴿لَهُمْ﴾ والتقدير: اجعل لنا إلهاً كائناً كالذي استقر لهم هو آلهة، والثالث: أن تكون (ما) كافة للكاف؛ إذ من حكم الكاف أن تدخل على المفرد، فلما أريد دخولها على الجملة كفت بـ: (ما) انتهى بتصرف.

أقول: فعلى الوجه الأول تؤول (ما) مع الجملة الاسمية بمصدر في محل جر بالكاف، والجار والمجرور يتعلقان بمحذوف صفة ﴿إِلَٰهًا﴾ وأيضاً على الثاني يتعلق: «كالذي» بمحذوف صفة: ﴿إِلَٰهًا﴾. وعلى الوجه الثالث تكون الجملة الاسمية: ﴿كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ في محل نصب صفة: ﴿إِلَٰهًا﴾. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (موسى). ﴿إِنَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿قَوْمٌ﴾: خبرها، وجملة: ﴿تَجْهَلُونَ﴾ في محل رفع صفة: ﴿قَوْمٌ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّكُمْ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ١٣٩﴾

الشرح: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: الإشارة لمن عكفوا على الأصنام. ﴿مُتَبَّرٌ﴾: هالك، ومكسَّر ومدمَّر والتتبير: الإهلاك. ﴿مَّا هُمْ فِيهِ﴾ أي: الذي هم فيه من عبادة الأصنام لا قيمة فيه، وهو هالك لا بقاء له. ﴿وَبَٰطِلٌ...﴾ إلخ: البطلان: عبارة عن عدم الشيء، إما بعدم ذاته، أو بعدم فائدته ونفعه، والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم بنفع، ولا يدفع عنهم ضرّاً؛ لأنه عمل لغير الله تعالى، فكان باطلاً، لا نفع فيه. انتهى خازن. هذا؛ وجمع باطل: أباطيل على غير قياس، كأنهم جمعوا: إبطيلاً. وبطل من باب: دخل، والبطل بفتحتين: الشجاع، والبُطْل بالضم، والسكون: الباطل والكذب، والبطالة التعطل، والتفرغ من العمل.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب اسم: ﴿إِنَّ﴾، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿مُتَبَّرٌ﴾: خبر مقدم. ﴿مَّا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع مبتدأ مؤخر. ﴿هُمْ﴾: مبتدأ. ﴿فِيهِ﴾ متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، والجملة الاسمية صلة الموصول لا محل لها. هذا؛ ويجوز اعتبار: ﴿مُتَبَّرٌ﴾ خبر: ﴿إِنَّ﴾، و﴿مَّا﴾: فاعل، أو نائب فاعل له؛ لأنه قوي بوقوعه خبراً. ﴿وَبَٰطِلٌ﴾: معطوف على: ﴿مُتَبَّرٌ﴾. ﴿مَّا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل رفع فاعل، أو مبتدأ مؤخر على نحو ما رأيت، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: الذي، أو شيء كانوا يعملونه. وعلى اعتبارها مصدرية تؤول بما بعدها بمصدر في محل رفع فاعل، أو مبتدأ مؤخر، التقدير: وباطل عملهم. ﴿كَانُوا۟﴾:

ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَعْمَلُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ...﴾ إلخ: أي: قال موسى ـ عليه السلام ـ لمن طلبوا إلهاً غير الله موبخاً لهم، ومؤنباً: أطلب، وأبتدع لكم معبوداً غير الله؟! ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: وهو فضلكم على عالمي زمانكم بكثير من النعم. ففيه تنبيه على سوء معاملتهم، حيث قابلوا النعم بالكفران، وقصدوا أن يشركوا بالله أخس شيء من مخلوقاته. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: انظر الآية رقم [٥٤] وانظر شرح (غير) في الآية رقم [٣] من سورة (التوبة).

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿أَغَيْرَ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. (غير): مفعول به مقدم، و(غير) مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿أَبْغِيكُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والكاف مفعول به، وهو في الأصل مجرور بحرف جر، التقدير: أبغي لكم. فلما حذفت اللام؛ اتصل الضمير بالفعل، وانتصب به، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿إِلَٰهًا﴾: تمييز. وقيل: حال. هذا؛ وجوز اعتبار (غير) منصوباً على الحال من: ﴿إِلَٰهًا﴾، وهذا هو المفعول به، و(غير) كان صفة: ﴿إِلَٰهًا﴾، فلما قدم عليه؛ صار حالاً على القاعدة: «نعت النكرة إذا تقدم عليها صار حالاً» وجملة: ﴿أَغَيْرَ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ ﴿فَضَّلَكُمْ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱللَّهِ﴾، والكاف مفعول به، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية: ﴿وَهُوَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الله، أو من ضمير المخاطبين، والرابط على الاعتبارين: الواو، والضمير، وجوز اعتبارها مستأنفة، والأول أقوى.

﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾: وقرئ: (أنجاكم....) إلخ وهذا الكلام مسوق من جهة موسى لبني إسرائيل الذين طلبوا منه إلهاً، وإسناد الإنجاء إليه على القراءة الأولى مجاز، وعلى الثانية ظاهر لا تجوز فيه، وما أحراك أن تنظر شرح هذه الآية كاملاً في الآية رقم [٤٩] (البقرة) مع إبدال: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بـ: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ ويقرأ الفعلان بالتشديد، والتخفيف. ﴿وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن

﴿رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: وفي الإنجاء، أو العذاب اختبار، وامتحان؛ إذ البلاء يطلق على النعمة، وعلى المحنة، فالله يختبر شكر عباده بالنعمة، وصبرهم بالمحنة، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ وقال ﴿وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾. وانظر الآية رقم [١٦٨] الآتية. وانظر شرح: ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في الآية رقم [١٣٠] و﴿نِسَاءَكُمْ﴾ في الآية رقم [١٢٧]. ﴿بَلَاءٌ﴾: إعلاله مثل إعلال: ﴿السَّمَاءِ﴾ في الآية رقم [٩٧]. ﴿رَبِّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣].

الإعراب: انظر الإعراب بكامله في الآية رقم [٤٩] من سورة (البقرة).

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَوَاعَدْنَا﴾: وقرئ: (وعدنا). انظر (الوعد) في الآية رقم [٤٤]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾: هي شهر ذي القعدة، وعبر عن الأيام بالليالي؛ لأنها غرر الشهور. ﴿وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾: وهي العشر الأول من ذي الحجة. ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾: بلغ الميقات، أي: الموعد أربعين يوماً، وقد ذكر سبحانه هذا العدد جملة في الآية رقم [٥١] (البقرة) وفصله هنا.

قال المفسرون: إن موسى ـ عليه السلام ـ وعد بني إسرائيل إذا أهلك الله عدوهم فرعون أن يأتيهم بكتاب من عند الله، فيه بيان ما يأتون، وما يذرون، فلما هلك فرعون؛ سأل ربه أن ينزل عليه الكتاب الذي وعد به بني إسرائيل، فأمره أن يصوم ثلاثين يوماً، فصامها، فلما تمت ذهب إلى جبل الطور ليسأله ما طلب، وفي طريقه أنكر رائحة فمه التي حدثت من الصيام فاستاك بعود خرنوب، فقالت الملائكة: كنا نشم من فيك رائحة المسك، فأفسدته بالسواك، فأمره الله أن يصوم عشر ذي الحجة، وقال له «أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك»، فكانت فتنة بني إسرائيل في تلك العشر التي زادها الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام. هذا؛ وإعلال: ﴿مِيقَاتُ﴾ مثل إعلال: (ميزان) في الآية رقم [٩]. ﴿رَبِّهِ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿لَيْلَةً﴾: انظر الآية رقم [٦/٩٦] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾: عند ذهابه إلى جبل الطور للمناجاة. ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾: كن خليفتي فيهم مرهم بالمعروف وانههم عن المنكر. وانظر (قوم) في الآية رقم [٣٢]. ﴿وَأَصْلِحْ﴾ أي: ما يجب من إصلاح أمورهم، أو كن مصلحاً. ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾: ولا تتبع من سلك سبيل الإفساد، ولا تطع من دعاك إليه. ﴿سَبِيلَ﴾: يذكر ويؤنث بلفظ واحد، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ والجمع على التأنيث: سبول، وعلى التذكير: سبل. وانظر: ﴿رُسُلٌ﴾ في الآية رقم [٣٥] فهو مثله.

الإعراب: ﴿وَوَٰعَدْنَا﴾: الواو: حرف استئناف. (واعدنا): فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿مُوسَىٰ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف. ﴿ثَلَٰثِينَ﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد. ﴿لَيْلَةً﴾: تمييز، وجملة ﴿وَوَٰعَدْنَا...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (أتممناها): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بِعَشْرٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. (تم): ماض. ﴿مِيقَٰتُ﴾: فاعل، وهو مضاف، و﴿رَبِّهِۦٓ﴾: مضاف إليه، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿أَرْبَعِينَ﴾: حال، أي: تم بالغاً هذا العدد. وقيل: هو مفعول به. وقيل: هو منصوب على الظرف... إلخ. ﴿لَيْلَةً﴾: تمييز. ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها. ﴿لِأَخِيهِ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿هَٰرُونَ﴾: بدل أو عطف بيان من: (أخيه) مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية، والعجمة. ﴿ٱخْلُفْنِى﴾: أمر، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿فِى قَوْمِى﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَأَصْلِحْ﴾: أمر، وفاعله مستتر فيه، والجملة معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. (لا): ناهية جازمة. ﴿تَتَّبِعْ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) الناهية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿سَبِيلَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، والمفسدين مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الفعلية: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

الشرح: ﴿جَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٤]. ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾: موعدنا، أي للوقت الذي وعدناه بالكلام فيه، وكان يوم الخميس، ويوم عرفة. ﴿رَبُّهُۥ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿تَرَىٰنِى﴾: مضارع ماضيه: رأى،

فالقياس: ترْأَيُ، وقد تركت العرب الهمز في مضارعه لكثرته في كلامهم، وربما احتاجت إلى همزه، فهمزته، كما في قول سراقة بن مرداس البارقي: [الوافر]

أُرِي عَـيْـنَـيَّ مَـا لَـم تَـرْ أَيَـاهُ كِـلَانَـا عَـالِـمٌ بِـالـتُّـرَّهَـاتِ

وربما جاء ماضيه بغير همز، وبه قرأ نافع في: ﴿أَرَءَيْتَكُمْ﴾، و﴿أَرَءَيْتَ﴾ إلخ (أَرَايْتكم)، و(أَرَايْت) بدون همز، وقال الشاعر: [الخفيف]

صَاحِ هَلْ رَيْتَ أَوْ سمعتَ بِراعٍ رَدَّ في الضَّرْعِ ما قرَى في الحِلَاب؟

وإذا أمرت منه على الأصل قلت: ارْءَ، وعلى الحذف: رَهْ بهاء السكت، وقل في إعلال (ترى): أصله: ترأيُ، قلبت الياء ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، وحذفت الهمزة بعد إلقاء حركتها على الراء للتخفيف. ﴿ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾: ثبت مكانه. ﴿تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾: ظهرت له عظمة الله، وتصدى له اقتداره، وأمره. وقيل: أعطى له حياة، ورؤية حتى رآه. ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾: مدكوكاً مفتتاً، وقرئ: (دكاء) أي: أرضاً مستوية، وقرئ: (دكا) بضم الدال. ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾: سقط على الأرض مغشيّاً عليه لهول ما رأى. ﴿أَفَاقَ﴾: الإفاقة: رجوع الفهم، والعقل إلى الإنسان بعد جنون أو سكر أو إغماء، ومنه: إفاقة المريض من مرضه. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: انظر الآية رقم [٦/١٠٠]. ﴿تُبْتُ إِلَيْكَ﴾: من الجرأة، والإقدام على السؤال بغير إذن.

﴿أَوَّلُ﴾: فيه مسائل: **الأولى**: الصحيح: أن أصله: أوْأَل بوزن أفعل، قلبت الهمزة الثانية واواً، ثم أدغمت بدليل قولهم في الجمع: أوائِل. وقيل: أصله: وَوَّل بوزن فَوْعل، قلبت الواو الأولى همزة، وإنما لم يجمع على: أواول، لاستثقالهم اجتماع الواوين بينهما ألف الجمع. هذا؛ ويجمع (أول) على: أواول كما يجمع جمع مذكر سالماً: أولون، وأولين. وهو المستعمل، والشائع.

الثانية: الصحيح: أن «أول» لا يستلزم ثانياً، وإنما معناه ابتداء الشيء، ثم قد يكون له ثان، وقد لا يكون، تقول: هذا أول مال اكتسبته، وقد تكتسب بعده شيئاً، وقد لا تكتسب. وقيل: إنه يستلزم ثانياً، كما أن الآخر يقتضي أولاً، فلو قال: إن كان أول ولد تلدينه ذكراً؛ فأنت طالق، فولدت ذكراً، ولم تلد غيره؛ وقع الطلاق على الأول ولم يقع على الثاني.

الثالثة: لـ «أول» استعمالان: أحدهما أن يكون صفة، أي: أفعل تفضيل بمعنى أسبق، فيعطى حكم أفعل التفضيل من منع الصرف، وعدم تأنيثه بالتاء، ودخول (مِنْ) عليه، نحو هذا أولُ مِنْ هذين، ولقيته عام أول. الثاني أن يكون اسماً، فيكون مصروفاً، نحو: لقيته عاماً أولاً، ومنه: ماله أولٌ، ولا آخرٌ. قال أبو حيان: في محفوظي: أن هذا يؤنث بالتاء، ويصرف أيضاً، فيقال: آخِرةٌ وأَوَّلةٌ بالتنوين. انتهى. همع الهوامع.

تنبيه: في الآية الكريمة التفات من التكلم في قوله: ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ وانظر الالتفات في الآية رقم [٦/٦] وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

تنبيه: قال أهل التفسير، والأخبار: لما جاء موسى لميقات ربه؛ تطهر، وطهر ثيابه، وصام، ثم أتى طور سيناء، فأنزل الله تعالى ظلة غشيت الجبل على أربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان، وهوام الأرض، ونحى عنه الملكين، وكشط له السماء، فرأى الملائكة قياماً في الهواء، ورأى العرش بارزاً، وأدناه ربه حتى سمع صريف الأقلام على الألواح، وكلمه، وكان جبريل معه، فلم يسمع ذلك الكلام، فاستحلى موسى كلام ربه، فاشتاق إلى رؤيته، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾. وإنما سألها مع علمه بأنها لا تجوز في الدنيا؛ لما هاج به من الشوق، وفاض عليه من أنواع الجلال، واستغرق في بحر المحبة، فعند ذلك سأل الرؤية. انتهى. جمل.

قال البيضاوي: وهو ـ أي سؤال موسى ربه الرؤية ـ دليل على أن رؤيته جائزة في الجملة؛ لأن طلب المستحيل من الأنبياء محال، وخصوصاً ما يقتضي الجهل بالله، ولذلك رده بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ دون لن أُرَى، أو لن تنظر إلي، تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على استعداد في الرائي، ولم يوجد فيه بعد، وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ خطأ؛ إذ لو كانت الرؤية ممتنعة؛ لوجب أن يجهلهم، ويزيح شبههم، كما فعل بهم حين ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا﴾ فقال لهم: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وكما قال لأخيه: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ؛ إذ لا يدل الإخبار عن عدم رؤيته، إياه على ألا يراه أحد أبداً، وألا يراه غيره أصلاً، فضلاً عن أن يدل على استحالتها، ودعوى الضرورة فيه مكابرة، أو جهالة بحقيقة الرؤية. انتهى. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦/١٠٣]. ومعنى ﴿أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: بأنك لا تُرى في الدنيا. وقيل: معناه: وأنا أول المؤمنين من بني إسرائيل. والأول أولى.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: (لما): انظر الآية رقم [١٣٤] وجملة: ﴿جَآءَ مُوسَىٰ﴾ انظر مثيلتها في الآية المذكورة، وما قيل فيها. ﴿لِمِيقَٰتِنَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾: فعل ومفعول به وفاعل، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء منصوب. . .إلخ. وانظر إعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٦٠]. ﴿أَرِنِىٓ﴾: فعل دعاء، مبني على حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والنون للوقاية، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، وياء المتكلم مفعول به أول، والمفعول الثاني محذوف، التقدير: أرني نفسك. ﴿أَنظُرْ﴾: مضارع مجزوم بجواب الطلب، وهو في الأصل مجزوم بشرط محذوف، وفاعله مستتر فيه تقديره «أنا». ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجمل: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ

﴿أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و﴿فَلَمَّا﴾ ومدخولها كلام معطوف على جملة: (واعدنا....) إلخ لا محل لها مثلها. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى (الله). ﴿لَن﴾: حرف نفي، ونصب، واستقبال. ﴿تَرَىٰنِي﴾: مضارع منصوب بـ ﴿لَن﴾، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، واكتفى الفعل به؛ لأنه بصري، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿وَلَٰكِنِ﴾: الواو: حرف عطف. (لكن): حرف استدراك لا محل له. ﴿انظُرْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِلَى الْجَبَلِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿فَإِنِ﴾: الفاء: حرف تفريع. (إن): حرف شرط جازم. ﴿اسْتَقَرَّ﴾: ماض مبني على الفتح في محل جزم فعل الشرط، والفاعل يعود إلى: ﴿الْجَبَلِ﴾. ﴿مَكَانَهُ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَسَوْفَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (سوف): حرف تسويف، واستقبال. ﴿تَرَىٰنِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل تقديره: «أنت»، والنون للوقاية، والياء مفعول به، وهو بصري مثل سابقه، وجملة: ﴿فَسَوْفَ...﴾ إلخ في محل جزم جواب الشرط. والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. و(إن) ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ لَن...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ انظر الآية رقم [١٣٤] لإعراب مثل ذلك. ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ فعل ماض ومفعولاه، والفاعل يعود إلى ﴿رَبُّهُ﴾، والجملة الفعلية جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. (خر): ماض. ﴿مُوسَىٰ﴾: فاعل مرفوع... إلخ، ﴿صَعِقًا﴾: حال من موسى، وجملة: ﴿وَخَرَّ...﴾ إلخ معطوفة على جواب لما لا محل لها مثله ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ...﴾ إلخ انظر إعراب مثل ذلك في الآية رقم [١٣٤] وهو كلام مستأنف لا محل له. ﴿سُبْحَانَكَ﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، والكاف في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله، فيكون المفعول محذوفاً، أو لمفعوله، فيكون الفاعل محذوفاً، والجملة الفعلية الحاصلة منه، ومن فعله المحذوف في محل نصب مقول القول. وهذا عند الخليل، وسيبويه. وقال الكسائي: هو منصوب على أنه نداء مضاف، والأول أقوى. ﴿تُبْتُ﴾: فعل، وفاعل. ﴿إِلَيْكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. (أنا): ضمير رفع منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿أَوَّلُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية في محل نصب حال من تاء الفاعل، والرابط: الواو، والضمير. وقيل: مستأنفة، والأول أقوى.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: اخترتك، والاصطفاء: الاستخلاص، من الصفوة، والاجتباء. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الموجودين في زمانك، وهارون وإن كان رسولاً مثله، كان مأموراً باتباعه، ولم يكن كليماً، ولا صاحب شرع. ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾: بوحيي، وجمعت الرسالة لتنوع أحكامها، وتعاليمها. وقرئ: (برسالتي) بالإفراد. بتكليمي إياك، فيكون مصدراً. ويحتمل أن يراد به التوراة، وما أوحاه الله إليه من قولهم، القرآن كلام الله. وقدم الرسالة على الكلام؛ لأنها أسبق، أو ليترقى إلى الأشراف. هذا؛ و(الكلام) يدل على أحد ثلاثة أمور:

أولها: الحدث الذي يدل عليه لفظ التكليم، فتقول: أعجبني كلامُك زيداً، تريد تكليمك إياه.

وثانيها: ما يدور في النفس من خواطر، وهواجس، وكل ما يعبر عنه باللفظ لإفادة السامع ما قام بنفس المخاطب، فيسمى هذا الذي تخيلته في نفسك: كلاماً في اللغة العربية، تأمل في قول الأخطل التغلبي: [البسيط]

لا يُعْجِبَنَّك مِنْ خَطيبٍ خُطبةٌ ... حتَّى يكونَ مَعَ الكلامِ أصيلَا
إنَّ الكلامَ لَفِي الفؤادِ وإنما ... جُعِلَ اللسانُ على الفؤاد دَليلَا

وثالثها: كل ما تحصل به الفائدة، سواء أكان ما حصلت به لفظاً، أو خطّاً، أو إشارةً، أو دلالةَ حال، انظر إلى قول العرب: (القلمُ أحدُ اللسانين). وانظر إلى تسمية المسلمين ما بين دفتي المصحف: (كلام الله) ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ وإلى قوله جلت حكمته: ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ ثم انظر إلى قول الشاعر الذي نفى الكلام اللفظي عن محبوبته، وأثبت لعينيها القول، وذلك في قوله: [الطويل]

أشَارَتْ بطَرْفِ الْعَيْنِ خِيفةَ أَهْلِها ... إشَارةَ مَحزُونٍ ولَمْ تتكلَّم
فأيْقَنْتُ أنَّ الطرْفَ قدْ قالَ: مَرْحباً ... وأَهْلاً وسهْلاً بالحبيبِ المتيَّمِ

ثم انظر إلى قول نصيب بن رباح: [الطويل]

فعاجُوا فأثْنَوا بالَّذي أنْتَ أهلُهُ ... ولوْ سكَتُوا أَثْنَتْ علَيْكَ الحقائِبُ

وانظر شرح (القول) في الآية رقم [٥]. و﴿كَلِمَتُ﴾ في الآية [١٣٧]. ﴿فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ﴾: ما أعطيتك من الرسالة. ﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: على إنعامي عليك، وفي القصة: أن موسى عليه الصلاة والسلام، كان بعدما كلمه ربه لا يستطيع أحد أن ينظر إليه لما غشي وجهه من النور، ولم يزل على وجهه برقع حتى مات، وقالت له زوجته: أنا لم أرك منذ كلمك ربك، فكشف لها عن وجهه، فأخذها مثل شعاع، فوضعت يدها على وجهها، وخرت ساجدة، وقالت: ادع الله أن يجعلني زوجتك في الجنة، قال: ذلك لك إن لم تتزوجي بعدي، فإن المرأة لآخر أزواجها انتهى. خازن. وانظر الآية رقم [١٠] لشرح ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

الإعراب: ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ﴾: انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٣٤]. ﴿إِنِّى﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿بِرِسَٰلَٰتِى﴾: متعلقان بمحذوف حال من الكاف، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿وَبِكَلَٰمِى﴾: جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿ٱصْطَفَيْتُكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنِّى...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها ﴿فَخُذْ﴾ الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (خذ): فعل أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت». ﴿مَآ﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ءَاتَيْتُكَ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية صلة: ﴿مَآ﴾، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: خذ الذي أو شيئاً آتيتك إياه، وجملة: ﴿فَخُذْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم: التقدير: وإذا كان ذلك واقعاً؛ فخذ. . .إلخ، ومجموع الكلام في محل نصب مقول القول. (كن): أمر ناقص، واسمه مستتر تقديره: «أنت»، ﴿مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: (كن)، وهذه الجملة معطوفة على ما قبلها لا محل لها باعتبار، وهي في محل نصب مقول القول باعتبارٍ آخر. تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ﴾: لموسى، ولقومه. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿فِى ٱلْأَلْوَاحِ﴾: ألواح التوراة، وقد اختلف في عددها، وفي مادتها، فقيل: كانت سبعة. وقيل: عشرة. وقيل: كانت اثنين، طول اللوح اثنا عشر ذراعاً، وكانت من زمرد، أو زبرجد، أو ياقوت أحمر، أو من صخرة صماء لينها الله لموسى يطويها كيف يشاء. ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾: مما يحتاجون إليه من أمر

الدين، والدنيا. وانظر شرح: ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٨٥]. ﴿مَّوْعِظَةً﴾: هي كلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: تبييناً للأحكام وانظر الآية رقم [٥٢]. ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾: خذ الألواح، أو ما فيها من التعاليم والتشريع بجد واجتهاد. هذا؛ وأصل (خذ) أؤخذ، لكن لم يستعمل على الأصل، وحذفت الهمزتان تخفيفاً لاجتماع الضمات، وهذا الحذف واقع في الأمر المأخوذ من (أمر وأكل) فيقال: مر وكل، وقد قالوا: اؤمر واؤخذ، فاستعمل على الأصل، ومنه ﴿وَأْمُرْ﴾ في هذه الآية وفي الآية رقم [١٣٢] من سورة (طه)، والآية رقم [١٧] من سورة (لقمان).

﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾: المراد بأحسن ما فيها، وذلك كالعفو والقَوَد، والصبر على الإيذاء والانتصار من المؤذي، والمأمور به، والمباح، فأمروا أن يأخذوا بما هو أكثر ثواباً، وإن كان فيه مشقة على النفس. هذا؛ وقد قيل: إن (أحسن) بمعنى: (حسن). وانظر (قوم)في الآية رقم [٣٢]. ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها، أو دار عاد وثمود وأضرابهم؛ لتعتبروا فلا تفسقوا. هذا؛ وقد قرئ (سأوريكم) بمعنى: سأبين لكم من أوريت الزند، وقرئ (سأورثكم) ويؤيده نص الآية رقم [١٣٧] هذا؛ وانظر شرح: ﴿دَارِهِمْ﴾ في الآية رقم [٧٨]. ﴿الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين المعاندين. هذا؛ وأصل الفسق: الخروج عن القصد، والفاسق في الشرع: الخارج عن أوامر الله تعالى بارتكاب المعاصي، وله ثلاث درجات.

الأولى: التغابي، وهو أن يرتكب الكبيرة أحياناً مستقبحاً إياها، **والثانية**: الانهماك، وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها، **والثالثة**: الجحود، وهو أن يرتكب الكبيرة مستصوباً إياها، فإذا شارف هذا المقام، وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، ومادام في درجة التغابي، أو الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن؛ لاتصافه بالتصديق، الذي هو مسمى الإيمان. انتهى. بيضاوي.

تنبيه: يفهم من قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ﴾ أن الله تعالى خط التوراة في الألواح بيده، وجاء في حديث النبي ﷺ: «**إنَّ الله خلقَ آدمَ بيدِهِ، وكتبَ التوراةَ بيدِهِ، وغرسَ شجرةَ طوبى بيدِهِ**». وروي أنه لم يحفظ التوراة عن ظهر قلب إلا أربعة نفر: موسى ويوشع بن نون، وعزير، وعيسى على نبينا وعليهم الصلاة والسلام، وذلك لعظم حجمها، وكثرة الأحكام فيها، انظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٥٨] من سورة (البقرة)، والآية رقم [٣١] من سورة (التوبة). هذا؛ وفي قوله ﴿سَأُورِيكُمْ﴾ التفات إلى الخطاب بعد الغيبة، انظر الآية رقم [٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: (كتبنا): فعل، وفاعل. ﴿لَهُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿فِي الْأَلْوَاحِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن كُلِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما على أنهما في محل نصب مفعول به، وإن اعتبرت ﴿مِن﴾ صلة يظهر لك ذلك جلياً، و﴿كُلِّ﴾: مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه.

﴿مَّوْعِظَةً﴾: بدل من محل ﴿مِن كُلِّ﴾. ﴿وَتَفْصِيلًا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لِّكُلِّ﴾: متعلقان بـ (تفصيلاً) لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له، و(كل) مضاف، و﴿شَيْءٍ﴾: مضاف إليه. ﴿فَخُذْهَا﴾: الفاء: حرف عطف وتعقيب. (خذها): أمر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية مقولة لقول محذوف، التقدير: فقلنا له: خذها. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية هذه معطوفة على جملة (كتبنا...) إلخ لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف والثانية بالإتباع، وجملة: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿يَأْخُذُوا﴾: مضارع مجزوم بجواب الأمر، وهو عند الجمهور مجزوم بشرط محذوف، وعلامة الجزم حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها باعتبارها جواباً للطلب، وهي داخلة في مقول القول. ﴿بِأَحْسَنِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿سَأُورِيكُمْ﴾: السين: حرف تنفيس واستقبال. (أريكم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والكاف مفعول به أول. ﴿دَارَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿الْفَاسِقِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والمفعول الثالث محذوف التقدير: خاوية ونحوه، وجملة: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ...﴾ إلخ لا محل لها باعتبارها مستأنفة، وهي داخلة في مقول القول المقدر.

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾

الشرح: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ﴾: المراد بـ: ﴿آيَاتِيَ﴾ ما كتب في ألواح التوراة، أو ما يعمها وغيرها، وهو الأرجح، فمعنى الصرف الطبع على قلوبهم بحيث لا يفهمونها. وقيل: المراد بها: المنصوبة في الأنفس والآفاق، ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ يريد الذين يتجبرون على عبادي، ويحاربون أوليائي سأصرفهم عن قبول آياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي، عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق. انتهى خازن. وانظر شرح: ﴿آيَاتِيَ﴾ في الآية رقم [٩] وشرح: ﴿الْحَقِّ﴾ في الآية رقم [٣٣]. ﴿يَرَوْا﴾: انظر الآية رقم [١٣٨] و[١٤٣] لإعلال مثله.

﴿لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾: لا يصدقوا، ولا يعترفوا بها. وانظر الإيمان في الآية رقم [٢]. ﴿سَبِيلَ﴾: انظر الآية رقم [١٤١]. ﴿الرُّشْدِ﴾: يقرأ بضم الراء وسكون الشين، وبفتحهما، كما يقرأ (الرشاد) والكل بمعنى طريق الحق والهدى والسداد والصواب، وعكسه الغي، ومعنى ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ لا يسلكون طريق الرشاد إلى الهداية، بل يسلكون طريق الضلال والفساد. ﴿ذَٰلِكَ

﴿بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ: أي ذلك الصرف. وقيل: ذلك الذي اختاروه لأنفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب تكذيبهم بآيات الله، وعدم تدبرهم لها والاتعاظ بها، والمعتمد الأول، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿سَأَصْرِفُ﴾: مضارع والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والسين حرف تنفيس واستقبال. ﴿عَنْ ءَايَٰتِيَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والإعراب مثل ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، وجملة: ﴿يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، ﴿بِغَيْرِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أي حال كونهم ملتبسين بالدين غير الحق، و(غير): مضاف، و﴿ٱلْحَقِّ﴾: مضاف إليه. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَرَوْاْ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿كُلَّ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ءَايَةٍ﴾: مضاف إليه. ﴿لَّا﴾: نافية. ﴿يُؤْمِنُواْ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم... إلخ، والواو فاعله. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بـ: «إذا» الفجائية، و(إن) ومدخولها كلام معطوف على جملة الصلة لا محل له مثلها، وإعراب ما بعدها مثلها، والكلام معطوف كله على جملة الصلة. ﴿ذَٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له، والجار والمجرور: ﴿بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ في محل رفع خبره، أي: ذلك الصرف بسبب تكذيبهم، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. هذا؛ وجوز اعتبار: ﴿ذَٰلِكَ﴾ في محل نصب، ثم اختلف في ذلك.

فقال الزمخشري: التقدير: صرفهم الله ذلك الصرف. مفعولاً مطلقاً، أي: مصدراً، وقال ابن عطية، التقدير: فعلنا ذلك. فجعله مفعولاً به، وعلى الوجهين فالباء في ﴿بِأَنَّهُمْ...﴾ إلخ متعلقة بذلك المحذوف. انتهى جمل نقلاً عن السمين، وقد تصرفت فيه. ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا...﴾ إلخ انظر إعراب هذا الكلام بكامله في الآية رقم [١٣٦].

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْأَخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾: أنكروها، ولم يصدقوا بها. وانظر المراد من (الآيات) في الآية السابقة. ﴿ٱلْأَخِرَةِ﴾: انظر الآية رقم [٤٥]. المعنى كذبوا بوجود الآخرة، وما فيها، وأصل (لقاء): (لقاي) فإعلاله مثل إعلال (سماء) في الآية رقم [٩٦]. وانظر إعلال: ﴿بِلِقَآءِ﴾ في الآية رقم [٤٧]. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾: ذهب ثواب أعمالهم لعدم وجود الشرط، وهو الإيمان،

كما أفادته آيات كثيرة في القرآن الكريم. ﴿هَلْ﴾: استفهام بمعنى النفي، أي: ما يجزون إلا ما يستحقون من الثواب، أو العقاب، وهو المراد هنا. هذا؛ وانظر شرح: ﴿يُجْزَوْنَ﴾ في الآية رقم [١٢٠] من سورة (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجملة: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. (لقاء): معطوف على آياتنا مجرور مثله، و(لقاء): مضاف، و﴿الْآخِرَةِ﴾: مضاف إليه، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف، التقدير، ولقائهم الآخرة. ﴿حَبِطَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له. ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾: فاعله، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، أو هي في محل نصب حال من واو الجماعة، و«قد» مقدرة قبلها. ﴿هَلْ﴾: حرف استفهام بمعنى (ما). ﴿يُجْزَوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، وهي المفعول الأول. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، وهي على الأولين مفعول به ثان، وعلى الثالث تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [١٣٩] قال الواحدي: ولا بد من تقدير محذوف، أي: إلا بما كانوا، أو جزاء ما كانوا، قال الجمل قلت: لأن نفس ما كانوا يعملونه لا يجزون بمقابله، وهو واضح. انتهى. نقلاً عن السمين.

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد ذهابه إلى المناجاة. وانظر: ﴿قَوْمُ﴾ في الآية رقم [٣٢] وشرح: ﴿مُوسَىٰ﴾ في الآية رقم [١٠٣]. ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ أي: التي استعاروها من قوم فرعون حين هموا بالخروج من مصر بأمر من موسى عليه السلام فبقي عندهم بعد هلاك فرعون وقومه على سبيل الغنيمة، فلذلك نسبه الله إلى بني إسرائيل، فلما أبطأ موسى عليهم بسبب زيادة الأيام العشرة التي مر ذكرها، جمع السامري ذلك الحلي، وكان رجلاً مطاعاً فيهم، وكان صائغاً، فصاغ لهم ﴿عِجْلًا جَسَدًا﴾ من ذلك الحلي، وألقى في جوفه من تراب أثر فرس جبريل، فتحول عجلاً جسداً. هذا؛ وقد نسب الفعل إلى الجميع مع كون المتخذ واحداً؛ لأنه كان برضاهم، فكأنهم أجمعوا عليه، وسيأتي تفصيل ذلك في سورة طه إن شاء الله تعالى. هذا؛ وأصل: ﴿حُلِيِّهِمْ﴾ (حلويهم) اجتمعت الواو والياء، وسبقت الواو بالسكون، فقلبت ياءً، وأدغمت في الياء، وكسرت اللام لأجل الياء. هذا؛ وقرئ بكسر الحاء، كما قرئ بفتحها وسكون اللام وتخفيف الياء. ﴿لَهُ خُوَارٌ﴾: هذا صوت البقر خاصة، وقد يستعار للبعير،

والخوار: الضعف، قيل: إنه خار مرة واحدة، وقيل إنه كان يخور كثيراً، وكلما خار سجدوا له، وإذا سكت رفعوا رؤوسهم، قيل: كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك. وقيل: كان يخور ويمشي، وسيأتي بسط ذلك في سورة (طه) إن شاء الله تعالى. هذا؛ وقرئ (جوار) وهو الصوت الشديد. ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ...﴾ إلخ، هذا توبيخ للذين عبدوا العجل، والصحيح أن بعضهم عبدوه، وقد خرج الكلام على الأغلب، والمعنى: ألم ينظروا، أو ألم يعلموا حين اتخذوه إلهاً أنه لا يقدر على كلام، ولا على إرشاد، ومن كان كذلك كان جماداً، أو حيواناً ناقصاً عاجزاً لا يصلح للعبادة. وانظر (الكلام) في الآية رقم [١٤٣] و﴿سَبِيلًا﴾ في الآية رقم [١٤٢]. ﴿ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ أي: لأنفسهم حيث أعرضوا عن عبادة الله تعالى، واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن المنكر. هذا؛ وانظر الظلم في الآية رقم [٦/١٤٦] وانظر إعلال: ﴿يَرَوْا۟﴾ في الآية رقم [١٤٣].

الإعراب: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ﴾: فعل، وفاعل، و﴿قَوْمُ﴾: مضاف، و﴿مُوسَىٰ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وإن اعتبرت ﴿مِنۢ﴾ صلة، فيكون ﴿بَعْدِهِۦ﴾ ظرفاً متعلقاً بالفعل قبله، والمعنى لا يأباه، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما أيضاً، وإن اعتبرتهما متعلقين بمحذوف حال من ﴿عِجْلًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً، فلست مفنداً؛ والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿عِجْلًا﴾: مفعول به. ﴿جَسَدًا﴾: بدل مما قبله، والمفعول الثاني محذوف، تقديره: إلهاً. ﴿لَّهُۥ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿خُوَارٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية صفة ﴿جَسَدًا﴾ وقيل: صفة: ﴿عِجْلًا﴾، والأول أقوى عندي؛ لأن الثاني يقتضي أن يكون ﴿جَسَدًا﴾ صفة: ﴿عِجْلًا﴾، واعتباره بدلاً أرجح. ﴿أَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (لم): حرف جازم. ﴿يَرَوْا۟﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم...) إلخ، والواو فاعله. ﴿أَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمْ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول، أو مفعولي الفعل قبله، وجملة: ﴿وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع خبر مثلها، وجملة (اتخذ...) إلخ قال الجمل: عطف قصة على قصة. ولا أرى وجهاً لذلك. فالأولى اعتبارها مستأنفة، وكذلك جملة ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟...﴾ إلخ مستأنفة، أو معترضة بين المؤكَّد والمؤكِّد، وهي جملة: ﴿ٱتَّخَذُوهُ﴾ مع المفعول الثاني المحذوف، وهو (إلهاً) (كانوا): ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿ظَٰلِمِينَ﴾: خبر (كان) منصوب...إلخ، وجملة (كانوا...) إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير، و«قد» قبلها مقدرة؛ لتقرب الماضي من الحال. تأمل، وتدبر وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: كناية عن اشتداد ندمهم، فإن النادم المتحسر يعض يده غمّاً فتصير يده مسقوطاً فيها، وقرئ: (سَقَطَ) بالبناء للفاعل، بمعنى وقع العض فيها. وقيل: معناه: سقط الندم في أنفسهم. وهذا التركيب لم تعرفه العرب، إلا بعد نزول القرآن، وخصت اليد بالذكر؛ لأن مباشرة معظم الذنوب بها، فالملامة ترجع عليها؛ لأنها الجارحة العظمى، فيسند إليها ما لم تباشره، كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ﴾ وانظر: ﴿يَدَهُۥ﴾ في الآية رقم [١٠٨]. ﴿وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ﴾ أي: وأيقنوا: أنهم على الضلالة في عبادتهم العجل. ﴿قَالُواْ﴾: انظر الآية رقم [٥] لشرحه، وإعرابه. ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا﴾ أي: بالتوبة علينا، والعفو عنا. ﴿ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي: غير الرابحين، وأي خسران أعظم من خسارة الجنة، والحرمان من نعيمها الذي لا ينقطع؟!

هذا؛ وقد قيل في تفسير (الخسران): أنه جعل لكل واحد من بني آدم منزل في الجنة، ومنزل في النار، فإذا كان يوم القيامة جعل الله منازل الكفار التي في الجنة للمؤمنين، وجعل منازل المؤمنين التي في النار للكفار، فذلك هو الخسران: هذا؛ وقد قرئ الفعلان: ﴿يَرْحَمْنَا﴾ و(يغفر) بتاء المضارعة. وقرئ: ﴿رَبَّنَا﴾ على النداء. وانظر الآية رقم [٣]. هذا؛ وإعلال (رأوا) مثل إعلال (أتوا) في الآية [١٣٨].

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: (لما): انظر الآية رقم [١٣٤]. ﴿سُقِطَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿فِىٓ أَيْدِيهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل، وعلامة الجر كسرة مقدرة على الياء للثقل، والهاء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالبناء للفاعل، يكون الفاعل مستتراً تقديره: سقط الندم. قاله الزجاج، وقال الزمخشري: سقط العض، وقال ابن عطية: سقط الخسران، والخيبة، وقرأ ابن أبي عبلة: (أسقط) رباعيّاً مبنيّاً للمفعول، والجملة الفعلية: ﴿سُقِطَ...﴾ إلخ انظر محل مثلها في الآية رقم [١٣٣]. (رأوا): ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿أَنَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها، وجملة: ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾ في محل رفع خبر (أنَّ)، و(أنَّ) واسمها، وخبرها في تأويل مصدر في محل نصب سد مسد مفعول، أو مفعولي الفعل (رأوا)، والجملة الفعلية هذه معطوفة على ما قبلها على الوجهين المعتبرين فيها. ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل. ﴿لَئِن﴾: حرف شرط جازم: واللام موطئة لقسم محذوف، تقديره: والله، والجار والمجرور متعلقان بفعل محذوف، تقديره: أقسم. ﴿لَّمْ﴾: حرف جازم. ﴿يَرْحَمْنَا﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَّمْ﴾، و(نا): مفعول به. ﴿رَبُّنَا﴾: فاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية لا محل

لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿وَيَغْفِرْ﴾: مضارع معطوف على ما قبله، وفاعله يعود إلى ربنا. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَنَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، واسمه ضمير مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبره، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب القسم المحذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه، انظر الآية رقم [٩٩]. هذا؛ وعلى قراءة الفعلين بالتاء يكون الفاعل مستتراً تقديره: «أنت»، ويكون ﴿رَبَّنَا﴾ منادى حذف منه حرف النداء، والكلام على القراءتين، وعلى الإعرابين في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب لما لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله في الآية السابقة لا محل له مثله. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ...﴾ إلخ: رجع من طور سيناء. ﴿غَضْبَٰنَ﴾: لما فعلوه من عبادة غير الله، وكان الله سبحانه قد أخبره بذلك قبل رجوعه، كما سيأتي في سورة (طه)، وتعرفه إن شاء الله تعالى. هذا؛ و(رجع) يستعمل لازماً كما في الآية، ومتعدياً، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ...﴾ إلخ. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٠٢]. ﴿قَوْمِهِۦ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿أَسِفًا﴾: قال أبو الدرداء: الأسف: أشد الغضب، وقال ابن عباس، والسدي: الأسف: الحزن، والأسيف: الحزين. قال الواحدي: والقولان متقاربان؛ لأن الغضب من الحزن، والحزن من الغضب، فإذا جاءك ما تكره ممن هو دونك غضبت، وإذا جاءك ما تكره ممن هو فوقك حزنت. انتهى. خازن بتصرف. ﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ أي: بئس الفعل فعلتموه بعد ذهابي إلى مناجاة ربي! وهذا الخطاب يحتمل أن يكون لعبدة العجل من السامري، وأتباعه، أو لهارون، والمؤمنين الذين لم يعبدوا العجل، ويكون المراد: حيث لم تمنعوهم من عبادة غير الله تعالى. هذا؛ وانظر شرح (بئس) في الآية رقم [٤١] الأنفال ﴿أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ أي: أسبقتم بعبادة العجل ما أعطاني ربكم من التوراة التي فيها الهدى، والنور، وظننتم موتي لتأخري عليكم، فغيرتم، وبدلتم.

﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ أي: على الأرض طرحها من شدة الغضب حمية للدين، فتكسرت، وكانت سبعة ألواح، فرفع منها ستة أسباع بسبب الكسر، وبقي سبع واحد، فرفع منها ما كان من أخبار

الغيب، وبقي ما فيها من المواعظ والأحكام والحلال والحرام. وينبغي أن تعلم أن موسى عليه السلام لم يلق الألواح على الأرض، ولم يغضب الغضب الشديد حين أخبره ربه مع تصديقه بذلك كما فعل، وغضب حين عاين ذلك، وشاهده. وهذا كما قيل: ليس الخبر كالمعاينة.

﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾: بشعر هارون. ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾: توهماً بأنه قصر في وعظهم، مع أنه بذل جهده في ذلك، كما تفيده سورة (طه) ولكنهم كانوا قوماً مجرمين، فخاف منهم، لما هددوه وكان أكبر من موسى بثلاث سنين، وكان لطيفاً ليناً، ولذلك كان أحب إلى بني إسرائيل من موسى. ﴿قَالَ ٱبْنَ أُمَّ﴾: ذكر الأم مع كونهما لأب، وأم؛ ليرققه، ويستعطفه عليه، وقرئ: (يا بن أم) كما قرئ (أمي) وانظر أوجه الإعراب: ﴿إِنَّ ٱلْقَوْمَ﴾ أي: الذين عبدوا العجل. ﴿ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى﴾: إزاحة لتوهم التقصير في حقه، والمعنى: بذلت وسعي في وعظهم، ونصحهم، حتى قهروني، وقاربوا قتلي. وانظر شرح: ﴿يَكَادُ﴾ في الآية رقم [٢٠] (البقرة) تجد ما يسرك، وأيضاً رقم [١١٨] (التوبة). ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾: والمعنى: لا تفعل بي ما يسر أعدائي، وأصل الشماتة: الفرح بمصيبة من تعاديه، ويعاديك، يقال: شمت فلان بفلان: إذا سر بمكروه نزل به، وهي من خلق اللئام، وقد نهى النبي ﷺ عنها فقال: «**لا تُظْهِر الشماتَةَ بأخِيكَ، فيعافِيَهُ اللهُ ويبتَلِيَكَ**». وكان يتعوذ منها ويقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ مِن سوءِ القضاءِ، ودَرْكِ الشقاءِ، وشَماتَةِ الأعداءِ**». والفعل: (شَمِتَ، يشمَتُ) من باب سلم، يسلم، وهو في الآية من الرباعي المتعدي بالهمزة، وقرئ بفتح التاء، والميم من الثلاثي، ورفع (الأعداءُ). وانظر شرح: ﴿عَدُوٌّ﴾ في الآية رقم [٢٢]. ﴿وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ أي: لا تجعلني في عِداد الذين عبدوا العجل. وانظر: (الظلم) في الآية رقم [١٤٦] من سورة (الأنعام).

الإعراب: (لمَّا): انظر الآية رقم [١٣٤]. ﴿رَجَعَ﴾: ماض. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: فاعل مرفوع... إلخ. ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿غَضْبَـٰنَ أَسِفًا﴾: حالان من: ﴿مُوسَىٰٓ﴾ ومن لا يجيز تعدد الحال يعتبر: ﴿أَسِفًا﴾ حالاً من الضمير المستتر في: ﴿غَضْبَـٰنَ﴾ لأنه صفة مشبهة، فتكون حالاً متداخلة. وقيل: بدل منه، ولا وجه له، وجملة: ﴿رَجَعَ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. (قال): ماض، وفاعله يعود إلى موسى. (بئس): فعل ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله مستتر. (ما): نكرة موصوفة مبنية على السكون في محل نصب على التمييز، المفسر لفاعل (بئس) المستتر، التقدير: بئس الشيء شيئاً. هذا؛ وجوز اعتبار (ما) اسماً موصولاً مبنيّاً على السكون في محل رفع فاعل بئس. ﴿خَلَفْتُمُونِى﴾: ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم علامة جمع الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية صفة (ما) أوصلتها، والرابط، أو العائد محذوف، والمخصوص بالذم محذوف، وتقدير الكلام: بئس

الخلافة خلافة خلفتمونيها خلافتكم هذه؛ حيث أشركتم. ﴿مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾: متعلقان بما قبلهما. وانظر إعراب: ﴿بِرِسَٰلَٰتِي﴾ وجملة: ﴿بِئۡسَمَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على (ما) قبله لا محل له مثله. ﴿أَعَجِلۡتُمۡ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتوبيخ. (عجلتم): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿أَمۡرَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿رَبِّكُمۡۖ﴾: مضاف إليه، والكاف في محل جر بالإضافة. (ألقى): ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾: مفعول به، وجملة: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله. (أخذ): ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿بِرَأۡسِ﴾: متعلقان به، ورأس مضاف، و﴿أَخِيهِ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره، الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه من الأسماء الخمسة، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَأَخَذَ...﴾ إلخ معطوفة على جواب: (لمَّا)، وجملة: ﴿يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ﴾ في محل نصب حال من فاعل (أخذ)، أو من (رأس أخيه)، وعلى الاعتبارين فالرابط الضمير فقط. ﴿قَالَ﴾: ماض، وفاعله يعود إلى: ﴿أَخِيهِ﴾، ﴿ٱبۡنَ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، و﴿ٱبۡنَ﴾: مضاف، و﴿أُمَّ﴾: مضاف إليه، فعلى قراءته بالكسر يكون مجروراً، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم المحذوفة للتخفيف، وعلى قراءته بالفتح تكون الياء قد قلبت ألفاً، ثم حذفت للتخفيف، والفتحة على الميم دليل عليها، والفتحة حركة إعراب كالكسرة قبل الميم عند الكوفيين، وهي عند البصريين فتحة بناء لتركبهما تركيب خمسة عشر، وكذا الكسرة عندهم كسرة بناء، وعلى قولهم: فليس (ابن) مضافاً لـ (أم)، بل هو مركب معها، وأرجح قول الكوفيين في مثل هذا التركيب. والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلۡقَوۡمَ﴾: اسمها، وجملة: ﴿ٱسۡتَضۡعَفُونِي﴾ في محل رفع خبر ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، وهي بمنزلة جواب لسؤال مقدر. (كادوا): ماض ناقص من أفعال المقاربة مبني على الضم. والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَقۡتُلُونَنِي﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والواو فاعله، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب خبر كاد، وجملة: ﴿وَكَادُواْ...﴾ إلخ في محل رفع معطوفة على خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿فَلَا﴾ الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨] (لا): ناهية. ﴿تُشۡمِتۡ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِيَ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾: مفعول به، وعلى القراءة بفتح التاء والميم فـ: ﴿ٱلۡأَعۡدَآءَ﴾ فاعله، وجملة: ﴿فَلَا...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكرته صحيحاً وواقعاً؛ فلا... إلخ، وهذا الكلام في محل نصب مقول القول. (لا): ناهية. ﴿تَجۡعَلۡنِي﴾: مضارع مجزوم بـ (لا)، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والنون

للوقاية، وياء المتكلم مفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي من جملة مقول القول. ﴿مَعَ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، وهو مضاف، و﴿الْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿الظَّالِمِينَ﴾: صفة ﴿الْقَوْمِ﴾ مجرور مثله، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد.

﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾

الشرح: ﴿قَالَ﴾: انظر الآية رقم [٥]. ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿اغْفِرْ لِي﴾: ما صنعت بأخي، وما فعلت من إلقاء الألواح وذلك لما تبين له عذر أخيه، وسكن غضبه. ﴿وَلِأَخِي﴾ أي: واغفر لأخي تقصيره في عدم منعهم من عبادة العجل، فقد ضمه إلى نفسه في الاستغفار ترضية له، ودفعاً للشماتة عنه. ﴿فِي رَحْمَتِكَ﴾ أي: الواسعة. وانظر الآية رقم [١٥٥]. ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾: ففيه ترغيب في الدعاء؛ لأن أرحم الراحمين تؤمل منه الرحمة، وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته.

الإعراب: ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (موسى). ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء، ويجوز فيه ما جاز في ﴿يَا قَوْمِ﴾ في الآية رقم [٦٠] من أوجه، والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿اغْفِرْ﴾: فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لِي﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. (لأخي): جار ومجرور معطوفان على ما قبلهما، وإعرابهما مثل إعراب: ﴿بِرِسَالَاتِي﴾ في الآية رقم [١٤٤]. (أدخلنا): فعل دعاء مبني على السكون، والفاعل (أنت) و(نا) مفعول به ﴿فِي رَحْمَتِكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة، والجمل كلها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَأَنتَ﴾: الواو: واو الحال. (أنت): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿أَرْحَمُ﴾: خبر المبتدأ، وهو مضاف، و﴿الرَّاحِمِينَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة. . . إلخ، والجملة الاسمية: (أنت. . .) إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير، والاستئناف ممكن، والأول أقوى، تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾

الشرح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾: إلهاً من دون الله. ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾: سيصيبهم، وينزل عليهم، وهذا النيل قد وقع قبل نزول هذه الآية، ووجه الاستقبال فيه: أن هذا الكلام خبر، عما أخبر الله به موسى حين أخبره بافتتان قومه، واتخاذهم العجل، فيكون هذا الكلام من مقول الله

تعالى. وقيل: هذا الكلام من تمام كلام موسى عليه السلام، أخبر الله ـ عز وجل ـ به عنه، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ وكان هذا القول من موسى قبل أن يتوب الله عليهم بقتلهم أنفسهم، فإنهم لما تابوا، وعفا الله عنهم بعد أن جرى القتل العظيم فيهم أخبرهم أن من مات منهم قتيلاً فهو شهيد، ومن بقي حيّاً؛ فهو مغفور له. انتهى. قرطبي. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٤] (البقرة). ﴿رَّبِّهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٣].

﴿وَذِلَّةٌ﴾: فعذبوا بالأمر بقتل أنفسهم، وضربت عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيامة. وانظر الآية رقم [٦١] (البقرة) تجد ما يسرك. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: انظر الآية رقم [٦/٢٩]. ﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾ أي: على الله، ولا فرية أعظم من فريتهم، وهي قولهم: ﴿هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ﴾ ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم، ولا بعدهم.

هذا؛ وقال أبو قلابة: الذلة والله جزاء كل مفتر إلى يوم القيامة! وقال سفيان بن عيينة: هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة. وقال الإمام مالك ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ: ما من مبتدع إلا وهو يجد فوق رأسه ذلك، ثم قرأ هذه الآية، وقال: والمبتدع مفتر في دين الله. وانظر: ﴿نَجْزِي﴾ في الآية رقم [١٢٠] من سورة (الأنعام).

تنبيه: روي أن موسى ـ عليه السلام ـ أمر بذبح العجل، فجرى منه دم، ثم حرقه، ثم ذراه في البحر، كما جاء في سورة (طه): ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، وجملة: ﴿ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد واو الجماعة. ﴿سَيَنَالُهُمْ﴾: مضارع، والسين حرف استقبال، والهاء مفعول به. ﴿غَضَبٌ﴾: فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إن)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول إن كانت من كلام موسى، ومستأنفة إن كانت من مقول الباري، جل علاه. ﴿مِّن رَّبِّهِمْ﴾: متعلقان بـ: ﴿غَضَبٌ﴾ لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له. (ذلة): معطوفة على: ﴿غَضَبٌ﴾. ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ﴾: متعلقان بـ (ذلة)، أو بمحذوف صفة له. ﴿ٱلدُّنْيَا﴾: صفة: ﴿ٱلْحَيَوٰةِ﴾ مجرورة، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر (كذلك) الكاف: حرف تشبيه، وجر، و(ذا): اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالكاف، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نجزي المفترين جزاءً كائناً مثل ذلك الجزاء. ﴿نَجْزِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿ٱلْمُفْتَرِينَ﴾: مفعول به منصوب. . .إلخ، والجملة الفعلية مستأنفة؛ إن كان ما قبلها من كلام موسى، وكذا إن كان من مقول الباري، جل علاه.

﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣﴾

الشرح: ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: من الكفر، والمعاصي. وانظر: ﴿ٱلسَّيِّئَةِ﴾ في الآية رقم [٩٥]. ﴿ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: رجعوا إلى الله بالتوبة من بعد السيئات، و﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾: واشتغلوا بالإيمان، وعملوا بمقتضاه. ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾: الخطاب للرسول ﷺ، أو لكل إنسان تائب. ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: من بعد التوبة. ﴿لَغَفُورٞ﴾: صيغة مبالغة. ﴿رَّحِيمٞ﴾: صيغة مبالغة أيضاً. وانظر الآية [١٥٥]. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿وَءَامَنُوٓاْ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢]. ﴿رَبَّكَ﴾: انظر الآية رقم [٣].

تنبيه: أفادت الآية الكريمة: أن السيئات صغيرها، وكبيرها مشتركة في التوبة، وإن الله تعالى يغفرها جميعاً بفضله، ورحمته، وهذا من أعظم البشائر للمذنبين التائبين. هذا؛ وانظر الآية رقم [١٧] النساء تجد ما يسرك.

الإعراب: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿عَمِلُواْ﴾: ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وجملة: ﴿عَمِلُواْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا﴾ معطوفة على جملة الصلة لا محل لها، وكذا جملة: (آمنوا) مع المتعلق المحذوف معطوفة أيضاً. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿مِنۢ بَعۡدِهَا﴾: متعلقان بما بعدهما على الاشتغال. ﴿لَغَفُورٞ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة. ﴿رَّحِيمٞ﴾: خبر ثان، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والرابط محذوف، التقدير: لغفور لهم، رحيم بهم. هذا؛ وإن اعتبرت الخبر محذوفاً، تقديره: توبتهم مقبولة، فتكون الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ١٥٤﴾

الشرح: ﴿سَكَتَ﴾: سكن، وقرئ به، كما قرئ: (أسكت) ونصب: (الغضبَ). ﴿مُّوسَى﴾: انظر الآية رقم [١٠٢]. ﴿ٱلۡغَضَبُ﴾: تغير مزاج الإنسان، واحمرار عينه، وانتفاخ أوداجه، وهو مذموم إلا إذا كان لله، وهذا شأن الأنبياء، فكانوا لا يغضبون إلا إذا انتهكت حرمات الله.

قال البيضاوي: سكت غضب موسى بسبب اعتذار هارون، أو بتوبتهم. وفي هذا الكلام مبالغة، وبلاغة من حيث إنه جعل الغضب الحامل له على ما فعل، كالآمر به، والمغري عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت. وقال عكرمة: هو من المقلوب، والأصل سكت موسى عن الغضب. ولا وجه له. ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾: ألواح التوراة التي ألقاها على الأرض. ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾: النسخ: عبارة عن النقل والتحويل، فإذا نسخت كتاباً من كتاب حرفاً بحرف، فقد نقلت ما في الأصل إلى الفرع. هذا؛ والنسخ إزالة الصورة عن الشيء، وإثباتها في غيره. وانظر الآية رقم [١٠٦] (البقرة) فقيل: لما تكسرت الألواح صام موسى أربعين يوماً، فردت عليه، وأعيدت تلك الألواح في لوحين ولم يفقد منها شيئاً. ذكره ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ.

وقال عطاء: فيما بقي منها، وذلك: أنه لم يبق منها إلا سبعها، وذهب ستة أسباعها، ولكن لم يذهب من الحدود، والأحكام شيء، وهذا ما ذكرته في الآية رقم [١٥٠]. ﴿هُدًى﴾ أي: من الضلالة. وانظر إعلاله في الآية رقم [٦/٩١]. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ أي: من العذاب. وانظر الآية رقم [١٥٦]. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿يَرْهَبُونَ﴾: يخافون؛ إذ الرهبة الخوف. وانظر لطيفة في الآية رقم [٢٠٣] الآتية.

الإعراب: ﴿وَلَمَّا﴾: (لمَّا): انظر الآية رقم [١٣٤]. ﴿سَكَتَ﴾: ماض. ﴿عَن مُّوسَى﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلْغَضَبُ﴾: فاعله، وعلى قراءة: (أسكت) فالفاعل محذوف، تقديره: (الله)، أو أخوه، أو الذين تابوا. انتهى. بيضاوي، فيكون الغضب بالنصب مفعولاً به، وجملة: ﴿سَكَتَ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً، وجملة: ﴿أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ﴾ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَفِى نُسْخَتِهَا﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿هُدًى﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المقصورة، المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها، والجملة الاسمية في محل نصب حال من الألواح، والرابط: الواو، والضمير. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوف على سابقه. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بـ(رحمة) لأنه مصدر، أو بمحذوف صفة له. ﴿هُمْ﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿لِرَبِّهِمْ﴾: اللام فيها أقوال: الأول قول الكوفيين: هي صلة، وربهم مفعول مقدم مجرور لفظاً منصوب محلاً. وقيل: هي لام التعليل، أي من أجل ربهم، وعلى هذا فمفعول الفعل محذوف، التقدير: يرهبون عقابه، وقال المبرد: اللام متعلقة بمصدر مقدر، أي: رهبتهم لربهم، ورد بأن فيه حذف المصدر وإبقاء معموله، ولا يجوز عند البصريين إلا في الشعر. وقيل: متعلقة بفعل محذوف، تقديره: والذين هم يخشعون لربهم، والمعتمد الأول. وقيل: لما تقدم المعمول، وهو المفعول ضعف الفعل عن العمل، فصار بمنزلة ما لا يتعدى. انتهى. قرطبي، وعكبري

بتصرف. ﴿يَرْهَبُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُمْ لِرَبِّهِمْ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم.

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾

الشرح: ﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٢]. ﴿قَوْمَهُۥ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿رَجُلًا﴾: انظر الآية رقم [٤٦]. ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾ أي: للوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه؛ ليعتذروا من عبادة أصحابهم العجل. وانظر إعلال (ميزان) في الآية رقم [٨] فهو مثله.

روي: أن الله تعالى أمر موسى أن يأتيه بسبعين رجلاً من بني إسرائيل، فاختار من كل سبط ستة، فزاد اثنان، فقال: ليتخلف منكم رجلان، فتشاحوا، فقال: لمن قعد أجر من خرج، فقعد كالب ويوشع، فأمرهم موسى أن يصوموا، ويتطهروا، ويطهروا ثيابهم، ثم خرج بهم إلى طور سيناء لميقات ربه، فلما دنوا من الجبل غشيه غمام، فدخل موسى بهم الغمام، وخروا سجداً، فسمعوا الله يكلم موسى يأمره، وينهاه، ثم انكشف الغمام، فأقبلوا إليه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتهم الرجفة، أي الصاعقة، أو رجفة الجبل، فوقعوا ميتين. وانظر الآية رقم [٥٥] (البقرة) فقام موسى يبكي، ويدعو الله، ويقول: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ...﴾ إلخ، وهذا الميقات غير الميقات المذكور في الآية رقم [١٤٣].

﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾: تمنى هلاكهم، وهلاك نفسه. قبل أن يرى ما رأى، أو المعنى: تقدر على إهلاكنا في كل وقت، ولكنك رحيم بنا، فنرجوا دوام لطفك وإحسانك. وانظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿رَبِّ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿شِئْتَ﴾: انظر الآية رقم [٨٩].

﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾: حيث اجترؤوا على طلب الرؤية، وقيل: المراد بـ: ﴿بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ أي: الذين عبدوا العجل، والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنهم، فغشيتهم هيبة قلقوا منها، ورجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم، وأشرفوا على الهلاك، فخاف عليهم موسى فبكى، ودعا فكشفها الله عنهم، والمعتمد الأول.

﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾: انظر سفاهة في الآية رقم [٦٦]. ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ أي: ما هذا إلا اختبارك وامتحانك، وابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك؛ حتى طمعوا في الرؤية، أو أوجدت في العجل خواراً، فزاغوا به. انتهى بيضاوي.

قال القرطبي: وأضاف الفتنة إلى الله عز وجل، ولم يضفها إلى نفسه، كما قال إبراهيم: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ فأضاف المرض إلى نفسه، والشفاء إلى الله تعالى، وقال يوشع:

﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ وإنما استفاد ذلك موسى ـ عليه السلام ـ من قوله تعالى له: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ﴾. ﴿تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ﴾: تضل بالفتنة من تشاء إضلاله. ﴿وَتَهْدِي مَن تَشَآءُ﴾: تثبت على الإيمان من تشاء له الهدى، والسعادة. ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: متولي أمورنا. وانظر رقم [٣]. ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾: ذنوبنا. ﴿خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: تغفر السيئات، وتبدلها حسنات جوداً، وكرماً. وانظر شرح: ﴿خَيْرُ﴾ في الآية رقم [١٢]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لمَّا) في الآية السابقة لا محل لها مثله. ﴿قَوْمَهُ﴾: منصوب بنزع الخافض، التقدير: من قومه، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، والنصب بنزع الخافض كثير مستعمل في الكلام العربي، قال الفرزدق: [الطويل]

ومِنَّا الَّذِي اخْتِيرَ الرِّجَالَ سَمَاحَةً ... وجُوداً إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزعَازِعُ

﴿سَبْعِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، والنون عوض عن التنوين في المفرد. هذا؛ وبعضهم يعتبر ﴿قَوْمَهُ﴾ مفعولاً به، و﴿سَبْعِينَ﴾ بدلاً منه. وليس بشيء يعتد به. ﴿رَجُلًا﴾: تمييز. ﴿لِّمِيقَٰتِنَا﴾: متعلقان بالفعل: (اختار) و(نا): في محل جر بالإضافة. ﴿فَلَمَّآ﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [١٣٣]. ﴿أَخَذَتْهُمُ﴾: ماض، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، والهاء مفعول به. ﴿ٱلرَّجْفَةُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿مُوسَىٰ﴾. ﴿رَبِّ﴾: منادى حذف منه أداة النداء. وانظر إعراب: ﴿يَٰقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٥٩] فهو مثله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٢٣] فإنه جيد. والجملة الندائية في محل نصب مقول القول. ﴿لَوْ﴾: حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شِئْتَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿أَهْلَكْتَهُم﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب ﴿لَوْ﴾. ﴿مِّن قَبْلُ﴾: متعلقان بما قبلهما، و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر، لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنىً. (إياي): ضمير منفصل مبني على الفتح في محل نصب معطوف على الضمير المنصوب، وهو الهاء، وجملة: ﴿أَهْلَكْتَهُم...﴾ إلخ جواب ﴿لَوْ﴾ لا محل لها، و﴿لَوْ﴾ ومدخولها في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿أَتُهْلِكُنَا﴾: الهمزة حرف استفهام. (تهلكنا): مضارع، والفاعل تقديره: «أنت»، و(نا): مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. الباء: حرف جر. (ما): تحتمل الموصوفة والموصولة والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية بعدها صلتها

أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي أو بشيء فعله السفهاء، وعلى اعتبار (ما) مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: أتهلكنا بفعل السفهاء. ﴿مِنَّآ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿ٱلسُّفَهَآءُ﴾. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي بمعنى (ما). ﴿هِىَ﴾: مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿فِتْنَتُكَ﴾: خبر المبتدأ، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿تُضِلُّ﴾: مضارع، والفاعل (أنت). ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَن﴾: اسم موصول، أو نكرة موصوفة مفعول به، والجملة الفعلية بعدها صلتها أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي أو شخصاً تشاؤه وجملة: ﴿تُضِلُّ...﴾ إلخ في محل نصب حال من تاء الفاعل، أو من الكاف، والرابط الضمير فقط والعامل حرف النفي، أو هي مستأنفة، وهو أقوى؛ لأن حرف النفي ضعيف العمل في الحال، وجملة: ﴿وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ معطوفة عليها، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾: مبتدأ وخبر، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول. ﴿فَٱغْفِرْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨] وجملة: ﴿فَٱغْفِرْ لَنَا﴾ لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء. وجملة: ﴿وَٱرْحَمْنَا﴾: معطوفة عليها، والكلام كله في محل نصب مقول القول. ﴿أَنتَ﴾: مبتدأ. ﴿خَيْرُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْغَٰفِرِينَ﴾: مضاف إليه مجرور... إلخ، والجملة الاسمية: ﴿أَنتَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الفاعل المستتر، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾﴾

الشرح: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾: قال موسى ـ عليه السلام ـ واقسم لنا في هذه الدنيا حسنة، أي: عافية وحياة طيبة وتوفيقاً للطاعات. وانظر الآية رقم [٩٥] وانظر: ﴿حَيَاتِنَا ٱلدُّنْيَا﴾ في الآية رقم [٦/٢٩]. ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي: حسنة، فقد حذفت لدلالة الأولى عليها، والمراد بها هنا الجنة ومغفرة الذنوب. وانظر شرح: ﴿ٱلْءَاخِرَةِ﴾ في الآية رقم [٤٥]. ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾: تبنا إليك من ذنوبنا من: هاد، يهود: إذا رجع، وقرئ بكسر الهاء من: هاده، يهيده: إذا أماله، بمعنى أملنا أنفسنا إليك، وبالمعنى الأول سميت اليهود، وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم، فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم، وهو لازم لهم.

﴿قَالَ﴾ أي: الله. ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ﴾ يعني: من خلقي، وليس لأحد عليَّ اعتراض؛ لأن الكل ملكي، وعبيدي. وقد اختلف في هذا العذاب، فقيل: هو ما أصابهم من الرجفة. وقيل: هو ما أمروا به من قتل بعضهم بعضاً. وقيل: المراد به عذاب جهنم في الآخرة.

﴿قَالَ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿عَذَابِيٓ﴾: انظر الآية رقم [٣٨]. ﴿أُصِيبُ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٦/٢٤]. ﴿أَشَآءُ﴾: انظر الآية رقم [٨٩] هذا؛ وقرئ بالسين من (الإساءة).

﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ أي: عمت، وشملت كل موجود في الدنيا، ما من مسلم، ولا كافر، ولا مطيع، ولا عاص إلا وهو متقلب في نعمة الله، ورحمته في الدنيا، وهي في الآخرة خاصة بالمؤمنين.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «**جعلَ الله الرحمةَ مئةَ جزءٍ، فأمْسَكَ عندَهُ تِسْعةً وتسعِينَ جُزْءاً، وأنزلَ في الأرضِ جُزْءاً واحداً، فمن ذلكَ الجزءِ يَتراحمُ الخلقُ حتَّى تَرْفَعَ الفرسُ حافِرَهَا عنْ وَلَدِهَا خشيةَ أَنْ تُصِيبَهُ**». رواه البخاري. هذا؛ وانظر الآية رقم [٥٦]. ﴿شَيۡءٖ﴾: انظر الآية رقم [٨٥].

قال جماعة من المفسرين: لما نزلت: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ تطاول إبليس إليها، وقال: أنا من ذلك الشيء، فنزعها الله منه، فقال: ﴿فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ...﴾ إلخ فأيس إبليس منها، وقالت اليهود: نحن نتقي، ونؤتي الزكاة، ونؤمن بآيات ربنا، فنزعها الله منهم، وأثبتها لهذه الأمة، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ...﴾ إلخ الآية التالية. ﴿يَتَّقُونَ﴾: انظر الآية رقم [٢٦]. ﴿ٱلزَّكَوٰةَ﴾: انظر الآية رقم [٦] التوبة (آيتنا): انظر الآية رقم [٩]. ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾: انظر الإيمان في الآية رقم [٢]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وفيها التفات من تكلم المفرد إلى تكلم الجمع. انظر الالتفات في الآية رقم [٦] (الأنعام) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَٱكۡتُبۡ﴾: (اكتب): فعل دعاء، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿لَنَا﴾: متعلقان به. ﴿فِي﴾: حرف جر. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل جر بـ(في) والهاء حرف تنبيه لا محل له، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: (حسنة) كان صفة له، انظر القاعدة في الآية رقم [١٤٠]. ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾: معطوفان على ما قبلهما، وجملة: ﴿وَٱكۡتُبۡ...﴾ إلخ معطوفة على جملة: ﴿فَٱغۡفِرۡ...﴾ إلخ فهي من مقول موسى. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿هُدۡنَآ﴾: فعل، وفاعل، أو فعل ونائب فاعله، وذلك جائز على القراءتين، والجملة الفعلية في محل رفع خبر (إنَّ). ﴿إِلَيۡكَ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الاسمية تعليل للدعاء، وهي في محل نصب مقول القول. ﴿قَالَ﴾: ماض، والفاعل يعود إلى (الله). ﴿عَذَابِيٓ﴾: مبتدأ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، وياء المتكلم في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر، أو اسم المصدر لفاعله. ﴿أُصِيبُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر، تقديره: «أنا». ﴿بِهِۦ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مَنۡ﴾: موصولة، أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير:

أشاؤه. وجملة: ﴿أُصِيبُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ. والجملة الاسمية: ﴿عَذَابِيٓ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها؛ لأنها بمنزلة جواب لسؤال مقدر. (رحمتي): مبتدأ مرفوع... إلخ، وجملة: ﴿وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَرَحۡمَتِي...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. (سأكتبها): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، و(ها): مفعول به، والسين حرف استقبال، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَسِعَتۡ...﴾ إلخ فهي في محل رفع مثلها. ﴿لِلَّذِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يَتَّقُونَ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول لا محل لها مثلها، وجملة: ﴿وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر معطوف على سابقه. ﴿هُم﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: متعلقان بما بعدهما. و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية: ﴿بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿هُم...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها.

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾

الشرح: ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ﴾: انظر الآية رقم [٣٥]. ولا شك: أن المراد بالموصوف بهذه الصفات سيد الرسل، وخاتمهم محمد ﷺ. هذا؛ و(النبي) أصله النبيء، وهو مأخوذ من النبأ؛ فهو بمعنى: المخبر عن ربه. والمراد باتباع محمد ﷺ في حق اليهود: أن يعتقدوا نبوته قبل أن يوجد، ويولد، وأن يؤمنوا به بعد أن ولد. وكذا القول في حق النصارى، والأول في حق الأولين منهم، والثاني في حق الذين عاصروه، وأدركوا رسالته.

﴿ٱلۡأُمِّيَّ﴾: هو الذي لا يقرأ، ولا يكتب نسبة إلى الأم، كأنه باق على حالته التي ولد عليها. وهذا الوصف من خصوصياته ﷺ؛ إذ كثير من الأنبياء كان يقرأ ويكتب، وصفه به تنبيهاً على أن كمال علمه مع حاله إحدى معجزاته، وهو وصف ذم إلا في حقه ﷺ فهو وصف تعظيم وتمجيد، ولذا قال تعالى ممتناً عليه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتۡلُواْ مِن قَبۡلِهِۦ مِن كِتَٰبٖ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ﴾.

﴿ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾: انظر الآية رقم [٤٩] (المائدة). ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾: بخلع الأنداد، ومكارم الأخلاق، وصلة الأرحام. ﴿وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾: عن عبادة الأصنام، وقطع

الأرحام. . . إلخ. هذا؛ والمعروف: ما استحسنه الشرع، والعقل. والمنكر: ما استقبحه الشرع، والعقل، والفطرة السليمة.

﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: هي لحوم الإبل وشحم الغنم والمعز والبقر، انظر الآية رقم [١٤٦] الأنعام والآية رقم [١٥٩] (النساء). ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾: لحم الخنزير والربا. . .إلخ، وكل ما يستخبثه الطبع، وتستقذره النفس. وانظر (مُحرَّم) في الآية رقم [٦/١٤٥]. ﴿وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ﴾: ثقلهم. وقيل: هو العهد، وقد جمعت هذه الآية المعنيين، فإن بني إسرائيل قد كان أخذ عليهم عهد أن يقوموا بأعمال ثقال، فوضع عنهم بمحمد ﷺ ذلك العهد، وثقل تلك الأعمال، كغسل البول، وتحليل الغنائم، ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها، فإنهم كانوا إذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه، وإذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء، فأكلتها، وإذا حاضت المرأة لم يقربوها. انتهى قرطبي. وانظر الآية رقم [٢٨٥] (البقرة) تجد ما يسرك. هذا؛ وقد قرئ: (أصارهم). ﴿وَٱلۡأَغۡلَٰلَ﴾: قال القرطبي: فالأغلال عبارة مستعارة لتلك الأثقال.

قال الخازن: وذلك مثل قتل النفس في التوبة، وقطع الأعضاء الخاطئة، وقرض موضع النجاسة في البدن والثوب بالمقراض، وتعيين القصاص في القتل، وتحريم أخذ الدية، وترك العمل في السبت، وأن صلاتهم لا تجوز إلا في الكنائس، وتتبع العروق في اللحم، وغير ذلك من الشدائد التي كانت على بني إسرائيل، شبهت بالأغلال مجازاً؛ لأن التحريم يمنع من الفعل، كما أن الغل يمنع من الفعل. انتهى. ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ﴾ أي: بمحمد ﷺ. ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾: قووه، ونصروه. أو عظموه. أو منعوه من العدو حتى لا يقوى عليه أحد، وأصل العزر المنع، ومنه التعزيز لأنه يمنع من معاودة القبيح، كالحد، فهو المنع. وقرئ الفعل بالتشديد والتخفيف. ﴿ٱلنُّورَ﴾: القرآن سمي نوراً؛ لأن القلب يستنير به، فيخرج من ظلمات الشك، والجهالة إلى ضياء اليقين والعلم. ﴿ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾: الفائزون بكل خير، والناجون من كل شر. وانظر الآية رقم [٣٨] من سورة (المائدة).

تنبيه: عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ وحرزاً للأميين، أنت عبدي، ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍّ، ولا غليظٍ، ولا سخابٍ في الأسواقِ، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتحَ به أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً.

وزاد كعب الأحبار: أمته الحامدون، يحمدون الله في كل منزلة، ويكبرونه على كل نجد، يأتزرون على أنصافهم، ويغضون أطرافهم، صفُّهم في الصلاة، وصفُّهم في القتال سواء،

مناديهم ينادي في جو السماء، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل، مولده مكة، ومهاجره طيبة، وملكه بالشام. هذا؛ ووصفُهُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الإنجيل قريب من هذا، وآية سورة الصف تنص على أن عيسى عليه السلام بشر به. وانظر وصفه في التوراة، والإنجيل في الآية الأخيرة من سورة (الفتح).

الإعراب: ﴿ٱلَّذِينَ﴾: بدل من مثله في الآية السابقة مبني على الفتح في محل جر. وقيل: صفة له. ولا وجه له، أو هو مبني على الفتح في محل نصب بفعل محذوف، تقديره: أعني، أو هو في محل رفع من وجهين: خبر مبتدأ محذوف، التقدير: هم الذين، أو هو مبتدأ خبره جملة: ﴿يَأْمُرُهُم...﴾ إلخ. وجملة: ﴿يَتَّبِعُونَ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي﴾: هذه صفات لموصوف محذوف، التقدير: محمداً الرسول... إلخ، أو اعتبر ﴿ٱلرَّسُولَ﴾ مفعولاً به، وما بعده بدل منه، وجملة: ﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿عِندَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل، أو بـ: ﴿مَكْتُوبًا﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، ﴿فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من الضمير المنصوب، فهي حال متكررة، أو من الضمير المستتر في ﴿مَكْتُوبًا﴾ فتكون حالاً متداخلة. ﴿وَٱلْإِنجِيلِ﴾: معطوف على سابقه. ﴿يَأْمُرُهُم﴾: مضارع، والفاعل يعود إلى الرسول، والهاء مفعول به. ﴿بِٱلْمَعْرُوفِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ على وجه رأيته، أو هي في محل نصب حال من الضمير المنصوب السابق، فهي حال مكررة، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَيَنْهَىٰهُمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر مثل سابقه. ﴿عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلهما على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وكذا الجُمَل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾، ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ كلها معطوفة عليها. ﴿وَٱلْأَغْلَٰلَ﴾: معطوف على ما قبله، عطف مغاير، أو مرادف على حسب ما رأيت في الشرح. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب صفة (الأغلال). ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث حرف لا محل له، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هي». ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان) وجملة: ﴿كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد رجوع اسم ﴿كَانَتْ﴾ عليه. ﴿فَٱلَّذِينَ﴾: الفاء: حرف استئناف. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ءَامَنُوا۟﴾: ماض مبني على الضم، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓا۟﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿بِهِۦ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، والجُمَل: ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ﴾ كلها معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، وإعرابها واضح إن شاء الله تعالى. ﴿ٱلَّذِيٓ﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب

صفة ﴿ٱلنُّورَ﴾. ﴿أُنزِلَ﴾: ماض مبني للمجهول، ونائب الفاعل يعود إلى ما قبله. ﴿مَعَهُۥٓ﴾: ظرف مكان متعلق بما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أُنزِلَ مَعَهُۥٓ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد رجوع نائب الفاعل إليه. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾: خبر المبتدأ، وإن اعتبرت ﴿هُمُ﴾ مبتدأ ثانياً ف: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ خبره مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والجملة الاسمية: ﴿هُمُ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا الخطاب للرسول ﷺ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾: في هذا الكلام دليل على عموم رسالة محمد ﷺ إلى كافة الخلق؛ لأن قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ خطاب عام يدخل فيه جميع الناس، ثم أمره تعالى بأن يقول: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ يقتضي: أنه مبعوث إلى جميع الناس.

فعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلْتُ على الأنبياءِ بستةٍ: أُعْطِيتُ جوامعَ الكلمِ، ونُصِرْتُ بالرعبِ، وأُحِلَّتْ لِيَ الغنائمُ، وجُعِلَتْ لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأرْسِلْتُ إلى الخلقِ كافةً، وخُتِمَ بي النبيون**». رواه مسلم. ﴿ٱلنَّاسُ﴾: انظر شرحه في الآية رقم [٨٢]. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [٦/١]. ومن كان مالك السموات والأرض، فهو جدير بأن يعبد، ويتضرع إليه. ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: فهذا تقرير لوحدانيته تعالى، واختصاصه بالتعظيم، والتبجيل. ﴿ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية السابقة. ﴿ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾: فهو وصف للنبي المذكور.

والمراد بـ: (كلماته) القرآن العظيم، والتوراة. أو عيسى، عليه السلام، فيكون فيه تعريض لليهود، وتنبيه على أن من لم يؤمن به؛ لم يعتبر إيمانه صحيحاً، وفي قوله تعالى: ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ مزيد اختصاص بوحدانية الله؛ لأنه لا يقدر على الإحياء، والإماتة غيره تعالى. وانظر شرح: ﴿كَلِمَتُ﴾ في الآية رقم [١٣٧]. ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾: فيه تنبيه على أن من صدق محمداً ﷺ، ولم يتابعه بالتزام شرعه، والعمل بهديه؛ فهو لا يزال في حيز الضلالة.

﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: توفقون للخير بجميع أنواعه. وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٦٣]. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

تنبيه: لم يقل: فآمنوا بالله وبي بعد قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ لتجري عليه الصفات التي أجريت عليه سابقاً، لما في الالتفات من مزية البلاغة، وليعلم: أن الذي وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي؛ الذي يؤمن بالله، وكلماته كائناً من كان، أنا أو غيري، إظهاراً للنصفة، وتفادياً من العصبية لنفسه. انتهى نسفي. وانظر الالتفات في الآية رقم [٦] (الأنعام) فإنه جيد.

الإعراب: ﴿قُلْ﴾: أمر، فاعله مستتر تقديره: «أنت». (يا): حرف نداء ينوب مناب أدعو (أيها): منادى نكرة مقصودة، مبني على الضم في محل نصب بأداة النداء، و(ها): حرف تنبيه لا محل له. وأقحم للتوكيد، وهو عوض عن المضاف إليه. ﴿النَّاسُ﴾: بدل من: (أي). وقيل: صفة لها، وبدل المنصوب محلاً منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الإتباع اللفظية، وإنما أتبعت ضمة البناء مع أنها لا تتبع؛ لأنها وإن كانت ضمة بناء لكنها عارضة، فأشبهت ضمة الإعراب، فلذا جاز إتباعها. أفاده العلامة الصبان لأنه قال: والمتجه وفاقاً لبعضهم: أن ضمة التابع إتباع، لا إعراب، ولا بناء. وقيل: إن رفع التابع المذكور إعراب، واستشكل بعدم المقتضي للرفع، وأجيب بأن العامل يقدر من لفظ عامل المتبوع، مبنيّاً للمجهول، نحو: يُدعى وهو مع ما فيه من التكلف يؤدي إلى قطع المتبوع. وقيل: إن رفع التابع المذكور بناء لأن المنادى في الحقيقة هو المحلى بـ (أل)، لكن لما لم يمكن إدخال حرف النداء عليه، توصلوا إلى ندائه بـ (أي)، أي مع قرنها بهاء التنبيه. ورده بعضهم بأن المراعى في الإعراب اللفظ، وأن الأول منادى، والثاني تابع له، والإعراب السائد الآن أن تقول، مرفوع تبعاً للفظ. والجملة الندائية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿إِنِّي﴾: حرف مشبه بالفعل، وياء المتكلم اسمها. ﴿رَسُولُ﴾: خبر (إنَّ)، و(هو) مضاف، و﴿اللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِلَيْكُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال مما قبلها، التقدير: مرسلاً إليكم. ﴿جَمِيعًا﴾: حال من الكاف والميم، فهي حال مؤكدة، ومتداخلة. والجملة الاسمية: ﴿إِنِّي...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿الَّذِي﴾: بدل من لفظ الجلالة، أو صفة له، أو هو منصوب بفعل محذوف، أو هو مبتدأ خبره ما بعده، فهو مبني على السكون في محل جر، أو في محل نصب، أو في محل رفع حسب ما رأيت. ﴿لَهُ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُلْكُ﴾: مبتدأ مؤخر، وهو مضاف، و﴿السَّمَاوَاتِ﴾: مضاف إليه. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله، والجملة الاسمية: ﴿لَهُ مُلْكُ...﴾ إلخ صلة الموصول لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية للجنس تعمل عمل «إن». ﴿إِلَٰهَ﴾: اسم (لا) مبني

على الفتح في محل نصب، والخبر محذوف، تقديره: موجود. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر لا محل له. ﴿هُوَ﴾: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: كونه بدلاً من اسم (لا) على المحل؛ إذ محله الرفع على الابتداء. وثانيها كونه بدلاً من: ﴿لَآ﴾ وما عملت فيه؛ لأنها، وما بعدها في محل رفع بالابتداء، وثالثها كونه بدلاً من الضمير المستكن في الخبر المحذوف. وهو الأقوى. والجملة الاسمية: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ بدل من جملة الصلة قبلها لا محل لها مثلها على الوجهين الأولين في ﴿ٱلَّذِى﴾ وفي محل رفع خبره على الوجه الثالث فيه. ﴿يُحْىِۦ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء، منع من ظهورها الثقل، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهِ﴾، والجملة الفعلية يقال فيها ما قيل في الجملة الاسمية قبلها، وجملة: ﴿وَيُمِيتُ﴾ معطوفة على ما قبلها. ﴿فَـَٔامِنُوا۟﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (آمنوا): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿بِٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَرَسُولِهِ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة ﴿ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى﴾ انظر محل هذه الأسماء، وإعرابها في الآية السابقة، وجملة: ﴿يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه، وجملة: ﴿فَـَٔامِنُوا۟...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا كان ما ذكر واقعاً؛ فآمنوا، والجملة الشرطية هذه مستأنفة، لا محل لها، وجملة: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾ معطوفة على جملة: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ...﴾ إلخ لا محل لها مثلها. ﴿لَعَلَّكُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها، والميم علامة جمع الذكور. ﴿تَهْتَدُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لعلَّ)، والجملة الاسمية مفيدة للتعليل لا محل لها.

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

الشرح: ﴿قَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿مُوسَىٰٓ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿أُمَّةٌ﴾: انظر الآية رقم [٣٤]. ﴿يَهْدُونَ﴾ أي: يرشدون الناس إلى الحق. وانظر الآية رقم [٣٣] لشرح الحق. ﴿وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ أي: يحكمون بالحق، والعدل بين الناس. هذا؛ ويجيء هذا الفعل بمعنى الميل، وهو بهذا المعنى يكون أحد الأفعال التي يتغير معناها بتغير الجار، تقول: عدلت عنه، بمعنى: أعرضت عنه، وتقول: عدلت إليه، بمعنى: أقبلت عليه. وانظر الآية رقم [١٢٧] (النساء). هذا؛ وقد يجيء هذا الفعل محتملاً لمعنى الميل، ومعنى التسوية، وذلك كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ الآية رقم [١] (الأنعام) فإن اعتبرت الجار والمجرور: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلقين بـ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ كان المعنى: إن الكفار يسوون الأصنام بربهم. وإن اعتبرتهما متعلقين بالفعل (كفروا) كان: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بمعنى يميلون، والمعنى: إن الكفار يميلون، وينحرفون عن إفراد الله بالوحدانية. وانظر الآية رقم [٩٨] من سورة (المائدة).

تنبيه: لقد اختلف في هؤلاء القوم، فقيل: هم الذين أسلموا من اليهود، على عهد رسول الله ﷺ. مثل عبد الله بن سلام، وأصحابه، رضي الله عنهم. وأطلق لفظ الأمة عليهم، وإن كانوا قليلينَ، كما أطلق على إبراهيم ـ عليه السلام ـ منفرداً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ وقيل: هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قبل التحريف والتبديل، ودعوا الناس إليه.

قال البيضاوي: والمراد بها: الثابتون على الإيمان، القائمون على الحق من أهل زمانه، أتبع ذكرهم أضدادهم على ما هو عادة القرآن تنبيهاً على أن تعارض الخير، والشر، وتزاحم أهل الحق، والباطل أمر مستمر. انتهى. هذا؛ وقد ذكر القرطبي والخازن قصة من قبيل الخرافات، وقد فندها الخازن، وتركها القرطبي مسلمة. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَمِن قَوْمِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، و﴿قَوْمِ﴾: مضاف، و﴿مُوسَىٰٓ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿أُمَّةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿يَهْدُونَ﴾: فعل، وفاعل، والمفعول محذوف، تقديره: الناسَ، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿أُمَّةٌ﴾. ﴿بِالْحَقِّ﴾: متعلقان بمحذوف حال من واو الجماعة، أي: ملتبسين بالحق. (به): جار ومجرور متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية (يعدلون به) معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع صفة مثلها.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ﴾: وصيرناهم، وفرقناهم. ويقرأ الفعل بتشديد الطاء، وتخفيفها. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾: أنث العدد مع أن السبط مذكر؛ لأن بعده ﴿أُمَمًا﴾ فذهب التأنيث إلى الأمم. هذا؛ وقد قيل: أراد بالأسباط القبائل والفرق، فلذا أنث العدد. ولا تنس: أن ﴿أَسْبَاطًا﴾ جمع التكسير، وجمع التكسير يؤنث فعله، ويذكر، وكذا عدده. وانظر شرح: ﴿عَشْرَةَ﴾ في الآية رقم [٩٢] (المائدة). انظر شرح (الأسباط) في الآية رقم [١٤٠] (البقرة) والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، عليهما السلام، وقد جعلهم الله أسباطاً ليكون أمر كل سبط معروفاً من جهة رئيسهم، فيخفف الأمر على موسى، انظر الآية رقم [١٢] (المائدة). ﴿أُمَمًا﴾: جمع أمة. وانظر الآية رقم [٣٤].

﴿مُوسَىٰ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣]. ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾: وكان هذا في التيه المذكور في الآية رقم [٢٩/٥] وانظر هذا. الاستسقاء في الآية رقم [٦٠/٢] وشرح هذه الكلمات بكاملها، مع إبدال الفعل هناك: ﴿فَٱنفَجَرَتْ﴾ بما ذكر هنا، وهما بمعنى واحد، وكلاهما مطاوع للفعل المحذوف. وانظر شرح: ﴿قَوْمُهُۥٓ﴾ في الآية رقم [٣٢]. ﴿بِعَصَاكَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٧]. ﴿عَيْنًا﴾: انظر الآية رقم [١١٦]. ﴿أُنَاسٍ﴾ انظر الآية رقم [٨٢] والمراد به كل سبط من الأسباط، أي: علموا بالعلم الذي خلقه الله في عقولهم. وانظر العلم، والمعرفة في الآية رقم [٦٢] (الأنفال). ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ...﴾ إلخ: ما أجدرك أن تنظر شرح ذلك مفصلاً في الآية رقم [٥٧] (البقرة) وذلك بغية الاختصار. وانظر: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾ في الآية رقم [١١٧].

الإعراب: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾: (قطعناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به أول، والميم علامة جمع الذكور. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلْنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿ٱثْنَتَىْ﴾: مفعول به ثان. وقيل: حال والأول أقوى، فهو منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه ملحق بالمثنى، ﴿عَشْرَةَ﴾: مبني على الفتح لا محل له من الإعراب، لوقوعه موقع نون المثنى، ولا يصح أن يقال: إنه مضاف إليه لتضمنه معنى العطف. ﴿أَسْبَاطًا﴾: بدل مما قبله. وقيل: تمييز. ﴿أُمَمًا﴾: على الاعتبار الأول فيما قبله، فهو بدل بعد بدل، أو صفة لأسباطاً، وعلى الاعتبار الثاني فهو بدل من ﴿أَسْبَاطًا﴾، وجملة: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ﴾ معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع. ﴿إِذِ﴾: ظرف لما مضى من الزمان، مبني على السكون في محل نصب متعلق بما قبله، وكسرت الذال لالتقاء الساكنين. ﴿ٱسْتَسْقَىٰهُ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والهاء في محل نصب مفعول به. ﴿قَوْمُهُۥٓ﴾: فاعل، الهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذِ﴾ إليها. ﴿أَنِ﴾: حرف تفسير. وقيل: حرف مصدري. ﴿ٱضْرِب﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها مفسرة للإيحاء، وعلى اعتبار الثاني في (أنْ) تؤول مع الفعل بمصدر في محل جر بحرف جر محذوف، التقدير: بضربك الحجر، أو ضربك الحجر، وهو تقدير لا معنى له على الوجهين. ﴿بِّعَصَاكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ٱلْحَجَرَ﴾: مفعول به. (انبجست): ماض، والتاء للتأنيث. ﴿مِنْهُ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱثْنَتَا﴾: فاعل مرفوع، وعلامة رفعه الألف... إلخ، و﴿عَشْرَةَ﴾ مثل سابقه. ﴿عَيْنًا﴾: تمييز، وجملة: (انبجست...) إلخ معطوفة على جملة محذوفة؛ إذ التقدير: فضرب، فانبجست... إلخ، والجملتان معطوفتان على جملة: ﴿ٱسْتَسْقَىٰهُ...﴾ إلخ، فهي في محل جر مثلها. ﴿قَدْ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿عَلِمَ كُلُّ﴾: فعل، وفاعل، والفعل بمعنى: (عرف) هنا، و(كل) مضاف، و(أناس): مضاف إليه. ﴿مَّشْرَبَهُمْ﴾: مفعول به، والهاء في محل جر بالإضافة،

والميم علامة جمع الذكور، وجملة: ﴿قَدْ عَلِمَ...﴾ إلخ مستأنفة، أو هي في محل نصب حال من: ﴿قَوْمِهِۦٓ﴾ وهي تحتاج إلى تقدير رابط، أي: علم كل أناس منهم. . .إلخ. ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ...﴾ إلخ، انظر إعراب هذا الكلام إفراداً، وجملاً في آية (البقرة) رقم [٥٧] مع ملاحظة الخطاب هناك، والغيبة هنا. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾

الشرح: ﴿قِيلَ لَهُمُ﴾: القائل لهم موسى قبل أن يموت في التيه، أي: قال لهم: إذا خرجتم من التيه، أو القائل لهم: هو يوشع بن نون بعد أن خرجوا من التيه، وفي سورة (البقرة) ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وانظر إعلال: ﴿قِيلَ﴾ في الآية رقم [٥/١٠٤]. ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾، وفي سورة (البقرة) ﴿ٱدْخُلُوا۟﴾ ولا منافاة بينهما؛ لأن كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول إليه. ﴿هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾: بيت المقدس، أو أريحاء. وانظر الآية رقم [٨٨]. ﴿حَيْثُ﴾: انظر الآية رقم [٢٧]. ﴿شِئْتُمْ﴾: انظر: ﴿يَشَآءُ﴾ في الآية رقم [٨٩]. (قولوا): انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿حِطَّةٌ﴾ أي: حط عنا خطايانا. ﴿سُجَّدًا﴾: سجود انحناء، لا سجوداً شرعيّاً بوضع الجبهة على الأرض. ﴿نَّغْفِرْ﴾: يقرأ بالنون، وبالتاء مع البناء للمجهول. ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾: ويقرأ: (خطاياكم) و(خطيئتكم) بالإفراد. ﴿سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ أي: خيراً وثواباً. وانظر (زاد) في الآية رقم [٦٩]. والمحسنون هم الذين أحسنوا العمل مع الله ومع عباده. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

تنبيه: الآية الكريمة، والآية رقم [٥٨] من سورة (البقرة) بمعنى واحد تنصان على حادثة واحدة، مع اختلاف في بعض التراكيب، وإبدال حرف بحرف، وهذا لا يغير المعنى، وإن تغير الإعراب من بعض الوجوه، تأمل. والله أعلم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف استئناف. (إذ): ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بفعل محذوف، أو هو مفعول به لذلك المحذوف، التقدير: واذكر وقت القول لهم. ﴿قِيلَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿لَهُمُ﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾: أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿ٱسْجُدُوا۟﴾ في الآية رقم [١١]. ﴿هَٰذِهِ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل نصب مفعول به. ﴿ٱلْقَرْيَةَ﴾: بدل أو عطف بيان مما قبله. وقيل: صفة. وانظر إعراب: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ في الآية رقم [١٩] فإنه جيد. والجملة الفعلية: ﴿ٱسْكُنُوا۟...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وبعضهم يعتبرها في محل رفع نائب فاعل: ﴿قِيلَ﴾. وهذا على رأي من يجيز

وقوع الجملة فاعلاً، ويكون جارياً على القاعدة في بناء الفعل للمجهول يحذف الفاعل، ويقام المفعول مقامه. وهذا لا غبار عليه. وقيل: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره: قيل القول. فالأقوال ثلاثة في مثل هذا التركيب، وجملة: ﴿قِيلَ...﴾ إلخ في محل جر بإضافة (إذ) إليها. (كلوا): هو مثل ﴿ٱسْكُنُوا۟﴾. ﴿مِنْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿حَيْثُ﴾: ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب متعلق بالفعل: (كلوا). ﴿شِئْتُمْ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، وجملة: ﴿وَكُلُوا۟...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها على جميع الوجوه المعتبرة فيها، وكذا ما بعدها معطوف أيضاً. ﴿حِطَّةٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي أمرنا أو مسألتنا ﴿حِطَّةٌ﴾، وقرئ بالنصب على أنه مفعول مطلق بفعل محذوف، التقدير: حط عنا خطايانا حطةً، أو هو مفعول لما قبله، والجملة الاسمية على الاعتبار الأول، أو الفعلية على الاعتبار الثاني في محل نصب مقول القول. ﴿ٱلْبَابَ﴾: انظر إعراب: ﴿ٱلْجَنَّةَ﴾ في الآية رقم [١٩] فهو مثله. ﴿سُجَّدًا﴾: حال من واو الجماعة. ﴿نَّغْفِرْ﴾: مضارع مجزوم؛ لأنه جواب للطلب، والفاعل مستتر تقديره: «نحن». ﴿خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، وعلى قراءة: (تُغفَر) بالتاء، فهو مبني للمجهول، وخطاياكم نائب فاعله، مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والجار والمجرور: ﴿لَكُمْ﴾ متعلقان بالفعل قبلهما، وجملة: ﴿نَّغْفِرْ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها جواب للطلب. (سنزيد): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والسين حرف استقبال. ﴿ٱلْمُحْسِنِينَ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الفعلية: ﴿سَنَزِيدُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾

هذه الآية هي نفس الآية المذكورة في سورة (البقرة) برقم [٥٩] فهي مثلها في شرحها وإعرابها، مع إبدال ﴿فَأَنزَلْنَا﴾ بـ ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾، ولا منافاة بينهما؛ لأنهما لا يكونان إلا من أعلى إلى أسفل. وقيل: بينهما فرق، وهو أن الإنزال لا يشعر بالكثرة، والإرسال يشعر بذلك، فكأنه تعالى بدأ بإنزال العذاب قليلاً، ثم أرسله عليهم كثيراً. انتهى خازن. هذا؛ ومع إبدال ﴿يَفْسُقُونَ﴾ بـ ﴿يَظْلِمُونَ﴾ والجمع بين اللفظين: أنهم لما ظلموا أنفسهم بما غيروا، وبدلوا؛ فسقوا بذلك، وخرجوا عن طاعة الله تعالى. وانظر (الظلم) في الآية رقم [٦/١٤٦] وانظر شرح (غير) في الآية رقم [٢] من سورة (التوبة).

﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾: الخطاب للرسول ﷺ والمسؤولون هم اليهود الذين كانوا معاصرين له، والغاية من السؤال: التقريع، والتوبيخ بقديم كفرهم، وعصيانهم، والإعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم إلا بتعليم، أو وحي؛ ليكون ذلك معجزة له ﷺ. ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ أي: عن أهل القرية، أو عن خبر القرية فهو على حذف مضاف، على حد قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ وانظر شرح: ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾ في الآية رقم [٨٨]. ﴿ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾: قريبة منه، وهي إيلة، ويسميها اليهود إيلات، وهي مرفأ على البحر الأحمر. وقيل: هي مدين. وقيل: طبرية، والمعتمد الأول. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾: يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت، وقرئ (يُعدُّون) بضم الياء، وتشديد الدال، أي: يعدون آلات الصيد يوم السبت، وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة. ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٣٥]. ﴿يَوْمَ سَبْتِهِمْ﴾: يوم تعظيمهم أمر السبت، مصدر سبتت اليهود: إذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة. وقيل: هو اسم لليوم والإضافة لاختصاصهم بأحكام فيه، ويؤيد الأول: أنه قرئ: (يوم إسباتهم) وانظر شرح اليوم في الآية رقم [٦/١٢٨] و﴿شُرَّعًا﴾ ظاهرة على وجه الماء. ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾: لا يدخلون في السبت، وقرئ الفعل بفتح ياء المضارعة، وضمها. ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم﴾: نختبرهم مثل ذلك الاختبار الشديد. ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾: بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن طاعة الله تعالى. هذا؛ وإتيان الحيتان يوم السبت، وعدم إيتانها في غيره هو الابتلاء، والاختبار. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وانظر ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ في الآية رقم [١٤٥].

الإعراب: ﴿وَسْئَلْهُمْ﴾: الواو: حرف استئناف. (اسألهم): أمر، وفاعله مستتر، تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. وقال الجمل: معطوفة على جملة (اذكر) المقدرة في الآية السابقة. ﴿عَنِ ٱلْقَرْيَةِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿ٱلَّتِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفة: ﴿ٱلْقَرْيَةِ﴾. ﴿كَانَتْ﴾: ماض ناقص، والتاء للتأنيث، واسمها ضمير مستتر تقديره: «هي». ﴿حَاضِرَةَ﴾: خبر (كان)، وهو مضاف، و﴿ٱلْبَحْرِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿كَانَتْ...﴾ إلخ صلة الموصول، والعائد رجوع اسم (كان) إليه. ﴿إِذْ﴾: ظرف لما مضى من الزمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بـ ﴿كَانَتْ﴾، أو بـ ﴿حَاضِرَةَ﴾. وقيل: متعلق بالمضاف المحذوف. وقال مكي: متعلق بالفعل السابق، التقدير: سلهم عن أهل القرية وقت عدوانهم في السبت. وجوز اعتباره بدلاً من

المضاف المحذوف. ﴿إِذْ﴾: ظرف مثل سابقه متعلق بالفعل قبله، أو هو بدل بعد بدل. أفاده البيضاوي. ﴿تَأْتِيهِمْ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والهاء مفعول به. ﴿حِيتَانُهُمْ﴾: فاعل، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿يَوْمَ﴾ مضاف، و﴿سَبْتِهِمْ﴾: مضاف إليه. والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿شُرَّعًا﴾: حال من ﴿حِيتَانُهُمْ﴾ وجملة: ﴿تَأْتِيهِمْ...﴾ إلخ وجملة: ﴿يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ﴾ كلتاهما في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿يَوْمَ﴾: معطوف على ما قبله، وجملة: ﴿لَا يَسْبِتُونَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿يَوْمَ﴾،إليها، وجملة: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط الضمير فقط، وتقدير الكلام: ويوم عدم سبتهم غير آتية إليهم.

هذا؛ وقال أبو البقاء: ﴿يَوْمَ﴾ظرف متعلق بما بعده، وهذا يعني: أن التركيب (ولا تأتيهم يوم لا يسبتون) وهو معنى صحيح لا بأس به، ولكن الأول أقوى. ﴿كَذَٰلِكَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، وتقدير الكلام: نبلوهم بلاء آخر مثل ذلك البلاء بسبب فسقهم المستمر. وأجاز الزجاج احتمالاً آخر على بعد: أن الكاف في محل نصب حال من فاعل ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾، وعليه فالوقف على كذلك، وما بعده مستأنف، وعلى الإعراب الأول فالوقف على: ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾. ﴿نَبْلُوهُم﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه الضمة مقدرة على الواو للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بِمَا﴾ الباء: حرف جر. (ما): مصدرية لا غير. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص مبني على الضم، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَفْسُقُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر (كان)، و(ما) المصدرية، والفعل بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، انظر التقدير في الشرح، وجملة: ﴿نَبْلُوهُم...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾

الشرح: قالت: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿أُمَّةٌ﴾: جماعة. وانظر الآية رقم [٣٤]. ﴿لِمَ﴾: كلمة مؤلفة من حرف، واسم، فالحرف اللام، والاسم (ما) الاستفهامية، وقد حذفت ألفها، كما تحذف مع كل جار، نحو قوله تعالى: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾. ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾، ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وذلك للفرق بين الموصولة، والاستفهامية. ويقال: للفرق بين الخبر، والاستخبار. ﴿تَعِظُونَ﴾: تنصحون، وإعلاله مثل إعلال: ﴿تَجِدُ﴾ في الآية رقم [١٧] وانظر (الموعظة) في الآية رقم [١٤٥]. ﴿قَوْمًا﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿مُهْلِكُهُمْ﴾ أي: في

الدنيا، وقد كان ذلك؛ حيث مسخوا قردة، وخنازير. ﴿مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ أي: في الآخرة. ﴿مَعْذِرَةً﴾: نعتذر بها إلى الله، ويقرأ بالنصب، والرفع. ﴿رَبِّكُمْ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿يَتَّقُونَ﴾: انظر (التقوى) في الآية رقم [٢٦]. وانظر: ﴿عَذَابًا﴾ في الآية رقم [٣٨].

تنبيه: لقد اختلف المفسرون: هل كان أهل القرية فرقتين، أو ثلاثاً؟ والمعتمد الثاني: فرقة اعتدت، وأصابت الخطيئة، وفرقة نهت المعتدية عن ذلك، وفرقة أمسكت عن الصيد، وسكتت عن الموعظة، وقالوا للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ...﴾ إلخ. أي: لاموهم على موعظة المعتدين. كما اختلفوا في الفرقة التي أمسكت عن الصيد، ولم تنه: هل نجت، أم هلكت؟

روى عكرمة عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: أسمع الله يقول ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة، وجعل يبكي، قال عكرمة: فقلت: جعلني الله فداك، ألا تراهم قد أنكروا، وكرهوا ما هم عليه، وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ وإن لم يقل: أنجيتهم، لم يقل: أهلكتهم، قال: فأعجبه قولي، ورضي به، وأمر لي ببردين فكسانيهما، وقال: نجت الساكتة، وقال ابن زيد: نجت الناهية، وهلكت الفرقتان. انتهى. خازن بتصرف. والمعتمد الأول.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: معطوفة على: ﴿إِذْ﴾ الأولى في الآية السابقة. ﴿قَالَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث. ﴿أُمَّةٌ﴾: فاعله والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿مِنْهُمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ﴿أُمَّةٌ﴾. ﴿لِمَ﴾ اللام: حرف جر، و(ما) اسم استفهام مبني على السكون في محل جر باللام. وانظر حذف ألفها في الشرح، والجار والمجرور متعلقان بالفعل بعدهما. ﴿تَعِظُونَ قَوْمًا﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿اللَّهُ﴾: مبتدأ. ﴿مُهْلِكُهُمْ﴾: خبر، والهاء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية في محل نصب صفة: ﴿قَوْمًا﴾. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿مُعَذِّبُهُمْ﴾: معطوف على ما قبله، والهاء في محل جر بالإضافة، وهذه الإضافة فيه وفي سابقه من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿عَذَابًا﴾: مفعول مطلق، عامله اسم الفاعل قبله. ﴿شَدِيدًا﴾: صفته. ﴿قَالُوا﴾: فعل، وفاعل. ﴿مَعْذِرَةً﴾: بالرفع خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: موعظتنا معذرة، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول، وبالنصب من وجهين: أحدهما: أنه مفعول لأجله، أي وعظناهم من أجل المعذرة. الثاني: أنه مفعول مطلق بفعل محذوف، أي: نعتذر معذرة، وعلى هذين الوجهين ينتج جملة فعلية، فهي في محل نصب مقول القول. وجوز وجه ثالث، وهو أن ينتصب انتصاب المفعول به؛ لأن المعذرة تتضمن كلاماً، والمفرد المتضمن لكلام إذا وقع بعد القول؛ نصب نصب المفعول به، كقلت: خطبة، وسيبويه يختار الرفع، قال: لأنهم لم يريدوا أن يعتذروا اعتذاراً مستأنفاً، ولكنهم قيل لهم: لم تعظون؟ فقالوا: موعظتنا معذرة. ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾: متعلقان

بـ ﴿مَعۡذِرَةً﴾ أو بمحذوف صفة لها والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ انظر إعراب مثلها في الآية رقم [١٥٨] والجملة الاسمية معطوفة على: ﴿مَعۡذِرَةً﴾ فهي مفيدة للتعليل مثلها. تأمل. وتدبر وربك أعلم.

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾

الشرح: ﴿نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾: تناسوا، وتركوا ما وعظهم به صلحاؤهم. وانظر الآية رقم [٦/٤٤]. ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ أي: عن عمل السوء، وهو صيد السمك. وانظر ما ذكرته في الآية السابقة. وانظر الآية رقم [٧٣]. ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾: أهلكنا المعتدين بالصيد بعذاب شديد بسبب فسقهم، ومخالفة أوامر ربهم. وانظر (الظلم) في الآية رقم [٦/١٤٤] وعذاب في الآية رقم [٣٨]. ﴿بَـِٔيسِۭ﴾: شديد من: بؤس بؤسا: إذا اشتد، وفيه أكثر من عشر قراءات. وانظر (نا) في الآية رقم [٧] وإعلال: ﴿يَنۡهَوۡنَ﴾ مثل إعلال: ﴿تَحۡيَوۡنَ﴾ في الآية رقم [٢٥].

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف استئناف. (لمَّا): انظر الآية رقم [١٣٤]. ﴿نَسُواْ﴾: فعل، وفاعل. والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾ في الآية رقم [٥]. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿ذُكِّرُواْ﴾: ماض مبني للمجهول. والواو نائب فاعله. ﴿بِهِۦٓ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية صلة (ما)، أو صفتها، والعائد، أو الرابط الضمير المجرور محلاً بالباء، وجملة: ﴿نَسُواْ...﴾ إلخ لا محل لها على اعتبار (لمَّا) حرفاً، وفي محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على اعتبارها ظرفاً. ﴿أَنجَيۡنَا﴾: فعل، وفاعل. وانظر إعراب: ﴿وَجَعَلۡنَا﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به. ﴿يَنۡهَوۡنَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿أَنجَيۡنَا...﴾ إلخ جواب (لمَّا) لا محل لها، وجملة: ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ معطوفة على جواب (لمَّا)، لا محل لها أيضاً. ﴿بِعَذَابِۭ﴾: متعلقان بالفعل: (أخذنا). ﴿بَـِٔيسِۭ﴾: صفة: (عذاب). ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ انظر إعراب هذه الكلمات في الآية رقم [١٦٢] مع سبك المصدر وجره، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (أخذنا). و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف، لا محل له.

﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾

الشرح: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ﴾: تكبروا عن الموعظة، والنصيحة. وانظر الآية رقم [٧٧]. وانظر إعلال (أتوا): في الآية رقم [١٣٨]. ﴿قُلۡنَا لَهُمۡ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿كُونُواْ

قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾: صاغرين، وهذا الأمر أمر تكوين لا قول، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾. والظاهر يقتضي أن الله تعالى عذبهم أولاً بعذاب شديد، فعتوا بعد ذلك، فمسخهم، ويجوز أن تكون الآية تقريراً، وتفصيلاً للأولى، وهو المعتمد.

تنبيه: ذكر الله تعالى هذه الحادثة باختصار في سورة (البقرة) رقم [٦٥] و[٦٦] وبالإشارة إليها في سورة (النساء) رقم [٤٧] وبالتعرض لها في سورة (المائدة) رقم [٨١] وفصلها الحكيم العليم في الآيات الأربع المتقدمة تفصيلاً، وكانت هذه الحادثة في زمن داود، عليه السلام. هذا؛ وقد قرئ: (قَرِدة) بفتح القاف، وكسر الراء، و(خاسين) بدون همزة، وذلك في سورة (البقرة) ولم يتعرض أحد لهذه القراءة هنا.

قال أهل التفسير: أمر الله اليهود بتعظيم يوم الجمعة، واتخاذه يوم عبادة، وراحة، فأبوا، واختاروا يوم السبت، فابتلوا به. والسبب في ذلك: أنهم كانوا يزعمون: أن الله ابتدأ الخلق في يوم الأحد، وفرغ منه في يوم الجمعة، فزعموا: أن الله استراح في يوم السبت. تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فشدد الله عليهم، فأمرهم بتعظيمه، ونهاهم عن كل عمل فيه، فلما أراد الله، أن يبتليهم كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت، ينظرون إليها في البحر كالجمال، فإذا انقضى السبت ذهبت، فلم تر إلى السبت المقبل، فوسوس إليهم الشيطان، وقال: إنكم نهيتم عن الأخذ، فاتخذوا حياضاً على ساحل البحر، وسوقوا إليها الحيتان يوم السبت، فإذا كان يوم الأحد فخذوها، ففعلوا ذلك زماناً، ثم إنهم تجرؤوا على السبت، وقالوا: ما نرى السبت إلا قد حل لنا، فاصطادوا وأكلوا وباعوا، فصار أهل القرية أحزاباً ثلاثة، وكانوا نحواً من سبعين ألفاً، انظر الآية رقم [١٦٣]. قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بينهم بجدار، للناهين باب يدخلون ويخرجون منه، وللعاصين باب، ولعنهم داود عليه الصلاة والسلام، فأصبح الناهون ذات يوم، ولم يخرج من المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم لشأناً، لعل الخمر قد غلبتهم، فَعَلَوْا على الجدار الذي بينهم، فإذا هم قد مسخوا قردة.

وقال قتادة: صار الشبان قردة، والشيوخ خنازير، ففتحوا عليهم الباب، ودخلوا، فصار القردة يعرفون أنسابهم من الناس، ولم يعرف الناس أقرباءهم من القردة، فجعلت القردة تأتي أقرباءها من الناس، فتشم ثيابها وتبكي، فيقول لهم أقرباؤهم: ألم ننهكم؟ فتقول القردة برأسها نعم. وانظر (الناجين) في الآية رقم [١٦٥] والجمهور على أن الممسوخين ماتوا بعد ثلاثة أيام.

الإعراب: ﴿فَلَمَّا﴾: الفاء: حرف عطف. لما: انظر الآية رقم [١٣٤]. ﴿عَتَوْاْ﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق. وانظر ما ذكرته في جملة: ﴿نَسُواْ...﴾ إلخ في الآية السابقة. ﴿عَن مَّا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و﴿مَّا﴾ تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل

جر. ﴿نُهُوا عَنْهُ﴾ مثل: ﴿ذُكِّرُوا بِهِۦ﴾ في الآية السابقة، إعراباً ومحلاً وعائداً وجملة: ﴿قُلْنَا لَهُمْ...﴾ إلخ جواب (لمَّا)، لا محل لها، و(لمَّا) هذه ومدخولها كلام معطوف على مثله في الآية السابقة لا محل له مثله. ﴿كُونُوا﴾: أمر ناقص مبني على حذف النون، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿قِرَدَةً﴾: خبر: ﴿كُونُوا﴾. ﴿خَٰسِـِٔينَ﴾: خبر ثان. وقيل: صفة: ﴿قِرَدَةً﴾، وقيل: حال من واو الجماعة منصوب... إلخ، وجملة: ﴿كُونُوا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾﴾

الشرح: ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾: أعلم، تفعل من الإيذان بمعناه كالتوعد والإيعاد، والخطاب للنبي ﷺ. هذا؛ وقيل: إن معنى الفعل السابق: آلى ربك، ولذا أجيب بما يجاب به القسم، كما ستعرفه، واختلف في الضمير في: ﴿عَلَيْهِمْ﴾، والمعتمد: أنه يعم اليهود الذين بقوا بعد داود وسليمان، عليهما السلام، ثم فسدوا وفسقوا. ﴿يَوْمِ﴾: انظر الآية رقم [١٢٨] (الأنعام). ﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: انظر الآية رقم [١٢] منها. ﴿مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾: من يذيقهم أشد العذاب، والمراد بختنصر، حيث خرب ديارهم، وقتل رجالهم، وسبى نساءهم، وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدونها إلى المجوس، ثم إلى ملوك الروم؛ حتى بعث محمد ﷺ، ففعل بهم ما فعله غيره، ثم ضرب عليهم الجزية، ولكن في هذه الأيام حين تفرق المسلمون، وصاروا شيعاً وأحزاباً ودويلات استطاع اليهود أن يقيموا دولة بمساعدة أوربا وأمريكا تتحدى جميع المسلمين في الدنيا. ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي: لمن أصر على الكفر، ففيه دليل على أن الله يجمع لهم مع ذلة الدنيا عذاب الآخرة. ﴿وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي: لمن آمن منهم، ورجع عن الكفر، واليهودية، ودخل في دين الإسلام. ﴿لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾: صيغتا مبالغة من الغفران والرحمة، انظر ما ذكرته في الآية رقم [١٥٥].

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): مفعول به لفعل محذوف، أو هو ظرف منصوب بالفعل المحذوف، التقدير: واذكر يا محمد وقت إيذان ربك، أي: إعلامه، والجملة المقدرة معطوفة على جملة: (اسألهم...) إلخ في الآية رقم [١٦٣]. ﴿تَأَذَّنَ﴾: ماض. ﴿رَبُّكَ﴾: فاعله، والكاف في محل جر بالإضافة والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والفاعل مستتر تقديره: «هو» والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب ﴿تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ المتضمن معنى القسم، واللام واقعة في جواب هذا القسم. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَىٰ يَوْمِ﴾: متعلقان بالفعل: (يبعثن) أيضاً، و﴿يَوْمِ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: مضاف إليه.

﴿مَن﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يَسُومُهُمْ﴾: مضارع، والهاء مفعول به أول، والفاعل يعود إلى: ﴿مَن﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿سُوٓءَ﴾: مفعول به ثان، وهو مضاف، و﴿ٱلْعَذَابِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿رَبَّكَ﴾: اسمها، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿لَسَرِيعُ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، واللام هي المزحلقة، و(سريع) مضاف، و﴿ٱلْعِقَابِ﴾: مضاف إليه، من إضافة الصفة المشبهة لفاعلها؛ إذ التقدير: لسريعٌ عقابُهُ. والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ رَبَّكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها، وإعراب ما بعدها ظاهر، لا خفاء فيه. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ...﴾ إلخ: أي: فرقناهم في الأرض بحيث لا يخلو قطر منهم، وذلك لإضعافهم، وإذلالهم، حتى لا تكون لهم شوكة، ولا عزة، ولا كرامة، وقد صار لهم في هذا الزمن دولة، وسلطان. انظر ما ذكرته في الآية السابقة. وانظر: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ﴾ في الآية رقم [١٦٠]. وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ﴿أُمَمًا﴾: جماعات جمع: أمة. وانظر الآية رقم [٣٤]. ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ أي: يوجد جماعة منهم متمسكون بشريعة موسى ـ عليه السلام ـ حتى بعث عيسى عليه السلام. وقيل: المراد بهم الذين أدركوا بعثة محمد ﷺ، وآمنوا به. والصحيح الأول، يدل عليه الآية اللاحقة؛ لأن الخلف إنما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم الله بالصلاح. ﴿وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي: منحطون عن الصالحين، وهم الذين كفروا، وفسقوا، وبدلوا، وحرفوا.

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: اختبرناهم بالنعم والنقم، والخير والشر، كقوله تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أي: اختباراً، وامتحاناً، فالمؤمن يشكر في الخير والنعماء، ويصبر في الشر، والضراء. والكافر، والفاجر، والفاسق يزداد كفراً، وفجوراً في الأولين، ويضجر ويزداد فساداً في الأخيرين. وانظر شرح (الحسنة) و(السيئة) في الآية رقم [٩٥]. ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: ينتبهون فيرجعون إلى الطاعة، ويتركون المعاصي. وانظر (رجع) في الآية رقم [١٥٠] وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [٢٦].

الإعراب: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا﴾: إعراب هذه الجملة انظره في الآية رقم [١٦٠]. والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وهو أولى من العطف على ما قبلها. ﴿مِّنْهُمُ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿ٱلصَّٰلِحُونَ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، والجملة الاسمية في محل نصب صفة: ﴿أُمَمًا﴾. وقيل: بدل. والأول أوجه. ما تقدم هو الإعراب

الظاهر، والأصح: أن مضمون الجار والمجرور ﴿مِّنْهُمُ﴾ مبتدأ، و﴿الصَّالِحُونَ﴾ هو الخبر؛ لأن (مِنْ) الجارة دالة على التبعيض، أي: بعضهم الصالحون، وجمع الضمير يؤيد ذلك، ويؤيده عطف: (كثير) عليه في الآية رقم [٦٩] (المائدة) وعطف: (أكثرهم) عليه في الآية رقم [١١٠/٣]. وخذ قول الحماسي: [الكامل]

مِـنْـهُـمْ لُـيُـوثٌ لا تُـرَامُ وبَـعْـضُـهُـمْ مِـمَّـا قَـمِـشْـتَ وضَـمَّ حَـبْـلُ الْـحَـاطِـبِ

حيث قابل لفظ: ﴿مِّنْهُمُ﴾ بما هو مبتدأ، أعني: لفظة: (بعضهم) وهذا مما يدل على أن مضمون ﴿مِّنْهُمُ﴾ مبتدأ. ﴿مِّنْهُمُ﴾: قل فيه ما قلته في سابقه، والمبتدأ أو الخبر محذوف، تقديره: ناس. ﴿دُونَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة: (ناس) المحذوف، على حد قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي: ما منا أحد إلا له مقام معلوم. والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وقول أبي البقاء: ﴿دُونَ ذَٰلِكَ﴾ ظرف، أو خبر على ما ذكرنا في الآية رقم [٩٤/٦] لا وجه له قطعاً. و﴿دُونَ﴾: مضاف، و(ذلك) اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب، لا محل له. (بلوناهم): فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما. (السيئات): معطوف على سابقه. ﴿لَعَلَّهُمْ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿يَرْجِعُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: (لعلَّ)، والجملة الاسمية تعليل للابتلاء، لا محل لها.

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾

الشرح: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أي: جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم، وقسمناهم إلى القسمين خلف، وهو القرن، أو الجيل الذي بعد ما قبله، والخلف بسكون اللام يستعمل في الشر كما في آية مريم رقم [٥٩] وبفتحها في الخير، وقال البيضاوي: ﴿خَلْفٌ﴾ مصدر نعت به، ولذلك يقع على الواحد، والجمع. هذا؛ وخذ قول لبيد، رضي الله عنه: [الكامل]

ذَهَـبَ الَّـذِيـنَ يُـعَـاشُ فـي أكـنـافِـهِـمْ وَبـقِـيـتُ فـي خَـلْـفٍ كـجـلْـدِ الأَجْـرَبِ

وقال ﷺ: «**يحمِلُ هذا العلم مِنْ كلِّ خلَفٍ عُدولُهُ**». وقد يتعاوضان، فيستعمل كل منهما موضع الآخر، قال حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ مستعملاً ساكن اللام في الخير: [الطويل]

لـنـا الـقَـدمُ الأولـى إلـيـكَ وخـلْـفَـنَـا لأَوَّلِـنَـا فـي طَـاعَـةِ الله تَـابـعُ

وقال آخر مستعملاً مفتوح اللام في الشر: [الرجز]

إنـا وجـدْنَـا خَـلَـفـاً بـئـسَ الـخـلَـفْ أغـلَـقَ عـنَّـا بـابَـهُ ثـم حَـلَـفْ
لا يُـدخـلُ الـبـوابُ إلَّا مَـنْ عَـرفْ عَـبْـداً إذا مـا نـاءَ بـالـحـمـلِ وَقَـفْ

انتهى قرطبي بتصرف. وانظر مثل هذا التعاوض في الآية رقم [٥] (الأنعام). ولا تنس: أن (خلف) ظرف مكان بمعنى (وراء). ﴿وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ أي: التوراة، فقرؤوها وعلموها، وخالفوا أحكامها، انظر شرح الكتاب في الآية رقم [٢]. ﴿يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: يأخذون حطام الدنيا الحقير الفاني، وهو ما كانوا يأخذونه من الرشا في الحكم، وغيره، والتنديد بهذا كثير في القرآن الكريم. هذا؛ و(العرض) متاع الدنيا بفتح الراء، وبإسكانها ما كان من المال سوى الدراهم والدنانير، سمي عرضاً؛ لأنه متعرض للزوال. وانظر شرح: ﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿وَيَقُولُونَ﴾: يقول المحرفون والمبدلون من علماء اليهود. وانظر (القول) في الآية رقم [٥]. ﴿سَيُغۡفَرُ لَنَا﴾ أي: لا يؤاخذنا الله بذلك، ويتجاوز عنا. وانظر الآية رقم [٢٠] من سورة (المائدة).

﴿وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ أي: يرجون المغفرة، مصرين على الذنوب، غير تائبين منها. وانظر (أتى) في الآية رقم [٣٥]. وانظر: ﴿مِّثۡلَ﴾ في الآية رقم [٩٤] (الأنعام). ﴿مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ﴾: المعنى ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكام العهود، والمواثيق في الكتاب، وهو التوراة. وانظر مثل إعلال ميثاق في الآية رقم [٨]. ﴿أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾: ولكنهم تركوا الحق. وقالوا: الباطل، وحرفوا وبدلوا. ﴿ٱللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿ٱلۡحَقَّ﴾: انظر الآية رقم [٣٣]. ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ﴾ أي: قرؤوا ما في التوراة من عهود، ومواثيق، ولكن أهملوا العمل بما درسوا وعلموا، فكانوا كالحمير التي تحمل الكتب، وما نفعها منها؟! انظر سورة (الجمعة). هذا؛ وقرئ (وادَّارسوا ما فيه). هذا؛ وقال بعضهم: معنى درسوا محوا ما فيه بترك العمل به، والفهم له. وانظر الآية رقم [١٠١] البقرة والآية رقم [١٨٧/ ٣]. ﴿وَٱلدَّارُ﴾: انظر الآية رقم [٧٨]. ﴿ٱلۡأٓخِرَةُ﴾: انظر الآية رقم [٤٥]. ﴿أَفَلَا﴾: انظر الآية رقم [٦٥]. ﴿تَعۡقِلُونَ﴾: تفهمون وتعلمون. وانظر شرح العقل في الآية رقم [٢٢/ ٨] فإنه جيد. هذا؛ ويقرأ الفعل بتاء المضارعة على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، انظر الالتفات في الآية رقم [٦/ ٦] فإنه جيد كما يقرأ بالياء. ﴿خَيۡرٞ﴾: انظر الآية رقم [١٢]. ﴿يَتَّقُونَۗ﴾: انظر التقوى في الآية رقم [٢٦] هذا؛ ومعنى ﴿وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ...﴾ إلخ أي الذي أعده الله في الآخرة لأوليائه، وأهل طاعته، العاملين بما أمرهم الله به في كتابه، ولم يغيروا ولم يبدلوا، ولم يرتشوا في الأحكام خير لهم من الدنيا، وما فيها.

تنبيه: قال القرطبي: وهذا الوصف الذي ذم الله تعالى به هؤلاء موجود فينا، فعن معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ قال: سَيَبلى القرآنُ في صُدور أقوامٍ، كما يَبْلى الثوبُ، فيتَهافتُ، يَقْرؤونَهُ

لا يجدون لَهُ شهوةً، ولا لَذةً، يلبسونَ جلودَ الضأنِ على قلوبِ الذِّئابِ، أعمالهم طمعٌ، لا يُخالِطُهُ خوفٌ، إنْ قصَّروا؛ قالوا: سنبَلِّغ، وإنْ أساؤوا؛ قالوا: سيُغفر لنا، إنَّا لا نشركُ بالله شيئاً. انتهى. فهو موقوف على الصحابي. أسنده الدارمي.

الإعراب: ﴿فَخَلَفَ﴾: الفاء: حرف عطف. (خَلَف): ماض. ﴿مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾: متعلقان بما قبلهما، أو هما متعلقان بمحذوف حال من: ﴿خَلۡفٌ﴾ كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً. ﴿خَلۡفٌ﴾: فاعل، والجملة الفعلية معطوفة على: (قطعناهم...) إلخ في الآية السابقة لا محل لها مثلها. ﴿وَرِثُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق. وانظر إعراب: ﴿قَالُوٓاْ﴾: في الآية رقم [٥] والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿خَلۡفٌ﴾. ﴿ٱلۡكِتَٰبَ﴾: مفعول به. ﴿يَأۡخُذُونَ﴾: فعل، وفاعل. ﴿عَرَضَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿هَٰذَا﴾ اسم إشارة مبني على السكون في محل جر بالإضافة، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾: بدل من اسم الإشارة، أو عطف بيان عليه. وقيل: صفته، وجملة: ﴿يَأۡخُذُونَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الضمير فقط. (يقولون): فعل، وفاعل. ﴿سَيُغۡفَرُ﴾: مضارع مبني للمجهول، والسين مفيدة للتوكيد على زعمهم، ولا معنى للاستقبال هنا، ولا سيما إذا عرفت: أن الجملة مع القول في محل نصب حال. ﴿لَنَا﴾: متعلقان بمحذوف في محل رفع نائب فاعل. وقيل: نائب الفاعل يعود إلى مفهوم الجملة السابقة، أي سيغفر لنا الأخذ، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. وجملة: ﴿وَيَقُولُونَ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب حال مثلها. (إن): حرف شرط جازم. ﴿يَأۡتِهِمۡ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والهاء مفعول به. ﴿عَرَضٌ﴾: فاعله. ﴿مِّثۡلُهُۥ﴾: صفة: ﴿عَرَضٌ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿يَأۡتِهِمۡ...﴾ إلخ ابتدائية لا محل لها، ويقال: لأنها جملة شرط غير جازم. ﴿يَأۡخُذُوهُۚ﴾: مضارع جواب الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذا الفجائية، و(إنْ) ومدخولها في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير. وهذا يشكل؛ لأن (إنْ) الشرطية للاستقبال، إلا أن يقال: إن الاستقبال غير مراد هنا، والحال متداخلة. ﴿أَلَمۡ﴾ الهمزة: حرف استفهام، وتقرير، وتوبيخ. (لم): حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يُؤۡخَذۡ﴾: مضارع مبني للمجهول مجزوم بـ: (لم). ﴿عَلَيۡهِم﴾: متعلقان به. ﴿مِّيثَٰقُ﴾: نائب فاعل، وهو مضاف، و﴿ٱلۡكِتَٰبِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ...﴾ إلخ معترضة بين المتعاطفين كما ستعرفه. (أنْ): حرف مصدري، ونصب. (لا): نافية. ﴿يَقُولُواْ﴾: مضارع منصوب بـ (أن) وعلامة نصبه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق. ﴿عَلَى ٱللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿ٱلۡحَقَّ﴾: منصوب، وجاز ذلك؛ لأن قول الحق كثير، و(أن) والمضارع في تأويل مصدر في محل رفع بدل، أو عطف بيان من

﴿مِيثَٰقُ﴾. أو هو في محل جر بحرف جر محذوف. التقدير: بأن لا، أو لئلا يقولوا... إلخ، وهناك وجه غريب، وبعيد نقله الجمل عن السمين، وهو أنَّ (أن) مفسرة، و(لا) ناهية، والفعل مجزوم لا منصوب. (درسوا): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على جملة: ﴿وَرِثُواْ...﴾ إلخ. وقال الجلال، وتبعه الجمل: إنها معطوفة على جملة: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ...﴾ إلخ. والمعتمد الأول. ﴿مَا﴾: موصولة أو موصوفة مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿فِيهِۗ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة: ﴿مَا﴾ أو بمحذوف صفته، التقدير: درسوا الذي كتب فيه، أو شيئاً كائناً فيه. ﴿وَٱلدَّارُ﴾: الواو: حرف استئناف. (الدار): مبتدأ. ﴿ٱلْأَخِرَةُ﴾: صفته. ﴿خَيْرٌ﴾: خبره، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿لِّلَّذِينَ﴾: متعلقان بـ ﴿خَيْرٌ﴾، وجملة: ﴿يَتَّقُونَۗ﴾ مع المفعول المحذوف صلة الموصول لا محل لها ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ في الآية رقم [٦٥].

﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾

الشرح: ﴿يُمَسِّكُونَ﴾: يقرأ بالتشديد، والتخفيف، ماضي الأول: مسَّك، وماضي الثاني: أمْسَك، وفي المختار: أمسك بالشيء، وتمسك، واستمسك، وامتسك به كله بمعنى: اعتصم به، وكذا مسَّك به تمسيكاً. انتهى. ﴿بِٱلْكِتَٰبِ﴾: المراد به التوراة، فلم يحرفوه، ولم يبدلوه، فأداهم هذا التمسك إلى الإيمان بالكتاب الثاني، وهو القرآن. والمراد بالتمسك بالكتاب: العمل بما فيه من إحلال حلاله، وتحريم حرامه، وإقامة أحكامه. ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾: داوموا على إقامتها في مواقيتها، وإنما أفردها بالذكر، وإن كانت داخلة في التمسك بالكتاب تنبيهاً على عظم قدرها، وأنها من أعظم العبادات بعد الإيمان بالله، ورسوله. وانظر الآية رقم [٣/ ٨] الآتية. ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾: الذين أصلحوا أنفسهم، وعملهم، فثوابهم، وأجرهم يقدم إليهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

تنبيه: نزلت الآية الكريمة في الذين أسلموا من أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وأصحابه رضي الله عنهم، فتمسكوا بالتوراة فأداهم ذلك إلى الإسلام.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. وقيل: في محل جر معطوف على ما قبله، والمعتمد الأول، وجملة: ﴿يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ صلة الموصول لا محل لها، والعائد الواو، وجملة: ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ معطوفة عليها لا محل لها مثلها، وقد اختلفتا مضارعاً، وماضياً. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها، وقد حذفت نونها للتخفيف، وجملة: ﴿لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ في محل رفع خبر (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر المبتدأ، والرابط: إقامة الظاهر، وهو: ﴿ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ مقام

الضمير؛ إذ مقتضى القياس: (إنا لا نضيع أجرهم) أو هناك ضمير محذوف، التقدير: أجر المصلحين منهم. هذا؛ وعلى اعتبار عطف (الذين) على سابقه، فالجملة الاسمية: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾

الشرح: ﴿نَتَقْنَا﴾: قلعنا، ورفعنا، وأصل النتق: الجذب. هذا؛ والنتق قلع الشيء من موضعه والرمي به، ومنه نتق ما في الجراب إذا نفضه فرمى به، وامرأة ناتق ومنتاق إذا كانت كثيرة الولادة، قال الرسول ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بزواجِ الأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَنْتَقُ أَرْحَاماً، وأَطْيَبُ أفْواهاً، وأرْضَى بالْيَسيرِ**». ﴿ٱلْجَبَلَ﴾: جبل الطور للتصريح به في الآية رقم [٦٣] (البقرة). ﴿ظُلَّةٌ﴾: سقيفة فوقهم. ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾: علموا وأيقنوا: أنه ساقط عليهم، فالظن ليس على بابه هنا. ﴿بِقُوَّةٍ﴾: بجد واجتهاد وصدق عزيمة، ولا بد من تقدير «قلنا» قبل: ﴿خُذُواْ﴾ ليرتبط نظم الكلام. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: الله، وتتركون الكفر والمعاصي والعناد وقبائح الأعمال، ورذائل الأخلاق هذا؛ وانظر (التقوى) في الآية رقم [٢٦]. هذا؛ والترجي في هذه الآية وأمثالها، إنما هو بحسب عقول البشر؛ لأن الله تعالى لا يحصل منه ترج، ورجاء لشيء من عباده، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

تنبيه: قال أصحاب الأخبار: إن بني إسرائيل لما أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لما فيها من التكاليف الشاقة؛ أمر الله ـ عز وجل ـ جبريل ـ عليه السلام ـ أن يرفع جبل الطور فوق رؤوسهم، وقيل لهم: إن لم تقبلوا ما فيها سقط الجبل عليكم، فلما رأوا الجبل فوقهم؛ خروا ساجدين، فسجد كل واحد منهم على خدِّه، وحاجبه الأيسر، وجعل ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل خوفاً من سقوطه عليه، لذلك لا تسجد اليهود إلا على شقهم الأيسر. انتهى بتصرف. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٦٣/ ٢] تأمل، وتدبر، والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوفة على مثلها في الآية رقم [١٦٧] وإعرابها مثلها. ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿فَوْقَهُمْ﴾: ظرف مكان متعلق بالفعل قبله. وقيل: متعلق بمحذوف حال من: ﴿ٱلْجَبَلَ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَأَنَّهُۥ﴾: حرف مشبه بالفعل، والهاء اسمها. ﴿ظُلَّةٌ﴾: خبرها، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ في محل نصب حال من: ﴿ٱلْجَبَلَ﴾، والرابط الضمير فقط. وقول مكي: خبر لمبتدأ محذوف لا وجه له قطعاً. (ظنوا): فعل، وفاعل، والمصدر المؤول من: ﴿أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ في محل نصب سد مسد مفعولي الفعل: (ظنوا)،

وجملة: ﴿وَظَنُّوٓاْ...﴾ إلخ فيها ثلاثة أوجه: أحدها: كونها معطوفة على جملة: ﴿نَتَقۡنَا...﴾ إلخ فهي في محل جر مثلها، وثانيها: كونها في محل نصب حال من: ﴿ٱلۡجَبَلَ﴾، والرابط: الضمير فقط، فتكون الحال قد تكررت، ولا بد من تقدير (قد) قبلها لتقربها من الحال، وثالث الأوجه: كون الجملة مستأنفة، وهو بعيد ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ انظر إعراب هذا الكلام مستوفى في الآية رقم [٦٣] (البقرة) فلا حاجة لإعرابه هنا.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢﴾

الشرح: ﴿رَبُّكَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿ءَادَمَ﴾: انظر الآية رقم [١١]. ﴿ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾: الذرية تقع على الواحد، وعلى الجمع. قيل: هو مشتق من الذَّرا، وهو بفتح الذال: كل ما استذريت به، يقال: أنا في ظل فلان، وفي ذراه، أي: في كنفه، وستره، ودفئه، وهو بضم الذال: أعلى الشيء. وقيل: هو مشتق من الذرء، وهو الخلق، أبدلت همزتها ياء، ثم شددت الياء، وتبعتها الراء في التشديد. هذا؛ ويقرأ: (ذرياتهم) بالجمع وانظر ﴿ذَرَأۡنَا﴾ في الآية رقم [١٧٩]. ﴿أَنفُسِهِمۡ﴾: انظر الآية رقم [٩]. ﴿أَلَسۡتُ﴾: انظر إعلاله في الآية رقم [٦٦/ ٦]. ﴿قَالُوٓاْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿بَلَىٰ﴾: انظر الآية رقم [٨١/ ٢] فإنه جيد. ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾: انظر الآية رقم [١٦٧]. ﴿كُنَّا﴾: انظر إعلال: ﴿قُلۡنَا﴾ في الآية رقم [١١] فهو مثله.

﴿شَهِدۡنَآۚ...﴾ إلخ: هذا من مقول الملائكة؛ أي: تقول الملائكة: شهدنا عليكم بالإقرار بالربوبية؛ لئلا تقولوا: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ لم ينبهنا عليه أحد. هذا؛ وقد قرئ هذا الفعل، والفعل الآتي بالياء، ويكون الفاعل (الله) تبارك، وتعالى، ويكون المعنى، قال الله تعالى: فعلنا ذلك لئلا يقولوا... إلخ. هذا؛ وقد قيل: إن الكلام على الغيبة من مقولهم، والمعنى: قالوا: بلى شهد بعضنا على بعض، وعلى الاعتبارين الأولين فالوقف على: ﴿بَلَىٰٓۚ﴾، وعلى الاعتبار الثالث فلا وقف عليها. وهذا إشارة إلى العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم. وقيل: هو إشارة إلى الإيمان والتوحيد. والأول أولى، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

تنبيه: في معنى الآية الكريمة، وتفسيرها مذهبان: مذهب السلف، ومذهب الخلف، فمحصل المذهب الأول: أن الله أخرج بعضهم من صلب بعض، من صلب آدم، نسلاً بعد نسل، كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان (وادٍ قرب عرفة) يوم عرفة، ونصب لهم دلائل على ربوبيته، وركب فيهم عقلاً، وفهماً. ومذهب الخلف محصله: أنه لا إخراج، ولا قول، ولا شهادة بالفعل، وإنما هذا كله على سبيل المجاز التمثيلي، فشبه حال النوع الإنساني بعد

وجوده بالفعل بصفات التكليف من حيث نصب الأدلة الدالة على الربوبية لله المقتضية لأن ينطق، ويقر بمقتضاها بأخذ الميثاق عليه بالفعل، بالإقرار بما ذكر، فنصب الأدلة بالفعل إنما هو على طريقة الخلف.

تنبيه: يروى: أن عمر ـ رضي الله عنه ـ سئل عن هذه الآية، فقال: سئل عنها رسول الله ﷺ، فقال: «**إنَّ اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ خَلَقَ آدمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظهرَهُ بيمينِهِ، فاسْتَخْرَجَ منه ذريَّةً، فقال: خَلَقْتُ هؤلاءِ لِلْجَنَّةِ، وبعملِ أهلِ الجنة يعملون، ثم مَسَحَ ظهرَهُ، فاستخرجَ منه ذُرِّيَّةً، فَقَال: خَلَقْتُ هؤلاءِ لِلنَّارِ، وبعملِ أهلِ النَّارِ يَعملون**». فقال رجل: يا رسول الله ففيمَ العملُ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ إذا خلق العبدَ للجَنةِ اسْتَعْمَلَهُ بِعَمل أهل الجنة؛ حَتَّى يَموتَ عَلَى عملٍ مِنْ أَعْمالِ الجنةِ، فيُدْخِلَهُ الجنة، وإذا خلق العبدَ لِلنَّارِ استعملَهُ بعمل أهلِ النَّارِ حتَّى يموتَ على عملٍ مِنْ أعمالِ أهْلِ النارِ، فيُدْخِلَه النار**». أخرجه مالك في الموطأ، وأبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن. انتهى قرطبي وخازن.

فائدة: قال ابن العربي: فإن قيل: فكيف يجوز أن يعذب الخلق، وهم لم يذنبوا، أو يعاقبهم على ما أراده منهم، وكتبه عليهم، وساقهم إليه؟! قلنا: ومن أين يمتنع ذلك أعقلاً، أم شرعاً؟ فإن قيل: إن الرحيم الحكيم منا لا يجوز أن يفعل ذلك، قلنا: لأن فوقه آمراً يأمره، وناهياً ينهاه، وربنا تعالى لا يسأل عما يفعل، وهم يُسألون، ولا يجوز أن يقاس الخلق بالخالق، ولا تحمل أفعال العباد على أفعال الإله، وبالحقيقة الأفعال كلها لله جل جلاله، والخلق بأجمعهم له، صرفهم كيف شاء، وحكم بينهم بما أراد، وهذا الذي يجده الآدمي إنما تبعث عليه رقة الْجِبِلَّة وشفقةُ الجنسيَّة، وحب الثناء، والمدح، لما يتوقع في ذلك من الانتفاع، والباري تعالى مقدَّس عن ذلك كله، فلا يجوز أن يعتبر به. انتهى قرطبي.

الإعراب: ﴿وَإِذْ﴾: الواو: حرف عطف. (إذ): معطوفة على مثلها في الآية رقم [١٦٧] وإعرابها مثلها. ﴿أَخَذَ رَبُّكَ﴾: فعل، وفاعل، والكاف في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذ) إليها. ﴿مِنۢ بَنِىٓ﴾: متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر الياء نيابة عن الكسرة؛ لأنه ملحق بجمع المذكر السالم، وحذفت النون للإضافة، و﴿بَنِىٓ﴾: مضاف، و﴿ءَادَمَ﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾: بدل مما قبلهما بدل بعض، وقيل بدل اشتمال. ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: مفعول به والهاء في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. (أشهدهم): ماض، والهاء مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿رَبُّكَ﴾، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل جر مثلها. ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَلَسْتُ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقرير. (لست): ماض ناقص مبني على السكون، والتاء اسمه.

﴿بِرَبِّكُمْ﴾: خبر (ليس) منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد، والكاف في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قال ربك: ﴿أَلَسْتُ...﴾ إلخ، وهذه الجملة مفسرة لـ ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾. ﴿قَالُوا۟﴾: فعل، وفاعل والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلَىٰ﴾: حرف جواب في محل نصب مقول القول على الحكاية. ﴿شَهِدْنَآ﴾: فعل، وفاعل، والمصدر المؤول من: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ في محل جر بحرف جر محذوف، و(لا) مقدرة؛ إذ التقدير: لئلا تقولوا، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: ﴿شَهِدْنَآ﴾، وهذا عند الكوفيين، وهو عند البصريين على حذف مضاف، التقدير: كراهية قولكم يوم القيامة، فهو مفعول لأجله، والجملة الفعلية: ﴿شَهِدْنَآ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول لقول محذوف، التقدير: قالت الملائكة: شهدنا لئلا تقولوا... إلخ، وهذا على قراءة: ﴿تَقُولُوا۟﴾ بالتاء، وأما على قراءته بالياء، فيكون الجار والمجرور: (لئلا يقولوا) متعلقين بالفعل: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ وتكون جملة: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ مستأنفة، وجملة: ﴿شَهِدْنَآ﴾ من مقولها، ومتعلقها محذوف، التقدير: قالوا: بلى شهدنا على أنفسنا. ﴿يَوْمَ﴾: ظرف زمان متعلق بما قبله، و﴿يَوْمَ﴾: مضاف، و﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: مضاف إليه. ﴿إِنَّا﴾: حرف مشبه بالفعل، و(نا): اسمها. ﴿كُنَّا﴾: ماض ناقص مبني على السكون، و(نا): اسمه. ﴿عَنْ هَـٰذَا﴾: متعلقان بما بعدهما. ﴿غَـٰفِلِينَ﴾: خبر (كان) منصوب، وعلامة نصبه الياء... إلخ، وجملة: ﴿كُنَّا...﴾ إلخ في محل رفع خبر: (إنَّ)، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾

الشرح: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟﴾: هو مثل سابقه بالتاء، والياء. وانظر الإعراب. ﴿إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: فعلوا الشرك، وابتدعوه، فاقتدينا بهم، وسرنا على طريقتهم. والمعنى: إنما أخذ عليهم العهد، والميثاق في قديم الأزل؛ لئلا يحتجوا بتقليد آبائهم. وعلى القول الثاني في شرح الآية السابقة يكون المعنى: إن الله نصب الدلائل على ربوبيته، وأظهرها للعقول قطعاً للعذر بتقليد الآباء والأجداد؛ لأن ما نصب الله في هذا الكون من دلائل على توحيده والإيمان به موجود في كل زمان ومكان، فلا عذر لهم في الإعراض عنه، والإقبال على تقليد الآباء في الشرك. ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ انظر الآية السابقة. ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: أفتعذبنا بما ابتدع آباؤنا من الباطل، وهو الشرك؟ وانظر (الباطل) في الآية رقم [١٣٩]. هذا؛ وفي الآية الكريمة قطع لعذر الكفار بالاحتجاج بتقليد الآباء، والأجداد.

الإعراب: ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَقُولُوا﴾: مضارع معطوف على ما قبله منصوب مثله، وعلامة نصبه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والألف للتفريق، والناصب المقدر بسبب العطف والفعل في تأويل مصدر في محل جر بحرف جر محذوف، و(لا) مقدرة، التقدير: أو لئلا تقولوا، أو هو على حذف مضاف. التقدير: كراهية قولكم. ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾: فعل، وفاعل، و(نا): في محل جر بالإضافة، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول. ﴿مِن قَبْلُ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، و﴿قَبْلُ﴾ مبني على الضم في محل جر لقطعه عن الإضافة لفظاً لا معنى. (كنا): ماض ناقص مبني على السكون، و(نا) اسمه. ﴿ذُرِّيَّةً﴾: خبره، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها. ﴿مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾: متعلقان بمحذوف صفة: ﴿ذُرِّيَّةً﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿أَفَتُهْلِكُنَا﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري. (تهلكنا): مضارع، و(نا): مفعول به. (ما): تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل جر بالباء، والجار والمجرور متعلقان بما قبلهما، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: بالذي أو بشيء فعله المبطلون، وعلى الاعتبار الثالث تؤول (ما) مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بالباء، التقدير: بفعل المبطلين. ﴿فَعَلَ﴾: ماض. ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾: فاعله مرفوع، وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة؛ لأنه جمع مذكر سالم، والنون عوض عن التنوين في الاسم المفرد، وجملة: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا...﴾ إلخ مستأنفة، ثم هي داخلة في مقول القول. تأمل، وتدبر وربك أعلم وأجل، وأكرم.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾

الشرح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: نبين، ونوضح الآيات الدالة على عظمة الله تبييناً مثل تبيين الميثاق والعهد ليتدبرها العباد، فيرجعوا عن الشرك إلى التوحيد، وإلى الحق والإيمان، ويعرضوا عن الباطل والكفر. هذا؛ وانظر شرح: ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾ في الآية رقم [٩] وشرح: ﴿رَجَعَ﴾ في الآية رقم [١٥٠] وانظر مثل هذا الترجي في الآية رقم [١٧١] وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

الإعراب: (كذلك): جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف، عامله ما بعده، التقدير: نفصل الآيات تفصيلاً كائناً مثل تفصيل أخذ العهد والميثاق على بني آدم. واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. وانظر تفصيل الإعراب في الآية رقم [١٥١]. ﴿نُفَصِّلُ﴾: مضارع. والفاعل مستتر وجوباً تقديره: «نحن». ﴿ٱلْـَٔايَٰتِ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، والجملة الفعلية معطوفة على الكلام السابق، أو هي مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٦٨] وهي معطوفة على محذوف، انظر الشرح.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾

الشرح: ﴿وَٱتۡلُ﴾: اقرأ يا محمد. ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾: على اليهود. وقيل: على قومك. والمعتمد الأول. ﴿نَبَأَ﴾: خبر. وانظر الآية رقم [١٠١]. ﴿ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾: لقد اختلف بالمقصود في هذا اختلافاً كبيراً.

فقيل: اسمه بلعم بن باعوراء. وقيل: بلعام ابن باعر. وقيل: هو من قوم موسى. وقيل: هو من الكنعانيين، أوتي علم بعض كتب الله تعالى، فسأله بعض الكنعانيين أن يدعو على موسى وقومه فأبى. وهذا على القول بأن موسى ـ عليه السلام ـ لم يمت في التيه، وأما على اعتباره مات في التيه، فيكون الدعاء على يوشع خليفة موسى الذي قاتل الجبارين بعد موسى، على نبينا، وعليهم جميعاً أفضل صلاة، وأزكى تسليم. وقال: كيف أدعو على من معه الملائكة؟ فلم يزالوا به، وقدموا له أموالاً كثيرة حتى رضي، وذهب معهم إلى الجبل المطل على موسى وقومه، وكان قد عزم على قتال الكنعانيين الجبارين، فأخذ بالدعاء على موسى وقومه، فلم يدع بشيء إلا صرف الله به لسانه على قومه، ولا يدعو لقومه بخير إلا صرف الله به لسانه إلى بني إسرائيل، فقالوا له: يا بلعام! أتدري ما تصنع؟ إنما تدعو لهم، وتدعو علينا، فقال: هذا ما لا أملكه، هذا شيء غلب الله عليه، واندلع لسانه على صدره، فقال لمن ذهبوا به: ذهبت مني الدنيا والآخرة! والمراد بـ: ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: العلم الذي علمه الله إياه. وقيل: هو الاسمُ الأعظم. والمرجح: أنه من علماء بني إسرائيل. وانظر (نا) في الآية رقم [٧].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص، وسعيد بن المسيب، وزيد بن أسلم: نزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي، وكان قد قرأ الكتب القديمة، وعلم: أن الله يرسل رسولاً في ذلك الوقت، وتمنى أن يكون هو ذلك الرسول، فلما أرسل الله محمداً ﷺ حسده، وكفر به، وكان أمية صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «**آمَنَ شِعرُهُ وكفرَ قلبُهُ**». وقيل: نزلت في أبي عامر الراهب بن صيفي، الذي سأذكره في الآية رقم [١٠٧] من سورة (التوبة). والمعتمد الأول.

﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ أي: من معرفة الله تعالى، أي: نزع منه العلم الذي كان يعلمه، بعد أن كفر بها، ونبذها وراء ظهره. ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾: فلحقه، وأدركه، وصار قريناً له، حتى أهلكه وقال الجمل: أي فصار قدوةً، ومتبوعاً للشيطان على سبيل المبالغة. وانظر شرح: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ في الاستعاذة؛ فإنه جيد. ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ﴾: من الضالين الكافرين بسبب مخالفة أوامر ربه، وطاعة هواه وشيطانه.

الإعراب: (اتل): أمر مبني على حذف حرف العلة، وهو الواو، والضمة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً، تقديره: أنت. ﴿عَلَيْهِمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿نَبَأَ﴾: مفعول به، وهو مضاف، و﴿ٱلَّذِىٓ﴾ اسم موصول مبني على السكون في محل جر بالإضافة. ﴿ءَاتَيْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به أول. ﴿ءَايَٰتِنَا﴾: مفعول به ثان منصوب، وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة؛ لأنه جمع مؤنث سالم، و(نا): ضمير متصل في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَٱتْلُ...﴾ إلخ معطوفة على المقدر في ﴿وَإِذْ أَخَذَ﴾. (انسلخ): ماض، والفاعل يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿مِنْهَا﴾: متعلقان به، وجملة: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿فَأَتْبَعَهُ﴾: ماض، والهاء مفعول به. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة أيضاً على جملة الصلة. (كان): ماض ناقص، واسمها يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (كان)، وجملة: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ معطوفة أيضاً على جملة الصلة، لا محل لها مثلها.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾

الشرح: ﴿شِئْنَا﴾: انظر شاء في الآية رقم [٨٩]. ﴿لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾: إلى منازل الأبرار من العلماء بسبب تلك الآيات، وذلك بالتوفيق للعمل بها. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: سكن إلى الدنيا، ومال إليها، ورضي بها، وأصله من الخلود، وهو الدوام، والمقام، والأرض هنا عبارة عن الدنيا؛ لأن كل شيء فيها. ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾: في إيثار الدنيا ولذاتها على الآخرة، ونعيمها، فخسر دنياه وآخرته، ولا تنس أن مشيئة الله قد تعلقت بذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٧٢] ففيها الجواب الكافي، والدواء الشافي.

هذا؛ والهوى يقصر ويمد، والمراد بالأول: الحبُّ، والعشق، والغرام، وهو أيضاً محبة الإنسان للشيء، وغلبته على قلبه، وهو ما في الآية الكريمة، ومنه قوله تعالى ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي نهاها عن شهواتها، وما تدعو إليه من معاصي الله تعالى، ويراد بالممدود ما بين السماء والأرض، وقد جاء الهوى بمعنى العشق ممدوداً في الشعر، ومنه قول الشاعر: [الطويل]

وَهَانَ علَى أَسْمَاءَ إنْ شطَّتِ النَّوَى ... نَحِنُّ إليْها والهواءُ يَتوقُ

وإليك هذين البيتين، فإنهما من النكت الحسان: [الكامل]

جُمِعَ الهواءُ مع الْهَوى في مهْجَتِي ... فتكامَلَتْ في أضلُعي نارانِ

فَقَصَّرْتُ بالممدودِ عن نَيْلِ الْمُنى ومُدِّدْتُ بالمقصورِ في أكْفاني

وقال أبو عبيدة: لم نجد الهوى يوضع إلا موضع الشر؛ لأنه لا يقال: فلان يهوى الخير، بل يقال: فلان يحب الخير، ويريده. هذا؛ وجمعه: أهواء، وجمع الممدود: أهوية. ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾: فصفته كصفة الكلب في أخس أحواله، وتشبيه بلعام بالكلب حاصل حينما دعا على موسى، عليه السلام، أو على يوشع، فخرج لسانه، فوقع على صدره، وجعل يلهث كالكلب. وانظر: ﴿مِثْلَ﴾ في الآية رقم [٩٣/ ٦]. ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ أي: يلهث في جميع أحواله: زجرته، أم لم تزجره.

قال القتيبي: كل شيء يلهث، فإنما يلهث من إعياء، أو عطش، إلا الكلب؛ فإنه يلهث في حال الكلال، وحال الراحة، وحال المرض، وحال الصحة، وحال الري، وحال العطش، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآياته، فقال: إن وعظته ضل، وإن تركته ضل، فهو كالكلب، إن تركته لهث، وإن طردته لهث. وانظر الآية الآتية برقم [١٩٣]. وإنما يلهث الكلب دائماً لضعف فؤاده. ﴿ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ أي: إن المثل الذي ضرب الله لبلعام ينطبق على كل كافر مكذب لآيات الله، وجاحد لها، فوجه التمثيل بين المكذبين وبين الكلب اللاهث، أنهم إذا وعظوا لا يتعظون، وإذا تركوا فهم لا يهتدون، بل هم في ضلال في كل حال. وانظر شرح: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾ في الآية رقم [٣١] وشرح (الآيات) في الآية رقم [٩]. ﴿فَٱقْصُصِ...﴾ إلخ: هذا خطاب للنبي ﷺ بأن يقص على اليهود وعلى قومه أخبار من كفر بآيات الله لعلهم يتعظون فينتفعون بما تقص عليهم. هذا؛ و﴿ٱلْقَصَصَ﴾ مصدر قولهم: قص فلان الحديث يقصه قصّاً وقصصاً، وأصله: تتبع الأثر، يقال: خرج فلان يقص أثر فلان، أي يتتبعه ليعرف أين يذهب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ أي: اتبعي أثره. وانظر الترجي في الآية رقم [١٧١].

تنبيه: قال الخازن: وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا، ويتبعون الهوى، وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته، وحكمته، وعلَّمه الاسم الأعظم، وجعل دعاءه مستجاباً، ثم إنه لما اتبع هواه، وركن إلى الدنيا؛ نزع منه ما كان أعطيه، وانسلخ من الدين، فخسر الدنيا والآخرة.

عن كعب بن مالك الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ذِئْبانِ جائعانِ أُرْسِلَا في غنمٍ بأفسدَ لَهَا مِنْ حِرصِ الْمرءِ على المالِ، والسَّرَفِ لدينِهِ**». أخرجه الترمذي.

الإعراب: ﴿وَلَوْ﴾: الواو: حرف استئناف. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿شِئْنَا﴾: فعل، وفاعل، ومفعوله محذوف، التقدير: شئنا له الخير، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَرَفَعْنَٰهُ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، واللام واقعة في جواب (لو)، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور

متعلقان بما قبلهما، و(لو) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ﴾: الواو: حرف عطف. (لكنه): حرف مشبه بالفعل، والهاء ضمير متصل في محل نصب اسمها. ﴿أَخْلَدَ﴾: ماض، وفاعله مستتر تقديره هو يعود إلى: ﴿ٱلَّذِىٓ﴾. ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ في محل رفع خبر (لكنَّ) والجملة الاسمية معطوفة على (لو) ومدخولها، لا محل لها مثله. (اتبع): ماض، وفاعله مثل سابقه، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. ﴿هَوَىٰهُ﴾: مفعول به منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الألف للتعذر، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿فَمَثَلُهُۥ﴾: الفاء: حرف استئناف. (مثله): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَمَثَلِ﴾: متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ، و(مثل) مضاف، و﴿ٱلْكَلْبِ﴾: مضاف إليه، والجملة الاسمية: ﴿فَمَثَلُهُۥ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿أَوْ﴾: حرف عطف. ﴿تَتْرُكْهُ﴾: مضارع معطوف على فعل الشرط مجزوم مثله، وفاعله مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعوله. ﴿يَلْهَث﴾: معطوف على جواب الشرط مجزوم مثله، وفاعله «أنت»، وجملتا الشرط في محل نصب حال من: ﴿ٱلْكَلْبِ﴾، التقدير: لاهثاً ذليلاً بكل حال. ﴿ذَّٰلِكَ﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، واللام للبعد، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿مَثَلُ﴾: خبره، وهو مضاف، و﴿ٱلْقَوْمِ﴾: مضاف إليه. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل جر صفة: ﴿ٱلْقَوْمِ﴾، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ صلة الموصول، لا محل لها، والجملة الاسمية: ﴿ذَّٰلِكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَٱقْصُصِ﴾: الفاء: هي الفصيحة. (اقصص): أمر مبني على السكون، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين، والفاعل تقديره: «أنت». ﴿ٱلْقَصَصَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، التقدير: وإذا تحققت: أنَّ المثل المذكور مثل هؤلاء المكذبين فاقصصه عليهم حسبما أوحي إليك، والجملة الشرطية على هذا التقدير معطوفة على ما قبلها بالعاطف المذكور. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [١٦٨] وهي مفيدة للتعليل.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾

الشرح: ﴿سَآءَ﴾: ماض جامد فيه معنى الذم مثل: بئس. ﴿مَثَلًا﴾: انظر الآية رقم [٩٣] (الأنعام). ﴿ٱلْقَوْمُ﴾: انظر الآية رقم [٣٢]. ﴿بِـَٔايَٰتِنَا﴾: المراد بها: المعجزات؛ التي أتى بها محمد ﷺ، ومن أعظمها الحديث عن أخبار الأمم السابقة، ولا سيما أخبار بني إسرائيل. وانظر الآية رقم [٩] و(نا) في الآية رقم [٧]. ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾: انظر الآية رقم [٩]. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: انظر البغي والظلم في الآية رقم [٦/١٤٦]. وظلمهم لأنفسهم بسبب إدخالها نار الجحيم لكفرهم، وعنادهم، ومخالفة أوامر الله تعالى. هذا؛ وقرأ عاصم الجحدري، والأعمش برفع (مَثَلُ القَوْم) وحذف التمييز، والمراد ذم الكفار المكذبين، وذم التمثيل بهم، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿سَآءَ﴾: ماض جامد لإنشاء الذم، وفاعله ضمير مستتر فسره التمييز، وهو: ﴿مَثَلًا﴾ التقدير: بئس المثل مثلاً. ﴿ٱلْقَوْمُ﴾: مبتدأ مؤخر، خبره الجملة الفعلية قبله، أو هو خبر لمبتدأ محذوف، التقدير: هم القوم، وعلى قراءة عاصم، والأعمش يكون (مثلُ) فاعلاً، وهو مضاف، و(القوم) مضاف إليه، ويكون: ﴿ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ هو المخصوص بالذم، وعلى قراءة الجمهور لا بد من تقدير مضاف قبل ﴿ٱلْقَوْمُ﴾ ليكون التمييز والفاعل والمخصوص بالذم كلها متحدة المعنى، وعليه فتقدير الكلام يكون: (ساء مثلاً مثل القوم) فحذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، وهذا كثير شائع. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع صفة: ﴿ٱلْقَوْمُ﴾ على قراءة الجمهور، وفي محل رفع خبر لمبتدأ محذوف على قراءة عاصم، والأعمش، ولا بد من تقدير مضاف محذوف أيضاً، أي: هو مثل الذين... إلخ، وجملة: ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ صلة الموصول، والعائد واو الجماعة. ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿كَانُوا۟﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق. ﴿يَظْلِمُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: (كان)، وجملة: (كانوا يظلمون أنفسهم) معطوفة على جملة الصلة لا محل لها مثلها، فيكون المذمومون قد جمعوا بين التكذيب، وظلم أنفسهم، أو هي مستأنفة فلا تكون داخلة في جملة الصلة، ويكون المعنى: وما ظلموا بالتكذيب إلا أنفسهم، فإن وباله لا يتخطاها. انتهى بيضاوي بتصرف.

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾

الشرح: هذا تصريح بأن الهداية للإيمان، والكفر، والضلال من الله تعالى الواحد القهار، وأن هداية الله تختص ببعضٍ دون بعض. وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [٣٠] والآية رقم [٨٨/ ٣] وانظر الآية رقم [١٣] من سورة السجدة، والآية رقم [١٧٢] ففيها الجواب الكافي والدواء الشافي، وقد راعى سبحانه لفظ: ﴿مَن﴾ في الأول، فأفرد الضمير: ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ وراعى معناها في الثاني، فجمع اسم الإشارة، وما بعده. وانظر الخسران في الآية رقم [١٤٩]. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [٨٧].

الإعراب: ﴿مَن﴾: اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، أو هو في محل نصب مفعول به مقدم. ﴿يَهْدِ﴾: مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والمفعول محذوف على اعتبار ﴿مَن﴾ مبتدأ، التقدير: يهده. ﴿فَهُوَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (هو): ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿ٱلْمُهْتَدِى﴾: خبر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، وهي ثابتة هنا عند جميع القراء بخلاف ما في الإسراء والكهف، والجملة الاسمية في

محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، وخبر: ﴿مَن﴾ على اعتبارها مبتدأ مختلف فيه كما رأيت في الآية رقم [١٣١] والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَأُولَٰٓئِكَ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (أولئك): اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿هُمُ﴾: ضمير فصل لا محل له. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار ﴿هُمُ﴾ مبتدأً ثانياً مبنيّاً على السكون في محل رفع. ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾: خبره، والجملة الاسمية في محل رفع خبر المبتدأ الأول، وباقي الإعراب مثل الجملة السابقة بلا فارق، والجملة الاسمية: ﴿وَمَن يُضْلِلْ...﴾ إلخ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾

الشرح: ﴿ذَرَأْنَا﴾: خلقنا. ﴿لِجَهَنَّمَ﴾: انظر دركات النار في الآية رقم [١٤٥] (النساء). ﴿ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾: انظر الآية رقم [١١٥/ ٦] ففيها الكفاية. ﴿لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾: لا يفهمون بها. هذا؛ والفقه في اللغة: الفهم، والعلم بالشيء، ثم صار علماً على اسم العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم، يقال: فقِه الرجل يفقَه فهو فقيه: إذا فهم، والفعل من باب فهم الذي هو بمعناه. وفقُه من باب ظرف، وكرم: صار فقيهاً، ومعنى الجملة: لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يعلمون بها الخير والهدى، لإعراضهم عن الحق. وتركهم قبوله. ﴿أَعْيُنٌ﴾: جمع عين. وانظر الآية رقم [١١٦]. ﴿لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾: لا يرون طريق الحق والهدى، ولا ينظرون بها في آيات الله وأدلة توحيده. ﴿لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ أي: لا يسمعون المواعظ وآيات القرآن سماع قبول، وقد حذف مفعول هذا الفعل وسابقه للتعميم. وانظر الآية رقم [١٠٠].

﴿أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ أي: إن الذين خلقهم الله لجهنم، وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها؛ لأن الحواس المذكورة مشتركة بين الإنسان والحيوان، وإنما فضل الإنسان على سائر الحيوانات بالعقل والإدراك والفهم المؤدي إلى معرفة الحق من الباطل، والخير من الشر. وانظر شرح: ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في الآية رقم [١٣٦/ ٦]. ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ أي: من الأنعام؛ لأنها تطلب منافعها، وتهرب من مضارها، وهؤلاء يقدمون على النار معاندة. وانظر فضل الحمار على الجاهل في الآية رقم [٣٥/ ٦] وهل الكافر والعاصي إلا من أجهل الجهال؟! ﴿أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ أي: عن ما ينفعهم وما يضرهم. هذا؛ وانظر الآية رقم [١٨/ ٢] والآية رقم [٢٢/ ٨] تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَلَقَدْ﴾: انظر إعرابه في الآية رقم [١٣٠]. ﴿ذَرَأْنَا﴾: فعل، وفاعل، وجملة: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، والقسم وجوابه كلام مستأنف لا محل له. ﴿لِجَهَنَّمَ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل قبلهما، وجوز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿كَثِيرًا﴾، ولا وجه له، وعلامة الجر الفتحة نيابة عن الكسرة؛ لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. ﴿كَثِيرًا﴾: مفعول به، وهو صفة لموصوف محذوف، أي خلقاً كثيراً. ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾: متعلقان بمحذوف صفة ثانية للموصوف المحذوف. ﴿وَالْإِنسِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والجملة الاسمية في محل نصب صفة للموصوف المحذوف، أو في محل نصب حال منه لوصفه بما تقدم، والوصف يخصص النكرة. هذا؛ وجوز تعليق ﴿لَهُمْ﴾ بمحذوف صفة أو حال على نحو ما رأيت، و﴿قُلُوبٌ﴾ فاعل بالجار والمجرور، والمعتمد الأول، وإن فضل السمين الثاني لأنه من الوصف بالمفرد. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَفْقَهُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله. ﴿بِهَا﴾: متعلقان به، والجملة الفعلية في محل رفع صفة: ﴿قُلُوبٌ﴾. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ إعراب هاتين الجملتين كسابقتهما، ومفعول الفعلين محذوف للتعميم، انظر الشرح. ﴿أُولَٰئِكَ﴾: اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ، والكاف حرف خطاب لا محل له. ﴿كَالْأَنْعَامِ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر المبتدأ. هذا؛ ويجوز اعتبار الكاف اسماً بمعنى مثل، فهي الخبر، و(الأنعام) في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿بَلْ﴾: حرف عطف تبتدأ بعده الجمل. ﴿هُمْ أَضَلُّ﴾: مبتدأ وخبر، ومتعلق ﴿أَضَلُّ﴾ محذوف، انظر الشرح، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾: انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية السابقة، وهي مؤكدة لسابقتها لا محل لها مثلها.

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾

الشرح: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾: المعنى: أن الأسماء الحسنى ليست إلا لله، وأسماؤه جلت قدرته كلها حسنى؛ لأنها تدل على معان حسنة، فمنها ما يستحقه بحقائقه، كالقديم قبل كل شيء، والباقي بعد كل شيء، والقادر على كل شيء، والعالم بكل شيء، والواحد الذي ليس كمثله شيء. ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها الحسنة كالغفور، والرحيم، والرؤوف، والشكور، والحليم. ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل، والعفو. ومنها ما يوجب مراقبة الأحوال، كالسميع، والبصير، والمقتدر. ومنها ما يوجب الإجلال، كالعظيم، والجبار، والمتكبر، وأسماء الله توقيفية، وهي تسعة وتسعون اسماً.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ للهِ تِسْعةً وتسعينَ اسماً مَنْ حفِظَها دخلَ الجنةَ، واللهُ وِترٌ يُحِبُّ الوترَ**». وفي رواية: «**من أحصاها**». متفق عليه، قال البخاري: أحصاها: حفظها، وقد ذكر سبحانه (الأسماء الحسنى) في أربع آيات، أولها في هذه الآية، وثانيها في آخر سورة (الإسراء) وثالثتها في أول سورة (طه) ورابعتها في آخر سورة الحشر، وسأذكرها بالتفصيل في سورة الإسراء إن شاء الله تعالى. وأسماء جمع: اسم، انظر اشتقاقه في البسملة أول هذا الكتاب. هذا؛ والحسنى مؤنث الأحسن كالكبرى مؤنث الأكبر، والصغرى مؤنث: الأصغر. وقيل: بل هو مصدر وصف به كالرجعى، وأفرده كما أفرد وصف ما لا يعقل في قوله: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ وانظر الآية رقم [٥٣/ ٩]. ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾: ادعوا الله بأسمائه التي سمى بها نفسه، أو سماه بها رسوله.

وقال القرطبي: أي: اطلبوا منه بأسمائه، فيطلب منه بكل اسم ما يليق به، تقول: يا رحيم ارحمني، ويا غفور اغفر لي! وهكذا.

وللدعاء شرائط: منها: أن يعرف الداعي معاني الأسماء التي يدعو بها، ويستحضر في قلبه عظمة المدعو سبحانه وتعالى، ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم، والتقديس لله، ويعزم المسألة مع رجاء الإجابة، ويعترف لله سبحانه بالربوبية، وعلى نفسه بالعبودية. فإذا فعل العبد ذلك، عظم موقع الدعاء، وكان له تأثير عظيم. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٥٥]. ﴿وَذَرُوا﴾: اتركوا. وانظر الآية رقم [٧٠]. ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: الإلحاد في اللغة: الميل عن القصد، والعدول عن الاستقامة، ولتفسيره فيه أقوال:

منها ما كان الجاهليون يفعلونه من تسمية أصنامهم بالآلهة، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى، فسموا اللات مشتقّاً من الإله، والعزى مشتقّاً من العزيز، ومناة مشتقّاً من المنان. وهذا معنى قول ابن عباس، ومجاهد. ومنها تسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه، ولم يرد فيه نص من كتاب، ولا سنة، ومنها سوء الأدب في الدعاء، مثل أن يقول: يا خالق القردة. ومنها أن يدعو العبدُ اللهَ باسم لا يعرف معناه. هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء من: ألحد الرباعي، وبفتحهما من: لحد الثلاثي. ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: انظر شرح هذه الجملة في الآية رقم [١٢٠/ ٦] تجد ما يسرك، والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَلِلَّهِ﴾: الواو: حرف استئناف. (لله): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿الْأَسْمَاءُ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿الْحُسْنَىٰ﴾: صفة: ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ﴿فَادْعُوهُ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٧]. (ادعوه): أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله. وانظر إعراب: ﴿اسْجُدُوا﴾ في الآية رقم [١١] والجملة الفعلية لا محل لها على جميع

الوجوه المعتبرة بالفاء. ﴿بِهَا﴾: متعلقان بما قبلهما. (ذروا): فعل أمر وفاعله والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب مفعول به، والجملة الفعلية: ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿سَيُجْزَوْنَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون، والواو نائب فاعله، وهو المفعول الأول، والسين حرف استقبال. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، والمصدرية، فعلى الأولين مبنية على السكون في محل نصب مفعول به ثان، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: الذي أو شيئاً كانوا يعملونه، وعلى اعتبار ﴿مَا﴾ مصدرية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل نصب مفعول به ثان، التقدير سيجزون عملهم. ﴿كَانُوا﴾: ماض ناقص، والواو اسمه، والألف للتفريق، وجملة: ﴿يَعْمَلُونَ﴾ في محل نصب خبر (كان)، وجملة: ﴿سَيُجْزَوْنَ...﴾ إلخ: مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾﴾

الشرح: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ...﴾ إلخ: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد أمة محمد ﷺ، وهم المهاجرون والأنصار، والتابعون لهم بإحسان. قال قتادة رضي الله عنه: بلغنا: أن النبي ﷺ كان إذا قرأ هذه الآية، قال: «**هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها**». يريد قوم موسى عليه السلام، وقرأ الآية رقم [١٥٩] وقال الخازن: وفي الآية دليل على أنه لا يخلو زمان من قائم بالحق، ويعمل به ويهدي إليه. وعن معاوية قال وهو يخطب على المنبر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزالُ مِنْ أمَّتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ، لا يضرهم مَنْ خذلهُمْ، حتَّى يأتِيَ أمرُ اللهِ، وهمْ على ذَلِكَ**». متفق عليه انتهى. وقال النسفي: قيل هم العلماء، والدعاة إلى الدين، وفيه دلالة على أن إجماع كل عصر حجة. وانظر شرح المفردات في الآية رقم [١٥٩] ففيها الكفاية.

الإعراب: ﴿وَمِمَّنْ﴾: (مِمَّنْ): جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل رفع خبر مقدم، و(مَنْ) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر بـ (مِنْ)، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف، التقدير: ومن الذين، أو من ناس خلقناهم. ﴿أُمَّةٌ﴾: مبتدأ مؤخر، والجملة الاسمية، مستأنفة، لا محل لها. وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [١٥٩] ففيه الكفاية لذوي الدراية.

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾: المراد به جميع المكذبين بآيات الله، وهم الكفار. وقيل: المراد بهم أهل مكة. والأول أولى؛ لأن صيغة العموم تتناول الجميع إلا ما دل الدليل على خروجه منه. انتهى. خازن. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: قال الأزهري: سنأخذهم قليلاً

قليلاً من حيث لا يحتسبون، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من أبواب النعم ما يغتبطون به، ويركنون إليه، ثم يأخذهم على غرتهم أغفل ما يكونون.

هذا؛ وأصل الاستدراج: الاستصعاد، أو الاستنزال درجة بعد درجة، قال الضحاك: المعنى كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة، أي فيظنوا أن تواتر النعم لطف من الله تعالى بهم، فيزدادون بطراً وانهماكاً في الضلال حتى يحق عليهم العذاب، وما أجدرك أن تنظر الآية رقم [٤٤/ ٦] هذا؛ وانظر (نا) في الآية رقم [٧]. ويقرأ: الفعل (سيستدرجهم) بياء المضارعة، فيكون فيه التفات من التكلم إلى الغيبة. انظر التفات في الآية رقم [٦/ ٦]. ﴿حَيْثُ﴾: انظر الآية رقم [٢٧].

الإعراب: ﴿وَالَّذِينَ﴾: الواو: حرف استئناف. (الذين): اسم موصول مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وجوز نصبه على الاشتغال بفعل محذوف، والمعتمد الأول، وجملة: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ صلة الموصول لا محل لها. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾: السين: حرف استقبال، ويقال: حرف تسويف. (نستدرجهم): مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «نحن»، والهاء مفعول به. هذا؛ وعلى قراءة الفعل بالياء، يكون الفاعل مستتراً تقديره هو، فيحتمل عوده إلى (الله)، وأن يكون ضمير التكذيب المفهوم من الفعل: ﴿كَذَّبُوا﴾، والجملة الفعلية على جميع الوجوه في محل رفع خبر المبتدأ، ولا محل لها على الاشتغال، وقد رأيت ضعفه. ﴿مِّنْ حَيْثُ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و﴿حَيْثُ﴾: مبني على الضم في محل جر، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ في محل جر بإضافة ﴿حَيْثُ﴾ إليها، ومفعول الفعل محذوف، التقدير: لا يعلمون: أنه استدراج، والجملة الاسمية: ﴿وَالَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم. والإملاء: الإمهال. ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: إن أخذي شديد قوي. وإنما سماه كيداً؛ لأن ظاهره إحسان، وباطنه خذلان. وقال ابن عباس - رضي الله عنهما -: إن مكري شديد، وفي المختار: الكيد: المكر، وربنا جل علاه منزه عن المكر، والكيد، وإنما الكلام من باب المشاكلة، قيل: نزلت الآية والتي قبلها في المستهزئين من قريش. والمعتمد التعميم كما أسلفت. وانظر المشاكلة في الآية رقم [٣٠] (الأنفال).

الإعراب: ﴿وَأُمْلِي﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء للثقل، والفاعل مستتر تقديره: «أنا»، والجملة الفعلية مستأنفة، وقيل في محل رفع خبر مبتدأ محذوف، التقدير: وأنا أملي، وعليه فالجملة اسمية، وهي مستأنفة أيضاً. وجوز أبو البقاء عطفها على ما قبلها. وهو غير وجيه لاختلاف تقدير الضميرين. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما. ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿كَيْدِي﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل

ياء المتكلم. . . إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لفاعله. ﴿مَتِينٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية تعليل للإملاء، والإمهال، لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ﴾: انظر الآية رقم [٦٣]. ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾: التفكر: التأمل، وإعمال الخاطر في عاقبة الأمر. ﴿بِصَاحِبِهِم﴾: المراد به سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ. وانظر: ﴿أَصْحَبُ﴾ في الآية رقم [٣٦]. ﴿جِنَّةٍ﴾: جنون. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ أي: ما الرسول ﷺ إلا منذر للناس من غضب الله وعقابه وموضح لهم ما ينفعهم، وما يضرهم. هذا؛ وانظر إعلال: ﴿مُّبِينٌ﴾ في الآية رقم [٥٩] (الأنعام). وانظر (جن) في الآية رقم [٧٦] منها تجد ما سيرك.

تنبيه: قال قتادة: ذكر لنا: أن نبي الله محمد ﷺ قام على الصفا ليلاً، فجعل يدعو قريشاً فَخذاً فَخِذاً «يا بني فلان، يا بني فلان، إني لكم نذير مبين»، وكان يحذرهم بأس الله ووقائعه، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت إلى الصباح، فأنزل الله عز وجل الآية الكريمة، وإنما نسبوه إلى الجنون، وهو بريء منه؛ لأنه ﷺ خالفهم في الأقوال، والأفعال؛ لأنه كان معرضاً عن الدنيا، ولذاتها، مقبلاً على الآخرة ونعيمها، مشتغلاً بالدعاء إلى الله تعالى، وإنذار بأسه ونقمته ليلاً ونهاراً من غير ملال، ولا ضجر. فعند ذلك نسبوه إلى الجنون، فبرأه الله من الجنون، وهو بريء منه. انتهى خازن، وجمل بتصرف.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام، وتقريع، وتوبيخ. الواو: حرف عطف. لم: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿يَتَفَكَّرُوا﴾: مضارع مجزوم بـ: (لم)، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية مستأنفة مع الجملة المقدرة المعطوفة عليها على القول الثاني، ومعطوفة على ما قبلها على القول الأول في الواو. ﴿مَا﴾: نافية. ﴿بِصَاحِبِهِم﴾: متعلقان بمحذوف خبر مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿مِّن﴾: حرف جر صلة. ﴿جِنَّةٍ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد والجملة الاسمية في محل نصب مفعول به للفعل قبلها المعلق عن العمل لفظاً بسبب ﴿مَا﴾ النافية. هذا؛ ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ ثم ابتدأ كلاماً آخر. إما استفهام إنكار، وإما نفياً. انتهى جمل. ولا أرى الاستفهام قويّاً، وأعتمد الوجه الأول. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿هُوَ﴾: ضمير فصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مُّبِينٌ﴾: صفة: ﴿نَذِيرٌ﴾، والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها.

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَوَلَمْ﴾: هو مثل الآية السابقة. ﴿يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ...﴾ إلخ: نظر تفكر، واعتبار، واستدلال. (الملكوت): الملك العظيم، فهو من أبنية المبالغة وانظر الآية رقم [٧٥] الأنعام. ﴿وَالْأَرْضِ﴾: انظر الآية رقم [١] منها. ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾: مما يقع عليه الشيء من الأجناس، التي لا يمكن حصرها؛ ليدلهم على كمال قدرة صانعها، ووحدة مبدعها، وعظم شأن مالكها، وليظهر لهم صحة ما يدعوهم إليه. وانظر شرح: ﴿شَيْءٍ﴾ في الآية رقم [٨٥]. ﴿اللَّهُ﴾: انظر رقم [٨٧]. ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾: والمعنى: أولم ينظروا في اقتراب آجالهم، فيسارعوا إلى طلب الحق، والتوجه إلى ما ينجيهم قبل معاينة الموت، ونزول العذاب. انتهى بيضاوي.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾: تعجب من حال الكفار. والمعنى: فبأي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد ﷺ يؤمنون إذا لم يؤمنوا به، ويصدقوا بتعاليمه، وليس بعد كتابه كتاب؛ لأنه خاتم الرسل، وكتابه خاتم الكتب، لانقطاع الوحي بعده إلى يوم القيامة. انتهى. خازن.

قال القرطبي: استدل بهذه الآية، وأمثالها من قال بوجوب النظر في آيات الله، والاعتبار بمخلوقاته، قالوا: وقد ذم الله من لم ينظر، وسلبهم الانتفاع بحواسهم، فقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾ إلخ الآية رقم [١٧٩]. انتهى بتصرف كبير.

الإعراب: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا﴾: إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ في الآية السابقة. ﴿فِي مَلَكُوتِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعول به، و﴿مَلَكُوتِ﴾: مضاف، و﴿السَّمَاوَاتِ﴾: مضاف إليه. (الأرض): معطوف على ما قبله. ﴿وَمَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل جر معطوف على: ﴿مَلَكُوتِ﴾، والجملة الفعلية بعدها صلتها، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: وفي الذي خلقه الله. ﴿مِن شَيْءٍ﴾: متعلقان بمحذوف حال من العائد المحذوف، و(مِنْ) بيان لما أبهم في (ما). ﴿أَن﴾: مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف، التقدير: أنه، وجوز أبو البقاء اعتبار ﴿أَن﴾ مصدرية. ﴿عَسَىٰ﴾: فعل ماض جامد، مبني على فتح مقدر على الألف، والمصدر المؤول من: ﴿أَن يَكُونَ﴾ في محل رفع فاعل: ﴿عَسَىٰ﴾، وهو تام هنا، وإن كان من أفعال الرجاء. وجملة: ﴿عَسَىٰ أَن يَكُونَ﴾ في محل رفع خبر: ﴿أَن﴾، و﴿أَن﴾ واسمها المحذوف، وخبرها في تأويل مصدر في محل جر معطوف على: ﴿مَلَكُوتِ﴾، وعلى اعتبار: ﴿أَن﴾ مصدرية تؤول مع الفعل: ﴿عَسَىٰ﴾ بمصدر في محل جر... إلخ. ﴿قَدِ﴾: حرف تحقيق يقرب الماضي من الحال. ﴿اقْتَرَبَ﴾: ماض. ﴿أَجَلُهُمْ﴾:

فاعل: ﴿أَقْتَرَبَ﴾، والجملة الفعلية في محل نصب خبر: ﴿يَكُونَ﴾، وعلى هذا يكون اسم ﴿يَكُونَ﴾ ضمير شأن محذوفاً، وهو قول الزمخشري والبيضاوي والنسفي، وجوز السمين اعتبار ﴿أَجَلُهُمْ﴾ اسم ﴿يَكُونَ﴾ مؤخراً، وجملة: ﴿قَدِ ٱقْتَرَبَ﴾ في محل نصب خبر مقدماً، وعليه ففاعل ﴿أَقْتَرَبَ﴾ ضمير مستتر تقديره: «هو» يعود إلى متأخر لفظاً، وأرى أن ﴿يَكُونَ﴾ و ﴿أَقْتَرَبَ﴾ قد تنازعا: ﴿أَجَلُهُمْ﴾ فالمسألة من باب التنازع تأمل جيداً يظهر لك ذلك جليّاً بعونه تعالى. ﴿فَبِأَيِّ﴾ الفاء: هي الفصيحة. (بأي): متعلقان بالفعل بعدهما، و(أي) مضاف، و﴿حَدِيثٍ﴾: مضاف إليه. ﴿بَعْدَهُۥ﴾: ظرف زمان متعلق بمحذوف صفة: ﴿حَدِيثٍ﴾، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جواب شرط غير جازم، انظر التقدير في الشرح. هذا؛ وقال الزمخشري: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ متعلق بقوله ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ قال السمين: يعني التعلق المعنوي، المرتبط بما قبله، لا الصناعي، وهو واضح. انتهى. جمل بتصرف كبير مني.

﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾

الشرح: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ...﴾ إلخ: قال المفسرون: هذا تعليل لإعراضهم عن الإيمان. وعن التفكر في آيات الله، والنظر في ملكوت السموات، والأرض. والمعنى: من كتب الله له الضلالة في الأزل؛ فلا يهتدي إلى الإيمان، ولا إلى النظر في شيء مما ذرأ الله في هذا الكون. وانظر الآية رقم [١٧٨] وما أحلت عليها هناك. ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: يتركهم، ويقرأ بالياء والنون، والرفع والجزم مع الياء لا غير، وعلى قراءة النون يكون فيه التفات من الغيبة إلى التكلم. انظر الالتفات في الآية رقم [٦/ ٦] وانظر الآية رقم [٦٩]. ﴿طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾: انظر الآية رقم [١١٠/ ٦] وانظر الآية [١٧١].

الإعراب: ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ انظر: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ في الآية رقم [١٧٨] فإعرابهما واحد بلا فارق. ﴿فَلَا﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (لا): نافية للجنس تعمل عمل (إنَّ). ﴿هَادِىَ﴾: اسم (لا) مبني على الفتح في محل نصب. ﴿لَهُۥ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (لا)، وهذا على لغة الحجازيين الذين يجيزون ذكر خبر (لا)، فأما على لغة بني تميم الذين يوجبون حذفه؛ فالجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة: ﴿هَادِىَ﴾، كما يجوز تعليقهما به لأنه اسم فاعل، وعليهما فخبر (لا) محذوف، تقديره: موجود، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط عند الجمهور، والدسوقي يقول: لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد. وانظر باقي الإعراب في الآية [١٧٨]. والجملة الاسمية: ﴿مَن...﴾ إلخ أو الفعلية على الاعتبار الثاني تعليل كما رأيت في الشرح، أو هي مستأنفة، ولا محل لها على الاعتبارين. ﴿وَيَذَرُهُمْ﴾: بالجزم

معطوف على محل جواب الشرط، والفاعل يعود إلى ﴿ٱللَّهُ﴾ وعلى قراءة الرفع، فالفاعل تقديره: «نحن» على قراءة النون، وتقديره «هو» على قراءة الياء، والجملة الفعلية على الاعتبارين في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، فعلى الأول التقدير: ونحن نذرهم، وعلى الثاني التقدير: وهو يذرهم، والجملة الاسمية على الاعتبارين مستأنفة، لا محل لها، والهاء مفعول به. وانظر باقي الإعراب في الآية رقم [١١٠/ ٦] فإنه جيد.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾

الشرح: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة، أو بعض اليهود، كما ستراه آخراً. وانظر ما ذكرته في: (سأل) في الآية رقم [١/ ٨] تجد ما يسرك. ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾: انظر الآية رقم [٣٤]. ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: متى وقوعها؟ وقيل: متى إثباتها، واستقرارها؟ ورسو الشيء: ثباته، واستقراره، ومنه: رسا الجبل، وأرسى السفينة. وهذا على فتح الميم، والأول على ضم الميم. ﴿قُلْ﴾: انظر «القول» في الآية رقم [٥]. ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى﴾ أي: علم وقوع الساعة، وهو يوم القيامة، عند الله، استأثر به، فلم يطلع عليه نبيّاً مرسلاً، ولا ملكاً مقرباً. ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا يظهر الساعة في وقتها المحدد لها إلا الله تعالى. ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: خفي علمها على أهل السموات والأرض، وكل ما خفي علمه فهو ثقيل على الفؤاد.

وقال ابن جريج، والسدي: عظم وصفها على أهل السموات والأرض، وذلك لعظم هولها. وانظر شرح: ﴿ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ في الآية رقم [١/ ٦]. ﴿لَا تَأْتِيكُمْ﴾: انظر (أتى) في الآية رقم [٣٥]. ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة على حين غفلة. ﴿كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ أي: عالم بها، كثير السؤال عنها من قولهم: أحفيت في المسألة: إذا بالغت في السؤال عنها؛ حتى علمتها. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: وليس في السؤال، ولا في الجواب تكرار: لأن السؤال الأول عن وقت قيام الساعة، والثاني عن أحوالها من ثقلها، وشدائدها، والفرق بين الجوابين لطيف، وهو أنه لما كان السؤال الأول واقعاً عن وقت قيام الساعة عبر عن الجواب فيه بقوله تعالى: «علم وقت قيامها عند ربي»، ولما كان السؤال الثاني واقعاً عن أحوالها، وشدائدها، وثقلها عبر عن الجواب فيه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ لأنه أعظم الأسماء. ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أن علمها عند الله، وأنه استأثر بعلم ذلك حتى لا يسألوا عنه. وانظر شرح: ﴿ٱلنَّاسِ﴾ في الآية رقم [٨٢]. ﴿رَبِّى﴾: انظر الآية رقم [٣].

تنبيه: قال المحققون: سبب إخفاء علم الساعة، ووقت قيامها عن العباد؛ ليكونوا دائماً على خوف، وحذر منها؛ لأنهم إذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت؛ كانوا على وجل وخوف منها، فيكون ذلك أدعى لهم إلى الطاعة، والتوبة، وأزجر لهم عن المعصية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَتقومَنَّ الساعةُ؛ وقدْ نشر الرجلانِ ثوبَهما بينهما، فلا يتبايعانِهِ، ولا يَطويانِهِ، ولَتقومَنَّ الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبنِ لُقْحَتِهِ، فلا يطعمُهُ، ولَتقومنَّ الساعةُ، وهوَ يَليطُ حوضَه فلا يَسقي فيهِ، ولَتقومنَّ السَّاعةُ وقدْ رفعَ أكْلَتَهُ إلى فيهِ، لا يطعمُها**». متفق عليه. هذا؛ وقد أخفى الله أموراً أخرى مثل ليلة القدر، وساعة الإجابة يوم الجمعة؛ ليجتهد العبد في كل ليالي شهر رمضان في العبادة، وليكون مجتهداً في الدعاء كل يوم الجمعة.

تنبيه: قد ثبت: أن للساعة علامات، وهي صغرى، وكبرى، فالصغرى قد ظهر جميعها، كقبض العلم الشرعي، وتقارب الزمان، وفيض المال، وكثرة الزلازل، وكثرة القتل، وتطاول البدو في البنيان، وكثرة الفجور، والفسوق، وغير ذلك مما هو واقع، ومشاهد الآن. وأما العلامات الكبرى فعشرة، أذكر منها ظهور المهدي، ونزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال، وأما خروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وغير ذلك فهو من مبادئ وقوع الساعة، وقيامها كما هو ثابت في الأحاديث الصحيحة. والله أعلم، وأجل، وأكرم.

الإعراب: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾: فعل، وفاعل، ومفعول به. ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، وهما في محل نصب مفعوله الثاني. ﴿أَيَّانَ﴾: اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بمحذوف خبر مقدم. ﴿مُرْسَىٰهَا﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، و(ها): في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية بدل من ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، فهي في محل جر، والتقدير: يسألونك عن زمان حلول الساعة. وجوز الجمل عن السمين: أن الظرف: ﴿أَيَّانَ﴾ منصوب بفعل محذوف رافع لـ ﴿مُرْسَىٰهَا﴾ بالفاعلية، وهو مذهب أبي العباس المبرد. انتهى. والمعتمد الأول، وجملة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿عِلْمُهَا﴾: مبتدأ، وها، في محل جر بالإضافة، من إضافة المصدر لمفعوله، وفاعله محذوف. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر المبتدأ، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّى﴾: مضاف إليه مجرور، وعلامة جره كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّمَا...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، والجملة الفعلية: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُجَلِّيهَا﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء... إلخ، و(ها): في محل نصب مفعول به. ﴿لِوَقْتِهَآ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(ها): في محل جر بالإضافة. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿هُوَ﴾: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل الفعل. ﴿لَا يُجَلِّيهَا﴾، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، ﴿ثَقُلَتْ﴾: ماض، والفاعل

يعود إلى: ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، والتاء للتأنيث، والجملة الفعلية في محل نصب حال من ضمير: ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾، والرابط عود الضمير إليها، والجملة على تقدير «قد» قبلها. ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾: معطوف على ما قبله. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿تَأْتِيكُمْ﴾: مضارع مرفوع... إلخ، والفاعل يعود إلى ﴿ٱلسَّاعَةِ﴾ أيضاً، والكاف: مفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب حال أيضاً، فتكون الحال قد تكررت، وهي جملة. ونقل الْجَمَلُ عن أبي السعود: أنه يعتبر الجُمل كلها مستأنفة، فإذاً تكون في محل نصب مقول القول، وعلى اعتبارها أحوالاً، فهي ضمناً في محل نصب مقول القول أيضاً. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿بَغْتَةً﴾: مفعول مطلق لفعل محذوف، أو هو مصدر في محل الحال، أي باغتة لكم، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ...﴾ إلخ: فعل، وفاعل ومفعول به، والمتعلق محذوف اكتفاء بما قبله، والجملة الفعلية مؤكدة لسابقتها لفظاً لا محل لها مثلها. ﴿كَأَنَّكَ﴾: حرف مشبه بالفعل، والكاف اسمها. ﴿حَفِيٌّ﴾: خبرها. ﴿عَنْهَا﴾: متعلقان بـ ﴿حَفِيٌّ﴾؛ لأنه اسم فاعل، أو اسم مفعول، والجملة الاسمية: ﴿كَأَنَّكَ...﴾ إلخ في محل نصب حال من الضمير المفعول به، والرابط الضمير فقط. ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ تقدم إعراب هذه الجملة، وهي مستأنفة، لا محل لها. (لكنَّ): حرف مشبه بالفعل. ﴿أَكْثَرَ﴾: اسمها، وهو مضاف، و﴿ٱلنَّاسِ﴾: مضاف إليه، وجملة: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ مع المفعول المحذوف المقدر في الشرح في محل رفع خبر: (لكن)، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول أيضاً.

﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾

الشرح: ﴿قُلْ﴾: هذا خطاب للنبي ﷺ. ﴿لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي...﴾ إلخ: أي: لا أملك لنفسي جلب نفع ولا دفع ضر، ففيه إظهار العبودية لله تعالى، والتبري من ادعاء العلم بالغيب. هذا؛ وقد قدم سبحانه: ﴿ضَرًّا﴾ على: ﴿نَفْعًا﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (يونس). ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أي: أن يطلعني عليه من علم الغيب كرماً وفضلاً، فيلهمني إياه، ويوفقني إليه. وانظر (النفس) في الآية رقم [٩]. ﴿شَآءَ﴾: انظر الآية رقم [٨٩]. ﴿ٱللَّهُۚ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾: المعنى واضح. وانظر إعلال مثل: ﴿كُنتُ﴾ في الآية رقم [١٠]. ﴿ٱلْغَيْبَ﴾: كل ما يغيب عن الإنسان. وانظر الآية رقم [١١٢/ ٥]. ﴿مَسَّنِيَ﴾: أصابني. ﴿ٱلسُّوٓءُۚ﴾: الفقر والجوع والمرض، وغير ذلك. وانظر الآية رقم [٧٣]. ﴿إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ...﴾ إلخ: أي ما أنا إلا عبد مرسل للتخويف من الكفر، والمعاصي، وللتبشير بالجنة، والنعيم المقيم للمتقين المطيعين. وخص المؤمنين بالذكر؛ لأنهم هم المنتفعون بالإنذار والتبشير، ولأنهم يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: انظر الآية رقم [٣١]. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾: انظر (الإيمان) في الآية [٢].

تنبيه: قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: إن أهل مكة قالوا: يا محمد! ألا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل أن يغلو، فتشتري به، فتربح فيه عند الغلاء، وبالأرض التي يريد أن تجدب، فترحل عنها إلى ما قد أخصبت؟! فأنزل الله الآية الكريمة. انتهى خازن.

الإعراب: ﴿قُل﴾: أمر، وفاعله مستتر وجوباً تقديره: «أنت». ﴿لَّآ﴾: نافية. ﴿أَمْلِكُ﴾: مضارع، والفاعل مستتر تقديره: «أنا». ﴿لِنَفْسِى﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة. هذا؛ وجوز تعليقهما بمحذوف حال من: ﴿نَفْعًا﴾ كان صفة له... إلخ. ﴿نَفْعًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية، ويقال: زائدة لتأكيد النفي. ﴿ضَرًّا﴾: معطوف على ما قبله. ﴿إِلَّا﴾: أداة استثناء. ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل نصب على الاستثناء، والجملة بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: إلا الذي؛ أو شيئاً شاءه الله، وجملة: ﴿لَّآ أَمْلِكُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُل...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (لو): حرف لما كان سيقع لوقوع غيره. ﴿كُنتُ﴾: ماض ناقص، مبني على السكون، والتاء اسمه، وجملة: ﴿أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ﴾ في محل نصب خبر كان، وجملة: ﴿كُنتُ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال: لأنها جملة شرط غير جازم. ﴿لَٱسْتَكْثَرْتُ﴾: اللام: واقعة في جواب (لو). (استكثرت): فعل، وفاعل، والجملة الفعلية جواب (لو) لا محل لها. ﴿مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾: متعلقان بما قبلهما، و(لو) ومدخولها في محل نصب مقول القول. ﴿وَمَا﴾: نافية. ﴿مَسَّنِىَ﴾: ماض، والنون للوقاية، وياء المتكلم مفعول به. ﴿ٱلسُّوٓءُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية معطوفة على جواب (لو) لا محل لها مثله. ﴿إِنْ﴾: حرف نفي. ﴿أَنَا۠﴾: ضمير منفصل مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿إِلَّا﴾: حرف حصر. ﴿نَذِيرٌ﴾: خبر المبتدأ. (بشير): معطوف على ما قبله. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ ﴿نَذِيرٌ﴾، أو بـ ﴿وَبَشِيرٌ﴾ على التنازع، وجملة: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ مع المتعلق المحذوف في محل جر صفة: (قوم). والجملة الاسمية: ﴿إِنْ أَنَا۠...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾﴾

الشرح: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: انظر شرح هذه الكلمات في الآية رقم [١] (النساء) ففيه الكفاية، مع إبدال (خلق) بـ (جعل) وهما بمعنى واحد. وانظر الفرق بينهما في الآية رقم [٦/١] وانظر (الزوج) في الآية رقم [١٩]. ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾: ليستأنس بها،

ويطمئن إليها اطمئنان الشيء إلى جزئه، أو جنسه. ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾: جامعها، كنى به عن الجماع أحسن كناية. لأن الغشيان إتيان الرجل المرأة، وقد غشيها، وتغشاها: إذا علاها، وتجللها. والتعبير بما رأيت أدب من آداب القرآن الكريم وهو كثير، فقد رأيت التعبير بالمس في الآية رقم [٢٣٦/ ٢] وهو كناية عن الجماع، وكذلك ﴿لَامَسْتُمُ﴾ في الآية رقم [٤٣/ ٣] وفي الآية رقم [٧/ ٥] كناية عن الجماع أيضاً عند بعض الفقهاء والمفسرين وغير ذلك، وهذا الأدب تجده في أحاديث الرسول ﷺ، وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ومن ذلك قول عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت منه» أي من النبي ﷺ «ولا رأى مني» تعني الفرج. ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ أي: لم تلق منه ما يلقى الحبالى من النساء من الكرب والأذى، أثناء الحمل، ولم تستثقله كما يستثقلنه، وهذه الخفة كانت في أول الحمل حين كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. ﴿فَمَرَّتْ بِهِ﴾: فاستمرت به، أي: قامت وقعدت، وراحت ورجعت، وهي لا تشعر بثقل ذلك الحمل. وقرئ: (فَمَرَتْ) بالتخفيف وقرئ (فاستمرت) و(فمارت) من المور، وهو المجيء والذهاب، أو من المرية، وهي الشك، أي فظنت الحمل وارتابت به في أول الأمر. ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَت﴾: صارت ذا ثقل بكبر الولد في بطنها، وقرب وقت ولادتها. وقرئ بالفعل بالبناء للمجهول، أي: أثقلها حملها. ﴿دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أي: سأل الله آدم وحواء أن يرزقهما ولداً بشراً سويّاً مثلهما. ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا﴾ إلخ: أي وحقك إن أعطيتنا ما سألناك لنشكرنك على إنعامك وإفضالك. هذا؛ والشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله.

تنبيه: ﴿حَمْلًا﴾: بفتح الحاء، وسكون الميم، قال ابن السكيت: الحَمْل بالفتح ما كان في بطن، أو على رأس شجرة، والحِمْل بالكسر ما كان على ظهر، أو رأس. قال الأزهري: وهذا هو الصواب، وهو قول الأصمعي، وقال القرطبي: وقد حكى يعقوب في حمل النخلة الكسر، وقال أبو سعيد السيرافي: يقال في حمل المرأة حَمْل وحِمْل، يشبه مرة لاستبطانه بحَمْل المرأة، ومرة لبروزه، وظهوره بحمل الدابة. انتهى.

الإعراب: ﴿هُوَ﴾: ضمير رفع منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ. ﴿الَّذِي﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبره. ﴿خَلَقَكُمْ﴾: ماض، والكاف مفعول به، والفاعل يعود إلى: ﴿الَّذِي﴾، وهو العائد، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿مِنْ نَفْسٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَاحِدَةٍ﴾: صفة: ﴿نَفْسٍ﴾، وجملة: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ معطوفة على جملة الصلة، لا محل لها مثلها. ﴿لِيَسْكُنَ﴾: مضارع منصوب بـ: «أن» مضمرة بعد لام التعليل، والفاعل يعود إلى: ﴿نَفْسٍ﴾، وقد ذكر باعتبار المعنى؛ لأن المقصود آدم، وهو مذكر. ﴿إِلَيْهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، و«أن» المضمرة، والمضارع في تأويل مصدر في محل جر بلام التعليل، والجار والمجرور متعلقان بالفعل: (جعل)، التقدير: جعل منها زوجها؛ لسكونه إليها.

والجملة الاسمية: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (لمَّا): حرف وجود لوجود عند سيبويه، وبعضهم يقول: وجوب لوجوب. وهي ظرف بمعنى «حين» عند ابن السراج، والفارسي، وابن جني، وجماعة، تتطلب جملتين مرتبطتين ببعضهما ارتباط فعل الشرط بجوابه، وصوب ابن هشام الأول، والمشهور الثاني. ﴿تَغَشَّىٰهَا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف للتعذر، والفاعل يعود إلى: ﴿نَّفْسٍ﴾، وذكر كسابقه، و(ها): مفعول به، والجملة الفعلية لا محل لها على القول بحرفية (لمَّا) لأنها حينئذ ابتدائية، وهي في محل جر بإضافة (لمَّا) إليها على القول بظرفيتها، وعلى اعتبارها متعلقة بالجواب. ﴿حَمَلَتْ﴾: ماض، والتاء للتأنيث، والفاعل يعود إلى حوَّاء المعبر عنها بـ ﴿زَوْجَهَا﴾. ﴿حَمْلًا﴾: مفعول مطلق إن أريد به المصدر، ومفعول به إن أريد به الولد الذي في بطنها. ﴿خَفِيفًا﴾: صفته، والجملة الفعلية: ﴿حَمَلَتْ...﴾ إلخ جواب (لما) لا محل لها، و(لمَّا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له وجملة: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ معطوفة على جواب (لمَّا) لا محل لها مثله. ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ هو مثل سابقه في إعرابه. ﴿دَّعَوَا﴾: ماض، وألف الاثنين فاعله. ﴿ٱللَّهَ﴾: منصوب على التعظيم. ﴿رَبَّهُمَا﴾: بدل من لفظ الجلالة بدل كل من كل، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم والألف حرفان دالان على التثنية، ومتعلق الدعاء محذوف لدلالة الجملة القسمية عليه، أي: دعوا الله في أن يرزقهما ولداً صالحاً. وجملة: ﴿دَّعَوَا...﴾ إلخ جواب (لمَّا)... إلخ، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿لَئِنْ﴾: اللام: موطئة لقسم محذوف، (إن): حرف شرط جازم. ﴿ءَاتَيْتَنَا﴾: ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط، والتاء فاعله، و(نا): مفعول به أول. ﴿صَٰلِحًا﴾: صفة للمفعول الثاني المحذوف، أي ولداً صالحاً، وجملة: ﴿ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿لَّنَكُونَنَّ﴾: مضارع ناقص مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة، التي هي حرف لا محل له، واللام واقعة في جواب القسم المحذوف، واسم الفعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «نحن». ﴿مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر (نكون)، والجملة الفعلية: ﴿لَّنَكُونَنَّ...﴾ إلخ جواب القسم المحذوف، وجواب الشرط محذوف لدلالة جواب القسم عليه. وانظر الآية رقم [٩٠] تجد ما يسرك. والقسم وجوابه فيه وجهان: أظهرهما: أنه مفسر لجملة الدعاء، كأنه قيل: فما كان دعاؤهما؟ فقيل: كان كذا، وكذا. والثاني: أنه معمول لقول مضمر، تقديره: فقالا: لئن... إلخ. انتهى. جمل نقلاً عن السمين.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾

الشرح: فلما رزق الله آدم وحواء ولداً بشراً سوياً؛ جعلا له شركاء فيما أعطاهما من الولد الصالح. هذا؛ ويقرأ: (شِرْكا) بكسر الشين، وكلاهما بمعنى الشريك، والمراد به: إبليس اللعين

أخزاه الله! وعبر بالأول، وهو الجمع عن المفرد على سبيل المبالغة، حيث سميا الولد عبد الحارث كما ستقف عليه، وما فعلاه ليس بإشراك في العبادة، بل هو إشراك في التسمية فقط، وهذا لا يقتضي الكفر. ﴿فَتَعَـٰلَى﴾: تنزه سبحانه، وهو فعل ناقص التصرف يأتي منه المضارع، ولا يأتي منه الأمر. ﴿ٱللَّهُ﴾: انظر الآية رقم [٨٧].

الإعراب: (لمَّا): انظر الآية السابقة. ﴿ءَاتَىٰهُمَا﴾: ماض مبني على الفتح المقدر على الألف، والفاعل يعود إلى (الله) تقديره: «هو»، والهاء مفعول به أول، والميم والألف حرفان دالان على التثنية. ﴿صَـٰلِحًا﴾: صفة لمفعول ثان محذوف. وانظر مثل جملة: ﴿ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا﴾ في الآية السابقة ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ﴾ إفراداً ومحلّاً، والجار والمجرور ﴿لَهُۥ﴾ يحتمل تعليقهما بالفعل قبلهما، وبمحذوف حال من: ﴿شُرَكَآءَ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿فِيمَآ﴾: جار ومجرور متعلقان بالفعل: ﴿جَعَلَا﴾، أو بمحذوف صفة: ﴿شُرَكَآءَ﴾، و(ما) تحتمل الموصولة، والموصوفة، فهي مبنية على السكون في محل جر، والجملة الفعلية بعدها صلتها، أو صفتها، والعائد، أو الرابط محذوف؛ إذ التقدير: في الذي، أو في شيء آتاهما إياه، و(لمَّا) ومدخولها كلام معطوف على ما قبله لا محل له مثله. ﴿فَتَعَـٰلَى﴾: الفاء: حرف استئناف. (تعالى): ماض... إلخ. ﴿ٱللَّهُ﴾: فاعله، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها وقيل: معطوفة على جملة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى...﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض. ﴿عَمَّا﴾: عن: حرف جر. (ما): مصدرية تؤول مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر بـ (عن)، والجار والمجرور متعلقان بالفعل قبلهما، التقدير: تعالى الله عن شركهم، ولا تحتمل (ما) الموصولة، ولا الموصوفة هنا. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾﴾

الشرح: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة، والمتعلق محذوف، التقدير: به في العبادة. ﴿مَا﴾: واقعة على الأصنام المعبودة، وأفرد الضمير في الفعل بعدها نظراً للفظها، وجمع في الضمائر: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ نظراً لمعناها، وهو الأصنام، والتعبير عن الأصنام بضمير العقلاء، بالنظر لما يلزم زعمهم فيها من الألوهية المستلزمة للعقل. انتهى جمل.

تنبيه: في تفسير الآيات المتقدمة كلام كثير وروايات متعددة، أذكر منها ما يلي: قال بعض المفسرين: لما أهبط الله آدم، وحواء إلى الأرض؛ ألقيت الشهوة في نفس آدم، فأصاب حواء، فحملت من ساعتها، فلما ثقل الحمل، وكبر الولد في بطنها، أتاها إبليس، في صورة رجل، فقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري؟ قال: إني أخاف أن يكون بهيمة، أو كلباً، أترين في الأرض إلا بهيمة، أو نحوها، قالت: إني أخاف بعض ذلك، قال: وما يدريك من أين

يخرج؟ أمن دبرك، أو من فيك، أو يشق بطنك، فيقتلك؟ فخافت حواء من ذلك، وذكرته لآدم، فلم يزالا في غم من ذلك، ثم عاد إليها إبليس، فقال لها: إني من الله بمنزلة، فإن دعوت الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك، ويسهل عليك خروجه؛ فسميه عبد الحارث، واسم إبليس في الملائكة الحارث، فذكرت ذلك حواء لآدم عليهما السلام، فقال: لعله صاحبنا الذي قد علمت، فعاودها إبليس، فلم يزل بهما حتى غرهما، فلما ولدت سمياه عبد الحارث. انتهى. خازن. وانظر قصة هابيل وقابيل. وما ذكرته في الآية رقم [٣٠] من سورة (المائدة).

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: كانت حواء تلد لآدم، فيسميه عبد الله، وعبيد الله، وعبد الرحمن، فيصيبهم الموت، فأتاهما إبليس، وقال لهما: إن سركما أن يعيش لكما ولد؛ فسمياه عبد الحارث، فولدت، فسمياه عبد الحارث، فعاش. انتهى. خازن.

قال القرطبي: ونحو ذلك مذكور في ضعيف الحديث في الترمذي، وغيره، وفي الإسرائيليات كثير ليس له ثبات، فلا يعول عليه من له قلب، فإن آدم وحواء عليهما السلام، وإن غرهما بالله الغرور، فلا يلدغ المؤمن من جحر مرتين على أنه قد سطر، وكتب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَدَعَهُمَا مرَّتيْن، خدَعَهما في الجنةِ، وخَدَعهما في الأرض**». انتهى.

هذا؛ وعن سمرة بن جندب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا حملتْ حواءُ طافَ بها إبليسُ، وكان لا يعيشُ لها ولدٌ، فقال: سَمِّيهِ عبدَ الحارثِ فإنَّهُ يعيشُ، فسمَّتْهُ فعَاشَ، وكانَ ذَلِكَ من وَحْيِ الشَّيْطانِ، وأمْرِهِ**». رواه الحاكم، وقال: صحيح، والترمذي، وقال: حسن غريب. وهذا الحديث موجود في تفسير الخازن، وذكره الجلال، وقال الجمل، وفي الكرخي: وقصد الشيخ المصنف بسياق الحديث التلويح بالرد على البيضاوي وغيره: أن هذا الكلام لا يليق بالأنبياء. انتهى.

قال البيضاوي: ويحتمل أن يكون الخطاب في: ﴿خَلَقَكُم﴾ لآل قصي من قريش، فإنهم خلقوا من نفس قصي، وكان لها زوج من جنسها قرشية عربية، فطلبا من الله الولد، فأعطاهما أربعة بنين، فسمياهم عبد مناف، وعبد شمس، وعبد قصي، وعبد الدار، ويكون الضمير في (يُشْرِكُونَ) لهما، ولأعقابهما المقتدين بهما. انتهى. والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿أَيُشْرِكُونَ﴾: الهمزة: حرف استفهام إنكاري توبيخي. (يشركون): فعل، وفاعل. ﴿مَا﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَخْلُقُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «هو» يعود إلى الموصول. ﴿شَيْئًا﴾: مفعول به، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها، وجملة: ﴿أَيُشْرِكُونَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. (هم): ضمير مبني على السكون في محل رفع مبتدأ. ﴿يُخْلَقُونَ﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع... إلخ، والواو نائب فاعله، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية: ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾

الشرح: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ أي: إن الأصنام التي يعبدها، ويقدسها الكفار، لا تقدر على نصرهم إذا احتاجوا لذلك. ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ أي: ولا يقدرون على أن يدفعوا عن أنفسهم مكروهاً، فإن من أراد كسرها قدر عليه، وهي لا تقدر على دفعه، وقصة إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ شاهد صدق على ذلك.

الإعراب: ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، لا محل لها مثلها. ﴿لَهُمْ﴾: جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَصْرًا﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿نَصْرًا﴾: مفعول به. ﴿وَلَآ﴾: الواو: حرف عطف. (لا): نافية. ﴿أَنفُسَهُمْ﴾: مفعول به مقدم، والهاء في محل جر بالإضافة، والميم علامة جمع الذكور. ﴿يَنصُرُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها لا محل لها أيضاً.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ١٩٣﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ﴾ إلخ: الخطاب للكفار، وضمير النصب للأصنام، والمعنى. وإن تدعوا آلهتكم إلى طلب هدى، ورشاد كما تطلبونه من الله؛ لا يتابعوكم على مرادكم، ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله، ويجوز أن يكون الخطاب للرسول ﷺ والمؤمنين، والضمير المنصوب للكفار، أي: وإن تدعوا الكفار إلى الإيمان، لا يستجيبوا لكم. وإنما جمع المؤمنون مع الرسول لأن كل واحد منهم يدعو الكفار إلى الإيمان، ويرغبهم فيه، كما فعل أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وغيره. هذا؛ وقد قرئ الفعل: ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ بتشديد التاء وتخفيفها. ﴿سَوَآءٌ﴾: اسم بمعنى مستو، وهو ما في الآية، ويأتي بمعنى الوسط، كما في قوله تعالى ﴿فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ﴾ أي وسط الجحيم، ويأتي بمعنى العدل، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾ وسواء الشيء: غيره، قال الأعشى:

تجانَفُ عن جَوِّ اليمامةِ ناقَتِي ... وما عَدَلَتْ عنْ أهلِها لِسَوائِكا

ويستعمل للجمع، فتقول: هم سَواءٌ، أي: متساوون، وقد يجمع، فيقال: هم أسواء، والأول أفصح. هذا؛ وسواءُ السبيل: ما استقام منه، وسواءُ الجبلِ: ذروته. ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾: هو مثل ما تقدم في الخطاب، وغيره. ﴿صَٰمِتُونَ﴾: ساكتون، والفعل: «صمت» من باب نصر، ويقال: صمِت، يصمَت من باب حسِب يحسَبُ. هذا؛ وقد وقع الالتفات في هذه الآية بالنسبة لسابقتها، وذلك من الغيبة إلى الخطاب. وانظر فائدته في الآية رقم [٦] (الأنعام).

الإعراب: ﴿وَإِن﴾: الواو: حرف استئناف. (إن): حرف شرط جازم. ﴿تَدْعُوهُمْ﴾: فعل مضارع فعل الشرط مجزوم، وعلامة جزمه حذف النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والميم علامة جمع الذكور، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿إِلَى الْهُدَىٰ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿لَا﴾: نافية، ﴿يَتَّبِعُوكُمْ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، وهو جواب الشرط مجزوم مثل سابقه، والجملة الفعلية لا محل لها؛ لأنها جملة جواب الشرط، ولم تقترن بالفاء، ولا بإذ الفجائية و(إن) ومدخولها كلام مستأنف، وهو أولى من العطف على ما قبله. ﴿سَوَاءٌ﴾: خبر مقدم. ﴿عَلَيْكُمْ﴾: متعلقان به. ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام وتسوية. (دعوتموهم): ماض مبني على السكون، والتاء فاعله، والميم حرف دال على جماعة الذكور، وحركت بالضم، فتولدت واو الإشباع، والهاء مفعول به. ﴿أَمْ﴾: حرف عطف. ﴿أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾: مبتدأ وخبر، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، وهمزة التسوية تؤول مع ما بعدها بمصدر في محل رفع مبتدأ مؤخر، التقدير: دعاؤكم لهم وسكوتكم سواء عليكم في عدم الإفادة. هذا؛ وبعضهم يعتبر ﴿سَوَاءٌ﴾ مبتدأ، والمصدر المؤول خبره، والمعنى لا يتغير. هذا؛ وإنما عدل عن مجيء الجملة الفعلية الواقعة بعد ﴿أَمْ﴾ إلى الاسمية للمبالغة في عدم إفادة الدعاء ببيان مساواته للسكوت الدائم المستمر، وفي السمين: وإنما أتى بالجملة الثانية اسمية؛ لأن الفعل يشعر بالحدوث، ولأنها رأس فاصلة. انتهى جمل بتصرف.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾

الشرح: ﴿تَدْعُونَ﴾: تعبدون، أو تُسَمُّون. ﴿دُونِ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿اللَّهِ﴾: انظر الآية رقم [٨٧]. ﴿عِبَادٌ﴾: جمع: عبد، ويجمع أيضاً على عبيد، والمراد مخلوقون، لا المراد: أرقاء مستعبدون. ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾: جمع مثل بمعنى أشباهكم. وانظر الآية رقم [٩٣] الأنعام. ﴿فَادْعُوهُمْ﴾: اسألوهم جلب نفع، أو دفع ضر. ﴿كُنتُمْ﴾: انظر إعلال: ﴿قُلْنَا﴾ في الآية رقم [١١] فهو مثله. هذا؛ وقرئ (إنْ) بسكون النون، و(عباداً) بالنصب، و﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ بالرفع والنصب.

المعنى: إن الأصنام التي تعبدونها من دون الله مملوكة لله أمثالكم مسخرة مذللة مثل ما أنتم مسخرون مذللون. وقد وصفها الله بأنها عباد مع كونها جماداً؛ لأن المشركين لما ادعوا أنها تضر وتنفع وجب أن يعتقدوا: أنها عاقلة، فاهمة، فوردت هذه الألفاظ على وفق معتقدهم. وجواب آخر، وهو: أن هذا اللفظ إنما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين.

والمعنى: أن قصارى هذه الأصنام؛ التي تعبدونها أحياء عاقلة على معتقدكم، فهم عباد لله أمثالكم، ولا فضل لهم عليكم، فلم عبدتموهم، وجعلتموهم آلهة، وجعلتم أنفسكم عبيداً لهم؟!

انتهى خازن بتصرف كبير. أقول: وأحد هذين الاعتبارين هو الذي سبب إجراء جمع المذكر السالم على الحجارة المعبودة من دون الله في هذه الآية، والآية التالية. وانظر إطلاق (مَنْ) على الأصنام في الآية رقم [٣٤/ ١٠]. والله أعلم بمراده، وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿ٱلَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف؛ إذ التقدير: تدعونهم. ﴿مِن دُونِ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المحذوف، و﴿دُونِ﴾: مضاف، و﴿ٱللَّهِ﴾: مضاف إليه. ﴿عِبَادٌ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾: صفة: ﴿عِبَادٌ﴾، والكاف في محل جر بالإضافة. هذا؛ وعلى القراءة الثانية ف (إنْ): حرف نفي بمعنى (ما)، يعمل عملها وهي حجازية و﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسمها مبني على الفتح في محل رفع، و(عباداً): خبرها منصوب و﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ صفته على نصبه، وعلى رفعه فهو الخبر، و(عباداً): يكون حالاً من الضمير المحذوف؛ الذي رأيت تقديره. وهذه القراءة شاذة.

قال النحاس: وهذه القراءة لا ينبغي أن يقرأ بها؛ لأنها مخالفة للسواد، أي للجمهور، ولأن سيبويه يهملها، ولا يعملها، ولأن الكسائي زعم: أنَّ ﴿إِنِ﴾ لا تكاد تأتي في كلام العرب بمعنى (ما) إلا أن يكون بعدها إيجاب، كقوله تعالى ﴿إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾. ﴿فَٱدْعُوهُمْ﴾: الفاء: هي الفصيحة. وانظر الآية رقم [٣٨]. (ادعوهم): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والهاء مفعوله، والجملة الفعلية لا محل لها على جميع الوجوه المعتبرة في الفاء، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟﴾: الفاء: حرف عطف. اللام: لام الأمر، وسكنت لثقل الكسرة بعد (الفاء) كما تسكن بعد الواو وثم. (يستجيبوا): مضارع مجزوم بلام الأمر، وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ انظر إعراب مثل هذه الجملة في الآية رقم [٧٠].

﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾﴾

الشرح: ﴿أَلَهُمْ﴾ أي: للأصنام التي يعبدونها. والاستفهام للتوبيخ، والتقريع، وقد رأيت في الآية السابقة السبب في إطلاق جمع المذكر السالم عليها. ﴿يَمْشُونَ﴾: إعلاله مثل إعلال: ﴿نَسُوا۟﴾ في الآية رقم [٤٤/ ٦]. ﴿أَيْدٍ﴾: انظر الآية رقم [١٠٨] لشرحه، وإعلاله مثل إعلال: ﴿لَءَاتٍ﴾ في الآية رقم [١٣٤/ ٦]. ﴿يَبْطِشُونَ﴾: الجمهور على قراءته بكسر الطاء من باب ضرب، وقرأ الحسن البصري وغيره بضم الطاء من باب: قتل، وهي لغة. والبطش: هو الأخذ بعنف.

﴿آذَانٌ﴾: انظر الآية رقم [١١٦]. ﴿يَسْمَعُونَ﴾: انظر الآية رقم [١٠٠]. ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾: آلهتكم. والمعنى: ادعوا أصنامكم واستعينوا بهم في عداوتي. ﴿ثُمَّ كِيدُونِ﴾: فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكر، ولا تمهلوني، فإني لا أبالي بكم لاعتمادي على ولاية الله وحفظه وانظر ما ذكرته في الآية رقم [٣٤] من سورة (يونس) عليه الصلاة، والسلام. ﴿ثُمَّ﴾: انظر الآية رقم [١٠٣].

معنى الآية الكريمة إن قدرة الإنسان المخلوق إنما تكون بجوارحه المذكورة، فإنها آلات يستعين بها في جميع أموره، والأصنام ليس لها من هذه الأعضاء شيء، فهو مفضل عليها بهذه الأعضاء. فظهر بهذا: أن الإنسان أفضل منها بكثير لعجزها، بل لا فضل لها البتة؛ لأنها حجارة، وجماد لا تضر، ولا تنفع، فكيف يليق بالإنسان العاقل الأفضل أن يشتغل بعبادة الأدون؛ الأرذل، الذي لا يضر، ولا ينفع؟.

الإعراب: ﴿أَلَهُمْ﴾: الهمزة: حرف استفهام توبيخي إنكاري. (لهم): جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم. ﴿أَرْجُلٌ﴾: مبتدأ مؤخر مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين. ﴿يَمْشُونَ﴾: مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله. ﴿بِهَا﴾: جار ومجرور متعلقان بما قبلهما، وجملة: ﴿يَمْشُونَ بِهَا﴾ في محل رفع صفة: ﴿أَرْجُلٌ﴾، وإعراب ما قبل هذه الجملة، وما بعدها مثلها بلا فارق، والجمل كلها مستأنفة، لا محل لها. ﴿قُلِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ادْعُوا﴾: أمر، والواو فاعله، والألف للتفريق، ﴿شُرَكَاءَكُمْ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿كِيدُونِ﴾: فعل أمر مبني على حذف النون؛ لأن مضارعه من الأفعال الخمسة، والواو فاعله، والنون للوقاية، والمفعول محذوف، وهو ياء المتكلم؛ إذ التقدير: فكيدوني. وقد قرئ بها. ﴿فَلَا﴾: الفاء: حرف عطف. (لا): ناهية جازمة. ﴿تُنظِرُونِ﴾: مضارع مجزوم بـ (لا) وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعله، والنون للوقاية، والمفعول محذوف، وهو ياء المتكلم، مثل سابقه، والجمل الفعلية المتعاطفة في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلِ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها.

﴿إِنَّ وَلِيِّـيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)﴾

الشرح: ﴿وَلِيِّـيَ اللَّهُ﴾: متولي أموري، وناصري. وانظر: ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ في الآية رقم [٣]. ﴿نَزَّلَ الْكِتَابَ﴾: القرآن. والمعنى: كما أيدني بإنزال القرآن يتولى حفظي، وينصرني. وانظر شرح: ﴿الْكِتَابُ﴾ في الآية رقم [٢]. ﴿يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ أي: بنصره، وحفظه، فلا تضرهم عداوة من عاداهم من المشركين، وغيرهم.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئاً، ولا يعصونه بشيء أبداً. هذا؛ وقرئ: ﴿وَلِيَّ ٱللَّهُ﴾ بفتح الياء، وبالإضافة إلى (الله) والمراد به جبريل، قال القرطبي: والقراءة الأولى أبين لقوله: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿وَلِـِّۧيَ﴾: اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب، وعلامة نصبه فتحة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم، منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المناسبة، والياء في محل جر بالإضافة. ﴿ٱللَّهُ﴾: خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿ٱلَّذِى﴾: اسم موصول مبني على السكون في محل رفع صفة لما قبله، وعلى القراءة الثانية: (ولي): اسم: ﴿إِنَّ﴾ منصوب بالفتحة الظاهرة، وهو مضاف، و(الله): مضاف إليه، و﴿ٱلَّذِى﴾ خبر: ﴿إِنَّ﴾، وجملة: ﴿نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ صلة الموصول، والعائد رجوع الفاعل إليه، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول. (هو): مبتدأ، وجملة: ﴿يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ، والجملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل نصب مقول القول مثلها، واعتبارها في محل نصب حال من لفظ الجلالة غير مستبعد، والرابط: الواو، والضمير.

﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾﴾

انظر شرح هذه الآية في الآية رقم [١٩٢] و[١٩٣]. قال الخازن: والفائدة في تكريرها: أن الآية الأولى مذكورة على جهة التقريع، والتوبيخ، وهذه الآية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة، وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره، وحفظه، وبين هذه الأصنام، وهي ليست كذلك، فلا تكون معبودة.

الإعراب: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾: (الذين): مبتدأ، والجملة بعده صلته، والعائد محذوف، التقدير: والذين تدعونهم. ﴿مِن دُونِهِۦ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، ويجوز تعليقهما بمحذوف حال من الضمير المحذوف، والجملة الفعلية: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ. وانظر إعرابها، وإعراب ما بعدها في الآية رقم [١٩٢]. ﴿وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها، والجملة الاسمية: ﴿وَٱلَّذِينَ...﴾ إلخ معطوفة على الجملة الاسمية: ﴿إِنَّ وَلِـِّۧيَ...﴾ إلخ فهي في محل نصب مقول القول مثلها، واعتبرهما البيضاوي تعليلاً لما قبلهما، فتكون بدورها في محل نصب مقول القول.

﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟﴾: يقال في هذه الجملة ما قيل بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ﴾ في الآية رقم [١٩٣] من الاعتبارين. ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾: الخطاب في هذه الجملة للرسول ﷺ، والضمير المنصوب المراد به الكفار، أو الأصنام، فعلى

الأول يكون المعنى: للكفار عيون، ولكن لا يبصرون بها طريق الهدى والرشاد، كما أن لهم آذاناً، ولكن لا يسمعون كلمة الحق، والنصح، والسداد. وعلى الثاني يكون المعنى: للأصنام عيون، ولكن لا يبصرون بها. قيل: إن الكفار كانوا يصنعون لأصنامهم عيوناً من جواهر ثمينة، وصوراً بصورة من ينظر إلى من يواجهه. وإطلاق جمع المذكر السالم على الأصنام سببه ما ذكرته في الآية رقم [١٩٤]. وانظر إعلال (ترى) في الآية [١٤٣].

الإعراب: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ﴾ انظر إعراب هذه الجملة في الآية رقم [١٩٣]. الواو: حرف استئناف. (تراهم): مضارع مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر، والفاعل مستتر تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، وجملة: ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ في محل نصب حال، واكتفى (ترى) بمفعول واحد؛ لأنه بصري، وجملة (تراهم. . .) إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿وَهُمْ﴾: الواو: واو الحال. (هم): مبتدأ، وجملة: ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ مع المفعول المحذوف في محل رفع خبره، والجملة الاسمية ﴿وَهُمْ...﴾ إلخ في محل نصب حال من واو الجماعة، والرابط: الواو، والضمير.

﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾

الشرح: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾: استعمل العفو، والصفح عن المسيئين إليك، والمعتدين عليك. وقال الخازن: العفو هنا: الفضل، وما جاء بلا كلفة، والمعنى: اقبل الميسور من أخلاق الناس، ولا تستقص عليهم، فيستعصوا عليك، فتتولد منه العداوة، والبغضاء. وقيل: معناه: خذ الفضل من أموال الناس، وذلك قبل أن تفرض الزكاة، فلما فرضت، نسخت ذلك.

أقول: وهذا لا يناسب المقام. وانظر: ﴿عَفَوا۟﴾ في الآية رقم [٩٥]. ﴿وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾ أي: بالمعروف والجميل من الأفعال، والأخلاق، وقرئ بضمتين مثل: الحُلُم، قال القرطبي، وهما لغتان، العرف، والمعروف. والعارفة: كل خصلة حسنة ترتضيها العقول، وتطمئن إليها النفوس. انتهى. أقول: وضد ذلك المنكر. وانظر الآية رقم [١٥٦] و[١٠٤/ ٣] تجد ما يسرك. وانظر ما ذكرته في الآية رقم [١٤٥]. ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: فلا تجادلهم، ولا تعاملهم بأعمالهم، صيانة لك، ورفعة لقدرك عن مجاوبتهم. وهذا؛ وإن كان خطاباً للنبي ﷺ فهو تعليم، وتأديب لجميع خلقه، هذا فإن كان المراد بالجاهلين: الكفار؛ فهو منسوخ بآية السيف بحقهم، وإن كان المراد جفاة العرب، وأجلافهم؛ فالحكم لم ينسخ بحق النبي العظيم. وانظر (الجاهل) في الآية رقم [٣٥/ ٦] تجد ما يسرك.

تنبيه: روي: أنه لما نزلت الآية الكريمة قال الرسول المعظم ﷺ لجبريل ـ عليه السلام ـ: «**ما هذا؟**». قال: لا أدري حتى أسأل رب العزة، فسأل، ثم رجع، فقال: «**إنَّ رَبَّكَ يأمُرُكَ أن تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وتعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**». ذكره البغوي بغير سند، وقال جعفر

الصادق: أمر الله عز وجل نبيه ﷺ بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه، وقد نظم بعضهم ما قاله جبريل فيما يلي: [الرجز]

مكارمُ الأخلاقِ في ثلاثةٍ مَنْ كمُلَتْ فِيهِ فذلِكَ الفتَى
إعطاءُ من تحرِمُه ووصلُ مَنْ تقطَعُهُ والعفُو عمَّنِ اعْتَدى

وقال الرسول ﷺ: «**إنَّ هذه الأخلاقَ مِنَ اللهِ، فمن أرادَ اللهُ بهِ خَيراً مَنَحَهُ خلُقاً حَسَناً، ومَنْ أرادَ به سوءاً مَنَحَهُ خلُقاً سَيِّئاً**». رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه. وقال الشاعر الحكيم: [الكامل]

كلُّ الأمورِ تزولُ عنكَ وتَنقضي إلا الثَّناءَ فإنه لكَ بَاقي
ولو أنَّني خيِّرْتُ كُلَّ فضيلةٍ ما اخْترْتُ غيرَ مكارِمِ الأَخْلاقِ

الإعراب: ﴿خُذِ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿ٱلْعَفْوَ﴾: مفعول به، والجملة الفعلية مستأنفة، لا محل لها، وما بعدها معطوف عليها. ﴿بِٱلْعُرْفِ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿وَأَعْرِضْ﴾: الواو: حرف عطف. (أعرض): أمر، وفاعله: أنت. ﴿عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾: متعلقان بما قبلهما.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾

الشرح: ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ﴾: ينخسنك منه نخس، أي: وسوسة من الشيطان تحملك على خلاف ما أمرت به، كغضب، وتفكير بشيء غير صالح. هذا؛ والنخس والنزغ والنسغ، والنغز، والهمز، والوسوسة ألفاظ مترادفة، وأصل النزغ: الفساد، ومنه قوله تعالى حكاية عن قول يوسف ـ عليه السلام ـ: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ أي: أفسد، فقد شبه سبحانه وسوسة الشيطان وإغواءه للناس بنخس السائق دابته بشيء؛ لتسير..

هذا؛ وانظر شرح: ﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في الآية رقم [٤٩] من سورة (الأنفال). ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ أي: اطلب النجاة من ذلك بالله، فأمر سبحانه العبد أن يدفع الوسوسة بالالتجاء إليه، والاستعاذة به، ولله المثل الأعلى، فلا يستعاذ من الكلاب إلا بصاحب الكلاب. ﴿سَمِيعٌ﴾: يسمع استعاذتك. ﴿عَلِيمٌ﴾: يعلم ما فيه صلاحك، فيحملك عليه، أو هو سميع بأقوال من آذاك، عليم بأفعاله، فيجازيه عليها، مغنياً لك عن الانتقام، ومتابعة الشيطان. هذا؛ وفي الآية الكريمة استعارة تبعية، حيث شبه الإغراء على المعاصي بالنزغ، واستعير النزغ للإغراء، ثم اشتق منه ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾.

قال القرطبي: ونظير هذه الآية ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال، قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشَّيْطانُ أحدَكُمْ، فيقولُ لَهُ: مَنْ خلق كذَا؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا؟ حتى يقولَ لَهُ: مَنْ خلقَ رَبَّكَ؟ فإذا بَلَغَ ذلِكَ؛ فليَسْتَعِذْ بالله، ولْيَنْتَهِ**».

تنبيه: قال ابن زيد: لما نزلت الآية السابقة؛ قال النبي ﷺ: «**فكيف بالْغضب يا ربّ**». فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

الإعراب: ﴿وَإِمَّا﴾: الواو: حرف عطف. (إما): هي (إن) الشرطية مدغمة في (ما) الزائدة. وانظر الآية رقم [٣٥]. ﴿يَنزَغَنَّكَ﴾: مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة التي هي حرف لا محل له، والكاف مفعول به. ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿نَزْغٌ﴾، كان صفة له، فلما قدم عليه صار حالاً... إلخ. ﴿نَزْغٌ﴾: فاعل، وجملة: ﴿يَنزَغَنَّكَ...﴾ إلخ لا محل لها؛ لأنها ابتدائية، ويقال لأنها جملة شرط غير ظرفي. ﴿فَاسْتَعِذْ﴾: الفاء: واقعة في جواب الشرط. (استعذ): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿بِاللَّهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والجملة الفعلية في محل جزم عند الجمهور، والدسوقي يقول لا محل لها؛ لأنها لم تحل محل المفرد، والجملة الشرطية معطوفة على ما قبلها، أو هي مستأنفة، لا محل لها على الاعتبارين، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ تعليل للأمر، لا محل لها. هذا؛ وجواب (استعذ) محذوف، أي يدفعه عنك.

﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾

الشرح: ﴿اتَّقَوْا﴾: انظر ﴿التَّقْوَىٰ﴾ في الآية رقم [٢٦]. ﴿مَسَّهُمْ﴾: أصابهم. ﴿طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾: لمة منه، وهو اسم فاعل من طاف كأنها طافت بهم، ودارت حولهم، فلم تقدر أن تؤثر فيهم. أو من: طاف به الخيال، يطيف طيفاً، وقرئ: (طيف) على أنه مصدر، وهما لغتان بمعنى واحد. وقيل: بينهما فرق فالطائف ما يطوف حول الإنسان، والطيف الوسوسة. وقال الأزهري: الطيف في كلام العرب: الجنون، وقيل للغضب: طيف؛ لأن الغضبان يشبه المجنون. ﴿الشَّيْطَانِ﴾: انظر الآية رقم [٤٩] من سورة (الأنفال)، و«أل» فيه للجنس، ولذا جمع الضمير العائد عليه في الآية التالية. ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أي: قدرة الله، وإنعامه عليهم، فتركوا المعصية، وكفوا غضبهم. ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾: مواقع الخطأ، ومكايد الشيطان بسبب التذكر، فيبتعدون عمَّا ذكر. هذا؛ وقد كثر ذكر الطيف، والخيال في الشعر العربي، وهو ما يرى في النوم، أو يتخيل في اليقظة. قال زياد بن حمل: [البسيط]

فقمتُ لِلطَّيفِ مُرتاعاً فأرَّقني ... فقلْتُ أهْيَ سرَتْ أمْ عادَني حُلُمُ؟

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسمها مبني على الفتح في محل نصب. ﴿اتَّقَوْا﴾: ماض مبني على فتح مقدر على الألف المحذوفة لالتقائها ساكنة مع واو الجماعة التي هي فاعله، والألف للتفريق، والمفعول محذوف للتعميم، والجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها. ﴿إِذَا﴾: ظرف لما يستقبل من الزمان، خافض لشرطه، منصوب بجوابه، صالح لغير ذلك، مبني على السكون في محل نصب. ﴿مَسَّهُمْ﴾: ماض شرط: ﴿إِذَا﴾، والهاء مفعول به. ﴿طَائِفٌ﴾: فاعله،

والجملة الفعلية في محل جر بإضافة ﴿إِذَا﴾ إليها على القول المشهور المرجوح. ﴿مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: متعلقان بـ ﴿طَٰٓئِفٌ﴾، أو بمحذوف صفة له. ﴿تَذَكَّرُوا۟﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، والمفعول محذوف انظر الشرح، والجملة الفعلية جواب ﴿إِذَا﴾ لا محل لها، و﴿إِذَا﴾ ومدخولها في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾، والجملة الاسمية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها ﴿فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ إعراب هذه الجملة مثل إعراب: ﴿فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ في الآية رقم [١٠٧] بلا فارق.

﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾ أي: إخوان الشياطين الذين لم يتقوا الله يمدهم الشيطان، وإخوان الشياطين: هم الفجار من ضلال الإنس. ﴿يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ﴾: يزيدونهم غيّاً وضلالاً بالتزيين والوسوسة. هذا؛ ويقرأ الفعل: ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بفتح الياء وضم الميم من الثلاثي، ويقرأ بضم الياء وكسر الميم من الرباعي، كما يقرأ (يُمَادُّونهم)، كأنهم يعينونهم بالتسهيل والإغواء، وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال. ﴿ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾: ثم لا يمسكون عن إغوائهم، والفعل على هذا بضم الياء وكسر الصاد من الرباعي، ويقرأ الفعل بفتح الياء وضم الصاد من الثلاثي، ويكون المعنى: ثم لا يكفون عن اتباع الشياطين، ولا يتوبون، ولا يرجعون إلى الله تعالى، وهؤلاء بخلاف المؤمنين المذكورين في الآية السابقة الذين إذا مسهم طائف من الشيطان. وانظر: ﴿ثُمَّ﴾ في الآية رقم [١٠٣].

الإعراب: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ﴾: (إخوانهم): مبتدأ، والهاء في محل جر بالإضافة. ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والميم علامة جمع الذكور، والجملة الفعلية في محل رفع خبر المبتدأ. ﴿فِى ٱلْغَىِّ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما وجوز تعليقهما بمحذوف حال من الفاعل، أو من المفعول. والجملة الاسمية مستأنفة، لا محل لها. ﴿ثُمَّ﴾: حرف عطف. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يُقْصِرُونَ﴾: فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، انظر الشرح، والجملة الفعلية معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها.

﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ قَالُوا۟ لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى ۚ هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾

الشرح: ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ﴾ أي: بمعجزة ظاهرة مما اقترحوه عليك. وانظر (أتى) في الآية رقم [٣٥] و«آية» في الآية رقم [٩]. ﴿قَالُوا۟﴾ أي: أهل مكة. ﴿لَوْلَا﴾: هلا. ﴿ٱجْتَبَيْتَهَا﴾: اختلقتها، وابتدعتها من عندك، كما هو شأنك وعادتك. تقول العرب: اجتبيت الكلام: إذا اختلقته، وابتدعته. هذا؛ واجتباه اختاره: واصطفاه. قال الكلبي: كان أهل مكة يسألون النبي ﷺ الآيات تعنتاً، فإذا تأخرت اتهموه، وقالوا: لولا اجتبيتها. ﴿قُلْ﴾: الخطاب للنبي ﷺ. ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ أي: أنا لست بمختلق للآيات، ولا بمخترع لها، لا أتبع إلا ما ينزل به جبريل عليَّ من عند ربي.

﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي: هذا القرآن بصائر للقلوب، بها يبصر الحق، ويدرك الصواب. هذا؛ وبصائر جمع بصيرة، وهي الدلالة الواضحة، فيهتدى بها، فأطلق على القرآن لفظ البصيرة تسمية للسبب باسم المسبب وانظر الآية رقم [١٠٤] من سورة (الأنعام). ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: رشد وبيان وهداية من الضلالة ونعمة شاملة لمن قرأ القرآن وانتفع به. وانظر إعلال (هدىً) في الآية رقم [٩١] الأنعام. ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾: خصهم بالذكر لأنهم هم الذين ينتفعون بالقرآن وبتعاليمه.

تنبيه: قال الخازن: وهنا لطيفة، وهي الفرق بين هذه المراتب الثلاث، وذلك أن الناس متفاوتون في درجات العلوم، فمنهم من بلغ الغاية في علم التوحيد حتى صار كالمشاهد، وهم أصحاب «عين اليقين»، ومنهم من بلغ درجة الاستدلال، والنظر، وهم أصحاب «علم اليقين»، ومنهم المسلم المستسلم، وهم: عامة المؤمنين، وهم أصحاب: «حق اليقين»، فالقرآن في حق الأولين ـ وهم السابقون ـ بصائر، وفي حق القسم الثاني ـ وهم المستدلون ـ هدى، وفي حق القسم الثالث ـ وهم عامة المؤمنين ـ رحمة. انتهى. وانظر الآية رقم [٥٧] (يونس) تجد ما يسرك.

الإعراب: ﴿وَإِذَا﴾: (إذا): انظر الآية رقم [٢٠١]. ﴿لَمْ﴾: حرف نفي وقلب وجزم. ﴿تَأْتِهِم﴾: مضارع مجزوم بـ ﴿لَمْ﴾، وعلامة جزمه حذف حرف العلة من آخره، وهو الياء، والكسرة قبلها دليل عليها، والفاعل مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت»، والهاء مفعول به، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا) إليها. ﴿بِآيَةٍ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿قَالُواْ﴾: فعل، وفاعل، والألف للتفريق، ﴿لَوْلَا﴾: حرف تحضيض. ﴿اجْتَبَيْتَهَا﴾: فعل، وفاعل ومفعول به، والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قَالُواْ...﴾ إلخ جواب (إذا) لا محل لها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له. ﴿قُلْ﴾: أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿إِنَّمَا﴾: كافة ومكفوفة. ﴿أَتَّبِعُ﴾: مضارع، والفاعل تقديره: «أنا». ﴿مَا﴾: تحتمل الموصولة، والموصوفة فهي مبنية على السكون في محل نصب مفعول به. ﴿يُوحَى﴾: مضارع مبني للمجهول مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف للتعذر. ونائب الفاعل يعود إلى: ﴿مَا﴾، وهو العائد، أو الرابط. ﴿إِلَيَّ﴾: متعلقان بما قبلهما. ﴿مِن رَّبِّي﴾: متعلقان بمحذوف حال من نائب الفاعل المستتر، وعلامة الجر كسرة مقدرة على ما قبل ياء المتكلم... إلخ، والياء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿إِنَّمَا أَتَّبِعُ...﴾ إلخ في محل نصب مقول القول، وجملة: ﴿قُلْ...﴾ إلخ مستأنفة، لا محل لها. ﴿هَٰذَا﴾: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ، والهاء حرف تنبيه لا محل له. ﴿بَصَآئِرُ﴾: خبر المبتدأ. ﴿مِن رَّبِّكُمْ﴾: متعلقان بـ ﴿بَصَآئِرُ﴾، أو بمحذوف صفة له. (هدى): معطوف على: ﴿بَصَآئِرُ﴾ مرفوع مثله، وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين، والألف الثابتة دليل عليها، وليست عينها. ﴿وَرَحْمَةٌ﴾: معطوفة على ﴿بَصَآئِرُ﴾ أيضاً. ﴿لِّقَوْمٍ﴾: متعلقان بـ (رحمة)، أو بـ (هدى) على التنازع، أو بمحذوف صفة لأحدهما، وحذفت صفة الثاني لدلالة صفة الأول، أو بالعكس. ﴿يُؤْمِنُونَ﴾:

فعل، وفاعل، والمتعلق محذوف، والجملة الفعلية في محل جر صفة (قوم)، والكلام: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ...﴾ إلخ كله في محل نصب مقول القول. تأمل، وتدبر، وربك أعلم، وأجل، وأكرم.

﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾

الشرح: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ: لما ذكر سبحانه وتعالى عظم شأن القرآن بقوله: ﴿هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أتبعه بما يجب من تعظيم شأنه عند قراءته، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ﴾ عليكم أيها المؤمنون ﴿ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ﴾ يعني: أصغوا إليه بأسماعكم لتفهموا معانيه، وتتدبروا مواعظه ﴿وَأَنصِتُواْ﴾ يعني: عند قراءته، والإنصات السكوت للاستماع، يقال: نصت، وأنصت، وانتصت بمعنى واحد. واختلف العلماء في الحال التي أمر الله عز وجل بالاستماع لقارئ القرآن، والإنصات له إذا قرأ؛ لأن قوله: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ أمر، وظاهر الأمر للوجوب، فمقتضاه أن يكون الاستماع، والسكوت واجبين، وللعلماء في ذلك أقوال:

القول الأول: ـ وهو قول الحسن، وأهل الظاهر ـ أن تجرى هذه الآيات على العموم، ففي أي وقت، وأي موضع قرئ القرآن يجب على كل أحد الاستماع له، والسكوت.

الثاني: أنها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة، روي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ: أنهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوائجهم، فأمِروا بالسكوت، والاستماع لقراءة القرآن. وقال عبد الله، كنا يسلم بعضنا على بعض في الصلاة: سلام على فلان، وسلام على فلان، فجاء القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ...﴾ إلخ.

الثالث: أنها نزلت في ترك الجهر بالقراءة خلف الإمام. روي عن أبي هريرة: قال: نزلت هذه الآية في رفع الأصوات، وهم خلف رسول الله ﷺ. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنه سمع ناساً يقرؤون مع الإمام، فلما انصرف، قال: أما آن لكم أن تفقهوا ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ كما أمركم الله.

الرابع: أنها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة. وهذا القول قد اختاره جماعة، وفيه بعد؛ لأن الآية مكية، والخطبة إنما وجبت يوم الجمعة بالمدينة، واتفقوا على أنه يجب الإنصات حال الخطبة بدليل السنة.

واختلف العلماء في القراءة خلف الإمام: فذهب جماعة إلى إيجابها، سواء جهر الإمام بالقراءة، أو أسر، يروى ذلك عن عمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، ومعاذ، رضي الله عنهم أجمعين. وهو قول الأوزاعي، وإليه ذهب الشافعي. .

وذهب قوم إلى أنه يقرأ فيما أسر الإمام فيه، ولا يقرأ فيما جهر الإمام فيه، يروى ذلك عن ابن عمر، وهو قول عروة بن الزبير، والقاسم بن محمد، وبه قال مالك، والزهري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق.

وذهب قوم إلى أنه لا يقرأ سواء أسر الإمام، أو جهر، يروى ذلك عن جابر، وإليه ذهب أصحاب الرأي. أي: السادة الأحناف.

حجة من لا يرى القراءة خلف الإمام ظاهر هذه الآية، وحجة من قال: يقرأ في السرية دون الجهرية، قال: إن الآية تدل على الأمر بالاستماع لقراءة القرآن، ودلت السنة على وجوب القراءة خلف الإمام، فحملنا مدلول الآية على صلاة السرية، وحملنا مدلول السنة على صلاة الجهرية، جمعاً بين دلائل الكتاب، والسنة.

وحجة من أوجب القراءة خلف الإمام في السرية والجهرية قال: الآية واردة في غير الفاتحة؛ لأن دلائل السنة قد دلت على وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، ولم يفرق بين السرية والجهرية، ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت؛ قال: صلَّى رسول الله ﷺ الصبحَ، فثقُلَت عليه القراءة، فلما انصرف قال: «**أراكم تقرؤون وراء إمامكم!**». قال، قلنا يا رسول الله: أي والله! قال: «**لا تفعلوا إلا بأم القرآن، فإنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها**». أخرجه الترمذي بطوله، وأخرجاه في الصحيحين أقصر منه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاةَ لِمن لمْ يقرأ بفاتحة الكتاب**». وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّى صلاةً لَمْ يقرأْ فيها بفاتحةِ الكتابِ، فهِيَ خِداجٌ، يقولُها ثَلَاثاً**». أي غير تمام. انتهى. بتصرف بسيط، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: (إذا): انظر الآية رقم [٢٠١]. ﴿قُرِئَ﴾: ماض مبني للمجهول. ﴿ٱلْقُرْءَانُ﴾: نائب فاعل، والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إذا): إليها على المشهور المرجوح. ﴿فَٱسْتَمِعُوا۟﴾: الفاء: واقعة في جواب (إذا). (استمعوا): فعل أمر مبني على حذف النون، والواو فاعله، والألف للتفريق، والجملة الفعلية جواب (إذا) لا محل لها. ﴿لَهُۥ﴾: متعلقان بما قبلهما، وجوز اعتبار اللام زائدة، فيكون الضمير مجروراً لفظاً، منصوباً محلّاً على أنه مفعول به. وجملة: ﴿وَأَنصِتُوا۟﴾ معطوفة على ما قبلها لا محل لها مثلها، و(إذا) ومدخولها كلام مستأنف لا محل له ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ انظر إعراب هذه الجملة، وما ذكرته من الترجي في الآية رقم [٦٣].

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾

الشرح: ﴿رَّبَّكَ﴾: انظر الآية [٣]. ﴿نَفْسِكَ﴾: انظر (النفس) في الآية رقم [٩]. ﴿تَضَرُّعًا﴾: انظر الآية رقم [٥٥]. ﴿وَدُونَ﴾: انظر الآية رقم [٣]. ﴿بِٱلْغُدُوِّ﴾: جمع غدوة بضم الغين، وهي ما بين طلوع الفجر، وطلوع الشمس، وقيل: إلى الضحوة الكبرى، والغداة في الأصل: الضحوة، ولو حملها حامل على أول النهار؛ جاز له التذكير، والجمع: غدوات. ﴿وَٱلْـَٔاصَالِ﴾: جمع: أصيل، وهو الوقت بين العصر، والمغرب، ويجمع أيضاً على أصائل، وأُصُل، وأُصْلان. وقيل: أصائل جمع

أُصُل، أي فهو جمع الجمع. وليس بشيء. هذا؛ ويطلق الأصيل على الشعاع الممتد من الشمس إلى الماء، فيشبه لون أشعته في الماء لون الذهب وانظر الآية رقم [٤١] من سورة (آل عمران)، والآية رقم [٥٢] من سورة (الأنعام)، ففيهما كبير فائدة. هذا؛ و(خيفة) أصلها: (خِوْفَة) فوقعت الواو ساكنة إثر كسرة، فقلبت ياء، فهو واوي الأصل من الخوف.

تنبيه: قال الخازن ـ رحمه الله تعالى ـ الخطاب للنبي ﷺ، ويدخل فيه غيره من أمته؛ لأنه عام لسائر المكلفين، ثم قال: والمعنى: اذكر ربك بالبكر، والعشيات. وإنما خص هذين الوقتين بالذكر؛ لأن الإنسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو أخو الموت، فاستحب له أن يستقبل حالة الانتباه من النوم، وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون أول أعماله ذكر الله عز وجل، وأما وقت الآصال، وهو آخر النهار، فإن الإنسان يريد أن يستقبل النوم الذي هو أخو الموت، فيستحب له أن يستقبله بالذكر؛ لأنه حالة تشبه الموت، ولعله لا يقوم من تلك النومة، فيكون موته على ذكر الله، عز وجل. ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾ أي: عما يقربك إلى الله تعالى من ذكر، وصلاة وغيرهما، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه.

الإعراب: ﴿وَاذْكُر﴾: الواو: حرف استئناف. (اذكر): أمر، وفاعله مستتر تقديره: «أنت». ﴿رَّبَّكَ﴾: مفعول به، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿فِي نَفْسِكَ﴾: متعلقان بالفعل قبلهما، والكاف في محل جر بالإضافة. ﴿تَضَرُّعًا﴾: حال من الفاعل المستتر، بمعنى: متضرعاً متذللاً. وقيل: هو مفعول لأجله. وقيل: مفعول مطلق لفعل محذوف. ﴿وَخِيفَةً﴾: معطوف على ما قبله. ﴿وَدُونَ﴾: قدر البيضاوي ما يلي: ومتكلماً كلاماً فوق السر، ودون الجهر، وهذا يعني أن (دون) معطوف على محذوف هو (فوق) وهذا متعلق بمحذوف معطوف بدوره على ﴿تَضَرُّعًا﴾ و(خيفة)، وقول أبي البقاء: معطوف على «تضرع»، والتقدير: مقتصدين؛ لا وجه له، و(دون) مضاف، و﴿الْجَهْرِ﴾: مضاف إليه. ﴿مِنَ الْقَوْلِ﴾: متعلقان بمحذوف حال من: ﴿الْجَهْرِ﴾، ويجوز تعليقهما بالجهر نفسه لأنه مصدر، وقول الجمل: «كأن هذا حال من: (دون)، أي حال كون الدون كائناً من القول» لا وجه له. ﴿بِالْغُدُوِّ﴾: متعلقان بالفعل: (اذكر). (الآصال): معطوف على ما قبله. ﴿وَلَا﴾: الواو: حرف عطف. (لا): ناهية. ﴿تَكُن﴾: مضارع ناقص مجزوم بـ (لا)، واسمه ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره: «أنت». ﴿مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾: متعلقان بمحذوف خبر: ﴿تَكُن﴾، وجملة: ﴿وَلَا تَكُن...﴾ إلخ معطوفة على جملة: (اذكر...) إلخ لا محل لها، الأولى بالاستئناف، والثانية بالإتباع.

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾

الشرح: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾: المراد بهم الملائكة بالإجماع، والمراد بالعندية: القرب من الله بالزلفى، والرضا، لا المكانية. وفي القرطبي: ومعنى العندية: أنهم في مكان لا ينفذ فيه

إلا حكم الله. وقيل: هذا على جهة التشريف لهم، وأنهم بالمكان المكرم، فهو عبارة عن قربهم في الكرامة لا في المسافة. ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ...﴾ إلخ: عدم الكبر يجر للطاعة، والطاعة إما قلبية، وإما بدنية، فأشار للأولى بقوله: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ لأن التسبيح: التنزيه، والتعظيم، وهو يكون باللسان. وإلى الثانية بقوله: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ أي: يخصونه بالخضوع، والتذلل، والسجود برهان ذلك، وهو يكون بالبدن.

تنبيه: يسن سجود التلاوة عند قراءة هذه الآية، وهي أول آية يسن السجود عند تلاوتها، والآيات التي يسن السجود لتلاوتها هي أربع عشرة، والدليل هو سجود النبي ﷺ. فعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ: أن النبي ﷺ كانَ يقرأُ القرآنَ، فيقرَأُ سورةً فيها سجدةٌ، فيسجدُ، ونسجد معه حتى ما يجدَ بعضُنَا موضعاً لمكانِ جبْهتِهِ في غير وقتِ صلاةٍ. متفق عليه، وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قرَأَ ابنُ آدمَ السَّجْدةَ، فسَجَدَ؛ اعْتزلَ الشيطانُ يَبْكِي، ويقولُ: يا ويلتَا أُمِرَ ابنُ آدمَ بالسجودِ، فسَجَد، فلهُ الجنةُ، وأُمِرْتُ بالسجودِ فأَبَيْتُ، فَلِي النارُ!**». رواه مسلم. والله أعلم.

الإعراب: ﴿إِنَّ﴾: حرف مشبه بالفعل. ﴿الَّذِينَ﴾: اسم موصول مبني على الفتح في محل نصب اسمها. ﴿عِندَ﴾: ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول، و﴿عِندَ﴾: مضاف، و﴿رَبِّكَ﴾: مضاف إليه، والكاف ضمير في محل جر بالإضافة من إضافة اسم الفاعل لمفعوله، وفاعله مستتر فيه. ﴿لَا﴾: نافية. ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾: فعل، وفاعل، والجملة الفعلية في محل رفع خبر: ﴿إِنَّ﴾. ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾: متعلقان بما قبلهما، والهاء في محل جر بالإضافة، وجملة: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾: معطوفة على ما قبلها، فهي في محل رفع مثلها. (له): متعلقان بما بعدهما، والجملة الفعلية: ﴿وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ معطوفة على خبر: ﴿إِنَّ﴾، فهي في محل رفع، والفعل المضارع في الجمل الثلاث مرفوع، وعلامة رفعه ثبوت النون؛ لأنه من الأفعال الخمسة، وواو الجماعة فاعله.

تمت سورة (الأعراف) بحمد الله، وتوفيقه،

والله أسأل، وبنبيه أتوسل أن يعين على إتمامه،

وأن ينفع به المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس